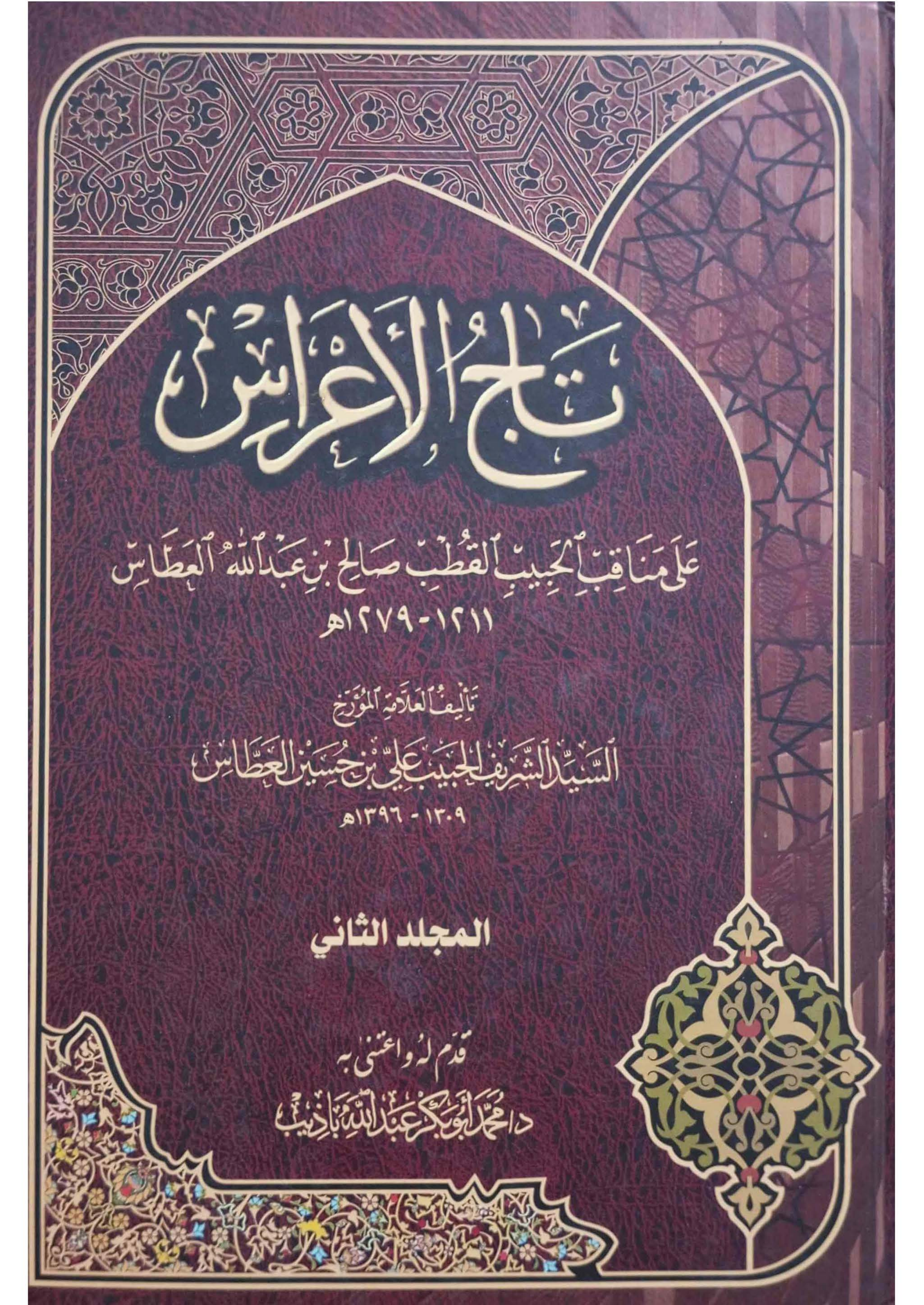
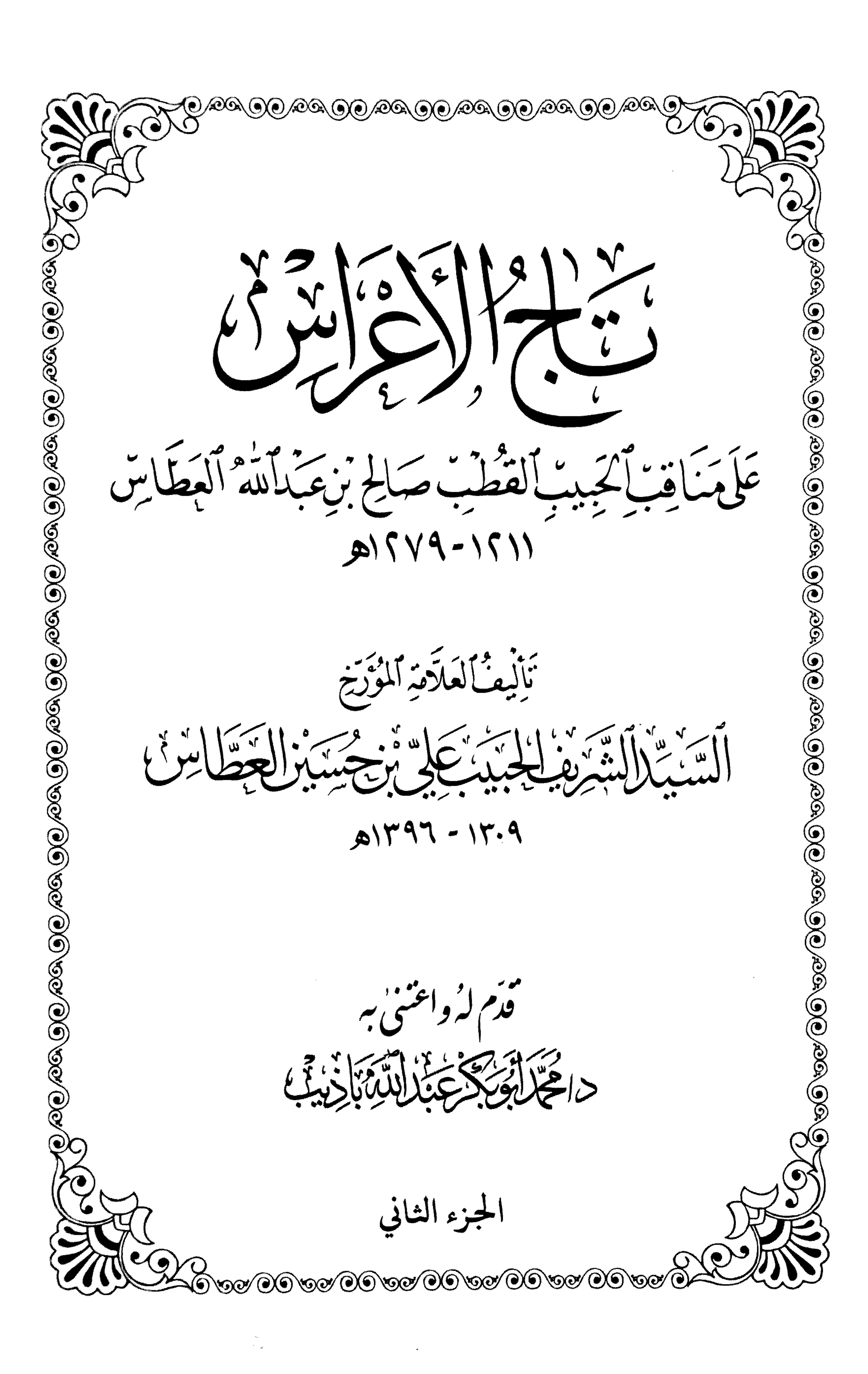

تاج الأعراس
على مناقب الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس
١٢١١-١٢٧٩هـ
تأليف العلامة المؤرخ
السيد الشريف الحبيب علي بن حسين العطاس
١٣٠٩ - ١٣٩٦هـ
المجلد الثاني
قدم له واعتنى به
د/ محمد أبو بكر عبد الله باذيب



تاج الأعراس

على مناقب الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس

١٢١١-١٢٧٩هـ

تأليف العلامة المؤرخ

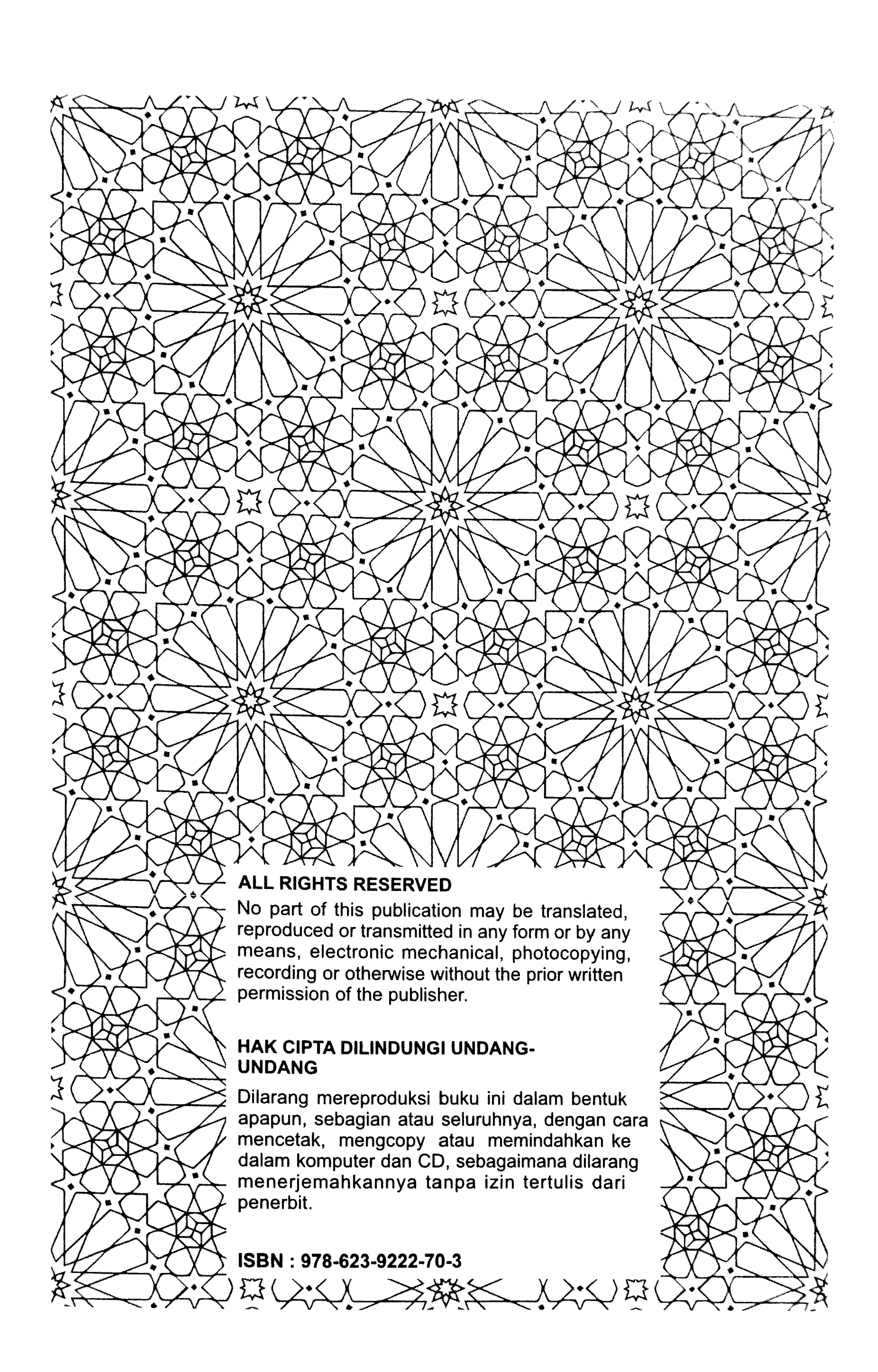
السيد الشريف الحبيب علي بن حسين العطاس

١٣٠٩ - ١٣٩٦هـ

قدم له واعتنى به

د/ محمد أبو بكر عبد الله باذيب

الجزء الثاني



ISBN : 978-623-9222-70-3

[الخامس والعشرون
من مريدي صاحب المناقب
الحبيب عبدالله بن محمد بن أحمد العطاس]

ومنهم الحبيب الخشية، السائر على الأرض هوينا في مشيه، والمنقطع إلى مولاه انقطاع من سجّي في نعشه، عبدالله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، وزاره إلى بلده عمْد، ولبس منه، وأخذ كثيرًا عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، ولازم الحبيب محمد بن علي السقاف، المتقدم ذكرهما في (الباب الخامس).

ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وأخذ بمكة عن شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، وأتقن في تلك المدة فنّ التجويد قراءةً وتلقياً. ثم عاد إلى بلده حريضة، مغتبطًا بما نالَ، خصوصًا تجويد القرآن، وصار يعلمه الأهل والجيران.



وكان هذا الحبيب آيةً من آيات الله في قوة العقيدة في الصالحين، وحسن الظن بعامة المسلمين، فكان إذا ذكر له وليٌ أو عالم، يردد اسمه على لسانه معظمًا لشأنه.

كما أنه لا يعرف الحقد على المسلمين، ومن شواهده على ذلك: أنه غضب مرة على ابنه محسن بن عبدالله، ثم احتاج إلى حماره، فأرسل إليه رسولًا، وقال للرسول: قل لمولى الدار الشرقية، يعني: ابنه محسن، يسلم عليك مولى الدار القبلية، يعني نفسَه،

ويقول: مراده يستعير منك الحمار ليركب عليه إلى المشهد. وكان ابنه المذكور بارًا به، وصاحب أناءةٍ في كلامه، فقال للرسول: قل لمولى الدار القبلية، يسلم عليك مولى الدار الشرقية، ويقول لك: لو باتركب على ظهره إلى المشهد فضلاً عن الحمار، انتهى.

قلتُ: فانظر رحمك الله إلى سلامة القلوب، والحياة النزيهة عن الأحقاد والعيوب، وقارن بينهما وبين الحياة المنغّصة بكثرة الأحقاد، ونهش لحوم العباد، ولكن لله المراد فيما أراد.



وكان الحبيب عبدالله المذكور، ممن انعقد إجماع أهل بلده على صلاحه وصفاء سريرته، كما أنه كان يقتصر من مخالطة الناس على ضروريات الحياة فقط، حتى كفَّ بصره الظاهر في آخر وقته، فلازم المحراب، وتلاوة القرآن.

وكان من عادته: أنه يحيي الثلثَ الأخير من الليل في سطح داره بالتهجد وتلاوة القرآن، ثم يدعو الله جهراً بدعواتٍ كان يلقنها في تلك الساعة. ثم يقول في آخر دعواته: «**اللهم** اجعل كل ما دعوتك به من الشرّ على أحد من المسلمين في الماء، واجعل كل ما دعوتك به من الخير إلى السّماء». كما أنه يقول في آخر مناجاته واستغفاره: «ليتني لم أخلق، ليتني لم أخلق»، ويكررها مرارًا.

ومن عجيب الاتفاق: أن الحبيب عبدِالله بن محمد بن حسين بن جعفر العطاس، ساكن بلد بضة، الآتي ذكره في (هذا الباب)، وكان صالحًا، ويحب المزح والبسط مع إخوانه، قدم مرةً إلى حريضة لزيارة أهله وإخوانه، وبات في بيت ابن أخيه طالب بن حسين بن محمد، وكان قريبًا من بيت صاحب الترجمة، ولم يعلم بقدومه، فأقلق ذلك القادمَ شدةُ الحر، وكثرة البعوض، فجلس عند النافذة كالمتضجّر من عدم الراحة في

النوم، فقام صاحب الترجمة على عادته، فأصغى القادم إلى قراءته، وصالح دعواته، فلما بلغ قوله: «ليتني لم أخلق، ليتني لم أخلق»، أخرج القادم رأسه من النافذة، وقال: والفقير كذلك، والفقير كذلك، وكررها مرتين، بصوت يحاكي صوت صاحب الترجمة!. فقال صاحب الترجمة: من هذا المتكلم؟ قال: عبدالله بن محمد، فعرفه أنه صاحبه. فقال: وأخوك جعفر؟ قال القادم: نعم وأخي جعفر.

قلتُ: وكان كل منهما يخافُ من أخيه جعفر، لكونه الأكبر، ثم تعانقا تعانق المحبَّين، إذ التقيا بعد البين.

[أخذ مؤلف التاج عن المترجَم]

وأنا بحمد الله قد أدركتُ صاحب الترجمة، وترددت لزيارته، وكان يأمرني بقراءة الفاتحة عليه كلما زرته، ثم يمسح على صدري، وقد يذكر لي شيئًا من مجالسة الخاصة مع والدي، نفعنا الله بالمذكورين، وبساير عباد الله الصالحين، آمين.

[السادس والعشرون
من مريدي صاحب المناقب
الحبيب عبدالرحمن بن محمد بن علي العطاس]

ومنهم الحبيب ذو الجد والجزم، الجامع بين العلم والحلم والحزم، والملحق في سيره بأولي العزم، عبدالرحمن بن محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه، وتردد لزيارته إلى بلده عمد، ولبس منه، كما أنه واصل الأخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، والأخذ والسماع عن الحبيب عمر بن هادون العطاس، والإلباس والإجازة من الحبيب محسن بن حسين بن جعفر العطاس، المتقدم ذكرهم في (الباب الخامس). بعد أن تفقه وتضلّع على الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان، وابنه محمد بن عبدالله، بالخريبة، المذكورين في (الباب الرابع والخامس).

ثم سافر إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وأخذ بمكة عن شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، وتلميذه وشيخ الإسلام بعده الشيخ محمد سعيد بابصيل. وسافر إلى الهند، ثم إلى جاوة، ملازمًا طلب العلم ونشره، ثم عاد إلى بلده، وهِجّيراه ذلكَ. وكان الإمام الراتب بمسجد جدّه الحبيب أحمد بن علي بن الحسين، الكائن بمقبرة بلدنا حريضة.

[مرتبة النجباء الأربعين]

ومما اشتهر عن صاحب الترجمة في حياته، أنه كان من النجباء الأربعين، أعوان صاحب الوقت. **قلتُ**: وهم الذين وظيفتهم الاشتغال بحمل أثقال الخلق، وهي كل حادث لا تفي القوة البشرية بحمله، وذلك لاختصاصهم بوفور الشفقة والرحمة الفطرية، إذ لا مزية لهم في ترقياتهم إلا من هذا الباب، انتهى.

ومن أعماله في هذا الوظيفة الشريفة: أن في بعض الأيامِ كثرت الأراجيف بأنها ستقع حادثة شنيعةٌ في بلدنا حريضة، وتهيأت أسبابها، وانتظرها الناس بفارغ الصبر. فخرج الحبيب عبدالرحمن المذكور ليلًا، يزور قبة سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، يشكو إليه الحال، ويتوسل بجاهه على الله في صرفها عن أولاد سيدنا الحبيب عمر، وعن بلدهم.

فبينما هو واقف أمام تابوت الحبيب عمر يخبره بالحال، إذا هو بالحبيب أحمد بن حسن العطاس واقفًا بجانبه، فسمعا دويًا من داخل التابوت، ثم أعقبه صوت لم يفهم شيئًا منه الحبيب عبدالرحمن، لما داخله من شدة التأثر في تلك الساعة. فقال له الحبيب أحمد: إن الحبيب عمر قد أحالك على ابنه الحسين. وذهبا معًا إلى قبة سيدنا الحسين، فأعاد الحبيب عبد الرحمن شكواه تجاه ضريح سيدنا الحسين، فسمعا صوتًا فصيحًا من داخل ضريحه، يقول لهما: لن تقع تلك الحادثة ولا مثلها أبدًا، بإذن الله تعالى. فكان الأمر كما قال، بإذن محول الأحوال.



ولصاحب الترجمة ابنان. **أكبرهما** حسين بن عبدالرحمن، وليد حريضة ودفين ايدي بأرض آشي، من جهة سُمَطرا، كان يتعاطى بها أسباب التجارة، له سيرة حسنةٌ، ومكارم أخلاق شهيرة، تميز بها عن أقرانه. **والثاني** عبدالله بن عبدالرحمن، وليد حريضة، وبها الآن. وله ابنٌ اسمه: أحمد بن عبدالله، وليد حريضة، تربى بوالده، وطلب العلم بحريضة وتريم.

قلتُ: وكان بعض السلف إذا سمع قائلًا يقول: لله رجالٌ. يقول: ومنهم عبدالرحمن بن محمد، يعني صاحب الترجمة، نفعنا الله به وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.





[السابع والعشرون من مريدي صاحب المناقب الحبيب عبدالرحمن بن عمر بن أحمد العطاس]

ومنهم الحبيب المتواضع، ذو العلم النافع، والخلق الواسع، عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تردد على صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى بلده عمْد، فقرأ عليه الشيء الكثير في مختلف الفنون، وتحكم له، ولبس منه. وأخذ أيضًا أخذًا تامًا عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، حتى كاد أن يكون المقرئ الخاص للحبيب أبي بكر، لحسن صوته، وسرعة مدركه لقواعد الإعراب. ورحل إلى الخريبة، وأقام بها مدةً قرأ فيها عدة فنون على الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان، وعلى ابنه محمد، المتقدم ذكرهما في (الباب الرابع والخامس).

ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وجاور بمكة المحمية سبع سنين، متربعًا فيها بين يدي شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، والسيد بكري بن محمد شطا، ومن في طبقتهما.

ثم عاد إلى مسقط رأسه حريضة، فانتفع به الجم الغفير، خصوصًا العوام والبادية، لدماثة أخلاقه، وكثرة تواضعه، فكان إذا ناداه السائل وهو في أعلى بيته أشرف عليه من النافذة، واستفهم عن سؤاله، ثم ألقى عليه الجواب شفاهًا. وربما اعترضه السائل،

والحبيب عبدالرحمن يحمل قربةَ الماء من البئر على ظهره، فيجيبه مع كمال البشاشة وحسن التفهيم، كل ذلك تخفيفًا على عوام المسلمين، وترغيباً لهم في العمل بشريعة سيد المرسلين، ولم يزل ذلك دأبه حتى أتاه اليقين.

ولصاحب الترجمة ابنان: [1] **عبدالله** بن عبد الرحمن، المعروف بالقاضي، وستأتي ترجمته في هذا الباب. و[2] عمر بن عبدالرحمن، وليد حريضة، ودفين بلد جُمْبَان بجاوة، قضى العمر الغالب ببلده حريضة، في إصلاح ذات البين، ثم سافر إلى جاوة لزيارة شقيقه، فكانت مقره البرزخي، نفعنا الله به وبسائر عباد الله الصالحين.



[الثامن والعشرون
من مريدي صاحب المناقب
الحبيب أحمد بن عمر بن أبي بكر العطاس]

ومنهم الحبيب المنور، الصالح المعمر، الصوفي الصفي الأبر، أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، وأحد مشاهيرها بالولاية، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تردد كثيرًا لزيارة صاحب المناقب، رضوان الله عليه، في حياته الدنيوية وحياته البرزخية، وشهرهُ صاحب المناقب في صغره بأنه من أهل النور، والحظ الموفور. كما أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، وروى عنه، فأصبح بين معاصِرِيْه يمثل أويس القرني في زهده وابتعاده عن الناس، وما هم فيه من الافتتان بزهرة الدنيا، مع اغتباط أهل بلده به، واعتدادهم بولايته من القضايا المسلمة التي لا يحوم حولها الشك.

ومن شدة هضمه لنفسه: أنه جعل وظيفته العامة في بلده من حيث الظاهر اختتان الصبيان، فكل من دعاه إلى ذلك كائنًا من كان يجيبه، ويؤدي الوظيفة بكل فرح، مع الدعوات الصالحة، احتسابًا لوجه الله تعالى. كما أنه كان يصنع الحبر في بيته، ثم يأتي به إلى معلامة بلدنا حريضة، ويفرق مجانًا على الأولاد المتعلمين بها.

ومن خصوصياته: أنه كان يقتصر على أكل الحلال، من حرثه الخاص، خبزًا وتمرًا، كما أنه لا يعرف إلا ما خشن من اللباس والفراش. ومع هذا أنه لو فتح بابًا لمراقبة الناس، لأصبح أحد المثريين المترفّهين، ولكنه حجبهم عنه بعظم حاله، فلا

يخالطهم إلا في الجمعة والجماعة، ويدعو للمائلين منهم عن سيرة السلف، ولا يعيب أحدًا من خلق الله، كأنه ينظر إلى اللوح المحفوظ من طرف خفي.

[هل يطيع العبد ربه بالعصيان؟]

قلتُ له مرةً، في بعض زيارتي إلى بيته، لالتماس صالح دعواته: إن فلانًا عمل كذا وكذا، مما يخالف سيرة السلف، وتجاهر به. فقال لي: وماذا تريد منه؟ قلت: أريد أن يكون مثل أخيه فلان في سيرته الحسنة. فضحك، وقال لي: هذا مراد الله فيه، وأما أخوه فذاك مراد الله منه، خلّ ربك على قياسه. فعرفتُ أنه يعني تتمة الحديث: «**اعملُوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلقَ له**»[1].

وكان في تلك المدة عندي إشكال في قول بعض العلماء: «سبحان من ذكره الناسي بنسيانه، وأطاعه العاصي بعصيانه»!. فزال ما عندي من إشكالٍ بمجرد قوله هذا.

ثم وجدت بيان ذلك بعد مدة في مناجاة سحَرية، للحبيب العارف بالله، الملهم في دعواته لمعرفة عظمة الله، عمر بن سقاف الصافي با علوى عند قوله: «**إلهي** جلَّت عظمتك أن يعصيك عاصٍ، أو ينسيك ناسٍ، ولكن جرى رُوح أوامرك في أسرار الكائنات، فذكرك الناسي بنسيانه، وأطاعك العاصي بعصيانه. وإن من شيء إلا يسبح بحمدك، إن عصى داعي إيمانك، فقد أطاع داعي سلطانك. ولكن قامت عليه حجتك، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾».



ومن إعراض صاحب الترجمة عن حطام الدنيا، أنه قيل له مرةُ: إن عبد آل فلان، جيرانك في الحرث، قد غلط على حصد البعض من زرعك إلى زرع أهله،

(1) متفق عليه، رواه الشيخان من حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالأولى أن تخبرهم ليردوا ذلك عليكَ، فإنهم لا يرضون بمثل هذا. فقال: إن ذلك لا يكون إلا بعد ضرب العبد وتأديبه، وأني لا أحب أن أكون سبباً في إدخال المشقة على مسلم، والذي بقي لنا من الزرع فيه ألف بركة.

ثم قال: إن الحبيب علي بن الحسن العطاس، صاحب المشهد، جاءه الخادم ليلةً بطعام العشاء، من خمير الذرة مصبوغًا بالروبة والسمن. وكانت عند الحبيب علي مسائلُ علمية عويصة، يراجع فيها. فقال للخادم: ضعه في ذلك الجانب، واستمر في المطالعة، فلما كان آخر الليل ناداه بعض شركائه في الحرث. وقال له: يا حبيب علي، نريد منكم أن ترسلوا أحدًا من أولادكم بكرةَ هذا اليوم إلى الحرث الفلاني، ليقف على قسمته. فقال الحبيب علي: ما عندي أحد الآن، وفيكم الكفاية.

قال: لا بد من حضور أحد من قبلكم، ولو حتى أنت تحضر بنفسك. فقال له الحبيب علي: اطلع إلى عندي. فلما دخل على الحبيب علي، وهو في غرفته بين كتبه، رفع الحبيب علي الغطاء من فوق الصحفة. وقال: أما أنا ما عندي وقت لعشائي المطبوخ المصبوغ بالسمن، كيف إلا الذي عادُه يحتاج إلى حصاد ونكاد! فقنع الرجل وخرج من عنده، انتهى.

ثم قال صاحب الترجمة: والدنيا يا أولادي، إن كبّرها الإنسان في خاطره كبرت، وهمّته وغمّته، وأعمت بصيرته، وإن صغرها صغرَت، والمقسوم له منها آتيه لا محالةَ، انتهى. وكانت وفاة الحبيب أحمد بن عمر صاحب الترجمة، لعشرين مضت من ذي القعدة، سنة سبع وستين وثلاث مائة وألف هجرية، ببلده حريضة، وله من العمر نحو المائة والعشرين، نفعنا الله به، وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.

[التاسع والعشرون
من مريدي صاحب المناقب
الحبيب أحمد بن محمد بن أحمد العطاس]

ومنهم الحبيب الزين، المصلح ذات البين، والباذل حاله وماله في إرضاء الخصمَين، أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، وعن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، والحبيب عمر بن هادون، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، المتقدم ذكرهم في (الباب الخامس)، وسمع منهم، وروى عنهم. وصحب الحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب زين بن محمد العطاس، المتقدم ذكرهما في هذا الباب، وأعانهما على خدمة مقام سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، بحاله وماله. وله صحبة خاصة مع الحبيب علي بن محمد الحبشي، الآتي ذكره في هذا الباب.

غير أن نزعته الفطرية كانت متجهة إلى إصلاح ذات البين، فدعوا له كلهم بالتأييد الرباني في ذلك، فنوَّر الله بصيرته للنظر في القضايا، وهداه إلى أساليب الكلام في شئون العامة والخاصة، حتى صار المحاميَ العامَّ عن الشعب العطاسي مدة حياته، وكانت داره بمنزلة المحكمة المستعجلة، لا تزال صغار القضايا تفصل فيها يوميًا، ويزاد على ذلك: أنه إذا حان وقت الغداء يغدّي المتحاكمين إليه إذا كانوا من خارج البلد، بأجود الطعام، وأحسن الإدام، بعد أن يصلح بينهم، كأنهم ضيفان كرام نزلوا عليه. وهو أحد أركان الركب العطاسي، إذا تحرك لمهمة تتعلق بشأن المقام.

[قصته مع السلطان الكثيري في سيون]

وكان من حسن سمته ووفور عقله، أنه لا يتكلم في المجلس إلا إذا توجه إليه الخطاب، وله في صمته هذا وقائعُ توقع غيره في إساءة الظن به. منها أنه قدم مرةً إلى مدينة سيوون، هو والحبيب سالم بن محسن العطاس، الآتي ذكره في ترجمة أخيه الحبيب عبدالله بن محسن، من (هذا الباب). لزيارة الحبيب علي بن محمد الحبشي، المذكور فلما علم بهم السلطان الصالح العادل، منصور بن غالب الكثيري، دولة سيوون، ووليدها ودفين جبل عرفات بمكة المحمية، جاء إلى بيت الحبيب علي لاستقبالهما، وكانت بينه وبين الحبيب سالم المذكور صحبةٌ ومحبة قديمة.

فطلب من الحبيب علي أن يتحولا إلى قصره في اليوم الثاني، فأسعفه الحبيب عليّ بمراده، فعمل لهما ضيافة كبيرة لطعام العشاء، ودعا إليها رجال مملكته، ووجهاء بلده، فصار الحبيب سالم يكلم هذا ويسأل ذاك، والحبيب أحمد ساكت على عادته، لا يزيد على رد التحية، وتبادل أخبار الصحة والترحيب بقدومهما.

فلما خرج الناس، بات السلطان والحبيب سالم يتناقلان الحديث، والحبيب أحمد محافظ على عادته، ومصغٍ إلى ما يدور بينهما من الحديث، فلما أصبحوا طلب الحبيب سالم الرخصة من السلطان، فحاول السلطان بكل ما في وسعِه أن يقيما عنده ذلك اليوم وليلته، فاعتذر الحبيب سالم بكثرة الدواعي. وخرج السلطان لموادعتهما إلى خارج القصر، ثم سارَّ الحبيب سالم بقوله: يا حبيب سالم إذا أردت المجيء إلينا، فلا تستصحب معك مثل هذا الزومة، أي: الشبيه بالعبد الزنجي، الذي لا يقدر على محادثة الناس. يعني الحبيب أحمدَ.

فاسترق الحبيبُ أحمد السمع، وأسرها في نفسه، فلما وصلوا خارج باب القصر، أعاد السلطان طلبه بأن يقيما عنده ذلك اليوم وليلته، فابتدر الحبيب أحمد الجوابَ،

وقال: يا أخ سالم، إني رأيت السلطان مكلفًا جدًا على جلوسنا عنده، والأولى إجابته إلى ما طلب. ففرح بذلك السلطان، ورجعوا إلى القصر، وسارَّ الحبيب أحمد إلى الحبيب سالم بقوله: ولا أخرُج من سيوون وأنا زومة!.

وجلسَا يومهما وليلتهما، وأخذ الحبيب أحمد يتحادث مع السلطان في أحوال ملوك حضرموت، وما كانوا عليه، ثم إلى ما كانت عليه القبائل، وما بينهم من الاختلافات. ثم في شؤون الحرث ومحسّناته.

وتولى الحبيب سالم وظيفة السكوت، حتى قال السلطان بعد ذلك، يصف الحبيب أحمد المذكور: إنه ما أعاد عليَّ حديثًا واحدًا قط، ولم نسمع من أهل تلك الوظائف التي حامَ حولها ربُعَ ما سمعنا منه.

فلما عزم الحبيب سالم والحبيب أحمد على المسير من عند السلطان، قال للحبيب سالم: إذا أردت المجيء إلينا، فأت بمثل هذا السيد، يعني الحبيب أحمد، انتهى.

قلتُ: وفي مثل الحضرمي «الرجال مخَابِر ما هم مناظر».

[ذكر السلطان غالب بن محمد الكثيري (ت 1287هـ)]

وأما السلطان منصور، ذو السعي المشكور، فلنبتدئ أولًا بذكر وفاة والده، ثم توليته من بعده. قال العلامة المؤرخ الشيخ سالم بن محمد بن سالم بن حميد في كتابه «العدة المفيدة في تاريخ حضر موت»، في ترجمة والد السلطان منصور، بعد أن أطنب في وصفه، صلاحًا وعدلًا:

«توفي السلطان غالب بن محمد بن أحمد بن محمد الكثيري، ليلة الاثنين، لوحدة وعشرين مضت من شهر رجب سنة سبع وثمانين ومائتين وألف هجرية، أي: في عاصمة مملكته سيوون، رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، فحزنت عليه البلاد والعباد، وكان موته فجأةً.

بلغَنا أنه اجتمع في يوم الأحد هو وجماعةٌ من الحبايب آل طه بن عمر السقاف، وفي مقدمتهم الحبيب محسن بن علوي، وفتح عليهم بقوله: هل يجوز للوالي أن يعزل نفسه من الولاية تضجراً؟ فقال له الحبايب: إذا كان من يخلفه مثله أو خيرًا منه. فقال: ما يسعه إلا الموت!. فلما كان وقت العصر من يوم اجتماعه مع الحبايب، خرج على حصانه يمشي في الخلاء، أي الحرث، ورجع قريبًا من وقت صلاة العصر، وصلى، وحضر وليمة زواج، وأكل منها، ثم صلى صلاة العشاء، وصلى ما يعتاد من النوافل، وأتى براتب الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، ثم قام إلى محل رقوده، وبقي يأتي بما هو عادته من الأوراد والأذكار، ثم أحس بألم في حلقه، فقذف، أي استقاء، ودق الباب على أهله، وأخبرهم بما كان، وأمرهم أن يطبخوا له قهوةً، فقبض روحه قبل حصول القهوة، ودفن بعض صلاة الظهر من يوم الاثنين.

وحضر جنازته الجمّ الغفير، وصلى عليه في مسجد الجامع سيدُنا الحبيب محسن بن علوي بن سقاف السقاف، وهو يتأوه على فراقه.

[تولية ابنه منصور]

ووقعت التولية للسلطان منصور بعد الصلاة على جنازة والده السلطان غالب، في المسجد الجامع، من الحبيب محسن وجماعة من الحبايب والدولة وأهل الحل والعقد، ونودي بذلك على رؤوس الأشهاد. وسِنّ السلطان منصور إذ ذاك نحوُ أربعةَ عشر سنة، وفي الجمعة الآتية رجح الأمر على الدعاء في خطبة الجمعة للدولة العلية والسلطان منصور.



وكان من أمر السلطان غالب قبل وفاته بأيام، أنه قد اجتمع هو وأربعة من الحبايب، وهم: سيدنا الحبيب العارف بالله محمد بن علي بن علوي بن عبدالله، والحبيب

عبدالرحمن بن علي بن عمر، والحبيب عبدالله بن محسن بن علوي آل السقاف، والحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي، في بعض الديار ببلد سيوون.

وقال لهم: الآن ألقيت المملكة إليكم يا حبايب جميعكم، ومن أردتموه أو رأيتموه يصلح لإقامة ذلك فأنتم أولى بذلك، ولا قصدي أن أولي أحدًا ذلك من تلقاء نفسي، لأني خائف أن يكون ما أكتسبه ما لا يرضي الله تعالى عليّ، بل مرادي أن أموت خفيف الظهر. فقال له الحبايب: نرى المنظور إليهم من الدولة أخوك عبدالله، وعبود بن سالم، وعبدالله بن صالح، وابنك المنصور. فقال: نعم، فاختاروا من هؤلاء من أردتموه لهذا الحال، ولا أقول لكم ابني، بل الأمر للحبايب، لو أرادوا يولون أحدًا من غير الدولة فلا خلاف عندي.

والحاصل، أن الناس كلهم يشهدون للمرحوم السلطان غالب بأنه من أهل الخير. وممن شهد له بالولاية سيدُنا الحبيب صالح بن عبدالله العطاس ساكن بلد عمْد، نفعنا الله به وبعلومه، يعني صاحبَ المناقب. وذلك: أن الحبيب أبابكر بن عبدالله العطاس وردَ ذات يوم في حياة السلطان غالب إلى بلد سيوون، فجاء إلى دار المعلم عَبُدْهْ بازهير، فوجد السلطان غالب فيه هو وبعض الحبايب، فقال: هذا ما كنّا نبغي. فطلع سيدنا الحبيب أبوبكر الدار المذكور، ودخل المنزل الذي به السلطان والحبايب، وطلب من السلطان أن يرتب الفاتحة، ويدعو بعد قراءتها حالًا، وذلك قبل أن يصالحه السلطان، فامتنع السلطان أولًا من ذلك. فقال له الحبيب أبوبكر: لا بدّ. فرتب السلطان الفاتحة، ودعا، ثم ختم الدعاء.

فقال الحبيب أبوبكر: إني سمعت الحبيب صالح بن عبدالله العطاس يقول: من أهمه أمرٌ أو حاجةٌ، وأراد قضاء ذلك، إذا حضر مجلس السلطان غالب بن محسن فليطلب

منه الدعاء بعد ترتيب الفاتحة على نية قضاء ما هو بصدده، فإنه يحصل له ذلك، لأن السلطان غالب من أولياء الله تعالى. وقد أخبرني بهذا جماعة من الموثوق بهم من سادة وغيرهم»، انتهى المراد مقتطفًا من «تاريخ بن حميد».

[السلطان منصور بن غالب الكثيري]

قلتُ: وقد حذا السلطان المذكور حذو والده السلطان غالب، في إدارة المملكة، وحزامة الرأي، والخبرة التامة بتطورات السياسة، مع الارتباط الحقيقي بالسادة العلويين، بل كان كثيرًا ما يقول: إن دولتنا يا آل عبدالله، ما قامت إلا بالعلويين.

كما إنه كان عادلًا كريمًا حليمًا، محبًا للخير وأهله، يحضر مدارس العلم، ويواظب على صلاة الجماعة، والجمعة بوجه أخصّ، يحضرها رسميًا، مستكثرًا من الأوراد، غيورًا على شريعة سيد المرسلين، منفذًا لأحكامها، متذكرًا ليوم العرض على الله.

حتى وافاه أجله بجبل عرفات، حاجًا ملبيًا، في اليوم الثامن من ذي الحجة، سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية. ولا شك أن موته على هذه الحالة المرضية، التي قد التزم الله في محكم كتابه لمن يموت عليها بالثواب الجزيل، بقوله ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، هو أعظم دليل على صلاحه.

وقد حدثني الحبيب الأديب، الأخ محمد الفاخر بن محمد المثنى بن حسين بن علوي بن حسن بن علوي بن أحمد بن علوي بن إسماعيل العيدروس، وليد بلد تاربه، ونزيل مدينة بوقور الآن بجاوه، قال: إن السلطان منصور لما عزم إلى الحرمين لأداء فرض الحج، جاء إلى تاربة للاستيداع من والدي، وطلب منه الفاتحة. ثم قال لوالدي: إن كانت بضاعتي زينة سوف تنفق في سوقها، انتهى كلام الفاخر.

قلتُ: ويعنون بالبضَاعة الزينة: الأعمال الصالحة. ووالد الفاخر هو في ذلك الوقت منصب الحبايب آل عيدروس، وهم عقيدة الدولة آل عبدالله، ومعتزى توسلهم الخاص. ولما بلغ خبرُ وفاة السلطان منصور المذكور، إلى عاصمة مملكته سيوون، تولى بعدَه ولي عهده ووصيه، ابنه علي بن منصور.

[السلطان علي بن منصور الكثيري]

قال الأخ العلامة المتفنن، الحبيب عبدالله بن محمد بن حامد السقاف، وليد سيوون ونزيل القاهرة، في «تعليقاته» على «رحلة» الشيخ عبدالله بن محمد بن سالم باكثير الكندي، المسماة «الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية»، عند ذكر السلطان علي بن منصور المذكور، ما نصه:

«تمام نسبه: ابن غالب بن محسن بن أحمد بن محمد بن عبدالله، وينتهي إلى السلطان بدر، أبي طويرق، بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن كثير الكثيري.

والحقيقة أن صديقنا السلطان عليًّا غنيٌّ عن كل إشادة، بعدلِه، وسياسته، وحنكته، ودهائه، وحسن تصرفه، وإرادته. ولد بمدينة سيوون، عام ثمان وتسعين ومائتين وألف من الهجرة، وتقدمت به الحياة في محيطه الملكي، ووسطه الدولي، حتى جاز مجاز عهد الطفولة ودراسة القرآن الكريم، فيلحقه والده بالمعاهد العلمية السيوونية متفقهًا. وكانت ثقافتُه على شيخنا الوالد الإمام، وشيخنا الوالد القاضي العلامة السيد علوي بن عبدالرحمن بن علوي بن سقاف السقاف، وشيخنا العلامة السيد أحمد بن عبدالرحمن بن علي السقاف.

وإذا كانت للوالد عنايةٌ خاصة به، فقد كانت مفهوماته كوّنت له مجموعةً من المدخرات الفقهية، إلى حسبانه من الموهوبين النابغين. ولغلبة الأدب والشعر على مشاعره، صارت ظاهراته الأدبية أوضحَ من ظاهراته الفقهية.

وعندما نتخطى إلى حياته الدولية، نشاهده وليَّ العهد للدولة الكثيرية، كما له الأثرُ المنظور في سياسة الدولة، بصفة مؤازرًا لأبيه. وهل غيره وقّع على المعاهدة المعقودة بعدن، بين الدولة الكثيرية والدولة القعيطية عام ستة وثلاثين وثلاثماية وألف من الهجرة، كمنتدَبٍ عن أبيه وعمه محسن. كما شهد الناس حزمه وصرامته منذ أيام ولاية العهد، وهو الذي قضى على العبيد، وكبح جماحهم، كاسرًا شوكتهم بالضغط والتشريد. حتى إذا توفي والده بالحرمين، بجبل عرفات، كما دفن به يوم السبت وثمان ذي الحجة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة؛ تولى السلطنة يوم الجمعة، وثمان وعشرين ذي الحجة من ذات السنة المذكورة، كما نودى به سلطانًا بسيوون وتريم وغيرهما. ثم من آثاره المبكرة في سلطنته: إسراعه في إقامة سورٍ محيط بمدينة سيوون من جوانبها الغربية والشمالية والشرقية، حيث انتهت عمارته عام ثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة. وخذ من حسن إدارته وكياسته: إرجاع السرقات إلى أربابها من غير درايتهم بالسارق، كما يؤدّبه سرًا، حفظًا لسمعته، وإبقاءً على كرامته، وهي حكمة بالغة كما لا يخفى.

وإذا استطلعنا إلى أظهر شيء في سلطنته، اصطدمنا بوضع الدولة البريطانية القطرَ الحضرميَّ كله تحت حمايتها مباشرةً، عام ستة وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة، وإقامة الميستر انجرامس، الضابط الإنكليزي، بصفة مستشارٍ للدولة القعيطية والدولة الكثيرية، مع العلم بأن هذا الوضع الاستعماري سبقته الحماية الصورية من الدولة المذكورة، عقب معاهدة عقَدتها مع الدولة القعيطية عام ست وثلاثمائة وألف من الهجرة، الموافق عام ثمانٍ وثمانين وثمانمائة وألف من التاريخ المسيحي.

وبعد تمهيداتٍ من حكومة عدن الإنكليزية، بصفتها تابعةً لإدارتها في سياستها، ومن تلك التمهيدات: ترددات من الضباط الإنكليزيين، ومن غيرهم، بصفة سائحينَ،

ومن والي عدن وغيره، كمنتدب عنه في سفن بحرية وغيرها، فطائرات، وإقامة اللاسلكي بالمكلا أثناء الحرب الحبشية الإيطالية، في شعبان عام أربع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة، وأخرى بمثلها بمدينة سيوون في شوال عام خمس وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة.

غير أن دولة صاحب الترجمة لم تمتد طويلًا، لمفاجأة المنية له على غِرّة، ليلة الخميس، لتسعة عشر مضت من شعبان، عام سبع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة. كما دفن بقبة جده السلطان غالب عصر ذلك اليوم، في مشهد حافلٍ، مرثيًا بمراثي كثيرة، ثم للمستزيد من حوادث دولة السلطان علي، والسعة في ترجمته، الذهابُ إلى تاريخنا «التاريخ السياسي الحضرمي»، انتهى كلام السقاف.

قلتُ: وفي ذلك اليوم تولى السلطان جعفر بن منصور، أخو السلطان علي المرحوم، ووزيره وعضده، ونودي به سلطانًا على سيوون وتريم وملحقاتهما. وبما أن خطتهما قد توحدت من صغرهما في التعليم والسياسة، وسارا في ذلك كفرسي رهانٍ، فلا حاجة للتكرار الممل.

[الحكم في حضرموت]

وإذا رجَعنا إلى ما قبل هذا الاستعمار، نجد المكلا والشحر وملحقاتهما من الساحل، ووادي دوعن بقسميه: الأيمن والأيسر، والهجرين، وحَورة، والقطن، وشبام، تحت نفوذ الدولة القعيطية اليافعية. وتريم وسيوون وملحقاتهما تحت نفوذ الدولة الكثيرية (آل عبدالله). وتحكم كل من الدولتين المذكورتين في بلادها بالشريعة المحمدية، وربما احتاجت إلى سَنّ بعض القوانين التي لا تعارض الشريعة.

وباقي حضرموت، مدنها وقراها وباديتها، مفرّقة. فما كان منها تحت نفوذ السادة بني

علوي، وتحت نفوذ المشايخ، فهم الذين يحكمون فيه، ما كان إلى الشريعة فإلى الشريعة، وما كان إلى العادة فإلى العادة، ويسمونهم أهل الجاه، أي النفوذ الديني. وما كان منها تحت نفوذ القبائل، أي حملة السلاح، فهم الذين يحكُمون فيه بعوايدهم، المعروفة عندهم بسوالف القبولة. وهي: قتل البريء بالمجرم، وأخذ مال البريء بذنب غيره.



على أن بين السادة بني علوي والمشايخ المذكورين، وبين الدولتين المذكورتين، وكافة القبائل، روابط متينةً، ومصالح متبادلة، تحفظ لكل منهم مركزه الخاص، وتحفظ لهم الأمن العام. وفي المثل الحضرمي: «أمان حضرموت مبني على: جاه السيد والشيخ، ووجه القبيلي». أي: تعهّده بحفظ الأمن. وعلى ذلك درجوا أحقابَ السنين، حتى أوصلت الجميعَ الأقدار إلى هذا الاستعمار.

وقد أقر الإنقريز الشريعةَ والعادة في جميع البلاد الحضرمية، كما أنه ألغى جميع سوالف القبْوَلة، ونزع السلاح من أيدي أهلها، وأخذ يدخل قوانين الاستعمار فيها شيئًا فشيئًا، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾.

[الشيخ سالم بن حميد التريسي
مؤلف «العدة المفيدة»]

وأما الشيخ سالم بن حميد صاحب التاريخ المشهور، فقد ترجمه الأخ عبدالله بن محمد السقاف المذكور، في «تعليقاته» المذكورة. فقال: «هو المؤرخ النابه، والمتصوف والسياسي الاجتماعي. ولد بمدينة تريس عام سبعة عشر ومائتين وألف من الهجرة، فشغل سنواتٍ من عمره في المنحَى العلمي، والمدار الصوفي. ومع العلم بعدم تصريحه

بمشايخه في «تاريخه»، فقد عرفنا منهم: العلامة السيد حسن بن علي بن صادق الهادي الجفري صاحب قِرَين تريس، والعلامة السيد علوي بن سقاف بن محمد الجفري، كما أثنى عليهما كثيرًا في «تاريخه». والعلامة السيد أحمد بن عمر بن سميط، والعلامة السيد محسن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة السيد عبدالرحمن بن علي بن عمر السقاف، والعلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي.

وحسبه بروزًا في المجتمع العام أنه مؤرّخ حضرموت السياسي في العهد الحديث، ويتعين إنصافه، إذ لولاه لفات الناسَ كثير من العلم بالثورة الوطنية الكبرى على اليافعيين، عام خمس وستين ومائتين وألف من الهجرة.

وإن ترد منظور من علمياته بعد استعباد التاريخ، فاعلمه المهندس المبدع في الشؤون المساحية، والخبير في مسح البقاع وتثمينها، وتقويم النخيل وثمارها، وكثيرًا ما يستعين القضاة التريسيون وغيرهم بخبرته في قسمة التركات وغيرها.

وما زال بتريس علمًا من أعلامها الخافقة، حتى اقتنصته المنية في أجواء سنة ست عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة، وقبره بمدينة تريس حيثُ مدافن أهلِه معروف»، انتهى المراد، مقتطفًا من كلام السقاف.



قلتُ: والتاريخ المذكور هو مجلد ضخم، في قَطْع النصف، كتب فيه إلى سنة ثمان وثلاثمائة وألف من الهجرة، غير أنه لم يطبع إلى الآن[1].



(1) صدرت الطبعة الأولى من «العدة المفيدة» بعناية السيد عبدالله بن محمد الحبشي، سنة 1411هـ، عن مكتبة الإرشاد بصنعاء، في مجلدين.

ويقول الحبيب المنيب الأخ عيدروس بن حسن بن محمد بن أحمد بن عيدروس بن عبدالله بن عيدروس بن عبدالله بن الحبيب القطب عبدالرحمن الجفري، المعروف بمولى العرشة. وليد تريس، ونزيل بندربتاوي بجهة جاوة الآن: إن الشيخ سالم بن حميد المذكور، هو وليد الهند، ومرْبَى تريس وخريجها. وأن وفاته كانت في شهر ذي القعدة، سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية، وأنه تربى وتخرج بالحبيب علوي بن سقاف بن محمد بن عيدروس بن سالم بن حسين بن عبدالله بن شيخان بن علوي بن عبدالله بن علوي بن أبي بكر الجفري. وأنه أيضًا قد تولى منصب القضاء الشرعي بتريس، والعهدة في ذلك على الرواة، والله أعلم بالصواب.



[الثلاثون من مريدي صاحب المناقب الحبيب سالم بن أحمد بن علي العطاس المتوفى سنة 1340هـ]

ومنهم الحبيب المفضال، حميد السيرة والفعال، وملامتي القصد والحال، سالم بن أحمد بن علي بن هود بن الإمام علي بن حسن بن عبدالله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبد الرحمن العطاس. وليد حريض، ودفين تربة تانَه أباغْ بجاكرتا من الجهة الجاوية، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، قراءةً وسماعًا، وأخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، وقرأ على الحبيب محمد بن علي بن علوي السقاف، المتقدم ذكرهما في (الباب الخامس)، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وجاور بمكة مدة طويلة. أخذ فيها على شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، وتغلبت فقهياته على أدبيّاته وصوفياته.

وعاد إلى وطنه حريضة مشددًا على نفسه في كثرة العبادة والورع، محتاطًا احتياطًا تجاوزَ الحد، خصوصًا في مسائل الطهارة، فكان يخرج بماء وضوءه من بيته إلى المسجد، احترازًا من شبهة الماء الموقوف.

ويقاسي الشدائد كلها في غسل الجنابة، فكان لا يغتسل إلا في الماء المستبحر، كالأنهار والجوابي الكبار، فإذا أراد أن يغطس في ذلك يقول أولًا، برفع صوتٍ، بعد

النية: اشْهَد عليَّ أيها الماء، أني سالم بن أحمد بن هود، ويكرر هذه الكلمات، بتكرير الغطسات مع الإكثار من ذلك كله، حتى يتعب نفسَه وملائكةَ الطهارة بأجمعهم! ويرثي له من حواليه. ثم يرجع إلى تكبيرة الإحرام، فيطول ويقصر عندها تارةً، وتارة يرتعد، وعلى مثل هذا كان عمله في سائر العبادات.



ثم سافر إلى الهند، وتزوج بها. ومنها إلى جاوة، واستوطن بندر بتاوي المعروف الآن بجاكرتا، ملازمًا الأوراد والعبادة، وسكن بحارة كويتان، وبنى مصلى ملاصقًا لبيته لأداء الصلوات الخمس، وتعاطى في تلك المدة أسبابَ التجارة، وبورك له فيها، فملك قدرًا من العقارات في الحارة المذكورة، واعتكف في بيته عشرات السنين، مقتصرًا على إكرام القاصدين، وهداية الجاهلين. ثم ترك في آخر عمره مباشرة الماء في ظاهر بدنه بالكلية، حتى صار يتناول طعامه بالملعقة، ويستعد إلى جانبه بكمية وافرة من البياض الرقيق، فإذا أصابه شيء من الرطوبات يمسحه به. كما أنه استخفى بصلواته عن أعين الناس، وصار ملامتيًا محضًا.



وكان له من أقرانه وعلماء زمانه كمال التبجيل، مع إجماعهم بأنه من أوتاد ذلك الجيل. فكانوا يترددون لزيارته، والتماس بركته. وفي مقدمتهم الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، كما سيأتي ذلك في ترجمته من (هذا الباب).

وللحبيب سالم المذكور كرامات خارقة، وكشوفات صادقة. منها ما أخبرني به الجمّ الغفير، منهم الحبيب الغيور أبوبكر بن علي بن أبي بكر بن عمر بن علي بن عبدالله بن عيدروس بن علي بن محمد بن شهاب الدين، وليد بتاوي، وخريج تريم، وأحد رجال الإصلاح في المجتمع الحضرمي، ورئيس الرابطة العلوية بالمهجر، ودفين بتاوي في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وألف هجرية.

قال: جئت لزيارة الحبيب سالم بن أحمد العطاس إلى بيته بحارة كويتان، بعد الحريق الذي وقع فيها أولًا، وقد احترق فيه بعض بيوت الحبيب سالم، فتفرست فيه فإذا هو كعادته، لم يظهر عليه أدنى تأثرٍ بما صار، وكأن لم يكن هناك حادث. فقلتُ له: الله يخلف عليكم ما فاتَ، والبركة إن شاء الله في المتبقي. فقال: والذي عاده سيحترق قريبًا، وفي المولى عِوضٌ عن كل شيء. فلم تمض علينا إلا أيام يسيرة حتى احترق جميع المكان الذي فيه بيوت الحبيب سالم، حتى بيت السكنى، ولم تسلم إلا الأنفس فقط، انتهى.

ومنها ما أخبرني به الحبيبُ الناسك طه بن علي بن عبدالله بن طه بن عبدالله بن طه بن عمر بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحداد، وليد بتاوي، ودفين تريم، سنة ثمان وستين وثلاثمائة وألف هجرية. قال: حدثني الأخ الثقة جعفر بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، وكان مقيمًا بحارة كالي باسير، المجاورة لحارة كويتان، التي يسكنها صاحب الترجمة. قال: خرجت من بيتي ليلةً بعد نصف الليل، لأمر عناني، فوقع نظري إلى جهة كويتان، فإذا أنا بالحبيب سالم بن أحمد بن هود العطاس يمشي في الهواء، بين كويتان وكالي باسير، بثيابه وحركاته العادية، فبقيت أتامله مليًا حتى توارى عني شخصُه، انتهى كلام الحداد.

قلتُ: وبين الحارتين المذكورتين نهر كبير واسع، ولا يزال إلى الآن.

ومنها ما أخبرني به بعضُ أهل العلم، المنكرين على الحبيب سالم المذكور في تطوراته، قال: جئت في بعض الأيام إلى بيت الحبيب سالم المذكور، وعنده جماعة من أهل العلم، وهو يملي عليهم في الحقائق، فأعجبني ذلك، مع تعجبي من حاله.

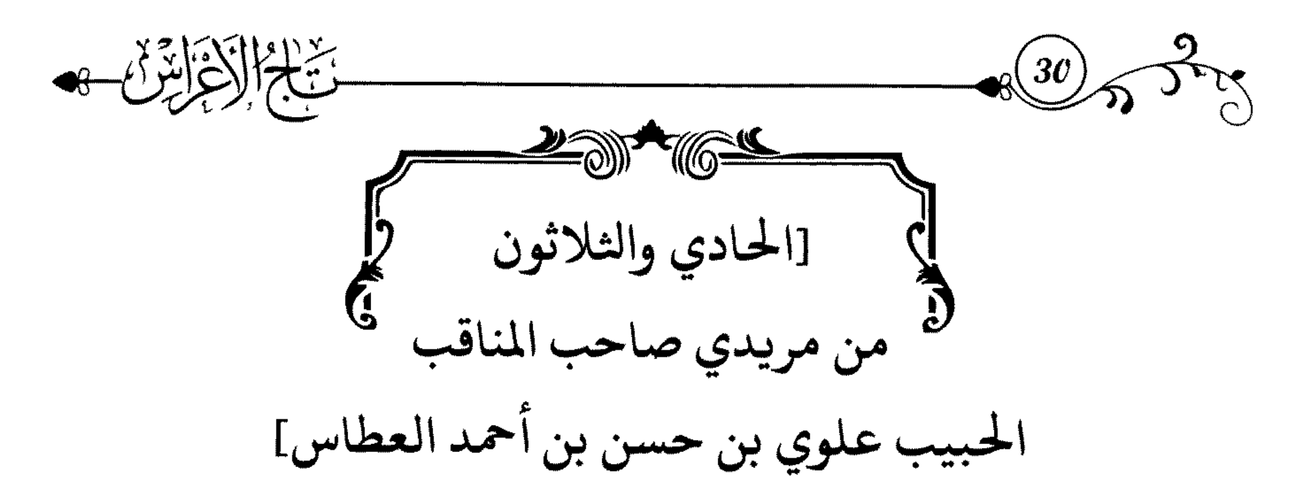
فلما أردت الخروج من عنده صافحتُه، وقبلت يده، فقبض على يدي، وهز رأسي باليد الأخرى، ثم قال لي: «كلْ من خريفها، وخل كرْبها وليفها»، فتبت إلى الله من الاعتراض عليه وعلى غيره، انتهى.



وكانت وفاة الحبيب سالم المذكور، يوم الاثنين، لخمسٍ وعشرين مضت من رمضان، سنة أربعين وثلاثمائة وألف هجرية، ودفن بمقبرة تانه أباغ ببندر بتاوي.

قلتُ: وأنا بحمد الله قد زرتُ صاحب الترجمة في حياته مراتٍ عديدة، وقرأتُ عليه أم القرآن، وحضرت وفاته ودفنه، ولي منه دعوات خاصة، نفعنا الله به وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.





[الحادي والثلاثون من مريدي صاحب المناقب الحبيب علوي بن حسن بن أحمد العطاس]

ومنهم الحبيب الأسبق، ذو الصلاح المحقق، والمتجلِّي فيه معنى الحديث «**المؤمن إذا قال صدقَ، وإذا قيل له صَدّق**»[1]، علوي بن حسن بن علي بن أحمد بن صالح بن حسن بن عبدالله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، وسمع منه بعد أن زاره في حياته إلى بلده عمد، ثم أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، والحبيب عمر بن هادون العطاس، المتقدّم ذكرهما في (الباب الخامس). وسافر إلى جاوة، فصحب بها الحبيب أحمد بن محمد بن حمزة العطاس، الآتي ذكره في (هذا الباب)، واجتمع بالحبيب العارف بالله شيخ بن أحمد بافقيه دفين سورابايا وشهيرها.

وشارك في أسباب التجارة، وأدرك نصيبه منها. ثم سافر إلى الحرمين الشريفين،

---

(1) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص684): «حديث: «المؤمن إذا قال صدق، وإذا قيل له صدق». شقه الأول هو معنى يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب، وفي لفظ: الكذب مجانب للإيمان، وقد تقدما، وأما الثاني فيمكن الاستئناس له بحديث: رأى عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رجلا يسرق فقال له: أسرقت فقال: لا والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت بصري، وهو صحيح. بل جاء في المرفوع: من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله، أخرجه ابن ماجه وغيره من حديث محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر به».

لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وتزوج بمكة، وأخذ عن شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، ومنها إلى مسقط رأسه حريضة.

ولازم فيها العبادة، ومجالسة الأخيار، فكان من أوراده الخاصة أنه يختم «دلائل الخيرات» في كل يومٍ، كما أنه معدودٌ في يوم الجمعة من أهل الساعة الأولى، حتى أنه كثيرًا ما يقوم بوظيفة الخطبة إذا قام بالخطيب الراتب عذرٌ.

وكان الحبيب علوي المذكور، من أهل الصدق والصراحة في الأقوال والأفعال، حسَن الخلق، سهل المعاشرة، لا يظن أن أحدًا يكذب مهما كان الحال. وله مع معامليه وقائعُ، إلا أنه لم تثنه عن هذا الخلق الحسَن حرْفَ الشعرة.

[قصة البقرة والعسل]

منها أنه كانت عنده بقرة في بيته، فلما ولدت جاء إليه بعض أهله، وقال: إنها تعبت في الولادة، وتحتاج إلى شيء من العسل، فأعطاه الحبيب علوي في فنجان. فقال له: إنها بقرة، ليست كالمرأة، يكفيها القليل. فأعطاه الحبيب علوي قدحًا كبيرًا مملوءًا من العسل، فغاب عن الحبيب علوي زمانًا يسيرًا، ريثما خبأ العسل في غرفته، ثم عاد إلى الحبيب علوي، وقال له: إن العسل أفاد البقرة كثيرًا، وكان سببا لسلامتها من الموت!. ففرح الحبيب علوي بهذا التيقظ العجيب، وأخذ يحدث جلساه بذلك. غير أنهم يعرفون أن أيًّا كذا خُلِقت. وسيأتي شيء من هذا القبيل في ترجمة ابنه الحبيب عبدالله بن علوي، في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

[معنى قول النحويين: «أي كذا خلقت»]

وقولي «أيًّا كَذا خلقَتْ»، هو من أمثال أهل علم النحو والصرف، وأصله: أنهم يعللون الكلمات بحسب الواقع، فيقولون: أصل هذه الكلمة كذا، وحذف منها، أو زِيدَ فيها فصارت كذا. فإذا وصلوا عند الكلام على «أي»، يقولون: أي كذا خلقت.

ويعنون بذلك: أنه لا ينبغي السؤال عنها، ثم توُسّع في هذا المثل لكل من فطر على خلق حسنٍ، أو غير حسن. فيقال فيه: «أي كذا خلقت»!.

وأما استعمالها عند النحويين فعلى هذا الترتيب: «أي» حرف نداء في قولك: أَيْ زيدُ. وحرفُ تفسير في نحو: رأيتُ غضنفراً، أي: أسداً. وحرفُ جوابٍ بمعنى نعم، ولا تقع إلا قبل القسَم، نحو: أي والله، وتكون شرطيةً جازمةً فعلين، نحو: أيًا تضربْ أضرِبْ. واستفهاميةً نحو: أيكم أتى. وموصولةً، نحو: سلِّم على أيهم أفضَلُ. ودالةً على معنى الكمالِ، فتكون صفةً للنكرة، نحو: زيدٌ رجل، أي: رجل، أي: كامل في صفات الرجال، وتكون صفةً لنداء ما فيه (أل) ملحقةً بهاء التنبيه، نحو: يا أيها الرجلُ، ويا أيتها المرأة، انتهى.



رجعنا إلى تختيم ترجمة الحبيب علوي بن حسن، وما أكرمه الله به من المنن، قائلين: إنه كان له الحظ الأوفر من قيام الليل، وتلاوة القرآن، وصدقات السر، والابتعاد عن الخوض في الباطل، ويكفينا دليلًا على فضله وصلاحه قولُ سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، حينما أبّن صاحب الترجمة يوم وفاته: اليوم مات الصّدق بحريضة، اليوم مات الصّدق بحريضة، وكررها مرتين.

قلتُ: فيا لها من كلمةٍ أغنت عن جمل من الكلام، وجمعت بين المعنى الخاص والعام، فعلى المؤبِّن والمؤبَّن السلام.

وإني بحمد الله قد عرفتُ صاحب الترجمة، وترددت لزيارته ببلدنا حريضة، ودعا لي، وبشرني بخيرٍ، فعسى الله أن ينفعني به وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.



[الثاني والثلاثون
من مريدي صاحب المناقب
الحبيب سالم بن أبي بكر بن عبدالله العطاس
المتوفى سنة 1295هـ]

ومنهم الحبيب المقرب، الولي المحبب، ذو الحال والمقال المستغرَب، سالم بن أبي بكر بن عبدالله بن طالب بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تربى بوالده، وقرأ عليه، ولازمه، وتحدث الناس بأنه هو الخليفة بعد والده، وأخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وأحبه صاحب المناقب وخصصه بمزيد عنايته. وأخذ أيضًا عن الحبيب أحمد بن محمد المحضار، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، بعد أن شهره المحضَار: بأنه من خيول المضمار، وفي عين العَدُوّ مسمار.

واصطحَب مع الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره، بعد عقد الأخوة والاتحاد، شوقًا وذوقًا في السلوك والفتوة، فكانا في الأقوال والأفعال فرَسي رهانٍ، بشهادة المعاصرين والأقران، حتى صارا أعجوبة ذلك الزمان، وسلوة المحزون والثكلان، كما سارت بأخبارهما الركبان إلا أن الحبيب سالم اختطفته ملائكة الرحيم الرحمن وأحب أن يكون فرطًا لأخيه الحبيب أحمد بن حسن الجدير بالإحسان وكان الموعد بينهما فراديس الجنان والله المستعان.

[ترجمته من «تنوير الأغلاس»]

قال العلامة المحصل الشيخ محمد بن عوض بن محمد بافضل، في كتابه «تنوير الأغلاس بمناقب الحبيب أحمد بن حسن العطاس»، في أواخر ترجمة الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس: «وكان نجله العارف بالله، جليل القدر، سالم بن أبي بكر، وهو من كبار أهل العصر، ممتزجًا مع سيدي، يعني الحبيب أحمد بن حسن، كل الامتزاج، منطويًا على محبة خامرت الأعضاء والأمشاج، وبينهما ودٌّ صافٍ، واتحاد في المشارب الذوقية والأوصاف، حتى في الواردات والإلهامات، والترقِّي في درجات المقامات.

وسمعتُ سيدي يقول: نتداعى بالخواطر، فأدعوه بخاطري، ويدعوني بخاطره. وسمعت من بعض خواص سيدي أحمد، قال: كان السيد سالم يومًا يماشي سيدي أحمد في ليلة مظلمة، فوقعا في طريقهما على مهواةٍ بعيدة، ولم يشعر سيدي سالم بها، فجذَبه سيدي أحمد بقوّة حين أراد أن يضع رجله فيها، فاعترف سيدي سالم، وقال: يا لله العجب! كنت أحسب أني قائدُك، فصار الأمر بالعكس.

وكان يعترفُ لسيدي برسوخه في المقام والحال، وتسنمه لذُرَى الكمال، مع أن سيدي عاش بعده ثمانية وثلاثين عامًا، يجتاز مراقي القرب والمعرفة مقامًا مقامًا.

وسمعت سيدي يقول: توفي الأخ سالم بن أبي بكر فجأةً، فلقيته بعد ذلك، وسألته عن سبب موته؟ فقال: لاحت لي بارقة صفاء مع الله، فاغتنمتها. وكان ذلك سنة ست وتسعين ومائتين وألف هجرية.

وقال سيدي العارف بالله أحمد بن محمد المحضار، مشيرًا إليه شعرًا:

بُوبكر خلّفْ لنا سالم وقد دفنَا

في تُربَة الخير عند السادة الضّمَنا

وما يؤمله أحمد بن حسن قد دنَا

قلتُ[1]: فافْهَم الإشارة الدقيقة من أهل الحقيقة.

وقد ورد إلى حضرموت في عصره وليٌّ كبير من العارفين الكمل، سائح من أهل بلْخ، يقال له: السيد نصيب. وزار مقابر حضر موت المقصودة بالزيارة، واتصل بالمشاهير من أهلها، ودخل إلى بلد حريضة، وأقام بها مدةً. وتأكدت صحبته بالسيد سالم بن أبي بكر وسيدي أحمد، وكان من وصفه أن يغلبَ عليه الوجد والاستغراقُ في الذكر، وكان ممن يسمع تسبيح الجمادات، وممن يطالع ألواح المحو والإثبات، وتجليات الأسماء والصفات.

وقد سئل يومًا عن العارف بالله سيدنا الإمام عيد روس بن عمر الحبشي؟ فقال: هو ممن قال الله فيهم: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾. وعن الحبيب الإمام محسن بن علوي السقاف؟ فقال: هو شيخ مرشد كامل. وعن الحبيب الإمام علي بن محمد الحبشي؟ فقال: هو من الفحول الملقّحين. ولما سئل عن سيدي أحمد؟ قال: هو ولي معرَّف، بفتح الراء، أي من قبل الحق سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، بتعريف أسراره، فيما يجريه من تصاريف أقداره.

قلتُ[2]: وللسيد سالم بن أبي بكر المذكور من سرِّ أبيه الحظّ الموفور، وله أحوالٌ شريفة، ومنازلات منيفة. وسمعتُ سيدي العارف بالله علي بن عبدالرحمن المشهور، قال: كنا يومًا طالعين من نهر نبي الله هود، في وقت زيارته، أنا ووالدي والحبيب علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر، والحبيب سالم بن أبي بكر العطاس، وجملة من الناس.

فمررنا في طريقنا بأناس من البدو في نزاع وخصام شديد، حتى أخذوا سلاحهم

---

(1) القائل هو الشيخ محمد بن عوض بافضل.

(2) القائل هو الشيخ محمد بن عوض بافضل.

وكادوا يقتتلون. فقيل لوالدي: ادخل بينهم لإصلاحهم، فاعتذر. فقيل للحبيب سالم بن أبي بكر: أصلح بينهم، فجاءهم فوجدهم متنازعين على شاةٍ ملكها بعضهم، فلما أخذها ومشى بها خطوات ماتت، فردها إلى صاحبها، فأبى منها. فقال الحبيب سالم: أين الشاة؟ فأروه إياها ملقاةً على الأرض، فضرب رأسها بيده الشريفة، وقال لها: قومي قومي، أي: قالها مرتين، فنهضت حيةً مستوية بإذن الله تعالى، فأخذها المشتري، ورضي بها، وطفئت الفتنة.

وسمعتُ سيدي علي بن محمد الحبشي، قدس الله سره، يقول: صلينا بعض الصلوات يومًا أنا والأخ سالم بن أبي بكر، بمسجد طه، خلف الإمام. ثم لما انقضت الصلاة، قال لي سالم: أظن الإمام طوّل السكتة ما بين الفاتحة والسورة. فقلت له: إني ما أنكرت شيئًا من عادته. قال: بلى، وإني قرأتُ اليوم في تلك السكتة ألفًا وخمسمائة مرةً من الإخلاص!.

وسمعتُ سيدي، يعني الحبيب أحمد بن حسن، يقول: دعاني الأخ سالم بن أبي بكر يومًا وهو بالمسجد، واقفًا على جداره، فقال لي: انظر انظُر، وكررها مرتين، فتأملتُ، فإذا الكون يدور كالعجلة. فقلت له: خل عنكَ الفضول. **قال**: وجاءني بعد وفاته، فوقف على رأسي ساعةً ثم طار»، انتهى النقل، من كلام با فضل.

قلتُ: وكانت وفاة الحبيب سالم بن أبي بكر المذكور، في ربيع الأول سنة خمس وتسعين ومائتين وألف هجرية.

ولصاحب الترجمة الحبيب سالم المذكور، أَخَوانِ شقيقانِ:

[أخوه الأول؛ محمد المشهور بن أبي بكر العطاس]

أحدهما الحبيب محمد المشهور، وليد حريضة ودفينها، وبه كان يكنى والده الحبيب أبوبكر، يقال له: أبو المشهور. غير أنه لم يشتهر بهذه الكنية، كما تقدم ذلك في (الباب الأول) من «تاجنا» هذا. وقد تغلبت على الحبيب مشهور المذكور حالةُ المحو، مع صفاء الباطن، فلا يكاد يفقه كثيرًا من أمر الدنيا.

[أخوه الثاني؛ عبدالله بن أبي بكر العطاس (ت 1325هـ)]

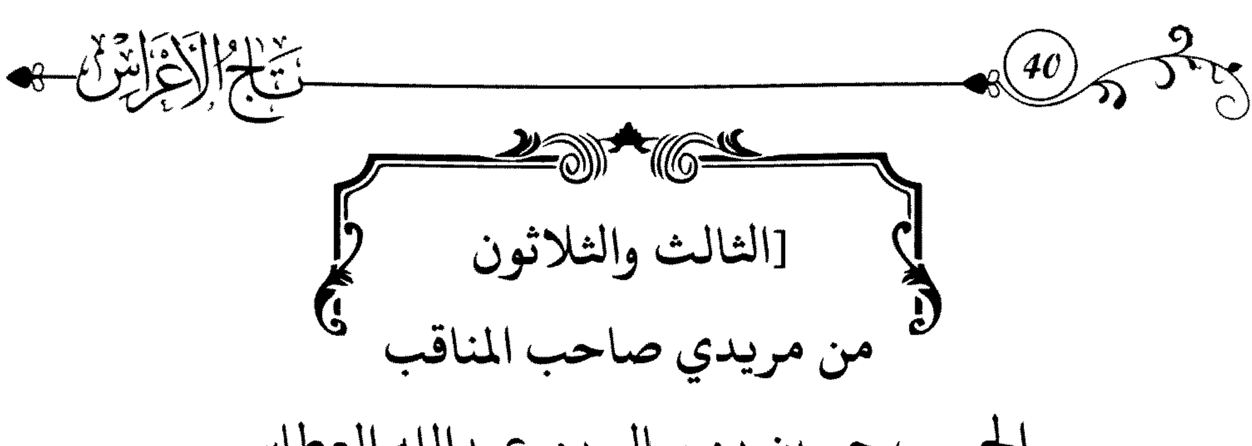
وثانيهما الحبيب عبدالله بن أبي بكر. وليد حريضة، ودفين تريم. له طلبٌ وأخذ عن والده وغيره. وكان صاحب نسكٍ ووقار، منكمشًا عن الناس، لا يخالطهم إلا لضروريات الحياة، وقد رحل لطلب العلم إلى الحرمين الشريفين، وفي مقدمة من لقيهم بها الحبيب فضل بن علوي بن سهل، ورويَ عنه اجتماعُ الحبيب فضل المذكور بأهل النوبة في المسجد الحرام، كما تقدم ذلك في (الباب الثاني)، عند ذكر القطب.

ثم سافر الحبيب عبدالله المذكور إلى جاوة، وتعاطى بها أسباب التجارة، ومكث نحو عشرين سنةً بسربايه، ومنها عاد إلى مسقط رأسه حريضة، فلم يطلب له المقام بها، لأنه يطالب الناس، في ذلك الوقت، بالتمسك بالنظام المدني، التي لم تهيأ البلاد وأهلها لقبوله في ذلك الحين. فأشار عليه الحبيب أحمد بن حسن العطاس بالتحول إلى تريم، وكانت مقرَّه البرزخي، وكانت وفاته بها سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.

[كتابه «حلاوة القرطاس»]

وقد جمع الحبيب عبدالله المذكور مناقباً لوالده الحبيب أبي بكر وسماها «حلاوة القرطاس وجواهر الأنفاس»، غير أنه لم يتيسر له إتمامها، وهي الآن موجودة عندي في نحو ستة كراريس من قطع الربع، وقد أتى بها إليَّ الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد، وأشار عليَّ بخدمتها، كما فعلت في مناقب الحبيب صالح، فعسى ببركة الجميع أن الله ييسر لي ذلك، ويعينني عليه، وما ذلك على الله بعزيز.





[الثالث والثلاثون من مريدي صاحب المناقب الحبيب حسين بن سالم بن عبدالله العطاس المتوفى سنة 1333هـ]

ومنهم الحبيب صالح النية، صافي الطوية، والفاني في محبة صاحب المناقب بالكلية، حسين بن سالم بن عبدالله بن محمد بن علي بن محسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه، وتردد لزيارته إلى بلده عمد في حياته، وفنى في محبته حياً وميتاً.



[نساخته لأصل هذا الكتاب]

وله المنة التي لم يسبق إليها ولا زوحم عليها، وهي اعتناؤه بنسْخ الأصل من «هذه المناقب» بقلم يده، وإهداؤها إلى مستحقها من خواصّ مريدي صاحب المناقب. وقد أخبرني ابنه الكريم الحشيم، سالم بن حسين، قال: إن والدي قد نسخ بقلم يده ستَّ نسخ من مناقب الحبيب صالح، وجلّدها على نفقته الخاصة، ثم أهداها إلى أكابر تلاميذ الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب. وعدَّ الأخ سالم المذكور في مقدمتهم: الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره، انتهى.

قلتُ: فهنيئاً للحبيب حسين المذكور، بهذا العمل المبرور، والتجارة التي لن تبور،

إلا أني أظن أن تلك النسخ لم تقابل على نسخة المترجِم، لأنها لا تخلو من سقطٍ، وعلى كل تقدير، جزى الله الحبيب حسين بن سالم عنّا فسيح الجنان، وضاعف له ثواب تلك الحركات والسكنَاتِ على ممر الدهور والأزمان، إذ لولاه لدخلت في خبر كان، كغيرها من أنفاس الأعيان، والله المستعان.

وقد أخذ الحبيبُ حسين المذكور عن الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، المتقدم ذكره، ولبِس منه، وخدمه. وله الأخذ التام عن الشيخ عبدالله بن أحمد با سودان، المتقدم ذكره في (الباب الرابع)، كما أنه صحب الحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيبين محمد وعمر ابني صاحب المناقب، وعقد الأخوة مع المترجِم، وقد تقدم ذكرهم أول (هذا الباب). وله الصحبة التامة مع الحبيب العلامة عثمان بن عبدالله بن يحيى، الشهير بنشر الدعوة العامة إلى الله بالجهة الجاوية، تدريسًا وتأليفًا، بلغة البلاد، إبان مجاورة الحبيب حسين له بحارة فَتَمْبُوران، من بندر بتاوي. وإبان مباشرة الحبيب حسين لأسباب التجارة.

ثم عاد في آخر عمره إلى بلده حريضة، ولازم فيها العبادة وتلاوة القرآن، حتى أتاه داعي الرحيم الرحمن، إلى فسيح الجنان، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾. وكانت وفاة الحبيب المذكور، لثنتي عشرةَ مضت من ذي الحجة، سنة ثلاثٍ وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.



[فصلٌ

في أعلام القرن الرابع عشر الهجري

ممن أخذ عن صاحب المناقب تبركًا

أو اتصل به سنده أو روَى عنه مباشرةً أو بالواسطة]



فصلٌ

[الحبيب عبدالله بن محسن بن محمد العطاس المتوفى سنة 1351هـ]

ومنهم الحبيب الذائق، الذي تخرس بحضرته الشقاشق، والمفتوح عليه في علوم الحقائق، عبدالله بن محسن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن محسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس.

وليد حورة بحضرموت، سنة خمس وستين ومائتين وألف هجرية، ودفين مدينة بوقور وشهيرها بجاوة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أدرك صاحب المناقب رضوان الله عليه، والحبيب عبدالله المذكور في منتهى دور التمييز من عمره. قال الحبيب عبدالله المذكور: قرأتُ الفاتحة على الحبيب صالح، ثم لقّنني إيّاها ثانياً.

ثم أخذ الحبيب عبدالله عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، واستمد منه، وقرأ «رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي» على الحبيب عبدالله بن علوي العيدروس، وزار الحبيب أحمد بن محمد المحضار، وأخذ عنه. وأقام بالخريبة مدةً لطلب العلم على الشيخ عبدالله بن أحمد با سودان، المتقدم ذكره في (الباب الرابع).

ثم سافر صاحب الترجمة إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، ومنها إلى جاوة، تعاطى بها أسباب التجارة وشئونها، وإن كانت الدنيا تعرف أبناءها ويعرفونها، ولا تطمع أن يكون هذا العارف بالله من خواصها وزبونها، فلم يلبث على تلك الحالة، إلا ريثما شدّ إزاره، وألقى قياده وعذاره، إلى شيخ فتحه وتقريبه، المأذون له في تسليكه وتهذيبه، الحبيب أحمد بن محمد بن حمزة العطاس، الآتي ذكره في

(هذا الباب)، فلازمه الحبيب عبدالله المذكور، وتخرج به، وله وقائعُ غريبة مع شيخه المذكور، لا سيما في أدوار التخلية والتحلية، وهي أهم أدوار التسليك على المريد والمراد، عند أهل هذا الفن.



سمعتُ سيدي الحبيب عبدالله المذكور يقول: جئتُ مرةً إلى عند الحبيب أحمد بن حمزة في أمرٍ مُهِمّ، وطلبت منه الدعاء، فقال: لا أدعو لك إلا أن تترك عمر بن عبدالرحمن، وحسين بن عمر حقك، وتقول: يا أحمد بن حمزة. فثَقُل ذلك عليّ، وخرجتُ من عنده إلى بعض المساجد متحيرًا في أمري، فوقع في بالي: أن مراده أني أترك من ذكَرَهُما على حسب اعتقادي فيهما، ومعرفتي بهما، لقصوري في ذلك عن مقامهما الحقيقي. وقلتُ في نفسي: لو كان هو غير متمسكٍ بعمر بن عبدالرحمن لما بلغ هذا المقام. وانشرح صدري لما قاله، فجئتُ إليه بعد صلاة الصبح، وقلت له: إني قد تركت عمر بن عبدالرحمن، وحسين بن عمر اللذين أعرفهما أنا، واستمسكت باللذين تعرفهما أنتَ. فتهلل وجهه من الفرح، ورماني بوسادة كانت إلى جانبه، وقال لي: من أي لك هذا الجواب؟ فقلت له: من الله، انتهى كلام صاحب الترجمة.

قلتُ: وهذه هي مرتبة التحكيم الحقيقية، التي يبلغ بها المريد مقام الصديقية، وهي العروة الوثقى بين المريد وشيخه، فمتى تحقق بها المريدُ زال عنه الحجاب، وخاطبته الأشياء بمعانيها على قدر شوقه، وسعة مشهده وذوقه، ولم يرو عن سلفنا أنهم كانوا يعولون على غيرها في سيرهم المحض إلى الله.

وكان سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره، إذا أراد الدخول على أحد من الأولياء، سواءً كان في حياته الدنيوية أو الأخروية، يقول لمن معه: لا أحد ينوي منكم، فإني سأنوي لكم جميعًا، انتهى.

قلتُ: وما ذلك إلا لعلمه بقصور مشهدهم في ذلك الولي، وعظم جاهه عند الله، ولقصور هممهم عن طلب المعالي، إذًا فلابدّ لكل سالكٍ مستقيم، من التفويض والتحكيم، إلى مرشد حكيم، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾.

وإذا كان ربنا العظيم يقول في محكم كتابه العزيز: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾. فلماذا يتحاشى صاحب «التاج» أن يرويَ حكايةً في تفاوت الهمم، حتى في التماني التي لا يرتب عليها إلا بيان علو الهمة وضعفها.



[حكاية]

قيل: أنه كان جماعة من الرجال يسمرون في بندر المكلا، فقال أحدهم: «آه، يابوي أنا»، وسكتَ، فتبعه الثاني وقال مثله. وكان في المجلس رجل عاقل، فدعا الأول إلى خارج المجلس، وقال له: على مَا كان تأوهك آنفًا؟ فقال: على تمر القواصر. ثم دعا الثاني، وقال له: على ما كان تأوهك آنفًا؟ فقال: على السواد، يعني بذلك النساء الحسان، انتهت الحكاية.

وليت شعري هل يمكننا أن نساوي بين شخصية من يتمنى على الله ملء بطنه تمرًا، وشخصية من يتمنى على الله قرينةً صالحة ودودًا ولودًا، يتمتع بها مدة حياته، وتلد له الأولاد الصالحين، الذين يصله نفعهم في حياته وبعد مماته، وعلى أمثال ذلك فقِسْ. وكأنا لم يطرق أسماعنا قول البارئ عَزَّوَجَلَّ في هذه الشئون: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤﴾.



رجَعنا إلى سلوك الحبيب عبدالله المذكور، وذكر بعض العقبات والصخور، التي اعترضته في سيره المبرور، وسعيه المشكور. ثم أدته بعض أسباب التجارة الحسية، إلى

دخول السجنِ لأسباب معنويةٍ. منها الانقطاعُ إلى الله تعالى بالكلية. ومنها قتل النفس الأمارة الغوية، فلبث فيه بضعاً من السنين بعد أن عرف سر القضية. وهناكَ خُلعت عليه خلعةُ الخلافة اليوسفية، فصار أمين القوم على السر والخصوصية.

وفُتح عليه أولًا بتعبير الرؤيا بأسلوب الوارد الرباني المطلق مشوبًا بالكشف، ثم فتحَ عليه ثانيًا وذلك بعد رسوخ قدمه في علم الحقائق، وأجمع أهل عصره على أنه إمامُه السابق، ومفتيه الذائق، وإليه المرجع في متشابهات السلوك والطرائق.



على أن له مدركًا منيفًا في معاني الآيات القرآنية، ومنزعًا لطيفًا حول مغزى الأحاديث النبوية، ومشهدًا شريفًا عند تحليل مشكلات ألفاظ الصوفية. **سمعتُه** مرة يتكلم على قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، فقال: حافظوا على الصلوات، أي: الخمس كلها، في أوقاتها المعينة. وحافظوا أيضًا على الصلاة الوسطى، أي: الكيفية، التي ليست بالطويلة ولا بالقصيرة، انتهى.



وحدثني أخصُّ مريديه، الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد. قال: **سئل** سيدي الحبيب عبدالله يومًا عن معنى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الشفاعة، حيث يقول: «**ولم يبق إلا رب العزة، فيشفع**»[1].

فقال: إن أسماء الجمال تشفَع إلى أسماء الجلال.

---

(1) الحديث في «صحيح مسلم» عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً»، الحديث.

وسُئلَ مرة عن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما اتخذ الله من ولي جاهلٍ، ولو اتخذه لعلمه».

فقال: المراد من قوله «جاهل»، أي: بالله. يعني: أن الولي لا يكون إلا عارفًا بالله، بخلاف الأحكام الشرعية، فإنه قد يجهل شيئًا منها، انتهى المراد من رواية الحداد.

وقوله «أسماء الجمال» يعني: التي تشعر بالفضْل، كالرحيم، الخالق، الرازق، إلى آخرها. و«أسماء الجلال» هي: التي تشعر بالعدل، كالقهار، الجبار، المميت، إلى آخرها. وفي بعض الدعوات المأثورة «اللهم تجلَّ علينا بأسماءِ الجمال، وعلى أعدائنا بأسماء الجلال» انتهى.



[مؤلفاته ومجاميع كلامه ومواعظه]

رجعنا إلى تقرير الحبيب المقنع، وأسلوبه السهل الممتنع.

وله أيضًا إلقاءاتٌ مفيدة، على قصائد سيدنا الحبيب عبدالله الحداد ذات المرامي البعيدة، يقع بها من مراد الناظم على بيت القصيدة.

وكل ذلك ثابت ومسطور في «كلام صاحب الترجمة المنثور»، الذي جمعه الحبيب علوي بن محمد الحداد المذكور، حينما لازم الحبيب عبد الله المذكور، وأخذ عنه، واستمد منه. وكان بينهما كمال الارتباط، مع حقيقة الاغتباط، حتى إني لما ألحدتُ سيدي الحبيب عبدالله في قبره، بمعية الحبيب علوي المذكور، رأيته أسرَّ إلى الحبيب عبدالله بكلامٍ في أذنه، ينبيء عن سرخاص كان بينهما، يتعلق بتلك الساعة.

ثم حذَا حذْو الحبيب علوي المذكور، في جمع كلام الحبيب عبدالله وديوانه ومناقبه، الشيخ العارف بأحكام الله، الصادق في محبة أهل بيت رسول الله،

عبدالرحمن بن محمد بن عمر عرفان بارجا، وليد تريم وخريجها ودفينها، حينما دخل جاوة، فجمع من ذلك وأوعى.



وكان الحبيب عبدالله إذا تكلم في سيرة السادة آل باعلوي يملي لسامعيه الفصل، ويلقي عليهم جملًا تكون هي القول الفصل.

حضرتُ مرة روحته العصرية، في بوقور، بمعية الحبيب محمد بن أحمد المحضار، الآتي ذكره في (هذا الباب)، فاعترض في الكلام ذكرُ بعض مدعي العلم من المتشدقين. وكان في المجلس أحد أولاد السادة العلويين، المائلين إلى تلك الخطة، فأخذ يحاول الانتصار لذلك البعض.

فقال له الحبيب عبدالله: يا فلان، إن سلفنا بَرْزَوْا هُم وربهم وسدوا، ومن خالف سيرة سلفه بايموت من الظمأ، وماه على كتفه، انتهى. يعني: أن علمه سوف لا ينفعه لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه علمُ جدلٍ، لا علم عمل.

وقول الحبيب عبدالله «برزوا» هو بفتح الباء وسكون الراء وفتح الزاي مع سكون الواو، اتفَقُواسرًّا. يشير بذلك الحبيبُ عبدالله إلى طريقة السادة العلويين المصفّاة من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين. وقد تقدم شيء من بيانها أثناءَ (الباب الثاني) من «تاجنا» هذا.

وقبل أن يقول القارئ: قد عزب ذلك عن بالي. نقول له: خذها من جديدٍ في بيت من قصيدة لسيدنا الحبيب علي بن محمد الحبشي، الآتي ذكره في (هذا الباب)، ونزيده على ذلك ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾.

وممـا يسُـر القلـبَ منـي لـزومكُم طريقـةَ آبـائي وأهلـي وأجْـدادي

مـن السـلفِ القَـوم الـذين توجهُـوا إلـىٰ الله يقْفـون النبـيْ المصـطفَىٰ الهـادي

وهـا هـي أعمـالٌ خلـتْ عـن شـوائبٍ وعلـمٌ وأخـلاقٌ وكثـرةُ أورادِ

عدْنا إلى شمائل الحبيب عبدالله التي هي المقصد، والعود أولى وأحمد.

[الحبيب والقبيلي قاطع الطريق]

فقد كان من خصوصياته: أنه لا يتصنع في كلامه، ولا يتحاشا عن الخواطر التي ترد عليه. حضر مجلسه مرةً رجلٌ من بادية حضرموت، المشهورين بقطع الطريق، وإهلاك النخل بدهن القاز. وكان هذا الرجل بعد وصوله إلى جاوة، يتردد على الحبيب عبدالله، ويحضر مجالس تذكيره وقراءته، بحسن ظن.

ولكنه جاءه أحد الحاسدين لأهل بيت الرسالة، وقال له: إن السادة العلويين يذكرون أجدادهم وأعمالهم في كتبهم، ولا يذكرون أحدًا من أجدادكم، ظلمًا منهم. فأسرها الرجل في نفسه، فلما شرع الحبيب عبدالله يتكلم في أهل العلم والفضل، هجم عليه ذلك الرجل، قائلًا: كيف يا سيدي عبدالله تذكرون أجدادكم وأعمالهم في كتبكم، ولا تذكرون أجدادنا، أليس هذا يعد ظلمًا منكم!.

فحالًا قال له الحبيب عبدالله: إنا لم ننس أجدادكم، ولكنكم أنتم ما تقرؤون الكتب. وهذا الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، قد أفردهم بفصل خاص في منظومته «هدية الصديق» فقال:

واحـذَر مـن اَهـل الشـر أهْـل الجفَـا والضَـرّ

مـن يكثِـرُ الفسـادَ ويـؤذي العبَـادَ

وسردَ ذلك الفصل إلى آخره، كأنه يدرسه على أحد أشياخه.

ثم قال لذلك الرجل: إن أهل العلم لا يتركون شيئًا، ولا يظلمون أحدًا في أعماله. فسكت الرجل، ولم يحِرْ جوابًا، لما يعلمه من نفسه وقومه، وخرج. ولكنه بعد أيام رجع إلى محبة أهل البيت، ولازم الطاعة، ببركة الحبيب عبدالله وسرِّ نظره.

[مجانين سماراغ]

وكان أيضًا إذا سمعَ العوام يخوضون، ويتجادلون في الأمور التي لا تعناهم، ولا يعرفون حقيقتها. يقول: إن هؤلاء أشبه بمجانين سماراغ، يعني: مدينةً من مدن جاوة. فقيل له مرةً: كيف قصة مجانين سماراغ؟. قال: كان في مستشفى سماراغ جملةٌ من المجانين، فقام واحد منهم على الكرسي بصفته واعظًا، وقال: يا إخواني إن الدينَ الإسلامي الذي أنتم عليه ليس بشيء، وأنا اليوم أعلم الناس بالشريعة الجديدة، وسأعلمكم إياها الآن. فقام الثاني من المجانين، وجذبه بقوة حتى أسقطه من على الكرسي، وطلع مكانه، وقال: يا أمتي، أنا نبيكم، وهذا كذاب لا يعرف شريعتي التي أرسلني الله بها إليكم. فقال الثالث، وجذبه بقوة أيضًا، حتى أسقطه من على الكرسي، وطلع مكانه. وقال: يا عبادي، أنا ربكم، وإني لم أرسل هذا إليكم، وإنه كذاب وليس بنبي!. فلما سمع حارس المستشفى تلك الضجة، دخل عليهم وأسكت الجميع، انتهى.

قلتُ: ما أراه إلا يعني بذلك أهل هذا الزمان، والله المستعان.

[دحيش الحنبص]

على أن الحبيب عبدالله المذكور كان من أهل التفويض والتسليم، العارفين بمراد الله فيهم. رأيته مرة خرج لصلاة الصبح إلى مسجده، في قوة اشتداد السعلة عليه، وضيق النفس. وكان من عادته: أنه لا يترك صلاة الجماعة، ولا يؤم الناس في الصلاة. فلما رجعنا إلى بيته، قلت له: كأنكم لم تعرضوا نفسكم على الطبيب.

قال: لا. ثم قال: «دِحَيْش الحنبص، من ضاق ينقص». وتبسم في وجهي. وقال لي: هل نسيت لعب الصبيان في حضرموت؟. قلت له: لم أنس ذلك. وعرفت أنه يعني جسَده الشريف، وداء السلعة الذي أصابه، وأن روحه الزكية واقفة مع مرادِ الله تعالى، وقفة المتفرج، انتهى.

قلتُ: ولعب الصبيان هو أن يجتمع عددٌ من الأولاد، ويقفون في محل ضيق جدًا، ويضغط كل منهم على من بجانبه، وهم يرتجزون بهذه الجملة: «دحيش الحنبص من ضاق ينقص». أي يخرج. و«دِحَيش» مصغرًا، على وزن بِحَيش، فكل من تأذى بالضغط يخرج قبل غيره، وهلم جرًّا.



ولا شك أن موقف الحبيب عبدالله هذا، هو من أقوى الدلائل على أن له الحظّ الأوفر من حال جده الأكبر، سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس.

قال الإمام المحقق، والبحاثة المدقق، الحبيب علي بن حسن العطاس في كتابه «القرطاس في مناقب العطاس»: إن الحبيبين الحسين وسالمًا، ابني سيدنا عمر، شكيا حالهما على الشيخ علي بن عبدالله باراس. فقالا: يا شيخ علي، إن الوالد لا يأمرنا ولا ينهانا، وأنّا نخاف أن يكون ذلك من الحرمان. فقال الحبيب عمر: يا شيخ علي، نحن ما لنا أمر ولا نهي مع الله، انتهى الشاهد من كلام الحبيب علي، الشفيّ الوفي.

قلتُ: وهذه هي مرتبة فناءِ الفناء، التي عناها بامخرمة بقوله في هذا المعنى، يخاطب المتفرد بالأمر والنهي حسًّا ومعنى:

ذيبها منْكَ والرّعيَان والضّان ضَانكْ

وامْرها بين تثقيلك ورأفَةْ حنانَكْ

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وفي الختام، أقول: إني بحمْد الله قد ترددتُ لزيارة شيخنا صاحب الترجمة، الحبيب عبدالله بن محسن المذكور، مراتٍ، من محل إقامتي بندر بتاوي، إلى مدينة بوقور، وقرأت عليه، وسمعت منه، وشملتني إجازته الخاصة والعامة.

وكان آخر عهدي به، يوم تشرفتُ بوضعه في مقره البرزخي، ولا ينبئك مثل خبير. وكانت وفاته يوم الثلاثاء، آخر يوم من ذي الحجة، سنة وحدة وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية. ودفن في اليوم الثاني، في جمع محشودٍ، ويوم مشهود، قبليَّ مسجده الذي بناه بمدينة بوقور، وبنيت عليه قبةٌ حديثة الشكل، بهمة الحبيب علوي بن محمد الحداد، تتهافت عليها الزوار، كأنها أحد المشاعر، ولسان حالتهم يترنم بقول الشاعر:

أمــرُّ علـــى الـــديارِ ديَـــار ليلَـــى أقبّـــل ذا الجـــدارَ وذا الجـــدارا

ومــا حـــبّ الـــديار شـــغَفْن قلبـــي ولكـــن حـــبُّ مـــن ســـكنَ الـــديَارا



[مسألة تنكيس الميت، مرة أخرى]

ومما يجدر هنا بالذكر، ويلفت النظر والفكر، أنها حصلت يوم وفاة الحبيب عبدالله المذكور مشكلةٌ وقضية، وقعت حولها ضجة فقهية. وهي مسئلة إنزال الميت في القبر، على أي كيفية؟ وقد تقدم الكلام عليها مبسوطًا في هذا الباب من ترجمة الحبيب عمر بن عبدالله العطاس، صاحب نفحون، بحضور جماعة من علماء الحرمين بأم القرى.

ولنذكر من ذلك هنا ما يتعلق بالحبيب عبدالله فقط قائلين: أن التاريخ كالجراحة المزمنة، تثاور صاحبها عندما يصيبه أدنى شيء، فحين حضر لحد الحبيب عبدالله

المذكور، طوقتُ جوانب القبر بالعلماء والصلحاء، وجاءتني النوبة، فنزلت إلى اللحد بمعية الحبيب علوي بن محمد الحداد المذكور، والأخ الصدر أحمد بن سالم بن محسن، وهو ابن شقيق الفقيد، وحالًا أمرتُ باستدارة النعش، لتكون رجلا الميت عند رأس القبر، كما هي القاعدة السلفية، المعمول بها في بلدنا حريضة.

وكان على شفير القبر جملةٌ من العلماء، وفيهم الشيخ الفقيه عبدالله بن عمر باجماح العمودي، فعصفَت به حدة الفقهاء، وقال: كيف هذا؟ وما هذا؟ فثاورته بالجواب، وقلت له: أنت يا شيخ عبدالله اكتب في وصيتك: أنك إذا متَّ ينكسونك في القبر على رأسك!. فقال لي: قل ما شيء شر، يعني: لا قدر الله ذلك، وانتهى الكلام بسلام.

قلتُ: ومن البديهي، أن القارئ الذكي يحسّ بشيء من الإزراء بالميت، وإنزاله على تلك الحالة، من قول الشيخ عبدالله: قل ما شيء شر.



[الابن الأكبر؛ محسن بن عبدالله بن محسن (ت 1367هـ)]

رجعنا إلى ما كان بعدَ الحبيب عبدالله المذكور، وخليفته على مقامه المشهور. فقد خلفه على المقام: ابنه الأكبر، صافي السريرة، ومنور البصيرة، محسن بن عبدالله. وليد التقَّل، وخريج حريضة، ودفين بوقور، في قبة والده، في اليوم الحادي عشر من جمادى الآخرة، سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف هجرية. وقد أقام لوالده حولًا، أي: مأتمًا سنويًا، تقرأ فيه مناقبه، وتأتي إليه الوفود من غالب البلاد الجاوية، كما أنه قام بواجبه في خدمة المقام، وإطعام الطعام، حتى لحق بوالده إلى دار السلام.

[الابن الثاني؛ زين بن عبدالله بن محسن (ت 1384هـ)]

ثم خلف الأخ محسن المذكور على المقام: أخوه، ذو الأخلاق الرضية، والسيرة

المرضية، والهمة العلية، زين بن عبدالله. وليد بتاوي، وخريج حريضة. وذلك على حسب ترتيبهم في وصية والدهم، لجدد ما اندرس من الآثار. وله اعتناء تام بسيرة والده. وكانت وفاة الأخ زين بن عبدالله المذكور، لثمان وعشرين خلت من شعبان، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف.

[الابن الثالث؛ حسين بن عبدالله بن محسن]

وخلفه على المقام: أخوه حسين بن عبدالله. وليد بوقور، وخريج حريضة. وذلك على حسب ترتيبهم في وصية والدهم، وعسى الله يعمر المقامات بأهلها.

[الابن الرابع؛ أحمد بن عبدالله بن محسن]

ومن أولاد الحبيب عبدالله المذكور: أحمد بن عبدالله. وليد سورابايا، وخريج حريضة، ودفين سما راغ بجاوة، في حياة والده. طلب العلم بسيوون، وانتجب في طلبه، وعاد إلى جاوة، وأعجب به والده. غير أن أمواج أسباب التجارة اختطفته من بين يدي والده، وبقي يتردد بين سماراغ وبوقور، حتى وافاه الأجل.

وكانت بيني وبينه ألفة ومحبة، وكان يجلني أكثر مما أجله، لأنه دمث الأخلاق، إلا أنه مولع بخلافيات المسائل. فكان إذا جلس بين طلبة العلم ألقى بينهم خلافيةً، كأنها قنبلة مفرِقعة، فتجدهم يقومون لها ويقعدون، وهو يتعجب منهم.

وكثيرًا ما يتحدى مدعي العلم بالمباحثة، حتى يبين للناس جهلهم. أخبرني أخوه محسن، الآنف الذكر. قال: مرةً أرسلني والدي، أنا وأخي أحمد، لحضور وليمة زواج عند بعض أصدقائه بالتقّل، فلما انتهى عقد النكاح والعشاء، وأخذ الناس في السمر، يدور بينهم الكلام. إذا رجلُ من أهل جهتنا حضرموت، يتشدق في الكلام، بدعوى أنه عالم، مع معرفتنا التامّة به أن معلوماته لا تتجاوز الفاتحة والتشهد؛ إذا قلنا إنه يؤدي

الصلوات الخمس!.

فقال له أخي أحمد: يا أخ فلان، كأنكم قرأتم في شيء من كتب الحديث الكبيرة. قال: نعم، قرأت في كتاب ضخم، ورفع يديه يمثل ضخامة الكتاب.

فقال له أخي أحمد: لعله «مقامات الحريري»، لأنه أكبر كتب الحديث.

فقال: نعم!. فضحك الحاضرون، وكانت القاضية على الثور المعمم، انتهى كلام الأخ محسن. **قلتُ:** وبما أن معرفتي تعجَز عن شرح هذه الجمل، فلا بد من إحالتها على المثل العربي وهو قولهم: «كم يخلق ربّنا من بقَرْ.. ويكتبهم على النبي أوادِمْ!». وفي الآية الكريمة: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

رجعنا إلى المقصود، من ذكر الوالد والمولود، ومن أولاد الأخ أحمد المذكور: محمد بن أحمد. وليد سما راغ، ونزيلها الآن. طلب العلم بتريم.

[أخو المترجم، الحبيب سالم بن محسن العطاس]

ومن إخوان الحبيب عبدالله بن محسن المذكور: شقيقُه الحبيب سالم بن محسن. وليد حورة، ودفين حريضة. كان صدرًا كريمًا له أيادٍ بيضاء في الذود عن مقام سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس.

[أخبار الجنّي مزنْقَب!]

وقد ملّكه الله خدمةَ أحدِ مؤمني الجن، اسمه (مُزنْقَبْ)، وأكثر ما يستعمله في نقل الأخبار، فكان الحبيب سالم إذا تكلّم بأمرٍ قبل ظهوره، وقيل له: من أين لك هذا

الخبر؟ يقول: أخبرني به مزنقب. وكان في أول الأمر يستعمله لإرهاب من يقلّ الأدب عليه من غير إخوانه آل عطاس، لا سيما إذا تخوف من شره.

[1] وقد أقرّه على ذلك سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، في واقعة حالٍ جرت بين السادة آل سالم بن عمر آل عطاس، سكان قرية مَوْشَح بحضرموت، وبين بعض مجاوريهم من القبايل حملة السلاح. كان من أمره: أنه اعتدى على السادة المذكورين في شيء من الحرث، فأرسل السادة المذكورون إلى مناصبهم وأهلهم بحريضة وسَدبه، يستنجدونهم لذلك. فتحرك الركب العطاسي كعادته في المهمات، قاصدًا محلة تلك القبيلة، للتفاهم معهم بشأن ما حدث بين الطرفين.

فلما وصل الركب قبيل المغرب إلى محلة تلك القبيلة، تشاور رجالها أن يغلقوا أبوابهم في وجه الركب العطاسي، فحاول السادة قرع الأبواب، والنداء بأسماء كبرائهم، فلم يجبهم أحدٌ. فغضب رجال الركب بأجمعهم لهذا الجفاء، ونادى الحبيب أحمد بن حسن بأعلى صوته متحمسًا: أين سالم بن محسن وجِنُّه؟ وكان حاضرًا في مقدمة رجال الركب، فعند ذلك التبس الحبيب بحال مهيب، وأخذ يحرك يده يمينًا وشمالًا، فانطلق مزنقب في داخل تلك الديار على أهلها بالصيحات المفجعة، التي كادت تجنّ منها نساءهم وصبيانهم.

فخرج رجالهم في الحال إلى محطة الركب، وقدموا لهم العدايل، أي العرابين، فيما سبق منهم وما لحق، من الخطأ على مقام العطاس، وبات الكل على خير مسمر، وعادت المياه إلى مجاريها.

[2] ومنها ما وقع للحبيب سالم المذكور مع أمير مكة، الشريف عون. وكان مشهورًا بالبطش، من غير تفكير في القضايا، فحينما دخل الحبيب سالم إلى مكة لأداء حجة الإسلام. قيل له: إن الشريف عون قد منع دعوى السيادة، والمخاطبة بلقب سيد

بتاتًا، وأنه يعاقب من بقي مصرًا على ذلك.

فقال الحبيب سالم: إنما جئنا إلى هذه البلاد لنؤدّي ركنًا من أركان الإسلام، ونزور شفيع الأنام، ونزداد شرفًا إلى شرفنا، وإنه لا مسوغ لي في ترك لقبي الذي وضعه علماء المسلمين على أهل بيت نبيّهم، كما أنّي لا حاجة لي بالشريف عون.

فانتشر كلام الحبيب سالم بين الناس، وسرعان ما بلغ الشريف عون، فاستدعى الحبيب سالم، وقال له: أنت القائل كذا وكذا؟ قال: نعم. قال: بَرْهِنْ لي الآن على أنك من أولاد فاطمة عَلَيْهَاالسَّلَامُ. فنخر الحبيب سالم الجدارَ، وقال: صب الماء يا مزنقب من ها هنا. فما أتم كلمته حتى ثجّ الماء بقوة، وأخذ يفترش في جوانب المجلس، أي غرفة استقبال الناس، ويطغَى على الفرش الملكية الثمينة. والشريف يقول له: الأمانَ الأمان يا سيد سالم، أنت سيّد، أنت حبيب.

فضرب الحبيب سالم الجدار ثانيًا، وقال: يكفي.

وخرج من عند الشريف، والشريف مبهوتٌ ممّا رآ، فدخل على الشريف بعضُ أعوانه في ذلك الحين، وقال له: إن هذا من عمل السحر. ثم دخل عليه أحد علماء مكة في حاجة له، فأخبره الشريف بما وقَع، وما قيلَ. فقام العالم ونظر إلى الخدم يغْرفون الماء، وينشرون الفرش المبلولة في الشمس. فقال للشريف: يا مولانا، هذه كرامةٌ من الله لهذا السيد، فإن السحْر لا جِرْمَ له، وإنما هي خيالاتٌ تتراءى للناس، كما وصفه الله بذلك في كتابه العزيز في قوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾، أي: والحالُ أنها واقفةٌ.

فانبسط الشريف بِجَواب هذا العالم.



وقبل تمام الحكاية، نقول للقارئ: إن أنكرت علينا مجيء مزنْقَب بالماء من عين زبيدة، التي تمر وسط قصر الشريف، هاجمناك بعفريتِ سليمان، وما حكاه الله في القرآن، حين قال لسليمان: أنا آتيك بعرش بلقيس العظيم من اليمن إلى الشام، قبل أن تقوم من مجلسك هذا. وكان يجلس للناس أول النهار للقضاء فيما بينهم، وإني لقويٌ على حمله مع عظمه وثقله، أمينٌ على ما فيه من الجواهر وغيرها.

وقل لي أيها القارئ: متى يذهبُ هذا العفريت مع بُعدِ المسافة ومتى يرجع؟ وكيف يختلس هذا العرش العظيم من بين حرس قصر بلقيس؟ وإلا فقل مثلنا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.



رجعنا إلى التشريف، الذي حصل للحبيب سالم من الشريف.

فقد أرسل إليه ثانيًا، وأضافه وبجله، وأكرمه وانبسط معه. فقال له الحبيب سالم: ما الذي حملك على منع أهل البيت من لقبهم الذي وضعه عليهم الأمة المحمدية، وانعقد على ذلك إجماع المسلمين في أقطار الدنيا؟ فضحك الشريف، وقال: إنما عملتُ ذلك محافظةً عليه، حينما رأيت كثيرًا من الناس يسارعون إلى هذا اللقب، وليس لهم فيه ناقةٌ ولا جمل، وبالضرورة إن الذين أدخلوا أنفسهم بأنفسهم في هذا اللقب، ولم يعتبروا في ذلك إجماع المسلمين، ينسحبون منه بنظامٍ في مدة قريبة، بخلاف أهل البيت، فإنهم لا اختيار لهم في سحب أنفسهم، كما أنهم لا حقَّ لهم في إعطائه لغيرهم، وبهذا تتلاشى هذه البدعة بطريق سلمية من جهتنا.

فأعجب الحبيبَ سالم كلامُه، وشكره على نيته الصالحة، انتهى.

[طرفةٌ مكّية]

وعلى ذكر الشريف عون، وقول الناس: إنه يتسرع في الحكم بدون تفكير.

تحضرني نكتة لطيفة، وهي: أن الحرس بمكة ألقوا القبض ليلًا على بدوي، بدعوى أنه يمشي في البلد بعد نصف الليل، وقد صدر المنع بعدم المشي في ذلكَ الحين، وقدموه إلى الشريف عون. فقال: افْرِشُوه، أي: اجلدوه مائة جلدة. فانزعَجَ البدوي، وقال: «يِهِبْ يا شريف، إما أنك ما تلهَم العدد، أو ما ذُقت اللّعْط!».

فضحك الشريف، وأمر بجائزةٍ.

وقوله «يِهِب» بكسر الياء والهاء وسكون الباء، كلمة تعجب. وقوله «تلهم» أي: لا تعرف العددَ. و«اللعْط» الضربُ الموجع بلغتهم، انتهى.



[غَيرةُ شريف مكة عون على النسب]

وبمناسبة ذكر غيرة الشريف عَونٍ الهاشمية، على السلسلة الذهبية. **تذكرتُ** الآن مثلها لمثله، وقعت ببندر جدة، حينما كنت مجاورًا بمكة. وهي: أن بعض الناس من سكان جدة، قد تلبس بهذا اللقب. وكان من أهل الثروة، ثم خطب لابنه بنتَ أحدِ السادة العلويين المقيمين بجدة أيضًا، ودلس عليهم، وشهد له بعض الشخصيات البارزة بذلك، فقبلوه. وشاع الخبر بمكة، فقام الرأي العام لذلك وقعدَ.

ثم طلبوا من شيخ السادة بمكة، السيد محمد بن علوي بن أحمد السقاف، وشيخنا الشيخ عمر بن أبي بكر بن عبدالله باجنيد، أن يرفعا الأمر إلى أمير مكة في ذلك الوقت، الشريف حسين بن محمد بن عون، فوعدهما الشريف في ذلك خيرًا.

وسكتَ، وأخذ أهل الزواج من الطرفين في تنظيم الحفلات، وإعداد الولائم، حتى وصلت دعوتهما إلى سفراء الأجانب، ورؤساء البنوك الذين في جدة، وما زالَ شيخ السادة والشيخ عمر المذكوران يترددان على الشريف، وهو يعدهما بالمنع، ولم يفعل، حتى ظنّ الناسُ بالشريف ظنَّ السّوء.

وإذا هو يلاحظ القضية في خاطره بمجموع أفكاره، وكان قد أوعز سرًا إلى مدير الشرطة بجدة، أن يلاحظ سَير الحالة بكل دقة، وإذا تكامل المدعوون، وحان حين عقد النكاح، حالًا يخبره بواسطة الهاتف (تلفون). فلما أخبره باستكمال النظام، وحضور الخواص والعوام، أصدر أمرَه الشريف الحسين على مدير الشرطة، أن يهجم عليهم بهيئةٍ رسمية، ويمنعهم بتاتًا من عقد النكاح، ويبين لهم خطأهم بعدم الكفاءة على رؤوس الأشهاد، فامتثل المدير، وكانت القاضيةَ على الذين لا خلاق لهم، وقيل بُعْدًا للذين يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم، كما بعدت ثمود.



رجعنا إلى ما رجع إليه صاحب الترجمة الحبيب سالم، من التجرد عن الناصب والجازم، فإنه لما طعن في السن، ترك ذلك كله، وعده من الفضول، ولاذ بالتستر والخمول، ولازم كثرة الذكر، ومجالسة الحبيب أحمد بن حسن المذكور مدة حياة الحبيب أحمد، وبعده لزم سالم بيته، وإصلاحَ ذات البين، حتى هتف به داعي اليقين، إلى برزخ أسلافه المطهرين. وكانت وفاته ببلدنا حريضة، ليلة الخميس، لثمان عشرة مضت من ربيع الأول، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.

[معرفة مؤلف التاج بصاحب الترجمة]

وإني بحمد الله قد صحبتُ الحبيب سالمًا المذكور، حضرًا وسفرًا، وكان يمازحني لإدخال السرور عليَّ، ولي منه الدعوات الصالحة، التي تشعر بخالص المحبة، نفعني الله به، وكافة المذكورين، وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.



[الحبيب محسن بن محمد بن محسن العطاس المتوفى سنة 1356هـ]

ومنهم الحبيبُ الزاهد فيما في أيدي الناس، الواثق برب الناس، والمشنف لزواره الجفان والكاس، محسن بن محمّد، بالترقيق، بن محسن بن حسين بن عبدالله بن محمد بن محسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر به عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة، ودفين حارة شليلتان، بأعلى بندر بتاوي، من الجهة الجاوية، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تكرر اجتماعه بصاحب المناقب رضوان الله عليه، والحبيب محسن المذكور في أدوار التمييز من عمره، فكان أخذُه عنه أخذ تبركٍ واستمداد فقط، ولكنه أدرك الحبيب أبابكر بن عبدالله العطاس، فأخذ عنه وخدمَه. وأخذ أيضًا عن الحبيب عمر بن هادون العطاس، وانتفع به. وقد تقدم سندهما في (الباب الخامس). ثم لازم صاحبُ الترجمة أهلَ العلم والفضل ببلده حريضة، وخدمهم، وانتفع بهم، فظهرت عليه آثار الصلاح، وانحاز إلى حزب الهداية والفلاح، واستخار السير القلبيَّ في سلوكه، فصار ملامتيَّ الحال، لا يعرف رسوخ قدمه في الولاية إلا كمَّلُ الرجال.

ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وقرّت منه بذلك العين. ورحل إلى جاوة، وتنقل فيها متعاطياً أسباب التجارة، خروجًا عن الخلاف، وشفقةً على معاصريه من الاختلاف.

وهو في ضمن تلك المدة يتحسّس من شيخ مرشد، ورفيقٍ مسْعد، حتى أسلمته يد العناية، إلى حامل لواء الولاية، ومرجع أهل العلم والدراية، الحبيب العارف بالله عبدالله بن محسن العطاس، الآنف الترجمة. فألقى إليه القيادَ، وانطوى فيه انطواء الأرواح في الأجساد، ونال منه وبه ما أملَه وأراد.



ومع هذا كله لم تستفزّه المظاهر والمناصب، عن سيره القلبي، وعلمه الوهبي. غير أن ثناء الأكابر عليه، وحثهم على زيارته، مابرح يخرق عليه خيمة خموله.

سمعتُ سيدي الحبيب محمد بن أحمد المحضار، الآتي ذكره في (هذا الباب)، يقول: إن الأخ محسن بن محمّد يمثّل مقام العبودية المحْضة.

قلتُ: وكان الحبيب محمدٌ المذكور، لا يترك زيارةَ الحبيب محسن المذكور، والاستمداد منه والانبساط معه، والأكل من طعامه كلما جاء إلى بتاوي.

وربما مازحه في بعض الأحيان، ليطلع على بعض ما وقع له في سلوك، ويرغب في زيارة الحبيب محسن خواصّه ومحبيه. ويقول: إنه من الكنوز المدفونة، يعني: التي لا يعرفها غالب الناس. كما أن الحبيب محسنَ المذكو، قد زار الحبيب محمد المحضار إلى محل إقامته بندووسو، وصحبه في بعض أسفاره.

وكذلك كان الحبيب عبدالله بن محسن المذكور، شيخُ الحبيب محسن، يزوره إلى بيته، ويوصي خواصّه بزيارته. سمعتُ الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد

الحداد، يقول: كان سيدي الحبيب عبدالله بن محسن يوصيني بزيارة الحبيب محسن، علاوةً على ماله عندي من المحبة والاعتقاد، انتهى كلام الحداد.

قلتُ: وكان للحبيب محسن المذكور القدَمُ الراسخة في العبادة، وإذا دخل في الصلاة يحسبه الناظر إليه إحدى أسطوانات المسجد، لكثرة خشوعه وحضوره، يتجلى فيه مفهوم الحديث الشريف: «**لو خشعَ قلبُ هذا لخشعَت جوارحه**»[1].

وكان يواظب على صلاة التراويح في مسجد كويتان، خلف الحبيب الداعي إلى الله علي بن عبدالرحمن الحبشي، لكونها يصليها أول الليل بالمقرأ، مع بعد المسافة بين الشاوان، محلة الحبيب محسن، وكويتان. فإنها لا تقل عن ساعة ونصف مشياً من الرّاجل، وقد لا يجد مركوباً.

كما أنه لا يترك حضورختم زاوية الحبيب أحمد بن حمزة العطاس الكائنة بحارة باخوجان، كل ليلة سبع وعشرين من رمضان. وأضف إلى المسافة الأولى مثلها، ومع ذلك لم يؤثر عليه كبر سنه في مجاهداته، لصدقه مع الله، حتى لحق بمولاه.



وكان دمثَ الأخلاق، يدخل السرور على زائره من حيث لا يشعر. وله الحظ الأوفر من دعوة متبوعه الأعظم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يقول: «**رَحِم الله والداً أعانَ ولدَه على برِّه**»[2]، فكان لا يعتبُ أحداً تأخر عن زيارته، ولو كان من أقرب الناس إليه، بل يقبل عذر المعتذر بفرحٍ وبشاشة. وأعظم من هذا، أن لحوم الناس محترمة في

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في «النوادر» من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(2) أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب «الثواب» من حديث علي وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

مجلسه، لا تعرض للنهش مهما دارت رحى الكلام. **قلتُ**: وما أظنّ ذلك إلا من قبيل تصرفه في جلسائه بالحال، لأن هذه الخصلة من المزايا التي دونها الآمال.

وإذا قلنا: إن تبليغ سيرة السلف من الواجبات الدينية، ليقتدي بهم الخلف، يلزمنا أن نقول للقارئ: إذا ذكرتَ أويس القرنيَّ وزهدَه، فلا تنس الحبيب محسن بن محمد، فإنّه كان يذكر أهلَ زمانه بأويسٍ القرني. وأما كرُمه، فيكفي عن تعداد قضاياه في الكرم أن نقول: إنه كان يواصل لأضيافه أنواع الطعام والفاكهة حتى ينفد ما في البيت، أو ينسحب الأضياف خجلًا من ذلك.

وبما أن الشيء يذكر بما يشاكله، **أتذكّر** الآن: أني في آخر زيارتي له، قبل مرض موته، جئته مع بعض الأخوان، وكانوا قد استعدُوا لمعاونته بشيء من الربيات، ودفعوا ذلك إليَّ في أثناء الطريق، لأقدمه له، وأطلب لهم منه صالح الدعاء.

فلما دخلنا عليه، وجدناه نائمًا على العَنْبيل، أي: سرير الخشب المعدُّ لجلوس الأضياف، متوسدًا ذراعه، في إزارٍ وكوفية فقط، كأن بدنه قطعة نور. فجلست أنا عند رجليه أكبسهما، لما لي عليه من الإدلال، حتى انتبه، وهشَّ وبش بنا. ثم قام إلى داخل المنزل ليأتي لنا بشيء كعادته، فلم يجد شيئًا، وكان من عادته أنه يقدم لأضيافه كل ما يؤكل، سواء كان في وقته أو في غير وقته، فعاد وجلس معنا ثم قام ثانيًا.

فقلتُ للجماعة: إنه لم يجد شيئًا يقدمه لكم، حتى القهوة، فقمت معه وناولته هدية الجماعة، وطلبت لهم منه الدعاء، فدعا لهم. ثم أخذ يرسل أولاده إلى السوق واحدًا بعد واحد، ليأتوه بأنواع الفاكهة وشيئًا من الحلويات.

فقلتُ له: إن مقصود هؤلاء الإخوان اَلا الدعاء منكم. **فقال**: أما الآن فقد صرنا تجارًا، فيجب علينا إكرامهم. وتبسم في وجوههم.

ثم قال: يا أولادي، نحن الاّ على مذهب أهلنا وسلفنا، لا نسأل، ولا نرد، ولا نتخلف، ولا نتكلف، والدنيا إلا مطية الآخرة، إن سلك بها الإنسان الطريق الزينة، يعني: طريق الخير، أوصلته. وإن سلك بها طريق الأخرى، أوصلته. يعني: طريق الشرّ. ومن لا حاسب نفسه في الدنيا، المحاسبين قدامه في الآخرة، وعسى توفيق الله للجميع، ثمّ رتب لنا الفاتحة، وخرجنا من عنده مغتبطين بزيارته.

وقوله «لا نسأل ولا نرد»، أصل المقالة منسوبةٌ إلى صاحب المناقب رضوان الله عليه: «نحن قوم لا نسأل، ولا نردّ، ولا ندّخر»، أي: لا نسأل أحدًا شيئًا من دنياه، لما في السؤال من الافتقار إلى الخلق، ولا نرد على من أعطانا بطيب نفسٍ، لما في الرد من الاستكبار، ولا ندخر شيئًا، لما في الادخار من عدم الثقة بضمان المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، انتهى.



ومن دماثة أخلاقِ الحبيب محسن المذكور: أن بعض أصدقائه عاتبه مرةً على عدم ادخاره شيئًا من المال الذي يفتح الله عليه به، لأولاده. وقال له: إن عملك هذا أشبه بعمل المجانين، ما نقَص عليك إلا تشقيق ثيابك. فأخذ الحبيب محسن عمامةً دويلةً كانت إلى جانبه، وشقها نصفين، وقال لصديقه: إني لا أحب شيئًا من جنوني ينقص في عينيك، فضحك الحاضرون، فعرفوا مقدار ثقته بربه.



ومن زهده فيما في أيدي الناس: أنه جاء مرةً إلى سورابايا، فاجتمع فيها بقاضيها الشرعي، الشيخ حسن بن محمد بارجا، وليد سيوون وخريجها، ودفين سواربايا سنةَ

خمس وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية. وكان ممّن جمع الله له بين العلم والمال، ومحبة أهل البيت. فاغبتط الشيخ حسن بالحبيب محسن، وعزم في نفسه على إكرامه بشيءٍ من المال، فأحجم عن ذلك لما رأى من عفة الحبيب محسن. وأراد أن يختبر حاله أولًا، فاسترسل الشيخ حسن مع الحبيب محسن في ذكر نفقات البيوت وكثرة العائلات، فقال الحبيب محسن: أما أنا فمن عادتي أن كل ما زاد على نفقة أولادي أقدمه لضيوفي، ففهم الشيخ حسن من كلام الحبيب محسن أنه من أهل ثروة العقارات، ومضت على ذلك أيامٌ. فلما عزم الحبيب محسن على الرجوع إلى بتاوي، رأى الشيخ حسن بعض الناس يكرم الحبيب محسن، فتعجب الشيخ حسن من عفته وزهده، وضاعف له الإكرام. وقال: اليوم ظهرت لي عين اليقين في قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾، انتهى.



[ذكر وفاته وتأبينه]

قلتُ: وبالجملة؛ فمقام الحبيب محسن في الولاية هو السهل الممتنع، وقد توليتُ بحمد الله غسله يوم وفاته، فوجدتُ منه رائحةً زكيةً، أشبه برائحة الطفل المتعهّد بالنظافة والطيب، الذي لم يطعم غير اللبن، تنمّ تلك الرائحة بخلوصه من البشرية الشريرة. كما أني حينما نزلتُ في لحده، تشخّص لي قول سيدنا عبدالله الحداد:

*** والقبر إما روضةٌ نعيمة ***

ولا تسأل أيها القارئ عن كثرة المشيعين، والسكينة التي عمّت الحاضرين، فظلت أعناقهم لها خاضعين.

وقد عاودتني روحه الزكية، تزهو فرحًا بعد دفنه، في نفس ذلك اليوم، عندما

رجعنا إلى بيته لتناول طعام الغذاء، في صورة طائر أخضر، شاهدَه من كان قريبًا من الإخوان، وهو يرفرف قبالةَ وجهي، فقلت لهم: هذه روح الحبيب محسن تتعهد المكان، والمشيعين والسكان، والله رقيب على ما قلته، وهو المستعان.

وقد ابَّنَهُ بعد الصلاة عليه في الجامع الحبيبُ علوي بن محمد الحداد، بجملٍ وجيزةٍ، ذات مرامي عزيزة، فتّتت أكباد اللاصقين بالفقيد حسرةً على فراقه، والجاهلين بمقامه ندامةً على بعدهم منه.

وكانت وفاته يوم السبت، لعشرين مضت من ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية، وله من العمر تسعون سنةً. ودفن بحارة (شليلتان)، بعد أن استشاره في ذلك في حياته الحبيب علوي بن محمد الحداد المذكور، وكان من أهل الأدلال على صاحب الترجمة. قال: قلتُ يومًا للحبيب محسن: إذا جرى عليكم أمرُ الله بانجعلكم في مكان الولد محمد بن أحمد الحداد، لأجل عمارة المكان في الظاهر والباطن، فقال لي: الأمر إليك في ذلك، انتهى.

وقد بنيت على صاحب الترجمة في ذلك المكان قبةٌ محفوفة بالأنوار، معمورةً بالزوار، بخدمة ابنه من الجهتين: أخذًا وتزوجًا، الولد الداعي إلى الله، الممتلي بأسلافه، والمشمر للالتحاق بهم، محمد بن أحمد بن محمد الحداد، وليد بتاوي، وخريج تريم. قبالة المسجد والمدرسة اللذين بناهما الولد محمد المذكور، كما أنه جمعَ مناقب الحبيب محسن المذكور، وأفردها بالتأليف، وأقام له حولًا سنويًا بمناسبة المولد النبوي الذي يقوم به في آخر سبتٍ من شهر ربيع الأول في كل سنة.

[الحبيب حسين بن علي بن حسين العطاس المتوفى سنة 1345هـ]

ومنهم الحبيب العلامة، المحقق المدقق الفهامة، الذي لم يختلف اثنان في ورعه والاستقامة، حسين الزين بن علي بن حسين بن هود بن الإمام علي بن حسن بن عبدالله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد المشهد، ودفين حريضة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وما أجدره بأن يسمى حسين الزين، كما قال ذلك سيدنا الإمام علي بن حسن العطاس صاحب المشهد، ومؤلف «القرطاس» في شيخه الحسين بن عمر العطاس:

* حسين الزينْ وامَّا المسمّا في العرَبْ جَمْ *

تربى صاحب الترجمة بوالده، الآتي ذكره في (هذا الباب)، وتهذب بخاله الحبيب عمر بن هادون، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، فهما واسطة أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه.

[أخذُه عن الشيخ عمر باراسَين في الهند]

ثم سافر صاحب الترجمة إلى مدينة حيدرآباد بالهند، ولازم فيها الشيخ العلامة المدقق، العامل المحقق، عمر بن سعيد بن أحمد باراسين، أي بصيغة المثنى، الخطيب، وليد قيدون بحضرموت، وأحد مشاهير علمائها.

قال الأخ العلامة المحقق علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت»، عند ذكر بلدِه قيدون وعلمائها:«وكان الفقيه النحوي الفرَضيّ عمر بن سعيد بن أحمد باراسين الخطيب، يلقي درسًا في بيته، وأحيانًا في المسجد، إلا أنها لا تستمرّ، لكثرة أسفاره»، انتهى المراد من كلام الحداد.

ثم توجه صاحب الترجمة بعدما ذاق واشتاقَ إلى الحرمين الشريفين، وأدى النسكين، وزار سيد الكونين، واعتكف في حلقة شيخنا الشيخ عمر بن أبي بكر بن عبدالله باجنيد، الآتي ذكره في (هذا الباب)، بالحرم المكي، اعتكاف الناذر لله، الموفي بنذره، حتى تضلع من سائر العلوم، وأتقن منطوقها والمفهوم، وشهد له بذلك شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، ومفتي مكة الحبيب حسين بن محمد الحبشي، الآتي ذكرهما في (هذا الباب)، حين أخذ عنهما، ولبس منهما.

ودخل مصر، وأخذ بها عن الشيخ محمد الإنبابي، ولم تطل إقامته بالأزهر، ودخل جاوة، لإنقاذ أولاد شقيقه هادون بن علي، وليد المشهد، ودفين سنقفور بجهة ملايا، سنة ستة عشر وثلاثمائة وألف هجرية. فأخذ بجاوة عن الحبيب عبدالله بن حسن العطاس، وعن الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، وعن الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، وعن الحبيب محمد بن احمد المحضار، المذكورين في (هذا الباب)، وامتزج بالأخير منهم امتزاج الماء بالراح.

قلتُ: وطالما سمعت سيدي الحبيب محمد المحضار المذكور يثني على صاحب الترجمة في علومه وأعماله. ويقول: لم ترَ عيني في متأخري السادة العلويين من تمشي علومه وأعماله كفرَسي رهان، مثل الأخ حسين بن علي، يعني صاحب الترجمة. وكثيرًا ما يختم الحبيب محمد ثناءَه على صاحب الترجمة بقوله: صدق الوالد في قوله:

*** إنّ الجواهر في معادنها حريضة لم تزل ***



ثم عاد الحبيب حسين إلى بلده حريضة، وأخذ عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وعن الحبيب عمر بن صالح العطاس، وعن الحبيب علي بن محمد الحبشي بسيون. وكان الحبيب علي بن محمد الحبشي معجباً بمهارة صاحب الترجمة في علوم

الآلة، حتى أنه كثيرًا ما يقول: إن النحو، يعني الفن المعروف، الذي مع الولد حسين بن علي، لو وزِّع على أهل حضرموت لكفاهم، انتهى كلام الحبيب علي.

قلتُ: وذلك لقوة ملكة صاحب الترجمة في علم النحو، حتى إنه يخيل إلى النحويين إذا سمعوا إدراجه القراءةَ في كتب الحديث والسِّير، أنه سليقيٌّ النطق بالعربية. وكانوا يتحدثون بذلك فيما بينهم.

وإذا كان الشيء يبعث على ذكر مناسِبِهِ، أي: بكسر السين والباء، أتذكر الآن أني كنتُ مع صاحب الترجمة في مسجد المشهد، أيام الزيارة المعهودة، فصالحه جملة من الصيعر، أي: كندة الصغرى، أهل الريدة. وطلبوا منه الدعاء. فقال لهم: متى وصلتم إلى هنا؟ فقال أحدهم: لنا يومان! فالتفت إليَّ صاحب الترجمة، وقال: قل لي متى قرأ هذا في باب التثنية؟ ثم استرسل معهم في الحديث عجبًا بفصاحتهم. فلما قاموا من عندهم استشهدَ بالبيت المعروف لسيدنا الإمام الشافعي حيث يقول:

ولستُ بنحْويٍّ يلوكُ لسَانه ... ولكن سليقيٌ أقولُ فأعرِبُ

وكان صاحب الترجمة حكيمًا ذكيًّا، يفهم مصادر الأمور ومواردها، ولكن تغلّب عليه جانب الورع. كما أن زهده في الدنيا كان فطريًّا، فكان مع أهل الدنيا مثل الأبله، لا يلتفت لما هم عليه من القيل والقال، وكثرة المراء والجدال، وإذا فتح الله عليه بشيء من الريالات حالًا يعطيها أحدَ أصدقائه، الذين يفرحون بخدمته.

ويقول له: هات لنا بهذه كذا وكذا من السوق، ولا يسأل عنه الأسعار، ولا عن مقدار الكيل والوزن، بل ولا يلقي لهذه الأشياء بالًا، لأن أوقاته موزعة في القراءة

والعبادة. وفي الغالب أنه يكتفي بما قلَّ وخَشُن من العيش، وربما طوى في بعض الليالي هو وأهل داره، مع جلالة قدره، وعلو مرتبته العلية.

وكان لا يخالط الناسَ إلا في المسجد حال الدرس، ولا يقبل أحدًا في بيته كائنًا من كان، اللهم إلا قرابته القريب. كما أنه لا يعرف بيوت أهل بلده حريضة إلا حالَ عيادة المرضى، أو تشييع الجنائز، لإدخال السرور عليهم، وعملًا بالسنة. ولا مبالغة إن قلنا: إن بعض أهل بلده الصادقين في محبة الصالحين، يفرح بالمرض الخفيف، وربما تمنى ذلكَ، حرصًا منه على دخول صاحب الترجمة إلى بيته، لما يرجوه من بركته.

ومن دقة معرفة الحبيب حسين المذكور، بالتدهور الذي أقبل عليه المسلمون: أني لما ابتدأت أعلّم في مدرسة بلدنا حريضة، جاءتنا كتب مدرسية مختصرَةٌ، على الطراز الحديث، وكان من عادته أن يتردد عليّ إلى المدرسة لإرشادي في أسلوب التعليم، فعرضتُ عليه تلك الكتب، وأنا مسرور جدًا، فتصفح بعضها، وهو يقول: إن مؤلفيها أول ما يبتدؤن فيها بحذف الآداب الدينية، التي كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتخر بها، في قوله: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[1]، ثم رفع واحدًا من تلك الكتب، وقال: إن هذا حجمُه أكبر من «بداية الهداية»، ولكن أين الآداب التي فيه تؤهل الطالب لقبول نور العلم؟ ثم قال: إن هذا العمل معناه الحقيقي اختصارٌ في دين الإسلام، ولكنها عقولٌ كادها باريها. ثم استشهد بقول سيدنا عبدالله الحداد:

إن المـــواعظَ لا تغنـــي أسِــير هـــوًى   مقفّـــل القلْـــبِ في حَيــدٍ عـــن السَّـــنَن



(1) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص73): «سنده ضعيف جدا، وإن اقتصر شيخنا على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه، ولكن معناه صحيح».

رجعنا إلى ما رجع إليه الحبيب حسين، من أداء الأمانة التي تحملها عن سيد الكونين، وكان الحبيب عبدالله بن علوي العطاس، الآتي ذكره قريبًا، قد طلب من صاحب الترجمة أن يكون هو الإمام الراتب، والمدرس الخاص في مسجد باعلوي، الذي بناه الحبيب عبدالله المذكور، ببلدنا حريضة، فوافقه صاحب الترجمة على ذلك، احتسابًا لوجه الله، فكان يأتي إليه من داره بالحسوسة مع بُعد المسافة، حرصًا من صاحب الترجمة على نشر العلم، لكثرة وجود الطلبة بالمسجد المذكور. لأن الحبيب عبدالله كان يتألفهم بأنواع الوسائل.



عدنا إلى ورع الحبيب حسين التام، وثباته عند مزلة الأقدام.

ولما توفي الحبيب عبدالله بن علوي المذكور، جعل صاحب الترجمة الوصيَّ الأول على أولاده والمقام، وما يرد له من وقفياته التي بالهند. ولم يُشعِر صاحب الترجمة بذلك، فلما ألحدوا الحبيب عبدالله، قام صاحب الترجمة فوق القبر، وقال: أشهدكم أيها الحاضرون، أني قد عزلتُ نفسي من وصية الأخ المرحوم عبدالله بن علوي، انتهى.

قلتُ: وما ذاك إلا لشدّة ورعه، واحتياطه في دينه، مع كثرة تطاول الأعناق إلى هذه الوصية، لما فيها من المصالح الدنيوية، والمظاهر الدينية. وفي مثل ذلك يكون محك أهل الورع، ومعرفة أهل الأغراض والطمع.



[أخذ المؤلف عن خاله صاحب الترجمة]

وبما أن صاحب الترجمة هو خالي، وشقيق والدتي. فقد قرأتُ عليه، وألبسني، وأجازني، وسمعت منه الشيء الكثير. وكان فيما علمنيه قبل سفري إلى الحرمين الشريفين: كيفية الصلاة. ثم أمرني بحفظ «رياضة الصبيان» للشيخ الرملي، و«عقيدة

العوام»، فحفظتهما. وقال لي: إن أوّل أخذي على خالي الحبيب عمر بن هادون كان بهذه الكيفية، انتهى كلامه.

ثم أني لما رجعتُ من الحرمين قرأت عليه في فنون كثيرة، وكان من لطف أخلاقه، ورقة عواطفه، أني إذا غلطت في القراءة، أو في تصوير بعض المسائل، يقول لي: «الذوق شيء ليس في الكتب»، وبقول هذا، حالًا أتنبه لغلطتي.

وكان شغوفًا بـ«مقامات الحريري»، لا تبدو نواجذه من الضحك إلا عند قراءتها، وربما جعل يردد بعض الجمل منها، أو بعض الأبيات، كالمتلمض بحلاوتها. وقد قرأتها عليه مراتٍ، ومما نبّهني عليه، وقاله لي: إن الحريري لفرط بلاغته ورقة ذوقه، قد نبه في ثلاثة مواضع من «مقاماته» على أنها أحسن من «مقامات بديع الزمان الهمذاني»، **الأوّل** في خطبتها، عند قوله: «وإن لم يبلغ الضالع شأو الضليع»، أي: القوي، وعنَى بالثاني نفسَه. **والثاني** عند قوله في (المقامة السادس): «وهل للقدماء إذا أنعم النظر من حضَر، غير المعاني المطروقة الموارد، المعقولة الشوارد، المأثورة عنهم لتقادم الموالد، لا لتقدم الصادر على الوارد». **والثالث** عند قوله في (المقامة السابعة والأربعين):

إن يكُنِ الإسكندريُّ قَبلي ... فالطلُّ قد يبدو أمامَ الوبْلِ

والفضْلُ للوابلِ لا للطّلِّ



وكان صاحب الترجمة أحد مظاهر قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

سمعتُ بأذني، ورأيت بعيني، على حين غفلة منه، وذلك لما مرضتْ والدتي مرضَ موتها، طلبت مني أن أنقلها من دار والدي بالبلاد، إلى دار أهلها بالحسوسة، التي يسكنها شقيقها صاحب الترجمة، لتكون قريبًا منه.

وكانت قد أوصتني أنه يتولى غسلها بنفسه، وأن أكون وشقيقتي عائشة مساعدين له في ذلك، وأن يتولى لحدها في قبرها، لشدة احتياطها في دينها، وقد كان ذلك كله بحمد الله، كما تقدم في ترجمة الوالدة من ترجمة الوالد في (هذا الباب).

فكان من أمرنا في مرض الوالدة، تقسيم الليل إلى ثلاثة أقسام، لتأنيس الوالدة، لأن مرضها غير مقلق، ولم يطل. فاختار صاحب الترجمة الثلثَ الأول، ويرقد الثلثَ الثاني، ويقوم الثلث الثالث متهجّدًا بالقرآن الحكيمِ عن ظهر قلبٍ، فكنت أنظر إليه من خصايص الباب، وهو يتملل بذلك تململ السليم، حتى إذا فرغ من تهجده اضطجع على يمينه، متوسّدًا ساعده، وأخذ يحاسب نفسه بأبيات الحريري التي في آخر (المقامة الخمسين)، بصوت تتخلله العبرات، وتتصاعد معه الزفرات، ولا يتمها بل يأتي بالبعض منها، وهي قوله:

خلِّ ادكارَ الأربُعِ والمعهدِ المتربعِ
والظاعن المودّعِ وخلّ عنه ودَعِ

* * *

واندُبْ زمانًا سلفا سودْتَ فيه الصحُفا
ولم تزل معتكفًا على القبيح الشنِعِ

* * *

كم ليلةٍ أودعتَها مآثمًا أبدعتَها
لشهوة أطعتَها في مرقدٍ ومضجعِ

* * *

وكم خطًى حثثتها في خزيةٍ أحدثتها
وتوبةٍ نكثتها لملعبٍ ومرتَعِ

* * *

وكـــــم تجـــــرأتَ علـــــى ربِّ الســـــمٰوات العلـــــى
ولـــــم تراقبْـــــه ولا صـــــدقتَ فيمـــــا تـــــدّعي

ويكرر هذا البيت الأخير حتى يغلبه البكاء، ثم يخرج إلينا لصلاة الصبح.

وقد أخبرتني زوجته: أنه كان يجعل الثلث الأول من الليل للمطالعة، ويختمه بقراءة «دلائل الخيرات»، انتهى.



قلتُ: وكان صاحب الترجمة من أهل عين اليقين، العارفين بمراد الله، ينظر إلى الأشياء بعين البصيرة، سمعت منه كلمةً ثمينةً يوم وفاة والدتي، أنستني مصيبةَ الموت في تلك الساعة، وجعلتني لم أكترث بالموت فيما أقبل.

كنت جالسًا أمام والدتي بعد طلوع الشمس، فلم أشعر إلا بإفاضة روحها الزكية، من غير حركة ولا رفع صوتٍ. فاعتراني لذلك من الحزن وحرقة القلب على فراقها، ما جعلني أنتحب انتحاب الطفل الذي لا يعقل، فجلس صاحب الترجمة إلى جانبي، ووضع يده الكريمة على كتفي، وقال: يا ولدي، إن من دقايق صنع الله في هذا الكون، أنه لا يميت أحدًا من أهل الدنيا، إلا بعد أن ينتهي جميع ما كان بينه وبين أقاربه من الصفاء والوفاء، سواءً كان من جانبه أو من جانبهم، ولو أبقاه في الحياة لكان وبالًا عليهم، وهم كذلك. انظُر لو أبقوه بينهم لمدة ثلاثة أيام فقط، فإنهم يتضررون ببقائه، بسبب الروائح المنتنة، ويتعرضون لهتك حرمته، وإخراجه عن طور الإنسانية المكرمة، انتهى. فما تم كلامه حتى قمتُ لمباشرة التجهيز، وصار عندي موت الوالدة وحياتها في حد سواء.

ومن نظره بعين البصيرة، وحسن أدبه مع الله، ما حدثني به الحبيب حَسَنُ السيرة، منوّر البصيرة، عيدروس بن حسن بن محمد بن أحمد بن عيدروس بن عبدالله بن عيدروس بن عبد الله بن الحبيب القطب عبد الرحمن الجفري مولى العرشة، وليد تريس بحضرموت، ونزيل بتاوي (جاكرتا) بجاوة.

قال: إن الحبيب حسين بن علي، يعني صاحب الترجمة، دخل يومًا إلى زاوية، أي مسجد، بن حمزة، ببتاوي، وكان من عادته أنه كان يلقي بها درسًا مدة إقامته ببتاوي، فوجد فيها أُناسًا يتكلّمون في شؤون الدنيا مع رفع صوت. فقال لهم: يا إخواني، إن مثل هذا الكلام يهتك حرمة المسجد، ويذهب نور العبادة.

فقال أحدهم: إن الحبيب أحمد بن حمزة لم يقف هذه الزاوية، فلا بأس بالكلام فيها. فقال له الحبيب حسين: يا هذا، إن الحبيب أحمد لا يحب أن يكون هو المتسبب في الإثم، وإلا فلأماكن الصلاة حرمتها، حتى ثوبك لو فرشته للصلاة كانت له حرمة العبادة، من كل ما يليق بمناجاة الحق جَلَّ وَعَلَا، من الخشوع والإقبال على الله، مع الإعراض عن الدنيا وأهلها، انتهى. ثم قال الأخ عيدروس المذكور: سمعتُ بعض أهل النور يقول: من أراد أن ينظر إلى أهل «الرسالة القشيرية»، فلينظر إلى حسين بن علي العطاس، انتهى كلام الجفري.

[مقام رجال الرسالة القشيرية]

وعلى ذكر رجال «الرسالة القشيرية»، وما لهم من المزية، لا شك أنهم لو رأوا ثلاثةً من متأخري أبناء سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وهم: صاحب الترجمة، والحبيب عبدالله بن محمد بن عقيل، والحبيب عبدالمطلب بن محمد، الآتي ذكرهما قريبًا، لقالوا: هؤلاء منّا، فكيف تأخر زمانهم عنا!.

وقبل أن يقول لنا القارئ: ما وجه المناسبة بين الفريقين؟ نقول له قول الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المرء مع من أحب**». فإن هؤلاء الثلاثة في عصر واحد، وبلد واحد، وعلى خطة واحدة، عبادةً وعادة. ولهم اجتماعاتٌ خاصة ببلدنا حريضة، قد يصابون فيها بالذهول حول ذكر «الرسالة» ورجالها، ومن نحا نحوهم:

حيــاهم الله وحيّــا ذكــرهم في الــورَقْ

(قاموا على النفْس) ما قالوا تعذّر وشَقّ

رجَعْنا إلى ما للحبيب حسين من الكرامة، وأي كرامةٍ أعظمُ من الاستقامة، التي هي فطمُ النفس عن مألوفاتها، ويا لها من مرتبةٍ ليس فوقها إلا رتبةُ النبوة، وهي العصمة. ومن كرامة صاحب الترجمة على مولاه: أنه لما كان ببتاوي، جاء إليه صديقُه سالم بن محمد بن طالب الكثيري، أحد مثري الحضارم بجاوة، وكان يحب صاحب الترجمة، وله فيه اعتقاد تام. وقال له: إني أحبك تتعاطى أسباب التجارة، وسأساعدك على ذلك بكل ما في وسعي. وكلّف عليه أن يذهب معه إلى (التوكو)، أي المركز الأول لبيع بضائع التجارة، وكان رئيس التوكو من كبار الهولنديين، وبينه وبين سالم بن محمد المذكور صداقة، وحسن معاملة. فعرّف كلًا منهما بالآخر.

وقال للرئيس: كل ما طلبه هذا السيد من البضائع أرسلوه إليه على ضمانتي، فأنعم له الرئيس بذلك، وقذف الله في قلبه محبة صاحب الترجمة، فتعمد إطالة الحديث معهما، فلما نهضا للخروج من عنده، قال لسالم المذكور: أرجوك أن تطلب من هذا السيد أن يدعولي. فالتفت سالم إلى صاحب الترجمة، وأخبره بذلك، فرفع صاحب الترجمة يديه. وقال: اللهم اشرح صدره واهده للإسلام. وخرجا من عنده، فلم تمض عليه إلا أيام قليلة حتى أسلم، وحسُن إسلامه واشتهر، وذلك ببركة صاحب الترجمة

وصدقه مع الله، غير أنه لم يتعاط شيئًا من أسباب التجارة زهدًا منه.

فلما أعاد عليه الكرةَ سالم بن محمد المذكور في تعاطي الأسباب. قال له: إني قد اتّجرت، وربحت ربحًا لا مزيد عليه، يعني بذلك: إسلام هذا الرجل، انتهى.

على أنه قد تخرّج بصاحب الترجمة الكثير الطيب من طلبة العلم بجاوة وحضرموت، كما انتفع بدعوته الجم الغفير من العوام، على ذلك عاش، وعليه مات. ولم يختلف في قربه من ربّه اثنان، لا في حياته ولا بعد وفاته.

وكانت وفاته ظهر يوم الأربعاء، لأربعة عشر خلت من شعبان، سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية، وأنا بتاوي. فكتب إليَّ بذلك شقيقي صالح بن حسين، وكان أحد أوصياه، والمباشرين لخدمته في مرضه.

وممّا أخبرني به: أن صاحب الترجمة أوصى أن يدفن حالًا، ولا تؤجل جنازته، فحالًا غسلناه، وخرجنا به إلى مسجد الحبيب أبي بكر، في جمع محشود، قرب المغرب.

وبعد صلاة المغرب قرؤوا دعاء شعبان المعروف، وصلوا عليه، ثم صلوا العشاء، وخرجوا بالجنازة في هدوء وسكينة لم يعهد مثلها، حتى أصبح ذلك حديث المجلس، وكنّا قد استعدينا بمصابيح كافية، ولكن نور القمرين أنسى الناس ذكر الليل. ومما أوصى به، يعني صاحب الترجمة، أن يقرأ القرآن الحكيم في المنزل الذي توفي فيه، في الساعة التي فاضت روحه فيها، بمقدار ساعة فلكية، في مدة ثلاثة أيام فقط. كما أنه أوصى لكل مؤذن في مسجد ببلدنا حريضة بريال واحد.

وقد ذكر لي أخي أمورًا عجيبة، وأحوالًا غريبةً من هذا القبيل، انتهى.

[أبناء صاحب الترجمة]

قلتُ: وخلف صاحب الترجمة ابنين مباركين، محمد بن حسين، وعلي بن حسين، وَليدا حريضة، وأحسن تربيتهما، فقرآ عليه في مبادئ العلوم، وحفظا عليه بعض المتون، غير أنها لم تطل مدّة اعتكافهما بين يديه، لمفاجأة المنية له قبل بلوغ الأول سنّ الاستواء، والثاني سنّ الرجولة.

[ابنه: محمد بن حسين (1391هـ)]

وكان صاحب الترجمة قد رحل بابنه محمد المذكور إلى رباط تريم لطلب العلم، ثم سافر به معه إلى مكة في حجة وداعه، وتركه فيها لطلب العلم، فأدرك نصيبه من ذلك، علاوةً على ما فيه من الذّكاء، والتعلق بسيرة السلف. غير أن الأقدار ساقته إلى جاوة، وهو الآن (بِكَرّوِيْ) من جزيرة سُمَطْرا. وكانت وفاته بها في سبع وعشرين ذي الحجة، سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية، رحمه الله تعالى.

[ابنه الآخر: علي بن حسين]

كما أنّ علياً أصبح أحد المعلمين بمدرسة حريضة.

[ابن أخيه: محمد بن هادون العطاس]

ولصاحب الترجمة أيضًا ابنُ أخ شقيق، اسمه محمد بن هادون بن علي. وليد بتاوي، كان هو وشقيقتاه السببَ الوحيد في دخول صاحب الترجمة إلى جاوة، لإنقاذهم منها بعد وفاة والدهم، كما تقدم، وهم إذ ذاك في سن الصغر، نخرج بهم إلى حريضة، وزوّج البنتين بابني شقيقه سالم بن علي. وهما: محمد بن سالم، وعبدالله بن سالم، ببلد بضَة. وأرسل محمد بن هادون

إلى رباط سيوون لطلب العلم الشريف، فأقام بها مدةً، ثم عاد إلى مسقط رأسه بتاوي، وأصبح أحد المدرّسين بها بلغة الوطن، وعاد إلى حضرموت، [وكانت وفاته في سبع وعشرين ذي الحجة، سنة 1391هـ، رحمه الله تعالى][1].



[الحبيب عبدالله بن علوي بن حسن العطاس المتوفى سنة 1334هـ]

ومنهم الحبيب العابد الكريم، المجدد لذكريات حاتم، والموفق لعمارة مدارس العلم والمعالم، عبد الله بن علوي بن حسن بن علي بن أحمد بن صالح بن حسن بن عبدالله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد شربون بجاوة، وخريج حريضة ودفينها، رضي الله عنه.

نشأ طامح البصر إلى معالي الأمور، محقرًا على سفاسفها، مولعًا بإطعام الطعام، جسورًا على الكرم، من غير تفكير في حاجة اليوم ومؤنة الغد، مرتاحًا بمجالس العلم ورنات الأذكار. كان أخذُه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة أشياخه، فافتتح طلبه العلمي على والدي الحبيب حسين بن محمد العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، قرأ عليه «بداية الهداية» للغزالي، و«شرح الزبد» في الفقه، وحفظ عليه أكثر المتن، وقرأ عليه «الأجرومية» في النحو، وحضر عنده قراءة «الأحياء»، كما حدثني بذلك صاحب الترجمة. وقال: إن روحي سكنت إلى الحبيب حسين كثيرًا، لأنه أقرّني على كرمي مع قلة ذات اليد، وقال لي: يا ولدي كبِّر، أي بصيغة الأمر، المِفْتِل أو

(1) زيادة من هامش الأصل: الجزء الثاني، الصفحة 57.

صَغّره، وربك بايُسَبّره، أي يسهله. وربّما قال لي: على قدر أهل العزم تأتي العزائم، انتهى كلام صاحب الترجمة.

و«المِفْتِل» بكسر الميم والتاء، أي: المعيار الذي نصب فيه المدر، أي اللَّبِن.



ثم أخذ الحبيب عبدالله المذكور عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس المتقدّم ذكره في (هذا الباب)، وصار شيخَ فتحه. قال الشيخ العلاّمة الورع، محمد بن سالم بلخير، فيما جمعه من كلام الحبيب أحمد المنثور: «وكان سيدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقو: رأيتُ كأني مع صاحب الوقت بأرض الهند الشرقي، ورأيت زرعًا عظيمًا بناحية منه. وقال لي: هذا الزرْع حقك. فتعجبت من ذلك، ثم أولت ذلك بما حصَل من النفع في تلك الجهات على يد الولد عبدالله بن علوي بن حسن العطاس. ولما طبع الولد عبدالله المذكور كتابه «ظهور الحقائق»، تراءى لي وأنا بين الغرفة وسيوون: أني سمعت هاتفًا يثني على ذلك الكتاب ويمدحه، انتهى ما حكاه بلخير عن الحبيب أحمد.

قلتُ: ومما شاع ببلدنا حريضة عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدّم ذكره في (الباب الخامس): أنه كان يقول سيكون مظهرٌ عظيم بأرض الهند، لأحد من أبناء سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، فلما ظهر شأن صاحب الترجمة بتلك الجهة، عرف الناسُ أنه هو المعنيّ بقول الحبيب أبي بكر.



وأخذ صاحب الترجمة أيضًا عن الحبيبين محمد وعمر ابني صاحب المناقب، وكان من المساعدين في مقام صاحب المناقب بحاله وماله.

وأخذ أخذًا تامًا عن الحبيب حسين بن علي العطاس، الآنف الذكر، قراءة وسماعًا عليه، وكان جلّ انتفاعه به في تحقيق العلوم، ولم يذعن لأحد من أقرانه غير الحبيب حسين المذكور، بل كان يجله، ويقول له: أنت شيخنا وبركتنا. كما أنه قد أخذ عن الحبيب عمر بن هادون العطّاس، المتقدّم ذكره في (الباب الخامس)، ولبِس منه، وروى عنه. وأخذ عن الحبيب محسن بن عمر العطّاس نزيل برُودَه بأرض الهند.



وفوق هذا كله، أن الحبيب أبابكر بن عبدالله العطاس المذكور هو أوَّل من نوَّه بشأن صاحب الترجمة، بأوضح مما تقدّم هنا.

ولا أظنّ أن القارئ قد نسي ما مرّ به في ترجمة الحبيب أبي بكر المذكور، من (الباب الخامس)، من رواية الحبيب زين بن محمد العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، حيث يقول: كان بعض السادة آل عطّاس يسمرون عند جدي عبدالله في بعض الليالي، بمناسبة زواج لأحدهم عندنا، فلم نشعر إلا بالحبيب أبي بكر ينادي جدي عبدالله من تحت الدار، فخرج إليه جدي عبدالله، وذهب معه في تلك الساعة، وكانت ليلة مقمرة، ثم رجعا بعد حين. فلما قربا من دارنا، عرض جدي على الحبيب أبي بكر حضور السمر، فاعتذر ورجع إلى داره، ودخل جدي علينا ونحن مستمرون في مجلسنا وحديثنا. فسأله بعض الحاضرين عن مجيء الحبيب أبي بكر إليه في ذلك الوقت؟ فقال: إنه عزم على حفر بئر ليستقي الناس منها، وقصده مني أن أحوِّط، بتشديد الواو، له المكان، وأرتب الفاتحة على ما نواه. فذهبتُ به إلى شرقي البلد، وأشرت إلى مكان لم تكن فه بئر، فقال: إن هذا المكان يحتاج إلى بئر، ولكن عاد صاحبها إلا مقبل، أي سيأتي قريبًا، انتهى.

ثم قال الحبيب زين: والمكان الذي امتنع منه الحبيب أبوبكر، ونوّه بشأن صاحبه، هو الذي حفر الولد عبدالله بن علوي بن حسن فيه بئره، وبنى به مسجده. ومن عجيب الاتفاق: أن الولد عبدالله بن علوي لما أراد أن يحفر تلك البئر، استشارني في ذلك المكان، فوافقته على ذلك، وبشرته ببشارة الحبيب أبي بكر له، انتهى كلام الحبيب زين.

وأخذ صاحب الترجمة عن شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وعن الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد بمكة، حينما أدى حجة الإسلام، وحظي بزيارة سيد الأنام، ثم اتسعت معارفه، ومالت به إلى نشر الدّعوة العامة إلى الله، تارةً بحِلَق الذكر، وأخرى بتدريس العلوم النافعة، وعلى رأس أيام الأسبوع يوم الجمعة يفرّغه للصلاة على سيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أنه يقرأ في ليلتها قصة المولد النبوي بعد صلاة العشاء في جمع مشهود، حيثما حلّ وارتحلَ، حضرًا وسفرًا. حتى أنه قد أسّس ذلك في معاهده العلمية، وبين مريديه، إلى ما شاء الله.

[قصة دخوله أرض الهند للدعوة الى الله]

وكان أوّلُ سفره إلى الهند، سنة أربع وثلاثمائة والف هجرية، ودخل مدينة كلكتّا عاصمة بنقاله، داعيًا إلى الله، فتسربت دعوتُه إلى قلوب زعماء المسلمين وأغنيائهم فيها، فنشر بها الطريقة العطاسية العلوية، وأقبل الناس عليه أفواجًا.

وبنى بها زاويته المشهورة المسماة (غنيمة)، خارج البلد، فانهالت عليه الهدايا والنذور، حتى أصبحت تقدر بمئات ألوفٍ، من بين ثابت ومنقول، غير أنها لم تلفت نظره عمّا جاء من أجله، بل جمع خواص مريديه من أهل تلك البلد، وقال لهم: أقيموا

إدارةً لهذا المال، تتكون من أمين صندوق، ومساعدين له في ذلك، واعمروا الزاويةَ أولًا بالأثاث والفراش، وإطعام الطعام.

ثم كَبُر المقام وتعددت الزوايا، حتى وصلت دعوته إلى (بُرْمَا) وبنى زاويته المسماة بشير الخير بعاصمتها (رَنقُون)، وكثر فيها مريدوه.



[نموذج لحسن أسلوبه في الدعوة]

ومن حسن أسلوبه في الدعوة إلى الله على بصيرة، ما اشتهر عنه: أنه لما كان يتردد إليها، رأى كثيرًا من مسلمي (الميْمَن) و(السُّرّت)، بضم السين وفتح الراء المشددة، الذين تعلموا في أوروبا، ولبسوا البرنيطة، لا يحضرون الجمعة!.

فاستدعى نفرًا من شخصياتهم البارزة، وذكّرهم بوجوب الجمعة عليهم، وأنها فرضُ عينٍ لا رخصةَ لأحدٍ في تركها. فقالوا له: نحن لا نجهل ذلك، ولكن إخواننا الذين ما تعلموا مثلنا، هم الذين تسبّبوا في منعنا من ذلك، فإذا جاء أحدنا إلى مسجد الجامع، أغروا به الأولاد الصغار، يصيحون خلفه: «يا كافر، يا كافر»، وربما رموه بحبّات الباذنجان، ليكدروا ملابسَه، فتركنا الجمعة من أجل ذلك، وصرنا نصليها ظهرًا في بيوتنا بعذْرِ هذه العراقيل، ونحن لا نستعمل هذه الملابس إلا بمناسبة أنّا موظفون في شركة (شِيْل كمفني)، من مناجم البترول.

فقال لهم: لا بأس عليكم، وهل تحبون الآن أن تسيروا معي يوم الجمعة إلى المسجد، ولا يتعرض لكم أحد بسوء؟ قالوا: حبًا وكرامة.

فلما جاء يوم الجمعة، وقرب وقت الصلاة، رجعوا من وظائفهم إلى بيت الحبيب عبدالله، وسار بهم إلى المسجد، وبما أنه كان مهابًا ومعتقدًا، لم يتعرض أحد لهؤلاء

الجماعة بأدنى شيء، كما أن الرأي العام لم ينكر على الحبيب عبدالله في فعله هذا، واستمر الحال على ذلك ثلاث جمع. وكان من عادة (قفرنور)[1] تلك الجهة، أي حاكم مقاطعة رنقون، وذلك وقت استعمار الإنقريز للهند، أنه يزور الحبيب عبد الله أحيانًا، فأرسل إلى الحبيب عبدالله رسولًا يستأذنه في زيارته، ويعيّن له اليوم والساعة. فأجابه الحبيب عبدالله إلى ذلك.

وطلب الحبيب عبدالله أُناسًا من المتعلمين المذكورين أن يحضروا عنده حينما يأتي إليه (القفرنور)، فحضروا فلما أقبل عليهم (القفرنور) بهيئته الرّسمية، في عربته التي تجرها ستة من الخيول الجياد، قام له الحاضرون جميعهم، وكل من كان على رأسه برنيطة نزعها من على رأسه، ووضعها في إبطه، وطأطأ رأسه قليلا، فجلس (القفرنور) إلى جانب الحبيب عبدالله وتحادث معه، وأديرت كؤوس الشاي والحلويّات، واستأذن من الحبيب عبدالله ورجع إلى مكانه، فقال الحبيب عبدالله لأهل البرانيط: لِمَ نزعتم برانيطكم ساعة قدوم (القفرنور) علينا؟ قالوا: إنه رجل كبير، يمثل ملك الإنقريز، فيجب تكريمه. فقال لهم الحبيب عبدالله: حق ما قلتم، ولكن من هو أحق بالتعظيم الحقيقي، ربّ العزة وبيتُه، يعني المسجد، أم هذا الإنسان؟ فقالوا: لا بل ربّ العزّة وبيتُه أحقّ بذلك من الناس أجمعين، ولكن يا مولانا، ما قالوا لنا إلا ما قد أخبرناكم به من الاستهزاء والسّخرية، والآن عرفنا خطأنا بحكمتكم البالغة، وحجّتكم الدامغة.

وصاروا من ذلك الحين يستعدون ليوم الجمعة بالأزر والكوافي في حفائظ أوراقهم، ولم يتركوا صلاة الجمعة أصلًا، كما أن ذلك صار من أقوى الروابط بينهم وبين بقية إخوانهم المسلمين.

---

(1) كلمة انجليزية Governor، أي: المحافظ، أو حاكم المقاطعة.

قلتُ: فانظر رحمك الله إلى هذا الأسلوب الحكيم، الذي خصّ الله به هذا السيّد العظيم، فاستطاع أن يصلح بين العبيد ومولاهم، وبينهم وبين إخوانهم من المسلمين في آن واحد، وما ذاك إلا ببركة إخلاصه لمولاه، في دعوة الخلق إلى الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾.



[صرفيات المترجم في بلده حريضة]

رجعنا من أسلوبه الحكيم، إلى سيره المستقيم. فلما استغنت الزوايا وفاض المال، أخبروه بذلك، فقال لهم: مرادي الآن أستشيركم، هل يمكن أن نصرف شيئًا من هذه الأموال على المحتاجين ببلدي حريضة، حوطة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وأن أبني بها مسجدًا ومدارس علمية؟ فقالوا له: ذلك ما كنا نريد، والأمر منك وإليك في ذلك.

فأخذوا يرسلون من ذلك أشياء كبيرة إلى بندر المكلا، من الأرز، والثياب، والدخون، أي عود البخور، وأنواع الطيب، والحلويات، والفراش، والنحاس، والكتب وغير ذلك، حتى حجر المرمر لفرش قاعة المسجد، وهذا كله غير الربيات النقدية، إلى عند وكيل صاحب الترجمة، وأحد مريديه ومحبيه بالمكلا، محمد بن عمر باذيب، الآتي ذكره في ترجمة الحبيب جعفر بن محمد العطاس نزيل بضة، وباذيب يرسلها إلى حريضة باسم صاحب الترجمة، أو من يقوم مقامه إذا كان غائبًا.

فتؤخذ من ذلك كفاية المطبخ، لإطعام الطعام الذي رتبه صاحب الترجمة لزائريه وغيرهم، وتدفع أجرة العمال والموظفين في المسجد وغيره، ثم يوزع الباقي على المستحقين. ويدخل في ذلك مقام الحبيب عمر بحريضة، ومقام الحبيب علي بن حسن بالمشهد، ومقام صاحب المناقب بعمْد.

وفي شهر رمضان تتضاعف نفقات المطبخ المذكور، لأن في كل ليلة منه يدعونَ جماعة من أهل البلد لتناول طعام العشاء في بيت صاحب الترجمة، والإفطار في مسجد باعلوي، وينتهي رمضان باستكمال تفطير أهل البلد.



[كثرة نفقاته واقتراضه بعد نفادها]

ولا عيب في صاحب الترجمة، إلا أنه قد يكون حظه هو وأولاده من هذه الأموال التي ترد إلى حريضة أقلّ من واحد من سكان البلد، حتى إنه في بعض الأوقات لا يمضي عليه إلا نحو الشهر وقد ابتدأ يقترض من الغير، وربما احتاج إلى شراء ثوب له أو لبعض أهل داره. وكان يقول لأهل داره: إني لا أستريح إلا بعد تفرقة هذه الأشياء على مستحقيها. وله في ذلك نوادر جمة.

منها ما أخبرني به أخي طالب بن حسين، وكان متزوجًا بأخت صاحب الترجمة، قال: صادف مرةً رجوعي من جاوة إلى بندر المكلا، رجوع الأخ عبدالله بن علوي من الهند، وخرجنا إلى بلدنا حريضة، ومعه مائة كيس، أي جُونيّة، من الأرز، ومعي أنا أربعة أكياس، فلم يمض علينا إلا نحو الشهرين، حتى أرسل لي الأخ عبدالله أحد أخدامه يطلب مني نصف كيس على سبيل القرضة، بمناسبة قدوم أضياف عليه بعد المغرب، ولم يكن في داره ما يكفي لعشائهم! فأعطيته ذلك، انتهى كلام أخي.

وحدثني الشيخ الأديب أبوبكر باجعفر، كاتب صاحب الترجمة الخاصّ، اتصل به في الهند، وصحبه وتوفي بحريضة، وهو من أهل تهامة اليمن. قال: كنت أتعهد ثياب الحبيب الخاصة باستعماله، وكان فيها عدد من الشالات، أي: الأردية المعمولة من الصفوف، وأنواع الجُبَب الثمينة، التي تعمل بخصوصه.

فلما وصلنا حريضة في أول خروجي معه إليها، دخلت بعض الأيام إلى غرفته الخاصة، ونشرت تلك الثياب للهواء، خوفًا عليها من الدود. فلما رجعت في اليوم الرابع لأطويها، وأعيدها إلى صناديقها، لم أجد شيئًا منها! فسألت الحبيب عن ذلك، فقال لي: قد طويناها ووضعناها في صندوق لا يتطرق إليه البِلى، فلا تهتمّ بها بعد اليوم. فلما خرجتُ من عنده، قال لي بعض خدمه: إنه كلما دخل عليه أحد من المحتاجين أعطاه ثوبًا منها، حتى أتمّها. فلما كان يوم الجمعة أعطى خادمه رداءَه ليغسله، فأبطأ عليه الخادم، وخاف الحبيب أن تفوته صلاة الجمعة، فأرسل إليَّ يستعير رداءً مني، حتى يرجع من صلاة الجمعة، انتهى كلام باجعفر.

قلتُ: وأكثر ما يُرى صاحب الترجمة في قميصٍ ملوث بالدهن، لكثرة استعماله الدهن في بدنه ليلًا، والطيب المايع نهارًا، وربما كان ذلك القميص مشقوقًا، كما أنه يتعمم بردائه، ويتنجّد بسُبحته الطويلة من الكهْرب.

[تأدبه مع العامة بعدم كسر قلوبهم]

ومن شريف أخلاقه، وحسن أدبه مع إخوانه وجيرانه: أنه كان يتحاشَا ان يبتدعَ شيئًا من الاستعمالات التي لم يُعهد مثلها في بلده حريضة، خوفًا من كسر قلوب المساكين، مع كثرة ما يعرضونه عليه أهل الهند من الأشياء المزخرفة. بل كان كثيرًا ما يأمرهم بإخراج بعض الأشياء بعد أن وضعوها في الصناديق لقصد الإرسال، ويقول لهم: إن مثل هذه الأشياء تضُر أهل حضرموت ولا تنفعهم، لكون بلدهم حقيرة.

حدثني خالي الحبيب حسين بن علي العطاس، الآنف الذكر، قال: لما ظهرت المسُوح، أي: ثياب النساء من الحرير الأطلس، بأسفل حضرموت. بلغ ذلك الأخ

عبدالله بن علوي وهو بالهند، فلما أراد الرجوع إلى بلده، أمر مريديه أن يأخذوا منها كميةً باسم هدية الوصول، فأخذوا له صندوقين، واحدًا من اللون الأخضر، والثاني من الأحمر، فلمّا وصل إلى حريضة، سأل بناته عن وجود هذه الثياب بحريضة؟ فقلن له: إنّ هذه الثياب لم تعرف عندنا إلى الآن. فأمر حالًا بإرجاع الصندوقين إلى المكلا، وأمر أن تبقى عند وكيله باذيب.

ثم سافر الأخ عبدالله إلى الهند كعادته، ورجع، فصادف أناسًا من إخواننا السادة آل عطاس بالمكلا، عائدين من جاوة إلى حريضة، وفيهم المثري والمتوسط، وكانوا يجتمعون عنده في داره التي بناها بالمكلا، فانجرّ بهم الكلام في بعض الأيام إلى أن أحد المثرين جاء معه بِطَاقتين من المسْح، ليهديها لزوجته وبناته، فنصحه الأخ عبدالله وقال له: إن هذا الشيء لم يعرف في بلدنا إلى الآن، والأولى أن لا تظهره لئلا تنكسر قلوب بقية النساء، ويسخطن ذوات الأزواج على أزواجهن.

فأظهر الامتثال للأخ عبدالله، فلما خرج من عنده، قال: ما أتعبنا أنفسنا في الأسفار إلا لتفريح أهلنا وأولادنا، ومن لا قدر على شيء من ذلك لعاد يجيب الأعذار الباردة. وبلغ الأخ عبدالله كلامه، فأمر الأخ عبدالله وكيله بإعادة الصندوقين إلى حريضة معه. فلما وصلوا حريضة، أمر الأخ عبدالله أن تقسّم الصندوقين كلها على بنات المقلين من السادة آل عطاس. فكان ذلك درسًا كاملًا، وتأديبًا شافيًا للمتسرّعين في مثل هذه الأشياء، انتهى كلام الحبيب حسين.



[من تأديبه لأهل حريضة]

قلتُ: ومن تأديبات صاحب الترجمة لأهل بلدنا حريضة، أنه إذا كانت عنده وليمة، يخبر المدعوين بالوقت الذي يريد حضورهم فيه، ثم يأمر أخدامه بتقفيل

الأبواب على رأس ساعة الموعد، وتقديم الطعام لمن حضر، وتفرقة الباقي على الفقراء، من غير اكتراث بمن تأخر، كائنًا من كانَ، اللهم إلا الغرباء، فإنه يزيد لهم في الوقت ربع ساعة لا غير. فترى أهل حريضة يوم دعوته، يتسارعون إلى بيته نساءً ورجالًا، كأنهم يريدون السفر في القطار السّريع، الذي لا يتأخر عن وقته المعلوم.

أما غيره من بقية أهل البلد، فيظل نهاره يوم يدعو الناس إلى وليمته يتطلع من النوافذ، ويسأل: هل جاء فلان؟ وهل دعوتم فلانة؟ حتى ينقلب الفرح بضده.

كما أن صاحب الترجمة قد أنصفَ الناس من نفسه، فيكون هو أول داخل على من دعاه، لأي أمر كانَ.



[تأدبه مع والده وخضوعه له]

وكان عزيز النفس من غير كبر، ولا عُجبٍ بما يجريه الله على يديه من الخير، اللهم إلاّ والده الحبيب علوي، المتقدّم ذكره في هذا الباب، فقد كان يخضع له خضوع تذلّل وإكبار، كما أنه كان مبالغًا في برّه، وله مع والده في ذلك نوادر.

منها ما حدثتني بها بنت صاحب الترجمة، الشريفة الصالحة خديجة، وهي خالتي، تزوّجت بينتها من الحبيب سالم بن أحمد بن حسن العطاس، كما تقدم ذلك في ترجمة الحبيب أحمد بن حسن. قالت: إن جدي علوي، احتاج مرةً إلى عشرة ريال، غير نفقة الكفاية الراتبة، فجاء إلى والدي، وطلبها منه، فقام والدي وعدّ له العشرة، وأعطاه مائتين أخرى، وقال: وهذه خلها تحت يدك، إذا احتجت لشيء نخذه منها، وإذا نقصت أخبرني، وسوف أجبر ذلك النقص. ففرح بذلك جدي، ودعا لوالدي، ورجع إلى داره.

فلما كان بعد ثلاثة أيام، جاءنا جدي في غير وقته المعتاد، كالمنزعج، وسألنا عن والدي، فقلنا له: رقد القيلولة كعادته. قالت: وكان والدي يغضب أشد الغضب على من

أيقظه من نومة القيلولة، مهما اقتضى الحال ذلك. فقال جدي: أيقظوه. قلنا: لا نقدر على ذلك. فقام جدي كالمغاضب لنا، ودقّ الباب على والدي دقًا مزعجًا، فخرج والدي من الغرفة متغضباً، فلما رأى والده طأطأ رأسه، وقال: عسى أن يكون مجيئكم في هذه الساعة من غير بأس يا والد. فقال: إني اشتريت الآن شاة بستة ريال، فنقصت المائتين، وأريدك الآن تكملها كما وعدتني بذلك. فقام والدي وهو يضحك، وأتى بمائتين أخرى. وقال لجدي: وهذه اجعلها في محل آخر، فإذا نقصت الأولى، اجبرها من هذه. فسُرَّ بذلك سرورًا كثيرًا، وخرج وهو يدعو لوالدي برفع صوت، نسمعه من الدرج. وجلس والدي كالمهموم، وهو يقول: أنا الذي تسببت لخروج والدي من بيته في هذه الهاجرة! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قلتُ: وكذلك كان حاله مع البُله، بضم الباء، الذين لا يفهمون شيئًا عن تطوّرات العالم، فإنه يتنزل معهم إلى درجة المزح الشرعي.



[مزاحه مع الحبيب عبدالله بن صالح العطاس]

ومن بينهم الحبيب المعمر، نديم السبحة، وحليف الجلالة، عبدالله بن صالح بن عبدالله بن محسن بن سالم بن عبدالله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، ولم يعرف سواها من بلاد الله.

كان صاحب الترجمة يحبه ويعتقد فيه، ويمزح معه مشافهةً ومكاتبة، ويتبادل معه كلامًا عاميًا، كأنه أشعار. وإذا ضاق صاحب الترجمة من الزمان وأهله، استدعى الحبيب عبدالله بن صالح إلى مجلسه الخاص، وأخذا يتناوشان بكلمات عادية، يظنها الحبيب عبدالله بن صالح المنتهى في الشدة والحماسة.

قلتُ: وكأن روح الحبيب عبد الله بن صالح البعيدة عن هذا العالم الكثيف، تذهب بروح صاحب الترجمة معها إلى فضاء واسع من عالم الأرواح التي لم تتدنس بالدنيا وأهلها، فتعود روح صاحب الترجمة إلى وظائفها بنشاط جديد.

ومن الدلائل على عزوب الحبيب عبدالله بن صالح عن الكون، وما يجري فيه: أن صاحب الترجمة أرسل له مرةً ملفة من الهند، حشاها من الثياب والعطر، أي الطيب والدخون والرّبيات، وطرح فيها قصعة، أي: حُقًّا فيه صورة أفعى، من الصور الحديثة المكوّنة من الأسلاك المضطربة، فلما فتح الحبيب عبدالله الحُقّ اندلقت تلك الصورة، وأخذت تضطرب على الأرض، فصاح الحبيب عبدالله بأعلى صوته: الحنش الحنَش! فأسرع إليه جارُه الحبيب عمر بن محمد العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، فلما دخل عليه الحبيب عمر، قال له: أين الحنش؟ قال: هذه، أرسلها لنا المولَّد، أي: بفتح اللام المشددةن يعني صاحب الترجمة، من الهند.

فضحك الحبيب عمر، وقال له: هل يدخل في العقل أن الحنش تبقى أيامًا عديدة من غير أكل ولا شرب وهي مقطوعة النفس أيضًا. فسكّن روع الحبيب عبدالله، وقال له: خذها معك، فإني قد تخوّفت منها.

وكان الحبيب عبدالله بن صالح لا يترك زيارة قبة سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس يوميًا، وإذا قرأ ما تيسّر من القرآن، أخذ يخاطب الحبيب عمر بكلام عادي، وربما حكى له بعض القصص الواقعة في البلد، كالمستنجد به، ولم ينكر أحد من أهل العلم على الحبيب عبدالله المذكور ما يخاطب به الحبيب عمر، بل يوصونه بالدعاء لهم ولأولادهم.

وكنتُ أنا بحمد الله أتعرض لدعوات هذا الحبيب في الطرقات والمجامع، وأزوره إلى بيته، وربما لقيته حالَ رجوعه من قبة الحبيب عمر، فيخبرني بزيارته، وما قاله

للحبيب عمر، وما يرجوه من هذه الزيارة، فيكون الأمر كما قال، بإذن محول الأحوال، وجاه أوليائه الذين تجلى عليهم بأسماء الجمال، وصرّح في كتابه العزيز ببشارتهم في الحياة الدنيا وفي المآل، انتهى.



رجعنا إلى خصوصيات صاحب الترجمة، وشمائله المنظمة.

منها أنه كان وثيق الاعتماد بحديث سيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في قوله: «**لا عدْوَى ولا طِيرةَ ولا هامةَ ولا صَفر**»[1]، فكان يأكل مع أهل العاهات في إناءٍ واحد، ويجلس معهم على فراش واحد. وكان الشيخ عفيف بن عبدالله بن عفيف يتردد على صاحب الترجمة، وقد استفحل به داء البرص، فكان بعض الناس يصدّون عن قربه في المجلس، وكان صاحب الترجمة يجلسه في جانبه، وإذا صافحه يمسك يده صاحب الترجمة بضع دقائق، وهو يسأله، ثم يرسلها. وأغرب من هذا: أنه يأكل معه في إناء واحد، ويتجاذب معه قِطَعَ اللّحم، وإذا غسل كل منهما يديه، يؤثره صاحب الترجمة بالمنشفة، ثم ينشف بها يديه بعد الشيخ عفيف، والناس يتعجبون من ذلك، وربما عدّها بعض الأغبياء من غلطات صاحب الترجمة.

وقد أخبرني من أثق به: أن صاحب الترجمة كان يصافح المجذوم، ويسأله عن حاجته إذا كان فقيرًا، ويناوله ذلك إلى يده، انتهى.



(1) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[الشيخ عفيف بن عبدالله بن عفيف]

قلتُ: والشيخ عفيف المذكور، هو وليد الهجرين ودفينها، فطره الله على الذكاء وبلاغة الألفاظ في الكلام، حتى صار ذلك عادةً له، ثم تفقه على قاضي بلده الحبيب العلاّمة عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي الكاف، وليد الهجرين، ودفينها في شهر ربيع الأول سنة تسعة عشر وثلاثمائة وألف هجريّة، وسافر إلى الحرمين، وأقام بها مدة على طلب العلم، وعاد إلى بلده، وتولّى بها القضاء في مدة غيبة قاضيها الحبيب أحمد بن حسن بن علي بن محمد بن علي الكاف، وليد الهجرين ودفينها، وتردد إلى حريضة، وأخذ بها عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس، ثم أخذ عن صاحب الترجمة وانتسب إليه، وصنف في مناقبه رسالة سماها «الفيروزج النفيس في مناقب الإمام المغناطيس».



ومن لطافة الشيخ عفيف، وذوقه اللطيف: أن صاحب الترجمة أمره في بعض الأيام أن ينصح سعيد بن عبدالله بن تميم، مؤذن مسجد باعلوي، الذي بناه صاحب الترجمة بحريضة، بأن لا يتساهل في ضبط الأوقات. فأجابه الشيخ عفيف حالًا على البديهة، وقال: يا مولانا، إن مروءتي تمنعني عن مخاطبة هذا الإنسان، لأن الله تعالى يقول لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصف بني تميم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾. فضحك الحاضرون، وتعجبوا من سرعة إدراكه للجواب، والتخلص من الأمر بنصّ الكتاب، انتهى.

قلتُ: وكان سعيد بن تميم المذكور، قد قتل مملوكًا للدّولة القعيطية ببندر المكلا، ثم هرب إلى حريضة، والتجأ إلى صاحب الترجمة، فتركته الدولة إجلالًا لصاحب الترجمة، فجعله مؤذنًا في المسجد المذكور.

رجعنا إلى استشهاد الشيخ عفيف، ومدركه المنيف، قال العلامة المفسر علي بن محمد بن إبراهيم الخازن في تفسيره «لباب التأويل في معاني التنزيل» ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝﴾، نزلت في بني العنبر، وصفهم بالجهل وقلة العقل. وقيل: نزلت في أناس من أعراب بني تميم، وكان فيهم الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، والزبرقان بن بدر، فنادوا على الباب. ويروى ذلك عن جابر، قال: جاءت بنو تميم، فنادوا على الباب، فقالوا: يا محمد اخرج إلينا، فإن مدْحَنا زينٌ، وذمنا شَين! فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: «إنّما ذلك الله الذي مدحه زَينٌ وذمه شين». قالوا: نحن ناس من بني تميم، جئنا بشاعرنا وخطيبنا، جئنا نشاعرك ونفاخرك! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثابت بن قيس بن شمّاس، وكان خطيب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قم فأجبه**». فقام فأجابه، وقام شاعرهم فذكر أبياتًا، فقال: فذكر أبياتًا، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحسان بن ثابت: «**أجبه**»، فأجابه.

فقام الأقرع بن حابس فقال: إن محمدًا لمؤتى له، تكلّم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولًا، وتكلّم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعراً وقولًا، ثم دنا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يضرّك ما كان قبل هذا**»، انتهى الدليل من «لباب التأويل».



[الكلام على حديث العدوى]

رجعنا إلى السبب الذي جاء بنا إلى ذكر الشيخ عفيف، وهو الحديث الشريف، أعني قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عَدْوَى ولا طيرةَ ولا هامةَ ولا صفَر**»، أي: يحرم على المسلم أن يعتقد في هذه الأشياء، كاعتقاد الجاهلية، وهي أنها تؤثر بنفسها، أي: أن المريض يعدي الصحيحَ. **والطير** إذا زجرها الإنسان وذهبت ذات اليمين ذهب لحاجته وقضيت، وإن

ذهبت ذات الشمال تشائمَ وترك حاجته. وأن **الهامة**، أي طير البومة الذي يصيح بالليل، يتسبب عنه موتُ أحد. وأن **شهر صفر** تكثر فيه المصائب، فلا يعقدون فيه نكاحًا، ويتجنّبون فيه معاطاة الأسباب، وكذا على القول بأن الصفَر: حيةٌ في البطن تلدغ الإنسان إذا جاع، ولذلك أعقب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث المتقدم بقوله: «**اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طيرَ إلا طيرُكَ، ولا إله غيرُكَ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله**»[1]، وبهذا الحديث انتهى كل شيء. وأمّا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فرَّ من المجذُوم فرارَك من الأسَد**»[2]، فإنه لما عرف أن المخاطب يعتقد أن المرض في الغالب يعدي بقدرة الله.

وإذا رجعنا إلى تقرير أشياخنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعنا بهم، في هذه المسائل، وجدناه هو القول الفصل. فإنهم يقولون: إن الإنسان إذا كان يعتقد أن هذه الأشياء تؤثر بقدرة الله، عند ملابسة الإنسان لها، فليقف عند قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فِرَّ من المجْذُوم**»، إلى آخره. وإن كان يعتقد أنها لا دخل لها في ذلك، وإنما التأثير الحقيقي هو تأثير القدرة فقط، فليتمشّ مع قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم لا خيرَ إلا خيرُك**»، إلى آخره، كصاحب الترجمة.

ثم يستشهدون لذلك بقول سيدنا عبدالله الحداد، ميزان الحقيقة والشريعة للمريد والمراد:

وإن تجــردت فاعمــل بــاليقين وَبِالْـ ... ـعِلْمِ إذا كنــت موقوفًــا مــع الســبب

[قصة المولد الذي أقامه المترجم في المكلا]

ولنجذب عنان القلم، من الاسترسال في الكلام، مع المناسبة إلى شمايل صاحب الترجمة، المتناسبة ونفسياته الأريحية، التي أنْسَت أهل عصره المكارم الحاتميّة.

ومن علوّ همة صاحب الترجمة، وقوة عزيمته: ما رأيته بعيني، وسمعته بأذني في بندر المكلا، حالَ وصولي إليه من الحرمين الشريفين، عائدًا إلى بلدي حريضة، وكان

(1) رواه أحمد والبزار من حديث بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(2) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

صاحب الترجمة في ذلك الحين بالمكلا أيضًا، راجعًا من الهند في سفره الأخير إلى حريضة، وكنت أحضر عنده الرّوحة العصريّة، في بيته الفخم الذي بناه بالمكلا، قريبًا من مسجده المعروف بمسجد ابن علوي، وأقرأ عليه كتابه «سبيل المهتدين في ذكر أدعية أصحاب اليمين» الذي جمعَه، وذلك بمناسبة تمام طبعه.

وكان السلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي، ووزيره الحبيب حسين بن حامد المحضار، قد يحضُران تلك الروحة، فصادف حضورهما في بعض الأيام عشية اليوم الحادي عشر من ربيع الأول وجرى الكلام في ذكر عيد الميلاد النبويّ، وأنها في الغَد، أي اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور. فقال السلطان غالب: إنا قد ذهلنا عن ذلك، ولم نستعد لقراءة قصة المولد في جمع كبير، ولكن لا بأس، ونطلب الآن من فضلكم يا حبيب عبدالله أن تشرفونا بكرة إلى الباغ، أي القصر السلطاني، أنتم ومن معكم، لبركة قراءة قصة المولد الشريف، وتناول طعام الغداء.

فقال صاحب الترجمة: الأَولى أن يكون عندنا هنا، وسنجعله لعموم الناس، والتفت حالًا إلى هادي بن حيمد بن سعيد، من أهل بلدنا حريضة، وكان حاضرًا في المجلس، وقد اشتهر بفصاحة الألفاظ، وجودة الصوت في النداءات العامة. وقال: قم ناد في الناس لحضور بركة المولد والغداء بكرة عندنا، ويكون ذلك بعد طلوع الشمس حالًا، لئلا يتأذى الناس بحَرّ الشمس، وعمم الدعوة لأهل البندر، والنازلين من البحر، والداخلين من البر، وعلى رجوعك ائتنا بجميع الذبّاحين والطباخين والمعاونين لهم، وكانوا يفرحون بخدمة صاحب الترجمة، لأنه يجمع لهم بين مضاعفات الأجرَة وصالح الدعاء.

ثم التفت إلى وكيله محمد بن عمر باذيب، وكان حاضرًا وقال له: قم الآن، ومن تستعين به إلى السوق، واشتروا غنمًا كافية لغداء الناس الجميع.

وعاد صاحب الترجمة إلى القراءة والمذاكرة في الروحة كعادته، كأنه لم يقل شيئًا،

وبهت السلطان والوزير من هذا الأمر، وانتهت الروحة، ورجع الناس إلى بيوتهم، وهم بين مصدق ومكذب، وتخلف بعض الناس، وقالوا لصاحب الترجمة: إنا نحب أن نجلس عندكم لأجل المساعدة. فقال لهم: إن أحببتم التفرج والسمر فأهلاً بكم، وإلا فجزاكم الله خيراً، وفي المباشرين المعتادين كفاية.



فلما صلينا المغرب، رجع باذيب من السوق، وقال: إنا وصلنا إلى السوق ولم نجد فيه إلا الشيء اليسير من الغنم البلدي، فلكناه، وبقينا في حيرة، فبينما نحن كذلك إذا نحن بالناس يتخابرون أنها الآن وصلت ساعية، أي سفينة شراعية، شاحنةً بَرابِر، يعني نوعًا من الكباش الكبيرة التي ترد من برأغْجم، أي إفريقية الشرقية، فذهبنا إلى المرسَى، وملكنا جميع ما فيها، ويقدر نحو سبعين كبشًا، وسنذبح منها بقدر الحاجة، والمتبقي منها سوف نبيعه في السوق.

ثم استدعى باذيب رئيس الطباخين، وسلمه مفتاح المربعة، أي الغرفة التي فيها رصّات الأكياس، من الأرز. وأعطاه مفتاح الأخرى، التي فيها القدور الكبار والجفان وغيرهما من الماعون. واجتمع القائمون بهذه الخدمة، ووزعت الوظائف بين أهلها، وأوقدت المصابيح، وأديرت على أهل الوظايف كؤوس الشاي، وباتوا يعملون ويسمرون كأنهم في منى، ولم تطلع الشمس، حتى امتلأت الدار وساحتها، والدور التي حواليها، بالمدعوّين، فتليت قصة المولد الشريف على من استطاع السماع، ثم قدم الطعام للناس الجميع، في آن واحد، لكثرة وجود الماعون الكافي، والمباشرين المدبرين لذلك. أما الفقراء والأولاد الصغار، ومن في طبقتهم، فقد فرَش المباشرون لهم الدنافع، أي الحصر على طول الزقاق، ونثروا عليها الرز واللحم نثرًا، فأكلوا وشبعوا، ثم أخذوا المتبقي إلى أوعيتهم، فكان هذا النظام أليق بحالهم.

ولم تحن الساعة الرابعة عربي، أو العاشرة إفرنجي، من صباح ذلك النهار، حتى انصرف الناس كلهم شاكرين ذاكرين. وتخلف السلطان غالب ووزيره، وبعض الشخصيات البارزة، وطلب السلطان من صاحب الترجمة أن يطوف بهم قاعة المطبخ، وهيئة المديرين لتلك الأعمال، وكان أكثرهم من بلدنا حريضة، فمشى بهم على ذلك كله، وهم يتعجّبون ممّا رأوا وسمعوا، حتى وصلوا إلى عند بعض القدور، وكان في نهاية الكبر، وله سلّم من الحديد يركز إلى جانبه، فإذا أراد الطبّاخ أن يضعَ شيئًا فيه، أو يأخذه، يصعد أولًا على السلّم ليتمكن من رؤية داخل القدر، كما أن له مغرافًا خاصًا به، فزاد تعجّبهم.

فقال لهم صاحب الترجمة: إنما أخذناه من الهند باسم بلدنا حريضة، ولكن تعذر علينا حمله، بعد أن أعرضناه على أهل الجمال وأكتاف الرجال، لكثرة العقبات في الطريق، ولا ندري الآن ماذا نصنع به! فقال السلطان: حوّلوه إلينا بثمنه، فقال صاحب الترجمة: هو هدية منا لكم، وأمر الخدم أن يحملوه حالًا إلى قصر السلطان. ثم أخذ صاحب الترجمة ساعته الجيبية، وقال لهم: إني أعتاد أرقد القيلولة في مثل هذه الساعة. وودعهم، وعاد إلى غرفته، كأن لم يكن هناك شيء غير معتاد. كما أنه قد بات في تهجّده المعتاد ليلًا.

فقال السلطان غالب للحاضرين: إن وقوع هذه الأشياء في مثل هذا الوقت الضيق، ليس إلا من قبيل خرق العادة لهذا الحبيب، فإنا مع ما عندنا من المال، والسلطة على البلاد وأهلها، لا نقدر نتجاسر على النداء العام بضيافة أهل البندر ومن دخله، إلا بعد التفكير والمشاورة مع عمالنا، على الأقل مدّة أسبوع، انتهى ثناء السلطان على السلطان، فبأي آلاء ربكما تكذبان.

ومن الدلائل القطعية، على أن صاحب الترجمة كانت نفسه عصامية:

ما حدثني به خالي الحبيب حسين بن علي المذكور، قال: سافرت مرة إلى الهند، بمعية الأخ عبدالله بن علوي، وركبنا من المكلا إلى بُمبَي، في باخرة بحرية في الدرجة الأولى، كما هي عادته في أسفاره. كما أن من عادته: أنه لا يتحرّك في سفر كانَ إلا وهو مستصحب معه طبّاخه وخدمه وزاده، ولا يأكل شيئًا من طعام الباخرة.

فصادف أن كانت غرفنا قريبةً من غرفة القبطان، وكان نصرانيًا حسن الأخلاق، يحترم أهل الفضل، ويواجهنا بكمال البشاشة ولين الجانب، وعنده ملكة في اللغة الهندية، فعزمه الأخ عبدالله يومًا ليتناول طعام الفطور معنا، فأخذ يأكل بيده كما رآنا، مع أن الخدم قد أحضروا له الملعقة والشوكة، فلم يكترث بذلك. وكان في المائدة قرص عسل حضرمي، شهي المنظر، فناوله الأخ عبدالله قطعة منه، فتعجب أولًا من صنعته المتقنة، ثم من ذوقه. فأخبره الأخ عبدالله بما يكون من أمر العسل، ثم قال له: إن هذا من وحي الله إلى النحل. ثم إن القبطان في اليوم الثاني تذاكر مع طبّاخ الأخ عبدالله، وكان من أهل الهند، وقد تردد معه إلى حريضة، بشأن العسل، وقال: إني أودّ أن أشتري منه شيئًا لو كان يباع. فأخبر الطباخ الأخ عبدالله بكلام القبطان.

فاستدعى الأخ عبد الله كاتبه وقال له كم معنا من قروف العسل قلت وهي القصاع التي تسع الواحدة منها ثلاثة أقراص فأكثر قال الكاتب اثنا عشر قرفًا قال له أرسل الآن منها عشرة للقبطان وأبق لنا اثنين للطريق. وقل له: إنها هدية منا له. فلما عاد الرسول، قال: إنه فرح بها، وبهت من الكثرة، فأمرني بترجيع البعض، فقلت له: إن الحبيب سوف يغضب عليّ، فقبلها، وأمرني أن أبلغكم تحيته وشكره لكم.

ثم قال الحبيب حسين: وفي اليوم الثاني، جاء القبطان نفسه إلى مجلسنا، وهو يحمل بيده صندوقًا صغيرًا، منحوتًا من حجر العقيق الأحمر العال، وفي باطنه آلة شرب الشاي:

فناجين، وملاعق، وإبريق، ووعاء اللبن، ووعاء السكر، وكلها من العقيق أيضًا، على لونٍ واحدٍ، أعجوبة! ووضعها بين يدي الأخ عبدالله، وقال: تفضلوا بقبول هديتي هذه لكم، لتكون تذكرةً عندكم لي. فقبلها الأخ عبدالله، وأظهر له الفرح، وشكره على ذلك.

فلما وصلنا بندر بمبي جاء بعض الأمراء لزيارة الأخ عبد الله والترحيب بقدومه وجعل يتعجّب من هذا الصندوق، ثم خرج من عنده، فاستدعى الأخ عبدالله الكاتب، وقال له: خذ هذا الصندوق معك، فإذا جلس هذا الأمير في عربته، ضعه إلى جانبه، وقل له: هذه هدية منا له.



وأعجب من هذا كله: أنا لما وصلنا كلكتّا، جرى في بعض الأيام ذكر العسل القرص. فقال الأخ عبدالله: إنه يوافق طبيعتي، وسنكتب لأهل المكلا يرسلون لنا منه، فاسترق السمع أحدُ مريديه من تجار اليمن، وله وكيل من الهنود بالمكلا، فكتب إليه سرًا أن يشتري كمية من العسل القرْص، ويبادر بإرسالها.

فما شعرنا ذات يوم ونحن عند الأخ عبدالله، إلا بالحمالين، ومعهم سحارتان، أي صندوقان كبار من الخشب، وقالوا: هذه هدية من فلان للحبيب. فأمر الأخ عبدالله بفتحهما، فإذا في كل واحدة منهما أربعون قَرْفًا، من أجود العسل، فقسّم منها، وأكلنا، انتهى المراد من كلام الحبيب حسين، المشاهد بالعين.



[مآثره العلمية والدينية]

رجعنا إلى معاهدِ صاحب الترجمة الدينية، وآثاره العلمية:

منها عدة مساجد وزوايا له بأرض الهند، لا تزال مشهورة، وبأنواع الطاعات معمورة، معنى وصورة. كما أن غلة أوقاف المقام لا تزال، ولن تزال إن شاء الله

مستمرةً، تردُ إلى بلده حريضة، لإجراء الوظائف التي رتبها في حياته الدنيوية، على أيدي خلائفه في وظائفه.

[مسجد باعلوي بحريضة]

ومنها مسجده المشهور باعلوي في حريضة، على أحدث شكل، وقد فرش قاعته بالرُّخام، وأجرى فيه ماء الوضوء في قصب الحديد، لئلا يتقذر المصلون من إدخال أيدي بعض الناس في الماء. وذلك قبل أن يعرَف شيءٌ من ذلك كله في مساجد حضرموت. كما أنه من حين وُضع أساس هذا المسجد، وقبل أن تقوم جدرانه، عمره بأنواع الطاعات؛ فاستخار له الحبيب العلامة التقي حسين بن علي بن حسين بن هود العطاس، الآنف الذكر، إمامًا راتبًا، ومدرّسًا خاصًا وعامًا، في مختلف الفنون، وجمع له الطلبة، وأنفق على المنقطعين منهم، وواسى أولاد المحتاجين، وفرّح أولاد المثرين، وجلب قلوب بقية الناس، لحضور الدروس وصلوات الجماعة.

كما أنه شحن خزائن المسجد المذكور بأنواع الكتب النافعة، من بين مطبوعة وخطية، تنافس في شرائها، وكان مغرمًا بتحصيلها، حتى جعلها كتبيةً كاملة المعدات، ووقفها جميعها على طلبة العلم بحريضة.

كما أنه وقف عدةً كاملة، من قدور النحاس الكبيرة، وأصحانه الواسعة، وجفان الحديد المطلي بالصين، وعددًا من الحنابل، أي: الفرش الهندية، وغير ذلك من الماعون، على جميع الولائم التي تكون بحريضة، في أيّ زمانٍ كان، وعند من كان.

ومن شدّة حرصه على استمرار الدروس، وعمارة الأوقات: أنه لما استصحب معه الحبيب حسين بن علوي المذكور، في بعض أسفاره إلى الهند، حالًا نقل قاضي الهجرين الحبيب العلامة أحمد بن حسن بن علي بن محمد بن علي الكاف، وليد الهجرين

ودفينها، إلى حريضة هو وأهله، على نفقة صاحب الترجمة، مدة إقامته بحريضة، فقام بوظائف الحبيب حسين بن علي، حتى عاد إليها.

[البئر والسقاية ودار الوقف]

ومن مآثر صاحب الترجمة الخالدة: البئر المتقدم ذكرها، وكان المسجد المذكور قبليها، وعند البئر سقايةٌ لعابر السبيل. ومنها دار قبليّ المسجد المذكور، جعلها محلةً لإمام المسجد والقائم فيه بوظيفة التدريس، غير معاشه الشهري.



[مدرسته: دار العلوم، بحريضة]

ومنها مدرسةٌ كبيرة، طبقتين، لاصقة بالمسجد من الجهة الشرقية، سماها دار العلوم.

قلتُ: وأنا بحمد الله أول من افتتح هذه المدرسة ببلدنا حريضة، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، وهي أول مدرسة فتحت بحريضة على النظام الحديث، مع زميلي وسَاعدي اليمين في ذلك، الأخ المرحوم محسن بن سالم بن محسن العطاس، الآتي ذكره في (هذا الباب)، تحت رقابة خالي الحبيب حسين بن علي المذكور، ونظارة سادتي المناصب: زين بن محمد، وحسن بن سالم آل عطاس، المتقدم ذكرهما في (هذا الباب).

كما أني لا أنسى الأخ المصلح ذات البين والفاتح باب الكرم بحريضة على المصراعين محمد بن عبدالله بن أحمد بن محسن بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة بحضرموت، ودفين بتاوي بجاوة، لأربع عشر مضت من جمادى الآخرة سنة ست وستين وثلاثمائة وألف هجرية، ومجهوداته الكبيرة في هذا المشروع العظيم، وقد منَّ الله عليّ بملازمة التعليم والتنظيم فيها

نحو سنة ونصفًا، ولم يفطمني منها إلا السفر، غير أنه ويااللأسف قد كان هذا كله بعد انتقال صاحب الترجمة إلى قبته البرزخية.

ومن كشفه الجلي: ما سيأتي، أنه حينما طاف بالناس هذه المدرسة، والعمال على تمام عمارتها، استدعاني، وكنت إذ ذاك في أخريات الناس، وقال لي: إن هذه سميناها دار العلوم، وسكتَ، ولم يلق أحدٌ بالًا لهذه الكلمة إلا الحبيب المنصب زين بن محمد المذكور، فإنه نبّهني عليها يوم الافتتاح، وهو يتبسّم في وجهي، وقال: إن الله قد أطلع الولد عبدالله بن علوي على أنك ستكون أنت الفاتح لهذه المدرسة انتهى.

قلتُ: ونسأل الله الكريم، ربّ العرش العظيم، أن يتم لبلادنا وأولادنا كل ما نواه صاحب الترجمة والسلف الصالح الجميع، من العلوم والأعمال، في خير وعافية.



[مآثر وآثار أخرى]

ومن مآثر صاحب الترجمة بحريضة: مسجد الصفا، وهو مصلى فوق كريف حريضة. وكذا تجديد عمارة قبة الحبيب العارف بالله عبدالله بن أحمد بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، الملقب بالحاج، بعدما تخرّبت.

وأمّا سقايات الماء لعابري السبيل، فهي كثيرة، لا سيما في حدود حريضة.

[مأثرة عيد الست من شوال]

ومن آثار صاحب الترجمة الحسنة بحريضة: عيد السّت، بإظهار الشعار لها، وجمع الناس على قراءة قصة المولد النبويّ، بكرة اليوم الثامن من شهر شوال في كل سنة بمسجده باعلوي، وتهيئة طعام الغداء الطيب الكافي لغالب أهل البلد، ومن يعتاد

الحضور من أهل القرى القريبة. لأن صاحب الترجمة لا يتركُ صوم السّتّ من شوال، يتبعها برمضان، عملًا بالسنة. كما أنه يواظب على صيام بقية أيام السنة المسنونة والصلوات المسنونة حضرًا وسفرًا. وله أيضًا مآثر وآثار شهيرة بحضرموت وغيرها، منها ما باشره ظاهراً، ومنها ما كان فيه ضميرًا مستترًا.

وإن يعجب القارئ من عمارة المساجد التي أجراها الله على يدي صاحب الترجمة في حياته الدنيوية، فاعجب من ذلك ما كان بعد استقراره في قبته البرزخية، وهو عمارة مطاهير مسجد الجامع ببلدنا حريضة، والبرك، وجميع المصالح التابعة لذلك، عمارةً جديدة من الأساس، مع الزيادة المتممة لذلك، وجودة العمارة، على يد خليفته الشيخ محمد صالح جوهر، الآتي ذكره.

وكان قصدُه أن يهدم نفسَ المسجد، ويعمره من جديد على الشكل الحديث، ولكنها جاءت خمسة آلاف ريال من الحبيب حسن بن أحمد بن حسن بن عبدالله بن طالب بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، وليد بهان، ودفين جهُور بملايا، لعمارة جامعة حريضة، ومثلها لمسجد المشهد، بإشارة الحبيب عبدالله بن محسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، فقام أهل البلد الجميع في عمارة المسجد الجامع، وأتمها الله على الوجه المطلوب.

وكان الحبيب أحمد بن حسن المذكور هو أوّل من تصدى لعمارة الجامع المذكور، وفكّر في توسيعه وتجديد مبناه من الأساس، وقد استدعى للرأي في ذلك الحبيب المحنّك بالتجارب مصطفى بن أحمد المحضار، الآتي ذكره في (هذا الباب) من القويرة بدوعن الأيمن إلى حريضة، ورتب كيفية المبنى، وكاد أن يشرع في ذلك، فعاجلت

المنية جسم الحبيب أحمد الشريف، ولكن روحه الزكية بقيت تثير الهمم، حتى تمّ ذلك على ما أسّسه ونواه.

[جامع حريضة]

وأصل الجامع المذكور قديمٌ بحريضة، وذلك قبل استقرار سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس بها بنحو خمسمائة سنة، لأن وجود سيدنا عمر بن عبدالرحمن كان بقرية اللسك من أسفل حضرموت، سنة ثنتين وتسعين وتسعمائة، وتردّد إلى حريضة لنشر الدعوة إلى الله بها بأمر شيخه سيدنا الحسين بن أبي بكر، وأخيه الحامد. ثم استقرّ بها في حدود سنة الألف والأربعين، كما أن وفاته بها كانت سنة اثنتين وسبعين وألف، لأن الجامع المذكور من وقت سلطان الأولياء سيدنا الشيخ عبدالقادر بن موسى الحسني نسبًا، الجيلاني مولدًا، وإليه ينسب الجامع المذكور، يقال له: مسجد الجيلاني.

والأصل في ذلك: أنه كان لسيّدنا الشيخ عبدالقادر المذكور مريدون ببلد حريضة، أخذوا عنه، ومنهم الشيخ الشهير بمقبرة حريضة، علي بن أحمد الخراساني، فأمرهم سيدنا الشيخ عبدالقادر ببناء المسجد المذكور، وبنشر الدعوة إلى الله، وكأنهم شكَوا إليه من فساد بعض الناس في البلد، فقال: إنها حوطتي وفي حمايتي.

ولا يغرب عن بال القارئ ما تقدم في (هذا الباب) أثناء ترجمة الوالد، من قول سيدنا عمر بن عبدالرحمن العطاس: حريضة حوطتي وحوطة الشيخ عبدالقادر الجيلاني قبلي، من لقى فيها ظاهر لقينا فيه ظاهر، ومن لقا فيها غابي لقينا فيه غابي، أي: كافأناه بمثل فعله، السرّ بالسرّ، والعلانية بالعلانية، انتهى.

[حماة المشهد السبعة]

وفوق هذا كله، أن سيدنا الشيخ عبدالقادر المذكور هو أحد السبعة، حماة المشهد، الذين ظهرت أرواحهم لسيدنا الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس حينما أراد عمارة المشهد وتأمينه من قطاع الطريق. والسبعة المشار إليهم هم: سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وسيدنا الشيخ عبدالقادر بن موسى الجيلاني، وسيدنا أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي، والشيخ علي بن عبدالله بن عبدالجبّار الشاذلي الأكبر، وسيّدنا صفي الدين أحمد بن عاطف بن عبدالكريم بن علوان، والشيخ سعيد بن عيسى العمودي، والشيخ عبدالله بن محمد باعباد صاحب الجرْب، بفتح الجيم مع سكون الراء. كما ذكرهم الحبيب علي بن حسن العطاس المذكور في كتابه «المقصد إلى شواهد المشهد».



[عمارات المسجد الجامع]

وأما تاريخ عمارة الجامع المذكور، فهو على سبيل التقريب، لأن ولادة سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني كانت في سنة وحدة وسبعين وأربعمائة هجرية، ووفاته في سنة وحدة وستين وخمسمائة.

كما أن العمارة الأخيرة كانت سنة ست وخمسين وثلاثمائة والف هجرية كما اقتبس تاريخها من محكم التنزيل، القاضي العلاّمة، الولد علي بن سالم بن أحمد، حفيد الحبيب أحمد بن حسن المذكور، في قول الباري عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾. وقد طلبت منه حينما دخل جاوة، سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، أن ينظم أسماء السبعة حماة المشهد المذكورين، فنظمها على الترتيب، بقوله، لا فضّ فوه، ولا برّ من يجفوه:

إذا شـئتَ أن تحظـى بنيـل المقاصـدِ توسَّـلْ دوامًـا بالحمـاة لمشـهَدِ

فهم سبعةٌ يا ربّ فاقْضِ مآربي بهم يا إلهي واكْفني كل حاسدِ
بابنِ عليٍّ الفقيه المقدّم وجيلانِنا رب المقام الممجّدِ
كذاكَ الرفاعي ذو المعالي وشاذلي بأكبر أعني وابنِ علوان أحمدِ
وثم ابنِ عيسىٰ العموديّ فلذ به دوامًا وباعبّاد ابن محمدِ

وقد قامت لهذه العمارة لجنة مخصوصة من الحبايب آل عطاس، وترأسها الحبيب الوقور، الذي جعل خاتمة أعماله هذا العمل المبرور، محمد بن سالم بن عمر الخيِّل، بفتح الخاء مع تشديد الياء المكسورة، بن سالم بن عقيل بن عبدالله بن الحبيب القطب عقيل بن عبدالرحمن العطاس، وليد حريضة ودفينها.

وعلى الجامع المذكور أوقافٌ كافية لجميع وظائفه، حتى تفطير الصائمين في رمضان، الذين يحضرون صلاة المغرب فيه. وقد حاول بعض الناس أن تنقل صلاة الجمعة إلى بعض المساجد الجديدة، الواقعة في مستوى الأرض، وعلّل ذلك بكون الجامع المذكور قد يبعد على بعض الناس، لكونه في أعلى البلد.

فغضب لذلك سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس المذكور، وقال: إن صلوات سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس كلها كانت فيه مدة حياته، وكذا أولاده من بعده، فكيف نستبدل به سواه! وعلاوةً على ذلك، أنه قد حلّ عليه نظر سيّدنا عبدالقادر الجيلاني، ومن أين لنا نياتٌ مثل نياتهم، وأعمال مثل أعمالهم؟ وإذا فاتنا ذلك، فلا يفوتنا الاقتداء بهم، لأن السرّ كله في متابعة السلف، وهم مرتبطون به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عباداتهم وعاداتهم. ثم استشهد بقول الشاعر:

ولا تيأسَا أن يقبل الله منكما إذا أنتما صَليتما حيثُ صلتِ

انتهى. قلتُ: وقبله:

خليليَّ هذا ربعُ عزّة فاعقِلا   قَلُوصيكما ثم احلُلا حيثُ حلّتِ
ومسَّا ترابًا طالما مسّ جلدها   وبيتا وظلا حيث باتَتْ وظلتِ

ولنرجع من الكلام على الجامع، لكون اعتراضه هنا من باب تقديم المقتضي على المانع، إلى ما يجريه المولى على يد صاحب الترجمة الحبيب عبدالله بن علوي من المنافع. ويقول القادمون الآن من بلدنا حريضة: إن ابن صاحب الترجمة، وخليفته الحالي عبدالرحمن بن عبدالله، قائم في الوقت الحاضر بعمارة قبة الحبيب عمر بن عبدالرحمن، وإصلاح ما دال واندرس فيها، ونحن نقول: لا شكّ أن صاحب الترجمة من الصادقين مع الله في نفع البلاد والعباد، المعنيين بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

[مؤلفات الحبيب عبدالله بن علوي العطاس]

كما أن لصاحب الترجمة عدة مؤلفاتٍ في طريق القوم، منها:

[1] كتاب «ظهور الحقائق وبيان الطرائق»، المتقدم ذكره.

[2] وكتاب «العلم النبراس في التنبيه على منهج الأكياس».

[3] وكتاب «البروق اللامعة والأنوار الساطعة».

[4] وكتاب «سبيل المهتدين في ذكر أدعية أصحاب اليمين». وكنت قرأتُ الأخير على سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، فأثنى عليه بأبلغ الثناء، حتى قال: إن الولد عبدالله بن علوي لم يُسبَق إلى جمع أوراد السادة العلويين، ولو لم يكن له من الأعمال إلاّ هذا لكفاه فخرًا وقربًا من سلفه، انتهى.

قلتُ: وقد طبعَها كلها في حياته، وعلى نفقته، وقسمها مجانًا، ليعم نفعها.

[5] وله أيضًا مؤلفات غيرها، لم أتحقَّق أسماءهَا.

[6] كما أن له «قصائد» جمة، وتوسلات مهمة.

وكم قيلت في مدحه أشعار حكمية وحمينية، على أني لو كنت شاعرًا لم أزد في الاستشهاد على لسانِ صاحب الترجمة على قول القائل:

تلــــك آثارُنـــــا تــــدلّ علينــــا ... فـــانظرُوا بعـــدَنا إلـــى الآثَـــارِ



[من كراماته]

ومن كراماتَ صاحب الترجمة في حياته: ما شاع عنه بأرض الهند واشتهر، وكبتَ حُسّاده ودحَر، أنه أهديت له قطعةُ أرض في حدود كلكتّا، سماها غنيمة.

فحفر بها بئرًا فلم يظهر فيها الماء، حتى بلغ عمقها مثل الآبار القريبة منها، فأخبره أصحابه بذلك، فأمرهم بمواصلة العمل، وشاع ذلك بين الناس، فانتهز أعداؤه هذه الفرصة، وجعلوا يقولون: إن المجوس يظهر ماء آبارهم في الحدّ المعلوم، فكيف هذا يدّعي الولاية!. غير أن العمل ما زال جاريًا في حفر البئر باستمرار، ولم يظهر لقرب الماء أثر، والأعداء يتباشرون بذلك، وينوّعون الاستهزاء والسخرية على رؤوس الأشهاد، حتى تضجر من ذلك خواص مريدي صاحب الترجمة، وضاقت بهم الأرض، وربما همّوا بالمضاربة مع أعدائهم من جرّاء ذلك.

وصاحب الترجمة مرتبك مما يراه ويسمعه، غير أن له خلوات على راتب جده الأكبر سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس المعروف بالكبريت الأحمر، سريعة الإنتاج، قوية المفعول، فالتجأ ذاتَ ليلة إلى خلوته، وبات طول ليله يكرره، حتى طلع الفجر.

وكان قد استصحب معه في سفره هذا الشيخ مبارك بن سعيد بانوّح، بفتح النون والواو المشددة، وليد حريضة ودفينها، فجعل وظيفته أنه يخرج كل يوم بعد صلاة الصبح ينظر في عمل الخدم الذين يحفرون تلك البئر، ثم يعود ويخبر صاحب الترجمة بالحال، فخرج بانوّح المذكور على عادته صبيحة ليلة الخلوة، فوجد الماء ظهر في البئر تلك الساعة، وأخذ يندفع إلى فوق بقوة، فأخذ منه في إناء ورجع بسرعة إلى كلكتّا، فلما بلغ تحت القصر الذي يسكنه صاحب الترجمة، رفع صوته بالتحويل على عادة أهل حضرموت، أي قال: يا حولاه بغنيمة!.

وكان صاحب الترجمة إذ ذاك بين مريديه في الدرس، فانزعج المريدون من ذلك الصوت، لكونه لم يعرف في بلادهم، وقالوا: ما هذا؟ فقال: لهم هذا بشير الخير. ثم دخل عليهم بالماء، وأخبرهم بما شاهده، فانهالت عليه الجوائز بمئات الربيات، وأنواع الثياب الفاخرة، وشرب صاحب الترجمة من ذلك الماء، ثم أداره على الحاضرين، فإذا هو عذبٌ، فزاد إعجابهم بذلك، لأن جميع الآبار التي بتلك البقعة كلها ملحة الماء. ثم تسابق أصحابُ صاحب الترجمة إلى عند البئر، وخرج هو على آثارهم مع بعض خواصه، فوجدوا الماء قد ارتفعَ، وساح على وجه الأرض، وهو يفور من البئر، فجلس صاحب الترجمة على شفير البئر، وجعل يضرب بيده على الماء، ويقول: الحمدلله بنعمته تتم الصالحات.

وأمر حالًا بالبناء على شفير البئر قدر نصف قامة، وهو واقف عند العمال. فوقف الماء عند ذلك الحد، وصارت البئر مثل الحوض، يغترف الناس منها بأيديهم، وانتشرت هذه الكرامة، فجعل الناس يأتون من الأماكن البعيدة لزيارة هذا المكان، ويشربون ويغتسلون من هذه البئر، للتبرك، لا سيما أهل الأمراض والأغراض من المسلمين والكفار، فسبحان من جعل أولياءه مظاهراً لخرق العادة، وأنالهم بمحْضِ فضله الحسنى وزيادة.

[كرامة أخرى]

ومنها أيضًا: أن بعض الناس كان ينشر شيئًا من الطرائق بتلك الجهة، وله بها مريدون، فلما ظهر شأن صاحب الترجمة هناك، خاف كساد بضاعته، فتعادى له بأنواع العداوة السرية، ودبر كل حيلة فلم تؤثر شيئًا في جاه صاحب الترجمة.

فحمله غيظ الحسد على دس السم الناقع لصاحب الترجمة، فأكل من طعامه، معتمدًا على مولاه، ومغيظًا لأعداه، فلم يؤثر فيه في الحال، فازداد عدوه غيظًا، وتجاهر بالعداوة له في الطرقات والمجامع، حتى ضج مريدو صاحب الترجمة من أعماله، فالتجأ صاحب الترجمة إلى خلوته، بمولاه مستجيرًا به من كيد أعدائه.

فلم يلبث في تعاطي خلوته إلا أيامًا معلومات، حتى هاجت الناس وماجت، وانتشر الخبر في البلد بأن عدوه اللدود كان جالسًا في بيته كعادته مع أصحابه، إذ قام ن بينهم، وطلع إلى أعلى طبقة في البيت، ورمى بنفسه إلى الأرض، فسقط ميتًا بعد ن تداخلت أضلاعه، وكفى الله صاحب الترجمة شرّه، ومن تلك الساعة استتب له نشر الدعوة وتضاعف إقبال الناس عليه، انتهى.

قلتُ: وهذا سرّ معنى الحديث القدسيّ: **«من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»**[1].

ولما قربت وفاة صاحب الترجمة، عاوده أثر السم بعد عشرات السنين، لتكون له أسوة بسيد المرسلين، فثاوره بحريضة شيئًا فشيئًا، فلما أحسّ به، جمع العلماء وطلبة العلم بمسجده باعلوي، على قراءة «صحيح البخاري» على ما نواه صاحب الترجمة، وترأس القراء الحبيب حسين بن علي المذكور، فرتب الفاتحة حين الشروع في القراءة بنية

---

(1) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الشفاء. فقال صاحب الترجمة، وكان حاضرًا: وعلى نية حسن الخاتمة للجميع، فلم يلْقِ لها بالًا في ذلك الحين. وخُتمت قراءة «البخاري» في اليوم الرابع، وعمل لها صاحب الترجمة ضيافة كبيرة، لطعام الغداء، دعا إليها أهل الفضل والمساكين.

وبعد الخروج من المسجد لتناول طعام الغداء، عرّج صاحب الترجمة بالناس يطوف بهم الدار التي أصبحت مدرسة بعد وفاته، وكان العمال في ذلك الوقت على تمام عمارتها، وكنت أنا في أخريَات الناس، فاستدعاني، وقال لي: إن هذه سميناها دار العلوم. ورجع الناس إلى قبليّ المسجد من الخارج، وقال: وهاهنا ستكون قبة، وفوقها كتبية منظمة، وبابها من سطح المسجد للمطالعة.

واستطرد في وصف الكتبية، وذهل السامعون عن القبة ولمن هي؟ فلما توفي ودفن في ذلك المكان، وبنيت على ضريحه القبة، وفوقها الكتبية كما وصفَ، كأنه يراها من سجف الغيب، عرف الناس سر كلامه المبهم وأنه محدَّث وملْهَم.

وحين اشتدّ به المرض، حجبوا الناس عنه لكثرتهم، وكنت إذ ذاك عازمًا على السفر إلى بندر المكلا، لحاجة لي ضرورية، وثقل عليَّ المسير قبل مواجهته وهو على تلك الحال، فتوصلت إلى الدخول عليه بواسطة خالتي بالمصاهرة، بنته الشريفة خديجة، وكانت هي المباشرة لخدمته الخاصة في تلك الأيام، فوعدتني بالدخول عليه قبيلَ الإشراق، وقبل انتشار الناس للسؤال عليه.

فدخلت عليه وهو جالس، وآثار الشدة لائحةً على وجهه، ولكن من غير تضجّر، فقبلت يده ورجله، وأخبرته بعزمي على السفر، بعد أن قلت: عساكم ألطف. فقال: نعم، فعلُه كله لطفٌ، ولولا لطفُه لما عشتُ إلى اليوم، لأني بعدما أحسسْتُ بتناول

السم عرضتُ نفسي على حذاق الأطباء بالهند، فأجمعوا على أنه قد انتشر في البدن، فلا ترجى لصاحبه السلامة بعد ذلك، فوقع في نفسي أنه سيكون شهادة لي عند حلول الأجل، ولكن بعد استيفاء العمر الغالب، وأظنه حان وقته، ولست أخاف الموت، وإنما أخاف ذنوبي، ولكن ظني في مولاي جميل، وما عودني إلا الجميل. ثم غرغرت عيناه بالدموع، وقال: أستودعك الله.

فكان هذا آخر عهدي بشيخنا صاحب الترجمة، كما أن وفاته كانت في جمادى الآخرة، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.



[خلافة صاحب الترجمة في المقام]

وخلفَه على مقام: أخوه ووصيه الثاني، الصالح العابد، محسن بن علوي. وليد حريضة، ودفين بتاوي (جاكرتا) بجاوة، فلم تنتظم الأمور على يده، لعدم معرفته بالزمان وأهله.

[الشيخ محمد صالح جوهر]

وعند ذلك غار على مقام صاحب الترجمة، الشيخ الصالح المعمر المحنك، محمد صالح جوهر، وقبض عليه بيد من حديد، وقام بجميع أعمال صاحب الترجمة من إطعام الطعام، وتوزيع الأموال التي تردُ من الهند على مستحقيها، وصار هو حلقة الوصل بين حريضة والهند، وبنى قبةً على ضريح صاحب الترجمة على أحدث شكل، وفوقها الكتيبة اللتين نوّه بشأنهما صاحب الترجمة. كما أنه تمم عمارة جميع الأماكن التي قد شرع فيها صاحب الترجمة، وفوق ذلك أنه لم يترك شيئًا ممّا يتعلقُ بشؤون مقام صاحب الترجمة في حريضة إلا وأجراه على الوجه الأكمل.

وقد حدثني الشيخ محمد المذكور شفاهًا، وقال: إني آليتُ على نفسي أن لا أغادر حريضة حتى أتمم كل ما شرع فيه الحبيب من عمارةٍ وغيرها، كما أنه ربى ابن صاحب الترجمة، عبدالرحمن بن عبدالله تربيةً حسنةً، ودرّبه على خدمة مقام والده، وكان همزة وصل بينه وبين أهل الهند.

قلتُ: وقد تمّم الله جميع ذلك على يد الشيخ محمد المذكور، لصدقه مع الله، وانطوائه في صاحب الترجمة. ومن حسن حظ الشيخ محمد المذكور: أنه أخذ عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس بحريضَة، وتولى غسله يوم وفاته، ثم بعد مدة طويلة سافر إلى الهند، لتفقد ما يتعلق بمقام صاحب الترجمة هناك.



ومحمد صالح المذكور، هو من أهالي جدة بالحجاز، اجتمع بصاحب الترجمةبالهند، فأخذ عنه الطريقة العطاسية العلوية، وفني في محبته، وصار من خواص الخواصّ، عقيدةً وخدمةً. فكان صاحب الترجمة إذا رجع إلى حضرموت يستخلف الشيخ محمد المذكور على المريدين والزوايا التي بالهند. وبكلكتا كانت وفاته، ودفن بغنيمة الآنفة الذكر.



[آل الخنجي]

كما أن من خواص محبي صاحب الترجمة ومريديه: بيت الخنجي بكلكتا، المشهور بالخير والصلاح وأصلهم من عرب الخليج الفارسي، كانوا عيبة صاحب الترجمة وكرشه، بتلك البلاد، ولا يزالون إلى اليوم.

ومن عجيب ما حدثني به الشيخ محمد صالح المذكور، ببلدنا حريضة، قال: إني طالما تمنيت زيارة حريضة مع الحبيب، فكلما كلمته في ذلك، قال لي: سيأتي وقتها. ومكثنا على تلك الحال سنوات، ثم ألححت عليه في ذلك، فقال: لا بأسَ.

فسافرتُ معه في باخرة إلى المكلا، فلما وصلت إلى الباخرة، وابتدأ الناس ينزلون، قال لي: إنه لم يأت وقت خروجك إلى حريضة، والأولى أن تبقى في الباخرة، وتسافر إلى جدة، وتعود أهلك، وتحضر الحج هذه السنة، ثم ترجع إلى الهند. فقلت له: سمعًا وطاعةً. وقلتُ في نفسي: إنه يرى ما لا نراه.

ثم اجتمعنا بالهند، فلما عزم على السفر، استدعاني، وقال: الآن جاء وقت زيارة حريضة وأهلها. فلما مرض الحبيب وتوفي، عرفت سرَّ كلامه في تأخير زيارتي لحريضة من وقتٍ إلى آخر، انتهى كلام الشيخ محمد.



قلتُ: والآن بحمدلله، وبركة نية الحبيب عبدالله بن علوي صاحب الترجمة، تولى على مقامه بحريضة ابنه، عبدالرحمن بن عبدالله. وليد حريضة، وله بها طلبٌ، وحسن سيرة وأدَب. ويقول القادمون إلى جاوةَ منها: إنه قائم بالوظيفة، ونعم الخليفة. ويبشروننا زيادةً على ذلك، بأن له طموحًا إلى سيرة والده، وعلومه وأعماله. ونحن نقول: **اللهم** كما أنعمْتَ فزد، وكما زدت فبارِكْ، وكما باركت فأدِمْ، وكما أدمت فلا تسلب.

[الحبيب عبدالله بن محمد بن عقيل العطاس المتوفى سنة 1362هـ]

ومنهم الحبيب الصفيّ، العلامة الصوفي، والثابت المستقيم على المنهج السلفي، عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن محسن بن عبدالرحمن بن الحبيب القطب عقيل بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وكان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة أشياخه، من أجلهم الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره، أخذ عنه أخذًا تامًا، ولازمه على ذلك السنينَ ذوات العدد، حضرًا وسفرًا، حتى انتفع وارتفعَ، واشتهر بذلك.

وكان شيخُه المذكور يثني عليه بأبلغ الثناء، في رسوخ قدمه، وحسن إدراكه.

سمعتُ سيدي الحبيب أحمد بن حسن المذكور، كما سمعه غيري، يقول: ما أحد قرأ كتبًا من كتب العلم أكثر من عبدالله بن محمد، يعني من أقرانه.

قلتُ: وكان صاحب الترجمة حسنَ القراءة، سريع الإدراج فيها، مسددَ الألفاظ لغةً ونحوًا بسليقته. **سمعتُ** خالي الحبيب حسين بن علي العطاس، المتقدم ذكره، يقول: لو كان القُرّاء مثل الأخ عبدالله بن محمد، في تسديد الألفاظ، لكسدت بضاعةُ النحويين، انتهى.



على أن صاحب الترجمة قد سافر إلى الحرمين الشريفين، وأدى النسكين، وحظي بزيارة سيد الكونين، وجاور بمكة المحمية سنواتٍ، قرأ فيها فنونًا كثيرةً، وفي مقدمتها علم النحو. كما أنه حفظ بها القرآن الحكيمَ، وأتقنه تلقيًا وتجويدًا، حتى أنه كان يخلف سيد الحبيب أحمد بن حسن في صلاة التراويح بالمقْرأ، في مسجد الحبيب محسن بن حسين بحريضة، إذا قام به عذرٌ.

وقد أخذ بمكة أخذًا محققًا، قراءة وتقريرًا، عن شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وعن مفتي الشافعية الحبيب حسين بن محمد الحبشي، وعن الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، الآتي ذكرهم في (هذا الباب). ولازم الأخير منهم، كما أخبرني بذلك صاحبُ الترجمة، بعد أن سمعت ذلك كله من أشياخه المذكورين شفاهًا في معرض الثناء عليه. وسافر إلى مصر، فأخذ بها عن الشيخ محمد الإنبابي، وأخذ بحضرموت أيضًا عن الحبيب عمر بن هادون العطاس، وعن الحبيب علي بن محمد الحبشي الآتي ذكره في (هذا الباب)، وعن الحبيبين محمد وعمر ابني صاحب المناقب، المتقدم ذكرهما في هذا الباب.

وكان صاحب الترجمة يمثل بشْر الحافي، من رجال «الرسالة القشيرية»، سيرةً وسريرةً، ولولا الأدب مع أهل «الرسالة»، وما قد حازوه من الشهرة، لقلتُ إنه أصبر منهم على قتل النفس، بنهيها عن الهوى، وإحياء الروح بمناجاة الحق جَلَّ وَعَلَا. ولا يعزب عن بال القارئ، ما تقدم قريبًا من ترجمة الحبيب حسين بن علي العطاس، من أنه، وصاحب الترجمة، والحبيب عبدالمطلب بن محمد العطاس، الآتي ذكره، يمثلون أعيان رجال «الرسالة»، شوقًا وذوقًا.

ومن مميزات صاحب الترجمة القومية: أنه كان يخالط الناس، ويحضر مجالسهم، إلا أن أقوالهم تكون عنده بمنزلة أصوات الحيوانات، التي لا تحتاج إلى تفكير ولا تفسير، كما أنهم لا يطمعُون في مشاركته لهم على القيل والقال، وكثرة المراء والجدال.

ومن البديهي أنا إذا عددنا الصوام والقوام، وأهل التقشف والزهد الحقيقي في بلدنا حريضة، يتراءى لنا صاحب الترجمة جالسًا في غرفته، على حصير من خوصٍ

النخل، وإلى جانبه وسادة وشملةٌ من الصوف الخشن، وفي الجانب الآخر إبريقُ الوضوء، وإبريق قهوة البن، وفناجين الخزف، لا غير. والكتب العلمية مبعثرة أمامه للمطالعة والمراجعة، عاضًا بنواجذه على قول سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس في كتابه «العطية الهنية والوصية المرضية»: «كن مع الله كأن لا خلقَ، وكن مع الخلق كأن لا نفسَ، وازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

غير أنه في آخر وقته لازم تلاوةَ القرآن الحكيم، لأنه كان حافظًا مجيدًا، حاطاًّ مرتحلًا، على وفق الحديث الشريف: «**إن الله يحبّ الحالَّ المرتحِلَ**»(1)، أي: الذي إذا ختم القرآن شرع في إعادته. حتى أتاه اليقين ببلده حريضة، فكانت وفاته في ذي القعدة، سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وألف هجرية.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وقد قرأتُ على شيخنا صاحب الترجمة «الرسالة القشيرية»، وسمعت منه الحديث والتفسير، وجملًا من سير السلف، التي تذهب بسامعها إلى ميادين حسن الظن بالله، وبأهل الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فسبحان من جعل لكل سوق بضاعة، ولكل قوم صناعة، حتى تقوم الساعة، وأيّد ذلك بقوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴿٢٠﴾﴾.



(1) رواه الترمذي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[الحبيب زين بن عبدالله بن علي العطاس المتوفى سنة 1353هـ]

ومنهم الحبيب العابد، العالم المجاهد، والواقف نفسه على ملازمة الدروس والمساجد، زين بن عبدالله بن علي بن محمد بن علي بن محسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة الحبيبين محمد وعمر ابني صاحب المناقب، كما أخذ عن أخيه لأمه الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكرهم في هذا الباب. وكان أخذه عنه قراءةً، وسماعًا، وإجازةً، وإلباسًا، ولازم الأخير منهم.



وكان قد سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيّد الكونين، وجاور بمكة المحميّة سنواتٍ كثيرةً، حفظ فيه القرآن الحكيم، وأتقنه حفظًا وتجويدًا. وأخذ بها عن شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وعن الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، وعن مفتي الشافعية حسين بن محمد الحبشي، الآتي ذكرهم في (هذا الباب)، كما أنه لازم بها شيخ فتحه، العلامة المحقق السيد بكري بن محمد شطا، مؤلف «إعانة الطالبين على فتح المعين»، فقرأ عليه فنونًا كثيرة.



ثم عاد إلى بلده حريضة، ولازم مسجد جده الكبير، الحبيب محسن بن الحسين فعمره بصلاة الجماعة، ودروس العلم، لا سيّما بعد وفاة الحبيب أحمد بن حسن المذكور، وتصدر بعده في دروس الروحة العامّة في رمضان في المسجد المذكور، وخلفه على صلاة التراويح أوّل الليل بالمقرأ، وقام بوظيفة قراءة الفواتح وترتيبها صباحَ كل جمعة، في زيارة تربة حريضة.

وكان حسنَ الصوت، جيد الحفظ، وله الحظّ التام من نشر الدعوة العامّة بقُرى وادي عمْد، وحجر بن دغّار، وغيرهما، وكان حسن السيرة، لين الجانب، إلا أنه كان لا يتجاوز بساطَ العلم مع الناس الجميع.



وفي آخر عمره دخل جاوة، ولازم بها الحبيب عبدالله بن محسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، وأحبه الحبيب عبدالله وقربه، غير أن المنية عاجلت الحبيب عبدالله في تلك السنة، فصلى عليه الحبيب زين، وغادر جاوة إلى وطنه حريضة، واشتغل بتلاوة القرآن، وتكرير «دلائل الخيرات»، حتى دعاه داعي الحق إلى دار الجزاء.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وقد قرأتُ على شيخنا صاحب الترجمة، في ابتداء طلبي بحريضة «بداية الهداية» للغزالي، فكان يقرئني العبارة أولًا، ثم يفسرها لي ثانيًا، وهكذا كان حاله مع المبتدئين. ثم عاودت الأخذ عليه بعد عودتي من الحرمين، علاًّ على نهلٍ. وكانت وفاته في رجب سنةَ ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية.



[الحبيب محسن بن حسين العطاس]

ومن هذه الدار أيضًا: محسن بن حسين بن عبدالله بن محمد بن علي بن محسن بن الحسين. وليد حريضة ودفينها، كف بصره في صغره، فحفظ القرآن المجيد، وسافر إلى الحرمين الشريفين، أقام بمكة سنواتٍ على طلب العلم، بعد أن أتقن تجويد القرآن، وحفظ «الزبد» في الفقه، و«ألفية ابن مالك» في النحو.

وكان أكثر قراءته على الأخ العلامة عقيل بن عبدالله بن مطهر الحامد، الآتي ذكره في المكيين، وعاد إلى بلده حريضَة، لازم فيها الدرس على الحبيب زين صاحب الترجمة وغيره، حتى أتاه اليقين.

[الحبيب محسن بن عمر العطاس]

ومن هذه الدار أيضًا: محسن بن عمر بن أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن محسن بن الحسين. وليد الخريبة بدوعن الأيمن، طلب العلم بحريضة على الحبيب عبدالله بن محمد بن عقيل بن عبدالرحمن، الآنف الترجمة، وخدمه، وانتفع به.



[الحبيب محمد بن سالم بن أبي بكر العطاس المتوفى سنة 1382هـ]

ومنهم الحبيب النوير، ذو الجد والتشمير، والجامع بين العلم وطهارة الضمير، محمد بن سالم بن أبي بكر بن عبدالله بن طالب بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة، وخريج سيوون، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيبين محمد وعمر ابني صاحب المناقب، المتقدم ذكرهم في (هذا الباب)، بعد أن رحل صاحب الترجمة إلى مدينة سيوون، واعتكف فيها بين يدي شيخ فتوحه، ومربي جسده وروحه، الحبيب علي بن محمد الحبشي، الآتي ذكره في (هذا الباب)، فقرأ عليه فنونًا كثيرة، وتلقى عنه الأخلاق والسيرة.

ومن البديهي أن الحبيب علي المذكور قد خصّص صاحب الترجمة بمزيد عناية، وجميل رعاية، لكونه حفيد شيخه الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس.

ثم عاد صاحب الترجمة إلى مسقط رأسه حريضة، ولازم فيها مسجد جده الحبيب أبي بكر، وعمّره بالدروس العلمية، والإفتاء في المسائل الدينية، وصلوات الجماعة، ولم تزل طلبة العلم تتردد للقراءة عليه، كما أن العلماء يحضرون عنده قراءة التفسير والحديث، ويشاركونه في ذلك.

وكان قد تولى وظيفة عقد النكاح، وما يتعلق بذلك، بحريضة وملحقاتها، مدة من السنين، ثم دفعه الورع إلى التخلي عنها. وكان حسن السيرة، حلو الأخلاق، ثابت المبدأ، غير مبالغ في مخالطة الناس، مع أن له الحظ الأوفر من القبول التام عند الخواص والعوام. وكان يتعهد كثيرًا من قرى وادي عمد بنشر الدعوة العامة، كما أنه ما زال يتخلل أهل بلده حريضة بالموعظة الحسنة، والإرشادات الثمينة.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وكنت قرأت على شيخنا صاحب الترجمة «سفينة النجاة»، في ابتداء طلبي، ثم سمعت منه بعد عودتي من الحرمين الشريفين جملًا ذات أهمية من سيرة السلف، وما درجوا عليه.



كما أن الناظر إليه لا يتصور عند رؤيته إلا هيئات صوفية السادة العلويين، وجميل صفاتهم. ومن كرامته على مولاه أنه عاش منعمًا في بلده إلى الآن، ولم يحوجه إلى الأسفار، واقتحام الأخطار. وكانت وفاة صاحب الترجمة، الحبيب محمد بن سالم المذكور، ببلده حريضة، ليلة الخميس، لثلاث وعشرين مضت من شهر رجب، سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية.

[ابنه؛ علي بن محمد (ت 1435هـ)]

ويقول القادمون من بلدنا حريضة: إن ابن صاحب الترجمة علي بن محمد، طلب العلم، وانتخب في طلبه، فيا له من خبَر يثلجُ الأفئدة، ويكبت الحسدة.



[السيد أحمد بن حسين العطاس]

ومن هذه الدار أيضًا، أي دار الحبيب طالب بن الحسين بن عمر:

الأخ الحشيم، والعلامة المستقيم، أحمد بن حسين بن عبدالله بن أبي بكر، إلى آخر نسبة الحبيب محمد بن سالم المذكور. وليد حريضة، وخريج سيوون بحضرموت، ونزيل مدينة الصولو بجاوة الآن، لتعاطي أسباب التجارة.

كما أن طلبة العلم المدققين لا يزالون يترددون إليه، ويتهافتون للقراءة عليه، ولم يختلف اثنان من معاصريه في علمه وحلمه وعفته.



[السيد سالم بن طالب العطاس]

ومن الدار المذكورة أيضًا سالم بن طالب بن عبدالله بن أبي بكر، إلى آخر النسب، وليد حريضة، طلب العلم بها وبتريم، ونجح في طلبه.

وكلاهما تربّيا وتهذبا بصاحب الترجمة وعمّهما في الدرجة، محمد بن سالم بن طالب المذكور. وافتتحت معلوماتهما عليه. ويقال: إن الولد سالم بن طالب المذكور، يتردد إلى قرية نَسْرة، بفتح وسكون ففتح وسكون، بين صيف وغار السودان، للتعليم بها، على نفقة الشيخ العالم العامل، أحمد بامساعد، وليد نسْرَة، وأحد زملاء صاحب «التاج» في الطلب في أمّ القرى.

[الحبيب عبدالمطلب بن محمد بن علي العطاس
المتوفى سنة 1334هـ]

ومنهم الحبيب الذي اخضرّت مراعيه، وزكت معارفه ومساعيه، المصلح العفيف النزيه، عبدالمطلب بن محمد بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن. وليد حريضة ودفينها.

كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بالواسطة، تفقه صاحب الترجمة بوالدي الحبيب حسين بن محمد العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، حتى أتقن ربع العبادات علمًا وعملًا. ثم رحل إلى سيوون، لطلب العلم على الحبيب علي بن محمد الحبشي، الآتي ذكره في (هذا الباب)، ثم عاد إلى حريضة، وتوغل في فن التصوف على الوالد، قراءةً وسماعًا، كما أنها تكرّرت قراءته لكتاب «القرطاس في مناقب العطاس»، على الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره. ثم زار ضريح صاحب المناقب بعمْد، وأخذ عن ابنيه محمد وعمر، وله الأخذ التام مباشرة عن الحبيب عمر بن هادون العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس).



ولصاحب الترجمة صحبة تامة مع الحبيبين حسين بن علي بن هود العطاس، وعبدالله بن محمد بن عقيل بن عبدالرحمن العطاس، المتقدم ذكرهما قريبًا، فكانوا يجتمعون على مذاكرات علمية، ومفاهيم صوفية، ولعجيب ما يدور بينهم من سرّ الوداد واتحاد الأذواق، يسري ذلك حتى فيمن حضر عندهم، كما كنت أحس ذلك من نفسي، وأسمعه من غيري. وختام ذلك، أن الحبيب حسين بن علي المذكور، وهو الذي

تولى غسل الحبيب عبدالمطلب يوم وفاته، وكنت أنا المساعد له في ذلك، كما أنه صلى عليه إمامًا في جمع محشود ويوم مشهود، وكل ذلك بوصية من صاحب الترجمة.



وكان صاحب الترجمة لبيبًا عاقلًا، له ملكة في معرفة القضايا وإصلاح ذات البين، ولا عيب فيه إلا أنه [كان] ميّالًا بطبعه إلى عفة النفس، ونزاهة العرض، حتى اشتهر بذلك، كما أنه في آخر أيامه تغلب عليه جانب التصوف، قراءةً وعبادةً، فلا يكاد يفارق «الإحياء»، و«الرسالة القشيرية»، و«مكاتبات» جده الإمام الحبيب جعفر بن محمد، المتقدم ذكره في (الباب الرابع).



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وقد قرأت على شيخنا صاحب الترجمة في «المشرع الروي»، و«الرسالة القشيرية»، و«مكاتبات جده» الإمام سيدنا الحبيب جعفر بن محمد المذكور.

وتلقيت عنه دروسًا خاصة في مميزات جدنا الحبيب جعفر المذكور وأولاده، وعاداتهم الخاصة، سيرة وسريرةً. وكان صاحب الترجمة أعلم من أدركتهم بسيرة أهلنا آل جعفر، وأحرصهم عليها. كما أنه كان مولعًا بالاعتزال عن الناس في بعض الأوقات، فكان يخرج وحده إلى بعض الشعاب القريبة من البلد، الخالية عن الناس، ويمكن فيها الساعات ذوات العدد، ثم يعود بنشاط جديد إلى البلد، فإذا قيل له في ذلك؟ لا يزيد في الجواب على هذين البيتين:

أخصُّ النّاسِ بالإحسان عبدٌ ... خفيفُ الحاذِ مسكنه القفَارُ

له بالليل حظٌ من صَلاةٍ ... ومن صومٍ إذا طلع النهارُ

وكانت وفاة صاحب الترجمة، الحبيب عبدالمطلب بن محمد المذكور، في شوال، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، ودفن في تربة أهله آل علي بن حسين، بركن مسجد الحبيب أحمد بن علي، بحريضة.



[الحبيب عبدالله بن عبدالرحمن بن عمر العطاس المتوفى سنة 1369هـ]

ومنهم الحبيب المعمر، العلامة الأبر، والآخذ من سيرة أسلافه بالحظ الأوفر، عبدالله المعروف بالقاضي بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن. وليد حريضة، ودفين جمبان بجاوة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بالواسطة.

تربى صاحب الترجمة بوالده، وقرأ عليه، وأخذ عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وعن الحبيب عمر ابن صاحب المناقب، حين زار بلد عمد. كما أخذ عن الحبيب سالم بن أحمد بن محسن العطاس، إبان مجاورتهما بمكة المحمية، وكلهم تقدم ذكرهم في (هذا الباب). وله الأخذ التام عن الحبيب عمر بن هادون العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس).



[طلبه العلم بمكة]

ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وكان جل أخذه بها على شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وعلى الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، ومفتي

الشافعية الحبيب حسين بن محمد الحبشي، الآتي ذكرهم في (هذا الباب).

وحكَى لي الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد، قال: أخبرني الحبيب عبدالله، يعني صاحب الترجمة، قال: مررت يومًا على السيد أحمد بن زيني دحلان، وهو جالس بالمسجد الحرام المكي، فصافحته لاغتنام بركته، فلما أراد القيامَ، أمسكت بيده، لكبر سنه. فقال: أرسل يدي. فقلت له: إني أخاف عليك أن تسقط. فاهتز عند ذلك، وقال: إني لا أسقط ومعي السادة العلويون، ويعني بذلك الحضرميين، لانتسابه إليهم في الطريقة، وامتزاجه بهم شريعة وحقيقةً.

قال: وكان السيد أحمد دحلان المذكور، يمضغ ورقَ البَان، المعروف عند أهل الهند، كما يعرف عند أهل جاوه بالسِّيره، بكسر السين والراء، يعني التمبُل، فسقطت مضغته من السجادة على الأرض بعد قيامه، فأخذتُها وابتلعتُها، تبركًا بريقه، وكنت في تلك المدة أتحفظ متن «الألفية» في النحو، فأحفظ منها كلّ ليلة بيتين بعد شدة وتعب، فحفظت في تلك الليلة ثلاثين بيتًا، وسهُل عليّ الحفظ بعد ذلك، ببركة السيّد أحمد دحلان، انتهى المراد من رواية الحداد.

[من أخبار توليه القضاء في سنقفوره]

ثم سافر صاحب الترجمة إلى ملايا، وتولى بسنقافور منصب القضاء الشرعي، مكث فيه نحو عشر سنوات. وله في هذه الوظيفة واقعة حالٍ، تدل على صلاحه، فيما بينه وبين الله، وعناية السلف به.

وخلاصتها: أن أحد المثرين من أهالي سنقافورة، وقعت عنده وليمة زواجٍ، دعا إليها وجهاء العرب والوطنيين، على قراءة قصة المولد النبوي.

وكان صاحب الترجمة في مقدمة المدعوين، فأدخلهم صاحب الدار غرفة فيها صورة مكبرة لملك الإنقريز الحالي، لا تتناسب رؤيتها مع ما هم بصدده من قراءة المولد وعقد النكاح، فأسر صاحب الترجمة إلى صاحب الدار برفعها إلى محل آخر، فامتثل صاحب الدار بالأمر بكل فرح، وكان من جملة الحاضرين بعض حسّاد صاحب الترجمة، الذين ينتسبون إلى العلم، وقد وقعت بينهم وبين صاحب الترجمة معاركُ في عدة مسائل، تنتهي بتفوق صاحب ا لترجمة عليهم.

وفي نفس تلك الأيام، عقد صاحب الترجمة لسيّدٍ علويّ من مواليد الهند، بشريفة علوية، بعد أن ثبت نسبه عند صاحب الترجمة، فانتهز حساده هذه الفرصة وطعنوا في نسب السيّد، وشنوا الغارةَ على صاحب الترجمة. وقالوا: إنه مستبد في أعماله، وعزّزوا دعواهم بأنه أهان ملك الأنقريز أيضًا، برمي صورته على الأرض، وتجمهروا عليه، ولم يبق معه إلا الله وكلمة الحق.

وكتبوا بذلك مكتوبًا للحكومة الإنقريزية بسنقفورة، وأمضى عليه الجمهور، وعيَّنوا فيه شهودًا مزورين، ولم يبق إلا تقديمه إلى دوائر الحكومة، لإلقاء القبض على صاحب الترجمة، وعزله من وظيفة القضاء، وإصدار الحكم بالسجن.

فبينما هم كذلك، إذا هم بالشهم الغيور، السيّد المثري محمد بن أحمد السقاف، وليد سنقفورة ودفينها، قد عاد إليها من بعض سياحته، فأخبروا بواقعة الحال، وكان يحب صاحب الترجمة، ويحترمه للعلم والصراحة بالحق. فاستدعى السيّد محمد المذكور الجميعَ إلى بيته، وكان صاحب نفوذ تام في دوائر الحكومة، لعلو همته، وشرف نفسِه. وقال لهم: الآن قدموا دعواكم عندي على العطاس، بكل ما عنده من الغلطات، وهو ينافح عن نفسه بالحق، ومن خالف أمري منكم سوف يرى مالا يحب. وترأس الجلسة السيدُ محمد هو بنفسه، وقبض على دفّة المجلس.

قلتُ: وكان السيّد محمد المذكور إذا قالَ فعلَ، وإذا وعد أو واعدَ أنجز.

فتكلم بعضهم بما يدعونه على صاحب الترجمة، إلى أن وصل عند ذكر الشهود، فطلب صاحب الترجمة من السيّد محمد أن يسمحَ له بمناقشة الشهود، فأذن له في ذلك، فالتفت صاحب الترجمة إلى الشاهد الأوّل، وكان وطنياً، قد أدى فريضة الحج، وقال: يا حاج فلان، هل الشهادة التي معك عليَّ على شيء رأيته بعينك، أو الجماعة أخبروك بذلك؟ فقال: بل سمعتُ ذلك من فلان وفلان، وأشار إلى اثنين من الحاضرين، وهما اللذان توليا كبر الخصومة. ثم التفت ثانياً إلى الشاهد الثاني، وكان عربياً، وقد عرف من نفسه أنه سيفتضح ويفضح غيره، فقال له: وأنت يا فلان، ما عندك من الشهادة عليّ؟ فقال: ما عندي شيء وسكت.

فخجل المعاندون، عند ذلك هجم عليهم السيد محمد المذكور، بجمل من الكلمات المؤلمة، والتبكيتات المخزية، كانت عليهم أشدّ وقعًا من السياط، ثم أمرهم بطلب العفو في الحال من صاحب الترجمة، وانتهت القضية بنزاهة صاحب الترجمة.



وحدثني الشيخ العلامة، الرحالة المعمر، عبدالقادر بن علي شويع، وليد الحوطة بحضرموت، ودفين شربون بجاوة. قال: إني كنتُ بسنقفور عابر سبيل، حينما تجهز العرب ضد الحبيب عبدالله بن عبدالرحمن العطاس، فساءني ذلك غايةً، ونمت تلك الليلة وأنا خائف على الحبيب عبدالله من شرهم. فرأيت في المنام: كأني دخلت على الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وأخبرته بما كان من أمر الحبيب عبدالله مع حساده، وأنا كالمتحمس من ذلك. فقال لي: يا عبدالقادر، هل تريد أن تعرف كيف أمدّ أولادي؟ فقلت: نعم. فتشعب بدنه كله أسلاك كهربائية، إلى ما يزيد على مدّ

البصر. وقال: هكذا نمدّهم. وانتبهت من نومي وأنا بارد الجأش، مستبشرًا بنصر الحبيب عبدالله على حساده، فلما أخبرته بالرؤيا فرحَ واستبشر بها كثيرًا، وفي اليوم الثاني وصل الحبيب محمد بن أحمد السقاف من بعض سياحته.

وانتهى الأمر بنصر الحبيب عبدالله. ثم قال: ولا شك أن ذلك هو سبب محافظة الحبيب عبدالله على حدود الله، انتهى كلام شويع.



قلتُ: ومن كلمات سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس المأثورة، وآياته المشهورة، في مقام التحدث بنعمة الله، وصريح الإدلال على مولاه، قوله: «أنا عمر، ومن لا حصلنا عند عشائي يأكله»، أي: فمن لم يجد روحانيتي تحوم حول أولادي، وأهل بلادي ووِدادي، فليفعل فيهم ما شاء.

قلتُ: وفي الحديث الشريف «**قد أجرنا من أجرت يا أمّ هاني**»[1]. وما ذاكَ إلا لقربها منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإدلالها عليه.



رجعنا إلى تمام سيرة صاحب الترجمة.

ثم عاد إلى وطنه حريضة، وفتح بها دروسًا خاصة وعامةً، غير أنها لم تطل إقامته بها، فسافر إلى جاوة، فأخذ ببوقور على الحبيب عبدالله بن محسن العطاس، المتقدم ذكره في هذا الباب، وأمره الحبيب عبدالله بن محسن أن يقيم عنده، ويتولى وظيفة التدريس في المسجد الذي بناه الحبيب عبدالله بن محسن بجوار بيته.

---

(1) متفق عليه من حديث أم هانئ بنت أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وبعد مدة سافر صاحب الترجمة إلى باكلنقان، فأخذ بها على الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، الآتي ذكره في (هذا الباب). ومنها إلى جمبان، واستقر بها، ملبياً كل من هداه الله إلى طلب العلم الشريف، في كلّ فن منيف.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وأنا بحمد الله قد قرأتُ على شيخنا صاحب الترجمة، ورقةً من «تفسير الخازن»، بمناسبة مجيئه إلى بيتي، لإدخال السرور عليَّ، وأنا أقرأ مع بعض الإخوان في التفسير المذكور، وأظنها في آخر زياراتِ صاحب الترجمة لأهل بتاوي (جاكرتا).

وكانت القراءة في سورة الأحزاب، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾. وكنت كتبت كلمةً وجيزة حولَ هذا الموضوع، فأعجبت صاحب الترجمة، وأقرني عليها.



[كلمة حول آية التبني]

قال الخازن: «الآية نزلت في زينب. وذلك أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما زوّجها من زيد، مكثت عنده حيناً، ثم إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى زيدًا ذات يوم لحاجة، فأبصر زينب في درع وخمار، وكانت بيضاء جميلة، ذات خلق، من أتم نساء قريش، وقعت في نفسه وأعجبه حسنها. فقال: «سبحان الله مقلب القلوب»، وانصرف.

فلما جاء زيد ذكرتْ له ذلكَ، ففطن زيدٌ، وألقيَ في نفسه كراهيتها في الوقت، وأتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال له: «مالك! أرابك منها شيء»، قال لا والله يا رسول الله، ما رأيت منها إلا خيرًا، ولكنها تتعظم عليَّ بشرفها، وتؤذيني بلسانها. فقال له النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها»، ثم إنّ زيدًا طلّقها، فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالاعتاق، وهو زيد بن حارثة، مولاه، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني زينب بنت جحش ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي فيها، ولا تفارقها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ أي تسرّ وتضمر في نفسك ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي مظهره.

قيل: كان في قلبه لو فارقها زيد تزوّجها.

فصلٌ: فإن قلتَ: ما ذكروه في تفسير هذه الآية، وسبب نزولها، من وقوع محبتها في قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما رآها، وإرادته طلاق زيد لها، فيه أعظم الحرج، وما لا يليق بمنصبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مد عينيه لما نهي عنه، من زهرة الحياة الدنيا.

قلتُ: هذا إقدامٌ عظيم من قائله، وقلة معرفته بحق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكيف يقال: رآها فأعجبته! وهي بنت عمته، ولم يزل يراها منذ ولدَت؟ ولا كان النساء يحتجبن منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو زوّجها لزيدٍ، فلايشك في تنزيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن يأمر زيدًا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها، كما ذكر عن جماعة من المفسّرين.

وأصح ما في هذا الباب: ما رويَ عن سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، قال: سألني زين العابدين علي بن الحسين، قال: ما يقول الحسن في قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾؟.

قلتُ: يقول: لما جاء زيد إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أطلق زينب، أعجبه ذلك، وقال: **«أمسك عليك زوجكَ، واتق الله»**.

فقال علي بن الحسين: ليس كذلكَ، فإن الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه، وأن زيدًا سيطلقها، فلما جاء زيدٌ قال: إني أريد أن أطلقها، قال له: «**أمسك عليك زوجك**»، فعاتبه الله تعالى، وقال: لم قلتَ: أمسك عليك زوجك؟ وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك. وهذا هو الأليقُ بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة، لأن الله تعالى أعلمَ أنه يبدي ويظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه، فقال تعالى ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾، فلو كان الذي أظهره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ محبتها أو إرادة طلاقها، لكان يظهر ذلك، لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره، ثم يكتمه ولا يظهر.

فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته، وإنما أخفى ذلك استحياءً أن يخبر زيدًا: أن التي تحتكَ وفي نكاحك، ستكون زوجتي، وهذا قولٌ حسنٌ مرضيٌ، وكم من شيء يتحفظ منه الإنسانُ، ويستحي من اطّلاع الناس عليه، وهو في نفسه مباح متسعٌ، وحلالٌ مطلق، لا مقال فيه، ولا عيب فيه عند الله. وربما كان الدخول في ذلك سلّمًا إلى حصولِ واجباتٍ يعظمُ أثرها في الدين.

وإنما جعل الله طلاقَ زيد لها، وتزويج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إيّاها، لإزالة حرمة التبنّي، وإبطال سنته، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾، وقال: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾، انتهى المراد من «الخازن».

[تعليق المؤلف على كلام الخازن]

وهذا نص ما كتبته أنا على العبارة التي قبلَ الفصل، **فقلتُ:**

«سُبحانَ من تفرّد بكل كمالٍ، وخصّ أنبيائه بالعصمة.

لقد طالما رأيتُ بعض المفسرين يتناقلون هذه العبارة، ويضمنونها معنى النظرة، التي هي سهمٌ مسموم من سهام إبليس، من غير أدنى محاشاةٍ ولا إجلال لمنصب سيد

الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعلهم حينما يسوّدون بياضَهم بهذه العبارة، لا يتصوّرون معنى النبوة، ولا يستحضرون حقيقة الرسالة، ولا يفكرون في كيفية العصمة.

وليت شعري! لو قيلَ لأحدهم: إن مثل هذه وقعَتْ من أحد أشياخه الذين يجلهم، ويعتقدون فيهم أنهم علماء عاملون حقيقةً، لأنكرها، وشنع على قائلها، بل لجعل وقوعها في حق ذلك الشيخ من المستحيل، لما يشاهده منه من خوف الله، والورع الحاجز، كما هو معتقدنا في سلفنا وأشياخنا.

فما ظنك أيها القارئُ بمن اخترق السبع الطباق، ووصلَ إلى قاب قوسين أو أدنى، ذلك المقامُ الذي تأخر عنه جبريل الأمين، حيث تشهَدُ فيه الذات للذات، هل يبقى فيه شيء من هذه الرعونات، بل العفونات؟! لا، وألف لا.

* ما هكذا يا سعد توردُ الإبلْ *

على أن الله له الحمد والمنة، ولم ينزل هذه الآية في معرض الريبة والتبكيت على من ذكرهم فيها، وإنما أنزلها في معرض الامتنان عليهم، والتنويه بشأنهم، ورفع الحرج عنهم. فقال في حق سيدنا زيد: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾، وفي حق سيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحق أم المؤمنين: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، عقد لهما عقد النكاح صراحةً من فوق سبع سماوات، وفي حق سائر المؤمنين: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

فأيّ فخرٍ فوق هذا، وأي نزاهة أعظم من هذه!. ولعمري إن القائلين بخلاف هذا قد ساروا مشرّقين، وسار معنى الآية مغرّبًا، فلينتبه القارئ، وليتفطن السامع لهذه الرزية المزرية، بمن يرجو شفاعة سيد الوجود، يوم لا يغني والد عن مولود.

وجزى الله عنا الشيخَ الخازن أفضل الجزاء، حيث عقد الفصل المتقدم في بيان

الحقيقة، ونقل فيه جواب سيدنا الإمام زين العابدين، الذي يشفي العليل، ويبرد الغليل، كيف لا؛ وهم بيت التنزل بعد التنزيل.

وحسبنا ما قاله سيدنا زين العابدين في أثناء «دعاء ختم القرآن» الذي عنه مأثور، وله مشهور: «**يا كريم**، اللهم فإذ بلغتنا خاتمته، وحببت إلينا تلاوته، وسهلت على حواشي ألسنتنا حسن إعادتِه، فاجعلنا، يا ربّ يا الله، ممن يتلوه حق تلاوته، ويرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التصديق بمحكم بيِّناته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابه آياته، والاعتراف بأنه من عندكَ، لا تعارضنا الشكوكُ في تصديقه، ولا يختلجنا الزيغُ عن قصد طريقه، **يا كريم**».

تأمل قوله «ويفزع إلى الإقرار بمتشابه آياته»، هل يتجاسر مثل هذا الإمام على تفسير هذه الآية من غير دليل قطعي! أم كيفَ الجواب عن غيره من المفسرين؟.

اللهم إني أشهدك أنها غيرةً وإجلالٌ، لمن قلت في حقه وأنت أصدق القائلين: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾، أي إليه في أقواله وأفعاله، لا تهجم مني على حملة الشريعة المطهرة، ولا دعوى علم ومعرفة، فإني لا أساوي قلامة ظهر أحدهم، انتهى ما كتبته، وقرأته على صاحب الترجمة، وأقرَّني عليه.



[تهافت المستشرقين على تلك السقطات]

وبما أن الدهر مرآة الأعاجيب، والتاريخ يدور بدوران الفلك؛ فقد حدثني بعض أولاد العرب، من المسلمين الذين تعلموا في أوربّا: أن أحد دعاة النصرانية قد استأجره هو وبعض زملائه على أن يكتبوا مقالاتٍ في مجلة عربية، ويُضمّنون تلك المقالات تبكيتاتٍ على تعّدد الزوجات في الإسلام، ويذكرون عدد زوجات النبي ﷺ،

وكيفية زواجه على السيدة زينب، وألزمهم أن ينقلوا من تفاسير المسلمين نقط الضعف القادحة في حق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويختمون ذلك بإمضاءاتهم الصريحة.

ثم بعد أيام ألف هذا النصراني كتابًا ضد الإسلام، ونقل فيه تلك المقالات بنصها وفصها، كالمستشهِد على كلامه، انتهى ما حدثني به هذا العربي، وهو يعض بنان النادم الحصِر، على ما فرط منه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وكانت وفاةُ صاحب الترجمة، الحبيب عبدالله بن عبدالرحمن المذكور، ببلد جمبان بجاوة، ليلة الأحد، وثمان عشر مضت من شعبان، سنة تسع وستين وثلاثمائة وألف هجرية، ومن أبنائه:

[أبوبكر بن عبدالله العطاس، ابن المتقدم]

أبوبكر بن عبدالله. وليد ملايا، وخريج حريضة، طلب العلم بها، وعلى والده، وصار أستاذًا في المدرسة العطاسية، التي أقامها الحبيب حسن بن أحمد بن عبدالله بن طالب بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، بجهُوربارو في ملايا.

[الحبيب محمد بن علوي الزبيدي العطاس]

ومن هذه الدار أيضًا، أي: دار الحبيب أحمد بن الحسين بن عمر: الأخ العلامة، المدقق الفهامة، المتنازَع، بفتح الزاي، بين نور السلوك ونور الجذب، محمد بن علوي بن أحمد بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن أحمد بن الحسين، المذكور. وليد حريضة بحضرموت، وخريج مدينة زبيد باليمن، علمًا وسيرةً. وعلى كثرة معلوماته، وقوة

ملكته الفطرية، لم يتفرغ للدروس العامة، لما يعتريه من القبض وحب الاعتزال عن الناس، والامتناع من الكلام في بعض الأحيان، مهما اقتضاه الحال.

قلتُ: ولعله ينازله حالٌ لم يتهيأ الآن لقبوله.

ومن ذكائه الفطري، أنه حينما عزم على التجرد لطلب العلم الشريف، دخل عليَّ يومًا في خلوتي، برباط السادة، الكائن بسوق الليل في مكة المحمية، وتربّع بين يديّ، وقال: إني جئتُ الآن أستشيركَ، والأمر جدّ، لأنها عرضت عليّ المشاهرة، أي المعاش الشهريّ، أو الاشتراك في تعاطي أسباب التجارة مع بعض الإخوان، وأودُّ أيضًا أن أتفرغ لطلب العلم، وكيف رأيك في ذلك؟ فقلتُ له: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم. فنهض من حينه!، وخرج من عندي، وهو يقول: ولا ننقُض لها عُقدة، بضم العين، أي لا ناقضَ لك فيماأبرمتَه من هذه المشورة. وكان الأمر كذلك، فجاور بمكةَ، ثم ارتحل إلى زبيد، وكان نجاحه فيها.

وكان عهدي بالأخ محمد المذكور، أن له عنايةً بحفظ ثبته، وأشياخه وشمائلهم، في اجتماعاتي الأخيرة به بحضرموت وجاوة، فعسى أن تساعده الظروف على كتابتها، والله ولي التوفيق.



[الحبيب محسن بن سالم بن محمد العطاس]

ومنهم الحبيب الشكور، العلامة الغيور، والحاضر مع أهل الحضور، محسن بن سالم بن محسن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن محسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حورة بحضرموت، ووديع بحر سيلان، في سفره الأخير إلى جاوة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تربى وتهذب بعمه الحبيب عبدالله بن محسن، وتفقه وتنَحْوَى على الحبيب حسين بن علي بن هود العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، وتسلك وتخرج بالحبيبين محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي، ومحمد بن أحمد المحضار، وأخذ عن الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس المذكورين في (هذا الباب).

وعاد إلى بلده حريضة، بعد أن قضى بجاوة عشرات السنين، فاعتكف بين يدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، وصار زميلي في المثول بين يدي الحبيب أحمد، قراءةً وسماعًا وخدمةً، وأحبه الحبيب أحمد، وقرّبه واستصحبه معه في زيارته الأخيرة لأسفل حضرموت.



[من مؤلفاته]

وكان صاحب الترجمة قد ألف «رسالةً»، وهو بجاوة، في وجوب الكفاءة، فقرأها على الحبيب أحمد فأعجبته، وقرض عليها، غير أنها لم تطبع.

كما أن له إجازاتٍ ومكاتبات من أشياخه وأقرانه. وكان حسن القراءة، رخيم الصوت، حديد الفهم، مناقشًا في المسائل، رجّاعًا إلى الحق ببشاشةٍ وإذعَانٍ.

ولا عيب فيه إلا أنه كان مغتبطًا بأهله وأسلافه، حريصًا على تعليم الناشئة، فقد كانت له اليد الطولى في فتح مدرسة حريضة، المار ذكرها، وضم المتعلمين إليها. وهو أول من رغبني في التعليم بها، وأعانني على ذلك. فكان يأتيني إليهايوميًا، وينشط الأولاد، ويرشدني إلى الكثير من خصال التعليم. كما أنه في اليوم الذي أتأخر فيه إلى المدرسة، يأتيني إلى البيت، ويسأل عن عذري في ذلك.

فلما عزم على السفر إلى جاوة، وكنتُ قد أخبرته أن أخي صالح طلبَ وصولي إلى بتاوي، وأن أمر النفقة يهمني في ذلك الوقت، ولا مال للمدرسة، فطرح عمامته تحتي، وأقسم عليَّ بكل من يعزّ عليَّ، أن أبقى في المدرسة، ريثما يصل هو إلى بتاوي، وأنه سوف يسترضي أخي صالح، ويرغبه ببقائي بحريضة، وأنه سيجمع من المال ما يجعل المدرسة وأساتذتها أغنى الناس في حريضة!.

قلتُ: وهو والله أصدق من القطا، لحسن نيته، وقوة عزيمته، كما أنه لم يخرج من عندي إلا بعد صلاة العشاء، وبعد أن وافقته على طلبه، غير أن المنية اعترضته لسوء الحظ، وهو في الباخرة، بعد أن أنذرته بحمّى خفيفة لمدة ثلاثة أيام، وفاجأته في اليوم الرابع، بعدما غادرت الباخرة مرسَى كلُمْبُو، بليلة واحدةٍ، فوقع أجره على الله.

وكان بمعيته شقيقه، الصدر أحمد بن سالم، وليد حورة، ودفين بوقور بجاوة، وهو الذي تولى تجهيزه، ومن قوة الارتباط الرّوحي الذي صار بيني وبين صاحب الترجمة: أني رأيت ذات ليلة في المنام، بعد سفره بأيام، كأنها ضيافةً كبيرة وقعت في فاضلة، أي غرفة، الحبيب عبدالله بن الحسين بن عمر، المعروفة بحريضة.

وكأني فيمن جلس على المائدة، وفيها الشيء الكثير من أنواع الطعام، فلم أشعر إلا بصاحب الترجمة قد جلس إلى جانبي، ووضع يده على كتفي، يداعبني كعادته، فعرضت عليه الأكل من المائدة، فضحك في وجهي، وقال: معاد لنا شيء في هذا، أي لم يبق لنا نصيب فيه. فلما أصبحت، وقع في قلبي أنه قد صار من أهل البرزخ، فأخبرت بعض الإخوان بذلك، فلم نلبث إلا أيامًا يسيرة حتى بلغنا الخبر، بوفاة هذا الشهم الأغر، فكانت على حريضة وأهلها إحدى الكُبَر.

[الحبيب أحمد بن سالم بن عمر العطاس
المتوفى سنة 1324هـ]

ومنهم الحبيب الحليم، ذو القلب السليم، والعالم العامل المستقيم، أحمد بن سالم بن عمر بن عبدالله بن سالم بن عمر بن عبدالله بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد لحرُوم ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لقيَ صاحب المناقب رضوان الله عليه، وسمع منه، وزاره في حياته الدنيوية والبرزخية إلى بلده عمد، وتزوّد من صالح دعواته. كما أنه اجتمع بالحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، وأخذ عنه، وعن الحبيب عمر بن هادون العطاس، المتقدم ذكرهما في (الباب الخامس).

ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، واعتكف بالحرم المكي على تحصيل العلوم، حتى ظفر بمنطوقها والمفهوم. وفي مقدمة أشياخه شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، والشيخ محمد سعيد بابصيل، ومفتي الديار المكية الحبيب محمد بن حسين الحبشي، كما أنه صحب الحبيب عمر بن سالم العطاس، والشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، الآتي ذكرهما في (هذا الباب)، وغيرهم.

وقضى في ذلك عشرات السنين، ومن أجل ذلك نفرت نفسه من مخالطة العوام، وشغف بمطالعة الكتب النافعة، حتى أنه لما سافر إلى ملايا للاكتساب، أقام بسنقافور، وجعل تجارته في الكتب العلمية. ومن حرصه على نشر العلم، صار يعطي الكتب مجانًا لطلبة العلم الذين لا يقدرون على شرائها.

كما أنه رجع بالشيء الكثير منها إلى وطنه، فقسم منها وادّخر. ولازم بعد رجوعه

إلى بلده لحروم الدارَ والمسجد، وتصدر للإفتاء الشرعي، لتعينه عليه في ذلك المكان والزمان، مع المثابرة على إكرام الضيفان، وإغاثة اللهفان.

[أخوه، محمد بن سالم العطاس (ت 1319هـ)]

وكان المؤسس قبله لهذه الوظائف: أخوه الفقيه المكين، العاقل الرزين، والواقف نفسه على قضاء حوائج العاجزين، وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين، محمد بن سالم. وليد لحروم، ودفين بنّدا، من أرض التيمور، بإندونيسيا.

نشأ بين حريضة ولحروم، نشأة زعامةٍ، ومكارم أخلاق وشهامة، ولم يدرك صاحب المناقب، فكان أخذه عنه بواسطة الحبيبين محمد وعمر ابني صاحب المناقب، والحبيب محمد بن محسن الحامد، والحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب سالم بن أحمد العطاس مفتي جهور، والحبيب حسين بن محمد العطاس، المتقدم ذكرهم في (هذا الباب).

وكان نضاجة الفقهيّ والفرضيّ على يد الأخير منهم، فتولّى عقود الأنكحة بحريضة وملحقاتها، ولم يزل يتردد إليها لقرب المسافة، كما أن له القدم الراسخة في العبادة، وكان حسن السمْت، دمث الأخلاق، محافظًا على سيرة أسلافه عملًا وهيئةً، مقبول القول، وجيهًا عند الخواص والعوام، لا عيب فيه إلا أنه [كان] مولعًا بقضاء حوائج المسلمين، حتى أنه كان يستدين في ذمته للمحتاجين الذين لم يأمنهم أصحاب الأموال، فأداه ذلك إلى اقتحام السفر، لقضاء هذا الوطر، غير أنه وجد ملك الموت قد كمَنَ له بالتيمور، فتلقاه بالحبور، وأسلمه إلى مولاه ليدفع له أجر عمله المبرور، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور. وكانت وفاته في بندر (بندا) لِستٍّ مضتْ من رجب، سنة تسع عشر وثلاثمائة وألف هجرية.

كما أن وفاة أخيه الحبيب أحمد بن سالم، المذكور قبله، كانت ببلد لحرُوم، لإحدى عشرة مضت من ذي الحجّة، سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف.

[أخذ المؤلف عن المترجَمَين]

وأنا بحمد الله قد أدركتهما، ودعيا لي بخير.

[الحبيب محمد الهادي العطاس (1372هـ)]

ومن هذه الدار، أي: دار الحبيب عبدالله بن عمر. الحبيب الكريم، المحنك الحكيم، محمد الهادي بن عبدالله بن سالم بن محمد بن محسن بن سالم بن عمر بن عبدالله بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد بلد عنَق، وشهير وادي عمْد وحريضة وملحقاتهما، بإصلاح ذات البين، ولا مبالغة إن قلنا إن داره كانت المحكمة العدلية بوادي عمد، عن تراضي المتخاصمين.

قرأ القرآن الحكيم على الحبيب محمد بن محسن الحامد، وانتفع بالحبيب محمد بن حسين الحبشي، المتقدم ذكرهما في (هذا الباب)، وكلاهما من بلدة عنَق.

كما أن تردده إلى عمْد قد تجاوز حد الكثرة، لزيارة صاحب المناقب رضوان الله عليه بعد وفاته، والأخذ والاستمداد من أولاده، الحبيبين محمد وعمر، ومن أولاد أخيه أيضًا محمد بن أحمد وحسين بن أحمد.

ولا غرابة إن قلنا إنه من الملازمين للحبيب أحمد بن حسن، والحبيب زين بن

محمد، مناصب آل عطاس بحريضة، حضرًا وسفرًا، لعظم مشهده في الأول، وحسن ظنّه في الثاني. ولثقتهما به في معرفة قواعد إصلاح ذات البين، خصوصًا في دعاوى القبائل، أي حملة السلاح، وما يتعلق بالحراثة، كما أنه يحضر المحاكم الشرعية، ويراجع القضاة إذا غلطوا أو تساهلوا في شيء من الأحكام.



وإذا قلت للقارئ: إني قد عرفتُ هذا الحبيب في الحضر، وصحبته في السفر، ورأيتُ وسمعت منه الشيء الكثير في وظيفته هذه، فيجب عليّ أن أقول: إني رأيتُ كلمة الحق عنده أكبر من كل كبير، ومن هنا تجد أكثر الشخصيات البارزة غير راضين عنه، وله حظ وافر في العبادة، وشوقٌ وذوقٌ بسيرة السلف. على أنه في الوقت الأخير اقتصر على إكرام الضيفان، وعبادة الرحمن، لشيخوخته.

وكانت وفاته ببلده عنَق، فجر يوم الجمعة، وأربعٍ مضت من ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية.



وأما جدّهم الحبيب سالم بن عمر الأول، المعروف بصاحب الشحر، فسيأتي شيء من ذكر مقامه وزيارته المشهورة بالشحر، عند ذكر الشحريين إن شاء الله تعالى، وقد استوفى ترجمته الأخ العلامة عبدالله بن محمد باحسن في كتابه «تاريخ ثغر الشحر».

[الحبيب حسين (الشامي) بن محسن العطاس المتوفى سنة 1347هـ]

ومنهم الحبيب العلامة، الفقيه الفهامة، والمشارك في إصلاح ذات البين والزعامة، حسين بن محسن بن حسين بن عبدالله بن حسين بن أبي بكر بن سالم بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد قرية الصَّيق، ودفين بلد سَدْبه، ويقال لها حِمْيْشة أيضًا، الشهير بالشامي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، وسمع منه، كما أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس).



ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وعقل رجليه بالحرم المكي على طلب العلم الشريف، حتى تضلع من كل فن منيف.

وكانت مدة إقامته بمكة ثمان عشرة سنةً، قرأ فيها على شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، وأخذ أخذًا تامًّا عن مفتي الشافعية بمكة المحمية الحبيب محمد بن حسين الحبشي[1]، وقرأ أيضًا على السيد بكري بن محمد شطا، مؤلف الحاشية المسماة «إعانة الطالبين على فتح المعين»، وعلى الشيخ محمد سعيد بابصيل، وغيرهم من الوافدين إلى ذلك الحرم، من أهل العلم والحكم. وكان صاحب الترجمة أحد الدّعاة الدين يرسلهم السيد أحمد دحلان إلى بادية الحرمين، لنشر الدعوة، وتعليم الجاهلين.



---

(1) كذا في الأصل: ولعله وهم من الناسخ، فإن سياق الترجمة لا يدل على إدراك المترجم زمن الحبيب محمد بن حسين المتوفى سنة 1281هـ، ولعل الصواب: حسين بن محمد، المتوفى سنة 1330هـ، والله أعلم. (مصحح).

[من أخبار البادية وطلاب العلم]

وعلى ذكر البادية والحبيب حسين، **حدثني** شيخي أبو الروح، ومشكاة الفتوح، الشيخ محمد بن علي بلخيور، الآتي ذكره في (هذا الباب). قال:

كان مولانا السيد أحمد دحلان يرسل طلبة العلم، أيام تعطيل الدروس، إلى أهل البادية، كل واحد إلى ناحية، ويسمونه البادية المطوِّع، أي بكسر الواو، يعلمهم أركان الإسلام الخمسة بالتفصيل، وبعد صلاة العشاء جماعةً، يقرأ معهم «راتب سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس»، ومن المعلوم أن في فواتح الراتب بعد ذكر الصالحين: «.. ويلحقنا بهم في خير ولطف وعافية».

وفي بعض المرات، بعدما رجع الحبيب حسين بن محسن العطاس، يعني صاحب الترجمة، من الناحية التي يعلم فيها، صادف أن وقعَ في أهلها موتٌ أكثرَ من المعتاد، فما شعر مولانا السيد إلا بوفْدٍ منهم، كالمتحمّسين، يقولون له: أخبر مطوّعك لا يقول بعد اليوم «ويلحقنا بهم»، وإلا تراه يحصدنا شيئًا فشيئًا. فضحك مولانا السيد، وهدأ رُوعَهم، وأضافهم، ثم أخبر طلبة العلم بذلك، وأمرهم بأن يقولوا: «وينفعنا بهم»، انتهى المراد من كلام شيخنا.



[سبب تلقيبه بالشامي]

قلتُ: ولطول مدة إقامة صاحب الترجمة بالحرمين، اشتهر بالشامي، وصوابه: أن يقال المكّي، أو الحجازي. غير أني أتعجب إلى الآن من تسمية عوام حضرموت للحجاز بالشّام! ولم أدر ما هو المسوّغ لهم في ذلك؟ ولعل ذلك لما كانت الخلافة الإسلامية في تركيا، وكانت مالكةً للبلاد العربية، فجعلت الحجاز ملحقًا بالشام!.



ثم رحل صاحب الترجمة إلى جاوة، لنشر العلم والدعوة إلى الله، واستقرّ بجاكرتا نيفًا وعشرين سنة، انتصب فيها للتدريس، فتخرج به الجم الغفير من العرب المهاجرين، والجاويين الوطنيين، خصوصًا القضاة الشرعيين، فغاظ ذلك مستشارَ الشؤون الأهلية، من رجال الحكومة الهولندية، حال استعمارهم لأندونيسيا، وتخوف من ميلان الوطنيين إلى صاحب الترجمة، فأخذ يحاول تغليطه بكل ممكنٍ، لتحكم عليه المحكمة بالجلاء عن جاوة، فكان يلقي عليه الأسئلة.

منها أنه سأله مرةً عن أصحّ الأديان، ليوقعه. فتفطّن صاحب الترجمة لذلك، وأجابه بقوله: إن مثل الأديان مثل عدد من الكراسي المعدة للجلوس عليها، التي صنعها صانع حكيم متقِن، وجعل واحدًا منها من الذهب، والبقية من الخشب، إلا أنه جعل وزنها وشكلها ولونها متساويًا، ثم وضعها في ظلمة وأمر الناس بالجلوس عليها، فجلس كل إنسان على واحد منها، وهو يظنه الذهبي، ولم يتبين لهم الحال إلا بعد وجود الضياء. فقال لصاحب الترجمة: ومتى يكون هذا الضياء؟ قال: يوم القيامة! فأفحمه جوابُ صاحب الترجمة، وسكت على مضضٍ.

ثم عاد مرة أخرى، فسأله عن عدد النجوم التي في السماء؟ فأخذ صاحب الترجمة قبضةً من الرمل، وقال له: أخبرني أنت أولًا عن عدد هذه القبضة من الرمل التي تشاهدها بين يديك في الأرض، وسأخبرك أنا عن عدد النجوم التي في السماء! فبهت الذي كفر، وعرف أن صاحب الترجمة لا يؤتي من هذه الجهة.

فسلط عليه إدارة حفظ الأمن العام، وكان من مواد قانون حكومة هولندا في ذلك الوقت: أنها لا تسمح للعرب بالسكنى إلا في حارات معينة في جاكرتا، وكان صاحب الترجمة في ذلك الوقت قد سكن حارة (ساوه سبار) لمحبة الوطنيين له، وتزوج بها، والحال أنها محظورة على العرب، ثم تزوج بها ثانيًا.

فألقى البوليس القبض عليه، ورفعت دعواه إلى المحكمة العدلية، فحكمت عليه بدفع غرامة مائة ربية، فوضعها على الطاولة أمام الحاكم ومستشاريه، ثم أخرج من جيبه مائة أخرى، ووضعها أيضًا، قائلًا: وهذه المائة للَّيلة المقبلة، لزمتني شرعًا، لأن عندي زوجتين في هذه الحارة، بتُّ البارحة عند إحداهما، فوجب عليَّ المبيتُ عند الأخرى، على أنّ جلوسي في هذه الحارة مما ينفع البلاد والعبادَ، لو أنصفت الحكومة في ذلك. فأعرض عنه الحاكم، حياءً من أن ينسب إلى التعنّت، وعرف المستشار أن صاحب الترجمة ليس له بزبون، ولا يغضي على صفقة مغبون، فاضطر إلى مسالمته، وتنازل صاحبُ الترجمة إلى مجاملته.



ثم عاد صاحب الترجمة إلى مسقط رأسه، قرية الصَّيْق، وما زال يتردد بينها وبين سدْبه، ويستنهض أهل وطنه لطلب العلم الشريف، خصوصًا عشيرته الأقربين آل سالم بن عمر. ولصاحب الترجمة الحظ الأوفر من قيام الليل، وقراءة القرآن، وملازمة «دلائل الخيرات»، مستكثرًا من أوراد السلف آناء الليل وأطراف النهار.

قلتُ: ومما يدل على صلاحه الباطني، أنه في أيام طلبه بمكة كان زميل الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، الآتي ذكره في (هذا الباب)، فكان شيخهما السيد أحمد دحلان يرسلهما لتعليم البادية، كما تقدمَ، لما عرف فيهما من الأهلية لنشر الدعوة العامة إلى الله، وكانا قد تعاهدا على ملازمة الدرس، وتهذيب النفس، تحابا في الله، وتآخيا على طاعة الله، حتى أنهما بعد تفرق شخصيهما في البلاد، ما زال كل واحدٍ منهما يراعي سير أخيه العلمي والجسمي.

ومن عجيب الاتفاق، ما أخبرني به ابن صاحب الترجمة، أحمد بن حسين، قال: إن والدي في آخر وقته تأثر من إحدى رجليه بتوتر بعض الأعصاب، وهو ببلدنا سدبه، فمنعه ذلك عن القيام بقية الحياة، فكتب بذلك إلى الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب، وهو إذ ذاك بفكالونقان، من الجهة الجاوية، يخبره، ويطلب منه صالح الدعاء، فما كاد مكتوب والدي يصل نصف الطريق، إذا نحن بوصول مكتوب من الحبيب أحمد المذكور لوالدي، يخبره فيه: بأنه تأثر من إحدى رجليه بميلان الورك من محلها، وأنه قد صار مقعداً، ويطلب من والدي صالح الدعاء، فكأنهما أصيبا بذلك التأثر في أيام متقاربة!.

ويقول ابنه أحمد المذكور: إن والدي كان متيقظًا لشؤوننا الاقتصادية، وكان يسألنا يومياً عن تدبير المنزل، والحرث، والمواشي، وغير ذلك. فلما بلغه خبر وفاة الحبيب أحمد بن عبدالله المذكور، سكت عن ذلك كله، وأعرض عن كل شيء إعراض الغريب الأديب، ولم يمض عليه الزمان سوى ستة أشهر، حتى لحق بمولاه لسبع وعشرين مضت من صفر، سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية، وله من العمر ست وتسعون سنة، انتهى كلام ابن صاحب الترجمة.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قلتُ: وأنا بحمد الله قد قرأت على شيخنا صاحب الترجمة في فن الفرائض، في بعض زيارته لبلدنا حريضة، وأجازني، ودعا لي بدعوات صالحة من صميم فؤاده، أحسستها حين اخترقت سقف المنزل إلى أبواب القبول.



[فصلٌ في ذكر بعض أعلام آل سالم بن عمر]

رجعنا إلى ما كان بعد الحبيب حسين في الوقت الحاضر، وذكر من يحضرني ذكرهم من ذرّية الحبيب سالم بن عمر، طَوْد العلم المنيف، الذين توجّهوا الطلب العلم الشريف. فمن أولاد الحبيب حسين صاحب الترجمة:

[السيد أحمد بن حسين (الشامي) العطاس]

أحمد بن حسين. وليد سدبه، طلب العلم بحضرموت على والده وغيره، وقرأ في جاكرتا على صاحب «التاج» في الفقه والنحو، وشغف بعلم الحساب والفرائض، فأدرك منهما حظه، على الشيخ عبدالله بن محمد بالوعْل. واشتغل الآن بأسباب التجارة، ومن مكارم أخلاقه، أني قلت له في بعض زياراته لي: أن خاطري متعلق جدًا بتحصيل شجرة خاصّة في أنساب السادة آل عطاس، تجرد من «الشجرة الكبرى»، التي جمعها الحبيب العلامة عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور في أنساب السادة بني علوي، ليسهل علينا تفقد من لم يثبت من المتأخرين في «الشجرة الكبرى»، ولكنها تحتاج إلى أجرة ليست بالقليل، فقال لي: أجّر عليها من الآن على حسابي الخاص، ولا ترد لي رأيًا في مبلغ الأجرة، وأنا مستعد لدفعها متى شئتَ.

فحالًا أجرتُ عليها بثمانمائة ربية جاوة، وحين أتمها الكاتب أتى بها إليّ، فكتبت له تعريفًا إلى الأخ أحمد المذكور، الموفّق لهذا العمل المبرور، وأبقيتُ الشجرة عندي، فنقد الكاتب المبلغ في الحال، ولم يسأله عن شيء مّا، فلما واجهته بعد أيام، أخبرته بما كان. فقال لي: أبْقِ الشجرة عندكَ، وقد جعلت لك النظر فيها.

[السيد عبدالله بن حسين (الشامي) العطاس]

وأخوه عبدالله بن حسين، وليد الصّيق، طلب العلم على والده، ثم تجرد لذلك ثلاث سنوات في رباط تريم، على الحبيب الإمام المجدّد عبدالله بن عمر الشاطري، ونجح في طلبه، وما كاد يستقل بوظيفة والده في بلده، حتى عصفت به ريح الأقدار إلى الهند فجاوة، فأصبح أحد المتّجرين بجاكرتا. وقد اقتفى أثر أخيه أحمد المذكور قبله، فنقل من الشجرة المذكورة نسختين، بأجرةٍ أكثر من الأولى، في قطع أكبر من الأول، وبياض أجمل، وأهدى لي منها نسخةً، وأبقى له نسخة. تقبل الله ذلك منه، وجزاه عني وعن أسلافه الجزاء الجميل بمنه وكرمه.



[السيد سالم بن حسين العطاس (صاحب حميشه)]

وممن اشتهر بالعلم من ذرية الحبيب سالم بن عمر المذكور، المعروف بصاحب حميشة، الحبيب سالم بن حسين بن سالم بن أبي بكر بن حسين بن أبي بكر بن الحبيب سالم بن عمر. وليد سدبه ودفينها.

طلب العلم بالخريبة على الشيخ محمد بن عبدالله باسودان، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، بعد أن قرأ على خالية العلامتين عبدالله ومحمد ابني محسن بن علي بن حسن بن الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس، صاحب المشهد ومؤلف «القرطاس»، وتخرج بهما. ثم تصدر للتدريس والإفتاء ببلده.



[ابنه؛ عبدالله بن سالم]

كما أن ابنه عبدالله بن سالم، وليد سدبه، الآن بجاكرتا، مجدًا في طلب العلم الشريف، وحسّن السلوك على صاحب «التاج» وغيره، فانيًا في محبة أسلافه، شغوفًا بكتبهم. وله أسلوب حسن في نشر الدعوة إلى الله بين الوطنيين بلغتهم، وهو أحد المساعدين لنا في تصحيح كتُب سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس، وكتابة هذا «التاج».



[السيد محمد بن حسين العطاس]

وكان من زملائه وقت تصحيح كتُب سيدنا الحبيب علي بن حسن: الولد الوقور، الصبور الشكور، محمد بن حسين بن سالم بن عمر بن حسين بن سالم بن أبي بكر بن حسين بن أبي بكر بن الحبيب سالم بن عمر. وليد سدبه، وبها الآن. طلب العلم بجاوة على صاحب «التاج» وغيره. وله سيرة حسنة، ودماثة أخلاق، وحسن ظن تام بأهله وسلفه.

[السيد حسين بن عمر العطاس (بُوعَون)]

ومنهم أي ذرية الحبيب سالم بن عمر المذكور: حسين (بوعَون) بن عمر بن حسين بن عبدالله بن حسين بن أبي بكر بن الحبيب سالم بن عمر.

وليد لحروم بحضرموت، ودفين مقبرة (طانة أبان) بجاكرتا، من الجهة الجاوية. طلب العلم بمكة وحضرموت، ولقى كثيرًا من مشاهير العصر، وكان حريصًا على سيرة السلف، كثير المطالعة في كتبهم، مواظبًا على قراءة أورادهم، له حظ وافر من قيام الليل وتلاوة القرآن.

وكان يحب المزح، لإدخال السرور على جلسائه، بالتورية في الكلام. فمرةً حلف لجماعة من العرب أنه لم يأكل صحنًا منذ قدم إلى جاوة، يعني بذلك الظرْفَ، وهم يعنون المظروفَ فيه، وهو الأرز!. وكانوا كثيرًا ما يرونه يأكل صحنين فأكثر، فلاموه على ذلك، وكادوا يُسيؤون به الظن، ثم تفطن بعضهم للتورية، فزاد قربهم منه، وبسطهم بمجالسته. ومن ذلك: أنه إذا جلس إلى جانب إنسان لصق به، ثم يحلف له أنه أقرب الناس إليه، فيذهب ذلك الإنسان في التفكير من جهة النسب والصهارة، حتى يتفطن لذلك.

ومرةً وجدته عند بعض الإخوان بمناسبة وليمة زواج، قريبًا من بيتي، فقلتُ له: تفضل يا والد حسين، شرف مكاني. فقال: قدني أعرفك يا علي! فانكمش بعض الحاضرين من هذا الجواب، لأن هذه الكلمة لا تقال إلا في معرض الاستهزاء والسخرية، أي: أنك لست بشيء! فقلتُ له: وأنا أيضًا أعرفك، مجاراةً له على ما قصدَ من التورية، فضحك الحاضرون، وعاد الانكماش بسطًا.

وكان الحبيب حسين بن عمر المذكور قد تعاطى أسباب التجارة في أول وقته بجاكرتا، ثم انقطع في آخر وقته للعبادة، حتى أتاه اليقين.



[السيد أبوبكر بن محمد العطاس]

ومنهم أي من ذرية الحبيب سالم بن عمر المذكور: أبوبكر بن محمد بن عبدالله بن محسن بن سالم بن أبي بكر بن حسين بن أبي بكر بن الحبيب سالم بن عمر. وليد سدبه، ونزيل جاكرتا الآن. طلب العلم بفكالونقان، على الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس.



[السيد سالم بن محمد العطاس]

ومنهم سالم بن محمد، شقيق أبي بكر المذكور، وليد سدبه، ونزيل جاكرتا من الجهة

الجاوية. له طلبٌ، وحسن سلوكٍ مع أهله وأدب، وكانت له دُربة على النساخة، وقد نسخ بقلم يده من كتاب «القرطاس في مناقب العطاس» عشر نسخ، الواحدة عن أربعة مجلدات. ومن كتاب «المقصد إلى شواهد المشهد» نحو العشرين نسخةً، وهو مجلد ضخم، وغيرهما من كتاب سيدنا الحبيب علي بن حسن من باب أولى، كما أنه قد كتب بيده كثيرًا من كتب السلف، ومناقبهم الخطية.

[احترافه نساخة الكتب]

فكان في ابتداء أمره ينسَخها لنفسه، ثم توسع بعد ذلك، فصار ينسخها لغيره، ويأخذ عليها أجرة زهيدة، وقد كان يشمئز من أخذ الأجرة في أول الأمر. **فذكرتُ** له في بعض الأيام قصة سيدنا الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس المذكور.

وخلاصتها، على ما قصها الحبيب علي في كتابه «القرطاس»: أن المشايخ آل باسهل الحريضيين، طلبوا من الحبيب علي المذكور، في ابتداء أمره، أن يصلي بهم صلاة التراويح إمامًا في رمضان، بمسجدهم المعروف بحريضة، على أن يجعلوا شيئًا من المال يعينه على طلب العلم. فقال لهم الحبيب علي: جزاكم الله خيرًا يا مشايخ، على سبيل العتاب، تريدونني أن أصلي في شهر الغفران بالأجرة!.

وخرج من عندهم كالمغاضب لهم، ثم أخبر شيخه سيدنا الحبيب الحسين بن عمر العطاس، فقال سيدنا الحسين، على سبيل تهذيب أخلاقه، وتطييب نفسه: يا علي، ما باتقع، أي تكون، مثل أم موسى، ترضع ولدَها وتأخذ أجرها، ارجع الآن إلى المشايخ وأنعم لهم بما طلبوا منكَ. فامتثل أمر شيخه، وصلّى بهم وأخذ الأجرة، انتهى.

[السيد القاضي محسن بن محمد العطاس]

ومنهم أخو سالم بن محمد المذكور: القاضي العلامة محسن بن محمد، وليد حريضة، طلب العلم بها، ثم رحل إلى مكة، واعتكف بها على طلب العلم، وسافر منها إلى جاوة،

فأقام ببلدة فكالونقان، لازم فيها الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، فصار مقرئه الوحيد، وإمامه في الجمعة والجماعة.

كما أنه افتتح (المدرسة السلفية) بتلك البلدة، تحت نظارة الحبيب أحمد المذكور، فتخرج به الكثيرون من طلابها. ثم رجع إلى حضرموت، وتقلد وظيفة القضاء الشرعي بحريضة ووادي عمد وملحقاتها، ثم عاد إلى جاوة.

[السيد علوي بن أحمد العطاس]

ومنهم أي ذرية الحبيب سالم بن عمر: علوي بن أحمد بن صالح بن أحمد بن حسين بن محسن بن حسين بن أبي بكر بن الحبيب سالم بن عمر. وليد سدبه ودفينها، طلب العلم بجاوة، ونجح في طلبه، وعاد إلى وطنه مواصلاً الطلب والمطالعة، فعاجلته المنية.

[المنصب أحمد بن صالح بن أحمد، والد المتقدم]

وكان والده الحبيب صافي السريرة، أحمد بن صالح، وليد سدبه ودفينها، هو المنصب في مقام سيدنا الحبيب سالم بن عمر، ببلد سدبه، مدة حياته. له الحظ التام في إكرام الضيفان، وإغاثة اللهفان، وإصلاح ذات البين. وكان آخر عهدي به بمكة، حينما أدى حجة الإسلام، وحظي بزيارة سيد الأنام.

ثم خلفه على المقام: الحبيب الغيور، عبدالله بن حسين بن شيخ بن أحمد بن حسين بن محسن بن حسين بن أبي بكر بن الحبيب سالم بن عمر. وليد سدبه، وبها الآن، قائم بإصلاح ذات البين، وإكرام القاصدين، ونتمنى له أن يكون خير خلف لخير سلف.

[الحبيب علي بن محمد الحبشي
المتوفى سنة 1333هـ]

ومنهم، أي مريدي صاحب المناقب، الحبيب الذي لاحظته العناية، فنقلته من درج البداية إلى أوج المعالي والنهاية، وصار لأهل زمانه وبين أقرانه آية، علي بن محمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن محمد بن حسين بن الحبيب الإمام أحمد الحبشي، صاحب الشعب. وليد بلدة قسم، ودفين سيوون، وأحد مشاهيرها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أدرك دورًا مهما من حياة صاحب المناقب رضوان الله عليه، وشغف بشمائله، وتطلع إلى الأخذ عنه مباشرةً، فلم تسعفه الظروف بذلك. فصار أخذه عن صاحب المناقب بواسطة الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، لأنه أخص رفقاء صاحب المناقب، وشيخ صاحب الترجمة، الذي بلغ بواسطته أعلى المراتب.

فعظُم مشهد الحبيب علي المذكور في صاحب المناقب، وزاره بعد وفاته إلى بلده عمْد، في جمع من العلماء، ووفود من العظماء، ووقف تجاه ضريحه بصدق نية وصفاء طوية، عرض عليه أحواله ومهماته في ذلك الوقت، وخاطبه بها شفاهًا، فرد عليه صاحب المناقب من برزخه ردًا شافيًا كافيًا، سمعه من كان حاضرًا عند الحبيب علي المذكور، حين قال له صاحب المناقب: إن رحى الكون في يدي، وحاجتكم التي جئتم من أجلها قُضيتْ. وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى في (باب الكرامات)، وهو (الطور السابع) من «تاجنا» هذا، في (الحكاية الثانية والثلاثين).



قال المترجِم وفارس الميدان المتقدّم: «وقد خرج في هذه الزيارة الحبيبان محمد وعمر ابنا صاحب المناقب، ومعهما جمع كبير من أهل البلد وغيرهم، إلى خارج البلد،

بالحداة والدفوف، لملاقاة الحبيب علي وأصحابه، فرحًا بقدومهم، فكان يومًا مشهودًا. ولما دخلوا قبة صاحب المناقب، ارتحل الحبيب علي هذه الأبيات، وأمر حاديه الخاص أن ينشد بها في تلك الساعة، ولا تسأل عن الحضور، وما عم الحاضرين في تلك الساعة من النور، ببركة الزائر والمزور، ودونك أبيات الاستغاثة التي قالها الحبيب علي المذكور، لتعرف ما كان بينه وبين صاحب المناقب من السرّ المستور، بإذن من جعل أولياءه مظاهرًا لأسمائه في عالم الظهور، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور:

أيا صالحًا في الاسم والوصف والذاتِ ... علىٰ بابكَ الميمون ألقيتُ حاجَاتي

وردتُ الحمَىٰ أسعىٰ علىٰ قدَم الوفا ... لأ نشَقَ منكم أطيبَ النفحاتِ

وقمتُ علىٰ الأعتاب ألتمِسُ الندىٰ ... وأعرِضُ أحوالي عليكم وحاجَاتي

مددنا يدينا مستمدين منكمو ... جميل رعايات ورعىٰ مودات

وأنتم لنا يا وارثَ السرّ عدةٌ ... نعدّكمُ حقًا لكُل مهماتِ

أيا نجْل عبدالله يا جامع الـ ... ـكَمالات يا بحْر الندىٰ والكراماتِ

نزلنا بكمْ مستشفعينَ وأنتمُ ... كما قد عهدناكُم رجالُ الشفاعاتِ

وردتُ عليكم في وُفودٍ من الأولىٰ ... لهم فيكُم حبٌ بصدقٍ ونياتِ

وأنتم رجالُ الحقّ والسادة الذي ... لهم من عطايا الحق أسنَىٰ العطيّاتِ

عليكم من الرحمن أزكىٰ تحيةٍ ... تعودُ علينا بالهنا والمسراتِ

وصلّىٰ إلهي كل وقتٍ وساعة ... علىٰ المصطفىٰ المختار خير البريّاتِ

رجعنا إلى سلوك صاحب الترجمة الأسنى، وما كان من أمره مع شيخ فتحه حسًا ومعنى، وحيثما دارت الزجاجة درْنا. فشيخه على الإطلاق، الذي دارت عليه

دوائره، وصلح به باطن أمره وظاهره، هو الحبيب أبوبكر بن عبدالله العطاس المذكور، الذي كان يرعاه في عالم البطون والظهور.

فقد قال له شفاهًا يا علي إني أرعاك وأنت في صلبح أبيك كما أن صاحب الترجمة كان فانيًا في شيخه المذكور حتى ملأ بذكره المسامع في كلامه المنظوم والمنثور وحيثما دارت الزجاجة يدور وبالاختصار يحق للقايل أن يقول شيخ كأبي بكر العطاس ومريد كعليّ الحبشي وإلا فلا وما عسى أن نقول فيمن يقول:

فــإن يكــن الــزوّار قــرّتْ عيــونهم	بــزورة قبــر المصــطفَىٰ فهــو ذا عنْــدِي
أرىٰ رُوحَـــه طوافـــةً في حريضَـــةٍ	تمـدّ بهـا مـن جـاء يسْـعىٰ علـىٰ قصْـدِ
وكيـــف وفيهـــا القطـــبُ وارثُ ســـرّه	أبـــوبكرٍ المشـــهور في الغَـــور والنجْـــدِ

وكان من أمر صاحب الترجمة: أنه ولد ببلدة قسم يوم الجمعة لأربع وعشرين مضت من شوال، سنة تسع وخمسين ومائتين وألف من الهجرة المحمدية. ونشأ في حجر والدته العابدة القانتة، الشريفة علوية بنت الحبيب حسين بن أحمد الجفري.

وقرأ القرآن على المعلم الصالح عبدالحميد بن سَعَيْدان عُبُّده، بضم العيم والباء المشددة مع كسر الدال وسكون الهاء، وعمره إذ ذاك ثمان سنين. فكتب إليه والده الحبيب محمد بن حسين، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، بعد أن جاور بمكة المحمية، وأمره بأن يتحول إلى سيوون، بعد أن يزور الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر بمسيلة آل شيخ، ويطلب منه صالح الدعاء، لأنه شيخ الحبيب محمد المذكور، ففرح به الحبيب عبدالله، وحط نظره عليه، وبشره ببشائر عظيمة، ظهرت عليه ثمرتها، وعادت بركتها.

قلتُ: ولا يعزب عن بال القارئ، ما مر في ترجمة الحبيب محمد المذكور، من (الباب الخامس): أن شيخه الحبيب عبدالله بن حسين المذكور، قال له: لا تهتم بتربية أولادك، فعليَّ تربيتهم، يعني: من حيث الباطن.



[أول دخوله سيون]

ثم أقام صاحب الترجمة بسيوون مدةً، أخذ فيها عن الحبيب عبدالرحمن بن علي بن عمر السقاف، المتقدم ذكره في (الباب الرابع)، في ترجمة والده. وعن الحبيب محسن بن علوي بن سقاف السقاف، المتقدم ذكره في (الباب الخامس) أخذًا تامًا، قراءة وإلباسًا.

وكان شيخه الحبيب محسن المذكور كثير الثناء عليه، مستشعراً بما يؤول إليه أمره، فكان إذا رآه يقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾، وربما قال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝﴾. كما أنه كثيرًا ما يقول بعد ظهور شأن صاحب الترجمة: جزا الله علي الحبشي عنا خيرًا، على حفظه لأولادنا، يعني بضبط أوقاتهم في الرباط على طلب العلم.



[طلوعه الى مكة لمرافقة والده مفتي الشافعية بها]

ثم طلبه والده إلى الحرمين الشريفين، وحين وصل الشحر، بندر سعاد، إذا هو بالنداء من جانب الواد، وهناك كان أوّل اجتماعه بشيخه الحبيب أبي بكر، فكانت ليلة القدر خير من ألف شهر. قال صاحب الترجمة: وحين رأيت الحبيب أبابكر، أخذ بمجامع قلبي، فلازمته مدة إقامتي بالشحر. حتى قال لي: إن فتحك لا يكون إلا في

«الرشفات»، يعني منظومة الحبيب عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه. فقرأتها عليه، فكان الأمر كما قال. ثم توجه صاحب الترجمة إلى الحرمين، وأقام بها عند والده سنتين، أدى فيها النسكين، وتمتع بزيارة سيد الكونين، وأخذ على والده أخذًا تامًا، وأخذ أيضًا عن شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، وعن الشيخ محمد سعيد بابصيل، ثم استأذن والده في الرجوع إلى حضرموت.

فأذن له، وهو غير سخيّ بفراقه. حتى إنه لما جاء الحبيب أبوبكر العطاس المذكور إلى مكة، شكَا إليه الحبيب محمد ما كان من أمر ابنه الحبيب علي المذكور، وعدم رغبته في الإقامة عنده بمكة، فبشره الحبيب أبوبكر بأحوال جسيمة، ومنافع عظيمة، ستكون لصاحب الترجمة، وعلى يديه بحضرموت. فاطمأنّ خاطره بذلك، وحقق الله لصاحب الترجمة ما هنالك.



[عودته من مكة الى سيون]

ثم عاد صاحب الترجمة إلى سيوون، وتصدر فيها لتدريس العلوم، وانهالت عليه طلابها من كل مكان، فبنى بها الرباط، ومد السماط، وهناك أذن له في نشر الدعوة العامة، وفتح عليه في الوعظ الرقيق، والأسلوب الحكيم، مع القبول التامّ، عند الخواص والعوام. وإذا قلنا: إن في وعظه شيئًا من وعظ سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني، من أنه يعصر القلوب، ويستخرج الدموع من داخل العيون، فلا جوابَ على ذلك، إلا أن الذي أعطى عبدالقادر، هو الذي أعطى علي الحبشي.

ثم قصدته الوفود من كل مكان، من الأكابر والأعيان، لا سيما حينما رتب قراءة قصة المولد النبويّ في كل سنة، في آخر خميس من شهر ربيع الأول.

وبالجملة؛ فلا غرابة أن قلنا إن مظهر صاحب الترجمة، ومواتاة الأسباب له، كان على حين غفلة من الدهر، وتكاسل من منغصات الحياة عن القيام بواجباتها! فكانت أيامه كلها أعياد.



[تأسيسه رباط العلم بسيون]

قال العلامة المؤرخ الشيخ سالم بن محمد بن سالم بن حميد، في كتابه «العدة المفيدة في تاريخ حضرموت»: «وفي سنة تسع وتسعين ومائتين وألف هجرية: ابتنى سيدنا الحبيب العلامة، الشاب النجيب، الناشئ في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، علي بن سيدنا محمد بن الحسين بن عبدالله بن شيخ الحبشي، رباط العلم ببلد سيوون، لآفاقيٍّ وبلديٍّ، بجانب البلد الشرقي النجدي، بساحة مسجد عبدالملك، بصورة مسجدٍ، وفيه عزل، أي غرف، في أعلاه وأسفله، وجابية كبيرة بقرب البئر التي حفرها سيدنا الحبيب علي المذكور، وجعل نفقةً لسكانه، ووقفت عليه أوقاف لذلك.

وفي شهر ربيع أول من كل سنة، يقرأ فيه المولد، ويجتمع لذلك خلق كثير من الجهة الحضرمية، من حدرى وعلوى، أي جنوبًا وشمالًا، ويأتي لحضور ذلك سيدنا الحبيب العلامة أحمد بن حسن العطاس من بلد حريضة، وسكان بلد تريم من السادة وغيرهم، ومن بلدان حدرى. ويفعل وليمة عشاء للكل، يفرقها في بيوت البلد، وغداء لبعض أهل البلد، ولكل آفاقي.

وانتفع به الخلق الكثير، من سادة وغيرهم، ولم يزل باذلًا نفسه للإقراء والتدريس، ربنا يطيل عمره، وينفعنا به وبأمثاله وبأسلافهم، آمين».

إلى أن قال ابن حميد المذكور في «تاريخه» المشهور، في موضع آخر: «وفي سنة ست وثلاثمائة وألف هجرية، وخمس وعشرين ربيع الأول، يوم الخميس: فعل المولد النبوي

المعتاد، سيدنا الإمام العلامة، قطب الوجود الفهامة، الحبيب علي بن محمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ الحبشي، وورد غالب الناس يوم الأربعاء، لأربع وعشرين خلت من الشهر المذكور، من كل بلد من بلدان الجهة الحضرمية، المناصب وغيرهم، من دوعن وأسفل حضرموت.

ووقعت قراءة المولد بحري البلد، بِيَثْمِهْ، أي بفتح الياء المثناة وسكون المثلثة وكسر الميم مع سكون الهاء، بحري محلة الحبيب علي بن عبدالله السقاف، بعد صلاة العصر، يوم الخميس المذكور. وحضر ذلك الخلق الكثير، والجم الغفير، وصلى بالناس صلاة المغرب في المحلّ المذكور، سيدنا الحبيب العلامة أحمد بن حسن العطاس، وحضر ذلك ألوف من الناس، نرجو الله قبول ذلك.

ووقع في هذا المولد ترتيبٌ في العيش، كل أهل بلدة في بيت لحالهم غالبًا، وأعطاهم سيدنا الحبيب علي بن محمد، أمتع الله به، ما يكفيهم من أرز ولحم، شكر الله سعيه، ونفعنا به وبأسلافه، وسائر أهل بيت رسول الله، وعباد الله الصالحين، أجمعين»، انتهى المراد من كلام بن حميد، ذي التاريخ المجيد.



قلتُ: ولهذا انعقد إجماع كلّ عصر صاحب الترجمة، على أنه هو المخاطب بقول الشيخ عمر بامخرمة في قصائده، تارة بـ«ياعلي بلغريب»، وأخرى بـ«بلغريب»، كما سمعت ذلك من سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، ورأيته في كلام الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس. ولم يزل يطن في أذني قول سيدي الحبيب محمد بن أحمد المحضار: إن أشيات الحبيب علي بن محمد الحبشي كلها عجيبة وغريبة، لم يسبق إليها، فلذلك كان الشيخ عمر بامخرمة يناديه بياعلي بلْغَريب، انتهى كلام المحضار، وفارس المضمار.

قلتُ: وكان الحبيب الإمام محمد بن أحمد المحضار المذكور، إذا جاء إلى جاكرتا، يعقد روحة عصرية في بيت محب أهل البيت أحمد بن عبدالله باسلامة، يحضرها الجم الغفير، وتكون القراءة في كتب السلف، فصادف بعض الروحات أن كانت القراءة في «كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي المنثور»، فأطنب الحبيب محمد في وصف الحبيب علي، وقال: إن أحوال الوالد علي كلها غريبة وعجيبة، ولذلك كان الشيخ المكاشَف عمر بامخرمة، يناديه في عالم الأرواح، بقوله: ياعلي بلغريب، ثم استطرد في وصف بامخرمة وقال أنه يقول:

أهْل عَصْري وذي بعدي وذي من زَمَن عادْ

اشرَح اَخْبَارهم واَسْرارهم يا ابْن حمّادْ

مرّهْ اِجمَعْ ومرّهْ جيك بأَسْماهم اَفْرادْ

ثم التفت إليّ، وكنت قريبًا منه، وقال لي: وأنت ذكرك بامخرمة باسمك الصريح، وبصفتك، وكونك متعلقًا بسيرة أهلك وأسلافك، بقوله:

يا علي بن حسين الشبّ في نِيلي اَحْرَقْ

أحرَق النّيل واَشْجاني إلىٰ اَهْلي وشَوّقْ

فقلتُ: الحمد لله، ما كان هذا بخاطري، وبُهِتُّ لذلك، ولم أستطع أن أواصل القراءة في تلك العشية. فأحال الحبيب محمد القراءة على أحد الإخوان، وأشار إليّ بسبابة يمينه، وقال: يكفيه الذي قده معه، انتهى كلام المحضار، وفارس المضمار.



قلتُ: والذي يظهر من فحوى كلامهم، أن الأمور كانت تنفعل لصاحب الترجمة بمجرد وُجهَته إليها، كما يفهم ذلك القارئ الفطن، من كلام صاحب الترجمة المنثور،

و«ديوانه» الحكمي والحميني، ولا غرابةَ إن قلنا: إن صاحب الترجمة مؤيدٌ في مقامه، مأذون له في نظمه وكلامه.

[الذين جمعوا كلام صاحب الترجمة]

وقد جمع تلميذُه، الأخ العلامة الصوفي، حسين بن عبدالله بن علوي بن زين الحبشي، صاحب ثبي، من كلام صاحب الترجمة المنثور، مجلدًا ضخمًا. كما جمع الحبيب المنيب عمر بن محمد بن سقاف مولى خيله، صهر صاحب الترجمة، وأحد مريديه، تسعةَ مجلداتٍ، وكلها غررٌ ودررٌ.

ولو لم يقل صاحبُ الترجمة مدةَ حياته، إلا هذه الجملة، التي جمعت بين علمَي الظاهر والباطن، في «قصة المولد» التي ألفها هو، وهي قوله: «خلق الخلق لحكمة، وطوى عليها علمه»، لكانت فوق الكفاية، وغاية الغاية، وإلى ربك النهاية.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

ومن نعم الله عليَّ أني قد عرفت صاحب الترجمة في بعض زياراته لبلدنا حريضة، وأنا إذ ذاك في دور التمييز من عمري، فأقام بها أسبوعًا، وحضرت مجالسه ومذاكراته، ولما زار بيتنا، وفاءً لصحبة الوالد، قرأ على صَدري ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾. غير أني في ذلك الوقت لم أفهم شيئًا عن مرتبته العلمية، بل كنت أظنه وليًا فقط.

وعلى رجوعي من الحرمين إلى بلدي حريضة، قبل زيارته. كانت وفاته بمدينة سيوون، لعشرين مضت من ربيع الثاني، سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة المحمدية، وبنيت على ضريحه قبة عظيمة، محفوفة بالأنوار، مقصودة بالزوار.

[تأسيس الحول في سيون والصولو]

وقد أقام له حولًا سنويًا، ابنه وخليفته الأول، محمد بن علي، بسيوون. ثم تبعه في ذلك أخوه الحبيب الداعي إلى الله، المذكر بأيام الله، علوي بن علي. وأقام حولًا أيضًا لوالده بمدينة الصولو من الجهة الجاوية، تأتي إليه الوفود من كل فج عميق، فتكون المذاكرات الوعظية، والمحاضرات العلمية، وما أشبه أيامه بأيام والده بكرة وعشية.



[وفاة ابنه الحبيب علوي بن علي]

وكان من قدَر الله، أنه سافر إلى فلمباغ، بجهة سمطرا، للزيارة ونشر الدعوة بها، فتوفي فيها ليلة الجمعة، لعشرين مضت من ربيع الأول، سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية. ونقل إلى الصولو على الطائرة، على نفقة السادة آل علوي بن شيخ السقاف، وتقدر مصاريف النقل بنحو ثلاثين ألفًا من الرّبيات الجاوية، لكون الطائرة خصصت له، ولمن أراد تشييعه إلى الصولو، ودفن في مسجده الذي بناه بالصولو، بوصية منه.

[ابنه؛ السيد محمد أنيس بن علوي (ت 1426هـ)]

وخلفه على مقامه: ابنه الميمون، محمد أنيس، وحذاحذْوَ والده، في وسائله ومقاصده، ونسأل الله أن يعمر المقاماتِ بأهلها، بمنّه وكرمه.

رجعنا إلى ذكر مجمع المولد، والعقبات التي قامت في طريق ذلك المنهل عذب المورِد، جازمين بأنّ النيات الصالحة لها مفعولها، في عرض الأرض وطولها، ومنها نيةُ الحبيب علي صاحب الترجمة، في نشر الدعوة إلى الله.

[مظاهر الدعوة الى الله في أرض جاوة]

وحين أراد الله أن تصل دعوته إلى البلاد الجاوية، اغتاظ بعض الناس من ذلك المظهر العظيم، وكان ذلك في أيام القبْوَلة بحضرموت. فأدخل في أذهان بعض حملة السلاح، أنها ربما تكون اصطدامات تخل بالأمن، فنعوا الحبيب علي من استدعاء الناس من خارج سيوون، ولما كانت طريقة أهل البيت النبوي هي مجرد نشر الدعوة إلى الله، غير مبالين بمظهر ولا زمانٍ ولا مكان. كتب الحبيب علي إلى أخص مريديه بجاوا، الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي، أن يعمل ذلك المولد في جاوة، بالدعوة العامة، في اليوم الموعود.

[قيام الحبيب محمد بن عيدروس بالمظهر في جاوة]

فقام بذلك الحبيب محمد بن عيدروس مدة حياته، يعمله في جموع محشودة، وأيام مشهودة، وضيافات عديدة، تتخللها المواعظ الدينية، والمذاكرات العلمية، والإرشادات الحسية والمعنوية، في ميدان (أُلون أُلون) بمدينة بوقور، قريبًا من جاكرتا، ويأتي إليه الناسُ أفواجًا من أنحاء جاوة وملايا.



[دعوة الحبيب علي بن عبدالرحمن الحبشي المتوفى بجاكرتا سنة 1386هـ]

ثم قبل وفاته أسندَ الأمر في ذلكَ، إلى الحبيب الأواه، الداعي إلى الله، المخلص في دعوته لوجه الله، علي بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن حسين بن عبدالرحمن بن حسين بن عبدالرحمن بن هادي بن أحمد صاحب الشعب بن محمد بن علوي بن أبي

بكر الحبشي. وليد جاكرتا بجاوة، وخريج بلد بور بحضرموت، والداعي إلى الله الوحيد بلغة الملايو في جاوة وملايا.

ومن أجل أشياخه الحبيب حسن بن أحمد بن حسين العيدروس، والشيخ حسن بن عوض بن سالم بن مخدَّم ببلد بور، لازمهما مدة خمس سنين، والحبيب عثمان بن عبدالله بن يحيى بجاكرتا، إلى وفاة الحبيب عثمان المذكور. كما أن الحبيب أحمد بن حسن العطاس هو الذي أذنَ للحبيب علي بن عبدالرحمن المذكور، وشجعه مراسلةً على نشر الدعوة إلى الله. ويقول الحبيب علي بن عبدالرحمن المذكور: إنه من حين قرأ رسالة الحبيب أحمد، فتح الله عليه في الوعظ بلغة البلاد الجاوية، انتهى.

وللحبيب علي المذكور، أيضًا أشياخ كثيرون بحضرموت والحرمين الشريفين وجاوة، وله من الجميع إجازاتٌ مطوّلة، ومكاتبات ودّية، وكلها محفوظة في مجموعاته.



وقد سمعتُ الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد، يقول: إن الحبيب علي بن عبدالرحمن الحبشي قد ملأ آذان الوطنيين بالدعوة إلى الله، كما أن الحبيب عثمان بن عبدالله بن يحيى قد ملأ بيوتهم بكتبه المترجمة بلغتهم، فانتفع بها الجمّ الغفير، انتهى كلام الحداد.

[وصف الدرس العام في كويتان كل يوم أحد]

قلتُ: ولا يزال الحبيب علي المذكور في صباح كل يوم أحد، يفتح باب بيته بحارة كُوِيتان بجاكرتا، على مصراعيه، للخواص من العرب والوطنيين، يقرأ لهم في

كتب السلف، ويذاكرهم. ثم بعد ذلك يتحول إلى المسجد الجامع، الذي بناه بتلك الحارة، للقراءة في الفقه والتصوف، ثم الوعظ العام للرجال، كما أن النساء في جانب من المسجد يسمعن المواعظ من وراء الستار. وفي المسجد المذكور يكون الاجتماع العامّ على قراءة قصة المولد المذكور، في يومه الموعود، في جمع محشود، ويحضره الجم الغفير من بلدان جاوة وملايا وغيرها.



ولا يزال الحبيب علي المذكور ينتقّل في بقية حارات جاكرتا، بطلب من أهلها لقراءة قصة المولد النبوي في الجوامع والمدارس والمعاهد، يوميًا، إلى ربيع الثاني. كما أنه في أيام نشاطه ينتقل في بلدان جاوا وملايا لنشر الدعوة إلى الله.



وفي الوقت الأخير اتسعت حلقة درس يوم الأحد، من كثرة الرجال والنساء، كثرةً تجاوزت الحد، فنقله الحبيب علي إلى بيت سكناه الواسع، بتلك الحارة، وبيوت جيرانه، حتى صارت البقية الأغلبية من الرجال يجلسون في الشارع العام، أمام بيت الحبيب علي، لأن الذين يحضرون هذا الدرس ألوفٌ كثيرة، على اختلاف طبقاتهم.

وكثيرًا ما يحضره رجال الحكومة المحلية، من الأمراء والوزراء، تعرضًا لصالح دعوات الحبيب علي، كما أن العلماء من السادة العلويين والوطنيين يكونون في الصف الأول، ويتعاقبون الوعظ بعد فراغ الحبيب علي من إملائه عليهم. بعد أن يقرأ عليه ابنه محمد ما تيسر من «النصائح الدينية» لسيدنا الحبيب عبدالله الحداد.

ثم يقوم بعده ابنه محمد، ويذيل على كلام والده، ثم الأمثل فالأمثل، ثم يختم ذلك كله الحبيب علي بالدعاء، وتلقين الحاضرين الذكر بالجلالة، ثم الفاتحة.

وأغرب من هذا كله، أن الحبيب علي يؤدي هذه الوظائف بنشاطٍ، وقد ناف عمره على المائة سنة! ولا شك أن هذه متعةٌ صالحة للبلاد والعباد من الله، ولصدق الحبيب علي مع الله في دعوته.

[ابنه، الحبيب محمد بن علي الحبشي (ت 1410هـ)]

وقد أناب الحبيب علي في حياته، ابنه محمدًا، على مقامه في ترتيب الدرس، وإمامة الصلوات والخطابة، وبقية الوظائف، وجعله وصيَّه بعد وفاته على مقامه.

ومحمد بن علي المذكور، وليد جاكرتا. تربى بوالده، وتخرج من مدرسة والده، المسماة (عنوان الفلاح)، القريبة من مسجد الحبيب علي. ثم أرسله والده إلى تريم، عند الحبيب الإمام عبدالله بن عمر الشاطري، فقرأ عليه، ولازمه مدة ست سنوات، وله من الحبيب عبدالله الشاطري إجازةٌ مطولة، بقلم الحبيب عبدالله، في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية. وقد أخبرني محمد المذكور: أنه تولى مكاتبات الحبيب عبدالله في آخر أيام إقامته بتريم.

وبعد عودته من تريم إلى مسقط رأسه جاكرتا، لازم خدمة والده، والقيام بوظائفه، فنقض المسجد المذكور من الأساس، وبناه وجعله طبقتين، على الطراز الحديث، حتى أتمه. ولم يزل مستمرًا في خدمة والده، ونسأل الله له الثبات.



[المسجد الجامع بكويتان، جاكرتا]

ومن آثار الحبيب علي بن عبدالرحمن المذكور: مسجد الجامع المذكور، وكبره ألف متر مربع، بناه بعد أن طلب من الأخ المرحوم عبدالرحمن بن شيخ بن عبدالرحمن

الكاف أن يقفَ أرض المسجد المذكور، على حساب شركة السادة آل الكاف، المالكة لأرض تلك الحارة. وكان الطلب بواسطة سيدي الحبيب محمد بن أحمد المحضار، فأنعم لهما بذلك، وكان الفراغ من بناء المسجد المذكور سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية، كما أن العمارة الأخيرة كانت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية أيضًا.

[مدرسة عنوان الفلاح، جاكرتا]

ومن آثار الحبيب علي بن عبدالرحمن أيضًا: مدرسة عنوان الفلاح، بجانب المسجد المذكور. وقد تخرج بها كثيرون من أولاد العرب والوطنيين.



وكانت ولادة الحبيب علي بن عبدالرحمن في جمادى الآخرة، سنة ست وثمانين ومائتين وألف هجرية، بجاكرتا. كما أن وفاته كانت بها أيضًا، ليلة الاثنين، أول وقت العشاء، موافق عشرين رجب، سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية.

ودفن يوم الاثنين إلى جانب مسجده المذكور، بوصية منه، في جموع محشودة، لم يعهد مثلها، يتخلّلها رجال الحكومة المحلية، من جميع الدوائر، وسفراء الدول الإسلامية، غير الواردين من أنحاء أندونيسيا وغيرها. وتولى المقام بعده ابنه محمد، وبايعه الخواص، تأييدًا لتولية والده السابقة، كما تقدم الكلام على ذلك مستوفًى.



[أخذ المؤلف عن صاحب كويتان]

وإني بحمد الله قد لازمتُ سيدي الحبيب علي بن عبدالرحمن المذكور، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة الأبرار، عشرات السنين. ولي منه صالح الدعوات، والإجازة الخاصة والعامة،

وكان آخر عهدي به مستقره البرزخي، بعد أن تشرفت بإمامة الصلاة على جنازته، بإلزام من خليفته في وظيفته. كما أني قد توليت غسله بوصية منه، وساعدني على ذلك الأولاد المباركون عبدالله بن حسين بن محسن العطاس، المعروف بالشامي، وابن أخي حسين بن صالح، وأحفاد المرحوم. ونسأل الله الكريم أن يجمعنا به في مستقر رحمته، ودار كرامته بمنه وكرمه.



[الحبيب عثمان بن عبدالله بن يحي المتوفى بجاكرتا سنة 1333هـ]

وعلى ذكر الحبيب عثمان بن يحيى. هو عثمان بن عبدالله بن عقيل بن عمر بن عقيل بن شيخ بن عبدالرحمن بن عقيل بن أحمد بن يحيى. وليد جاكرتا ودفينها، وخريج المسيلة بحضرموت. وأجلّ أشياخه بها: الحبيب العارف بالله عبدالله بن حسين بن طاهر، تخرج به علمًا وعملًا وصلاحًا، حتى مدحه شيخه المذكور بقصيدةٍ مثبتة في «ديوانه»، مطلعها:

مسـكينْ عُثمـان لـه حالُـه وللنـاسْ حـالْ

حالتُـه زينِـهْ وحَـال النّـاس فيهـا مقَـالْ



وقد كان الحبيب عثمان المذكور هو المفتي الوحيد في أندونيسيا، بإجماع العرب والوطنيين، وحكومة الهولند المستعمرة لأندونيسيا في ذلك الوقت. على أن مؤلفاته بلغة إندونيسيا لم تزل تطبع الكرة بعد المرة، ويترنمون بها رجالًا ونساء إلى ما شاء الله.

وكانت وفاته في صفر، سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، ودفن بمقبرة العرب الشهيرة بـ(حارة طانه ابغ)، وقبره بها أشهر من صيته.

وغير هؤلاء من الدعاة إلى الله بهذه الجهة الجاوية، من السادة بني علوي، الكثيرُ الطيب «حسبي وفي تعدادهم لم أطمع».



[الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي المتوفى بسورابايا سنة 1337هـ]

وأما الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي المذكور، فقد ترجمه الأخ العلامة المتفنن عبدالله بن حامد السقاف في (الجزء الخامس)، من كتابه «تاريخ الشعراء الحضرميين»، فقال:

«السيد محمد بن عيدروس بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين بن علوي بن أحمد صاحب الشعب بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي بن علي بن أحمد بن محمد أسد الله بن حسن الترابي بن علي بن الفقيه المقدم، إلى آخر النسبة الشريفة.

من الأئمة الظاهرين، والشيوخ المرشدين المشهورين، وكبار الزعماء الدينيين، ميلاده بمدينة الحوطة (خلْع راشد)، في عشرين شوال، سنة خمس وستين ومائتين وألف من الهجرة. وما كاد يبصر الدنيا ويتوغّل في أجوائها، حتى اجتذبت المنية والده إلى رمسِه، غير أن حدب والدته، سلامة بنت العلامة الشيخ سالم بن عبدالله بن سعد بن سمير، ورعاية أعمامه، ولا سيما عمه صالح، القائم بالمنصبة الحبشية، لم يجعلا لليتم تأثيرًا في نفسه.

وفي أثناء دوران الفلك الدائر، من مدة إلى مثلها، كان ينمو جسمًا ومدركًا، وما استهلت الدورة السابعةمن ميلاده، حتى كان القرآن الكريم مفتتحَ تعاليمه بالمعلامة العامة بالحوطة، على المعلم علي شويع، ومختتمة على الشيخ أحمد البيتي، منشد قبة جده سيدنا أحمد بن زين، في أوقات الحضرات والزيارات العامة.

على أنه في سبيل حياته العلمية، بذل مجهودًا عظيمًا بالحوطة، والاغتراب إلى شرقيّ حضرموت وغربها، بين المكث المديد، والمتقطع المتعجّل، في أمثال الغرفة، وسيوون، وتريم، وشبام، ودوعن. ويحدثنا تلميذه العلامة السيد عبدالله بن طاهر الحداد في «قرة العين»: أن العلامة السيد الحسن بن صالح البحر ألبسَه، ودعا له، فوق التنويه بشأنه من العلامة الشيخ معروف بن عبدالله باجمال[1]، وعلى هذه الأضواء لماذا لم يكن من الثمرات ذلك النضوج العلمي قبل المراهقة.

وحيث أوصلته الأيام والليالي والسنون إلى العام السادس عشر من عمره، فلأي شيء لا يبادر بأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، ويبحر في سفينة شراعية إلى جدة، حيث كان في خليط الناسكين الحاجّين، وغمار المعتمرين، سنة وحدة وثمانين ومائتين وألف، ثم يعود مع العائدين إلى أوطانهم وأهليهم.

غير أنه لم يمكث بالحوطة عند أهله سوى شهور معدودة، حتى كان راجعًا إلى الحجاز، حاجًا الحجة الثانية، في سنة اثنتين وثمانين. ثم بعد انقضاء العج والثج، لم يبرح الحرمين من البارحين، ولكنه أقام بمكة والمدينة ما شاء الله له أن يقيم، بصفة تلميذ على علمائها، في مختلف العلوم والفنون. مثل السيد فضل بن علوي بن محمد بن سهل مولى

---

(1) لعله: عبدالله بن معروف، المتوفى بشبام سنة 1299هـ (مصحح).

الدويلة، والعلامة السيد أحمد بن زيني دحلان، والعلامة السيد عمر بن عبدالله الجفري، والعلامة الشيخ محمد بن محمد العزب الدمياطي، كما تلقى التجويد على المقرئ السيد محمد النوري.



ولما كان الله تعالى كتب له في سوابقه ما كتب، من رياسة ومشيخة وظهور وشهرة، وإحياء جهات وأمم في حاجة إلى مثله، فقد ساقته الأقدار إلى الهند، ولما لم تطمئن نفسه في الإقامة، توجه إلى سنقافورا، في طريقه إلى جاوة، وفي مدينة بتاوي (جاكرتا) ألقى عصا الأسفار، حيث قضى سنواتٍ ضاربًا بسهم وافر في العراك التجاري، إلى جانب تلمذته وملازمته للعلامة السيد عمر بن حسن الجفري.



ثم هل يجدر أن نتقهقر على أعقابنا إلى حياته العلمية بحضرموت، فتظهر لنا مقروءاته، على صغر سنه، في الفقه، والحديث، والتفسير، والتصوف، والنحو، والصرف. وفي «قرة العين»: أن من مقروءاته على عميه العلامتين السيد صالح وعبدالله: «الرسالة الجامعة»، لجده سيدنا أحمد بن زين، و«بداية الهداية»، و«عمدة السالك» في الفقه، «والأجرومية»، و«المتممة» في النحو. وعلى شيخه العلامة السيد عبدالله بن طه الهدار الحداد «فتح المعين».

كما أن مشايخه في الفقه والتصوف السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والعلامة السيد عيدروس بن عبدالقادر بن محمد الحبشي، والعلامة السيّد محسن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة السيد عبدالرحمن بن علي بن عمر بن سقاف السقاف، والعلامة السيد حسن بن حسين بن أحمد الحداد، والعلامة السيد عمر بن محمد بن عمر

بن زين بن سميط، والعلامة السيد أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار، والعلامة السيد طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد.



وأما شيخه العلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، فشيخ فتحه، وصاحب منحه، وواسطة قربه إلى ربه. حيث وافاه في أيامه بسنقافورا، سنة تسع وثلاثمائة وألف، الشيخُ الفاضل زين بن عبدالقادر الزُّبَيدي، يحمل له مكتوبه والإجازة والإلباس، بصفة صورةٍ من تلمذة سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي لشيخه أبي مدين التلمساني، وصورة من تلمذة قطب الإرشاد سيدنا عبدالله بن علوي الحداد لشيخِه العلامة السيد محمد بن علوي السقاف، نزيل مكة.

وعلى ذكر مكة، وذكر الإجازة والوصية والإلباس؛ فإن له من كثير من مشايخه مثلها، إلى الاذن بالتدريس وغير التدريس. ثم قبل الابتعاد عن دائرته العلمية، يترائى مع ما له من موفور العلم، أنه لم يبرز في المجتمع البشري العام، في صفوف المدرسين، وتعليم المتعلمين، وإفتاء المستفتين، كما تقضى صفته العلمية، لما أراد الله له أن يبوّئه مكانة فوق مكانتهم، ومنزلة فوق منزلتهم، وهل أسمى من مقام الأنبياء والمرسلين، ودعوتهم العبادَ إلى ربّ العالمين!



ومن المفهوم أن المقصودَ قلة تلاميذه في العلوم الظاهرة، بخلافهم في الصوفية، فلا مقصى لمعدودهم. وحسب المستطلعين إلى منظور من الواضحين، العلامة السيد محمد بن أحمد بن محمد بن علوي المحضار، والعلامة السيد علي بن عبدالرحمن بن عبدالله

الحبشي، والعلامة السيد عمر بن عبدالله بن محمد بن أحمد الحبشي، والعلامة السيد علي بن عبدالقادر بن سالم العيدروس، والعلامة السيد علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد، والعلامة السيد علوي بن محمد بن طاهر الحداد، والعلامتان السيدان عبدالله وعلوي ابنا محمد بن أحمد بن محمد المحضار، والعلامة السيد عمر بن محمد بن ابراهيم السقاف. وكيف لا أكون من تلاميذه، وقد أجازني وألبسني، فوق الانتفاع بحضور مجالسه وروحاته، والاستماع إلى فيوضاته الزاخرة.



وأما ظهوره العظيم، وإشراقه في العالمين، إشراق الأئمة المرشدين، وسطوع الشيوخ الصوفيين، فكان المبتدأ من ظاهرة تلمذته لشيخه العلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، حيث الفتوح فتوحٌ، والمواهب مواهب، والواردات وارداتٌ، والأحوال أحوال.

على أنه لم يكد ينقلب عائدًا من سنقافورة إلى جاوا، ويظهر بمظهر الهادي والمرشد، وفي مظاهر الشيوخ الصوفية، مضافة إلى صفاته العلمية، كعالم عظيمٍ، حتى أخذ ظهوره يتألق، وصيته يدوّي، وشهرته تنتشر، ومدهشاته ترددها الأصداء، وغرائبه تسير بها الركبان، وتتناقلها الأفواه في كل مكان، وإذ بالخلائق عليه متدفقة، وإلى رحابه متتابعة، ويغدو محجًا من المحجات الكبرى، بين متتلمذٍ وزائرٍ ومستفيدٍ ومستجدٍ، الذاهب ذاهبٌ، والعائد عائدٌ، العمرَ كله.



وفي «قرة العين»: أن أول حالٍ طرقَه، كان بقبّة السيد الصالح نوح بن محمد الحبشي، الشهير بسنقافورة، ومن ثُقْله عليه وقع صريعًا على الأرض مدى ساعاتٍ، لا حراك به. وكيف يستطيع الحركة، وعلى كل عضو من أعضائه مثل الجبل ثقلًا.

وفي إحدى الواردات وهو إلى جانب شجرة مخضرةٍ، إذا بها يابسة في ساعتها من لفح حرارته، وهكذا إلى الحمّى، ورسوخ قوائم السرير في الأرض، وبقاء أرجل الخيل في أمكنتها، عاجزةً عن جر العربة من ثقله، وربما تحدّث ساعة الغيبوبة بالمغيبات، وبما يبهر العقول من المنثور والمنظوم.



ثم متى ذهبنا إلى مجموعة سِنيه بجاوا، نجد كثرتها في سكنى بمدينة بوقور، إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف، حيث صارت مدينة فرواكرتا المستوطنَ إلى آخر الحياة، في قصره الرحْب، وإلى جانبه مسجده الرحب، الذي استقدم له عالمًا من تريم يقوم بوظيفة الخطابة والتدريس.



ثم هل يخفى، أن حياته كلها استدامتْ في أجمل المناظر، وأبدع المظاهر، الرئاسة رئاسةً، والمشيخة مشيخةً، والأبهة أبهةً، والمطابخ طابخة، والنفقات باهظة، والأبواب مفتوحة على مصاريعها، والمنزل بمثابة رباط لكل مقيم وعابر سبيلٍ، ومعروف ومجهولٍ، وزائر ومستجدي، وكفالة يتامَى ذكورًا وإناثًا، بالعشرات، إلى الأربعين يتيمًا ويتيمةً. وعلى هذه النغمات، إلى الأخلاق المحمدية، والاتباع على القدم النبوي، والاستقامة، والورع، والتقوى، والزهد، ومراقبة مظاهره وبواطنه، والعناية بالمسنونات، والتهجد، حتى التوكل على ربه في جميع أموره، مع الابتهال إليه في صرف الهدايا والنذور، اكتفاءً بتجارته غير المباشرة في صافنات الجياد، التي لم يتركها سوى قبل وفاته بأربع سنوات.

وحيث علمناه من الهداة، والدعاة إلى الله ورسوله، فقد لاحظنا له الترددات والاختلافات في نواحي جاوة، ولا سيما بتاوي، وشربون، وسماران، وسرابايا، والتقّل. مع الشعور بصفاتها الرائعة، من تجديد حياة المرح والفرَح، والروح الدينية، والاحتشاد لحضور مجالسه وروحاته، في زحامٍ، يستمع السامعون إلى الصوفيات، والنبويات، والسير، وأخبار الأسلاف والصوفية، في استرسال يستهوي الأفئدةَ، ويستولي على المشاعر. حتى إذا جاء دور الأغاني والسماع، كصوفي ذائقٍ والهٍ، تشجيه الأغاني والمطربات، استمعوا إلى السماع بالشبابة والدفوف، وبدونها على النغمات والقصائد المهيجة.



وكما أتاه الله بسطة في العلم والمكانة الاجتماعية، فقد أتاه بسطةً في الجسم، الطول طول، والعرض عرض، من غير بطنٍ، في لون حبَشيٍّ غامقٍ، بلحية صغيرة حمراء من الأذن إلى الأذن، وعينين براقتين. عبقُ الرائحة العطرية، لجمالي يحب الطيبات في الزي العلوي، والملبوس الأبيض النظيف.



وإذا كانت الأمثال تقول: ما في الدنيا مستريح حتى ابن الجريح! فقد كان لصاحب الترجمة حظه من المنغّصات، التي لا منتهى لها، وكم كاد له الكائدون، ووشَى به الواشون عند الحكام، فوق أذياتهم الخاصة.



وهل انتقالُ مولده النبوي السنوي، المقام في آخر خميس من ربيع الأول، لكل عام، في آخر عمره إلى سورابايا، سوى صورةٍ من المنغصات، حيث أقامه بها كعادته،

في جموع وجماهير من كل طرَفٍ، وما هي إلا أيام يسيرة، إذا بمرض الموت ينشب فيه أظفاره، ويذهب به مع الذاهبين إلى ربّ العالمين، بعد ما مكث أيامًا مصطلمًا.

وكانت وفاته بمدينة سورابايا، في منتصف ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة مضت من ربيع الثاني، سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن عشية الأربعاء عقب الصلاة عليه بمسجد عَمْفيل، الذي ضاق بالمصلين على سعته، وشيع في زحام لا يوصف، وفي قبة السادة آل حبْشي، الشهيرة بحي عمفيل، على الطريق العمومية المؤدية إلى المسجد.



والغرابة، أن القبة غدَت مملوءة بالزائرين، في جميع ساعات الليل والنهار، إلى شهر وزيادة! ومتى نسيتُ منسياتٍ عديدةً في حياتي، فلن أنس نداء شيخنا العلامة السيد محمد بن أحمد بن محمد المحضار إلى حيث كان مسجًّى على السرير بعد وفاته، وجعلني إلى جانبه عند الباب، أشاهد طلعته البهية كوداع أخير.

على أن الذين امتدحوه في حياته بقصائدهم جموعٌ غفيرة، منهم شخه سيدنا علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعلامة السيد سالم بن أحمد بن علي المحضار، والشيخ الأديب عوض بن محمد بن سالم بافضل، والشيخ قشْمَر بافضل، والفقيه الخطيب الشيخ حسن بن عبدالله بارجا، وفي «ديواني» تجدون مديحتي مثبوتة.

وأما الذين رثوه بقصائدهم، فمنهم العلامة السيد محمد بن هاشم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسين بن طاهر.

ثم قال السقاف: «آثاره: من آثاره مكتبةٌ عظيمة، ومسجد بمدينة فرواكرتا، ومدرسة بمدينة سماران، ومدرسة بمدينة التقَّل، خلا مدرسة الحوطة (خلع راشد)، جمع لها من هنا وهناك زهاءَ خمسة وسبعين ألفًا من الربيات الجاوية. كما له «ديوانه»، و«مجموعة مكاتبات وإجازات»، انتهى المراد من كلام السقاف، وبه انتهت الترجمة.



[الحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف المتوفى سنة 1357هـ]

ومنهم الحبيب منور البصيرة، العلامة الداعي إلى الله على بصيرة، والحريص على نشر السيرة، أحمد بن عبدالرحمن بن علي بن عمر بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه بن عمر بن طه بن عمر بن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن عبد لرحمن السقاف. وليد سيوون، وخريجها، ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. تردد إلى بلد عمد لزيارة ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه، كما تردد لزيارة حريضة، والأخذ عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس، ومنه ارتفع سندُه إلى صاحب المناقب وغيره.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

على أني بحمد الله قد أدركتُ زيارته الأخيرةَ للحبيب أحمد بن حسن المذكور، إلى بلدنا حريضة. وكم كان فرح الحبيب أحمد بن حسن بصاحب الترجمة، والمباسطة معه، والمذاكرة في سيرة السلف. وكان سيدي الحبيب أحمد بن حسن، يأمرني بمواجهة صاحب الترجمة حالَ القراءة، وكنت في ذلك الوقت أقرأ على سيدي الحبيب أحمد ابن

حسن في «مجموع الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر»، وطلب من صاحب الترجمة أن يجيز الحاضرين ويلبسَهم، فأجازنا وألبسنا. وكان هذا آخر عهدي به.



[ترجمته من «تاريخ الشعراء»]

وقد ترجمه الأخ العلامة المتفنن عبدالله بن محمد بن حامد السقاف، في كتابه «تاريخ الشعراء الحضرميين»، فقال:

«السيد أحمد بن عبدالرحمن السقاف العلوي، شيخنا الطائح بالعلوم الزاخرة، والفنون المتكاثرة، والساطع في المشيخة السافرة. ميلاده بمدينة سيوون، في تسعة عشر شعبان، سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف. وبها التربع في فسيح الحياة، والترقي في درجاتها من واحدة إلى أخرى، وعواطف والده عليه زائدة على إخوانه، فوق عناية جده لأمه الشيخ محمد بن عبدالله بارجا.



وكيف لا تكون الرعاياتُ إلى الغايات، وقد بشر به أبوه قبل وجوده، على ما في «الأمالي». ثم عند تجاوزه منطقة التمييز، إلى استطاعة الإدراك والفطنة والفهم، على حسب استعداده كغلامٍ صغير السن، أدار والده دفّة حياته إلى بحور العلوم والعرفان، من طريق الجسر القرآني الذي مرّ به، متخطياً في وجيز الزمان، مع قوة المدرك، وسواد القراءة، والجودة الخطية. حيث كان الافتتاح العلمي والصوفي على أبيه في «الرسالة الجامعة»، و«سفينة النجاة»، و«بداية الهداية»، والمختصرات الثلاثة: «المختصر الصغير»، و«المختصر الأوسط»، و«المختصر الكبير»، و«أبي شجاع». وفي حفظ «الزبد»، و«ملحة الأعراب»، و«باكورة الوليد» في التجويد قبل كل شيء.

حتى إذا أكمل هذه المنظومات على والده، دراسةً في المقروء، وحفظًا في المحفوظ، كانت مواهبه قد انفتحت على مصاريعها، دفعه والده إلى التتلمذ على غيره من العلماء والأئمة والشيوخ، مع مداومة تلاوة القرآن الكريم بعد صلاتي الصبح والظهر، فوق قراءته العلمية عليه. ويحدثنا في «الأمالي»: أن والده ذهب به مع أخويه جعفر وعبدالقادر إلى بيت تلميذه العلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، لتعليمهم الفقه والنحو، وتخصيصهم بملاحظات وأوقات مخصوصة.

على أننا عندما نرفع الستار عما وراءها من حياته العلمي، وحياته الصوفية، نشاهدهما في أروع الصور، وأبدع المناظر، التدين تدينٌ، والعلوم علوم، والتصوف تصوف. ولماذا لا يفوق أقرانه فهمًا، ويفوقهم سعةً، ومجتهده مجتهَدُ الذين لا يحسبون للإعياء حسابًا، كما لا يفتحون إلى السأم بابًا، وتتدافع أيام الطلب ولياليه، إلى سنواتٍ، في دراسة، ومطالعة، ومباحثة، وحفظ، ومثابرة مستديمة، وسهر طويل، صيفًا وشتاءً، مع فطنة خارقة، وذهنية جاذبة.



وقد تلاحظون من هذه المرئيات سرعةَ فيضان مواهبه، وطفوح معارفه، وحسبانه من العلماء العاملين الكبار، بشهادة مشايخه على كثرتهم، وتباعد أمكنتهم وبلدانهم، وما بالكم بغيرهم! وقد أورد في «أماليه» جماعة منهم. وفيهم: العلامة السيد عبدالقادر بن حسن بن عمر بن سقاف بن محمد بن عمر السقاف، والعلامة السيد محمد بن علي بن علوي بن عبد اللاه السقاف، في التفسير، والحديث، والفقه، والتصوف. والعلامة السيد صافي بن شيخ بن طه السقاف، والعلامة السيد محمد بن عبدالقادر بن حسن بن عمر بن سقاف السقاف، والعلامتان السيّدان عبدالله وعبيدالله ابنا السيد محسن بن

علوي بن سقاف السقاف، والوالد العلامة السيد علوي بن عبدالرحمن بن علوي بن سقاف السقاف، والوالد الإمام والعلامة السيد عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور.

وممن تتلمذ لهم تتلمذًا صوفيًا: العلامة السيد شيخ بن عمر بن سقاف السقاف، والعلامة السيد محمد بن إبراهيم بن عيدروس بلفقيه، والعلامة السيد عمر بن حسن بن عبدالله الحداد، والعلامة السيد علي بن سالم بن علي بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، والعلامة السيد عيدوس بن عمر الحبشي، والعلامة السيد عبدالله بن عمر بن محمد بن عمر بن زين بن سميط، والعلامة السيد أحمد بن محمد بن علوي المحضار، والعلامة السيد أحمد بن عبدالله بن عيدوس البار.

وأما العلامة السيد أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس، فقد التحق به متتلمذًا وملازمًا، امتثالًا لشيخيه العلامتين سيدنا محمد بن علي، وسيدنا علي الحبشي. وفي «الأمالي»: أنه صحبه إلى حريضة، وإلى دوعن، وإلى عمْد، وإلى تريم، وعينات، مراتٍ. وقرأ عليه كثيرًا من الكتب في فنون مختلفة، ومن أحاديثه: أن له من أكثر مشايخه الإجازات والوصايا والإلباسات، وغير ذلك، ومن سيدنا علي التكرر.

ثم متى انقلبنا إلى معيته لوالده، وتبعيته له، نجدُه ملازمه كظله، ومعه في صلواته، ودروسه، وروحاته، ومجالسه الخاصة والعامة، وحيثما كان. وفي «الأمالي»: أن قراءته عليه مستمرة في الفقه والتصوف، في كل يوم، وكثير من أوقات النهار بكرةً، وبعد الظهر، وبعد العصر. ومن مقروآته العديدة عليه: مثل «شرح ابن قاسم»، و«مختصر أذكار النواوي» للعلامة الشيخ محمد بن عمر بحرق، عدا ما قرأ عليه في الكتب التي يقرأ فيها أخوه جعفر، كعناية به، وعظيم محبة له.

وعلى النسق المعروض، كانت ملازمته لأبيه متتلمذًا، ومقتديًا، ومهتديًا، إلى مماته. حتى إنه صلى خلفه آخر صلاة صلاها يوم وفاته، وهي صلاة الصبح، في يوم الجمعة، ثلاثين شعبان، سنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف.



ومن حينئذٍ تفرغ لملازمته شيخه العلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، تفرغًا كليًا وجزئيًا، بمثابة شيخ فتحه، وفي معيته ليله ونهارَه، قارئًا فيما لا عدد له من الكتب والعلوم، العمرَ كله. وعندما ارتفع شيخُه سيدنا علي الحبشي إلى المشيخة العظمى، مشيخة الإمامة العامة، والدعوة المحمدية، جلس بمسجد الرّياض مجلسَه، نخليفة له في درسه الفقهي الصباحي، كما جلس الوالدُ الإمام مجلسَه المسائي بين العصرين.



وقد تشفقون عليه في مقعدِه من صلاة الصبح المبكّر خلفَ سيدنا علي إلى الضحوة الكبرى، والاستماع كل يوم في الفقه، إلى قراءة العشرات من الناس في مختلف الكتُب بين صغير وكبير، مع التقرير والتحقيق لكل واحد، حتى يفهم فهمًا جيدًا، حتى إذا فرغ المتعلمون، صلى صلاة الضحى، قبل الذهاب إلى منزله للإفطار، ثم العودة إلى الرياض لصلاة الظهر خلف شيخه، وكان هذا دأبه في الصلوات الخمس خلفَه. كما لا تفوته مجالسه الخاصة اليومية، ولا العامة، ولا المسائية كل ليلة بمنزله، أو عند أحد تلاميذه، فما بالكم مولده كل ليلة جمعة، ومدرس يوم الإثنين من كل أسبوع، وزياراته المقابر بسيوون وبخارجها، إلى دوعن وعمد غربًا، وإلى تريم وعينات والنبي هود شرقًا، إلى متوفاه عشرين في ربيع الثاني، سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف.

وحين أننّا لم نزل في منطقته العلمية، فقد كان القارئ المشبع لشيخه سيدنا علي الحبشي، بشهادة شيخهما سيدنا عيدروس بن عمر الحبشي. على أنه عندما اشتكى الرمد محتجباً في البيت بسببه، تأثر سيدنا علي تأثرًا بالغًا.

ونراه في «مجموع كلامه» يقول عنه: إن عيونه عيوننا. يستطرد إلى وصفه بالعلم، والعمل، والورع، وعدم النظير له في الفقه بحضرموت، مع حافظة قوية. حتى إنه يسرد عبارة «التحفة» بالحرف من حفظه، عندما يسأل عن مسألة فقهية، ويسرد حديث «البخاري» أو غيره من حفظه بالحرف، عندما يسأل عن الحديث.

ومع هذه الحافظة القوية لا يلحن مطلقًا، مهما كان الكتاب كبيرًا، أو صعبًا، أو غير منقوطٍ، لقوته النحوية، وسرعة إدراكه. وللمستزيدين قوةً فوق قوة، أن يعلموا اغتباط شيخه العلامة السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي، أثناء نزوله في ضيافته بمكة للنسك، عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف، ومطالعتهما في «البهجة». ولماذا لا يغتبط به! وقد لمسه من الفقهاء الأفذاذ.



وأما تلاميذه الذين تلقوا عنه الفقْهَ، ودعوا جانبًا المتصوفةَ، فلا عادّ يعدهم، لعديدهم كالرمال، ويكفي تصور نزلاء الرباط من جميع الجهات، قربًا وبعدًا، إلى الصومال، وظفار، وزنجبار، في مدى زهاء أربعين عامًا، القادم قادمٌ، والمسافر إلى وطنه مسافرٌ، وكلهم مرتوون من علومه.



ومن تلاميذه السيونيين، على كثرتهم، نعرض: العلامتين السيّدين عبدالله ومحمد ابني سيدنا علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعلامة السيد محمد بن هادي بن حسن السقاف، والعلامة السيد سقاف بن عبداللاه بن عمر بن أبي بكر السقاف، والعلامة

السيد محسن بن عبدالله بن محسن بن علوي السقا، والعلامة السيد سالم بن صافي بن شيخ السقاف، والعلامة الشيخ عبدالقادر بن محمد بن محمد بارجا، والعلامة السيد حسن بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالقادر السوم السقاف.



ولما أنّ حياة صاحب الترجمة واسعة الأرجاء، ومتشعبة النواحي، أفلا يكون من المستحسن الانسلالُ منها إلى حياته الاجتماعية، حيث نصطدم بشيخه العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس يثني عليه في «مجموع كلامه»، ويبشر بظهوره الذي تُحقِّقَ عقبَ تواتر أشياخه إلى مدافنهم، وخلو الجوِّ له. ونجد ذلك الساكتَ الملجم، الذي قد كف بصره في آخر عمره، يتحول إلى نادرة من نوادره في اللسان، والبيان، والنبويات، والصوفيات، والمناقب، والسير، وأحوال السابقين واللاحقين من الصالحين، والسلف والخلف. ويصبح المنظورَ، والزعيمَ، وعين أعيان الزمان، والمشار إليه بالبنان وغير البنان، وهو المقدم في الصفوف والمحافل والمجالس، والمتحدث المطلق، والواعظ المدهش، والمرشد إلى الحي القيوم.

ومن غيره له إمامة مسجد طه بن عمر! أو من يستجري غيره أن يزيد فيه شيئًا! كما زاد الصفَّينِ الأولين، عام أربع وخمسين وثلاثمائة وألف.



ومن مميّزاته: التواضع، والهدوء، والسكينة، والصبر، والاحتمال، والتغاضي، وهضم النفس، وموتها، وعدم استشعاره بميزة العلم والعرفان، إلى حسن السياسة مع الناس، ومجاملتهم، ومداراتهم، ومراعاة الكبير والصغير، والانقياد لكل قائد، مع غض النظر عن الأخلاق الفاضلة، والسجايا الحسنة، والطباع اللينة، والنفسية الطاهرة، والمظهر العلوي،

والمنظر السلفي، معتمًا، وهيئةً، وتقوى، وقناعةً، وزهدًا، وعبادةً، وسننًا، وتهجّدًا، وتحاشى السيآت إلى الذرات، فكلها فوق التصوّر، ولا تحتاج إلى تبيان.

ثم متى جاز نسيانُ شيءٍ، فمن المستحيل نسيانُ تلمذتي له، قراءةً، وإجازةً، وإلباسًا، بسيوون. حتى ألبسني قُبع سيدنا عبدالله بن أبي بكر العيدروس، ليلة الاثنين، في ثلاث وعشرين ذي القعدة، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف، حينما كنا بمنزل شيخنا العلامة السيد عيدروس بن حسين العيدروس في بلدة الحزم، ومبيتنا معه، في أثناء طريقنا إلى زيارة مقبرة جرب هيصم بشبام.

والحقيقة، أن المترجم ما برح في حالة مرضية، وصفات سنية، وحياة هنية، إلى حلول المنية، ذاهبةً به إلى رب البرية، قبيل غروب شمس يوم السبت، أربع محرم، سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف، إثر مرضٍ استدام به منذُ ثمان عشر رمضان، سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف. ودفن بقبة والده، في عصر ثاني يوم (الأحد)، والأسى يتطاير من نفوس المشيعين، الذين تقاطروا من كل حدَب وصوب.

على أننا نحيلُ المستزيدَ من ترجمته، إلى كتاب «مناقبه» لولده عبدالقادر بن أحمد، وإلى «البيان الجلي في مناقب العلامة السيد محمد بن علي بن علوي السقاف»، للعالم السيد مصطفى بن سالم بن محمد بن علي السقاف، فوق ترجمته في «الأمالي».

وممن رثاه بقصائدهم النادبة، العلماء: ولده السيد عبدالقادر بن أحمد، وصهره السيد محمد بن عبداللاه بن علي بن محمد بن علي السقاف، وتلميذه السيد محمد بن شيخ بن عبدالله بن أحمد المساوى، وتلميذه السيد سقاف بن محمد بن طه بن محمد بن محسن بن علوي السقاف، وتلميذه السيد محمد بن حسن بن علوي بن عبدالرحمن بن علوي السقاف، والسيد حسين بن عبدالله بن علوي الحبشي صاحب ثبي، والسيد زين العابدين بن أحمد الجنيد، والشيخ فضل بن محمد بن عوض بافضل، والشيخ عمر بن محمد بن محمد باكثير.

ومن آثار صاحب الترجمة الخالدة: «كتاب الأمالي»، يحتوي على تراجم أحد عشر من العلماء والأئمة، منهم تسعة من مشايخه، وفي آخره ترجم نفسه ترجمة وجيزةً. ويقول تلميذه السيد محمد بن عبداللاه بن علي السقاف، في خطابه المؤرخ سبع ربيع الأول سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف: «إن الأمالي أملاه عليه صاحب الترجمة، وكانت الترجمة الأولى لشيخه العلامة السيد محمد بن علي بن عبداللاه السقاف، ضحى يوم الأربعاء عشرين جمادى الآخرة، سنة وحدة وخمسين وثلاثمائة وألف».

ولصاحب الترجمة إجازاته ووصاياه، ومن وصاياه المطولة: «وصيته للعلامة السيد عيدروس بن سالم البار المكي»، انتهى المراد من كلام السقاف، وبه انتهت الترجمة.



[الحبيب أبوبكر بن محمد السقاف المتوفى سنة 1376هـ]

ومن مشاهير الحبايب آل السقاف أيضًا بجاوة، في الوقت الحاضر: الحبيب العالم العامل، المشهور الخامل، والمثال السلفي الكامل، أبوبكر بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن

عمر بن سقاف السقاف. وليد بِسُوكي، سنة ست وثمانين ومائتين وألف هجرية، وخريج سيوون بحضرموت، وشهير قرسي بجاوة أيضًا، بالصلاح، والدعوة إلى الفلاح.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

زرته إلى بيته بقرسي، وطلبت منه الدعاء والإجازة، فأجازني، ودعا لي.



وأشياخه كثيرون، من أجلّهم شيخُ تربيته، عمه الحبيب عبدِالله، بكسر الدال، بن عمر بن أبي بكر السقاف، والحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي، والحبيب محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي، والحبيب عبدالقادر بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن قطبان السقاف، فقد أخذ عنهم، وارتوى منهم.



وكان فتوحه الرّباني في الخلوة بقرسي، بعد أن قضى في تلك الخلوة سبعًا وعشرين سنةً، على عبادة وأذكار، وهناك حصل له الإذن من أسلافه بمخالطة الناس، ودعوتهم إلى سيرة السلف، فتوارد إليه المستمدون والزائرون من كل حدَبٍ وصوب، وانتفع به الجم الغفير، ولا يزال متع الله به محطّ الأنظار، وكعبة للزوار.

وقد اعتنى بجمع مناقبه تلميذه ومحبه الشيخ عمر بن أحمد بارجا. وكانت وفاة الحبيب أبي بكر المذكور، بقرسي، ليلة الاثنين وسبعة عشر مضت من ذي الحجة سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، ودفن في قبة الحبيب العارف بالله علوي بن محمد بن هاشم السقاف، رحمهما الله، وأعاد علينا من بركاتهما، آمين.

[الحبيب أحمد بن جعفر السقاف]

ومنهم الحبيب حسن السير، الفاني في محبة الخير، والمنقطع إلى مولاه عن الغير، أحمد بن جعفر بن أحمد بن علي بن عبدالله السقاف. وليد سيوون ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. زار صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى بلده عمْد في حياته، وأخذ عنه، ولبس واستمد منه. وكان صاحب الترجمة من المعمَّرين، وهو الآخذ بلا واسطة عن السيد العارف بالله محمد المجذوب، صاحب سَواكِن، القائل، إلى أن انقطع نفَسُه: ناظري وناظر ناظري في الجنة، وكان اجتماعه به في المدينة المنورة، بالروضة المطهرة.

ومن خصوصيات صاحب الترجمة، أنه لما توفي، وأرادوا إنزاله في قبره، وكان الحبيب علي بن محمد الحبشي الآنف الذكر، حاضرًا، أمر أولًا بقراءة قصة المولد النبوي، وقال: تلقّى ذلك بإشارة برزخية من الحبيب علي بن عبدالله السقاف، فلما بلغ القارئ حيث يسن القيام، وقام الحاضرون على الأقدام، أمر بإنزال ذلك الإمام، إلى مقره البرزخي في دار السلام.



[الحبيب حسن بن أحمد العيدروس المتوفى سنة 1304هـ]

ومنهم الحبيب السلوة، العالم الصفوة، الذي لم تحفظ له بين أقرانه هفوة، حسن بن أحمد بن حسين بن عبدالله بن علوي بن أحمد بن علوي بن أبي بكر بن عمر بن عبدالله بن علوي بن عبدالله العيدروس. وليد بور، ودفين تريم، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رحل إلى بلد عمد لزيارة صاحب المناقب رضوان الله عليه في حياته، وأخذ عنه،

ولبس منه، وأثنى عليه خيرًا صاحب المناقب، خصوصًا في سلوكه، وقربه من أسلافه حسًّا ومعنىً.

قلتُ: وكان لصاحب الترجمة صحبة ودية ومحبة مع الحبيب علي بن محمد الحبشي، الآنف الذكر. قال الحبيب المنيب عمر بن محمد بن سقاف مولى خيله، فيما جمعه من «كلام الحبيب علي المنثور»: «وقال رضي الله يوم الجمعة وسبع وعشرين جمادى الأولى، سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف، مخاطبًا السيد سقاف بن حسن بن أحمد العيدروس، وقد سأله عن عقد الأخوة بينه وبين أبيه: نعم عقدنا الأخوة في الله، وهو أول عقدٍ عقدَه بيننا المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة المنورة، وثاني عقد عقدناه في البيت عنده في بور، وأنت يا ولدي عليك نظر من أبيك، كان إذا جئت إلى عنده يجلسك بيني وبينه، ويقول: ادع لسقاف، وسره إن شاء الله فيك.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يروَى عن الحبيب أبي بكر العطاس، أنه قال: حسن بن أحمد العيدورس الاّ من أهل القرن الأول، ولكن أخّره الله إلى هذا الزمان رحمة بالأمة، انتهى المراد من كلام الحبيب علي.

قلتُ: وكان صاحب الترجمة صاحبَ وجاهة وسماحة نفس، في بذل المال، وإطعام الطعام، حتى أنه كان يلقب بالكريم.

وكانت وفاته سنة أربع وثلاثمائة وألف من الهجرة المحمدية، وقال الحبيب العارف بالله عبدالبارئ بن شيخ بن عيدروس العيدروس، في «كلامه المنثور» الذي جمعه الأخ العلامة محمد بن سقاف بن زين بن محسن الهادي:

«إن الحبيب حسن بن أحمد العيدروس سكن في آخر عمره بالسحيل بتريم، وكان متزوّجًا بعمتي، وقد حضرنا وفاته، وكفّنه العم عبد الرحمن المشهور بحضور الوالد شيخ،

والعم عيدروس بن علوي العيدروس، وأول لفافة فوق القميص شقّة من الحبيب حسن بن صالح البحر، وفيها الضمانة بالجنّة منه، في رقعة العمامة، جعلها العم عبدالرحمن على رأسه، بعد ان كفّنه. فالقميص من الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، والعمامة من الحبيب طاهر ابن حسين أخيه، والقلنسوة من الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه، والإزار من الحبيب محسن بن علوي السقاف.

فقال العم عبدالرحمن المشهور: انظروا إلى حسن ظنه بأهله وسلفه، ما قال قدنا حسن بن أحمد ويكفي، ومع ذلك له أعمال لو وضعت على الجبال لدكتها، بل أخذ يتبرك بملابس الرجال، انتهى.

ومرة سافر إلى الحج هو وجماعة من السادة والمشايخ، واتفقوا على أنه ينفق عليهم، والحساب فيما بعد، فصار ينفق عليهم في طريقهم، وكانوا يتشاركون رأس الغنم، فيأخذ كل واحد منهم على قدر حاله من ذلك اللحم، فلما رجعوا وأرادوا الحساب، وكان كل واحد منهم خائف من المبلغ الذي عليه، حسب جميع ما أنفقه، ثم مزق أوراقه وسامحهم فيه».

وذكر سيدي عبد الباري أيضًا، حكاية الضمانة له بالجنة من الحبيب حسن المشهورة، ثم قال: «إنه كان صاحب ثروة، وله ثلاثة عشر ولدًا، وعنده أربع زوجات حرائر، وكل واحدة في بيت، وعندها جارية أو جاريتان. وكان إذا أتى إلى تريم يستصحب معه كثيرًا من الريالات، ويخصّص الأعيان من أهل الفضل والعلم والصلاح من نحو خمسين ريالًا للواحد منهم. ثم انتقل إلى تريم في آخر عمره.

وأخبرنا الحبيب حسن بن محسن بن علوي السقاف، قال: جاءتنا عيد الحجة مرة في حياة الوالد محسن، ولم يكن عندنا شيء في البيت أصلًا، فأمرني الوالد أن أخرج

لطلب شيء أستقرضه أو أستدينه، فخرجت أمشي في الطريق، فرآني الحبيب حسن بن أحمد العيدروس من أحد بيوت السادة أهل سيوون، وكان متزوجًا عندهم.

فدعاني، وقال لي: أراك كالمذهول! فقلت: ما هناك شيء، قال: بلى، أخبرني عن أمرك. وكلّف عليّ، فأخبرته. فقال: قف هنا، وأخذ كوفية ألفية كانت على رأسي، ودخل منزلًا صغيرًا، وأخرج ملئها ريالات فرانصة، فظننت أنه يعطيني بعضها.

فقال: خذها وأعطها والدك كلها. فاستعظمت ذلك، فقال: خذها، ولا تخبره بأنها مني. فذهبت بها إلى والدي، فتعجب من تحصيلي على ذلك القدر. فقلت له: خذها ولا تسأل، فلم يزل يراجعني في أن أخبره من أين؟ حتى قال لي: مررتَ بأي طريق؟ فقلت له: بطريق الفلاني. فقال: وحسن بن أحمد هنا؟ يعني في سيوون؟ فقلتُ: يمكن! فقال: ما أظنها إلا منه. فقلت: منك ولا منّي».

ثم قال سيدي: «فانظر إلى هذا الكرم، فإن الذي في الكوفية يقدر بثلاثمائة ريال. والحبيب محسن هذا كان إمامًا عالمًا متقشّفًا، وعنده عائلة كبيرة، اجتمع مرة من أولاده الذين في المهد فقط اثنا عشر صبيًا»، انتهى المراد من كلام العيدروس.



[مسألة الضمان بالجنة]

قلتُ: وربما يكون في قرَّاء هذا «التاج» قاصر أو ومعاصر، يتهكم بصاحب «التاج» عند ذكر الضمانة بالجنة، أو عند ذكر التبرك بلباس الصالحين، سواءً إن كان في الكفن أو غيره، ويقول: نحن الآن في القرن الرابع عشر الهجري، أو القرن العشرين الميلادي، وهذا لا يزال في التخييل والاعتقاد الخرافي!

فنقول له في الجواب: إن كنت مؤمنًا بالله حقًا، فاعلم علمَ اليقين، أن قدرة الله تعالى لا يحول بينها وبين نظام الكون زمان ولا مكان، وأنها لا تظهر إلا في مخلوقات الله من آدميين وغيرهم. فالآدميون هم مناط السعادة والشقاوة الأبدية، إذ بهم لا تزال ولن تزالَ جميع المراتب معمورةً، معنى وصورة، كما قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾. على أنّ هذه الأشياء التي ذكرناها لا تصدرُ إلا من العارفين بالله، الواقفين مع مراد الله:

وما كل مخضوبِ البنان بُثينةٌ ... ولا كل مصقول الحديد يماني

ولا كل من يقرأ ويكتب ويتشدق بالكلام عارفٌ، وإلا لكان أهل الجرائد أقرب الناس إلى الله، لكثرة ما يقرؤون ويكتبون، وينوّعون من المقالات. وفي الحديث الشريف: «**ما فضلكُم أبوبكرٍ بكثرة صلاةٍ ولا صومٍ، ولكن بشيء وقر في صدره**»[1]، يعني الإيمان.

[من صيغ الضمان بالجنة]

ولعل المعترض يسمعُ بالضمانة بالجنة، ولا يعرف صيغتها، فنزيده إيضاحًا، ونقول له: أما الضمانة، فقد ذكرها الإمام المحقق، والبحاثة المدقق، الحبيب علي بن حسن العطاس في كتابه «المقصد إلى شواهد المشهد»، وأيّدها بنص القرآن والحديث، حيث ذكر: أنه جاء مرةً إلى بلد خِدَيش بدوعن، في وقت الشتاء وشدة البرد، فوجد غالب أهلها يصلون صلاة الصبح في بيوتهم، لعدم مكان خاص في المسجد، يكنّهم من شدة البرد، والمسجد المذكور بناه الشيخ العلامة عبدالرحمن بن عمر بن أحمد العمودي، ساكن الشعبة بوادي عمْد.

---

(1) في «تخريج أحاديث الإحياء» للحافظ العراقي: «أخرجه الترمذي الحكيم في «النوادر»، من قول بكر بن عبدالله المزني، ولم أجده مرفوعًا».

فطلب الحبيب علي من أحد المثرين في تلك البلدة، وهو علي بن عبدالله باعطية، الذي حفر بئر عطية بالمشهد، أن يزيد حمامًا في المسجد المذكور، لأيام البرد، أي غرفةً حصينةً، وكان ذلك الرجل معروفًا بشدة الحرص على المال، فاشترط على الحبيب على أن يكتب له رقعة، ضمانة على الله بقصر في الجنة، فأجابه الحبيب علي إلى ما طلب. فلما تم بناء الحمام، وامتلأ بالمصلين جماعةً، طلب الرجل الرقعة من الحبيب علي، فكتب له ما ملخصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رقعةُ ضمانةٍ على الله تعالى، من عبده الحقير علي بن حسن العطاس، بقصر في الجنة، لفلان الفلاني، اعتمادًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من بنى لله مسجدًا ولو كمفحصِ قطاةٍ، بنى الله له بيتًا في الجنة**». **صحيح علي بن حسن العطاس**».



وأما لباسُ الصالحين:

فليرجع القارئ إلى (الباب الرابع) من «تاجنا» هذا، عند ذكر القبع المشتمل على لباس الصالحين. وقد استدلينا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ أي الصندوق ﴿فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨﴾، على أن التابوت المذكور ليس فيه إلا التوراة، وعصا موسى، ونعلاه، وعمامة هارون وعصاه.

وقد عظم الله شأنه، وجعل الملائكة تحمله مع ملوك بني إسرائيل في الحروب، يستنصرون به على أعدائهم. ولا شك أن لباس الأولياء له ميزته وحرمته عند الله، فإن

الله عظم شأنهم في القرآن، وأضافهم إلى نفسه، وبشرهم بسبق السعادة لهم في سابق علمه، لكونهم خلفاء الأنبياء في نشر الشريعة، والعمل بها، ثم أكدَ ذلك بقوله ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ﴾.



[مسألة التبرك بثياب الصالحين]

وأما التبرك بلباس الصالحين في الكفن، فدليله من السنة: ما رواه أهل السير في سرية الصحابي الجليل عبدالله بن أنيس الجهني السلمي الأنصاري، أنه لما قتل سفيان الهذلي، الذي كان يجمّع الجموع لغزو النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأتى برأسه إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعطاه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عصا، وقال له: «**اختصر بها في الجنة**»، أي توكأ عليها. فأمر بها عبدالله أن تدرج في كفنه، فأدرجت بحضر جمع من الصحابة. على ما في «السيرة الدحلانية» و«الحلبية» وغيرهما. فنسأل الله بجاه أنبياءه وأولياءه، أن يرينا الحقّ حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، إنه ولي التوفيق.



[الحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور
المتوفى سنة 1344هـ]

ومنهم الحبيب الذي وقَر الإيمان في صدره، العلامة المجمع على جلالة قدره، والمشغول بذكر الله في سره وجهره، علي بن عبدالرحمن بن محمد بن حسين بن عمر بن عبدالله بن محمد المشهور بن أحمد بن محمد بن شهاب الدين الأصغر بن عبدالرحمن القاضي بن شهاب الدين الأكبر. وليد تريم ودفينها، وأحد مشاهير علمائها وصلحائها، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

زار ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى بلده عمد، واتصل به سندًا ومددًا من عدة طرق، أقربها أخذه عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

على أني بحمد الله قد حضرتُ زيارته الأخيرة للحبيب أحمد المذكور، إلى بلدنا حريضة، ومجالسه الخاصة مع الحبيب أحمد والعامة. وكنت في تلك الأيام أقرأ على سيدي الحبيب أحمد في «المهذب» للشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان يأمرني بمواجهة صاحب الترجمة حال القراءة، ونية القراءة عليه. ثم طلبت منه الإجازة، فأجازني، ودعا لي. ثم زرته بعد وفاة سيدي الحبيب أحمد إلى بيته بتريم، وحضرت معه زيارة تربتها بكرةَ يوم الجمعة، التي هي أشبه بزيارة الحي للحي في الحي، وكان في ذلك الوقت هو المقدّم على أهل تريم في السلفيات.



وكان سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس المذكور، يحب صاحب الترجمة، ومغتبطًا به، حتى أنه يقول في حقه: إنه برزخي، يعني: أن روحه متصلة بأهل البرزخ اتصالًا حقيقيًا. وقد أمره الحبيب أحمد في تلك الزيارة بالإقامة في حريضة عشرة أيام في ضيافته، وأمره أن يصلي به الصوات الخمس كلها إمامًا، مدة إقامته بحريضة، حتى إن بعض أهل الأشغال المواظبين على صلاة الجماعة خلف الحبيب أحمد، تركوا صلاة الصبح في الجماعة، لأن صاحب الترجمة يستغرق في صلاته، وهذا من أعظم الأدلة على أنه من أهل الشهود.



وحسبنا أن نعدّ من أشياخ صاحب الترجمة: والده مفتي الديار الحضرمية، ومن له المنة الكبرى على السادة العلوية. فإنه تربى بوالده، وقرأ عليه، وتخرج به، واستخلفه والده وهو في

قيد الحياة، لما رأى فيه من الأهلية لذلك. حتى إنه كان يقول: ولدي علي أعبد مني. وما كتاب صاحب الترجمة المسمى «شرح الصدور» في مناقب والده الحبيب عبدالرحمن المشهور، إلا نموذجٌ من حياة والده، وحياته العلمية والاجتماعية. على أني بحمد الله قد تبركت بالنقل منه في هذا «التاج»، عند ذكر مشايخ صاحب المناقب في (الباب الرابع).

وقال الحبيب العلامة سالم بن حفيظ بن عبدالله بن أبي بكر بن عيدروس بن عمر بن عيدروس بن عمر بن أبي بكر بن عيدروس بن الحسين بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، في كتابه «منحه الإله في الاتصال ببعض أولياه»:

«**الشيخ الثالث من مشايخي**: الحبيب علي بن سيدي عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو السالك الناسك، العابد المتواضع، الخاشع الخاضع، الذي أفنى قواه في طاعة مولاه، مؤلف كتاب «شرح الصدور في مناقب والده الحبيب عبدالرحمن المشهور»، نفعنا الله به، وأعاد علينا من أسراره وبركاته، آمين. اتصلتُ به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصاحبته وأخذت عنه، وقرأت عليه في الفقه، وفي كتب القوم، وصاهرته، وأجازني، ولقنني، وألبسني، وأوصاني. ونلت بحمد الله تعالى صالح دعواته.

[إجازة صاحب الترجمة لتلميذه بن حفيظ]

وهذا نصّ «إجازته» التي أملاها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجزاه عنّا خير:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي بنعمته تمّ الصالحات، وتجزل الهبات من ربّ البريات، والصلاة والسلام على سيد السادات، وقدوة القادات، حبيبنا محمد حميد الصفات، وعلى آله وصحبه في

جميع اللحظات والساعات، صلاة وسلامًا نتوصل بهما إلى أعلى الدرجات، صلة متصلة إلى أشرف البريات، مع الرضى والمحبة من ربنا في جميع الحالات، آمين اللهم آمين.

أما بعد، فيقول العبد الفقير، المعترف بالذنب والتقصير، والقصور لربّه الغفور، علي بن عبدالرحمن بن محمد المشهور، فقد طلب واستجلب منّي الإجازة والوصية، وأكّد عليَّ في ذلك، السيد الفاضل، الولد المبارك، الناسك المنيب، الفقيه النبيه، الداعي إلى الله والدال عليه، ذو الأخلاق السنية، والشمائل المرضية، سالم بن حفيظ بن عبدالله بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم. فلم تمكني مخالفته، لما له علي من القربة، وصدق الأخوة والمحبة، وحسن الظنّ، وإن لم أكن أهلًا لذلك، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه، **اللهم** استرنا بسترك الجميل في الدنيا والآخرة، وأعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، واجعلنا من المتواصين بالحق والصبر، آمين اللهم آمين.

فأقول مستعينًا بالله ومتوكلًا عليه:

أوصي نفسي وهذا الولد وأولادَه، ومن تعلّق بنا وجميع المسلمين، بما أوصى الله به الأولين والآخرين، بقوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾. **والتقوى** عبارةٌ عن جميع ما أمر الله به، من فرضٍ وواجبٍ ومسنونٍ ومستحب، والانتهاء من جميع ما نهى الله عنه، من حرام ومكروه وغيرهما. **اللهم** احفظنا جميعًا بكمال التقوى والاستقامة، وحسّن أخلاقنا، ووسّع أرزاقنا الحسية والمعنوية، وارزقنا كمال الاتباع لسيّد البرية، حبيبنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وأوصيه أيضًا بمحبة العلم وأهله، والعمل به، والاشتغال بقراءة القرآن العظيم، والإحسان، وتفهم معانيه، وحفظ الوقت، وكثرة الذكر والاستغفار، والصلاة على

الحبيب المختار صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والتفكر في مخلوقات الله والاعتبار، والترقي مع المراقبة لله تعالى، والإعراض عمّا سوى الله، وبترك الفضول، والدخول في أشغال أهل الزمان، والاشتغال بالخالق عن الخلق. قال الشاعر:

قومٌ همومهمُ بالله قد علقَتْ ... فما لهم همَمٌ تسمو إلىٰ أحَدِ

فمطلبُ القوم مولاهُم وسيّدهمْ ... يا نعْمَ مطلبهم للواحدِ الأحَدِ

وقال سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم في كتابه «مفتاح السرائر»: «ما رأيت شيئًا إلا شهدتُ الله فيه أو قبله أو بعده»، إلى آخرها. قال: «فيكون مع الخلق ببدنه، ومع الخالق بقلبه».



وأوصيه أيضًا بنشر العلم، والتعليم للجاهل، والدعوة إلى الله مع اللطف والرحمة، والدعاء للمسلمين. **اللهم** أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، واحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، برحمتك يا أرحم الراحمين.



وأما الإجازة؛ فقد أجزته، وأولاده، ومحبيه، ومن تعلق به، في العلم، والتعليم، والذكر، والتذكير، والنفع، والانتفاع، والأذكار والأوراد، والصلوات على النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والاستغفارات، وجميع ما يقربه إلى الله. بشرط الدعاء لي بالمغفرة والرضوان، من ربنا قديم الإحسان، كما نحن لكم داعون، وبكم إن شاء الله معتنون.

اللهم اجعنا من المتحابين في الله، المتواخين في الله، المتواصين بالله، المرضيين عند الله، المحبوبين والمحبين الفانيين في الله، عما سوى الله، مع البقاء والسلامة، والعافية الكاملة، دائمًا مؤبدًا، بحق سيدنا محمد صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

انتهى ما خطه القلم، مع العجلة والاستعجال، وعدم السكون والانشراح، والحمدلله أولًا وآخرًا، ظاهراً وباطنًا، وأستغفر الله من التطفل والتحذق، والدعاوى مع غير أهليّة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

وكانت وفاة صاحب الترجمة، الحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور، بتريم، بكرة يوم الأربعاء، الموافق تسع في شوال سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف»، انتهى المراد من «منحة الإله».



وقال الأخ العلامة المتفنن، عبدالله بن محمد بن حامد السقاف في «تعليقاته على رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية»، للشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن سالم باكثير الكندي، نزيل زنجبار، عند قول صاحب الرحلة: «وكانت زيارتنا لوادي شعب عيديد بتريم مع السيدين الكاملين، والكوكبين النيرين، علي بن عبدالرحمن بن محمد المشهور، وصهره السيد سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم، فدخلنا مسجد سيدنا محمد بن علي مولى عيديد، وصلينا فيه ركعتين، ثم قرأنا الفاتحة ويس، ودعونا الله عَزَّوَجَلَّ، وكان السادة آل عيديد خرجوا ذلك اليوم لصلاة الاستسقاء، فلما رجعنا من الزيارة حضرنا معهم الصلاة وصلى بالناس صلاة الاستسقاء سيدنا السيد علي بن عبد الرحمن المشهور المذكور.

فقال السقاف: «هو علي بن عبدالرحمن»، وسرد نسبه إلى سيدنا الفقيه المقدم، «العلامة الصالح، والصوفي العامل بعلمه، والناسك المتبتّل إلى ربه، والعابد حتى كان بالروحانيين أشبه. ولد بمدينة تريم، في وحدة وعشرين ربيع الثاني سنة أربع وسبعين ومائتين وألف، وعلى المغدقات الأبوية، من الرعاية والملاحظة والعواطف والتربية

مرت به الحياة من سنة إلى أخرى، حتى تخطت به حواجز التمييز إلى ما وراءَها، مجتازة به محيطًا مضيئًا، وبيئة فياحة بالطيّبات والفضائل، حتى كان عبيرها يشمّ من أردانه، منذ حداثته. على أن أيام الطفولة المفهومة، تقضت من غير عَرامة ولا شبهها كما يقتضيه الصبا، حيث كان الناس يرتقبونه مع الأطفال لاعبًا من شارع إلى شارع، وإذا بهم يشاهدونه في مهتدى الكبار، سالكًا في كل يوم سبيله إلى المعهد القرآني، متعلمًا في خليط الأحداث القرآنيين، وما كاد يأتي على نهايته القرآنية، حتى ارتقى إلى مستوى المتلمذين العلميين كواحد منهم، في فقهياتهم وغيرها.

وفي هذه المواطن الثقافية أخذت وجهاته مأخوذاتها، من مزيد إلى مزيد، ومن ختام إلى افتتاح، ومن كتاب إلى آخر، ومن فقه إلى تصوف، وهكذا كان سيره الطبيعي في حياته العلمية، ومناحيه الصوفية.

ومع توالي الأيام وتكرر السنين، كان محصوله الفقهي قسطًا وافرًا، كعالم كبير من العلماء، وصوفي جليل من عظماء الصوفية. مع الإشارة إلى إلمامه بعديد من العلوم والفنون، كالتفسير، والحديث، والنحو، والتوحيد. والدراية بأن فقهياته بـ«الرسالة الجامعة»، و«سفينة النجاة»، و«أبي شجاع»، و«المقدمة الحضرمية»، كما أن صوفياته مبتدأة بـ«بداية الهداية»، و«فتح الرحمن».

ولما كان من الجلي رغبة الكثيرين في إماطة الغشاء عن الذين كرع من علومهم، واستقى من صوفياتهم، كشيوخ أولَوه ما أولوه من ممنوحاتهم ومواهبهم، حتى استطاع أن يطير مع الطائرين العلميين، ويرفرف مع المرفرفين الصوفيين. فمن كثرتهم العظيمة، نلتقط العلامة السيد عمر بن حسن بن عبدالله الحداد، والعلامة السيد محمد بن إبراهيم بن عيدروس بلفقيه والعلامة السيد علي بن عبد الله بن علي بن شهاب الدين، والعلامة السيد أحمد بن محمد بن عبدالله الكاف، والعلامة السيد علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور.

وإذا كان هؤلاء مشايخه في العلوم الظاهرة والباطنة، فإن له شيوخًا في الصفات الصوفية، ومنهم العلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والعلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعلامة السيد عبدالله بن محسن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة القاضي السيد علوي بن عبدالرحمن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة السيد أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس.



وأما والده؛ فمحور مداره، وفنار مناره، ومروي أغصانه، ومخضب أطيانه، كنتائج واضحات، وظواهر بارزات، من موفور المقروءات عليه والمسموعات، في بحر حياة طويلة، وملازمة غير منفكة، ومتابعة متلمذة، إلى الاهتداء بهديه، والخطو على قدمه، والسلوك في مسالكه، والظهور في صوره وظاهراته، كنسخة منه حتى في الهيئة والرسْم، والعلميات والدينيات والصوفيات. وكان من النادر جدًا أن لا يكون موجودًا في مدارسه، وصلواتهن وروحاته، وزياراته، وإقاماته بتريم والنبي هود في الأشهر الثلاثة السنوية: جماد الثانية، ورجب، وشعبان.

وهل لم يكن كتابه «شرح الصدور»، في مناقب هذا الأب العظيم، غير رشاشات من تلك المعية الرائعة! وإذا كانت هذه البارزاتُ من جلياته مع والده، فهل كان كيانه الاجتماعي متلاشيًا فيه، بحيث لم يكن له ظهورٌ، ولا شهرة، ولا مشيخة، ولا تلاميذ! كلا. فإن له ظهوره، وشهرته، ومشيخته، وتلاميذه، وميزته.

حتى إذا سكنت رفاة والده مقبرةَ زنبل، عام عشرين وثلاثمائة وألف، أحيا معالمه ورسومه كنائب عنه في دروسه، وصوفياته، وروحاته، وظاهراته، وزياراته، ورحلاته السنوية المعتادة إلى النبيّ هود عَلَيْهِ السَّلَامُ. وكان خير خليفة خلفه في صالحاته، وعاداته، ومنظوراته.

وعند الالتفات إلى شخصيات تلاميذه ومريديه، تصور قاطبة التريميين من كل عالم، ومتعلم، وصوفي، ومتصوف، من عديد تلاميذه ومريديه، فضلاً عن طوائف غير التريميين من كل قريبٍ وقاص، على مختلف أمكنتهم وصفاتهم وميزاتهم.

وفي مجموعهم: العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري، والعلامة القاضي السيد حسين بن أحمد بن محمد الكاف، والعلامة السيد سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم، والعلامة السيد حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن الكاف، والعلامة السيد حامد بن محمد بن سالم السري، والعلامة السيد أحمد بن عمر بن عوض الشاطري، والعلامة السيد علوي بن أبي بكر بن عبدالله خرد، والعلامة السيد حسن بن إسماعل بن الشيخ أبي بكر بن سالم، والعلامة السيد علوي بن عبدالرحمن خرد، والعلامتان الشيخ أبوبكر والشيخ عبدالله ابنا أحمد بن عبدالله بن أبي بكر الخطيب، والعلامة القاضي الشيخ فضل بن عبدالله عرفان بارجا، والعلامة الشيخ محمد بن عوض بن محمد بافضل.

وفي «النفخة الشذية» لصديقنا قاضي زنجبار، العلامة السيد عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط: أن السيد الصوفي عبدالله بن محمد بن عبدالله الكاف قرأ على المترجم «إحياء علوم الدين» ثلاث مرات، و«غاية القصد والمراد» ثلاث مرات أيضًا.

وإذا كانت حياته الدينية مطغية على حياته العلمية، مع ماله فيها من آثار ومظاهر، وظاهرات ومناظر، ومنظورات وتلاميذ، ودروس وروحات، وإجازات وإلباسات، إلى غير ذلك. فما لنا لا نشاهد منها مشاهداتٍ تدهشنا مدهشاتها وعجائبها، مع العلم بأنه صورة من رجال «الرسالة القشيرية»، ولون من ألوانهم في طاعاتهم، وزهاداتهم، ومناسكهم، وكافة صفاتهم، وربما فاق كثيرًا منهم بظاهراتٍ، كعدم ارتكاب صغيرة من الصغائر، فضلاً عن كبيرة من الكبائر، منذ ميلاده إلى مماته.

ومن مميزاته، أنه معجون في العبادات عجنًا قويًا، ومدبوغ في مدابغ الأذكار والقرآنيات دبغًا شديدًا، حتى كان غامقًا. وإذا لم يسُغ أن تشبهه بالملائكة والنبيين في طاعاتهم وعباداتهم، فلك أن تشبهه بالروحانيين، كواحد منهم، لأنه كله عبادة متواصلة، وأوراد وأذكار وقرآنيات بالليل والنهار، قاعدًا ومضطجعًا وقائمًا وماشيًا، وعلى وضوء دائم، وصيام مستديم.

كما من المستحيل أن تفوته جمعةٌ أو جماعة، أو سنة من السنن، حتى سنن المسجد، والأذان، والشروق، والأوابين، صحةً، وسقمًا، وحضرًا، وسفرًا. فما بالك بالرواتب، والسنن المؤقتة، وصلاة الضحى، والوتر بالكمال. ودع التهجدات والتنفلات، فلياليه كلها متهجدة، ومن الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وأيامه جميعها متنفلات مستغرقة. وما البقعة التي افترشت جبينه بلونها المعروف، غير أثر بارز من آثار السجود، وكثرة العبادة.

وفي «النفخة الشذية»: أنه إذا سجد في تنفلاته بعد صلاة المغرب، يستمرّ ساجدًا إلى أذان العشاء، عن رؤية وسماع.



ثم إذا علمت ما علمت من دينياته وغير دينياته، فقد فهمته من الواصلين. وإذا كان صديقنا العلامة السيد عمر بن أحمد بن سميط حدثنا في «النفخة الشذية»: أنه أجازه في صيغة تلقاها من سيدنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقظةً، فقد روى لنا شيخنا العلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي في «كلامه المجموع»، كما روى لنا شيخنا العلامة السيد أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس في «مجموع كلامه»، تلك الاجتماعات اليقظية، إلى أشياء كثيرة من حوادثه وغرائبه ومدهشاته، كما نجدها متناثرة في مجموعات كلامهما، حتى اجتماعاته بأهل البرزخ ومحادثاته لهم.

ثم حيث وصلنا إلى هذه الأوساط، دعنا نخرج منها إلى عزوفه عن الدنيا، وعظيم تواضعه ومسكنته، ومكارم أخلاقه، وعفة نفسه ويده ولسانه، وموت نفسه، ونسكه وورعه، وقناعته إلى حدود الاكتفاء بلقمة إلى خمس لقيمات فقط، من لون واحد، مهما تعدد الألوان، وطاب الطعام، ولو من أجلِه، كما في «النفخة الشذية» عن مشاهدة بشبام. وإن يكن له شيء من حظوظ الدنيا، فالطيب، والملبوس النظيف الأبيض، كوالده، وقرة العين في الصلاة.



وأما زيارات القبور، وما أدراك ما زيارات القبور، فليس له مثيل في هذه العاطفة، مع استثناء زياراته الأسبوعية الجمعية، من بعد صلاة الصبح إلى قريب الجمعة، وتمتاز زيارته بإطالة ترتيب الفواتح، إلى ساعة وساعات، بل النهار كله! لو ترك له العنان، كما يعرفها الناس قاطبةً، كما حضرت إحداها بزنبل في رجب عام سبع وعشرين وثلاثمائة وألف.

وإذا كان شيء يؤسف له، فذهاب بصرَيه في متأخر عمره.

ثم من نعم الله عليّ، أن أكرمني بتقبيل يده مرارًا، وحضور مجالسه بسيوون تكرارًا، بمسجد سيدنا طه بن عمر، ومجالس سيدنا علي بن محمد بن حسين الحبشي، كما أشاهده بسيوون نازلًا عند خال الوالد سيدنا شيخ محمد بن شيخ بن عبدالرحمن بن سقاف السقاف، ضيفًا عليه، حيث يجد الرحب والسعة والابتهاج.

وفي تريم توفاه الله تعالى، في شوال سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف، وفي مقبرة زنبل ضريحه مشهور عند والده، يزار مع زياراته. وخذ من الذين رثوه بمراثيهم المؤبنة:

تلميذه السيد زين العابدين بن أحمد (مثنى) بن أحمد بن علي بن هارون بن علي الجنيد»، انتهى المراد من كلام السقاف وبه انتهت الترجمة.

ومن أراد الزيادة، فعليه بـ«لمعة النور في مناقب الحبيب العلامة علي بن عبدالرحمن المشهور»، التي جمعها الأخ العلامة الموفق محمد بن سقاف بن زين بن زين بن محسن الهادي.



[الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري المتوفى سنة 1361هـ]

ومنهم الحبيب المرشد، العلامة المجتهد، بل الإمام المجدد، عبدالله بن عمر بن أحمد الشاطري، وليد تريم ودفينها، وعامر رباطها بأصناف العلوم، وأستاذ التريميين والآفاقيين في منطوقها والمفهوم، رضي الله عنه.

زار ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه مرات إلى بلده عمد، وكان أخذه عنه بواسطة أشياخه، من أجلهم الحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب عمر بن صاحب المناقب، حين قرأ عليهما، ولبس منهما، وروى عنهما.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

كما أني قرأت على شيخنا صاحب الترجمة في «صحيح البخاري»، وحضرت درسه العام، ومذاكراته في الرباط، وزرته إلى بيته، وذلك حينما تشرفت بزيارة تريم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية. وكان ذلك الحين هو المشار إليه بالبنان، من بين المعاصرين والأقران، وقد سارت بذكره الركبان.



ومن المعلوم بالضرورة، أنا إذا ذكرنا العلماء الذين شدّت إليهم الرحال، من غالب الحال، لزِمَنا أن نعد صاحب الترجمة في الصفوف الأولى. ونزيد القارئ على ذلك: أنّ الله لم يخلقه إلا لهذا، أو من عناية الله به أن والده قد كفاه جميع المؤن من صغره إلى شيخوخته.

ولا يعزب عن بال القارئ، ما تقدم في ترجمة والد صاحب «التاج» عن الحبيب محمد بن أحمد المحضار: أنه جرى يومًا ذكر صاحب الترجمة وعناية والده به، فقال الحبيب محمد المحضار: إن بعض الناس أثنى على الحبيب عبدالله الشاطري في علومه وأعماله، بحضور الحبيب عبدالله المذكور ووالده. فقال والده: العالم إلا أنا، لأني كفيته المؤونة، آكلُ خورية، وأطعمه البر، انتهى كلام المحضار.

وقوله «آكُل» بمدّ الهمزة، و«خُوريّة» هي رديء الذرة، و«البر» بضم الباء، هو القمح.

قلتُ: ولعل مراد والد صاحب الترجمة من ذلك زيادة في تهذيب أخلاقه أو خوفًا عليه من العين لظهوره في ذلك الوقت بمظهر الزعامة الدينية قبل أوانه



على أني بحمد الله قد عرفت والده، الحبيب عمر، في أيام أخذي على صاحب الترجمة بتريم. وكان مما حدثني به والده، قوله: إنا لما زرنا حريضة ووادي عمد، ودوعن، أول زيارة، كنت أقول لكل أهل بلدٍ: أخبرونا بجميع ما في بلدكم من المآثر السلفية، لأني أخشى إذا رجعنا إلى تريم، وذكر للولد عبدالله شيء من المآثر، ولم يكن زاره، أن تكون عنده حسرة، لأني أعرف منه كثرة الحرص على سيرة السلف ومآثرهم، انتهى.

[ترجمته من كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين»]

وقال الأخ العلامة المتفنن عبدالله بن محمد بن حامد السقاف، في كتابه (الجزء الخامس) من «تاريخ الشعراء الحضرميين»:

«السيد عبدالله بن عمر بن أحمد بن علوي بن عمر بن أحمد بن عمر بن أحمد بن علي بن حسين بن محمد بن أحمد بن عمر بن علوي الشاطري العلوي الحسيني.

من العلماء الذين توفرت لهم العلوم والفنون المتنوعة، وتكاثرت معهم المعارف والثقافات المختلفة، ومن الأعلام الأفذاذ حتى في الصوفيات.

ميلاده بمدينة تريم، سنة تسعين ومائتين وألف من الهجرة، وبها تدرج في الحياة، ورعايات والده وعواطفه منصبةٌ عليه انصبابًا، حتى إذا أصبح حدثًا من الأحداث الصغار، بعقليته الصغيرة، واستعداده المحدود للمعارف، كان لزامًا أن يمر بالقرآن المجيد الى ختامه قبل كل مقروء، والمدهش أنه مرق من الوسط القرآني في بكور إلى صفة التلمذة العلمية والصوفية، مع مراقبة واهتمام وفحْص ذلك الوالد اليقظ لما قرأ وما فهم، وعلى هذه التتبعات اتخذت علومُه شكلها من تزايد إلى تزايد، وعلى هذه الوتيرة إلى الفيضان مع العلم، بأن على علماء تريم وأئمتها وشيوخها المرشدين محصولاته الشرعية والعلمية، وتربيته الدينية والصوفية، وفي هذه الظواهر ومماثلاتها تتابعت حياته العلمية، وحياته الدينية، وحياته الصوفية، مع ملاحظة أن المواهب لها مدخراتها المتراكمة، واكتنازاتها المتزاحمة، في ألوانها المختلفة.

وحيث كانت قابلياته بتلك الصفة، فلم لا تكون النتائج الظهور في علوم العلماء ومداركهم ومفاهيمهم. كما لا يعزب عن البال ما لمشايخه من الآثار الواضحة في تكوينه المعنوي، كتلميذ نجيب، يولونه عنايتهم. وأما مَن هم هؤلاء العلماء والأئمة والشيوخ؟ ففي الصفوف الأولى: العلامة السيد عمر بن حسن بن عبدالله الحداد، والعلامة السيد أحمد

بن محمد بن عبدالله الكاف، والعلامة السيد شيخ بن عيدروس بن محمد العيدروس، والعلامة السيد علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور.

وأمّا العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور، فشيخ الفتح له، في العلوم الظاهرة والباطنة، حتى لا معدود لمقروءاته عليه في الفقه وغيره، في ملازمة مستمرّة، مقتديًا ومهتديًا، إلى مواراته في جدَثه.

ومن البديهي أن له جموعَ الشيوخ، ولا سيما في النواحي الصوفية، ومن البارزين: العلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والعلامة السيد أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس.



ولو تطلعنا إلى ما له من إجازاتٍ، ووصايا وإلباسات، لوقفنا له على الكثير من شيوخه الممتازين وغير الممتازين، وفيها الإذن بالتدريس، ونشر العلم والدعوة المحمدية. ولما كان الحج فريضة على كل مسلم ومسلمة، كالعمرة. فقد استأذن والده ومشايخه في أدائهما، وكانت أمّ القرى وجهته من طريق الشحر، مبحرًا إلى جدة، حتى إذا أدى الفريضتين، وتشرف بزيارة سيد الكونين، تفتحت نفسه للبقاء بتلك الرّبوع الحرمية، في خصوص التوسعة العلمية، والولوج في أبواب لم تكن مفتوحة في الجهات الوطنية.

وفي مدى سنوات معدودات علم ما لم يعلم، وغاص إلى هنا وهناك، حتى إذا تخم استعجلته الدواعي الحاثة على الأوبة إلى أهله ووطنه. على أن من ألوان مشايخه بمكة: شيخنا مفتي مكة العلامة السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي، وشيخنا مفتي مكة الشيخ محمد سعيد بابصيل، والعلامة السيد بكري بن محمد شطا صاحب «إعانة الطالبين»، وشيخنا العلامة الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد.

وحيث كان رباط تريم الشهير، بمثابة معهد علمي تحت إشراف وإدارة أبيه، وكان في حاجة إلى عالم ذي علوم وفنون، يسره الله له ليكون القائم بدرسه، وعمرانه العلمي والديني والصوفي. فكان خير قائم، ومدرس، ومرشد، وواعظ. وكم انتفع بعلومه العلميون، وبصوفياته الصوفيون، وبدينياته الدينيون، وبعظاته المهتدون.

وفي هذه المناظر المختلطة كانت منظوراته في توالي الأيام والشهور والسنين، سواء في حياة أبيه أو بعد وفاته، ودفنه بجبانة زنبل، في ذي القعدة سنة خمسين وثلاثمائة وألف هجرية.



ثم هل يمكن حصر تلاميذه، وهم مئات من حضرموت ومن خارجها؟ وكيف يمكن حصرهم في مدى خمسين حولًا! ومن الحسنى الاكتفاء بمعدودٍ من الذين بلغوا درجات العلماء، وفي الطليعة العلامة السيد علوي بن عبدالله بن علي[1] بن شهاب الدّين والعلامة السيد حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن الكاف، والعلامة السيد أحمد بن عمر بن عوض الشاطري، والعلامة السيد حامد بن محمد بن سالم السّري، والعلامة السيد علوي بن أبي بكر بن عبدالله خرد، والعلامة السيد محمد بن هاشم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسين بن طاهر، والعلامة السّيد حسن بن اسماعيل بن الشيخ أبي بكر بن سالم، والعلامة القاضي الشيخ فضل بن عبدالله عرفان بارجا، والعلامة الشيخ محمد بن عوض بن محمد بن سالم بافضل، والعلامة الشيخ محمد بن علي بن عوض باحنان.



(1) الصواب: بن عيدروس بن محمد بن علي، اهـ. (مصحح).

ومما لا ريب فيه، أن مظاهره لم تقف عند حدودها المعروضة، ولكنها تجاوزتها إلى أن صار المشار إليه بالبنان، وعين أعيان تريم، وأعلم علمائها، وأرشد مرشديها، وأوعظ واعظيها، وأعظم شخصية بها، سواء العلمية، أو الدينية، أو الصوفية، أو الاجتماعية. إثْرَ تواري مشايخه في مدافنهم بمقابر تريم، متتابعين الواحد في إثر الآخر. ثم هل من شك في أن الصدارة صدارته، وهو المتحدث والواعظ، إليه المرجع في كل صغيرة وكبيرة، وكم له من إصلاح وغير إصلاح، في أخلاق حميدة، وسجايا كريمة، وسكينة ووقار، ومتابعة نبوية، وسيرة علوية، وورع، وتقوى، وزهد، وعبادة، وتهجد، وسنن، وأذكار، إلى زيارة التربة المنورة في ضحى كل يوم جمعة، والتردد إلى زيارة النبي هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإلى غيره في قلةٍ.

وإذا كنتَ عرفته بتريم، سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف، فقد كان مزوِّري للأضرحة الكريمة بزنبل، في ضحى يوم الاثنين، واثنتين وعشرين شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف، مبتدأ بسيدنا الفقيه المقدم، ثم مَن بعده، على حسب ترتيب زياراتهم، في هيئته العلوية، بثيابه البيض النظيفة، وعلى كتفه الرداء، والنور يشع من وجهه بلحْيته الحمراء، وعارضيه من الإذن إلى الإذن.

وهل أحدثكم أنني في ضحى يوم الأربعاء وأربع وعشرين شعبان في السنة المذكورة، حضرت المدْرَس العام بمسجد الرّباط، متبركًا، ثم بعد قراءة القراء في التصوف وغير التصوف، وإنشاد المنشد حسب العادة المتبعة، وعظ الناس على كثرتهم وتزاحمهم إلى الأبواب الخارجيّة، على سعة المسجد. وما زال متنقلاً من موضوع إلى موضوع، مستشهدًا بالآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، ومسترسلاً إلى العدل

والرعية، لمناسبة وجود السلطان علي بن منصور بن غالب الكثيري.

ولكني والسلطان علياً لم نكتف بحضور المدرس، بل ذهبنا معه لزيارته إلى منزله بعد الفراغ من المدْرَس، وقد طال المجلس عنده في الإنصات إلى أحاديثه وعظاته، وإلى النشيد على قاعدة أخدام السقاف.

حتى إذا كانت ليلة ختم مسجد سيدنا عمر المحضار بن عبدالرحمن السقاف، في ليلة تسع وعشرين من رمضان من تلك السنة، كنت إلى جانبه بالمسجد، للتبرّك بحضور الختم، ولإدخال السرور عليَّ كان يؤانسني، إلى ذكر القصائد التي يردّدها أخدام السقاف على طيرانهم وقصبهم ودفوفهم، هذه القصيدة لفلان، وتلك لفلان.

ولئن كنت في أسى شديد، فمن عدم وقوفي على شيء من مؤلفاته، إذا كانت له مؤلفات. وفي مدينة تريم كانت وفاته، ليلة السبت في تسع وعشرين جمادى الأولى سنة وحدة وستين وثلاثمائة وألف، وفي مقبرة زنبل حيث مقابر أهله مدفنُه.

وقد رثاه جمع من العلماء والشعراء من تلاميذه وغيرهم، كما امتدحه في حياته كثيرون بقصائدهم البليغة»، انتهى المراد من كلام السقاف.



[ترجمته بقلم تلميذه العلامة محمد بن حفيظ]

وقال تلميذه العلامة الخبير، السيد محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، في آخر «تتمته للعقود اللؤلؤية في علم العربية»، تأليف شيخه صاحب الترجمة، ما نصه:

«باشر المؤلف المذكور التعليم بنفسه في رباط مدينة تريم، نحواً من خمسين عاماً، وتخرج به خلائق لا يحصون. فمن أجل ذلك حرَصْنا على نشر هذه الرسالة النافعة،

لتكون موردًا عذْبًا لطلاب علم العربية، يسهل على المبتدئ تفهمها، ويسترشد بها معلّمه الذي يعلمها. ورأيتُ بهذه المناسبة، أن تفوتني الإشارة إلى شيء من تاريخ حياة هذا الإمام، أدام الله النفع به للخاص والعام.

نسبه: هو السّيد الشريف عبدالله بن عمر بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن احمد بن علي بن حسين بن محمد بن أحمد بن عمر بن علوي الشاطري ابن الفقيه علي ابن القاضي أحمد بن محمد أسد الله بن حسن بن علي بن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيدالله بن الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي سبط رسول الله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ميلاده ونشأته: ولد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمدينة تريم بحضرموت، في شهر رمضان من عام تسعين ومائتين وألف هجرية، ونشأ نشأة صالحة، وحينما بلغ سن التمييز التحق بالمتعلمين بعُلمة بارشيد، الشهيرة بعُلمَة باحرمي، فقرأ القرآن العظيم على المعلمين الشيخين: محمد بن سليمان باحرمي، وابنه عبدالرحمن، ثم انتظم في سلك المتعلمين في مدرسة الحبيب عبدالله بن شيخ العيدروس، القائم بالتدريس فيها وقتئذٍ الحبيب أحمد بن محمد الكاف، والحبيب شيخ بن عيدروس العيدروس، فقرأ عليهما في مبادئ الفقه والتصوف، وحفظ عندهما عدة أجزاء من القرآن العظيم، ثم أقبل إقبالًا كليًا على اكتساب العلوم الشريفة، ولازم شيخه العلامة مفتي الديار الحضرمية، الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور، وشيخه القائم بنشر الدعوة المحمدية، الحبيب علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور، وغيرهما من علماء تريم. فقرأ عليهم في التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والتصوف، وغيرها من العلوم.

ثم رحل إلى بلد سيوون، ومكث برباطها نحو أربعة أشهر، وقرأ على شيخه الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي، وتتلمذ له، وأخذ عنه.

كما أخذ عن جملة من علماء سيوون وصلحائها، كالحبيب محمد بن حامد السقاف، وأخيه عمر، والحبيب عبيدالله بن محسن بن علوي السقاف، والحبيب هادي بن حسن السقاف، والحبيب علوي بن عبدالرحمن السقاف، وغيرهم.

وأخذ أيضًا عن الإمام العارف بالله الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، مؤلف «عقد اليواقيت الجوهرية»، المتوفّى بالغرفة، في ثمان رجب سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف هجرية، وقرأ عليه، وحصل له منه الإلباس، والإجازة في جميع مروياته، والتلقين والمصافحة والمدد الظاهر والباطن.

كما أخذ عن شيخه الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتوفّى بحريضة في شهر رجب، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، وانتفع به، وزاره في بلده حريضة في حال حياته مرتين، وانتفع به انتفاعًا تامًا، ولاحظته عنايته، ورعته رعايته.

وله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مشايخ كثيرون، غير من مرت إليهم الإشارة، منهم الحبيب محمد بن سالم بن علوي السري، والحبيب حسن بن محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب عمر بن حسن الحداد، والحبيب أبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين، والحبيب عيدروس بن علوي العيدروس، والحبيب عبدالله بن حسن بن صالح البحْر، والحبيب عبدالله بن محمد الحبشي، والحبيبان محمد وعمر ابنا صالح بن عبدالله العطاس، والحبيب حامد بن أحمد بن محمد المحضار، وغيرهم.



ورحل نفع الله به إلى الحرمين الشريفين، مع والده سيدي عمر بن أحمد الشاطري، وأدى حجة الإسلام في سنة عشرة وثلاثمائة وألف هجرية، وبقيَ المترجم

هناك، وشمر عن ساق الجد في الطلب والتحصيل، وعكف على كسب العلوم الدينية والعربية والعقلية، مع ضبط المسائل وتقييدها، والاحتفاظ الكامل بوقته النفيس. وكان يتلقى هناك عن مشايخه فيما بين اليوم والليلة ثلاثة عشر درسًا، ويطالع قبل الدرس موضوعَ كل درس من هذه الدروس.

ومن مشايخه الذين تلقى عنهم هذه الدروس بمكة المكرمة: الحبيب العلامة الحسين بن محمد بن حسين الحبشي، والشيخ العلامة محمد سعيد بابصيل، والفقيه النحرير السيد أبوبكر بن محمد شطا مؤلف «حاشية فتح المعين»، والشيخ العلامة عمر بن أبي بكر باجنيد، والشيخ العلامة أبو الهدَى، وغيرهم.

وكانت مدة إقامته بمكة المكرمة لطلب العلم نحوًا من ثلاث سنين وبضعة أشهر، وقد تحصل فيها على نصيب وافر من تلك العلوم.



وبالجملة؛ فقد احتوت معارف هذا الإمام على الكتب العديدة، والمجلدات الضخمة، التي كان كثيرًا ما يتجوّل بين رياضها، ويجني من ثمارها، كـ«المنهاج» للنووي، وشروحه وحواشيه. و«الإرشاد» وشروحه وحواشيه في الفقه. وكـ«ألفية ابن مالك»، وشروحها وحواشيها، و«مغني اللبيب» وحواشيه، و«الشذور» وحواشيه، و«القطر» وشروحه وحواشيه في النحو. و«الجوهرة» وشروحها وحواشيها، و«السنوسية» في التوحيد. وكـ«السُّلَّم» وحواشيه في المنطق. وكـ«التلخيص» وشروحه، و«حواشي السعد» في المعاني والبيان والبديع. وكـ«السمرقندية» وحواشيها في الاستعارات. وكـ«جمع الجوامع» وحواشيه في الأصول. إلى غير ذلك من التفاسير، والمسانيد، والتواريخ، وكتب التصوف، مما لا يحتمل المقام تعداده.

تدريسه ونشره الدعوة إلى الله: لما عاد المترجَم من مكة المكرمة، في سنة أربعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية، إلى وطنه تريم، قام رضي الله بالتدريس الخاص في رباط تريم، وتولّى إدارته العلمية، وقام بترتيب طلبة العلم بالرّباط، وتنظيم حلقاته، وبذل جهده في ترقي الطلبة، وفي كل ما يعود عليهم بالنفع.

وكان يشرع في تدريس العلم كل يوم بعد صلاة الفجر، إلى أن تمضي بعد الإشراق ساعة فأكثر، ثمّ يعود إلى البيت، وبعد تناول طعام الفطور، يعقد جلسةً للتدريس في الرباط إلى أن يضحيَ النهار، ثم يعقد جلسة أخرى بين العصرين إلى حوالي الساعة العاشرة قبل الغروب، ثم يعقد جلسة رابعة بعد صلاة المغرب إلى حوالي الساعة الثانية بعد المغرب.

وقام بالدعوة إلى الله كل ليلة جمعة بجامع تريم بين العشائين، من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف، بعد وفاة شيخه الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، كما أنه كان يخلفه إذا غاب شيخه المذكور عن البلد، أو قام به عذر.

وقد تخرج بالمترجم نفع الله به خلائق لا يحصون، وانتشر النفع بتعليمه انتشارًا عظيمًا، فما من صقع من الأصقاع، ولا ناحية من النواحي، إلا ونجد هناك من تتلمذ له بنفسه أو بواسطة.

أخلاقه الكريمة: كان المترجم متحليًا بسنيّ الأخلاق، وشريف الصفات، فقد عهدناه نبيلًا، لين الجانب، بعيد الهمة، كثير الخشية، غزير الدمعة، رقيق العاطفة، حسن الطوية، صافي السريرة، يقول الحق ولو كان مرًا، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يحمل لأحدٍ غشًا ولا ضرًا.

وكان جم التواضع، كثير الاعتراف، محاسبًا نفسَه، ومتهمًا لها، وكان من المنصفين لمعاصريه من العلماء والصلحاء، يقدر كلامهم قدره، ويعرف لكل منهم حقه،

بعيدًا من أوصاف من يبخسون الناس أشياءهم، وكان يتحرّى الصدق في جميع خلاله، فإذا قال صدَق، وإن قيل له صدّق. وكان كريم النفس، عظيم الثقة بالله تعالى. وكان على غاية من الورع، واجتناب الشبهات، محافظًا على الأوامر الشرعية في الحركات والسكنات. وحسبنا في هذا المقام، ما جاء في كلمة العلامة مفتي حضرموت السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، التي قالها بعد وفاة المترجَم، فقد قال من أثنائها: «وقد حاز صاحبنا الشرفين، وأخذ بمعاقد الطرفين، ولطالما قلتُ بحق في حياته: إنه لا يصعبني عملُ أي إنسان سواه، إذ كان من خمسين ربيعًا يصل الليلة باليوم، في خدمة العلم، وتفهيم من يفهم ومن لا يفهم»، انتهى.



وكانت وفاته رضوان الله عليه، ليلة السبت، الموافق تسعة وعشرين شهر جمادى الأولى سنة إحدى وستين وثلاثمائة وألف هجرية. ودفن بمقبرة زنبل بتريم الغناء، وقيلت فيه مراثٍ عديدة، نظمًا ونثرًا. وقد أفردتُ ترجمته في مجلد خاص، يسمى «نفح الطيب العاطري من مناقب الإمام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري»، رضي الله عنه وأرضاه، وجمعنا وإياه في دار رضاه، مع أنبيائه وأصفيائه.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله ربّ العالمين.

كتبه محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الحسيني، تريم حضرموت، في 23 ذي الحجة الحرام سنة 1379هجرية».

[ذكر رباط تريم]

وعلى ذكر رباط تريم، وأزهر الإقليم، والبقية الباقية في التعليم، على المنهج السلفي القويم، كما عرفته أنا وعرفه غيري، من الذين يعرفون الفرق بين المعاهد الدينية، والمعاهد الغير الدينية. بخلاف الذين لا يفرقون بين الناقة والجمل، ويريدون أن يكون متخرجَ هذا الرباط قاضياً شرعيًا، ويكون تجاريًا، وطبيبًا، ومهندسًا، وميكانيكيًا، ولغويًّا، وشرقيًا وغربيًا، في آن واحد! فلا كلام لنا معهم.

وأهمّ ما يعلم في هذا الرباط من العلوم، علم الفقه الشافعي، الإسلامي المحمدي، الذي تدور عليها رحى الحياة الإسلامية، من العبادات، والمعاملات، والمناكحات، والجنايات. وعلم التصوف، الذي يرشد إلى الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى، وإلى الحياة الهادئة من الفتن، وإقلاق الأمن في المجتمع البشري. وعلم النحو، الذي يتوصل به إلى فهم كلام الباري عَزَّوَجَلَّ، وتفسير أوامره ونواهيه وإرشاداته، وإلى معرفة حديث رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قولًا وفعلًا وتقريرًا. ويضيفون إلى هذه العلوم ما يحتاجون إليه من علوم الآلة، بقدر الحاجة.

فيا لها من علومٍ تضمن لمعتنقها سعادة الدارين، غير أنّه ويالالأسف، أنا نرى كثيرًا من الإخوان الذين يدعون العلم، ويتسرّعون إلى النهوض بالأمة من غير تفكير، يذمون هذه العلوم، ويعدّون الانكباب عليها من الغباوة، وعدم التيقظ لمعرفة سير العالم بأجمعه، ولا يلتفتون إلى المتعلمين في غير المعاهد الدينية، ماذا كان حظهم من الدين وغير الدين عند تصفية الحساب؟ سوى الإلحاد، وعقوق الآباء والأجداد، إلا من عصم الله، وقليلٌ مّا هم.

مع أني بحمد الله ليس بيني وبين علوم الآلة إلا الصحبة الأكيدة، من المسجد

الحرام المكّي، ولكني أنزلها منزلتها، بأنها فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين، لا أقلّ ولا أكثر، على أنّ في متخرجي الرباط المذكور، وغيره من معاهد حضرموت الدينية، المؤلّفين المحققين، والقضاة الشرعيين، والمدرّسين الملحقين، والمحامين المسكتين، والوعاظ المؤثّرين، والخطباء المصقعين، والكتّاب المنشئين، والشعراء المفلقين، والسّياسيين المحنكين، وهل غيرهم الآن في الميدان!



[مشاهير علماء حضرموت المعاصرين للمؤلف]

وممن يحضرني ذكرهم من الموجودين الآن، على بعد المسافة، وذاكِرةٍ، بكسر الكاف في عشر السبعين: الأخ العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله بن محسن علوي السقاف، وليد سيوون، وهو بها الآن. والأخ المحنك أبوبكر بن شيخ بن عبدالرحمن الكاف، وليد سنقفور، وخريج تريم، ونزيل سيوون. والأخ العلامة علوي بن طاهر بن عبدالله بن طاهر(1) الحداد، وليد قيدون، ومفتي ملايا بالمهجر.

والأخ العلامة محمد بن هاشم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسين بن طاهر، وليد المسيلة، وبها الآن. والأخ الخطيب المصقع، عيدروس بن عمر بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور، وليد تريم، ونزيل سربايا بجاوة. والأخ العلامة حامد بن محمد بن سالم بن علوي السري، وليد سنقفور، وخريج تريم، ونزيل مالان سربايا. والأخ العلامة محمد(2) بن أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد السقاف، وليد سربايا، وبها الآن، وخريج سيوون، وأحد قضاتها الشرعيين سابقًا. والولد العلامة سالم بن محمد بن عمر بن عوض بن عقيل بن سالم، وليد قرية اللسك بحضرموت، ونزيل سربايا.

---

(1) صوابه: بن طه (مصحح).
(2) الملقب كريسان (مصحح).

والأخ العلامة صالح بن علي بن صالح بن أحمد بن صالح الحامد ابن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، وليد سيوون، وبها الآن. والأخ العلامة عبدالله بن أحمد بن عمر بن يحيى، وليد سنقافور، وخريج تريم، ونزيل مصر. والأخ العلامة عبدالقادر بن أحمد بن محمد بلفقيه، وليد تريم، ونزيل مالان سربايا.

والأخ القاضي العلامة علوي بن عبدالله بن حسين السقاف، وليد سيوون، وأحد شيوخها المرشدين في الوقت الحاضر. والولد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، خريج رباط تريم، والقائم بوظيفة التدريس فيه الآن. والولد العلامة محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، وليد تريم، وخريجها، وبها الآن. والولد العلامة علي بن سالم بن أحمد بن حسن العطاس، وليد حريضة، وقاضيها الشرعي. ومن في طبقتهم.

غير الشيوخ السلفيين، الذين قد ارتقوا إلى درجة المقربين، مثل الحبيب البقية مصطفى بن أحمد بن محمد المحضار، وليد القويرة وحليفها، وأبو السادة بني علوي بأجمعهم في الوقت الحاضر. والحبيب المذكِّر بأيام الله، علوي بن عبدالله بن علي بن شهاب الدين، وليد تريم، وزعيمها الديني. والحبيب القدوة محمد بن هادي بن حسن بن عبدالرحمن السقاف، وليد سيوون، وبها الآن.

والحبيب الداعي إلى الله، علي بن عبدالرحمن بن عبدالله الحبشيّ، وليد جاكرتا، وبها الآن، وخريج بلد بور بحضرموت. والحبيب المرشد علوي بن محمد بن طاهر بن عمر الحداد، وليد قيدون، ونزيل بوقور بجاوة. والحبيب البركة أبوبكر بن محمد بن عمر بن أبي بكر السقاف، وليد بِسُوكي، ونزيل قرسي بجاوة، وخريج سيوون بحضرموت. والحبيب القاضي أحمد بن غالب بن حسين بن سالم بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، وليد عينات، ونزيل سربايا.

ومن في طبقتهم من رجال السند والمدد، لمن له مشهد، وغير هؤلاء المذكورين ممن لم يحضرني ذكرهم الآن، ولسان حال الكل تقول: هذا الأشقر والميدان، فبأي آلاء ربكما تكذبان!. ونسأل الله تعالى الذي لا يعودُ في عطاه، أن يثبِّت مديري هذا الرباط وأساتذته، على ما شرعه لهم صاحب الترجمة، الحبيب العلامة الملهم الموفق، عبدالله بن عمر الشاطري، من منهاج التعليم، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾.



[عَودٌ الى ذكر باط تريم]

رجعنا إلى ذكر تأسيس هذا الرباط، والوفا بحق المادّين لأهل وطنهم هذا السماط، ومن حذا حذوهم من أهل التوفيق والنشاط.

فنقول على سبيل الاختصار:

أما أصل بناء الرباط المذكور، فهو نتيجة النهضة العالمية التي قام بها مفتي الديار الحضرمية، الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور، ومن في طبقته من العلماء، لإنشاء معهد علمي بتريم، خاص لطلبة العلم، وبوجه أخصّ الغرباء.

وأما القائمون بجمع المال من أهل الخير، فهم المعروفون في وقفيات الرباط المذكور، حيثما كانت، بالأمناء، وهم السادة: عبدالقادر ابن أحمد الحداد، ومحمد بن سالم السري، وأحمد بن عبدالرحمن الجنيد، والشيخ محمد بن عمر عرفان.

وأما الذي باشر عمل العمارة، وترتيب سكان الرباط، فهو الحبيب الصالح الموفق الناصح، عمر بن أحمد الشاطري، من يوم وضع الحجر الأساسي، إلى يوم وفاته سنة خمسين وثلاثمائة وألف هجرية. وهو والد صاحب الترجمة.

وأما إلقاء الدروس الخاصة والعامة فيه، فقد كان وظيفة الحبيب عبدالرحمن المشهور المذكور، ومن في طبقته من العلماء. ثم الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، حتى تأهل لذلك أخصُّ مريديهم، صاحب الترجمة الحبيب عبدالله الشاطري. ثم قام بالرياسة العلمية العامة بعده، الحبيب البقية علوي بن عبدالله بن شهاب الدين، على ما في «تذكرة الباحث المحتاط في شؤون وتاريخ الرباط»، للأخ العلامة عبدِالله بن حسن بلفقيه. وأما الرياسة الخاصة فقد تولاّها أولاد صُلب الحبيب عبدالله الشاطري، وأولاد روحه.

وكان الفراغ من عمارة الرباط المذكور، سنة أربع وثلاثمائة وألف هجرية، وبحساب الجُمَّل: «رباطُ تريمٍ جوفُه العلم والعمل».



[الحبيب عبدالقادر بن أحمد الحداد؛ وأولاده]

وعلاوةً على ما ذكر، بخصوص الحبيب عبدالقادر بن أحمد، إلى تمام نسبته، بن عبدالرحمن بن أحمد بن حسن بن قطب الإرشاد الحبيب عبدالله بن علوي الحداد. فقد كان هو القائم بمنصب جده قطب الإرشاد بتريم، غير أن وفاته كانت بحوطة الحبيب أحمد بن زين الحبشي، (خلع راشد)، في شهر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف هجرية. زائرًا بها، ودفن عند رجلي الحبيب محمد بن أحمد، في القبة الثانية.

ثم خلفه على الوظيفتين، ابنه غلام الساعتين، عيسى بن عبدالقادر. وليد تريم، ودفينها في شهر رجب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف.

وخلفه على ذلك: أخواه أحمد، وعبدالله، والله لا يضيع أجر المحسنين.

[الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور]

ومنهم الحبيب الذي ألقت إليه المعارف قيادها، والعلامة الذي عمت دعوته غور البلاد وأنجادها، وكان لصدور المحافل قُسَّها وإيادها، علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد المشهور، وليد تريم، وخريجها، ودفينها. وأحد شيوخ الزعامة العلمية بها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. زار ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى بلده عمْد، مراتٍ، وأخذ عن ابني صاحب المناقب محمد وعمر، بسندهما إلى والدهما.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وكان صاحب الترجمة شديد الحرص على اتصال سنده برجال الدين، لاسيما أسلافه العلويين، كما سمعتُ ذلك منه مشافهةً. حيث اجتمعتُ في بندر المكلاّ في بعض أسفاره إلى جهة سيلان، وطلبت منه الإجازة والإلباسَ، فأجازني وألبسني، وأطلعني على مجلد ضخم فيه إجازاتٌ له ومنه. ثم زرته ثانيًا إلى بيته بمدينة تريم، وقرأت عليه نحو الكراس من كتاب «القرطاس في مناقب العطاس» لسيدنا الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس.

وكان قد أخبرني تلميذه الأخ عقيل بن عبدالله بن مطهر الحامد، الآتي ذكره في المكيين: أن صاحب الترجمة مشغفٌ جدًا بمؤلفات الحبيب علي بن حسن المذكور.

فسمعتُ من صاحب الترجمة في ذلك المجلس جملًا من الثناء على الحبيب علي بن حسن، والحثّ على ملازمة القراءة في كتبه، لم أسمعها من غيره. حتى قال: إن الحبيب علي بن حسن في فنِّ السِّيَر، مثل الغزالي في فنّ التصوف، انتهى.



ومما أخبرني به الأخ عقيل المذكور من عفة صاحب الترجمة، وثقته بضمان الله تعالى: أنه في بعض الأيام ارتكبه دينٌ، وهو ببلده تريم، فعزم على السفر لِوَفائه. فقال له

بعض خواصه: لو كلمتم الوالد شيخ الكاف، يعني المثري الكبير بتريم في ذلك الوقت، لكفاكم هذه المؤنة. فقال له صاحب الترجمة: اسكت عن هذا الكلام، فإني أرى غُبّة سيلان، أقرب من دار شيخ الكاف، انتهى ما رواه الأخ عقيل. فهل سمعتم يا أولي الألباب، بأعجب من هذا العجب؟ قولوا: لا، ومَن عنده علم الكتاب!.



قال الأخ العلامة المتفنن عبدالله بن محمد بن حامد السقاف في (الجزء الرابع) من كتابه «تاريخ الشعراء الحضرميين»:

«الشيخ علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن علوي بن محمد المشهور بن أحمد بن محمد بن أحمد شهاب الدين الأصغر بن عبدالرحمن بن أحمد شهاب الدين الأكبر، إلى آخر نسبه. العلامة ذو المآثر العلمية والدينية، والمنشآت الخيرية، وفي البرية ناشرًا الدعوة المحمدية. ولادته بمدينة تريم، سنة ثلاث وستين ومائتين وألف من الهجرة. ومن الذي عنده ريب في توالي نشأته، بربوعها بين أهله وعشيرته.

كما أن للإنعاش الوالديّ البوارز الواضحة، في تكويناته الحسية والمعنوية، وتربيته التربية العلوية، واختلاطه منذ نعومة أظفاره بالأوساط العلمية، والدوائر الصوفية، حيث سلخ ما سلخ من حياة الشبيبة في دراسة العلوم الشرعية، وغيرها إلى الصوفية، على جموع من علماء تريم وغير تريم. كما له الاختلافات في سبيلها إلى دمون وسواها شرقًا، وإلى دوعن وعمد غربًا.

حتى إذا تكدّست محصولاته الفقهية والنحوية، وغير الفقهية والنحوية، وسطع على قمتها عالمًا من العلماء، ومرشدًا من المرشدين، اتّخذ مكانه في المدرسين مدرسًا أنواع العلوم، بعبقرية واسعة. وكان له غفير التلاميذ والمريدين، على تباين بيئاتهم، وجهاتهم، ومحيطاتهم. حتى إذا

تلاحق مشايخه التريميون إلى مثاويهم البرزخية، غدا الشخصية العظمى في الهيئة التريمية، وكيف يتقدم عليه عالم أو واعظ أو عظيم، سواءً في المدارس، أو الصلوات، أو المزارات، أو المحافل والمجتمعات، وكلهم من تلاميذه ومريديه!.



ولما كان مشايخه لهم كثرتهم بحضرموت وخارجها، فإلى المكتفين بالبارزين: العلامة السيد محمد بن إبراهيم بن عيدروس بلفقيه، والعلامة السيد علي بن عبدالله بن علي بن شهاب الدين، والعلامة السيد حامد بن عمر بن عبدالرحمن بافرج، والعلامة السيد عمر بن حسن بن عبدالله الحداد، والعلامة السيد علي بن حسن بن حسين بن أحمد الحداد، والعلامة السيد أحمد بن محمد بن عبدالله الكاف، والعلامة السيد محسن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة السيد عبدالرحمن بن علي بن عمر بن سقاف السقاف، والعلامة السيد محمد بن علي بن علوي بن عبدالله السقاف، والعلامة السيد صافي ابن طه بن شيخ السقاف، والعلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والعلامة السيد حسن بن أحمد بن زين بن سميط، والعلامة السيد أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس، والعلامة السيد أحمد بن عبدالله ابن عيدورس البار، والعلامة السيد أحمد بن محمد بن علوي المحضار، والعلامة السيد طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد، والعلامتان السيدان محمد وعمر ابنا صالح بن عبدالله بن أحمد العطاس.

وممّن تفقه عليهم بدوعن: العلامة الشيخ محمد بن عبدالله بن أحمد باسودان. عدا ماله من شيوخ بالحرمين الشريفين، ومنهم: العلامة السيد أحمد بن زيني دحلان، وشيخنا العلامة السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي. وخلا شيوخه بالديار المصرية،

وفيهم: العلامة الشيخ حسن العدوي الحمزاوي. وأما العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور، فشيخ فتوحه في العلوم الشرعية والصوفية، وفي صحبته العمر كله، وما مقرؤاته عليه بالشيء اليسير في شتى العلوم.

وأما تلاميذه، وما أدراكم ما هم! كمتناثرين في بقاع الدنيا، فمن مشاهير التريميين: العلامة السيد عبدالله بن عمر بن أحمد الشاطري، والعلامة السيد حسين بن أحمد بن محمد بن عبدالله الكاف، والعلامة السيد عبدالباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس، والعلامة السيد علوي بن عبدالله بن علي بن شهاب الدين، والعلامة السيد حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن الكاف، والعلامة السيد علي بن زين الهادي، والعلامة السيد علوي بن أبي بكر خرد، والعلامة السيد أحمد بن عمر بن عوض الشاطري، والعلامة الشيخ محمد بن أحمد الخطيب، والعلامة الشيخ أبو بكر بن أحمد بن عبدالله الخطيب، والعلامة الشيخ فضل بن محمد عرفان بارجا.

ثم من كان يظن أنه لم يبارح وطنه في سبيل النفع العام، والاكتفاء بهداياته في مسقط رأسه، فقد كان في ظنه خاطئًا. إذ الواقع أن نفسياته الخيرية، ونزعاته الراشدة، لها التتابع المستمر في الدعوة إلى الله تعالى هنا وهناكَ، شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا. ومن غير الاقتصار على المدن والقرى والأودية، بالاسترسال إلى الجبال، ومساكن الصيعر، وبادية العوامر، والكثيريين، والتميميين.

وما بالكم بإقاماته بالشحر، والمكلا، والجهات اليمنية، والسيلانية، في خصوص الرسالة المحمدية، خلا أسفاره إلى النواحي المتعددة، كالديار الفلسطينية، والسورية،

والهندية، والجاوية، والزنجبارية. على ما يروى تلميذه العلامة السيد عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط في «النفحة الشذية».

وأما تردداته إلى البقاع السيلانية، وما له بها من آثار خيرية، وتلاميذ ومريدين، في مدينة كلُمبو وسواها، فأشهر من أن تذكر. ويروي تلميذه العلامة السيد حامد بن محمد بن سالم بن علوي السري: أنهم يزيدون على ثلاثة آلاف تلميذ ومريد.



وقد تلاحظون غيرته القومية، من تصدية لمناوشة العلامة السيد حسن بن علوي بن أبي بكر بن شهاب الدين، بالرد على رسالته «نِحْلة الوطن»، من جراء تحامله على العلماء والمصلحين بحضرموت، بدعوى تقاعدهم عن الإصلاح العام الناجع.



وحيث خلَصنا مما ألممنا به، على سبيل الاستعراض الخفيف، فهيا بنا نعرج على مواعظه المؤثرة، وسعة اطلاعه، ومداومة مطالعاته، وفصاحة لسانه، وسحر بيانه، ورقة حاشيته، ولطيف عشرته، وعلو همته، ونزاهة نفسه. وعلى هذا، السيرُ إلى موفور أدبه. وفي «تاريخ ثغر الشحر»، لتلميذه العلامة السيد عبدالله بن محمد باحسن: أن من مقروآته عليه «ديوان بن معتوق»، إلى جانب «شرح المحلي على المنهاج»، ولم لا يكون كثير التواضع، والقناعة، والزهادة، والأخلاق الفاضلة، ومكانته في الفضل والكمال مكانة سامية.



ونرى من الذين امتدحوه بقصائدهم: العلامة السيد شيخ بن محمد بن حسين الحبشي، وتلميذه العلامة السيد عبدالله بن محمد باحسن، كما أثبتها في «تاريخ ثغر الشحر»، والأديب الشيخ عوض بن محمد بن سالم بافضل، على ما أوردها ولده العلامة الشيخ محمد بن عوض في كتابه «صلة الأهل في مناقب المشايخ آل بافضل».

ثم هل من شك في أن عمره الطويل تتابعَ في أجمل الصفات، سواء العلميات، أو الدينيات، أو الصوفيات، أو الاجتماعيات. والحقيقة أنني عرفتُه شخصيًا، جماليًا في عموم مظاهره، الملبوس النظيف الأبيض، والرائحة الزكية، ومهابة المنظر، بقامته الطويلة الناحلة، والمحيا المستطيل، بالشدقين الغائرين، واللون الحنطي الغامق، واللحية الحمراء الممتدة من الأذن إلى الأذن، بعمامة كبيرة.



وبتريم انتزعت المنون حياته، في يوم الأحد، اثنتين وعشرين محرم، سنة وحدة وأربعين وثلاثمائة وألف. وفي «تعليقات» تلميذه العلامة السيد حامد بن محمد بن سالم السري على «مرثيته» التي رثاه بها: أن صاحب الترجمة أوصى بحمل نعشه من بيته إلى مسجد سيدنا عمر المحضار بن سيدنا عبدالرحمن السقاف، المجاور لغربيّ منزله، ووضعه في موضع تدريسه بين العشاءَين في الفقه والحديث والتفسير والنحو والصرف والتصوف، وغير ذلك، كطلب الرحمة من الله تعالى.

ومن هنا، شيعته الجموع المجتمعة من تريم وحواليها، إلى مدفنه بجبانة زنبل الشهيرة، حيث أجداث أهله وعشيرته، وهو معروف يزار»، انتهى المراد من كلام السقاف، وبه انتهت الترجمة.



[الحبيب محمد بن سالم السري
المتوفى سنة 1346هـ]

ومنهم الحبيب المسند، العلامة المجد، والملحق في سيره بأولي العزم والجد، محمد بن سالم بن علوي السري. وليد سنقفور بملايا، وخريج تريم ودفينها، وأحد مشاهيرها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان أخذه وسنده إلى صاحب المناقب رضوان الله عليه، بواسطة شيخه الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، كما نص على ذلك الحبيب أحمد في إجازته لصاحب الترجمة. وقد اعتنى بنشرها حفيد الحبيب أحمد بن حسن المذكور الحبيب الداعي إلى الله، محمد بن سالم بن الحبيب أحمد المذكور، في كتابه «مفتاح الإمداد»، في أوراد الحبيب أحمد المأثورة عنه. قال: «وتمتيمًا للنفع، واستجلابًا للبركة، استحسنا أن لا يخلو هذا المجموع اللطيف، من كلماته النافعة، التي أملاها في «إجازته الجامعة»، للعلامة الكبير، والمسند الشهير، الحبيب محمد بن سالم بن علوي السري التريمي، أوردناها بلفظها كاملةً. قال أمدنا الله بمدده، آمين:

[إجازة الحبيب أحمد بن حسن لصاحب الترجمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدلله حمدًا يثمر الاتصال والوصول، والإقبال والقبول، ويظهر به في الفروع سر الأصول. والصلاة والسلام على أشرف رسول، وأكرم شفيع مقبول، وعلى آله وصحبه الأئمة العدول، والتابعين له فيما يفعل ويقول.

وبعد؛ فقد سألني الإجازة، وتبيين من أخذت عنهم، واتصلت بهم في الطريقة، من علماء الشريعة والحقيقة، السيدُ الفاضل، المتعطش للورود على أعذب المناهل، واللحوق بأسلافه الكُمل الأماثل، والمتصف بكرائم الأخلاق والشمائل، أخونا في الله، الحبيب الصافي الوفي، محمد بن سالم بن علوي السري. **فأجبته** إلى ذلك، لعلمي بصدق رغبته، وصفاء طويته، وحسن ظنه ونيته.

فأقول أخذتُ ولله الحمد عن جملة من أكابر العارفين، من سادتنا العلويين، وغيرهم من العلماء العاملين، وحصل لي منهم الإلباسُ، والإجازة، والمصافحة،

والمشابكة. **فأولهم** سيدي الإمام الكبير، الولي الشهير، صالح بن عبدالله بن أحمد بن علي بن محسن بن حسين بن عمر بن عبدالرحمن العطاس، رعاني أتم الرعاية، وخصّني بمزيد نظر وعناية، ترددت عليه إلى بلده عمد مرارًا كثيرةً، وحضرت عليه القراءة في كثير من كتب العلوم النافعة، وقد أجازني وألبسني ولقنني الذكر، وصافحني، وحلق رأسي بيده الشريفة. وكان إذا سئل عن شيخه: من هو؟ قال: شيخي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتفعنا بالسيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل. وأخذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن الحبيب الإمام هادون بن هود بن علي بن حسن العطاس، وهو عن الحبيب العارف بالله محمد بن جعفر العطاس، وعن أبيه هود، وهما عن سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس، صاحب المشهد، وهو عن الحبيب الحسين بن عمر عن أبيه القطب عمر بن عبدالرحمن العطاس، بسنده إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن مشايخه: الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان، وأسانيده معروفة.

وكانت وفاة الحبيب صالح، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، سنة تسع وسبعين ومائتين وألف.

وثانيهم سيدي وشيخي، المرشد الكامل، الغوث القطب، أبوبكر بن عبدالله بن طالب بن حسين بن عمر العطاس. أخذتُ عنه، وتلقيت منه، ولاحظني بنظره الميمون. وسمعت من مذاكراته العرفانية، وعلومه اللدنية، في مجالسه الخاصة والعامة. ومشايخه كثيرون، فمن أجلهم: سيدنا الحبيب الحسن بن صالح البحر، وهو عن الحبيب عمر بن سقاف، وهو عن الحبيب حامد بن عمر حامد، وهو عن الحبيب حسن بن عبدالله الحداد، وهو عن أبيه القطب عبدالله بن علوي الحداد.

ومشايخ الحبيب عبدالله كثيرون لا يخفَون.

وأخذ سيدنا الحبيب أبوبكر أيضًا، عن السيد العارف أحمد بن إدريس الحسَني، صاحب الطريقة الشهيرة. وعن السيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل في مدينة زبيد،

وعن الشيخ علي المداح المصري بمكة المشرفة. وكانت وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شهر ذي القعدة، بحريضة، سنة وحدة وثمانين ومائتين وألف. وأجازني وألبسني ولقّنني وصافحني، كما وقع له ذلك من مشايخه.

وثالثهم سيدي الإمام العارف بالله، منبع الأنوار والأسرار، أحمد بن محمد بن علوي المحضار. صحبته، ولازمته، وأخذت عنه، وأجازني لفظًا وخطًا، وألبسني، ولقنني الذكر، وأخبرني أنه أخذ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا واسطة. وهو أخذ عن الحبيب الحسن بن صالح البحر، وعن الشيخ عبدالله باسودان. وكانت وفاته في شهر صفر، سنة أربع وثلاثمائة وألف.

ورابعهم سيدي الإمام العلامة الفهامة، العارف بالله، شيخ العلماء أولي التحقيق والإتقان، أحمد بن زيني دحلان. رحلت إليه، وصحبته نحوًا من خمس سنين، وحضرت درسه في العلوم النافعة، وأخذت عنه أخذًا تامًّا، وأجازني لفظًا وخطًا، وألبسني ولقنني، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو أخذ عن مشايخ كثيرين، ومن أعظمهم عنايةً به: الشيخ عثمان بن محمد (صوابه بن حسن)[1] الدمياطي، وهو عن الشيخ محمد الأمير صاحب الثبت الشهير. وكانت وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بالمدينة المنورة، سنة أربع وثلاثمائة وألف.

ومن مشايخي الذين انتفعت بهم، وأخذت عنهم أيضًا: الإمام الداعي إلى الله، سيدي محمد بن علي السقاف، والحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب محمد بن حسين الحبشي، والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب عيدروس بن محمد العيدروس، والحبيب عبدالرحمن بن علي السقاف، والحبيب عمر بن عبدالله الجفري

---

(1) كذا في الأصل (مصحح).

بواب الحضرة النبوية، والحبيب هاشم بن شيخ الحبشي، والشيخ محمد العزب، والحبيب عمر بن محمد بن سميط، والحبيب محسن بن حسين بن جعفر العطاس، والحبيب طالب بن عبدالله العطاس، والحبيب شيخ بن عمر السقاف، وسيدي محمد بن عبدالباري الأهدل، وابنه حسن، وشيخ الإسلام الشيخ محمد الأنبابي المصريّ، والشيخ حسن المرصفي، وخاتمتهم سيدي الحبيب الكامل عيدروس بن عمر الحبشي. نفعنا الله بهم. ولي من جيمعهم إجازات خاصة وعامّة، كتابة ونطقًا، وغالبها محفوظة لديَّ، نفعنا الله ببركاتهم، ومنحنا شريف مواصلاتهم في الدارين، آمين.



ثم إن الولدَ، والأخ محمدًا المذكور، طلب مني المصافحة والمشابكة ومناولة السبحة، فصافحته بيدي، كما صافحت بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشابكته بأصابعي كما شابكني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووضعت السبحة في يده كما وضعها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يدي.

ولي ولله الحمدُ الأخذ عن الخلفاء الأربعة، وسيدنا عبدالله بن عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم. وعن سيدنا علي زين العابدين، والمهاجر إلى الله سيدنا أحمد بن عيسى، وسيدنا الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، وسيدنا عبدالرحمن السقاف، وسيدنا عمر المحضار، وسيدنا عبدالله العيدروس، وسيدنا أبي بكر العدني، والشيخ عقيل بن سالم، والشيخ أبي بكر بن سالم، وابنه سيدنا الحسين، والحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وابنه الحسين، وسيدنا عبدالله بن علوي الحداد، والحبيب علي بن حسن العطاس، والحبيب هادون بن هود العطاس، والحبيب عمر بن سقاف، والحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، والحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى، والحبيب حسن بن صالح البحر، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط، وغيرهم من أسلافنا العلويين.

وأخذت أيضًا عن سيدنا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ مرات كثيرة، ولبست منه مرات، ومرة منها بالنيابة عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس. وأخذت عن الإمام الشافعي، والشيخ عبدالقادر الجيلاني، وأبي إسحاق الشيرازي، والإمام النووي، وحجة الإسلام الغزالي، والشيخ سعيد العمودي، وابني حجر الهيتمي والعسقلاني، وشيخ الإسلام زكريا، والشيخ عمر بامخرمة، رضي الله عن الجميع، ونفعنا بهم، وحقق لنا الارتباط بهم ظاهرًا وباطنًا، حسًا ومعنىً.



أجزتُ الولد محمد المذكور، بجميع ما تجوز لي روايته ودرايته، وجميع ما تلقيته عن أشياخي المذكورين، من علوم وأعمال، وأخلاق وآداب، وأذكار وأوراد وأحزاب. وأجزته بأثبات الأسانيد، المشتملة على الطرائق والمؤلفات، والعلوم العقليات والنقليات، كـ«ثبت الشيخ محمد الأمير الكبير»، و«ثبت الشيخ محمد عابد»، و«ثبت الشيخ فتح الفرغلي»، و«سلاسل السعادة» للسيّد محمد مرتضى الزّبيدي المصري، وكتاب «عقد اليواقيت الجوهرية» لسيدنا الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، و«النفس اليماني» لسيدنا عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، وغيرها من الأثبات والمسانيد، والرسائل المؤلفة في هذا الشأن.



وأجزته أيضًا فيما فتح الله به عليَّ من الأوراد، والصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأذنت له أن يجيز ويروي عني كيف شاء. وأوصيه بتكرير هذه الآية أربعمائة وخمسين مرة عندَ الحاجة: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾. وبقراءة سورة الواقعة بعد العصر، وبتكرير ذكر الهوية عند ورود الخواطر والوساوس.

وأوصيه بتقوى الله، ومراقبته في الحركات والسكنات، والأنفاس والخطرات، ولزوم طريقة السلف العلويين، في علمهم وعملهم، وأخلاقهم وآدابهم، وعاداتهم وعباداتهم، وإقدامهم وإحجامهم. وأن لا ينساني وأولادي من صالح الدعاء.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وختم للجميع بالحسنى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال ذلك بفمه وأمر برقمه

الفقير إلى عفو الله أحمد بن حسن بن عبدالله بن علي العطاس

ببلد حريضة في خمسة عشر من شهر ذي القعدة

سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف».

انتهى المراد من «مفتاح الإمداد».

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قلتُ: وأنا بحمد الله، قد أخذت عن شيخنا صاحب الترجمة، الحبيب محمد بن سالم السري المذكور، ولبست منه، وأجازني بإجازة أشياخه، بعد أن أضافني على الأسودين: الماء والتمر، في بيته بتريم المحروسة، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف.

وكانت وفاته بها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف، كما أن ولادته كانت ببندر سنقفور، بجهة ملايا، سنة أربع وستين ومائتين وألف. وله «ثبتٌ» مشهور، ومتداول، ذكر فيه كيفية تلقيه عن أشياخه، وهم الكثير الطيب.

[ابنه، السيد حامد بن محمد السري]

كما أني قد عرفتُ ابنه الأخ العلامة حامد بن محمد. وليد سنقفور، وخريج تريم، ونزيل بلدة المالاغ بجاوة. وقد بذل نفسه لنشر العلم، وتخرج به كثيرون من طلاب المدارس، وله اتصال بأسلافه أهل الكمال، في الوطن والمهجر.

على أنه قد أخذ عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس المذكور مباشرةً، في آخر زيارة الحبيب أحمد لمدينة تريم، وله فيه مديحةٌ مستهلها:

طلعت شموسُ السعدِ والإقبال وهمت عيونُ العارضِ الهطال



[الحبيب حسن بن محمد بلفقيه المتوفى سنة 1346هـ]

ومنهم الحبيب الصفي، العلامة الصوفي، والمشهود له بأنه وليّ ابن وليّ إلى النبي، حسن بن محمد بن إبراهيم بن عيدروس بلفقيه. وليد تريم ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

زار ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى بلده عمْد، وأخذ عن ابني صاحب المناقب محمد وعمر، إجمالًا، كما أخذ وارتوى من الحبيب أحمد بن حسن العطاس تفصيلًا. وتردد لزيارته إلى حريضة، وفي بعض المرات طلبه الحبيب أحمد أن يأتي بأهله وأولاده من تريم إلى حريضة، وفرغ له دار والده، الحبيب حسن، جلسوا فيها مدة طويلة، على قراءة، ومذاكرات، وإفادات، واستفادات.

وكان سيّدي الحبيب أحمد مسرورًا، ومتبركًا بإقامة صاحب الترجمة عنده في تلك المدة، وله في ذلك نيات صالحة، تظهر من اغتباطه به، حتى أنه قد عقد لصاحب الترجمة بابنة ولده سالم بن أحمد، حرصًا منه على اتصال النسب الطيني بعد الديني، بشيخه الحبيب محمد بن إبراهيم، والد صاحب الترجمة. وكان كثيرًا ما يقول في الثناء على صاحب الترجمة: إنه وليٌّ ابن ولي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وإني بحمد الله، قد حضرت أكثر مجالسه الخاصة والعامة، مع سيدي الحبيب أحمد، وقرأت عليه بقراءتي في ذلك الوقت على سيدي الحبيب أحمد في كتاب «جواهر البخاري»، للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني. وأجازني، وألبسني.

ثم زرته إلى بيته بتريم، بعد وفاة سيدي الحبيب أحمد، وأضافني وزوّدني من صالح دعواته، وكان هذا آخر عهدي به، وذلك حينما تشرفت بزيارة تريم وأهلها في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.



[ترجمته من «تعليقات السقاف»]

وقد ترجمه الأخ المتفنّن عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، في «تعليقاته على رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية»، عند قوله صاحب الرحلة، الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن سالم باكثير، مستوطن مدينة زنجبار، في زيارته لفضلاء تريم الموجودين في ذلك الوقت: «وزرنا الفاضل الجليل، العالم العامل، السيد حسن بن العارف بالله السيد محمد بن إبراهيم بلفقيه».

فقال السقاف:

«حسن بن محمد بن إبراهيم بن عيدروس بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبدالرحمن بن الفقيه محمد بن عبدالرحمن الأسقع بن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم محمد بن علي، إلى آخر نسبه المعروف إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. من العلماء والأعيان، وذوي الصفات الحسان، والإجلال في كل مكان وزمان. ولد بمدينة تريم في أجواء سنة خمس وستين ومائتين وألف من

الهجرة، وفي حضانة أبويه وكفالتهم انتعشت حياته، متعاليةً في نعماء وتدليل، وعطف ورعاية ومراقبة.

كما افتتح والده حياته العلمية بكتاب الله تعالى، كما لا يخفى. وفي معاهد الثقافة التريمية، تعاليمُه الفقهية وغيرها، مع الإدراك ما لوالده من الآثار البالغة في نجاحه ومحصولاته، ومن البديهيات أن له مشايخ عديدين، من التريميين وغير التريميين. وعلى ناصيتهم العلامة السيد الجليل، عمر بن حسن بن عبدالله الحداد، والعلامة السيد علي بن عبدالله بن علي بن شهاب الدين، والعلامة السيد عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور، والعلامة السيد أحمد بن محمد بن عبدالله الكاف.

ومن شيوخه الصوفيين، العلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعلامة السيد علوي بن عبدالرحمن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة السيد عبيدالله بن محسن بن علوي بن سقاف السقاف، والعلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والعلامة السيد عبداللاه بن حسن بن صالح البحر، والعلامة السيد عبدالله بن محمد بن أحمد بن جعفر الحبشي، والعلامة السيد أحمد بن محمد ابن علوي المحضار، والعلامة السيد أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس، والعلامة السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي.

وعندما نستتبع حياته، نشاهده في معية والده، متتلمذًا، ومقتديًا، ومهتديًا، إلى أن ثوى في ضريحه، سنة سبع وثلاثمائة وألف من الهجرة، ولو تحدثت إليه عن العلوم التي درسها عليه، والكتب التي قرأها، لعدد لك الكثير، متسربًا إلى استقصاء الكتب السلفية العلوية، ولا سيما مؤلفات قطب الإرشاد سيدنا عبدالله الحداد، ومؤلفات جده سيدنا عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه، ومؤلفات سيدنا عبدالله بن حسين بن طاهر، عدا

أن «الرشفات» من مغذياته المعنوية. وما تغنّي أولاده بها في المجتمعات الخاصة والعامة على الطريقة المعروفة، غير ظاهرة من عواطفه تلقاءَها.

وأما تلاميذه ومريدوه، فلهم كثرتهم، ولا سيما في المناطق الصوفية، هاك منهم أولاده السادة الأجلاء: إبراهيم وأحمد وزينًا، والعلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري، والعلامة السيد علوي بن عبد الله بن علي بن شهاب الدين، والعلامة السيد عبدالباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس، والعلامة الشيخ أبابكر بن أحمد بن عبدالله الخطيب. وفي «النفخة الشذية»، لقاضي زنجبار ومفتيها، صديقنا العلامة السيد عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط: أنه قرأ عليه في «بداية الهداية»، كما أجازه وألبسه.

وعندما نرجع إلى حياته الدينية، نجده دينيًا عميقًا، وصوفيًا كبيرًا، وعلى القدم العلوي سيرة ونسكًا، كمتأثر بدينيات أبيه وصوفياته، فكانت له واضحاته. حتى الروحة العصرية إقامة أو حضورًا، في التصوف والسير والحديث، كما لم يكن له مشاغل تشغله في أيامه ولياليه، غير المشاغل العلمية والصوفية والدينية، إلى كثرة الأذكار، ومراقبة النفس، والمحافظة على السنن والتهجدات، مع الفهم بأن له ترددات إلى النبي هود عَلَيْهِ السَّلَامُ شرقًا، وإلى شبام وغربيها غربًا، وبالأخص الباطنة، مستعمرتهم الموروثة. ثم إياك أن تظنه من المتقشفين في مأكلهم وملبسهم ومسكنهم ومركبهم، لأنك تظلمه حينئذٍ، عن مشاهدة ودراية. وإذا كان جماليًا في كل شيء، حتى لونه الأبيض المشرّب بحمرة، وثيابه البيض النظيفة، فكيف لا تكون غريزته مصاغةً من الطيبات، حتى الصافن واليعفور ببابه.

مع الإشارة إلى انقباضه في آخر عمره عن الناس، وملازمته منزله، مستغرقًا أوقاته في العبادة والأوراد والأذكار، إلى غير ذلك. حتى الدروس، ولا سيما الصوفية. وعلى ما علمت كانت حياته إلى انقضائها، في ذي القعدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف، وقبره بجبانة زنبل معروف عند مقابر أهله آل بلفقيه، يزار مع زياراتهم»، انتهى المراد من كلام السقاف، وبه انتهت الترجمة.



[الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس المتوفى سنة 1358هـ]

ومنهم الحبيب العارف، نديم العلوم والمعارف، والجامع بين تليد المجد والطارف، عبدالباري بن شيخ بن عيدروس بن محمد بن عيدروس بن شيخ بن مصطفى بن علي زين العابدين بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس. وليد تريم ودفينها، وأحد عظماء صوفيتها ومرشديها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تكرر أخذه وإلباسه من الحبيب أحمد بن حسن العطاس، كما تكرر تردد الحبيب لزيارة بيتهم بتريم، لكونه أحد معاهدها العلمية، ومن هنا كان اتصال سند صاحب الترجمة بصاحب المناقب رضوان الله عليه.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وأنا بحمد الله قد زرتُ صاحب الترجمة في بيتهم المشهور بالصلاح، وحضرت عليه بقراءة الغير في «إحياء علوم الدين». ثم طلبت منه الإجازة والإلباس، فأجازني وألبسني، ودعا لي.

[ترجمته من «تعليقات السقاف»]

وهو حسنُ الحديث في السلفيات، قويّ الحافظة، سريع الذاكرة في السِّيَر، كما وصفه الأخ العلامة عبدالله بن محمد بن حامد السقاف في «تعليقاته على رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية»، حيث يقول في ترجمة والد صاحب الترجمة: «وأما ولده، العلامة السيد عبدالباري، فقد تخرج عليه، وسار على هديه، وعليه قرأ ما لا عداد له، لا سيما في التصوف والسير والحديث. كما استدام ملازمة إلى وفاته»، انتهى كلام السقاف.

وقد جمع الأخ العلامة المحصل، محمد بن سقاف بن زين بن محسن الهادي، وليد تريم وخريجها، ونزيل بوقور الآن بجهة جاوة، «نبذةً» مباركة من كلام صاحب الترجمة المنثور، في نحو مائتين وخمسين صفحة، يستدل بها القارئ الموفق على علوّ مرتبة صاحب الترجمة في كسبياته ووهبياته، قال في خطبتها:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«الحمدلله الذي اختصّ بإبلاغ دعوته من شاء من العباد، وأقام في مقام عبوديته من اختار وأراد، فحبّذ الناشرون لواء السنة الغراء، والحاملون أعباءها في السّراء والضراء، والمستكشفون عن غوامض أسرارها بأنوار البصيرة، ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله بصيرة، أولئك الوارثون الحائزون، وأولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أنّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الذي تبلجَت بنور طلعته مصابيح الهداية، وانقشعت بشمس غرته دياجير الغواية، صلى الله عليه وعلى آله الغر الميامين، وصحابته الكماة أئمة الحق المبين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فطالما يجول ببالي، أن أقيد ما تيسر لي تقييده، ممّا يتنفس به في المجالس ويفيده، من روايات سلفية، أو مذاكرات علمية، أو معاني آيات قرآنية، سيدي الحبيب الندب التقي الكامل، والإمام الهمّام البحر الخضم الحافل، قطب زمانه وأوانه، الفائق على أترابه وأقرانه، العارف بالله والدال عليه، محيي النفوس، أبي محمد عبد الباري بن الحبيب شيخ بن عيدروس العيدروس، متع الله بحياته، وأعاد علينا من بركاته، آمين. ولم يثقلني عن إبراز ذلك العمل، إلاّ التسويف والكسل، لعلمي بقصور فهمي وفتور عزمي.

حتى أشار عليّ بذلك مرارًا، سيدي الحبيب الفريد، محمد بن حسن عيديد، وسمعت أيضًا سيدي الحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف، والحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، والحبيب محمد بن هادي السقاف، وغيرهم، سيما في مجالسهم مع سيدي، يحثون كثيرًا على تقييد ما هنالك، فلم يسعني بعد هذا إلا الاغتنام لذلك، ولو مع القصور والفتور، لأن الميسور لا يسقط بالمعسور. وهذا ما تيسر لي جمعه، وسميته «بهجة النفوس في بعض كلام الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس».



[سبب تسميته بعبدالباري]

ثم ذكر في أثناء ذلك سببَ تسمية صاحب الترجمة بهذا الاسم، حكايةً عن صاحب الترجمة، قال: «وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دخل جدي عيدروس بن محمد إلى عند الحبيب محمد بن عبدالباري الأهدل بالمراوعة، وكان إمامًا عالمًا، وهو الذي شرح «المتممة»، فنوى جدي أنه إذا تزوج الوالدُ وولد له المولود، يسميه عبدالباري، فتزوج الوالدةَ، وأتت بي، وسماني بهذا الاسم، وألقى لحمات لجميع سادة تريم.

ويوم التسمية ألقى ضيافة، وحضر الكثير من الأعيان، مثل الحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب علي بن حسن الحداد، والحبيب عمر بن حسن الحداد، والحبيب حسين بن علوي العيدروس، من آل بوبكر. وكان الجد عيدروس جالسًا بالسهم، والوالد شيخ وراءه، فقالوا: ما الاسم يا عيدروس؟ فقال: عبدالباري! فسكتوا، كأنهم استغربوا الاسم. ثم قالوا: ليش بهذا يا عيدروس؟ والأسماء معكم يا آل عبدالله بن شيخ، إن بغيته جعفر الصادق، وإن بغيته الباقر، وإن بغيته مصطفى. فلما رأوا تصميم الجد على ذلك، رتبوا الفاتحة على ما نواه الجد. ومما ذكره الجد عن الحبيب محمد بن عبدالباري: أنه أجاز الجد في «حسبنا الله ونعم الوكيل»، وقد كان فتح الحبيب محمد بن عبدالباري فيه»، انتهى المراد من كلام الهادي.



وأما مشايخه فكثيرون، ذكر غالبهم في كلامه، منهم بعد والده: الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور، والحبيب أحمد بن محمد الكاف، والحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب أحمد بن حسن العطاس.

* حسبي وفي تعدادهم لم أطمع *

وكانت وفاة صاحب الترجمة ببلده تريم، في محرم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية».

[الشيخ أبوبكر بن أحمد الخطيب
المتوفى سنة 1354هـ]

ومنهم الشيخ المحقق، العلامة حليف الورع والصدق، والصوفي المتحقق، أبوبكر بن أحمد بن عبدالله الخطيب. وليد تريم ودفينها، ونديم «تحفة المحتاج» وقرينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. زار ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه، إلى بلده عمد مراتٍ، وأخذ عن ابن صاحب المناقب الحبيب عمر. كما أخذ عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وتردد إليه.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وكنت أسمع بهذا الشيخ، وما أكرمه الله به من العلم، وزينه له بالعمل:

* فلما التقينا صدق الخَبَرَ الخبرُ *

وكان أول اجتماعي به في مكة المحمية، سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، حاجًا عن الغير، حينما نزل ضيفًا كريمًا على أخينا وشيخنا، الحبيب عقيل بن عبدالله بن مطهر الحامد، الآتي ذكره في المكيين من (هذا الباب)، برباط السادة، الكائن بسوق الليل. وفي تلك السنة تجرد الأخ عقيل وصاحب الترجمة عن الأصحاب والرفاهية، لتأدية فريضة الحج بكمال السنن، وإتيان جميع مشاعره في وقتها المعلوم.

وكنت في ذلك الوقت طفيليهما، بشرط تنكير الهيئات، وتحويلها إلى دروشة كاملة، بحمل ما تيسر من الكتب، وإبريقي الوضوء، والقهوة، وسجاجيد الصلاة على العاتق، فكانت بحمد الله حجةً على وفق ما هو مقرر في كتب مناسك الحج، لا سيما لمعرفتهما بذلك، وحرصهما على ما هنالك. وكنت المقرئ لهما في تلك الأيام.

ثم طلبتُ الإجازة من صاحب الترجمة، فأجازني بعد محاشاةٍ سبقت منه، ثم اجتمعت به بحريضة، زائرًا سيدي الحبيب أحمد بن حسن المذكور، ثم بتريم، وبها كان آخر عهدي به.

[ترجمته من «تاريخ الشعراء»]

وقد ترجمه الأخ العلامة المتفنن، عبدالله بن محمد بن حامد السقاف في كتابه (الجزء الخامس) من «تاريخ الشعراء الحضرميين»، فقال:

«الشيخ أبوبكر بن أحمد بن عبدالله بن أبي بكر بن سالم الخطيب الأنصاري، وينتهي نسبه إلى عباد بن بشر، الصحابي البدري الأنصاري.

علامة ذو سكينة، وصوفي متغلغل في التصوف والنسك، إلى القصوى. ميلاده بمدينة تريم، في أجواء سنة تسعين ومائتين وألف من الهجرة، ومنذ فتح عينيه الصغيرتين ناظراً إلى هذا الكون الصاخب، والعطف الأبوي إلى الأذقان وما فوقها، ولما انتهى من تقصي كلام الله المجيد إلى آخر آياته، تبدلت الوجهة. وهل المبتغَى يتجاوز الحياة القومية، وظواهر أهله وبواطنهم، من دينٍ، وعلم، وتصوفٍ، وتهذيبٍ، وتربيةٍ، وروح فاضلةٍ، على مراعاة والده ومراقبته.



وعلى ماله من استدامة الدراسة عليه في الفقه وغيره، لم يقف به والدُه عند حده، ولكنه دفعه إلى الانتفاع على غيره من شموس تريم وأقمارها، قبل سواهم، مع الشعور بأن له المحفوظات الوافرة في صغار المتون وكبارها، من «الزبد»، و«الملحة»، إلى «الإرشاد»، و«ألفية ابن مالك».

ولما كان بمثابة صورة لأبيه، وفي المنهج العلوي سلوكه إلى ربه، فكيف لا ينقطع إلى تبعية كبار أئمة هذا البيت النبويّ، وفي الأوّلين العلامة السيد محمد بن إبراهيم بن عيدروس بلفقيه، والعلامة السيد عمر بن حسن بن عبدالله الحداد، والعلامة السيد أحمد بن محمد بن عبدالله الكاف، والعلامة السيد شيخ بن عيدروس بن محمد العيدروس، مع العلم بأن له مشايخ عديدين غير هؤلاء، في نواحي حضرموت وفي خارجها. وهل تخفى تلمذته للعلامة السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعلامة السيّد أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس.

وفي مكة أثناء مقامه بها كناسك للفرْضَين، سنة وحدة وعشرين وثلاثمائة وألف، لم يكفه التتلمذُ على شيخنا العلامة السيد حسين بن محمد الحبشي، ولكنه قرأ مع صديقه العلامة القاضي السيد حسين بن أحمد بن محمد بن عبدالله الكاف، على أحد علمائها في بعض العلوم العقلية، عن مشاهدة.

وأما والده وشيخه، العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور، فشيخا فتوحه في علوم الدين واليقين، ولئن تبحر عليهما في مختلف العلوم، فقد كان لتوغله الفقهي عليهما الأثر البالغ في سعته الفقهية، إلى الارتقاء به في الفقه إلى المفتين الكبار. على أنه مع بلوغه إلى تلك الذروة، لم يبرح في معية شيخه العلامة السيد عبدالرحمن المشهور، إلى وفاته، متتلمذًا ومقتديًا، كما لم يزل في تبعية والده مهتديًا ومتتلمذًا، إلى أن بارح هذه الحياة الدنيا في جمادى الأولى سنة وحدة وثلاثين وثلاثمائة وألف. ثم متى عادت العودة إلى حياته العلمية، نشاهده في أيامه ولياليه مصروف الأوقات في العلم بالبيت وبالمسجد وبكل مكان لا تفارقه محفظته مدرسًا ومراجعًا ومفتيًا فوق عبادته وغير عبادته.

ومما تحدث به إليَّ بسيوون، صهره وتلميذه، العلامة السيد سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم، صاحب مشطة: أنه جمع من «فتاويه» ثلاثين كراسًا.

والحقيقة أن السيد سالم بن حفيظ لم يكن تلميذَه الوحيد، كما لا يخفى. بل هو واحد من جماهير لا نهاية لتعدادهم، وحسبكم منهم: العلامة السيد علوي بن عبدالله بن علي بن شهاب الدين، والعلامة السيد حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن الكاف، والعلامة السيد أحمد بن عمر بن عوض الشاطريّ والعلامة السيّد علي بن زين بن علي الهادي والعلامة السيد علوي بن أبي بكر بن عبدالله خرد، والعلامة السيد حامد ابن محمد بن سالم السّري، وأخوه العلامة الشيخ عبدالله بن أحمد الخطيب، والعلامة الشيخ فضل بن عبدالله عرفان بارجا، والعلامة الشيخ محمد بن عوض بن محمد بن سالم بافضل.

ومن أحاديث العلامة السيد علوي بن محمد بن طاهر بن عمر الحداد: أن والده استقدم صاحب الترجمة إلى قيدون، وأقام بها يدرس، وبه انتفع كثيرون من طلبة العلم في تلك الناحية، ويعد نفسه من تلاميذه.

وأما حياته الاجتماعية، فليس لها مظاهر الاجتماعيين، ولكنها مقصورة على الاختلاط بعشيرته، وأهل العلم والفضل والتصوف، والسادة العلويين، كما هي مقبوضة عن الدنيا ومتعلقاتها، بصفة زاهد متورع، وتقي مستقيم، ومن ذوي التواضع والمسكنة والهدوء. إلى أنه قلما يبتعد عن تريم، وفي خصوص زيارة النبي هود وأمثالها، مستمرة زيارته، لذوي الفضل من الأحياء، وجبانات زنبل والفريط وأكدر. كما لا تفوته مجالس الخير بها.

وآخر مرة رأيته، كانت في ختم مسجد سيدنا عمر المحضار بن عبدالرحمن السقاف، ليلة تسع وعشرين رمضان، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف، حيث شاهدته حاضرًا في الحاضرين، ومتبركًا في المتبركين. وعلى أحسن صورة إسلامية تقية، وعلمية وصوفية، ذهبت به المنية إلى ربّ البرية، بتريم، من سبعة عشر محرم، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف[1]. وقبره بمقبرة الفريط، عند مدافن أهله.

وقد رثاه جماعة من تلاميذه، ومن شعراء سيوون: العلامة السيد سقاف بن محمد بن طه بن محسن السقاف، والأديب الشيخ عمر بن محمد (مثنّى) بن محمد باكثير، بقصائد تنضح أسى وحزنًا ولوعة»، انتهى المراد من كلام السقاف وبه انتهت الترجمة.



[الحبيب علي بن سالم الأدعج
المتوفى سنة 1299هـ]

ومنهم الحبيب الواثق بالله، ذو التقريب والإدلال على مولاه، المتنازَع، بفتح الزاي، بين نور السلوك ونور الجذْب إلى الله، علي، الملقب بالأدعج، بن سالم بن علي بن شيخ بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم. وليد عينات ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أكثر من زيارة صاحب المناقب رضوان الله عليه، في حياته، إلى بلده عمد، وكذا بعد وفاته. وأخذ عنه، ولبس منه، كما روى الشيء الكثير عنه. وأخذ أخذًا تامًا عن

(1) كذا التاريخ في الأصل والمطبوع، والصواب، كما في «تاريخ الشعراء» (161/5): في السابع والعشرين من محرم سنة 1356هـ، (مصحح).

الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، وتحكم له، ثم انطوى فيه، فكان شيخ فتحه، وأبا روحه، كما صرح بذلك صاحب الترجمة في كتابه «فيض الله العلي»، وعد فيه بقية أشياخه، ومن لقيهم وصحبهم من أهل الفضل، وكان بينه وبينهم من الرسائل، وجميل المقاصد والوسائل.



[ترجمة صاحب المناقب من «فيض الله العلي»]

ومن ذلك قوله: «ودخلت عمْد، عند السيد الجليل، مكرم النزيل، ومحكم التنزيل، القطب الغوث الحبيب صالح بن عبدالله بن أحمد بن علي العطاس.

فيالك من شريف فضيل، وصوفي بجيل، لم ير له مثيل، فأكرم مثوايَ وبجّلني غاية التبجيل، وحصل منه الإكرام والإسعاف والألطاف، والنظر الخاص والعام، وألبسني ولقنني الذكر، وهو كلمة التوحيد، كلمة الحق، وكلمة الصدق، وكلمة التقوى، وحصن الله الحصين. كما ورد عن أهل البيت، في السند المسلسل المضمَّن عن سيدنا علي الرضا بن موسى الكاظم، أورده عن آبائه الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عن سيد الأنام، عن ربّ العزة، أنه قال: «**لا إله إلا الله حِصْني، فمن قالها دخلَ حِصْني، ومن دخلَ حصْني أمِنَ من عذابي**»[1]. **اللّهم** أحينا عليها، وحققنا بحقائقها، وألزمنا طرائقها، في عافية وسلامةٍ، يا رب العالمين.

هذا أول اجتماعي بالحبيب صالح، ثم صارت اجتماعات كثيرة، ومجالس شهيرة، وسَرَتْ لنا منه أحوالٌ منيرة، وانكحلت منه البصيرة، وصلحت منه السريرة، وهو من

(1) تقدم تخريجه في الجزء الأول.

الذين لو سار سائر لطلب لقياهُ ألفَ عامٍ ما ندمَ، بل ربح وغنم، ونجا وسلم، الحمدلله على اجتماعنا بهذا السيد، وصفاء مودته لنا.

حتى سألته عن رجل من أصحابنا، من كبار الصالحين، وله اعتقاد في الحبيب صالح، فقلت له: كيف حال ذلك الرجل؟ فقال: أنا ما أفضل أحدًا من آل الشيخ أبي بكر عليك. بشّره الله بما بشر به المقربين من أوليائه.

وزرته مرةً ثانية أنا وسيدي القطب الأكبر، أبوبكر بن عبدالله العطاس الأشهر، وحصلت مجالسات ومذاكرات، وذكر وحضرات، وقراءة في «معراج الأرواح» لسيدنا القطب فخر الوجود، الشيخ أبي بكر بن سالم، في أوقات صافية. وكنت أنا والحبيب أبوبكر جالسين منفردين متلاصقين، لم يكن بيننا فرقٌ في المجلس، فلم نشعر إلاّ والحبيب صالح قد أقبل، ملتبِسًا بحالٍ جمالي، فجلس بيننا، وقال:

يا أهْلَ الجمال السارية ... خذُوا جميَلي بينكمْ

وهذا الحبيبُ من أكابر أولياء الله المقرّبين، وله اللّسان الناطقة بالدعوة إلى الله على البصيرة النافذة، والمحجة البيضاء.

وقد جبل الله القلوب على محبته، ورزقه القبول التام، عند الخاص والعام، من أهل الإيمان والإسلام. وما عاملوه إلا بما عاملهم به، فيالك من إمام. وله كراماتٌ، وخوارق عادات، محفوظة في «مناقبه» التي جمعوها أولاده المباركون، وهم محمد وحسن وعمر، وابن أخيه العلامة محمد بن أحمد، وقد لقينا عند الحبيب صالح أخَاه الصالح الكبير، أحمد بن عبدالله، وهو من الذاكرين الله كثيرًا».

ثم قال في موضع آخرَ، من الكتاب المذكور: «واجتمعت بسيدي القطب الشيخ المرشد الكامل الموصل، فخر الدين أبي بكر بن عبدالله العطاس، ببلد حريضة، يوم الجمعة، في الجامع. وفيه إشارة إلى أنه الفرد الجامع بلا ريب، وحصل به كمال الأنس والسّرور، والرضا والقرب والحبور، ولاطفني، وسار بي إلى بيته المأنوس، وأطال معي المذاكرة والجلوس، وكان مجلسه شبيه جنة الفردوس.

وعرف مطلبي، وسقاني مشربي، وكان رحيمًا بي. وقال: يا ولدي، رأيتك عند المذاكرة في الحقائق، تنطبع من قرنك إلى قدمك. وفعل لي ضيافة يوم السبت، عظيمة، عزم أعيان البلد والعلماء والغرباء، وطلبت منه المسير، فأذن لي، ولقنني الذكر آخر الليل، وقتَ السحر، وصافحني. وقال: رضيت بك مريدًا. فقلتُ: وأنا رضيت بك شيخًا. ثم ودعني، وخرج في وداعي إلى قبة جده القطب سيدي عمر بن عبدالرحمن العطاس»، انتهى المراد من «فيض الله العلي».

قلت: استوفى الكلام الحبيبُ علي المذكور، في كتابه المذكور، على كيفية أخذه عن الحبيب أبي بكر، وأتى فيه بالعجب العُجاب، وللحبيب علي المذكور: «ديوان»، و«مكاتبات»، غالبها ملحقة بكتابه «فيض الله العلي».

وكان صاحب الترجمة الحبيب علي المذكور، من كمّل الرجال، أرباب الأحوال، قد أفيض عليه نور السلوك ونور الجذب، ولم يتغلب أحدهما على الآخر، بل استمرا معه مدّة حياته، كأنهما فرسا رهان. كما أنه كان من أهل الإدلال على الله، لا يحتمل الأمور المكثفة أصلًا، وله عبادات ومجاهدات عزيزة المنال. وقد وضع الله له المحبة والإجلال، مع التسليم التام في قلوب علماء عصره، ووجهاء قطره، لأنه قد تقع منه بوادر منكَرةٌ في بادي الأمر، ثم تكون عواقبها مسرة.

[من أخبار صاحب الترجمة]

منها أنه جاء مرة إلى بلد عمد، لزيارة صاحب المناقب بعد وفاته، ثم قال للحبيب محمد ابن صاحب المناقب، المتقدم ذكره في (هذا الباب): إني أريد أن أتزوّج بهذه البلدة، على شريفة علوية، ولا بد أن يكون الدخول في هذه الليلة.

فامتثل الحبيب محمد أمره، إدخالًا للسرور عليه، وسار من حينه، فخطب له شريفة علوية، وكلف على أهلها في تهيئة الدخول تلك الليلة، فلم يسعهم إلا امتثال أمر الحبيب محمد، فأخبروا أقاربهم وجيرانهم بذلك، وشرعوا في تجهيز المرأة، ورجع الحبيب محمد إلى عند الحبيب علي مسرورًا، وأخبره بتمام الأمر على ما يحب، فأظهر الحبيب علي الفرح بذلك، ثم رقد القيلولة كعادته. فلما استيقظ صلّى الظهر، وكان معه أتان لركوبه، تسمى خميسة، فاستدعى خادمه، وقال له: شِدّ، أي: حمّل، على خميسة. وعنده الحبيب محمد المذكور، وجملةٌ من الأعيان، جاؤوا لحضور مجلسه.

فبهت الحاضرون، وقال له الحبيب محمد: كيف يكون ذلك، وقد وعدنا الناس بالزواج الليلة؟! فقال الحبيب علي للحبيب محمد: أنّها زوجتك وأم أولادك، وأما أنا سيكون مبيتي الليلة بطَسْلة، يعني محلة فوق العقبة التي تخرج على بلد عمد، لأني أقصد الخريبة بدوعن. وتوجه من حينه، ولم يقدر أحد على مراجعته.

فكان الأمر كما قال، بالرغم من الحبيب محمد وزوجته التي عنده في البيت، وبالرغم من أهل العروس، أن تكون زوجة الحبيب محمد، مع كمال الفرح من الجميع، بتسديد هذه المشكلة، وولدت له الأولاد المباركين.



قال المترجِم، وفارس الميدان المتقدم: «ومن كرامات صاحب الترجمة: ما رواه الرجل الصالح، عبدالواحد التريمي، الذي كان الحبيب أبوبكر المذكور ينزل عنده في

بيته بمكة، كما تقدم في (الباب الخامس). قال: إن الحبيب علي بن سالم، يعني صاحب الترجمة، كان بمعية سيدي الحبيب أبي بكر العطاس في حجة وداعه، فبات الحبيب علي عندنا في البيت في بعض الليالي، وكان من عادتي أن أخرج آخر الليل أطوف بالكعبة، وأرجع أتوضأ لصلاة الصبح. فخرجتُ، وأغلقت الأبواب على الحبيب علي، فلما كنت في أثناء الطواف، إذا أنا بالحبيب علي يطوف بجنبي، فتعجبت من ذلك! وسألته: كيف كان خروجه من المنزل؟ فتبسم في وجهي. وقال: لم أحرك شيئًا من أبوابك. فعدت حالًا إلى البيت، فوجدت الأبواب كما تركتها، فعرفت أن ذلك من كرامة الحبيب علي على مولاه، انتهى.

ومنها ما حكاه لنا الأخ الصفوة، محمد ابن صاحب المناقب، قال: لما زار الحبيب علي بن سالم بلدنا عمد آخر زيارة، سرت معه لموادعته إلى بلد نفحون، وبتنا تلك الليلة في مسجد الحبيب عمر بن حسين، الكائن بالجول. فانتبهت من نومي أثناء الليل، وإذا أنا بالحبيب علي يتحدث مع أناس عنده، فلما أحس بانتباهي، قال لي: يا محمد، تعال إلى هنا، إن مرادك اتفاق الفقيه المقدم وفلان وفلان، وسمى جماعة من أهل البرزخ. فقلت له، برفع صوتٍ وأنا مرعوب: لا ما أريد ذلك. وجمعت ردائي على رأسي، لئلا أسمع شيئًا. وتوجه الحبيب علي إلى بلده عينات، ولم يلبث بها إلا مدة يسيرة، حتى وافاه الأجل، بعد أن جمع الله له بين العلم والعمل»، انتهى.

وكانت وفاة الحبيب علي بن سالم، صاحب الترجمة، سنة تسع وتسعين ومائتين وألف هجرية، وقد اعتنى بجمع «مكاتباته»، و«ديوانه»، وشيء من ترجمته، أخصّ تلاميذه، الحبيب المنيب، أحمد بن هادي بن سالم بن صالح بن سالم بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، وأضافها إلى «فيض الله العلي».

[ترجمته من «شجرة آل الشيخ أبي بكر بن سالم» لابن حفيظ]

ولنختم ترجمته، بما ترجمه به الحبيب العلامة، سالم بن حفيظ بن عبدالله بن أبي بكر بن عيدروس بن عمر بن عيدروس بن عمر بن أبي بكر بن عيدروس بن الحبيب الحسين بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم العلويّ، في كتابه «شجرة أنساب السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم»، نقلًا من «الشجرة الكبرى»، تأليف الحبيب العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور، بقوله: «علي بن سالم»، إلى آخر نسبه.

«مكث في بطن أمه عشرة أشهر، وكان ميلاده آخر ذي الحجة الحرام سنة أربع وأربعين ومائتين وألف هجرية. كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفعنا به، آمين، سيدًا جليلًا، عظيمًا نبيهًا، فقيهًا صوفيًا، عارفًا بالله تعالى، له ذوق بكلام الصوفية، ومحبة فيهم. له مجاهدات عظيمة، ورياضات وكشوفات، واتصال كلي مع الأولياء أحياءً وأمواتًا، وأكثر أخذه عن القطب الفرد الغوث أبي بكر بن عبدالله بن طالب العطاس، وكفى به فخرًا. له كتاب سماه «فيض الله العلي»، و«ديوان» حافل عظيم، وغير ذلك. يعني «المكاتبات»، توفي بعينات لثلاث وعشرين خلت من رمضان سنة تسع وتسعين ومائتين وألف، وقبر داخل السور، بجانب قبر الشيخ علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم. له كرامات كثيرة ظاهرة، وأحوال شهيرة باهرة، نفعنا الله بعلومه وأسراره في الدارين، آمين. أمه مزنة بنت عبدالله بن شيخ بن أحمد، كانت من الصالحات العابدات، ولها أيادي وكرامات، منها أن لها خادمة من صالحي الجن اسمها سعيدة، توفيت الشريفة مزنة غرة شعبان، سنة تسع وستين ومائتين وألف»، انتهى المراد من كلام ابن حفيظ، وبه انتهت الترجمة.

[الشيخ صالح بن عِلي بن عجّاج النهدي المتوفى سنة 1298هـ]

ومنهم الشيخ الكريم، المصلح الحليم، والمهدي، بفتح الميم، إلى الصراط المستقيم، صالح بن عِلي، بكسر العين، بن سليمان بن عجاج النهدي. وليد بلد قعوضة، ودفينها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، وتردد لزيارته إلى بلد عمد، وخدمه سفرًا وحضرًا، وسعد بذلك في دنياه وآخرته.

وسيأتي إن شاء الله في (الحكاية الثانية والثلاثين) من باب الكرامات: أن الحبيب علي بن محمد الحبشي لما زار صاحب المناقب بعد وفاته، وخاطبه ورد عليه صاحب المناقب شفاهًا من برزخه، أنه كان من خطاب الحبيب علي له: وحاشًا أن يظفر منك بالكرامة صالح بن علي النهدي، ونحن أولادك الأقربون. كما أنه يروى عن صاحب المناقب، أنه قال: من عجز عن زيارتي، فليزر صالح بن علي النهدي.

وأخذ صاحب الترجمة أيضًا عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدّم ذكره في (الباب الخامس) وخدمه ولازمه، وظفر منه بما يؤمّل. وتقدم أيضًا في الباب المذكور، قول الشيخ عمر بامخرمة:

يا ابن سكران طاب القلْب وأَمسَت تمدّهْ

بالصفا من ميادين الصّفا أرْيَاح نجدهْ

فانبعَث في طريقه يسحب أَذْيال وجدِهْ

بين الاثنين ذي يرعُون حقّ المودّهْ

من سعيد بن عبدالله إلى عند نِدّهْ

وأنه يخاطب صالح بن علي المذكور، لأنه يكنى بابن سكران، وأنه يعني بالاثنين: سعيدي الدارين، صاحب المناقب، والحبيب أبابكر، انتهى.



قال المترجِم وفارس الميدان المتقدم: «وكان سبب لصوق صالح بن علي المذكور بصاحب المناقب: أن مقدم آل ثابت، من قبيلة نهد أيضًا، عبدالرب بن سلطان بن ثابت، وقع مرة في شدة وكرب، بسبب فتنة عمياء. فالتجأ إلى صاحب المناقب بصدق نية، وصفاء طوية، ففرج الله عنه». **قلتُ**: وستأتي قصته في (باب الكرامات)، في (الحكاية الثامنة والثلاثين)، إن شاء الله تعالى. فمن ذلك الحين لازم صالح بن علي المذكور صاحب المناقب، وعض على خدمته بالنواجذ، كما أنه بنى مسجدًا أمام داره، وصارت محترمة بين القبائل، أي حملة السلاح، لا تقصد بإطلاق الرصاص عليها، بخلاف غيرها من ديار تلك البلدة. وكانت وفاة الشيخ صالح بن علي المذكور، سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف هجرية.



[الحبيب حسين بن عمر بن هادون العطاس المتوفى سنة 1324هـ]

ومنهم الحبيب الغيور، أسد الله الهصور، وصدر تلك الصّدور، المنصب حسين بن عمر بن هادون بن هود بن الإمام علي بن حسن بن عبدالله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد المشهد ودفينه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. تربى وتهذب بوالده، وتفقه بالخريبة على الشيخ محمد بن عبدالله باسودان، المتقدم ذكره في (الباب

الخامس). ثم أرسله والده إلى عمْد، وألقاه في حجر صاحب المناقب رضوان الله عليه، فقرأ عليه، وتخرج به، وتبادل الأخذ مع أولاده. ثم عاد إلى المشهد، فقرت به عين والده. وتجرد لخدمة مقام المشهد، وأراح والده من تكاليف المقام، وكان ابن خطاب تلك الأيام، فلم يُرَ عبقريٌ يفري فريَه في الإقدام. ثم زار الحبيب أحمد بن محمد المحضار، المتقدم ذكره في (الباب الخامس) إلى بلده القويرة، وأخذ عنه، وأجازه الحبيب أحمد، وأعطاه عصا. وقال له: إنها مثل عصا موسى، وقد أذنّا لك أن تكسر بها رؤوس الفراعنة. فكان الحبيب حسين لا يفارقها، لا سيما في أسفاره.



وكان سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، كثيرًا ما يقول: إن الحبيب عبدالله بن أحمد بن زين، يعني المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، والأخ حسين بن عمر بن هادون، يعني صاحب الترجمة، قد قاما بواجب المنصبة، أي النقابة أتم القيام، حتى أظهراها بمظهر الإجلال والإعظام، انتهى.



[قيامه بالصلح في نزاع قبيلة الجعدة]

قلتُ: وكان صاحب الترجمة شديد اللهجة، قوي الحجة، مؤيدًا في إصلاح ذات البين، وله في ذلك قضايا جمة، ووقائع مهمة. منها: أنها حدثت فتنة صماء عمياء بين فخذين من قبايل الجعدة، سكان تبرعة، من وادي عمد، واستمرت مدة من السنين، حتى أهلكت الحرث والنسل، وأيس من تسديدها المصلحون، لأن القبيلتين المتخاصمتين متكافئتان في المال والرجال، ولكل منهما مطالبُ تخلّ بمجد الأخرى، من جملتها: تهديم حصونٍ أحدثها كل من الفريقين، لأجل الإضرار بالآخر.

وكان صاحب الترجمة قد تدخّل في شأن الصلح بين القبيلتين، بمعية غيره من المناصب والقبائل، أي حملة السلاح، فلم يوفقوا لذلك. ثم عاد صاحب الترجمة بمفرده، وأقام عندهم سنة كاملة، ينوع لهم كيفيات الصلح، حتى ضجر منهم، ورجع إلى المشهد في منتهى الإياس من صلاحهم. فرأى في بعض الليالي: أن سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، والحبيب علي بن حسن العطاس يقولان له: ارجع إلى أهل تبرعة، وأصلحهم، فإن صلاحهم لا يكون إلا على يدك.

فأخذها بقوة، وسار إليهم، وكلما جاء عند قبيلة منهما، قال لهم: اكتبوا كل ما تشترطونه على خصمائكم في ورقة، فكتب كل من القبيلتين ما لا سبيل إلى التفوه به بين المتخاصمين، فضلاً عن الوفاء به. وكان إذا رجع إلى أحد القبيلتين، قال لهم: قد تم الأمر على ما تريدون، ولم يبق إلا تقديم العدايل، أي الوثائق من الجانبين، لتنفيذ الشروط السابقة. وأخذ من كل قبيلة عدداً وافراً من البنادق، أي البندقيات المثمنة، وأرسلها حالاً على ظهور الجمال إلى المشهد.

ثم استحضر عدداً من العمال، وأعطاهم القدُم، أي المساحي، وفرقهم إلى الحصون المتنازع عليها. وقال: اجلسوا على سطوح تلك الحصون، فإذا سمعتم الطاسة، أي صوت الطبل، فليشرع كل منكم في تخريب ذلك الحصن في آن واحد، لئلا تفتخر إحدى القبيلتين على الأخرى لتنفيذ أمرها أولًا. فكان الأمر كذلك، فاستبشر كل من القبيلتين بالصلاح، من غير إسقاط الكفاءة لخصمه.

وقد كان صاحب الترجمة أوعزَ إلى إخوانه وأولاده بالمشهد، أن يكتبوا له كتابًا، يخبرونه فيه بأن والدته أصابها مرضٌ شديد، مخوف جدًا، ويطلبونه رجوعه إلى المشهد بكل سرعة، ويرسلونه بيد أحد أولادهم، فامتثلوا أمره، فلما وصله الكتاب، قرأه على القبيلتين، فقبلوا عذره، ثم نادى بينهم بأمان عام لمدة ثلاثة أشهر، فقبلوه كلهم،

واطمئنوا به، وعادت المياه إلى مجاريها، واشتغل كل منهم بإصلاح ما تدثر من حرثه، وكل واحدة من القبيلتين تنتظر أن يكون الحكم في صالحها، على حسب ما اشترطته على صاحب الترجمة. وما كاد هذا الأمان الأول ينتهي، حتى شفعه صاحب الترجمة بمثله، وعذرٍ أهمّ من العذر الأول، وهلم جرًّا. حتى اطمأنت كلا القبيلتين بالأمان، وتناسى كل منهما ما كان. وكان هذا هو الحكم الفاصل إلى الآن.

ومن شدة لهجته، وقوة حجته: أن بعض قبائل الجهة المستخدَمين لمقام المشهد، وقع منهم تقاعدٌ عن بعض ما يلزم عليهم من الخدمة، ثم جاؤوا إلى المشهد، وأخذوا ينادون صاحب الترجمة من تحت دار المقام، وهو إذ ذاك في أعلاها، فأجابهم، بعد أن عرفهم، بقوله: من هؤلاء الذين ينادون؟ قالوا: قبايلك آل فلان. فقال: إنما قبايلي الفقيه المقدم وقومُه، قولوا: جيرانك. فقالوا: جيرانك آل فلان. قال: أهلًا وسهلًا بكم، فعرفوا عند ذلك خطأهم، وقاموا من خدمة مقام المشهد بما عناهم.

ومنها: أن قاضي بلد الهجرين مرةً، خالف القضاة في إثبات شهر ربيع الأول، الذي تقع فيه زيارة المشهد، وكان من وظيفة منصب المشهد، أنه يكتب إلى جميع جهات حضرموت بميعاد المولد في اليوم الثاني عشر، فبعد أن أرسل غالب الكتب، جاءه إنسان من بلد الهجرين، وقال له: إن القاضي خالفكم في دخول الشهر.

فركب صاحب الترجمة فرسه إلى الهجرين، ودخلها والناس في صلاة الجمعة، فقصد المحراب، وصلى بهم الجمعة، ثم نهض بعد الصلاة، وقال: أيها القاضي، لنا سنين عديدة تاركين لك إحدى عشر شهرًا من كل سنة، وأنت تأمر المسلمين بالصوم يوم

شكهم، وتأمرهم بالعيد قبل إتمام صومهم، والآن تريد أن تضايقنا حتى في شهر المشْهد!. فقام القاضي، واعتذر إليه. وكان من قضاة العدل والصلاح، ولكن سبحان من لا يسهو ولا ينام.



وكان صاحب الترجمة شديد الحرص على حفظ الآداب العامة بين الناس، وإذا رأى أحدًا يخل بشيء منها، يقوم إليه صاحب الترجمة بنفسه، مع جلالة قدره، ويجلس أمامه، ثم يقول له: قل علمنا يا حبيب حسين. فيقولها ذلك المخل، رغبة ورهبةً، فيقول له صاحب الترجمة: يلزمك من مراعاة الآداب ما هو كذا وكذا، امتثالًا لأمر ربك، واقتداءً بنبيك، وحفظًا لكرامة إخوانك المسلمين.

فكانت مجالسه كلها يسودها الوقار، حتى مع أجلاف الناس، وإذا دخل مجلسًا وفيه لغَط، يقف أولًا على الباب. ثم يقول: قولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويكررها عليهم ثلاثًا، ثم يصافحهم. وحالًا يأمر بإنشاد قصيدة من كلام الصالحين، ثم يفتح الكلام فيما جاء من أجله.



ومن ثبات صاحب الترجمة، وقوة إرادته، ما وقع له مع الحبيب المحبوب، والولي المجذوب، علوي بن عبدالله بن طالب العطاس، الآتي ذكره في ترجمة أخيه الحبيب أحمد بن عبدالله من (هذا الباب). من أن الحبيب علوي أشرفَ على صاحب الترجمة، وصاحب الترجمة على ظهر فرسه يمشي في ساقيه الهجرين، والحبيب علوي إذ ذاك في قوة جذبه، وبيده رمحه الذي سماه الباطِش، فهزّه على صاحب الترجمة. وقال له: ليس لك من العمر إلا ما قد مضى. فقال له صاحب الترجمة: اسمع أولًا، ثم افعل ما بدا لك. فقال: هات. قال:

قـل لعلـوي تحـدّث هـتْ لنـا مـن كلامـكْ
هتْ من القول لي يشـفي غَـوامضْ سِـقامكْ
درّ خلطُــه جــواهر يلتهِــب في ابتسَــامكْ
مــا هــي إلا مواهِــب جــاتْ والله أقامــكْ
في مقَــام الولايــة فإنهــا ترجمانَــكْ

فأجابه الحبيب علوي بقوله:

يا حسين اعمُر الحوطة عَلا الله مقامَكْ
فإنها سَاحة الغفران حجّك وشامكْ
والنبي والصّحابة عَون لك في قيامكْ
والشياطين تخرَسْ يوم تسمع كلامكْ
كل من زارَها يا بن عُمر في ذمامكْ
أو شربْ من شرابك أو طعِم من طعامكْ
فان علي بن حسَن نوّه وبشـّر بزامكْ
لاحْ برْق المسرة والحيَاء في جَهَامكْ
ذا كلامي وأنَا قد سَرّ قلبي كلامكْ

[عمارة حوطة النور]

قلتُ: وكان صاحب الترجمة في ذلك الوقت يتردد في خاطره في عمارة حوطة النور، التي بين المشهد والهجرين. فكاشفه الحبيب علوي بذلك الخاطر، فأخذ صاحب الترجمة قول الحبيب علوي بقوة، وعمر حرث الحوطة، وبنى بها دارًا ومسجدًا،



وصارت بنت المشهد، ومنتزه صاحب الترجمة مدة حياته. كما قال جده سيدنا الحبيب علي بن حسن:

كـل بقعـة شَـريفة شـرّفوها ذوو الـذاتْ

أهـل بيـت النبـي أهْـل الـدرَكْ والحمايـاتْ



ومن المعلوم بالضرورة أن هذه الصفات المحمودة التي سقناها في صاحب الترجمة، لا تكون إلا في سخي كريم بمعنى الكلمة، وهو كذلك. فقد كان صاحب الترجمة كما يقال في المثل الحضرمي: «أكرم من دم المنحر». ومعناه: أن الذبيحة إذا طُعنت في منحرها، يخرج دمها كله دفعة واحدة، بخلاف غيره من بقية الأعضاء.

فكان إذا طرقه الأضياف، أو قصده طالب الإسعاف، يكرمه بكل ما في وسعه من أنواع الإكرام، كأنه المعني بقول الحريري في «مقاماته»:

فجـد بمـا جمعـتْ كفـاكَ مـن نشَـبٍ ... حتـىٰ يُـرىٰ مجتَـدي جـدواك مبهوتًـا

فخيـرُ مـالِ الفتـىٰ مـالٌ أشـادَ لـه ... ذكـرًا تناقلـهُ الركبـانُ أو صِيـنا

ومن كرامات صاحب الترجمة في حياته: ما أخبرني به الأخ الكريم الحشيم، عمر بن سالم بن محسن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن محسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد حريضة بحضرموت، ودفين فرواكرتا بجاوة. قال: لما حج والدي حجة الإسلام، بمعية الحبيب المنصب زين بن محمد العطاس، يعني المتقدم ذكره في (هذا الباب)، صادف في ذلك الوقت انتشار ألم الطاعون بالحرمين الشريفين، وكثرت عندنا الأراجيف ببلدنا حريضة.

فخرجت أنا وبعض إخواني من حريضة، قاصدين بلدة نَحُولة، لحاجة لنا، ومررنا بالمشهد لقصد الزيارة فقط، وكان وصولنا إليه أول النهار، فلاقانا الحبيب حسين بن عمر عند القبة، كما هي عادته لكل من دخل المشهد، وزار بنا ضريح الحبيب علي بن حسن، وأهل برزخه، وبعد الزيارة أخبرناه بأنا متوجهون إلى نحولة، فوافقنا على ذلك بعد مراجعة طويلة، وخرج لوداعنا إلى خارج القبة.

ثم سألنا عن أخبار والدنا، فقلتُ له: إن أخبار الحرمين في هذا الوقت غير مسرة، وأهل حريضة متشوشون من جهة الحبيب زين ووالدي. فوقف الحبيب حسين ووضع يده على رأس عصاه الطويلة، التي يتوكأ عليها، ثم وضع جبهته على يديه، وأطرق هنيهةً من الزمن، ثم رفع رأسه، وهو يقول: آه آه. كالمتوجع من أذنه، وقبض عليها بيده، ثم قال لنا: هذا بولسْعِد، الآن بالكعش، مقبلاً، يبشركم بوصول والدكم والحبيب زين إلى بندر المكلا بالسلامة. ثم أعاد الحبيب حسين التوجع من أذنه ثانيًا، وقال: إني أحس عصا بولِسْعد التي يتوكّأ عليها ترجّع في أذني الآن.

وعند ذلك منعنا عن المسير إلى نَحُولة بتاتًا، ثم استدعى بعض خدمه، وأمره أن يذبح بربريًا، أي كبشًا كبيرًا، وقال: نصفه عشاء لنا ولكم، والنصف الآخر خذوه معكم لأهلكم حين ترجعون إلى حريضة، أنتم والبشير.

فجلسنا ذلك اليوم عند الحبيب حسين بالمشهد، ونحن نصدقه تارة في خواطرنا، ونكذبه أخرى. فلما صلينا العشاء، دخل علينا سالم بولِسْعد المذكور، مبشرًا بوصول والدي والحبيب زين ومن معهم إلى بندر المكلا، وهم بعافية، على وفق ما أخبرنا به الحبيب الحسين. ثم قال لنا: امشوا الآن على بركة الله إلى حريضة، انتهى كلام الأخ عمر بن سالم.

قلتُ: و«سالم بولِسْعد»، بكسر اللام وسكون السين وكسر العين، هو أحد عمّال بلدنا حريضة النشاط الأذكياء، كان يتعاطى حمل أوراق البريد من المكلا إلى حضرموت، مشياً على قدميه. و«الكَعَش» بفتح الكاف والعين مع سكون الشين، مكان معروف في رأس الجبل، بينه وبين المشهد يومان بسير الأثقال.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وقد كانت لي بحمد الله عناية تامة من صاحب الترجمة، لقرابة الوالدة منه، كما تقدم شيء من ذلك في (الباب الخامس) من ترجمة والده. فكنت أُلازمه كلما جاء إلى حريضة في آخر وقته، بطلب منه. وكان لا يناديني إلا بلقبي: زين العابدين. ويرفع بذلك صوته، ويطالبني في الإجابة برفع الصوت والتلبية، ولو كنت قريباً منه. كما أنه يجلسني إلى جانبه حتى في الجمع، وأنا إذ ذاك في سن التمييز، وكثيرًا ما يقرئني أم القرآن والإخلاص والمعوّذتين، ويقول لي: إني كنت أقرأ على والدك في النحو، وأحضر قراءة «الإحياء»، وبيني وبينه أخوة صادقة، ومحبة خالصة، انتهى.

وبالجملة، فمناقب صاحب الترجمة كثيرة، وزعامته أشبه بالإمارة، لما خصه الله به من السيطرة الروحية، والصدارة الاجتماعية.

وكانت وفاته بالمشهد، سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.



[ابناؤه: عبدالله، وأحمد، وهادون]

ومن أولاده: عبدالله بن حسين. وليد المشهد ودفينه. كان فقيهًا صوفيًا، تصدر للتدريس والإفتاء، غير أن المنية اغتالته في حياة والده.

وأحمد بن حسين. وسيأتي شيء من ترجمته.

وهادون بن حسين، وليد المشهد ودفينه. سافر إلى جاوة بعد وفاة والده، ومكث بها مدة طويلة، ثم عاد إلى المشهد، وكانت وجهته العلمية في فنّ التاريخ.

[أخوه، أحمد بن عمر العطاس (1335هـ)]

ثم خلفَ الحبيب حسين بن عمر المذكور، على مقام المشهد المشهور: شقيقه الحبيب أحمد بن عمر، وليد المشهد ودفينه. وأدار المقام بطريقة وسطَى، بين خطة والده الحبيب عمر بن هادون، وأخيه الحبيب حسين بن عمر المذكور.

وكان ذا سيرة حسنة، ومروءة كاملة، وعلم وحلمٍ، محبوبًا عند الخواص والعام، تربى وتخرج بوالده، وتفقه ببلد الهجرين على الحبيب العلامة حسن بن علي الكاف، وزار ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى بلده عمد، وأخذ عن ابنيه محمد وعمر، ولبس منهما. وله أخذ خاص عن الحبيب علي بن محمد الحبشي، المتقدم ذكره في (هذا الباب). وكانت وفاة الحبيب أحمد بن عمر المذكور، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية. فيمن أصيب بحمى تلك السنة، المتقدم شرحها في ترجمة الحبيب زين بن محمد العطاس من (هذا الباب).

[ابنه، هادون بن أحمد بن عمر]

وكان قد توفي قبله بسنتين، ابنه هادون بن أحمد. وليد المشهد ودفينه، طلب العلم برباط سيون، وقرأ على خاله الحبيب محمد بن سالم بن أبي بكر العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، فنجح في طلبه، علاوة على ما فطره الله عليه من الأخلاق الحسنة، ولين الجانب.

كما أني لا أشك في أن طينته قد عجنت بشيء من المغناطيس الجذاب، فقد تأوه على هذا الأخ كل من عرفَه، كما أن موته كان على والده أعظم صدمة لقيها في حياته.

[المنصب أحمد بن حسين العطاس (ت 1378هـ)]

رجعنا إلى الكلام على خلافة المقام. ثم خلف الحبيب أحمد بن عمر المذكور، ابنُ أخيه أحمد بن حسين، الذي وعدنا بشيء من ترجمته.

وهو وليد بلد حورة، وخريج المشهد، ومنصبه الحالي. له طلبٌ، ومطالعات أدبية، يكاد يجمع بين القديم والحديث. وله رحلات إلى جاوة والهند وغيرهما. ومنها رحلته إلى مصر والحجاز مع السلطان صالح بن غالب القعيطي اليافعي، للزيارة وأداء فريضة الحجّ. وهو ذو صدارة وكرمٍ بهات، وفيه دماثة أخلاق يستطيع بها معاشرة كل الناس على اختلاف طبقاتهم.

[ابنه، هادون بن أحمد بن حسين (ت 1417هـ)]

ومن أبنائه: هادون بن أحمد. وليد المشهد، ونائب الحكومة القعيطية الآن على مدينة شبام بحضرموت وملحقاتها. طلب العلم برباط تريم، ثم رحل لتتميم معلوماته إلى العراق، وأقام على ذلك سنوات ببغداد، حتى نجح في طلبه. ويصفه القادمون إلينا من الوطن بدماثة الأخلاق، مع حزامة الرأي. ويزيدون على ذلك بأنه محافظ على خط الرجعة إلى سلفياته الموروثة عن أهله.

قلتُ: وهذا غاية ما نتمناه لأولادنا، وهو أن يجمعوا بين القديم والحديث، ويعلموا علم اليقين أن كل حديثٍ لابدّ وأن يسبقه قديم، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

وكانت وفاة الحبيب أحمد بن حسين المذكور، يوم الجمعة، لست وعشرين مضت من ربيع الأول، سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية.



[المنصب علي بن عبدالله العطاس (ت 1415هـ)]

وخلفه على المقام: الحبيب النجيب الأديب، المنصب علي بن عبدالله بن سالم بن عبدالله بن هادون بن هود العطاس. وهو أوّل من تولّى مقام المشهد من دار الحبيب عبدالله بن هادون، كما قدمنا الكلام على ذلك. ويصفه القادمون، والكاتبون إلى المهجر، بحسن السيرة، وصفاء السريرة، والإحسان في خدمة المقام، ونفع الخاص والعام. وكان آخر عهدي به أني اجتمعتُ به في الحرمين الشريفين، في حجتي الأخيرة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، ووقعت بيني وبينه مذاكرة في تأليفي لهذا «التاج». فسألني: هل كان جده عبدالله بن هادون قد تولى مقام المشهد في حياته؟ فقلت له: لا، وإنما تولاه الحبيب محمد بن هادون، ثم الحبيب عمر بن هادون، وبقي في ذرية الأخير إلى خالك وعمك، أي من المصاهرة، أحمد بن حسين الموجود الآن، لأنه ابن أخته، ومتزوج بابنته، وقد شاركه في خدمة المقام أيضًا. فعرفت أن له تعلقًا خاصًا بسيرة سلفه، ثم قادني إلى أمام الكعبة المعظمة، وطلب مني قراءة الفاتحة بنية أن الله يجمله بوالدته، لا تموت إلا وهو عندها بالمشهد، فاستجاب الله له ذلك.



[الحبيب هادون بن عمر العطاس]

ومن أبناء الحبيب عمر بن هادون أيضًا: هادون بن عمر. وكان أكبرهم سنًا، وليد المشهد ودفينه. تفقه بالخريبة من دوعن الأيمن على الشيخ محمد بن عبدالله باسودان، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، ثم رحل إلى مكة لطلب العلم، وأقام بها مدةً،

وكانت وجهته إلى الصوفيات والرياضات، حتى تصفت بشرّيته من الكدورات، فاشتاقت روحه إلى زيارة سيد الوجود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد مرائي منامية سبقت له في ذلك. وله في زيارته هذه قصة عجيبة، وكرامة في بابها غريبة.

[كرامته في الزيارة النبوية]

وهي أن الشيخ العارف بالله، محمد بن محمد العزب الدمياطي المصري ثم المدني الشهير، رأى في منامه سيد الوجود، يقول له: اخرج بكرة لملاقاة ابني هادون بن عمر العطاس، فإنه سيدخل المدينة لزيارتي. فخرج الشيخ إلى خارج المدينة يتلقى العير، ويسأل عن الحبيب هادون، فوجده راكبًا على جمل، ولم تكن بينهما سابق معرفة. فلما تواجها قيل للحبيب هادون: هذا الشيخ محمد العزب، يسأل عنك.

فأراد الحبيب هادون أن يترجل، فسبقه الشيخ محمد إلى تحت الجمل، وطأطأ له ظهره لينزل عليه، فصاح الحبيب هادون صيحة مزعجةً، واجتمع الناس يتعجبون من ذلك. وامتنع الحبيب هادون من النزول على هذه الكيفية. فقال الشيخ محمد: هذا بأمر من جدك المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فامتثل الحبيب هادون، ونزل على ظهر الشيخ محمد، حتى وصل الأرض. وتعانق معه الشيخ محمد، وأخبره بالرؤيا.

فعند ذلك دهش الحبيب هادون، وتخدرت أعصابه، مما سمعه من تنويه الحضرة المحمدية بشأنه، وتكريم الشيخ محمد العزب له، ولم تحتمل ذلك قواه البشرية. غير أنه ما كاد يضع رجليه على الأرض، حتى ازدحم عليه الناس، وحملوه على أكتافهم، ولم يشكوا في صدور هذا الأمر من الحضرة المحمدية، لما يعرفونه من حال الشيخ محمد العزب، وعلمه وصلاحه.

فلما رأى الشيخ محمد حالةَ الحبيب هادون، أمرهم أن يدخلوه أول بيتٍ يصلونه من بيوت المدينة، فأدخلوه بعض البيوت، واشتد عليه الحال، فكان يغيب ويحضر،

ومكث أربعين يومًا على تلك الحال، والشيخ محمد يتردد عليه كلّ يومٍ. فلما رآه أفاقَ قليلًا، أمر بإرجاعه إلى بلده من ذلك البيت. وقال: إنه لو دخل الروضة الشريفة لاصطلم مدة حياته. فعاد الحبيب هادون إلى المشهد، وبقي معه شيء من ذلك يعاوده حتى أتاه اليقين.

[الحبيب عبدالله بن عمر العطاس (ت 1323هـ)]

ومنهم أيضًا: عبدالله بن عمر. وليد المشهد ودفينه. تفقه بالهجرين على الحبيب حسن بن علي الكاف المذكور، ثم أرسله والده إلى عمد للقراءة على صاحب المناقب، رضوان الله عليه. فأقام عنده مدة أخذ فيها عنه. ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، قرأ فيها على شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان. ثم دخل زبيد ولم تطل مدته فيها. وعاد إلى المشهد، واستقر به.

وله أخذ خاصٌ عن الحبيب علي بن محمد الحبشي، وكان يقول: إني لما واجهت الحبيب علي الحبشي للأخذ عنه، وهو إذ ذاك بحريضة، في مسجد الحبيب أبي بكر، أنشد هذا البيت:

مـــن أتانـــا كَبَيَـــاضٍ لـــيس فيـــه مـــن كتابَـــهْ
نقَـــل الإرشَـــادُ عنَّـــا فيـــه منهَـــاجَ الإصَـــابَهْ

انتهى.

قلتُ: ولعل الحبيب علي يعني بذلك: صدقَ الإرادة من المريد، المتسبب عنه كثرة الإمداد من الشيخ. كما أن في لفظة «الإرشاد»، و«المنهاج»، و«الإصابة»، تورية بأسماء الكتب المعروفة. وكانت وفاة الحبيب عبدالله بن عمر المذكور، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.

[الحبيب محمد (المهدي) بن عبدالله العطاس]

ومن أبناء الحبيب عبدالله بن عمر المذكور: محمد بن عبدالله، ويلقب بالمهدي. وليد المشهد، ودفين (حارة طانه أبغ) بيتاوي، من الجهة الجاوية. قرأ على الفقيه المحقق الشيخ حسن بن يماني بالبيد، من أهل بلد ضَرِي، بدوعن الأيسر. ثم سافر محمد المذكور إلى جاوة، بعد وفاة والده، لتعاطي أسباب التجارة، غير أنها لم تشغله عن المطالعة، كما أنه في آخر أيامه استنسخ غالب كتب سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس، على نفقته الخاصة.



[الحبيب محمد بن عمر بن هادون]

رجعنا إلى ذكر أولاد الحبيب عمر بن هادون، الذين تقر بذكرهم العيون:

ومنهم محمد بن عمر، وليد المشهد، ودفين تَحِيَّة، باشمام التاء الكسرة وإظهارها في الحاء والياء المشدّدة وبعدها هاء ساكنة، اسم مكان معروف، تمرّ به القوافل، أي العير، المترددة بين المكلا وحضرموت. قرأ على الحبيب حسن بن علي الكاف، الآنف الذكر، بالهجرين. وزار صاحب المناقب إلى بلده عمْد، فأخذ عنه، ولبس منه.

ثم سافر إلى جاوة، ونزل مدينة سربايا، فوقعت في بعض الأيام محاورة في مسألة فقهية خلافية، فأراد الحبيب محمد أن يشارك العلماء فيها. فقال له بعضهم: أنت بدوي لا تعرف هذا الشيء حتى تتكلم فيه! فتحمس الحبيب محمد من هذه الكلمة، وعقل رجليه من تلك الساعة على التوغل في فن الفقه، على الحبيب العلامة أحمد بن طه السقاف، نزيل سربايا. فصار الفقهاء بعد ذلك، وقضاة الشرع، يحسبون له ألف حساب. ثم انتقل إلى بلد التقّل، واشتهر فيها بإكرام الوافدين، وإصلاح ذات البين،

وأطال بها الإقامة. ومنها رجع إلى وطنه بزوجته الجاوية، وأولاده منها، فاعترضته المنية بتحية، قبل بلوغه المشهد، فكانت مقره البرزخي.

[الحبيب علي بن عمر بن هادون (ت 1326هـ)]

ومنهم: علي بن عمر، وليد المشهد، ودفين بندر بمبَي من أرض الهند. طلب العلم بمكة، ونجح في طلبه، ثم رحل إلى مصر، وأقام بها سنتين في الأزهر، تمّم فيها معلوماته، وحفظ بها القرآن الحكيم، بعد أن أتقن تجويدَه. وعاد إلى المشهد، ولازم والده، وكان إليه المرجع في تجويد القرآن، وعلوم الآلة. وبقيَ يتعهد الحرمين. وفي عودة الأخير منها، كُنَت له المنية ببمبي، سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية، فكانت مقره البرزخي.

وبالجملة؛ أبناء الحبيب عمر بن هادون، هم هؤلاء الستة، وهكذا ترتيبهم الخلقي: هادون، وحسين، وعبدالله، ومحمد، وأحمد، وعلي، وكلهم أشقاء.

[الشريفة شغوان بنت عمر العطاس]

والدتهم الشريفة الصالحة، المعينة لزوجها وأولادها على خدمة مقام المشهد، شَغْوان، بالغين المعجمة، وليدة حريضة، ودفينة المشهد، بنت الحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس). وكلهم ركبوا الخيل، وشاركوا في إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلاة الليل. وقد تواترت فيهم الأخبار، بأنهم من بركة دعوات جدهم الحبيب هادون بن هود المستجابة.

أخبرتني والدتي، عن والدتها، شقيقة الحبيب عمر بن هادون، أنها قالت: لما تزوّج

أخي عمر على الشريفة شغوان، وأتى بها من حريضة إلى المشهد، دخل علينا والدي ذات يوم، وجلس عندنا. فقامت الشريفة شغوان لتصلح له القهوة. فلما أدبرت، وكانت لطيفة البنية، أشارت إليها بعض النساء بيدها، إلى أنها صغيرة الحجم. فنظر والدي إلى الشريفة شغوان، وهي مدبرة. وقال: بارك الله في هذه العجيزة، انتهى ما روته الوالدة عن الجدة.

ثم قالت الوالدة: فصار بعد ذلك يضرب بها المثل وبأولادها، فكلما تكلم إنسان وذكر أولادَه، قيل له: أولاد إلا مع شغوان!. ومن محاسن أوصافها، وجميل إنصافها: أنها في أيام زيارة المشهد، تقبل الهدية من النساء الواردات للزّيارة، ثم ترد هدية أهل دوعن على أهل حريضة ووادي عمد، وترد هدية أهل حريضة ووادي عمد على أهل دوعن، لاختلاف أجناسها، فيفرح كل منهم بما أعطي، لكونه لم يكن في بلده. ولا تدخر من ذلك شيئًا، بل إنها قد تعطي بعض النساء المحتاجات من ثيابها الخاصة. وما زال هذا دأبها حتى أتاها اليقين، انتهى.

[الحبيب أحمد بن محمد بن هادون]

قلتُ: ومن مشاهير المشهد أيضًا، في ذلك الوقت: الحبيب أحمد بن محمد بن هادون، إلى آخر النسب. وليد المشهد ودفينه، تربى بوالده، وتخرج بعمه لأبيه، الحبيب عمر بن هادون المذكور، وعاشر بني عمه المذكورين أحسن معاشرة.

وقد لقي كثيرًا من أكابر عصره، واستمد منهم، ولصق بهم. وكان أكثر انتسابه في الأخذ بعد أهله، إلى الحبيب الذائق علي بن سالم بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، كما حدثني بذلك الحبيب أحمد نفسُه، ونوه بذلك الحبيب علي المذكور في كتابه «فيض الله العلي».

قلتُ: وكانت الحبيب أحمد المذكور، حشيمًا كريمًا، لا يجلس في داره إلا عند النافذة من الطبقة الثالثة، فإذا أبصر ضيفًا يؤم داره، شرع في الترحاب به، قبل أن يبصره الضيف، ومن صيغ ترحابه التي جعلها كورْدٍ له، قوله: «ألا يا مرحبًا، عدد ما درْهَمت الحِيل و برْطَم البخيل».

قلتُ: وهي من مقالات بادية الصّيعر، أي كندة الصغرى. وقولهم «ألا»: أداة استفتاح للكلام. و«الدرهم» بفتح الدال، نوعٌ سريع من سير الإبل. و«الحِيل» بكسر الحاء والياء، جمع حايل، وهي الناقة القوية التي لم يطرقها الفحل. و«برطم» أي أدلى شفتيه من الغضب، خشي أن يلجأ إلى إنفاق شيء من ماله في وجوه البر، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١١٧﴾.



[الحبيب أبوبكر بن حسن بن هود العطاس المتوفى سنة 1357هـ]

ومنهم الحبيب الحازم، الحاكم على العلم والعمل بالتلازم، والمتجرد لعبادة مولاه عن الناصب والجازم، أبوبكر بن حسن بن علي بن هود بن الإمام علي بن حسن بن عبد الله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد المشهد ودفينه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، وفني فيه، كما أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، وقرأ على الحبيب عمر بن هادون العطاس، المتقدم ذكرهما في (الباب الخامس)، ولم يتعثر في البداية، بل جذبته العناية، حتى بلغ الغاية، ونشرت عليه أعلام الولاية. وسافر إلى الحرمين الشريفين، وأقام بمكة مدةً بعد أداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، أخذ فيها عن شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، ومن في طبقته.

واشتهر صاحب الترجمة في تلك المدة بالولاية والكشف الجلي، فمن ذلك ما شاع وذاع، إبان إقامته بمكة، من أنه اشترى كمية وافرة من الباروت، أي البارود، ودخل بها إلى خلوته الخاص برباط السادة، وأقفل على نفسه باب الخلوة ونافذتها، ثم افترش سجادته في وسط الخلوة، وأدرج السجادة بالبارود، وجلس عليها، ثم أشعل النار في ذلك الباروت، فصرخ صرخةً، زعزعت أركان الرباط.

فتسارع أهل الرباط وجيرانه لتفقد الحادث، وكسروا باب الخلوة، فوجدوا صاحب الترجمة جالسًا على مصلاه متبسمًا، وهو يقول: ﴿يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾. فسألوه عن الحادثة؟ فقال: إني أسمع الناس يقولون: إني وليّ، فأردت أن أتحقق ذلك من نفسي، لا غير!.



ومنها ما حكاه الحبيب سالم بن أحمد العطاس، مفتي جُهور، المتقدم ذكره في (هذا الباب). قال: كنت ألقي درسًا على طلب العلم برباط السادة الذي في سوق الليل، بمكة. وكان من جملة الحاضرين، الحبيب أبوبكر بن حسن، يعني صاحب الترجمة، فلما كنا في أثناء الدرس، قال الحبيب أبوبكر: اقرؤوا الفاتحة إلى روح الحبيب العابد الزاهد عبدالله بن أحمد بن حسين بن حسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، الملقب بالجمّال، بتشديد الميم، فإنه توفي الآن ببلدنا حريضة.

قال الحبيب سالم، فأرخت الساعة واليوم والشهر، وكان ذلك في أشهر الحج، وعقدت النية في خاطري: إن كان الأمر كذلك، بأني أحج حجة الإسلام عن الحبيب عبدالله المذكور، اغتنامًا لبركته، لأنه من كبار الصالحين.

فلم تمض علينا إلا مدة المسافة بين حريضة ومكة، وإذا بأناس من أهل بلدنا حريضة، قدموا إلى مكة للحج، وأخبرونا بأنهم حضروا دفن الحبيب عبدالله المذكور،

وتوجهوا للسفر من المقبرة بعد الدفن حالًا، وأن وفاته كانت في اليوم والساعة التي أخبرنا بها الحبيب أبوبكر المذكور، فأحرمت بالحج عن الحبيب عبدالله، وازددت يقيناً من ولاية الحبيب أبي بكر، انتهى.

ثم عاد الحبيب أبوبكر إلى مسقط رأسه بالمشهد، ودارت الدوائر، وأعاد التاريخ نفسه، والحبيب سالم بن أحمد المذكور ما زال مجاورًا بمكة. فرجع ذات يوم من المسجد الحرام إلى الرباط، فوجد الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، مضطجعًا في سطح الرباط، مسجًّى بردائه، فانتهرَه الحبيب سالم، وقال له: الناس في الدرس وأنت راقد! فقال الحبيب أحمد: ما أنا راقد، ولكني محزون على أحد الأولياء من إخواننا آل العطاس، توفي اليوم بالمشهد. فقال الحبيب سالم: من هو؟ وبم عرفت ذلك؟ قال: الحبيب أبوبكر بن حسن العطاس، يعني صاحب الترجمة، الآن مرّت عليّ روحُه في الهواء. فبان الأمر كذلك، انتهى.

قلتُ: وصاحب الترجمة هو الذي حفر كريف، أي صهريج المشهد، المعروف بكريف بوبكر. وبنَى السقاية التي في طرف الحدبة، على طريق المتوجه إلى الهجرين، لسقي عابري السبيل، المسماة بسقاية بوبكر.

[أخوه، محمد بن حسن العطاس (ت 1357هـ)]

ومن إخوان صاحب الترجمة: الحبيب محمد بن حسن، وليد حريضة، ودفين طانة أبغ ببتاوي، من الجهة الجاوية. لقي الكثير الطيب من كُلّ عصره، واستمَد منهم، ولازم الحبيب أحمد بن حسن العطاس المذكور، وقرأ عليه في الفقه، وتلقى عنه السيرة.

كما أنه تزوّج بأخت الحبيب أحمد المذكور، وكان عابدًا شاكرًا، ذاكرًا في سره وجهره، يكاد يحفظ «ديوان الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس»، المسمّى «قلائد الحسان وفرائد اللسان»، كثير الاستشهاد منه، حتى في كلامه العادي، سواء كان مع الخواص أو العوام. وقلّما يستشهد منه ببيت أو يذكر عنده بيت من قصيدة إلا وسردها حرفيًا، كأنما يتحدر من صبب، لقوة حفظه في ذلك.

كما أنه يحفظ الشيء الكثير من سيرة الحبيب علي بن حسن المذكور، وكلامه المنثور، مداومًا على قيام الرّبع الأخير من الليل، حضرًا وسفرًا، يتلو فيه كتاب الله بحضور وخشوع، حتى في مرض موته، نظرًا في المصحف المعظّم، بعد أن ناف عمره على التسعين السنة، ومع ذلك لم يضطر لاستعمال النظارة، كما أنه لم يسقط شيء من أسنانه، ولعل ذلك ببركة المداومة على قراءة القرآن، وسر النظر في المصحف المعظم. وقد توليتُ غسله يوم وفاته، فلم أر شيئًا من وحشة الموت على الحبيب محمد المذكور، كأنا نكبس له في أيام حياته، ولا مانع إن قلنا أن ذكر الله قد امتزج بلحمه ودمه. وكانت وفاته في اليوم الرابع من محرم، سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية.



[الحبيب علي بن حسين بن هود العطاس]

ومنهم الحبيب الشجاع في دينه، الثابت في يقينه، والمشهود له من صاحب المناقب بأنه داعي الله ويا لها من شهادة ثمينة، علي بن حسين بن هود بن الإمام علي بن حسن بن عبدالله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد المشهد ودفينه، وجد صاحب «التاج» لأمه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تربى بوالده، وتخرج وتهذب بعمه الحبيب هادون بن هود، المتقدم ذكره في (الباب الرابع)، ثم أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وتردد لزيارته في حياته إلى بلده عمد، وصحبه في كثير من أسفاره. كما أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، ولبس منه، ولازمه.

وكانت غالب مكاتبات صاحب المناقب، والحبيب أبي بكر، إلى أكابر عصرهما، بقلم صاحب الترجمة، لأنه كان حسن الخط، جيد الضبط، فيكون ختامها: «ويسلم عليكم راقم الأحرف، ولدكم علي بن حسين بن هود، ويطلب منكم صالح الدعاء»، كما في مكاتباتهما للحبيب محسن بن علوي السقاف، وغيره.



ولما حجّ صاحب الترجمة حجة الإسلام، وتشرف بزيارة سيد الوجود عليه أفضل الصلاة والسلام، أخذ بمكة عن شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، وعن مفتي الشافعية بها الحبيب محمد بن حسين الحبشي.

ثم زار مصر مع الحبيب العلامة عبدالله بن محمد بن محسن بن حسين بن عبدالله بن محمد بن محسن بن الحسين بن عمر العطاس، وليد حريضة، ودفين حيدرآباد، وأخذ بها عن شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم البيجوري، ذي المؤلفات الشهيرة، وألبسهما، وأجازهما بعد أن اشترط عليهما أن يلبساه ويجيزاه، فامتثلا أمره في ذلك، كما أنه أمرهما وأكّد عليهما أن لا يطلبا الإجازة من غيره. وقال لهما: إن أهل مصر لا يعرفون مكانتكما في الفضل، فلا توقعوهم في الغرور وقلة الأدب، انتهى.



وكان صاحب الترجمة جيدَ الحفظ، حسن الصوت، مسدد الألفاظ، ويحفظ الشيء الكثير من قصائد الصالحين، فكان صاحب المناقب يحرص حضور صاحب

الترجمة في مجالسه الخاصة والعامة، وإذا استمر بالحاضرين، يقول: تبارك يا صنو علي، أي أنشدنا شيئًا من كلام الصالحين للتبرك بذلك.

قال صاحب الترجمة: كنت مرةً بحضرة الحبيب صالح في بعض مجامع زيارة المشهد، فوقع بخاطري شيء من الإنكار. وأقول في نفسي: كيف يجعلني الحبيب صالح مثل باحرمي! فما تم هذا الخاطر، إلا وأشار إليّ الحبيب صالح بيده الكريمة كعادته، وقال: تبارك يا صنو علي، المنشد داعي الله ما هو باحرمي!. قال صاحب الترجمة: فما فرحت بشيء أكثر منها، انتهى.

وقوله «باحرمي» بفتح الحاء، هو منشد سيدنا الحبيب عبدالله الحداد الخاص.

قلتُ: وقد تقدم شيء من هذا في (الباب الرابع)، بمناسبة خدمة صاحب المناقب لشيخه الحبيب هادون في أيام زيارة المشهد. وأعدناه هنا بمناسبة ترجمة الحبيب علي المذكور، وسيأتي أيضًا في باب الكرامات، الذي هو محله الوضْعي، في (الحكاية الرابعة والأربعين)، إن شاء الله تعالى.



وكان صاحب الترجمة ملازمًا لمقام العبودية، متقلدًا درع الرضا، لم يفارقهما مدة حياته. أخبرني الحبيب أحمد بن محمد بن هادون العطاس، الآنف الذكر، في آخر ترجمة الحبيب حسين بن عمر بن هادون العطاس. قال: نظرت مرة من نافذة بيتي بالمشهد، فإذا أنا بالحبيب علي بن حسين، خرج من بيته يحمل شيئًا على ظهره. فسألت بعض أهلي عن ذلك؟ فقال: لعله يحمل كتبه وثيابه، يريد الذهاب إلى وادي حَجر كعادته. ثم قال الحبيب أحمد: مع علمي بأن عمه الحبيب هادون قد خصصه لنشر الدعوة إلى الله بتلك الجهة. فسألتُ عن بعيره الذي كان يركب عليه؟ وكنت إذ ذاك قريب عهد بسفرٍ. فقالوا: إنه قد مات، ولم يقدر على شراء مثله، فأرسلت إليه بعض أولادي

ليردّه. فلما وصل عندي، سألته عن الحال؟ فكان كما أخبرني أهلي. فقلت له: وكيف يمكنك حمل متاعك مع بعد المسافة. فقال: يا ولدي إن الرضا بالقضاء يهوّن على العبد جميع مصاعب الحياة، وهو شأن العبيد.

فقال الحبيب أحمد: فقلت في نفسي: إن كان هذا الحبيب علي وليًا كما يقول الناس، سخر الله الآن راحلة معروضة للبيع، لأشتريها له من عندي. ثم نظرت من النافذة فإذا أنا بأناس من كندة، دخلوا المشهد، يسوقون ذَودًا من الإبل معهم، فناديتهم هل تبيعون شيئًا من هذه الإبل؟ قالوا: كلها للبيع. فخرجت إليهم أنا والحبيب علي، وقلت له: اختر أحسنها، فاختار بعيرًا منها. فسألتهم عن الثمن؟ فقالوا: إنه لا ينقص عن ثمانية عشر ريالًا. فدفعتها إليهم، ففرح بذلك الحبيب علي أتم الفرح، ودعا لي بدعوات صالحة، ما زلت أجد بركاتها إلى اليوم، وحالًا ركب البعير، وتوجّه إلى حَجْر على بركة الله.

[الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس
المتوفى سنة 1347هـ]

ومنهم الحبيب العارف بالله، المتبتل إلى مولاه، والذي لم يختلف اثنان في أنه من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، أحمد بن عبدالله بن طالب بن علي بن حسن بن الإمام علي بن حسن بن عبدالله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد الهجرين بحضرموت، ودفين فكالونقّان، ومقدم تربتها سَفُوره بجاوة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، وسمع منه، كما أخذ ولبس من الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس).

تربى صاحب الترجمة بوالده الحبيب عبدالله بن طالب، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، وتفقه على الحبيب العلامة حسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن علوي بن أحمد بن محمد بن أحمد الكاف، وليد الهجرين ودفينها، في شهر ذي الحجة، سنة خمسة عشر وثلاثمائة وألف هجرية، حتى برع في فن الفقه، بشهادة شيخه المذكور. وأخذ أيضًا عن الحبيب العلامة عبدالرحمن بن أحمد بن علي، إلى آخر النسب، الكاف، وليد الهجرين، ودفينها في شهر ربيع الأول سنة تسعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية. وله الأخذ التام والمدد الخاص والعام من الحبيب عمر بن هادون العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس).

ثم إنه بعد وفاة والده، استشار والدته الشريفة العابدة القانتة، زينه بنت الحبيب العلامة محسن بن علي بن حسن العطاس، في السفر، وإلى أين يكون؟ فأشارت عليه بقولها:

يـا ذي تبـا الـرِّبح في بيعـك وفي المشْـترَىٰ

لا تأخُـذ إلاّ بضَـاعةْ مكّـة أُمّ القـرَىٰ

فاغتنم الإشارة، وفرح بهذه البشارة، وتوجه من حينه إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين. وعقل رجليه بالحرم المكي، اثني عشر سنةً، لازم فيها شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، على طلب العلم الشريف، حتى تضلع من كل فن منيف. وقرأ على مفتي الشافعية الحبيب حسين بن محمد الحبشي[1]، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، وأخذ عن أخيه الولي الشهير عبدالله بن محمد الحبشي، وتردد على الشيخ محمد سعيد بابصيل، الآتي ذكره في (هذا الباب) للمطالعة والمراجعة. كما تقدم أيضًا في ترجمة الحبيب حسين بن محسن العطاس: أنه عقد معه الأخوة، على ملازمة الدرس، وتهذيب النفس، وأنهما كانا في مقدمة طلبة السيد أحمد دحلان الذين يرسلهما لتعليم أهل البادية، بنواحي مكة، لما عرف فيهما من الأهلية لنشر الدعوة العامة إلى الله.

[هجرته الى جاوة واستقراره في باكُلُنقان]

ثم سافر صاحب الترجمة إلى جاوة، لزيارة من بها من الخلان، ولم يدر بأن الله قد استخلصه على نشر الدعوة العامة بمدينة باكُلُنْقان[2]، فألقى بها الجران.

وافتتح دعوته فيها بتعليم القرآن، احتسابًا لوجه الله، ورغبة فيما عند الله، ووقف نفسه على الذين قد كبروا في السن، ولم تقبلهم معلامات الصبيان، كل ذلك تعظيمًا لشأن القرآن. وكان قد حفظه بمكة، وأتقن تجويده، غير أنه من كثرة امتلاء قلبه بتعظيم كلام الله، لا يقرأه إلا نظراً في المصحف المعظّم.

---

(1) في الأصل: محمد بن حسين، ولعله وهم من الناسخ، لأن المقصود إنما هو ابنه حسين بن محمد، بقرينة ذكر أخيه عبدالله بن محمد بعْدَه، اهـ (مصحح).

(2) باكلنقان، كذا كتبت في هذا الموضع، وتقدمت قريبًا أول الترجمة برسم: فكالونقان، وكلاهما صحيح، اهـ (مصحح).

ثم افتتح الدروس العامة في المسجد، مع ملازمة صلاة الجماعة في جميع الأوقات، والدروس الخاصة في بيته، ولا تسأل عما يتخلل ذلك من الأوراد والأذكار، مع المحافظة على رواتب الصلوات، التابعة للفرائض، وصيام الأيام الفاضلة في الشرع.

ومما هو محتمه على نفسه: قراءة جزء من القرآن، يتهجد به في صلاة الليل، ومثله في صلاة الضحى، وبعده حزب من «دلائل الخيرات»، كما أنه لا يترك قراءة «راتب» جده الأكبر، سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، صباحًا ومساءً، مع «الورد اللطيف»، لسيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، بعد أن عرف أن الله خلقه لذلك، وأن كلًا ميسر لما خلق له.

[مسجد فكالونقان]

والمسجد المذكور، هو الذي بناه الحبيب الراغب فيما عند الله، حسين بن سالم بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، وليد حريضة، ودفين فكالونقان سنة ثنتين وسبعين ومائتين وألف هجرية. الكائن بحارة العرب، ثم استأنف عمارته وزاد فيه صاحب الترجمة، سعةً وإتقانًا، وعمره بالجماعات والدروس، حتى أصبح أثرًا من آثاره الخالدة، كما أنه أسس المدرسة السلفية.



[أخذه بالعزائم في جميع أموره]

ومن مميزات صاحب الترجمة القومية، بل العصرية: أنه من حين بلوغه سن الرجولية، أخذ يعامل نفسه بعزائم الشريعة المحمدية، في جميع العبادات والمعاملات، فرضًا وسنةً. ولا يكاد يعرف معنى للرخص، كما أنه شديد النكير على الذين يتتبعون بُنيّات الطريق، من أهل العلم. وأعظم من هذا أنه يطالب الناس كلهم بذلك، حتى العوام!.

ولصدقه مع الله، وإخلاصه في أقواله وأفعاله لوجه الله، جعل الله له في قلوب أهل عصره القبول التام، والهيبة عند الخواص والعوام. وكان لا يحابي لأحد في الخروج عن الآداب الشرعية، فضلًا عن الحدود، فلا يكاد الغريب إذا حضر مجلسه أو مدرسته، يميز بين الأمراء والفقراء والأغنياء، حتى في اللباس، والمجلس، وموضع الجلوس، مع كثرة من يفد عليه، ويتردد إليه من كل الطبقات، بل كانوا يعدّون زيارته من مظاهر الفخر، اللهم إلا أهل الفضل، فلهم منه الإجلال التام. حتى سارت بأخباره الركبان في جميع البلدان.

فصار كل من عزم على زيارته، يأخذ درسًا أولًا على من قد عرفه، كأنه أراد الإحرام بالحجّ، فتجد حالق اللحية يربيها قبل بأسابيع، وطويل الشارب يقصّه، وموفر شعر الناصية يجزه، ولابس الكوفية غير البيضاء، أو حاسر الرأس، يستعد بالكوفية البيضاء. وأما اللباس الغربي: السروال، والجبة القصيرة، والتدخين بالتنباك، فلو حلف أحدُ المتورعين، أنه لم يدخل مجلسَه مدة حياته، لم يحنث في يمينه!.

كما أنه لا يسامح أحدًا في الإخلال بالقراءة، أو الصلاة، أو الوضوء، ولو كان من أهل العلم، فينتهره جهارًا، وربما ضرب المخالفَ بعصاته، ولا يكون فيه ثيار.

[من كراماته وأخباره الشهيرة]

وله في ذلك وقائع غريبة، وكرامات ناسخة لكل ريبة، منها حادثة شهيرة، وقعت له في باكُلُنقَان، صارت ولم تزل حديث المجالس إلى الآن. وهي:

أن صاحب الترجمة، كان من عادته أن يمشي على قدميه من بيته إلى مسجد الجامع، لحضور صلاة الجمعة ذهابًا وإيابًا، حرصًا منه على الثواب الوارد في ذلك. فصادف في بعض الأيام امرأةً في طريقه كاشفةَ الرأس، وكأنها غريبة في البلد، لم

يسبق لها علمٌ بحال صاحب الترجمة، لأن نساء البلد قد عرفْنَ القاعدة، فلا يمرُرْنَ في طريقه إلى المسجد، ولا أمام بيته، إلا وهن متسترات، فصاح على تلك المرأة أن غطي رأسك فوقفت ونظرت إليه فضربها بعصاه التي يتوكّؤ عليها وشج رأسها فهربت منه ومضى لشأنه كأنه أدى واجبًا لا مناقشة فيه.

فاجتمع أناس من أهل البلد على تلك المرأة، وراودوها أن تصبر وتحتسب، وعرّفوها أن مقصد الحبيب من ذلك الستر، والمحافظة على حدود الله، فأبت إلا الشكاية إلى إدارة البوليس الهولندي، في أيام استعمار الهولندي لجاوة، وقصت أمرها على رئيس الشرطة، وكان هولنديًا. فأمر على أعوانه من المسلمين الجاويين أن يأتوه بصاحب الترجمة، فاعتذروا إليه من ذلك، وعرّفوه مقام صاحب الترجمة الديني، ونفوذه الروحي. وقالوا له: إن كلّفتنا هذا الأمر، عزلنا أنفسنا من الوظيفة.

فزاد عجبه، وطلب منهم أن يعرفوه شخصيةَ صاحب الترجمة، ولو على بُعد، فذهب أحدهم معه إلى منتصف الطريق، التي يرجع بها صاحب الترجمة من الجامع إلى بيته، فلما أقبل، قال الجاوي لرئيسه الهولندي: هذا الحبيب أحمد بن طالب. وحالًا اختفى في مكان قريب، لينظر كيف يصير الحال.

فأقبل صاحب الترجمة، يقرأ أوراده، وليس في قلبه إلا ربه. وكان الرئيس واقفًا في قارعة الطريق التي يقصدها صاحب الترجمة، وكلما قرب منه صاحب الترجمة تأخر إلى وراءه، حتى تخطاه صاحب الترجمة، فعاد الرئيس إلى مركزه، وحدث أعوانه: أنه كان مصمّمًا على إلقاء القبض على صاحب الترجمة ومحاكمته، ولا يتركه يعيث في البلد. ثم قال: ولكنه لما أقبل عليّ رأيت أسدين ضاريين يمشيان معه، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فهبتُه.

ثم أمر المرأة أن تذهب بشكايتها إلى الرخينت، أي أمير البلد، الجاوي المسلم، فذهبت إليه، وأخبرته بما جرى عليها من صاحب الترجمة، وكان الأمير قد عرف صاحب الترجمة، أنه لا تأخذه في الله لومة لائم، فأمر أحد الأطباء أن يداوي تلك المرأة من أثر الجراحة. ثم قال لها: إن الحبيب لم يرد بك إلا الخير، ولا بأس عليك من هذه الضربة، وناولها عشر ربيات من جيبه الخاص، تطييباً لخاطرها، انتهى.

وأما صاحب الترجمة، فلم يشعر بشيء من ذلك كله.



ومرةً وقعت له مثلها مع بعض نساء رؤساء الجاويين، فأوعز إلى جلساء صاحب الترجمة: أن ينصحوه، بأن لا يعود إلى مثلها، وبأنهم يخافون عليه من الحكومة الهولندية. فقال صاحب الترجمة: إذا لم يحمني رب الشريعة وصاحبها فلا حاجة لي بحماية أحد، انتهى.



وحدثني مرةً أحد مثرى الحضارم بسربايا، قال: كنت أسمع بالحبيب أحمد بن عبدالله، يعني صاحب الترجمة، وأودّ زيارته، فجئت في بعض الأيام لحضور وليمة زواج بعض الإخوان، وعزمت على زيارة الحبيب أحمد إلى بيته، وكنت في ذلك الوقت مولعًا بتوفير شَعر الشارب. فقيل لي في ذلك، فقلتُ لهم: الأمر قريب، وغاية ما هناك يضربني بيده، فأنا أقبل منه ذلك على سبيل التبرك. فلما دخلنا عليه وصافحته، قبض بأصبعيه على شاربي، وقال لي: أخرج هذا منك يا بريكان.

فسبقت طاعته إلى قلبي قبل أن أتكلم. ثم قلتُ: مرحبًا. وخرجت من عنده إلى عند الحلاق، وأمرته بقص الشعر الزائد، وصرت أستبشع ذلك من غيري، وأرى أن إبقاء ذلك نوعًا من الجنون، انتهى.

قلتُ: ولعل القارئ يتعجب هنا من هذا النفوذ القوي، والسيطرة حتى على القوة الحاكمة. فنقول له: إذا ظهر السبب زال العجَب، وأن السبب الوحيد في بلوغ صاحب الترجمة هذه المرتبة العالية، هو زهده الحقيقي في المال والجاه، وكراهيته لذلك. وقد حاول أهل الأموال، ورجال الحكومة، التقرب إليه بكل الوسائل الدنيوية، فجعل يرد عليهم الأكياس المملوءة بالربّيات وأنواع الهدايا الفاخرة، بأبشع رد، ويرمي بها في وجوههم، مع الصيحات المزعجة عليهم، كأنما يناولونه حيّات ذات سموم ناقعة. ويقول لهم: لا تحرقوني بناركم. ولم يزده ذلك إلا نفورًا منهم، وقسوة عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعند ذلك تحققوا أنه إنما يغضب لله، ويرضى لرضاه، فقدّروه حق قدره، وقاموا بخدمته ونصره، وسطع في جبينه نور قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾.

وإذا رجعنا إلى العمل بالحديث الشريف، وهو قول الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لله شهداء في أرضه**»[1]. لزِمَنا أن نقول: وفي مقدمتهم الحبيب العارف بالله، محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي، المتقدم ذكره في (هذا الباب).

وقد حدّثني الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد، قال: إني سمعت سيدي الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، يثني على الحبيب أحمد بن عبدالله العطاس، يعني صاحب الترجمة، بأبلغ الثناء، خصوصًا على قيامه بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. حتى قال: «والحمدلله على وجوده بين ظهرانينا، فإن ذلك مما يدل على بركة عصرنا، وأنه لم يتودَّع منا»!. ثم فسر الحبيب علوي مراد الحبيب محمد بن عيدروس، قال: إنه يعني بذلك الحديث الشريف وهو قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودّع منها**»[2]. وكان الحبيب محمد المذكور يلقب الحبيب أحمد بسفيان الثوري، الشحيح بدينه، انتهى المراد من رواية الحداد.

---

(1) متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(2) أخرجه أحمد والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قلتُ: وكلاهما يعنيان بذلك قولَ سيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، في قصيدته «العينية» الكبرى، ذات المعاني الغراء:

والثَّــوري الحبْــرِ الشــحيحِ بدينِــه ... الخــائفِ المتخشّــعِ المتضــرِّعِ

وقبل أن يأخذ القارئ في التفكير، فيما أكرم الله به صاحب الترجمة من هذه المزايا، التي يكاد يتقلص ظلها اليوم من على وجه الأرض. نقول له: إن الكلام السابق كله في أهل الأموال، المشهورين بالحلال، ورجال الحكومة المسلمين الموصوفين بالعدالة. أما أهل الحرام والظلم، فلا مبالغة أن قلنا: إن الشيطان قد يذكر في مجلس صاحب الترجمة ولا يذكرون، فضلًا عن كونهم يستطيعون مواجهته!.

وإني أتذكر الآن، أنا بتنا ليلةً في مدينة فاسرْوَان، بجاوة الشرقية، حينما كان صاحب الترجمة متوجهًا إلى بندووسو، لزيارة الحبيب محمد بن أحمد المحضار، الآتي ذكره في (هذا الباب)، وكنت بمعيته. وكان الحبيب محمد المحضار قد تلقى صاحب الترجمة إلى سربايا، نخرج إلينا الحبيب محمد لصلاة الصبح. وقال: إن الوالد أحمد لم يرقد البارحة، وبات طول الليل يتأوه، وربّما قال: **اللهم** إني أبرأ إليك من معرفته.

ثم قال الحبيب محمد: وسبب ذلك أن فلانًا قدِم إلى التقّل، وبلغه السلام من بعض الناس المشهورين بالمعاملة الفاسدة، وإني من الآن أحذركم وأنذركم جميعًا، أن لا تبلغوه ما يسوءه، لاسيما وهو يقصد إدخال السرور علينا في منازلنا، والدعاء لنا، انتهى.

وعسى أن القارئ لم ينسَ ما قدمناه في (الباب الثاني) من «تاجنا» هذا، من غيرة صاحب الترجمة على التساهل بأوامر الشريعة المحمدية، والاعتماد على المبشرات

بالجنة من غير أعمال صالحة، ولا بأس بإعادة القصة هنا، ليتحقق القارئ أن مذهب صاحب الترجمة هو الأخذ بالعزائم، بقطع النظر عن المبشرات والرخص.

وأصل القصة: أن مرة جرى ذكر الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس، صاحب المشهد ومؤلف «القرطاس»، في بلد باكلنقان بجاوة، بحضور صاحب الترجمة.

قال بعض الحاضرين: إن الحبيب علي يقول: «ناظري وناظر ناطري في الجنة»، ثم قال أحدهم، وكان من أهل الثروة والوجاهة، ومن الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا: الحمدلله، أنا قد نظرت بامهير، خادم الحبيب علي.

فما تم قوله هذا، حتى نهض إليه صاحب الترجمة، كأنه أسدٌ غُوضِب، وجثى على ركبتيه بين يدي ذلك القائل، وقال له: يا فلان، إن أناسًا نظروا محمد بن عبدالله (بكسر الدال)، يعني سيد الوجود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودخلوا جهنم! كيف إلا علي بن حسن.

ثم فسر صاحب الترجمة المبهم، بقوله: وأيش معك من سيرة علي بن حسن؟ يعني: أنه لا فائدة في الأقوال، إذا لم تصحبها الأعمال الصالحة، انتهى.

قلتُ: ومن هذه الحيثية كان صاحب الترجمة يكره مدحَ الناس له، وثناءهم عليه، كراهيةً شديدة، سواء كان مشافهة أو مراسلة. حتى أنه لما كتب له الحبيب محمد المحضار المذكور، كتابًا أسهب فيه وأطنب، لأنه كان يعد صاحب الترجمة من أشياخه، ثم قدم عليه بعد ذلك بأيام، فعتبه على كتابه عتبًا عنيفًا. وكان الحبيب محمد المذكور بديهيّ الحجة، عارفًا بشغَف صاحب الترجمة بكلام الحبيب علي بن حسن العطاس، وشعره. قال له: أن الحبيب علي بن حسن يقول:

ما حِبّ صَوت الغنا والشّرح والبلبلهْ

إلاّ لعينيه يَوم المذح يستاهلهْ

فرماه صاحب الترجمة بسبحته التي كان يسبح فيها، عجبًا من تخلصه فمن ذلك الحين تجاوز صاحب الترجمة في ثناء المكاتبة دون المكالمة

قلت والبيت المذكور هو من أثناء قصيدة طويلة مثبتة في ديوان الحبيب علي المسمّى قلائد الحسان وفرائد اللسان من قسم الحميني أي الوطني قالها مدحًا في جدّه الأكبر سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس وقبله:

معْنـا عُمـر صَـاحب الشَّـارات والدّيوَلـهْ

يـا بخْـت مـن زَار لـو سَـافر سَـنة مقْفلـةْ

وهــو جملنَــا إذا مَــا طالَــتِ المرحلــةْ



رجعنا إلى فرع المسألة، وما كان بين صاحب الترجمة والحبيب محمد المحضار من المحبة والصلة، وبما أن ذلك يطول شرحه، وليس هذا محله، فلا بأس بذكر نموذج منه. فقد تردد الحبيب محمد المحضار لزيارة صاحب الترجمة إلى باكلنقان، وكان صاحب الترجمة يأمر أصحابه أن يتلقوه بالطيران، أي الدفوف ونغمات النشيد بأقوال الصالحين، التي تشعر بالترحيب، فرحًا بقدومه.

كما أن صاحب الترجمة وقد كبر سنه، وأقعدته رجله، زار مع أهله وأولاده الحبيب محمد المحضار، بمحلّ إقامته بندووسو، في جملة من أصحابه على ظهور السيارات، فكانت أيام مشهودة، وأعياد موعودة، في جموع محشودة.

ومما أتذكر الآن: أن صاحب الترجمة عزم على الرجوع بعد أربع أيام، فانزعج الحبيب محمد من ذلك، ولم يقدر على مراجعته. فدعا عليًا ابن صاحب الترجمة، وقال له:

أخبر والدتك، بأني ألزمكم ولا أعذركم، أن ترغّبوا الوالد في الإقامة عندنا على الأقل ثمانية أيام. ثم التفت الحبيب محمد إلى الحاضرين، وقال: إني أحب أن تمر عليه أيام الأسبوع كلها في داري، وبين أولادي، لتحصل لنا بركته في الأيام كلها، انتهى.

قلتُ: وقد كان ذلك كله في سرور وحبور، ببركة الزائر والمزور.



ومع هذا كله، فقد كان صاحب الترجمة يعتقد أن الحبيب محمد المحضار المذكور، مستجابَ الدعوة. فمرة زاره الحبيب محمد إلى باكلنقان، وطلب منه الرخصة ليتوجّه إلى بتاوي، فقال له صاحب الترجمة: إن خاطري تحرك لولدي علي، وأحب أن يحضر هذه العيد عندي. فقال له الحبيب محمد: يحضرها إن شاء الله عندكم.

فقال صاحب الترجمة: إني لا آذن لك في المسير إلى بتاوي، إلا أن شليت لي في وجهك. أي تعهدت لي. فقال الحبيب محمد: في وجهي، وخط بسبابته على جبينه.

قلتُ: وكان الوقت إذ ذاك قربَ عيدٍ، وعليٌّ بحضرموت، ولم تسبق من والده مكاتبة بطلب وصوله، فلما وصل الحبيب محمد بتاوي، توارد عليه أهلها للترحيب به، وكان ينزل في بيت محب أهل البيت أحمد بن عبدالله باسلامة، الآتي ذكره في آخر (باب الكرامات). وكنت فيمن حضر، فكان مما قصّه علينا الحبيب محمد من رحلته، ما كان بينه وبين صاحب الترجمة، بشأن ابنه علي. ثم قال: شلينا للوالد أحمد في الوجه، لأجل يفرح منا، ويدعو لنا، والأمر بيد الله.

واستمرت بعد ذلك الروحة العصرية عند الحبيب محمد المذكور، فلما كنا في أثناء الروحة من الليلة الخامسة، إذا بموزع البريد يحمل برقية له من صاحب الترجمة، وهذا

نصها: «الحبيب محمد المحضار، بتاوي، بيضَ الله وجهك، علي وصل سنقفور، أحمد بن طالب العطاس، باكلنقان»!، انتهى.

رجعنا إلى عناية الله بصاحب الترجمة، والتخفيف عنه من رؤية المنكرات والظلمة، ولما أراد الله التخفيف عن صاحب الترجمة من رؤية المنكرات في الطرقات، حين يذهب إلى المساجد لأداء صلاة الجمعة، وحضور صلاة الجماعة، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز. وربما رأى أحيانًا في المسجد ما يشوش عليه؛ كان من قضاء الله واللطف فيه: أنه دخل يومًا إلى البركة ليتوضأ، وكان من عادته أن يستعمل وقت الوضوء أحذية الخشَب، فزلقت به، فسقط على الأرض، وانحرفت إحدى وركيه عن مثبتها الخلقي، فصار مقعدًا لا يستطيع القيام ولا المشي، وإذا أراد الانتقال في بيته من محل آخر يرفعونه على كرسي من الخشب، له عجلات. وإن احتاج إلى الخروج من البيت يرفعونه إلى مقعد السيارة، على أن خروجه من البيت لا يكون إلا نادرًا.

وحدثني الأخ محسن بن محمد العطاس، قال: كنت أسمع الحبيب أحمد، كلما تضجر من رؤية المنكرات التي يشاهدها في الطرقات، أو التشويشات من بعض الناس في المسجد. يقول: إني الآن أستثقل الصلاة في المسجد، ولكن إذا لم يحصل لي عذر، لا بد لي من ذلك. ثم قال الأخ محسن: ولم يظهر لي سر قوله هذا، إلا بعد قعوده، وعند ذلك ترتبت صلاة الجماعة في بيته، واستمرت الدروس والمذاكرة في جميع الأوقات، ببركة صدقه مع الله، انتهى.

[وفاة صاحب الترجمة، وأخذ المؤلف عنه]

وبالجملة فمناقب صاحب الترجمة كثيرة، وعلومه غزيرة، ودعوته إلى الله أشهر من شمس الظهيرة. وقد أفرده الأخ محسن بن محمد المذكور، بـ«مناقب» خاصة، فجزاه الله خيرًا. وكانت

ولادة شيخنا صاحب الترجمة، في شوال سنة خمس وخمسين ومائتين وألف، من الهجرة المحمدية، ببلد الهجرين بحضرموت، كما أن وفاته ليلة الأحد وأربع وعشرين مضت من رجب، سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية. ودفن في تربة باكلنقان، المعروفة بسفُوره، وبنيت على ضريحه قبة، وبقربها مسجد، فصار مقدم تلك التربة، وزاوية تلك البلدة. بعد أن قرأتُ عليه، وسمعت منه، وأجازني، وألبسني، ودعا لي.

[أبناء صاحب الترجمة]

وقد خلفه على ترتيب القراءة وعمارة المسجد بالجماعات:

[**1- علي بن أحمد**]: ابنه الأديب النجيب علي بن أحمد المذكور، وليد باكلنقان، وخريج تريم بحضرموت. قرأ على والده ولازم خدمته، وقد أقام لوالده حولًا، أي ذكرى سنوية، في اليوم الرابع عشر من شعبان، بمناسب حول الحبيب محمد بن طاهر الحداد، ببلد التقّل، لتقارب البلدين والزمانين، تتعاقب على ضريحهما الزوّار، آناء الليل وأطراف النهار، وبوجه أخص أيام الحولين، ومجمع البحرين.

[**2- محمد بن أحمد (ت 1354هـ)**]: وأكبر أولاد صاحب الترجمة: ابنه محمد بن أحمد، وليد الهجرين، ودفينها في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية. كان صوفي المنزع، له شغفٌ تام بكتب القوم وسيرتهم، وله أخلاق حسنة، وسيرة محمودة، وانتفاع بوالده وبأكابر عصره، وقد لقي منهم الكثير الطيب.

[**3- عبدالله بن أحمد**] كما أن ابنه عبدالله بن محمد، وليد باكلنقان ودفينها، طلب العلم بمكة، ونجح في طلبه، غير أن المنية اغتالته في شبيبة حياته.

[**4-عمر بن أحمد**] ومن أولاد الحبيب أحمد بن عبدالله، صاحب الترجمة: عمر بن أحمد، وليد باكلنقان، وخريج حضرموت، ونزيل مكة الآن، قرأ على والده، وتهذب به.

[5- حسين بن أحمد] وحسين بن أحمد، وليد باكلنقان ودفينه، وخريج حضرموت، قرأ على والده، وكان كثير التواضع، شديد الحياء، انتهى.

[أخوه؛ علوي بن عبدالله بن طالب (ت 1310هـ)]

ولنختم ترجمة الحبيب أحمد بن عبدالله المذكور، بما تيسر من ترجمة من يحضرني الآن من إخوانه. فمنهم: علوي بن عبدالله، ذو الأشعار الرائقة، والجذبات الصادقة، والكرامات الخارقة. وليد الهجرين، ودفين بندر جدة بالحجاز، كان محبوبًا مجذوبًا إلى مقامات التنزل والمشاهدة، فتراه إذا غلبت عليه المشاهدة، يقبل بكليته على الخالق ويذهل عن مراقبة الخلق. كأنه المعني بقول جده الإمام علي بن حسن في كتابه «الوصية المرضية»: «كن مع الله كأن لا خلقَ، وكن مع الخلق كأن لا نفسَ، وازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»، انتهى.

وكثيرًا ما يبدي الحبيب علوي لسامعيه أنواعًا من شهوده وقربه، كما يفسر لنا ذلك تغزله في شعره الرقيق، تارة مشيرًا إلى حضرة الشهود، وأخرى إلى مواطن تنزلات الرحمة والإمدادات، كالكعبة المعظمة، والروضة الشريفة، وربما أبهم الأمر على السامعين، لئلا يعرفوا مركزه القربيّ من ربه، فيشغلوه بطلب حوائجهم الدنيوية. وأما أهل الشوق والذوق، فقد عرفهم قبل أن يعرفوه، ووصفهم كما وصفوه، وموعد القارئ بهذه الجمل «ديوانه الحميني»، أي الوطني، وهناك يحس القارئ بروحانيته تحوم حول «ديوانه» شوقًا وذوقًا.

ومن كراماته في حياته: ما اشتهر عنه بمكة المحمية، حينما كان مجاورًا بها: أن الشيخ العلامة محمد البسيوني، كان يحب الحبيب علوي المذكور، ويتردد عليه إلى رباط السادة

بسوق الليل، فدخل يومًا على الحبيب علوي وهو جالس في خلوته وحده، حين ورود الحال عليه. فقام الحبيب علوي، وأقفل باب الخلوة، ثم تناول كأسًا من الطاقة فيه خمر، وهو يهدر كالجمل الهائج. وقال للشيخ: اشرب هذا بوجه السرعة، واخرج من عندي. فخاف الشيخ على نفسه، من الحالة التي رأى الحبيب عليها، وأخذ الكأس وصبه بين صدره وثيابه، وأظهر للحبيب علوي أنه قد شربه، وخرج مرعوبًا. فلما وصل بيته، خلع ثيابه، وأمر جاريته، أي مملوكته، بغسلها، وأخبر أهله بما كان من أمره مع الحبيب علوي، وأمرهم بكتم ذلك فأخذت الجارية في غسل الثياب، وبقيت لمعة صغيرة في القميص، لم يخرجها الصابون، فجعلت الجارية تمصها بفمها، حتى ذهب أثرها.

وكان من عادة هذه الجارية أنها تتدارس القرآن في أوقات الفراغ، مع أهل الشيخ وبناته، ففتح الله عليها من ذلك اليوم في تفسير القرآن بالعلم اللدني، فأخذت تفسر لهم معاني الآيات تفسيرًا بليغًا سهلًا، فتعجب من ذلك أهل الشيخ، وسألوها عن سبب هذا الفتح؟ فلم تعرفه، فأخبروا الشيخ بما صار إليه أمر الجارية.

فاختفى يومًا في منزل من البيت، وأمر أهله أن يتدارسوا القرآن معها كعادتهم، فشرعت تفسر لهم ذلك، فلم يطق الشيخ صبرًا، لما سمعه من التفسير الذي لم يطرق سمعه من عالم، ولا رآه في كتابٍ. وخرج إليهم، وجعل يسأل الجارية عن أول يوم وجدت فيه انشراح صدرها. فقالت له: في اليوم الذي وقعت لك فيه الواقعة مع السيد المجذوب، فتفطن الشيخ لذلك. وقال لها: هل ذقتِ شيئًا من آثار الخمر الذي أصاب الثياب؟ فقالت: لا، ولكنها بقيت لمعة في القميص لم يخرجها الصابون، فمصصتها بفمي، حتى زالت. فأخذ الشيخ من الأسف ما لا مزيد عليه، وعاد إلى الرباط يسأل عن الحبيب علوي، فقيل له: إنه قد سافر إلى حضرموت، فاعترضته المنية بجدة، فزاد

أسفه، وعرف أنها خمر من عالم الأمر، وأن الحبيب علوي من نقباء نوبة ذلك العصر، الذين تواصوا بالحق وتوصوا بالصبر، انتهى. وكانت وفاة الحبيب علوي بن عبدالله المذكور، سنة عشر وثلاثمائة وألف هجرية.

[ابنه، محمد بن علوي بن عبدالله (ت 1377هـ)]

وخلف الحبيبَ علوي المذكور: ابنه محمد بن علوي، وليد باكلنقان، ونزيلها الآن، وخريج حضرموت. تربى وتهذب بعمه الحبيب أحمد بن عبدالله المذكور، وطلب العلم بمكة، فنجح في علومه وأعماله، غير أن أمواج الخمول لا تزال تتقاذفه من حين إلى آخر، وكان عمه الحبيب أحمد يحبه، وكثيرًا ما يقول: محمد بن علوي صفوتنا. وكانت وفاته في محرم سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، ودفن في قبة عمه أحمد المذكور.

[الحبيب شيخ بن عبدالله العطاس (ت 1338هـ)]

ومن إخوان الحبيب أحمد المذكور: شيخ بن عبدالله، وليد الهجرين، ونزيل قرن باحكيم من دوعن الأيمن، ودفينه. كان من الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، كما أن الفطن يعرف من لمحات محياه أنه من الواقفين مع مراد الله، وقد زهد في لذات الدنيا، فصارت لذته في العبادة، وإدمان الذكر. وإني أتذكر الآن، بأني حينما زرته في حياته بتلك البلدة، لم يخطر على بالي شيء من أمور الدنيا بحضرته، بل أحسست بتؤدة في قلبي، وسكون في جوارحي.

وحدثني الأخ محسن بن محمد العطاس، قال: سمعت الحبيب أحمد بن عبدالله يقول: إن أخي شيخ كثيرًا ما يتوجه من بلدنا الهجرين، قاصدًا زيارة سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس إلى حريضة، فيقصد القبة، ويزور، ثم يرجع إلى الهجرين من حينه، ولا يدخل البلد، انتهى. وبه انتهت الترجمة.

وكانت وفاة الحبيب شيخ المذكور، في قرن باحكيم، من دوعن الأيمن، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.



[الحبيب طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد المتوفى سنة 1319هـ]

ومنهم الحبيب القادة، مصدر العلم ومعشعش العبادة، والمعدود في الذين سبقت لهم من الله السعادة، طاهر بن عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي بن قطب الإرشاد الحبيب عبدالله بن علوي الحداد. وليد قيدون ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، أخذًا تامًا، قرأ عليه، ولبس منه، وتحكم له، وتردد عليه إلى بلده عمد، كما كان يلازمه كلما جاء إلى قيدون، وربما صحبه في بعض أسفاره، ويعده صاحب المناقب واحدًا من أولاده كما سبق في (الباب الخامس) أثناء ترجمة الحبيب عمر بن أبي بكر، والد الحبيب طاهر، من عقد الأخوة بينه وبين صاحب المناقب عند ضريح الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بقيدون، ومبادلة النظر على الأولاد، حتى قال كل واحد منهما للآخر: أولادنا أولادكم، وأولادكم أولادنا، ومن هنا كان لصاحب المناقب مزيد الاعتناء بالحبيب طاهر. قال المترجم وفارس الميدان المتقدم: «وما زالت روحانية صاحب المناقب تتردد على الحبيب طاهر، فيراها عيانًا، في حياة صاحب المناقب وبعد وفاته».



«وكان الحبيب طاهر لا يقدم على فعل شيء من مهمات أموره إلا بإشارة صاحب المناقب. فمن ذلك: أنه لما توفي أخوه الحبيب علوي بن عمر، بمكة المحمية، وكان

قائمًا بكفاية بيتهم في قيدون. أشار على الحبيب طاهر بعض محبيه بالسفر إلى الهند، لتحصيل ما يعسر عليهم من أمر النفقة، لكثرة ما يلزمهم من النفقات، وكثرة الوافدين عليهم، مع قلة محصول الجهة الحضرمية، فأخبر الحبيب طاهر والدته بذلك، فشق عليها سفره غايةً، لأنه بارٌّ بها، وصادف ذلك الوقت وصول صاحب المناقب إلى قيدون، فأخبره الحبيب طاهر بالحالِ وما فيه، فأطرق ساعةً، ثم رفع رأسه، وقال للحبيب طاهر: لا تسافر، وسيأتي الهند إلى عندك.

وقد جئتُ مرةً أنا وبعض أولادي، لزيارة الحبيب طاهر بعد وفاة صاحب المناقب، ففرح بنا، وأجلسنا في غرفة خاصة له بأعلى بيتهم، كان قد أعدها للحاجات المنزلية التي يدخرها لإكرام الضيفان، فقدم لنا عشاء جميلًا، كأنه من نعيم الجنان، وأكل معنا، ولاحظ ما عنّ لنا من التعجب مما رأينا. فقال: إني إذا رأيت بعضَ الاستعدادات نقصت عليّ، دخلت هذه الخزانة، وأشار إلى بيت لطيف في نفس الغرفة، وفتحت النافذة التي تحاذي بلد عمْد، ودعوت الحبيب صالح منها بصوت رافع، فما أشعر إلا وقد امتلأت من كل ما نحتاج إليه ببركة الحبيب صالح، انتهى.



وقد أكرم الله الحبيب طاهر بالابن المبارك، محمد بن طاهر، فسافر إلى الهند، وكفى والده جميع المؤن، وجمع له من ملاذ الدنيا ما لم يكن له في حساب، وعند ذلك ظهر سر قول صاحب المناقب للحبيب طاهر: سيأتي الهند إلى عندك، أنه يعني بذلك وجود ابنه الحبيب محمد، فيا لها من بشارة ضمن تلك الإشارة»، انتهى.

[ترجمته من «قرة الناظر»]

وقال الأخ العلامة الحجة، عبدالله بن طاهر بن عبدالله الحداد، في كتابه «قرة الناظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر»، عند ذكر الحبيب طاهر، وذكر أشياخه: «وشيخه الذي دارت عليه دوائره، وصلح به أوّل أمره وآخره، هو الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، وهو الذي سقاه بأوسع كاس، وهو طور قدسه، ومصباح أنسه، وأخصّ مشايخه، وأكثرهم اعتناءً به، حتى إن سيرته لسيرة شيخه المذكور تشبه»، انتهى المراد من «قرة الناظر». وكانت وفاة صاحب الترجمة الحبيب طاهر المذكور، سنة تسعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية، ببلدة قيدون، بمقبرتها المعروفة بالعَرض، وعليه تابوت، وقبة مفتوحة للزائرين، في كل حين.



[الحبيب محمد بن طاهر بن عمر الحداد المتوفى سنة 1316هـ]

ومنهم الحبيب الذي سطع نوره، فطما على أقرانه مجدُه وظهوره، وأذعنت لمقامه محافل العلم وصدوره، محمد بن طاهر بن عمر الحداد، إلى آخر نسب والده المترجم له قبله. وليد قيدون بحضرموت، ودفين التقّل بجاوة، ومقدم ترتبتها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أدرك البقية المباركة من حياة صاحب المناقب، رضوان الله عليه، فكان له الحظ الأوفر من الاتصال الروحي، والمدد الأكثر من علم صاحب المناقب الفتوحي.

كيف لا! وقد بشر صاحبُ المناقب والدَه الحبيب طاهر بوجوده، وانتشار طوالع سعوده، بامتداد بساط كرمه وجوده. وأما أخذ صاحب الترجمة عن صاحب المناقب،

فقد كان بواسطة والده الحبيب طاهر، لأنه من أخص مريدي صاحب المناقب، كما تقدم. ونزيد على هذا ما تقدم أيضًا في (الباب الخامس)، من عقد الأخوة بين صاحب المناقب والحبيب عمر بن أبي بكر، جد صاحب الترجمة، وقول كل منهما للآخر: أولادنا أولادكم، وأولادكم أولادنا.

وعساك أيّها القارئ، أن لا تطالبني هنا بما كان بين الحبيب عمر العطاس والحبيب عبدالله الحداد، فإن الشوط بطين، ولتعلمنّ نبأه بعد حين.



وكانت نشأة صاحب الترجمة على ما سمعنا من أقرانه، وعظماء عصره وزمانه، أشبه شيء بالخلافة النبوية المهدية، إن لم نقل أنه ممهد لها.

فكان من عزائمه التي لم ينثن عنها مدة حياته: تعديل الأرزاق بين المستحقين، وكفاية القائمين بوظائف الدين، خصوصًا العلماء والمتعلمين، وبوجه أخص السادة العلويين. ومن صدقه مع الله في هذه العزيمة، تهيأت له الأسباب وحكمة الأمراء وأرباب الثروة، حتى في الرقاب.

سمعت محب أهل بيت الرسالة، الرجل الصدر، صالح بن سالم باصمد، وليد الخريبة بدوعن الأيمن، ورئيس هيئة الاقتصاديات بها، يقول: كان من عادتنا إذا قدم الحبيب محمد بن طاهر الحداد إلى دوعن، نتلقاه أنا وزملائي إلى القويرة على الأقل، كغيرنا من أهل العلم وذوي الشوكة، ونلازمه مدة إقامته بدوعن، على زيارة الصالحين، الأحياء والميتين، ومجالس العلم والتذكير، وإصلاح ذات البين.

وفي ضمن ذلك كله يترقب كل واحد منا إشارته بإحضار ما يطلبه من الريالات، مع كمال الفرح وطيب الخاطر. على أنا في خلال تلك المدة نذهل عن أشغالنا، وربّما

طالت المدة، حتى نودع الحبيب محمد إلى حيث نتلقاه، فإذا عدنا إلى منازلنا، تراكمت علينا الأشغال، فنقول لأنفسنا: المرة الثانية إذا جاء الحبيب محمد إلى دوعن، سوف نكتفي بملازمته داخل البلد، فإذا سمعنا بوصوله إلى بلد بضة، قاصدًا نحونا، اهتزت عواطفنا لملاقاته، وعدنا إلى سيرتنا الأولى معه، وما ذلك إلا لقوة مغناطيسه الجذاب، وما أودعه الله له في القلوب من السمع والطاعة. أما الريالات التي يطلبها منا، فإنما يأخذها على سبيل القرضة في ذمته، غير أنه يفرقها في الحال، بعضها على المحتاجين، وبعضها لتسديد مشاكل المتخاصمين، وإطعام الطعام، لأن مائدته لا تزال مبسوطة حيثما أقام، للخاص والعام، انتهى كلام باصمد.

قلتُ: وكان من كرم صاحب الترجمة أنه يبهت سائله بالعطاء، ويكرم قاصده حتى يرضى، ويبتدئ أهل الفضل من غير سؤال منهم ولا إفضاء. يصدق عليه قول الشاعر:

أريحـــيُّ الـــنفس فيـــاضُ النـــدَىٰ	نـــاحرُ الأكيـــاسِ للضـــيف قِـــرَىٰ
لا تحـــاكي كفَّـــه الســـحبُ التـــي	تهـــبُ المـــاء وتلـــكَ الجـــوهَرا



وأخبرني أيضًا، الحبيب المنيب، حسين بن حامد بن عمر العطاس، الآتي ذكره في (هذا الباب)، وكان ممن أخذ عن صاحب الترجمة، ولازمه حضرًا وسفرًا، قال: لما دخل الحبيب محمد بن طاهر الهند، أتى إليه رئيس وزارة حيدرآباد، يرحب بقدومه، ويطلب منه أن يزور مقبرة أهله، ويدعو لهم بالمغفرة، وأن يكون ذلك بكرة يوم الجمعة، وكانت تربتهم داخل حائط ذلك الوزير. فأجابه الحبيب محمد إلى ذلك، وأرسل الوزير المذكور العربات التي تقل الحبيب محمد وأتباعه، صباح يوم الجمعة، فلما وصلنا أمام حائط قصره، تلقى الوزير وحاشيته الحبيبَ محمد وأصحابه، بكمال الاحترام، ودخلوا

جميعًا إلى المقبرة، فقرؤوا سورة يس وتبارك، ورتب الحبيب محمد الفاتحة، وهم مصغون إلى ذلك، مسرورون بما هنالك. ثم طلب من الحبيب محمد أن يشرف منزله الخاص، هو ومن معه، وكان قد استعد لهم بطعام الفطور، وكان من فرح الوزير بدخول الحبيب محمد إلى منزله، وحلاوة منطق الحبيب محمد، أن أطال معه الحديث، حتى دخل وقت صلاة الجمعة، فخرجنا إلى المسجد، وتبعنا الوزير.

فلما دخلنا المسجد، طلب الوزير من الحبيب محمد أن يخطب ويصلي بالناس، فحالًا رقى المنبر، وارتجل خطبتين بليغتين، أتى فيهما على الأركان والسنن، وختمهما بوعظ بليغ، من قلب سليم، ذرفت له عيون الجميع، وإن كان أكثرهم أعاجم، وهذا مما يدل على أن الحبيب محمد مأذونٌ له في الدعوة إلى الله.

وكان الوزير المذكور قد وضعَ قبل خروجنا من منزله كيسًا كبيرًا مملوءًا من الرّبيات، في العربة التي أعدت لركوب الحبيب محمد، فلما وصلنا عند باب المسجد، أمرنا الحبيب محمد بتفرقتها على المحتاجين، ولم يسأل عن عددها.

وأخبرني أيضًا الحبيب حسين بن حامد المذكور، قال: لما بلغ الحبيب محمد سنقفور، في سفره الأخير، قاصدًا جاوا، كتب إلى علمائها وعظمائها، يشعرهم بقدومه، فانهالت عليه الجوابات بالبرقيات، ثم بالمكاتبات، وفي مقدمتها جواب الحبيب محمد بن أحمد المحضار، يقول فيه: «يا محمد، أبشر فقد نشرت في الكائنات أعلام علومك، وتباشرت المخلوقات بقدومك»، انتهى كلام الحبيب حسين بن حامد.

قلتُ وقد سمعت سيدي الحبيب محمد المحضار المذكور، يثني على صاحب الترجمة بأبلغ الثناء، في علومه وأعماله، وواردات أحواله، وكثيرًا ما يختم ذلك بقوله: إن الحبيب

محمد بن طاهر لما عزم على السفر من سربايا إلى التقّل، قد يظهر عليه شبه الاشمئزاز من ذلك، كأنه رأى شيئًا ولم يؤذن له في إفشائه.

ولما حان يوم السفر، خرج لمواعدته إلى محطة القطار الجمّ الغفير، فجعلت أصوّب نظري إليه، وهو إذ ذاك ممتلئٌ بالكمالات الظاهرة والباطنة، فوقع في قلبي أنه إما يحصل له اصطلام كسيدنا الفقيه المقدم، أو يتوفاه الله في هذه المدة، فكان انتقاله إلى الرفيق الأعلى عقب وصوله إلى التقّل بثمانية أيام، انتهى.



قلتُ: وكان الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي يسمي صاحب الترجمة أعجوبةَ الزّمان، والحبيب محمد بن صالح العطاس يلقبه بعدَني زمانه، والحبيب أحمد بن حسن العطاس يقول: محمد بن طاهر بحرٌ ماله ساحل. والحبيب علي بن محمد الحبشي يقول: محمد بن طاهر غلام الساعتين، أي رجل الدين والدنيا. والحبيب أبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين، نزيل حيدرآباد، يقول: إني تحققت ولاية الحبيب محمد بن طاهر بخصلتين: العلوم التي يفيضها الله على لسانه بأحسن تعبير، وهَوان المال عليه زهدًا في الدنيا. وأنشد في ذلك شعراً:

يا ابن طاهِر محمدْ يا حميد المسَاعي

يا شريفَ النسب يا مَن إلى الله داعي

عصْمة الدين وأَهْله من ضلال أو ضَياعِ

سيد الأصفياء من غير خُلْف أو نِزاعِ

حجّة الله بالمعقُول أو بالسّماعِ

وارث السرّ من أسْلافك الغُرّ واعي

صَـولة الـدين لا المنْـذِر ولا ذي الكـلاعِ

مـن جـلال الولايـةْ كالمليـك المطَـاعِ

ومن أجلّ أشياخ صاحب الترجمة: الحبيب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار، والحبيب عمر بن حسن الحداد. فهؤلاء الثلاثة هم سلم رقيه، والآخذون بيمينه إلى المراتب العلية. وإلا فأشياخه كثيرون.

كما أنّ مريديه لا يحصون، فإنه لما اتّسعت معارفه، وفاضت عوارفه، تهافتت عليه الخليقة، من طلاب الشريعة والحقيقة، وخطب ودّه الأعيان في كل مكان، وأذن له في نشر الدعوة إلى الله للخاصة والعامة، وفتح عليه في الوعظ البليغ، والأسلوب الحكيم، فأقبلوا عليه وأحبوه، بعد أن سمعوا النداء من قبل الحق جَلَّ وَعَلَا: «**إنّي أحببت فلانًا فأحبوه**».



وها أنا أعرج بالقارئ، وقفة المستفهم، على «نيل المراد من تلخيص مناقب الحبيب الإمام محمد بن طاهر الحداد»، لصاحب «التاج»، في نحو كراس، وهي التي تقرأ الآن عند ضريح صاحب الترجمة يوم حول ذكراه من كل سنة. ومنها إلى «باكورة الثمر من مناقب الإمام محمد بن طاهر بن عمر»، ثم أنيخ بك القلوص عند «قرة الناظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر»، وكلتاهما لأخصّ مريديه، الحبيب العلامة عبدالله بن طاهر الحداد، وكل الصيد في جوف الأخيرة، فإنها ميدان حياة صاحب الترجمة، ومجمع وارداته، وحرز أشياخه وإجازاته، وفيها لمحبّيه ما تلذ الأعين، وتشتهي النفوس، ولا عطر بعد عروس.

وكانت وفاة صاحب الترجمة، الحبيب محمد بن طاهر المذكور، يوم الاثنين وثلاث عشرة خلت من شعبان سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف هجرية، ببلد التقّل من الجهة الجاوية، وقد أقام له الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي حولًا عظيمًا، أي ذكرى في يوم وفاته من كل سنة. ثم حذا حذوه ابن صاحب الترجمة وخليفته، الحبيب علوي بن محمد الحداد، الآتي ذكره بعد والده، وبنى على ضريح والده قبة تشعر بأنه مقدّم تلك التربة، وإلى جانبها مسجدًا لا يزال معمورًا بصلاة الجماعة في الأوقات الخمسة، كما أن القبة لا تزال معمورة بالزوار، وتلاوة القرآن الحكيم، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.



[الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة 1373هـ]

ومنهم الحبيب الذي خطبته المعالي وهو في مهده، ولاحظته العناية في تشميره وجده، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه بين أبيه وجده، علوي بن محمد بن طاهر بن عمر الحداد، إلى آخر نسبة أبيه وجده المذكورين قبله. وليد قيدون بحضرموت، وأحد أئمة السادة العلويين بجاوة، رضي الله عنه.

يعد في مقدمة الآخذين عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بالواسطة، وهو الذي أعبر عنه بالحبيب المشير، والعَضُد والنصير، لما له من مدد صاحب المناقب الخاص، والخدمة التي لا يقوم بها إلا خوّاص الخوّاص، وسيأتي شيء منها ولات حين مناص. تربى وتأدّب صاحب الترجمة بجده الحبيب طاهر بن عمر، وتهذب وتخرج بأبيه

الحبيب محمد بن طاهر، الآنفي الذكر، فقرأ عليهما الشيء الكثير، وسمع منهما الحديث والتفسير، وألبساه وأجازاه، وكان ريحانتهما في صغره، وخليفتهما في كبره. ثم تفقه على الشيخ العلامة المدقق أبي بكر بن أحمد بن عبدالله الخطيب، وليد تريم وخريجها ودفينها، حينما نقله والد صاحب الترجمة لوظيفة التدريس بقيدون.

كما أنه أخذ بالحظ الأوفر، من علوم القرآن، ومصطلح الحديث، وعلوم الآلة، وقرأ أيضًا على الشيخ الفقيه الصّوفي عبدالله بن أبي بكر المرحِّم، بضم الميم وفتح الراء وكسر الحاء المشددة، الخطيب، وعلى الشيخ الصوفي العابد عبود باطوق العمودي، وكلاهما من أهل بلده قيدون.

على أن والد صاحب الترجمة لم يكتف بهذا، بل أخذ لصاحب الترجمة وإخوانه عن أكابر عصره، ثم عزز ذلك بأن زار بصاحب الترجمة مدن حضرموت، ومآثر السلف، ليأخذ بها مباشرة عمن أدركهم، فأخذ عن الحبيب حسين بن محمد البار، الآتي ذكره في (هذا الباب) بالقرين، وعن الحبيب عمر بن هادون العطاس المتقدم ذكره في (الباب الخامس) بالمشهد، وعن الحبيب أحمد بن حسن العطاس المتقدم ذكره في (هذا الباب) بحريضة، وعن الحبيبين محمد وعمر ابني صاحب المناقب المتقدم ذكرهما في (هذا الباب) بعمْد، وروى عن الأول منهما حلّ الإشكال على غالب الناس في كيفية الإسراع في تلاوة القرآن الحكيم، كما تقدم في ترجمته.

وأخذ عن الحبيب عبدِالله، بكسر الدال، بن عمر بن سميط بشبام، وعن الحبيب عبدِالله بكسر الدال بن حسن بن صالح البحر بذي أصبح، وعن الحبيب عبدالله بن محمد الحبشي بحوطة الحبيب أحمد بن زين، المعروفة بخلع راشد، وعن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي المتقدم ذكره في (هذا الباب) بالغرفة، وعن الحبيب علي بن محمد

الحبشي المتقدم ذكره في (هذا الباب) بسيوون، وعن الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور مؤلف الفتاوى الفقهية «بغية المسترشدين» وجامع «شجرة أنساب السادة العلويين»، وعن الحبيب عيدروس بن علوي العيدروس، وعن الحبيب عبدالقادر بن أحمد الحداد بتريم، وغيرهم ممن يطول ذكرهم، ويتعذر حصرهم.

فتم إرشاده، وكمل استعداده، ثم بعد أن بلغه خبر وفاة والده بجاوة، استأذن جده الحبيب طاهر في السفر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، فأذن له في ذلك، بعد أن زوّده من الدعوات الصالحة، التي نال بها المتاجر الرابحة، فحج واعتمر، وزار صفوة مضر، زيارة بلغ بها السول والوطر.

وأخذ بأم القرى عن شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وعن سلمان أهل البيت الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، وعن مفتي الشافعية الحبيب حسين بن محمد الحبشي، الآتي ذكرهم في (هذا الباب)، وكان أخذه عن الأخير علاً على نهل، لأنه قد أخذ عنه بقيدون حينما زار الحبيب حسين المذكور الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وأجاز صاحب الترجمة مع زميليه في الطلب، وعضديه في بلوغ الأرب عبدالله وعلوي ابني الحبيب طاهر بن عبدالله الحداد، وأسمعهم حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وحديث جبرائيل.



وحين قرت عين صاحب الترجمة بتمام مقاصده، اشتاقت روحه إلى زيارة والده، فدخل جاوة ولسان حاله يقول: مأرَبٌ لا حفاوة. ولم يدر بأنها طور سيناه، وفيها باب فتوحه الذي طالما تمناه، فأتى البيت من بابه، ومرغ خدود الذل حول ضريح والده وأعتابه.

وهناك لباه شيخ فتوحه، المفوضة إليه تربية جسده وروحه، حتى نفخ فيه من روحه، الحبيب محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي، المتقدم ذكره، بعد أن حياه وبياه، وقال له: كن أبا خيثمةَ فإذا هو إياه، ثم جعله وزيره في الحياة، وخليفته بعد الوفاة. فبينما صاحب الترجمة يشمر عن ساعد الجد، ويتأهب لذلك ويستمد، إذا هو بشيخ رسوخه، الحبيب محمد بن أحمد المحضار، الآتي ذكره في (هذا الباب)، آخذ بيده الأخرى، فجعلا يقودانه إلى منصة الخلاف الكبرى.

فقرأ عليهما فنونًا كثيرة، وتلقى عنهما الأخلاق النبوية والسيرة، علمًا وعملًا وسريرة، ولحرصهما على كمال الاتصال، وتلازم حلقات الوصال، قرناه ببنت الثاني لكونها سبطة الأول، فتمت له عند ذلك بهما النسبتان الدينية والطينية، ثم نقلاه بعد رسوخ قدمه من رتبة التلمذة إلى بساط المكالمة والمنادمة، فدارت بينه وبينهما مكاتباتٌ ومشاعراتٌ، ضمنها إشارات ومبشرات، وقرت عينهما به في الحياة وبعد الممات، وما أجدرهما بما قيل فيمن بلغ رتبتهما:

أي شـــيء فـــات مـــن أدركهمـــا والـــذي فاتـــاه أدرك أي شـــيء

غير أنه ما كاد شيخ فتوحه ينتقل إلى الرفيق الأعلى، إلا والحبيب عبدالله بن محسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، يدفع صاحب الترجمة من ورائه إلى علوم الحقائق، وبيان الطرائق. فلازمه صاحب الترجمة، وأخذ عنه، ولبس منه، وخدمه، وجمع الشيء الكثير من كلامه، وواردات أحواله، وحلَّل مشكلات الوارد المطلق منها، كما هو معروف لدى الصوفية، أهل القريب والخصوصية. وهو أوّل من اعتنى بذلك، ووفق لما هنالك.

وله مع شيخ رسوخه، وشيخ تحقيقه، رقائق ممزوجة بحقائق، ذكرت نزرًا منها في ترجمتهما من (هذا الباب)، كما أن شيخ فتوحه لا يذكر اسمه، ولا يناديه إلا مصدّرًا ذلك بلفظة الحبيب، ويأمره بالمشي أمامه، تنبيهًا على رفعة قدره وعلو شأنه، ثم صرح له قبيل وفاته بأيام، بما كان وسيكون من أمره، في أبيات كانت خاتمة شعر شيخه المذكور، وهذا نصها:

قابِـل الوقْــت وأمــا الشَّــوشْ طالعُــه غيّــبْ
والصــفَا طابَــت أيامُـــه ونَـــود الصَّـــبا هَـــبّ
للـــذي بـــا يسَـــافر في شَـــمال أو في اَزْيَـــبْ
ذه إشـــاراتْ يـــا عَلْـــوي إليهـــا تقـــرّبْ
يـوم لـك مـن شَـراب أهـل الهـوَىٰ عـزّ مشـرَبْ
أهـــل وقتـــك يراعُونَـــك علـــىٰ كـــل مَـــذهبْ
أبشــر أبشــر بمــا تقصــده مــن كــل مطلــبْ
أنـــت مخطـــوب للســـر العجيـــب المحجّـــبْ
لـــي تأهلْـــت لا تـــنْسَ البعيـــد المغـــرّبْ
جـــد بـــدعوة إذا غـــاب الســـبب والمســـبّبْ
فـاِنّ ذا شـرط عنـد أهلـك لمـن كـان قـد حـب
مـــن ركـــب مـــنهم نـــادىٰ لمـــن راد يركـــبْ
يــا اَهْــل وُدّي عســىٰ نظــرة تجينــا مِــن الــرّبْ
توصِـــل المنقَطِـــع عنـــد الحبيـــب المقـــرّبْ

وروى زميله في الطلب، الأخ العلامة الحجة عبدالله بن طاهر بن عبدالله بن طاهر الحداد المذكور، في كتابه «قرة الناظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر»، في ترجمة صاحب الترجمة: أن الحبيب حسين بن محمد البار، كان يقول: إن حركات الحبيب علوي تدل على أنه يحس بشيء من نفسه. وعلق عليها الأخ عبدالله بقوله: «ويا لها من فراسة صادقة»، انتهى. **قلتُ**: وفي الحديث الشريف: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[1]، أي يشاهد حقائق الأشياء.



عدنا إلى رواية الأخ عبدالله بن طاهر المذكور، ذي السعي المشكور، قال: «وكان جده الحبيب طاهر بن عمر يلقبه بعلوي السر، ملاحظًا في ذلك سر سيدنا الإمام علوي بن الفقيه المقدم»، انتهى. **قلتُ**: وهكذا كان شيخ فتحه الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، كما أن عمي جعفر بن محمد العطاس، الآتي ذكره في (هذا الباب) يدعوه بعلوي سُمَل.

وروى أيضًا الأخ عبدالله بن طاهر بن عبدالله المذكور: أنه لما جرى ذكر صاحب الترجمة بحضرة الحبيب علي بن محمد الحبشي، الآنف الذكر، قال: فيه ما في والده، يعني من السر. **قلتُ:** وكان شيخ فتحه الحبيب محمد بن عيدروس المذكور، كثيرًا ما يقول له: يا ولدي، إنها واتتك أمور، لم توات والدك.



ومما رواه الأخ عبدالله بن طاهر المذكور: أن الحبيب حسين بن حامد المحضار الآتي ذكره في ترجمة والده الحبيب حامد، لما ذكرت عنده نقابة السادة العلويين، والاحتياج إلى تجديدها. قال: إن المتأهل للنقابة اليوم هو علوي بن محمد الحداد، يعني لاستكمال شروطها في صاحب الترجمة، انتهى المراد من رواية الحداد، عن السادة

---

(1) أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمجاد، في حق صاحب الترجمة المبرهِن للرأي العام على كمال الاستعداد.

قلتُ: وليتنبه القارئ إلى ما سيأتي في ترجمة شيخ رسوخه، الحبيب محمد بن أحمد المحضار من (هذا الباب): أنها كانت بين الحبيب محمد المذكور والإمام يحيى بن محمد حميد الدين، إمام اليمن، مكاتبات ومشاعرات، ومراسلات ودية، تنبئ عن معرفة كل منهما بمرتبة الآخر العلمية والعقلية. وكان الإمام يحيى يتمنى أن يفد عليه الحبيب محمد، وإني قلت يومًا للحبيب محمد: لو قدمتم عليه، لكان في ذلك منافع عظيمة خاصة وعامة. فقال: أما أنا فلا يمكنني ذلك، يشير إلى أنه في وظيفة الدرك بجاوة، على أني لا أحب أحدًا ينوب عني في مقابلته، إلا أحد العلويَّين، أي بصيغة المثنى، يعني علويًا ابن صلبه، وعلويًا صاحب الترجمة، ابن روحه.



[بقية شيوخه في جاوة]

رجعنا من الثناء على صاحب الترجمة، إلى تنظيم عقد أشياخه بأسانيده المحكمة. وممن أخذ عنهم بجاوة: الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب) بباكلنقان، ومن مقروءاته عليه: ما حدثني به صاحب الترجمة، قال: قرأت عليه «رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي»، ملاحظًا في ذلك التعرض لدعوة مؤلفها، حيث يقول: «فمن عرفها وعمل بها، نرجو الله أن يكون من أهل العلم ظاهرًا وباطنًا»، ومنها: «عقد اليواقيت» للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، و«رسالة مبسوطة» من الحبيب أحمد بن حسن العطاس للشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، إلى مكة، تشتمل على إرشادات ثمينة. وأخذ عن الحبيب أبي بكر بن عمر بن يحيى بسربايا، وعن الحبيب عبدالقادر بن علوي السقاف بالطوبان، وعن الحبيب عبدالله بن علي الحداد ببانقيل.

⸻

[«دعاء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ»]

وعن الحبيب عبدالقادر بن أحمد بن قطبان بموجوكرتو، وأجازه في «دعاء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ». **قلتُ:** وهذا نصه على ما في «المسلك القريب»، للحبيب طاهر بن حسين بن طاهر:

«**اللهم** كما لطفتَ في عظمتك فوق اللطفاء، وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشكَ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندكَ، وعلانية القلوب كالسر في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدكَ، اجعل لي من كل هم أصبحت فيه فرجًا ومخرجًا. **اللهم** إن عفوك عن ذنوبي، وتجاوزك عن خطيئتي، وسترك على قبيح عملي، أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منكَ، مما قصرتُ فيه. أدعوك آمنًا، وأسألك مستأنسًا، وإنك المحسن إليَّ وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينكَ. تتودّد إليّ بالنعم مع غناك عني، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليكَ، فجُد بفضلك وإحسانك عليَّ، وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم».

وقد تقدم «استغفار الخضر» أيضًا في ترجمة الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس من (الباب الخامس)، كما تقدم شيء من صفته في ترجمة والدي الحبيب حسين بن محمد العطاس من (هذا الباب).



وأخذ صاحب الترجمة عن الحبيب سالم بن علوي الجفري بمنَادو، وأخذ أيضًا بجاوة عن الحبيب المعمر عيدروس بن حسين بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد العيدروس وليد بلدة الحزم بحضرموت، ودفين حيدرآباد بالهند، يوم الاثنين الثالث عشر ربيع الثاني سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية، وأحد العلماء القائمين بنشر

الدعوة العامة إلى الله، وعن الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور التريمي، حينما زار كل منهما جاوة.



وأخذ عن الشيخ المعمر عبدالقادر بن علي شويع، وليد خلع راشد بحضرموت، ودفين شربون بجاوة. وكان الشيخ عبدالقادر المذكور قد أدرك الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، والحبيب حسن بن صالح البحر، والحبيب أبابكر بن عبدالله العطاس، وأخذ عنهم مباشرةً.

قلتُ: ولصاحب الترجمة في أخذه عن الشيخ عبدالقادر المذكور واقعة حال، تدل على إدلال الشيخ عبدالقادر عليه، واغتباطه به. حدثني بها صاحب الترجمة نفسه. قال: كان الشيخ عبدالقادر زائرًا عندي في البيت. فقال لي في بعض الأيام: يا علوي شفنا شيخك غصباً عنك!. فقلت له: أما غصباً عني فلا، ولكن أنت شيخي بالاختيار، انتهى.

قلتُ: وكأن صاحب الترجمة يلاحظ في ذلكَ قواعد الأخذ المعروفة عند أهله، حيث يقول الشيخ للمريد: رضيت بك مريدًا، فيقول المريد للشيخ: وأنا رضيت بكَ شيخًا، انتهى.



ثم اتجهت إلى صاحب الترجمة أنظار الأعيان من كل مكان، فصار المشار إليه بالبنان، وعند ذلك اتسعت عليه وله دوائر الأخذ والإلقاء، من حيث الإجازة والإلباس والتحكيم، مباشرةً ومراسلةً. فلا يكاد يودّع شيخًا حتى يستقبل مريدًا، ولا يختم رسالةً إلا ويفك غيرها، ولا يجيب على مديحةٍ إلا وتنشد بين يديه أخرى، وكلها بحمد الله مدونة في «مكاتباته» و«ديوانه»، نثرًا ونظمًا.

كما أن الأخ العالم الناسك محمد بن سقاف بن زين بن محسن الهادي، وليد تريم وخريجها، ونزيل بوقور الآن. قد جمع من كلام صاحب الترجمة جملًا تذهب بقارئها إلى قارعة الطريق، التي سلكها جده الأكبر سيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، وهناك يرى القارئ صاحب الترجمة يضع القدم فوق القدم، ولم يستفزه كثرة المظاهر، كما أنه لم يغتر بثناء الأكابر. ولا عيب فيه إلا أنه جبل على الخلق الحسن، وعجنت طينته بحسن الظن، على أنه ليس بالخِب ولن.

ومن مميزاته الخاصة عن أقرانه، وعظماء عصره وزمانه، أن روحه الزكية تكون مسلطة على روح كل من لقيه منهم، يصدق عليه قول الشاعر:

لــه طأطــأتْ أعناقَهــا كُمّــلُ الــورَىٰ ولــم يُــر مــنهُم مــن أبَــىٰ وتكبّــرا

فكان في لطف إشاراته، وبلاغة عباراته، سرٌ من قوله تعالى: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾.



قال زميله في الطلب، الأخ العلامة المحقق، علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد، الآنف الذكر، في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل من[1] تاريخ حضرموت» عند ذكر بلد صُبيخ وفضلائها، وإقامة الحبيب محمد بن طاهر والد صاحب الترجمة بها، إبان عمارته للجدفرة: «وكنا في غيبة شيخنا الحبيب محمد، نخرج كل يوم إلى بيت السيد الشريف الفاضل، حامد بن محسن العطاس، يعني الآتي ذكره في (هذا الباب)، فنطالع معه، وكان حسنَ الخط، له مجموعاتٌ كتبها بيده، وكان شحيحًا على كتبه، شحًّا تجاوز الحدّ، حتى أنه يغار أن يمسها أحدٌ بيده، وكنا بحرص الطلب ذلك العهد والرغبة على الاطلاع، نحب أن نراها، فلم يستنزله عنه تمنعه إلا الأخ علوي بن محمد، بسجاحة

(1) كذا في الأصل، الصواب: في، (مصحح).

أخلاقه، ولطف مدخله، والقبول الذي جعله الله له في القلوب من صغره»، انتهى الشاهد الكامل من «الشامل».

قلتُ: ولكثرة البخلاء في زمان صاحب الترجمة، يكون عليهم كما يقول العوام: «مثل البندق على الهام»، أي الثعبان، فإنه لا يخطئه أبدًا.



[مآثره وأعماله الخيرية]

وبالجملة؛ فهو في مقدمة الذين يتعجب ربنا منهم، حينما يقودون الناس إلى الجنة بالسلاسل، وبهذه الخصوصية استطاع بناء المساجد، ومآثر السلف بالجهة الجاوية، وبناء رباط العلم ببلده قيدون من الجهة الحضرمية، وجمع له مالًا، واشترى به عقارًا بجاوة، تصرف غلته على طلب العلم المقيمين بالرباط المذكور.

وجمع أيضًا لرباط تريم في الوقت الأخير، الخير الكثير من إندونيسيا، كما أنه جلب الماء الكافي لبلده قيدون، من المسافة البعيدة، الذي إذا رآه من عرف قبل ذلك حالة أهل قيدون لا يسعه إلا أن يقول: سبحان من يقول للشيء كن فيكون.

ومن ذلك أنه قد بنى قبة عظيمة على ضريح والده بالتقل، ومسجدًا قريبًا منها، وقام بوظيفة الحول، أي المأتم السنوي الذي رتبه شيخ فتوحه الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي المذكور، على ضريح والده الحبيب محمد بن طاهر، في اليوم الخامس عشر من شعبان في كل سنة، أتم القيام، كما تقدم في ترجمة والده.

وبنى أيضًا قبة من الطراز الحديث، على ضريح شيخ تحقيقه الحبيب عبدالله بن محسن العطاس المذكور ببوقور، ومسجدًا جامعًا في حدود تلك البلدة، وله اليد الطولى في عمارة جامعها الكبير، كما أنه جدد عمارة مسجد الشيخ إبراهيم الشريف الحسني العلوي بالطوبان، المعروف عند الوطنيين (سُنَن بونوغ)، وغير ذلك.

قال الأخ العلامة عبدالله بن طاهر المذكور، في كتابه المذكور، من أثناء ترجمة صاحب الترجمة، وعمله المبرور: «وكان روحًا لمساعينا في القيام بعمارة رباط قيدون، وعمارة العتم بها، وجمع الصدقات لهما. فهو المدير لهذه الأعمال، والقائم فيها بجمع المال، وما نحن إلا كأيدٍ عاملة له. **وبالجملة**، فهو نسخة من والده، ولا أعرف في العلويين ولا غيرهم مثله»، انتهى المراد من «قرة الناظر».

قلتُ: وقوله «العتم» أي مجري الماء، يعني بذلك جلب الماء إلى بلدهم قيدون، من المسافة البعيدة، وصرف المال الكثير عليه، وهو أول عمل نافع نفعًا عامًا خارقًا للعادة في بابه بحضرموت، وله حكايات لاستبعاد وقوعه بهذه الصفة، حلوة المذاق، مليحة السياق، يدفعني التاريخ إلى ذكر نموذج منها عند المناسبة، كما سيأتي ذلك في (باب الكرامات)، وهو الطور السابع من «تاجنا» هذا، في (الحكاية الخمسين)، إن شاء الله تعالى.



ولعل القارئ إذا وصل هنا، يسألني عن مقدار حصة صاحب الترجمة في ميراث أبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، من إكرام الضيف، وإطعام الطعام؟.

فالجواب على ذلك: أن بيت صاحب الترجمة هو كعبة الضيفان، ومفزعُ اللهفان، ومعشعش الأرامل والأيتام من مختلف البلدان، على أنه يعطي السائل فوق ما سأل، والمؤمل أكثر مما أمل، ولا يحوج أهل الفضل إلى السؤالِ، وشكاية الحال، ويؤثر على نفسه والعيال. **حكى** لي سيدي الحبيب محمد بن أحمد المحضار، الآنف الذكر، وهو يتبسم في وجهي كالمتعجّب، بعد أن جرى ذكر صاحب الترجمة بخصوص الثناء، قال: رأيته مر في مجمع المولد الذي كان يقوم به الوالد محمد بن عيدروس الحبشي، في آخر خميس من ربيع الأول ببوقور، وهو مُتَزِرٌ في عمامته، وكان عهدي به أن عنده ما يكفيه من

الصواريم، أي الأُزُر. فسألته عن ذلك؟ فقال لي: إني رأيت بعضًا من الإخوان في صواريم لا تليق بهم، فأعطيتهم ذلك، وما هو بالكثير في حقهم. فقلت له: يا ولدي، أما كرم إلى هذا الحد فلا!، انتهى كلام المحضار، الذي هو أكرم من السحاب المدرار.



قلتُ: وأعظم من هذا، أن صاحب الترجمة يرى المنّ لله، ثم للآخذ. حدثني الجمّ الغفير، من أهل الفضل: أن صاحب الترجمة إذا أراد أن يعطيهم شيئًا من المال يبسطه أولًا في يمينه، لتكون يد الآخذ هي العليا. فقيل له في ذلك؟ فقال: إني أحب أن تكون أيدي أهل الفضل هي العليا. **قلتُ:** وكأنه يستشعر عند ذلك الحديث الشريف: «**واليد العليا خير من اليد السفلى**»[1].



وحدثني صاحب الترجمة نفسُه، قال: لما عدت سيدي الحبيب محمد المحضار مع الأخ العلامة علوي بن طاهر الحداد، والحبيب محمد إذ ذاك في مرض موته، وخلوت به مع ابنه الأخ علوي المحضار، بكى بكاءً شديدًا، وقال: يا ولدي كلفناك أشياء، وذكر أمورًا، والمنة له عليّ في ذلك. ثم قال لي: وإني لأرجوك أن تكون كما قال أبو طالب:

* ثمال اليتامى عصمة للأراملِ *

فقلتُ له: إن الولد إذا برّ والده، إنما أدى الحق الواجب عليه، فالدعاء له أولى من الشكر، والذي أرجوه أن القرب منكم الذي يسّره الله لي هنا، يعني في الدنيا، يكون هناك، يعني في الآخرة معكم أيضًا، انتهى كلام صاحب الترجمة.



(1) متفق عليه، أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلتُ: والأمور التي تحاشا عن ذكرها صاحب الترجمة، هي أشهر من نار على علم، وأعظمها: قيامه بمؤن أولاد شيخ رسوخه، الحبيب محمد المحضار المذكور، القاطنين ببوقور، في حياة شيخه المذكور، وبعد وفاته. كما أنه خلف شيخ فتوحه الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، في أولاده خيرًا، ماديًا وأدبيًا، وجمع «ديوانه»، و«مكاتباته»، وشيئًا من كلامه، ونشر ذلك، ورغب فيه.



وأما موقف صاحب الترجمة العلمي، فهو المتحقق في درايته، المتثبت في روايته، فلا تزال القراءة عليه في أكثر أوقاته، إلا أن روحته العصرية تكون منتدى طلاب العلوم، وعكاظ المنطوق منها والمفهوم، لما أكرمه الله به من المدرك الواسع في الفقهيات، والمنزع اللطيف في الصوفيات، والذهن الوقاد في الذكريات.

غير أنه كان يتورع عن الإفتاء، فيحيله على من عنده من العلماء، لأنهم لا يزالون محيطين به سفرًا وحضرًا، كما أنه كان يتهم نفسه في العمل بالمسائل الخلافية، فيسألهم عن ذلك وهو عالم بها، ولكنه يستأنس بذلك، وكثيرًا ما يواجه الأسئلة إلى طلبة العلم كالمستفهم، تنشيطًا منه للظاهرين وتنويهًا بشأن الخاملين.

سمعته مرةً يقول لبعض طلبة العلم: إذا سألتك عن مسألة ما في حق نفسي، فعاملني بالأشد والأحوط. ثم التفت إليَّ، وقال: وأما في حق الغير فلا يسعهم إلا قول با مخرمة:

يا ابن سَالم ورَى القاضي يضيّقْ على الناسْ

ثم قال: وجزى الله الحبيب أحمد بن حسن العطاس عنا خيرًا، أنه أرشد العلماء المتأخرين إلى كتب المتقدمين، وحثهم على الرجوع إليها، وندبهم إلى نشر الأقوال والأوجه التي فيها الرفق بالضعفاء وأهل الضرورات، كما هو اللائق بمحاسن الشريعة الغراء، انتهى كلام صاحب الترجمة.

قلت: ويعني بقول با مخرمة، القصة المشهورة، وقد تقدمت برمتها في ترجمة الشيخ عمر با مخرمة، من أثناء ترجمة الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس في (الباب الخامس من «تاجنا» هذا.



كما أن لصاحب الترجمة في الدعوة إلى الله اللسان الرطب، والبيان العذب، فلما يأمر أحدًا بأمر من أوامر الشريعة المطهرة، أو ينهاه عن منهيّ، إلا وقبل قوله، وامتثل أمره، وصار يفتخر بذلك. **أخبرني** بعض أولاد السادة العلويين، المقيمين ببتاوي، قال: جئت مرة مع رفقائي إلى بوقور، في أيام عيد، ودخلنا على الوالد علوي بن محمد الحداد، لزيارته، وطلب الدعاء منه. ففرح بنا، وأكرمنا، وبعد أن رتب لنا الفاتحة، صافحناه للاستيداع منه، وكان في إصبعي خاتم من ذهب، فأسرّ إليّ الوالد علوي في أذني، بقوله: هل تحب النبي يفرح منك؟ قلت: نعم، قال لا تستعمل هذا. وتبسّم في وجهي. وحينئذ أحسستُ بكلمته تسري في مفاصلي، حتى وصلت إلى قلبي، فكرهت استعماله من ذلك الحين، وبعض ملابس كانت معي غير لائقة، وصرت أكره ذلك من غيري، ببركة الوالد علوي، انتهى كلام الراوي.

قلتُ: لأن صاحب الترجمة يخاطب أهل العلم بلسان الذوق، ويحدو العوام بأصوات الشوق. وفي «الحكم العطائية»: «كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه»، أي صبغة نية القائل، من إخلاصٍ وعدمه.

على أن صاحب الترجمة من المأذون لهم في الكلام. كنتُ مرةً بحضرة سيدي الحبيب محمد المحضار المذكور، فجرى ذكر أحد العلماء، واسترسل أحد الحاضرين في وصف ذلك العالم وفصاحته، فأشار الحبيب محمد إلى ذلك الإنسان بسبابته، وقال له:

يا هذا، إن ولدي علوي بن محمد الحداد، يتكلم بكل لسان. يعني أنه مأذون له في الكلام، انتهى.

قلتُ: ومع هذا وذاك، فقد كان صاحب الترجمة حليمًا عن البوادر، رحب الصدر للنقد الأدبي، رجاعًا إلى الحق بكل سرور. **سمعته** مرة يتحاور مع الأخ سالم بن محمد بن عبدالله العطاس، في شأن يتيمة عطاسية، كفلها صاحب الترجمة، ثم زوّجها بابنه.

وكأنها شكت على الأخ سالم بعض تقصير من الزوج، فكلم صاحب الترجمة في ذلك، وهو كالمستحي منه. فقال له صاحب الترجمة: ألصقني بالجدار، ببيان الحق ولك الفضل. أي: أقم عليّ الحجة، حتى لا تترك لي سبيلًا إلى المدافعة. ثم قام من حينه، وأزال المشكو منه، وأعاد المياه إلى مجاريها.

ومن خصوصيات صاحب الترجمة: أنه كان ممتلئ القلب بتعظيم الحضرة النبوية المحمدية، يتجسم فيه معنى قول صاحب «الهمزية»:

أنا حسّانُ مدحِكم فإذا نُحْـ ـتُ عليكم فإنني الخنسَاءُ

وسنختم ترجمته إن شاء الله بقصيدتين فريدتين من «ديوانه»، الأولى في الاستعانة بالحق، والثانية استغاثة بسيد الخلق.

كما أنه كان كثير الإجلال، لأسلافه أهل الكمال، حريصًا على نشر سيرهم الغراء، وإذا تكلم في شأنهم ملأ قلوب السامعين تعظيمًا ونخرًا، وكثيرًا ما ينتحب في آخر كلامه، ثم يختمه بقوله: **اللهم** لا تبلغهم من أخبارنا ما يسوؤهم، ولا تحملهم من أوزارنا ما ينوؤهم.

وأما مدده الخاص من صاحب المناقب، فما أظنه يغرب عن بال القارئ، ما مرّ في ترجمة جد والده، الحبيب عمر بن أبي بكر في (الباب الخامس)، من عقد الأخوة مع صاحب المناقب، وقول كل واحد منهما للآخر: أولادنا أولادكم، وأولادكم أولادنا. وكذا ما مر قريبًا في ترجمة جده الحبيب طاهر بن عمر، من كون روحانية صاحب المناقب ما زالت تتردد على الحبيب طاهر وأولاده. ثم ما مر أيضًا في ترجمة والده الحبيب محمد بن طاهر، من تنويه صاحب المناقب بشأنه. ومن اللازم، أن هذه الخصوصيات كلها قد تجمعت في صاحب الترجمة، حتى أنه قد عطس في بطن أمه، على ما في «قرة الناظر»، فحقه أن يلقب بالعطاس، لترادف الروابط الحسية والمعنوية بينه وبين صاحب المناقب. على أنه تقدم أول (الباب الثاني) من «تاجنا» هذا: أن لقب العطاس هو من خصوصيات أولاد الحبيب عقيل بن سالم بن عبدالله.

قلتُ: وقد وقع شيء في نفسي، حينما أشار عليّ صاحب الترجمة بخدمة هذه المناقب. وقلت في خاطري: لم تقدّم هذا الحبيب بهذه الإشارة، مع وجود من هو أحق منه بذلك من السادة آل عطاس؟ ثم إني لما رأيت ماله من الروابط المكينة، والصلاة المتينة، بصاحب المناقب، تحققت أن صاحب المناقب شجرةُ ثمرتِه، وأن صاحب الترجمة أحق الناس بذلك من أهله وعشيرته، وكنتُ قد اعتذرتُ إلى صاحب الترجمة في أول الأمر، بعدم الأهلية. وقال: سيمدونك السلف في ذلك، فقلتُ: ومع هذا لم تكن عندي مواد أستأنس بها. فقال: إني سأرسل إليك كل ما تطلب من الكتب التي عندي. وكان عنده الشيء الكثير من نفائس الكتب الخطية، وغيرها، لا سيما كتب السادة العلويين فقد كان يستنسخها من حضرموت وغيرها من البلدان، ولا يبالي ببذل المال في تحصيلها، وتعميم النفع بها.

وقد صدق حفظه الله في ذلك كله، فكان كلما طلبت منه كتابًا، وهو بمحل إقامته بوقور من الجهة الجاوية، يرسله لي إلى بتاوي، مع أحد طلبة العلم، في القطار السريع، ويدفع له أجرة الذهاب والإياب من جيبه الخاص، مع صعوبة المواصلة، وذلك حين احتلال اليابان لجاوة ثلاث سنوات ونصف، واعتقال الهولنديين فيها، كما أنه ألقى علي الشيء الكثير النفيسَ، مما رصعت به هذا «التاج».

ومما يجدر بالذكر من إرشاداته، مكتوبه لي، الذي أثبته في (الباب الثاني) من «تاجنا» هذا، في كيفية الإسراء بالأولياء. ومنها: أني مرة استشرته في تبديل عبارةٍ تُوهِم خلاف المقصود، فقال لي: سر مع العلم، ولا تتوقف في شيء. فكانت كلمته هذه عندي عصا موسى، أضربُ بها مشكلات الجمل.

وأما المدد السلفي، الذي بشرني به صاحب الترجمة، فحين كتبت أول ورقة من هذا «التاج»، رأيت ذات ليلة في المنام: كأني أمشي في طريق واسع، ثم ألتفت إلى خلفي، فإذا أنا برجل صاحب جمالٍ وجلال، يمشي خلفي، باسطًا يديه يمينًا وشمالًا، كأنه يحرسني من مزلة الطريق، فوقع في خاطري وأنا في النوم: أنه صاحب المناقب رضوان الله عليه. ثم انتبهت من نومي، وحمدت الله على ذلك.

وقد منّ الله عليّ بقراءة كتابي هذا على شيخنا صاحب الترجمة، من أوله إلى آخره، وأقرني عليه، فكنت إذا زرته إلى بوقور أقيمُ عنده ما شاء الله، فلا يأذن لأحد غيري بالقراءة عليه، سواء كان وقت الروحة العصرية أو غيرها، **اللهم** إلا عصر يوم الجمعة، فكان قد رتب فيه قراءة قصة المولد النبوي، للفضل الوارد في آخر ساعة من ذلك

اليوم، وإن كان هناك قصور أو تقصير، فهو من عنديات الحقير، ولا ينبئك مثل خبير. وكانت ولادة الحبيب علوي صاحب الترجمة، في رجب سنة تسع وتسعين ومائتين وألف هجرية.



وقبل أن يطالبني القارئ بالقصيدتين المشار إليهما بخاتمة الترجمة، فأقول: قال لا فضّ فوه، ولا بُرّ من يجفوه، في الاستعانة بالحق جَلَّ وَعَلَا:

[القصيدة الأولى]

عليكَ اعتمادُ العَبدِ يا مالكَ الأمرِ … وعلمُكَ كافٍ بالذي هُو في الصّدرِ

فبالفَضلِ والإحسَانِ والكَرم الذي … يجلُّ عن التَّعدادِ والحدِّ والحصْرِ

أقلْ عثْرتي واقبلْ بفضلكَ توبتي … وجُدْ لي بما أملتُ من جُودك الغَمْرِ

وقابلْ بأرواح القبول توجُّهي … إلىٰ السَّنن الموصُول والفتْح والنصْرِ

وحاليَ حوِّلْهُ إلىٰ خير حالَةٍ … بجودك يا ذا الحَول والطَّولِ والبرِّ

وصفِّ من الأغيَار سرّيَ إنّه … تكدّرَ من كسْبِ المعَايبِ والوِزْرِ

ومن علمِكَ المكنونِ هبْ ليَ ذرّةً … بها أرتقي مرقَىٰ الجهابِذَة الغُرِّ

ومن سرك المصُونِ عن غير أهْلِه … أنلْنيَ حظًا سرُّه أبدًا يسْري

وصبَّ علىٰ قلبي شَآبيبَ رحمةٍ … لكي يحيَ من مَوت الذنُوب مدَىٰ الدّهر

ومن كلِّ داءٍ فاشْفني باسمِكَ الذي … شُفيتَ به أيّوبَ من ألم الضُّرِ

بحرمَة طه المصْطفىٰ سيدِ الورَىٰ … محمدِ المحمُود في محكَم الذكْرِ

عليه صلاةٌ تشمَلُ الآلَ بعْدَه … وأصحابَه والتابعينَ إلىٰ الحشْرِ

[القصيدة الثانية]

وقال لا شُلّت يداه، ولا كَلّت مُداه، في الاستغاثة بسيد الوجود العظيم الجاه:

علـــىٰ الله في كُـــلِّ الأمُـــورِ توكّلُـــوا	ومنـــهُ الـــذي تَرْجُونَـــه الكـــلَّ فاسْـــألوا
أنيبـــوا أجيبُـــوا داعـــيَ الله واسْـــمَعُوا	لمـــن بالهـــدَىٰ والحـــقِّ والنّـــور[1] مُرْســـلُ
محمّـــدُ خَيـــر الخلـــقِ طُـــرًّا وسَـــيدُ الـــ	ـــنّبيينَ خَـــتمُ المرسَـــلينَ وأوّلُ
هـــو المنـــةُ العُظْمَـــىٰ هـــو الرّحمـــةُ التِـــي	لسَـــائرِ أهْـــلِ الكَـــونِ بـــاللطف تَشْـــملُ
هـــو المصْـــطفَىٰ بحـــرُ المكَـــارم والوَفـــا الـــ	ـــحَليمُ الكَـــريمُ المحسِـــنُ المتفَضـــلُ
حبيـــبُ إلـــهِ العـــرْشِ مختَـــارُه مِـــن الـــ	ـــذِينَ بفضْـــلِ الله في الخلْـــقِ كُمّلُـــوا
وفيـــهِ علَيـــه الله صـــلىٰ ودائـــعٌ	مـــن السّـــرِّ عنْهـــا عَقـــلُ ذي العقْـــلِ يُعْقَـــلُ
حبَـــاه إلـــه العَـــرْشِ قُربًـــا ورُتبـــةً	مُعظّمـــةً عنْهـــا الأكَـــابِر تَنـــزِلُ
وأولاهُ مَـــا لـــم يُولِـــه قبـــلُ مرسَـــلًا	بمنّتِـــه والـــربُّ مـــا شـــاءَ يفْعَـــلُ
برُتبَـــةِ أو أدْنَـــىٰ حبـــاهُ وحبّـــذَا	حِبـــاءُ الـــذي مـــن حيـــثُ مـــا شَـــاء يجعَـــلُ
وكلمـــهُ المـــولَىٰ كِفاحًـــا وعنْـــهُ قَـــدْ	تـــأخّر جبريـــلُ الأمِـــينُ المبجَّـــلُ
وأرسَـــله بـــالنورِ والعِلْـــم والهـــدَىٰ	وشْـــرع سَـــما إجمالُـــه والمفَصّـــلُ
بـــه قـــد شـــفَىٰ الله الصّـــدورَ ونـــوّر الـــ	ـــقُلوبَ وأجْلَـــىٰ الـــرّينَ والـــرينُ مُعضِـــلُ
وكَـــم للحبيـــبِ المصـــطفَىٰ مِـــن فضَـــائل	وكَـــم مُعْجـــزاتٍ عنـــه تـــروَىٰ وتُنقَـــلُ
هـــو الشـــمسُ نـــورٌ للوجُـــودِ وأهْلِـــه	هُـــو الملتجَـــأُ يَـــومَ الخلائـــقُ تَـــذْهلُ
فأحمـــدُ بـــابُ الله مِـــن غيـــرِ مِرْيـــةٍ	ومِـــن بَابـــه مـــن يطلُـــبُ القـــرْبَ يَـــدخُلُ
فيـــا خيـــر خلـــقِ الله جُـــدْ لـــي بنَظْـــرةٍ	معَجّلـــةٍ إني بـــذَنبي مثْقَـــلُ

---

(1) في نسخة: الفوز، ينظر «بهجة الخاطر»: (290/1).

وبـي سـقَمٌ في الجسْـم والقَلْـبِ سيّدي ... وعنـدَكُم طِبّـي فمنّـوا وعَجّلُـوا
وإني مسـيءٌ مـذنبٌ ومقصِّـر ... وأنـتَ الرجَـا يـا سـيدي والمؤمّـلُ
تشـفّعْ إلـىٰ مـولاكَ في نيـلِ كـلِّ مَـا ... أرومُ وعنّـي مَـا أحـاذِرُ يَرحَـلُ
فلـيسَ لنـا إلاكَ يـا سـيدَ الـورَىٰ ... لـدَىٰ اليُسْـر والإعْسَـارِ ملجـأ ومَعقِـلُ
نلـوذُ بكُـمْ في كـلِّ أمْـرٍ ينُوبُنـا ... ومـنكُم إلـىٰ المـولَىٰ الشـفاعةَ نسْـأَلُ
ولسـنا بمُصْـغينَ المسَـامعَ للعِـدا ... وإن قصّـروا في العـذلِ جَـلًا وطوّلـوا
تحيـرتُ فيمـا رمـتُ يـا سـيدَ الـورَىٰ ... ولـم أدرِ فيمـا نَـابني كيـفَ أفعَـلُ
فمُـدَّ إلـىٰ قلبِـي أشِـعّةَ نُـورِك الـ ... ـمُبين ليجْلَـىٰ الـرانُ والقلـبُ يُصْـقَلُ
وتمطُـرَ قلبـي مـن بحـاركَ ديمَـةٌ ... بهـا القلـبُ ممـا يوجِـبُ البعْـدَ يُغسَـلُ
مضَـىٰ العمْـرُ في سَـهوٍ ولهـوٍ وغفلـةٍ ... ومَـا اسـطَعْتُ عنهـا سـيدي أتحـوّلُ
فحالـةُ هـذا الوقـتْ يـا سـيدي كَمـا ... تـرونَ لمـا فيهَـا مـن الخـوفِ تُـذهِلُ
تنكّـرَتِ الأحْـوالُ فيهـا علَـىٰ النُّهَـىٰ النهـىٰ ... إذا مـا تقضَـىٰ مشـكِلٌ جـاءَ مُشـكلُ
ولـيسَ لهـا إلا اعتنَـاكُم وكـلُّ مَـا ... بـه تُعْـنَ في الحـالين يقضَـىٰ ويحصُـلُ
ولـي صَـاحبٌ أرجُـو لـه منـكَ نظْـرةً ... بهـا بكـمُ يـا سـيدَ الرسْـلِ يوصَـلُ
فقـد حبّنـا مـن أجلِكُـم ولـوُدِّكم ... وقـامَ بمـا نـصَّ الكتـابُ المنـزّلُ
فقـلْ لـي بِـلا أمْـرِ عَليـكَ تنـالُ والـ ... ـمحبُّ الـذي ترجونَـه وتؤمِّلُـوا
هـو ابـنُ سـعيدٍ أصْـلحَ الله بالَـه ... ولا زالَ في الحـالاتِ طُـرًا مجمَّـلُ
تفضّـلْ علينَـا يـا كـريمُ بنَظْـرةٍ ... بهـا في الـذي نَـالوا السّـعادةَ نـدْخُلُ
عليـكَ صـلاةُ الله يـا أكْـرَمَ الـورَىٰ ... صـلاةً بهـا نُعطَـىٰ ونَحْظَـىٰ ونُوصَـلُ
عليـك صـلاةُ الله يـا خَيـرِ مرسَـلِ ... صـلاة بهـا نَـدنُوا إلـيكُم ونُقبَـلُ
عليـكَ صـلاةُ الله ثُـمَّ سَـلامُه ... وآلِـك والأصْـحابِ مـا هـبّ شَـمأَلُ

وكانت وفاة صاحب الترجمة، الحبيب علوي المذكور، صباح يوم الخميس، لثلاث وعشرين مضت من محرم، سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية. ودفن في اليوم الثاني بعد صلاة الجمعة، واحتشاد الجماهير من أنحاء أندونيسيا لتشييعه والتبرّك بلثم ثرى آثاره، في قبة شيخه العارف بالله عبدالله بن محسن العطاس، مما يلي رجليه، بمدينة بوقور من جاوة الغربية، وكان هذا آخر عهدي به، حين ألحدته في مقره البرزخي، ولا ينبئك مثل خبير.



وكان من عادة صاحب الترجمة إذا أراد القيامَ حين كبر سنه، يقول: يا آل باعلوي، نظرة إلى حسين وعلوي. يعني بذلك نفسَه، وأخاه الشقيق الشفيق، المنزل عنده منزلة الصديق، في الجمع والتفريق، حسين بن محمد، الحبيب الصفوة، الجامع بين العلم والحلم والفتوة، وأحد ملامتيين الحال، المأذون لبامخرمة برفع الستار عن صفاتهم بقوة، حيث يقول:

مـن مَعـه كنْـز غطّـئ الـزَّينْ منّـه ومـوّه

واَظْهـر انّـه قليـل الخيـر خيَّـاب جُـوَّهْ

خِيفَـة اَهْـل الـدعاوي والكـلام المشَـوَّهْ



وعلى ذكر قول الحبيب علوي: نظرة إلى حسين وعلوي. كنتُ مرةً عنده في بيت خلوته من الناس، المسمى أنيسه، على حافة نهر بوقور، أقرأ عليه في هذا «التاج»، فلما أراد القيام لبعض شأنه، قال: يا آل باعلوي، نظرة إلى حسين وعلوي.

فقلتُ له: وأنا؟ فقال: إنك إلى خير يا أم سلمة! وتبسّم في وجهي، يشير بذلك إلى حديث أهل الكساء، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ

﴿ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ۝٣٣﴾، قالت أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: نزلت هذه الآية في بيتي، وأنا جالسة عند الباب، وفي البيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليٌّ وفاطمة، وحسن، وحسين، فجللهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكساءٍ، وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذْهِب عنهم الرجْسَ وطهرهم تطهيرًا**». قالت أم سلمة: فأردت أن أدخلَ رأسي معهم، فمنعني النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**إنك إلى خير يا أم سلمة**»[1]، انتهى.



وفيه يقول أخوه الحبيب علوي من قصيدة طويلة يستغيث فيها بوالده:

وعلــىٰ ســيدِ الوجُــود فأعرِضْــ ... ـني لــتملأ مــن نُــورِه مِشْــكَاتي

يشــرحُ الصَــدرَ يَــأتِي الفَــتْحُ والنّــ ... ـصْرُ وفي القرُبــات تمضِــي حيَــاتي

والمحبــينَ والمــوالينَ جمعًــا ... وعيَــالي يــا سَــيّدي وبنــاتي

والشــقيقَ الشــفيقَ أعنِــي حســينًا ... صَــادقَ الــودِّ صــاحبَ العزَمــاتِ

الحبيــبُ القرِيــبُ حِسًّــا ومعنًــىٰ ... المنيــب الأديــبُ خَيــر مُــواتِي



وكان والدهما يقول فيهما: من بايعالم معنا علوي، ومن بايحاسن معنا حسين. أي: من أراد أن يفتخر علينا بعلمه، فسوف نناظره بعلوي. ومن أراد أن يفتخر علينا بمحاسن الأخلاق، فسنعارضه بحسين. فأصبحا لأهل عصرهما المثل الأعلى، كما قال، ولا شك أن هذا ممّا أطلع الله والدهما عليه في عالم الغيب، وأذن له بالتحدث به.



(1) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد وغيره.

[الحبيب حسين بن محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة 1374هـ]

ولنرجع من الشاهد، إلى شمائل الحبيب حسين المشاهد، وعضد شقيقه والساعد، ونقول: تربى الحبيب حسين بجدّه الحبيب طاهر بن عمر، وأدرك حظه الوافر من تصويب نظر والده إليه، وعنايته بإصلاح باطنه قبل ظاهره. وتهذب وتخرج بالحبيب علوي، الذي نحن نسميه أخاه الأكبر، بخلاف الحبيب حسين فإنه يسميه والدَه، وسمعه والبصر.

وإذا رأينا ما أودعه الله في قلوب هذين الأخوين من الشفقة، والمحبة لبعضهما، واحترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير، ثم استعرضنا التاريخ، بعد أن نقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. نجد خصوصيات المولى في عبيده تتكرر بتكرّر الأزمان، إلا أنها لا تكون إلا على سبيل الندور لعزتها، فهذا سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، توقف عن قبول مقام النبوة، وكاد يؤثر به أخاه هارون. حتى قال الحق جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣﴾، إلى آخر ما حكاه القرآن الحكيم عنهما.

وأقرب من هذا وهو المطابق للواقع هنا ما كان بين الحبيبين الشهيرين طاهر وعبدالله ابني الحسين بن طاهر، المتقدم ذكرهما في (الباب الرابع) من «تاجنا» هذا، وسنعيد شيئًا هنا مما نقلناه عن «عقد اليواقيت»، ليعرف القارئ إن خصوصيات المولى لا تزال موجودة في عبيده، إلا أنها لا تكون إلا في المختارين من البشر، وليقس على ذلك مما هو كائن الآن، بين الحبيب علوي وأخيه الحسين، ثم ليقل سبحان من خلق هذين الأخوين، وخلق كم من أخوين متطاحنَين!.

قال الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي في كتابه «عقد اليواقيت»: «وأخذ الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر أخذًا تامًا عن أخيه سيدنا وشيخ مشايخنا الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر، وسمع منه، وقرأ عليه الشيء الكثير. وكان يقول: مذ نشأت وتربيت مع أخي طاهر، لا أعلم أني تقدمت عليه، حتى في حال الصبا واللعب، ولا علوتُ سطحَ مكانٍ كان الأخ طاهر نازلًا تحته»، انتهى المراد من «العقد».

ونزيد القارئ على قول الحبيب عبد الله بن حسين: أن الحبيب حسين الحداد لا يستند بحضرة أخيه الحبيب علوي، حتى إلى الجدار، ولا يتكلم في مجلسه إلا إذا سأله، أو أمره بالكلام، مع أنه حلو الحديث، خبير بالزمان وأهله، ولا يستدبره إذا خرج من عنده. ولما استقر ببلدة جُمبان، من جاوة الشرقية، صار يزور الحبيب علوي إلى مدينة بوقور، ويجلس عنده الشهرين والثلاثة والستة، ذاهلًا عن أولاده وتجارته، ومكانه وضيفانه. ولا يستأذن في الرجوع إلى جمبان حتى يأمره بالعود. وهكذا كان حاله مع أخيه.

وقبل أن يسأل القارئ عن بقية أشياخ الحبيب حسين المذكور، نقول له: إن له الأخذ التام عن جلّ أشياخ أخيه الحبيب علوي، المار ذكرهم، مع المعرفة التامة بمراتبهم العلية، وعلومهم اللدنية، والانطواء المحض فيهم، وكلّهم يشيرون إليه بالسر والخصوصية، وينعتونه بنزاهة القصد والنية.

كما أنه كثير الاهتمام بحفظ سيرهم، ونشر شمائلهم، ولا عيب فيه إلا أن سيره إلى الله كله قلبي، ومن هنا يغلط في وصفه أكثر الناس، فمنهم من يصفه بالكرم، ومنهم من يصفه بحسن السيرة، وصفاء السريرة، ومنهم من يصفه بدماثة الأخلاق، والمغناطيس الجذاب،

والحقّ الذي لا لبس فيه: أنه من الجبال المعنوية، التي وطد الله بها الأرض، وجمع بينها وبين الجبال الحسية، بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾. فتارة تجده في صف القائمين الليل، التالين لكتاب الله. وأخرى تراه في ميدان التجارة، يبيع هذا ويشتري ذاك، ويراسل زبائنه إلى البلدان الأخرى. وحيناً بين الأضياف، يقر بهم ويذكرهم بأيام الله على بصيرة. وإذا نظرت إليه من طرف خفي، وجدته يواسي المحتاجين، من غير أن يشعرهم أنه هو المحسن إليهم. وأعجب من هذا كله، أنه كلما اشتغل الناس بالقيل والقال، فزع إلى سبحته التي يذكر الله فيها، ويريهم ضمن ذلك أنه واحدٌ منهم. **وبالجملة**، فحاله غريب، ومقامه عجيب، وما يتذكر إلا من ينيب.

وها أنا أذكر للقارئ حكايةً، وإن كانت عاديةً، ولكنها هنا آية. وهي: ما أخبرني بها الحبيب علوي بن محمد بن أحمد المحضار، قال: كانت بين الحبيب حسين بن محمد الحداد، والأخ حسن بن أحمد باعقيل، يعني وليد قيدون، ودفين سربايا، ألفةٌ ومحبّة، قد يتخللها مزح أدبي. فمن ذلك: أن الأخ حسن باعقيل في بعض الأيام، دخل البركة ليغتسل، وهم إذ ذاك ببلد سربايا، ولم يكن عنده في المكان إلا الحبيب حسين الحداد، والولد طه بن عبدالله باهادون المحضار، يعني وليد القويرة بدوعن، ودفين بندر عدن، بعد أن وضع الأخ حسن ثيابه وحزامه قريباً منهما، وكان في حزامه من ورق النوط ما ينيف على ستمائة ربية، فتشاور الحبيب حسين والولد طه، على أخذ الحزام، على سبيل المزح.

فخرج الأخ حسن من البركة وقلب ثيابه، فلم يجد الحزام، فسكت كأن لم يكن شيء، فأوعز الحبيب حسين إلى بعض الإخوان أن يسأله: هل ضاع عليك شيء؟ فقال: لا. ثم رده الأخ حسين عليه. فبلغ الخبر والدي، وكان ذلك الوقت زائرًا بسربايا، فتعجب من ذلك، لما يعرفه بينهما من المزح، ومن ذكاء الأخ حسن باعقيل.

فسأل الأخ حسن عن القصة، وكيف يسكت في مثل هذا؟ فقال له: من المعلوم يا مولانا إني إذا سألتهما سوف ينكران من ذلك، ولا أحد يصدقني في ذلك، لأن الله قد وضع لهذين الاثنين من الثقة في قلوب الناس، ما يجعلهم لا يصدقون بوقوع مثل هذه الأشياء من هذين الشخصين، فأعجبت والدي كلمة الأخ حسن الثمينة، التي عبر بها عن الواقع، وقال: حقٌ ما قلتَ، وكررها مرتين، انتهى كلام المحضار.



[ترجمته من «قرة الناظر»]

ولنختم ترجمة الحبيب حسين المذكور، بما ترجم به الحبيب العلامة عبدالله بن طاهر بن عبدالله الحداد في كتابه «قرة الناظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر»، قال: «وأما الحبيب الأريب، الأواه المنيب، المخبت المستجيب، الحسين بن محمد. فقد جمع الله له وفيه من حسن الشمائل، وجميل الفضائل والفواضل، ما لا يعبر عنه قول قائل، وكان شيخنا الإمام الحبيب محمد بن أحمد المحضار، إذا رآه يتلو قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾، ويتمثل بقول القائل من السلف:

* حسين الزينْ وأما المسَمّى في العرب جم *

كان وجوده بقيدون، ثنتين وثلاثمائة وألف تقريبًا. وكان سيدًا كريمًا مستقيمًا، ناسكًا عاقلًا حازمًا، أدرك جده ووالده الإمام، وحل عليه نظرهما، وأخذ واستجاز من أكثر مشايخنا الكرام الأكابر، وله فيهم كمال الانطواء، وله الانتفاع التام بأخيه الإمام علوي. سافر إلى جاوه سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف، لزيارة والده وأخيه، وتعاطي ما يقتضيه حقائق التقليب، من الأخذ في الأسباب المعاشية بنصيب، وأقام أولًا ببلد الطوبان، ثم نقل منها إلى جمبان، وهو مقيم بها الآن.

وكان في البلدين ملجأ القاصدين، ومحط الوافدين، وثمال الفقراء والمساكين، ولا يزال يتردّد إلى زيارة والده وأخيه الإمام، ملقيًا إليه القياد، ولا يصدر إلا عن رأيه.

ولنا معه وبه كمال الاتصال والمحبة والمودة، وانتفع بنا وانتفعنا به، وقرأنا نحن وإياه في «فتح المعين» قبل سفره، وكنت إذ ذاك ببلد صيف، سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف، وهو بقيدون، وبين البلدين مسافة نحو ثلثي ساعة، فكان يأتي إلى صيف كل يوم، وألاقيه إلى خارج البلد، فنسأل الله أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه، وسببًا موصلاً إلى رضاه. وهو الآن سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف، ببلد جمبان، من البلاد الجاوية، على أكمل الحالات المرضية.

وله من الولد: محمد، وطاهر، وعبدالله. وقد خرجوا إلى حضرموت، وهم بها الآن. وعلي، وحسن، ومحسن، وعيدروس، بارك الله فيهم، وعمر بهم مراتب أهليهم، ومتعنا وإياهم جميعًا بالعافية التامة، في الجسم والروح والبصر والسمع، وأذاقنا وإياهم لذة الوصال والاتصال في الفرق والجمع»، آمين، انتهى المراد من «قرة الناظر».

وقوله: «حسن ومحسن» هما الآن قرة عين، تربيا بوالدهما، وتخرجا وتهذبا بعمهما الحبيب علوي المذكور، علمًا وسيرة وسريرةً، بارك الله فيهما وفي أولادنا، ومن قال آمين. وأما محمد المذكور قبلهما، فقد جعله والده الحبيب حسين خليفته في حياته، وبعد وفاته.



وأنا بحمد الله قد وقعت بيني وبين الحبيب حسين المذكور الصلة التامة، ولي منه العناية الخاصة والعامة، وطالما حضرت مجالسه مع أخيه الحبيب علوي، ورأيت وسمعتُ منه من الكمال في الأقوال والأفعال، أكثر مما وصفته به. وبما أني لا أشك فيه بأنه مستجاب الدعوة، لم أزل أطلب منه الدعاء في مهمات أموري، كما أنه دعا لي بالنجاح في تأليف هذا «التاج» بعد أن سمع منه الشيء الكثير، بقراءتي على أخيه الحبيب علوي.

وكانت وفاة الحبيب الحسين المذكور، ليلة الأحد وثنتين وعشرين في جمادى الأولى، سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، بمحلّ إقامته بلد جمبان، من الجهة الجاوية، ودفن في قبة والده ببلد التقّل، بوصية منه. وقد تسابقت الجماهير لحضور دفنه من أنحاء جاوة، فكان هذا آخر عهدي به، نفعني الله بهما وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.



[الحبيب صالح بن عبدالله الهدار الحداد المتوفى سنة 1352هـ]

ومنهم الحبيب المستغرق في شهود مولاه، العلامة الداعي إلى الله، والمعدود من الذين إذا رأوا ذُكِرَ الله، صالح بن عبدالله بن طه بن عبدالله بن طه بن عمر بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد الحداد. وليد قيدون، ودفين نصاب عاصمة العوالق العليا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، بواسطة خاله الحبيب طاهر بن عمر الحداد، الآنف الذكر قريبًا، على أنّي لا أعرف شيئًا عن نشأة صاحب الترجمة، وكيفية تلقيه، غير أني كنت أسمع عنه أنه من المرشدين، الداعين إلى الله، يتردد بين نصاب وبلدة قيدون.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

فزرته إلى بلده قيدون، ومكثتُ في ضيافته أيامًا بأمره، وكانت القراءة عليه في ذلك الوقت في «صحيح البخاري»، يتدارسون الطلبة كمدارسة القرآن، فانتظمت في سلكهم، وكنت عازمًا قبل وصولي إليه أن أطلب منه الإجازة والإلباس، فلما وصلت عنده، وحضرت مجالسه، منعني من ذلك ما رأيته عليه من الهيبة والوقار، فكأنه

كاشفني بذلك. وفي اليوم الذي عزمت فيه على الخروج من قيدون، استدعاني إلى منزل خاص، وألبسني وأجازني وودعني.

ومما رأيته من شريف عادته: أنه كان يقوم معظم الليل، يتهجد فيه بالقرآن، ثم يتبع ذلك بكثرة الأوراد والأذكار، في غرفته الخاصة، يسمع له دوي كدوي النحل، إلى طلوع الفجر. ثم يخرج إلى غرفة الضيافة، ويصلي الصبح إمامًا بأضيافه ومريديه، يقرأ فيه بطوال المفصل، ويأتون بالأذكار المرتبة بعد صلاة الصبح، وبعد تناول طعام الفطور يشرعون في القراءة إلى وقت الغداء، ثم يعيدون الكرة على ذلك بعد صلاة العصر إلى المغرب.

وكان من عادته أنه لا يفارق الطيلسان من على رأسه، فوق العمامة، وكثيرًا ما يستر وجهه بطرف الطيلسان على الحاضرين، وينظر إلى نافذة بجانبه، على أنه ينصت للقراءة، ويرد على القارئ إذا غلط أو لحن، وقد يستعيد الحديث، ويتكلم عليه كالمنبّه على متن الحديث، أو على الرواية، ولا أحد من الحاضرين يتجاسر على السؤال في شيء. وكان جلّ كلامه معي في تلك الأيام، الاستفهام عن سيرة سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وذلك بعد وفاته، لقرب عهدي، فكان يسأل بكلّ دقة عن عاداته وعباداته، ومعاملته للخاصة والعامة، معجبًا به، وممتلئًا بتعظيمه.

ثم اجتمعت به ثانيًا في الخريبة، حينما زار أعلى دوعن، في جموع محشودة، فاتحة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، وكان هذا آخر عهدي به، انتهى



[دخول الإسلام الى جزر إندونيسيا]

وعلى ذكر اليابان والهولنديين، أثناء ترجمة الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد. نقولُ أولًا قبل كل شيء: إن دين الإسلام كان دخوله إلى هذه الجزائر، التي يسمونها أهل الخرائط: (نوسنتارا)، وتسمى أيضًا جزائر الأرخبيل الهندي، وتعرف الآن بإندونسيا، وهي: جاوة، وبُرنيو، وسِليبس، وسُمَطرا، وملحقات الجميع. في سنة خمس وعشرين وأربعمائة وألف ميلادية، بواسطة السادة العلويين، وانتشر بها، كما حقق ذلك الأخ العلامة المحصل أحمد بن عبدالله بن محسن بن علوي بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه بن عمر بن طه بن عمر بن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن عبدالرحمن السقاف، وليد بندر الشحر، وخريج سيوون، علمًا وثقافةً، ووديع بحر سُمَطرا عائدًا من جاوه إلى وطنه، سنة تسع وستين وثلاثمائة وألف هجرية، في كتابه «التذييل» الذي لم يطبع، على كتابه «تاريخ الإسلام بإندونسيا»، الذي قد تم طبعه. حيث يقول:



[من «ذيل تاريخ الإسلام بإندونسيا» للسيد أحمد بن عبدالله السقاف]

«والحقيقة، أن الإسلام دخل إلى هذه الجزائر نقيًا صافيًا، وقام بالدعوة إليه رجالٌ مخلصون، علماء شافعيون سنيون، عارفون بما يقره الإسلام وما لا يقره، ومن ثم صار مسلمو جاوة كلهم شافعيين عن بكرة أبيهم.

[سلطنة دمَّك]

وقامت أول سلطنة إسلامية بجاوة، وهي سلطنة (دَمَّك)، بفتح الدال والميم المشددة، أحد مراسي جاوة الوسطى، من حوالي عام ثمان وسبعين وأربعمائة وألف ميلادية، وذلك بعد دخول الإسلام إلى هذه الجزائر بقرْنٍ، على ما ذكره مؤرخو المسلمين والإفرنج، فقامت تلك السلطنة المذكورة على هذا الأساس، وعلى حرب الوثنية، وكل ما يمت إلى الوثنية بصلةٍ، بل كان رجال الدولة أنفسهم يذهبون قصدًا لتحطيم الأصنام، وأخذها لقذفها في البحر.

وأكبر حجة نلجم بها مؤرخي الإفرنج: تلك الحادثة التي ذكرها كل المؤرخين من الإفرنج وغيرهم، وهي حادثة ذلك المبتدع الذي يسمونه (شيخ جنَّار)، أو (ستي جنار)، فقد ذكروا: أنه في عهد السلطان أبي الفتح عبدالفتاح، سلطان دمَّك الأول، قام ذلك الرجل بنشر آراء يريد بها التوفيق بين عقائد الإسلام، وما عليه الجاويون من منازع وآراء فلسفية قديمة، فاستدعاه السلطان حالًا، وناقشه العلماء، وبعد أن أقاموا عليه الحجة، حكم عليه بالإعدام، فأعدمَ. فهذه الحادثة تدل دلالة واضحةً على أن الإسلام بجاوة في ذلك الوقت، لا يزال نقيًا طاهرًا، تحمى عقائده وثقافته السلطنة الإسلامية في دَمَّك، بحد السيف.

[دعوة مولانا سنن جاتي]

وقد ذكر جُل المؤرخين من الإفرنج والمسلمين: أن إسلام جاوة الغربية كان على يد (مولانا سنن جاتي)، وأنه بعد إسلام تلك البلاد صارت كلها تابعة لسلطنة دَمَّك الإسلامية. وأما مولانا سنن جاتي، فضريحه معروف بجبل جاتي، بالقرب من بندر شربون، لا يزال مجللًا محترمًا، عامرًا بالزائرين، يؤمونه من كلّ مكان بقصد التبرك، ولما

لصاحبه من المكانة في قلوب المسلمين، لكونه أول من نشر الإسلام بشربون ونواحيها، كما قام بنشره في جاوة الغربية كلها.

[نسب مولانا حسن الدين، سلطان بانتن]

وأما نسبه، فقد ذكر مؤلف «دليل بانتن» في صفحة (13)، نسب مولانا حسن الدين، سلطان بانتن الأول. فقال: «هو مولانا حسن الدين في بانتن، بن مولانا شريف هداية الله في شربون، بن راجا عمدة الدين في جمغا، بن علي نور الدين عالم في أنام، بن مولانا جمال الدين الأكبر الحسين في البُوقِيس، بن سيدنا أحمد شاه جلال في هندستان، بن أمير عبدالملوك في هندستان، بن سيد علوي في تريم حضرموت، بن سيد محمد صاحب مرباط حضرموت، بن سيد علي خالع قسم بتريم حضرموت، بن سيد علوي في بيت جبير حضرموت، بن سيد محمد في بيت جبير حضرموت، بن سيد علوي في سُمَل حضرموت، بن عبد الله في العرض بور حضرموت، بن إمام أحمد بن عيسى بحضرموت، بن إمام عيسى النقيب في البصرة، بن إمام محمد نقيب في البصرة، بن إمام علي العريضي في المدينة، بن إمام جعفر الصادق في المدينة، بن إمام محمد الباقر في المدينة، بن سيد علي زين العابدين في المدينة، بن سيد حسين السبط في المدينة، بن سيدة فاطمة زهراء في المدينة، بنت سيدنا ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

هذا نسبه الذي ذكره مؤلف «دليل بانتن»، إسماعيل محمد، من علماء بانتن، وقد قابلناه بالشجرات المعتمدة، كالشجرة التي بفليمبغ، عند ذرية سلاطين فليمبغ، والشجرة التي بشربون، شجرة رادين صفوان، من ذرية سنن جاتي، والشجرة من بانيوواغي، وغيرها، فكانت مطابقة لما ذكر.

نعم، وقع تحريف في بعض الكلمات من النساخ، وسقط. **فقوله** «عمدة الدين» هذا لقبه، واسمه عبدالله. **وقوله** «عبدالملوك» الصحيح: عبدالملك. **وقوله** «مرباط حضرموت» ليس في حضرموت مرباط، وإنما هي مرباط ظفار القديمة، على ساحل بلاد العرب. **وقوله** «عبدالله الصحيح عبيد الله **وقوله** «نقيب» الصحيح: النقيب. وكذلك كلمات «سيد» و«إمام»، يلزم أن تكون بالتعريف: «السيد»، و«الإمام»، في جميع ما تقدم. ونحن نقلنا ما تقدمَ كما هو بالأصل، وقد دخلت العجمة على الكلمات، أما الأماكن والبلدان التي ذكرها، فهي أماكن وفيات المذكورين.



[قدوم السادة آل عظمت خان من الهند]

وقال صاحب «دليل بانتن» بخصوص السلسلة التي نقلناها عنه، ما تعريبه: «سلسلة نسب كنجغ مولانا حسن الدين، منقولة عن المصادر الصحيحة، المؤيدة من العارفين بالتواريخ. وقد ذكر المؤرخون من الجاويين، كالحاج علي خير الدين، والكياهي محمد أرشد بن حاج أسعد، من علماء بانتن، والكياهي عبد الجبار بوغوومارس رباعي، وغيرهم. ذكروا: أن أول من جاء إلى جاوة من جهة الهند هو مولانا جمال الدين الحسين، وأنهم يلقبون بآل عظمة خان، وأن منهم من جاء من طريق كمبوجا (هندوچينا)».

وآل عظمة خان ذرية الإمام عبدالملك بن علوي، معروفون في شجرة العلويين، وقد ذكرهم الحبيب عبدالرحمن المشهور في «الشجرة»، وفي «شمس الظهيرة»، وكذلك ذكرهم صاحب كتاب «حضرموت والمستعمرات العربية في الأرخبيل الهندي»، فانْدِبرْخ.

[مولانا هداية الله وذريته]

فذرية مولانا جمال الدين الحسين المذكور، هم الذين قاموا بنشر الإسلام بجاوة وغيرها، في القرن الخامس عشر الميلادي. ومنهم: سُنَن أمفيل، وسُنَن قِيْري، وغيرهم. وقد ذكر المؤرخون من الجاويين، كالحاج علي خير الدين وغيره، ما اتصف به مولانا هداية الله من الاستقامة، وصرف الوقت في العبادة، ونشر العلم، والدعوة إلى الله، وذكروا تصوفه وزهده، وماله من صيام وقيام، وتلاوة وأذكار، وتبحّر في العلوم. والغريب أنه مع ظهوره بمظهر الصوفية، وتصدره في المحافل، كان قائدًا شجاعًا، خبيرًا بتدابير الحروب، وسياسة الممالك، وإجراء النظامات، وإرشاد السلاطين والأمراءِ إلى ما يوطد الملك، ويحفظ استقلال بلاد الإسلام، ويقيم وينعش التجارة والزراعة.

وقد عرف السلطان المعظم ترنقانو، سلطان دَمَّك الثالث، في المذكور هذه الصفات، فقربه إليه، وجعله من خاصة خاصته، فكان يستشيره في كل الأمور، ويستعين بخبرته في المهمات، ولا يختار غيره لقيادة الجيوش التي يجهزها على المعتدين على الإسلام، والمناوئين لسلطانه. ومن محبة السلطان له أنه زوّجه بأخته، بنت السلطان عبدالفتاح.

[سلاطين مملكة دَمَّك الإسلامية]

وكانت سلطنة دمَّك هي أول سلطنة إسلامية قامتْ في جزيرة جاوة، فتيةً وقريبةَ عهد، وأول سلاطين دمك هو أبو الفتح، السلطان عبد الفتاح، والثاني ابنه يونس، والثالث ترنقانو، شقيق يونس. وكانا كأبيهما شدةً وصلابة في الدين.



وترنقانو هو الذي كان مولانا هداية الله من أقرب المقرّبين إليه، وبواسطة مولانا هداية الله قرر السلطان ترنقانو القوانينَ والنظاماتِ في سلطنة دمَّك، على أساس

الشريعة المطهرة. قال خ. ي. ف. بيخمان في كتابه «سبعة عشر قصة»: «وخلاصة القول في مملكة دمّك: أنها ازدهرت في مدة حياة الرادين فتح، حيث كانت جاوة الوسطى متمتعة بالأمن، لأن الحكومة كانت قابضة على الأمر بيد من حديد.

فبالرغم من أن بعض الولاة كانت بينهم إحنٌ وأحقاد، لم يجسُر أحد منهم على مهاجمة الآخر، وقد كان من أمر سلطان دمك الثالث: أنه أوجد الأنظمة والقوانين، وقرار اعتبار الشريعة الإسلامية، وجهز الجيوش على الوثنيين»، انتهى.



وقد شهد لمولانا هداية الله ببُعد النظر والخبرة بالأمور، كثير من مؤرخي الإفرنج، الذين يكتبون للتاريخ لا للسياسة. وكانت وفاة مولانا هداية الله المذكور، سنة سبعين وخمسمائة وألف ميلادية.

وكانت سلطنة دمَّك التي هي أول سلطنة إسلامية، سلاطينها وطنيون خلّص، ولكن كان لكل منهم وزراء ومستشارون من العرب، يرشدونهم إلى الصواب، وما يقره الإسلام وما لا يقره، ومن هنا جاء كره الهولنديين للعرب خاصةً، وتنفير الوطنيين عنهم بكل وسيلة، وفي طلاب المدارس أشد وأكثر.

فأول سلاطين دمك، هو أبو الفتح السلطان عبدالفتاح، وكان وزيره سُنَن دمَّك، مولانا زين العابدين بن مولانا رحمة الله، الملقب سُنَن أمفيل، وهلم جرّا.

ثم قامت سلطنة (بانتن)، وكان أول سلاطينها مولانا حسن الدين، المتقدم نسبه. ثم أولاده من بعده.

[الاحتلال الهولندي]

وأما هولندا فقد كان استيلاؤها على هذه الجزائر، بواسطة شركة تجارية، قامت سنة ثنتين وستمائة وألف ميلادية. وهي التي يسمونها شركة الهند الشرقية، المعروفة عند

الأهالي (كمفني)، والتي يدل عليها بالأحرف الثلاثة (V.o.c). والدليل على ذلك: ما أعْطِيَته تلك الشركة من الحقوق والسلطة. وفي جنواري سنة ثمانمائة وألف ميلادية، حوّلوا إلى حكومة، وأطلقوا على هذه الجزائر (هنديا نيدرلاند)، أي الهند الهولندية»، انتهى المراد مقتطفًا من كلام السقاف.

[تدهور أحوال المسلمين]

قلتُ: وعند ذلك تجاهرت هولندا بالقضاء على سلاطين المسلمين، وصارت تنوي القضاء على الإسلام، واجتثاث عروقه من هذه الجزائر. وقد أخذت في بث الفتنة بين العرب، وجعلتهم حزبين متضادين، العلويين والإرشاديين، ثم بين الوطنيين. وجعلتهم أحزابًا كثيرة متضادة، وكلما ضعف حزب وكاد يسأم الشقاق، عضدته بشيء من المادة، ونوع من النفوذ في دوائر الحكومة. وتقول لكل حزب: هذا وقت الحرية والمساواة في كل شيء، والمطالبة بالحقوق، وقد مضى زمان الاضطهاد، والضغط على الضمائر والعقائد، وما أشبه ذلك من ألفاظ الخداع، التي أصبحت رأس مال أعداء الإسلام في كل زمان ومكان، والله المستعان.

[لمحة عن بتاوي (جاكرتا) قديمًا وحديثًا]

وبما أن اسم (بتاوي)، وبعبارة أخرى (جاكرتا)، قد تكرر في «تاجنا» هذا فلابدّ من بيان الحقيقة، لئلا يظن القارئ أن بتاوي شيء، وجاكرتا شيء آخر.

قال السقاف المذكور، في «كتابه» المذكور: «اسم جاكرتا، هو المحل المسمى (سُندا كلافا)، سابقًا. فلما أسلم أهله، وتم النصر للمسلمين، بطرد البُرْدَقِيس[1] من هناك، وضع مولانا هداية الله اسم (جاياكرتا) على ذلك المحل، بدلًا من (سُندا كلافا).

(1) أي البرتغال (مصحح).

ومعنى «جايا»: الانتصار، ومعنى «كرتا»: العمران.

وقد بقي ذلك حتى استولت هولندا على (جاياكرتا)، فأبدل ذلك الاسم (بتافيا)، وبعبارة أخرى (بتاوي). ولكن الوطنيين بعد استقلالهم ألغوا اسم (بتافيا)، و(بتاوي)، واختصروا الاسم الإسلامي، وقالوا (جاكرتا).

وكذلك كلمة «سُنَن» بضم السين وفتح النون الأولى، معناها: الحاكم المسلم، وكلمة «رادين» معناها: الأمير»، انتهى كلام السقاف.



وكلمة «كنجڠ» معناها: سيدي. وكلمة «كِاهي» معناها: الشيخ. والغين التي فوقها ثلاث نقط، ينطق بها بين الغين والنون. وكذلك الفاء الذي فوقها ثلاث نقط، ينطق بها بين الفاء والباء. وكذلك الجيم الذي تحتها ثلاث نقط، ينطق بها بين الجيم والشين. و(جاكرتا)، هي عاصمة إندونسيا، وسكانها في الوقت الحاضر: ثلاثة ملايين وأكثر!.

[الحبيب حسين بن أبي بكر العيدروس المتوفى سنة 1169هـ]

وأشهر مؤمني جاكرتا، من البرزخيين، بالصلاح والفلاح، الحبيب العارف بالله، المحبّب إلى عباد الله، والفاني بشهوده عمن سواه، الحسين بن أبي بكر بن عبدالله بن حسين بن علي بن محمد بن أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس. وليد المعيقاب، المحلة المعروفة بين شبام والحزم، بحضرموت، ودفين جاكرتا بجاوه.

كان إمامًا فاضلًا، وعالمًا عاملًا، وقد نوّه بشأنه قطب الإرشاد الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، على ما في «المواهب والمنن» الحدادية. فكان من أمره: أنه سافر إلى جاوة، فقصد جاكرتا للتجارة، ولكن العناية الربانية جذبته إلى ميدان الدعوة إلى الله، بالحال والمقال، ولم ينقد له الناس إلا بعد تجربة بركته، وظهور الخوارق على يديه، فهرعوا إليه من كل حدب وصوب، فدعاهم إلى الله، وذكرهم بأيام الله، وأسلم على يديه كثير من الكفار، حتى بعد وفاته من المكثرين لزيارته، وهابته رجالُ الحكومة المحلية، واحترمته في حياته الدنيوية والبرزخية. وانهالت عليه الهدايا والنذور، غير أنه ما كان يلقي لها بالًا في حياته، وربما قام عنها وتركها، ليأخذها من أرادها، لأنه كان عابدًا متقشفًا، زاهدًا في الدنيا، كثير الاستغراق بشهود مولاه. وكان يختلي من الناس على شاطئ البحر، في المكان المسمى (لوارباتاغ)، أي المكان الذي هو خارج الدور، وبه بنى مسجدَه الذي قبر في ناحيته الشرقية الجنوبية.

وكانت وفاته في اليوم السابع والعشرين من رمضان، سنة تسع وستين ومائة وألف هجرية.

وعلى ضريحه تابوت، تتهافت عليه الزوار يوميًا، من المسلمين والكفار، رجالًا ونساءً، من جميع أنحاء جاوة، بكثرة تتجاوز الحد، ولا يتصورها الإنسان إلا إذا رآها بعينه، وحينئذٍ لا يسمع إلا همسًا، ولعل ذلك من اشتغال بواطنهم بنياتهم ومقاصدهم. ولكثرة ازدحام الناس على الضريح، جعل القائمون بخدمة مقام الحبيب، من الحبايب آل عيدروس، جانبًا من الضريح مخصوصًا بالنساء، مما يلي رجلي الحبيب، مستورًا عن الرجال، كما أنهم جعلوا صندوقًا ومراقبين للنذور والهدايا التي ترد يوميًا لمقام الحبيب، وتصرف تلك الغلة إلى عمارة المسجد والضريح، وما يتعلق بمقام الحبيب، من إطعام

الطعام، للزيارات المعتادة من جموع السادة بني علوي ومحبيهم، في أوقات مخصوصة. ومنها، وهو أعظمها، قراءة قصة المولد النبوي في المسجد، في جمع عظيم، في شهر ربيع الأول من كل سنة، وما زاد على ذلك، يفرقونه على المستحقين من الحبايب آل عيدروس شهريًا.



وإذا قلنا: إن الناس على اختلاف طبقاتهم وعقائدهم، لا يدعوهم إلى الاعتقاد التام إلا قضاءُ حاجاتهم، كما يعرف ذلك كل إنسان من نفسه، ينبغي لنا أن نرجع إلى السبب الوحيد في ذلك، وهو عظم جاه هذا الحبيب عند الله، وكثرة تنزل الرحمات على ضريحه، التي هي ثمرة أعماله الصالحة، وإخلاصه في أقواله وأفعاله لوجه الله. ولا شك أنها تغمر الزائرين على حسب نياتهم ومقاصدهم، وفي الحديث الشريف: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1]. وأنا بحمد الله من المكثرين لزيارة هذا الحبيب، ومن الفائزين إن شاء الله من تلك الرحمات بأوفر نصيب. وكان تلميذه الخاص من الوطنيين، ومترجمه الحاج عبدالقادر، المقبور شرقي ضريحه. ويقال: إن الحبيب حسين المذكور، قال: من لم يزر الحاج عبدالقادر، لم تقبل زيارته.



[عودة الى الحديث عن إندونيسيا]

وأما مجموع جزائر إندونسيا، فهي ثلاثة آلاف جزيرة. وفيها ثلاثمائة لغة، على اختلافها. وسكانها بأجمعها سبعون مليونًا أو يزيدون، منهم تسعون في المائة مسلمون،

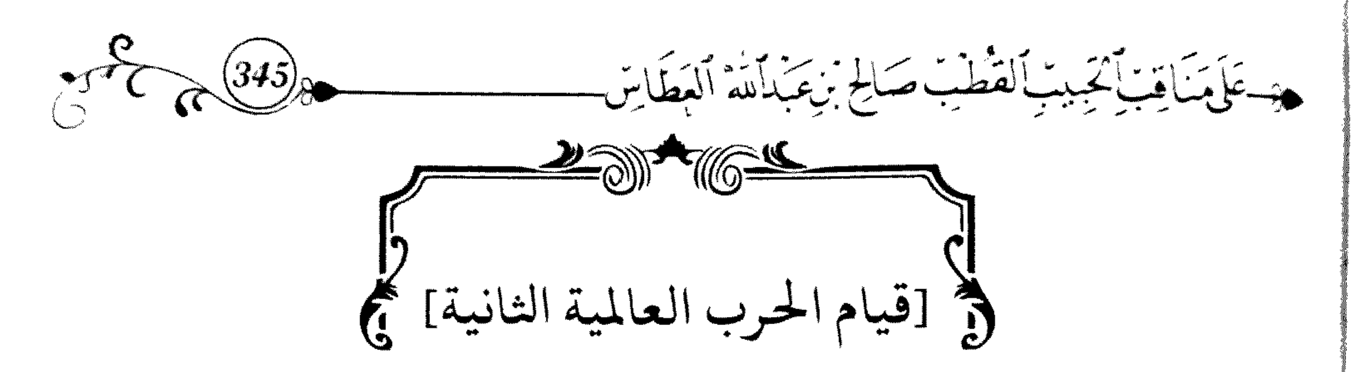
---

(1) حديث صحيح، متفق عليه، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

على ما يترنم به الخطباء فوق المنابر، ويسجله الكتاب في الدفاتر، ويدخل في هذا العدد العربُ الحضارم، ويقدرون بثمانين ألفًا.

وهذه الجزائر تعد من أخصب البلاد، بما أودعه الله فيها من منافع الثروة، ووفرة الحاصلات، وطيب التربة، وكثرة الأنهار والأمطار، وأنواع المعادن الثمينة، ورخص المعيشة، ولهذا ما زالت الأجانب تغازلها، ويتنافسون عليها، فعسى أهلها أن يعرفوا مقدار هذه النعم، ويرعوها حق رعايتها، والله ولي التوفيق.





[قيام الحرب العالمية الثانية]

رجعنا إلى ذكر اليابان وهولندا، وما صار من الاصطدام بين الاثنين، ورجوع كل منهم من هذه الجزائر بخفي حنين.

على أن هولندا قد استعمرت هذه الجزائر ماديًا وأدبيًا، لقمةً سائغةً، نحو ثلاثمائة وخمسين سنة، غير أنها في الوقت الأخير، فشلت في محاولتها اجتثاث عروق الإسلام من هذه الأصقاع، فشلاً محسوسًا، انكشفت به سياستها.

فقامت الحرب العالمية الثانية، في شهر سفتمبر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية، بين المحور، وهم: ألمانيا، وإيطاليا، واليابان، ومن تبعهم من الدول الصغيرة، المسيطرون عليها. وبين الحلفاء، وهم: أمريكا، والإنقريز، وفرنسا، وروسيا، ومن تبعهم أيضًا من الدول، ومنهم هولندا. وانتهت الحرب بنصر الحلفاء على المحور، في شهر أقستس، سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف ميلادية، بعد أن أهلكت اثنين وخمسين مليونًا من البشر، غير البلدان والأموال.



وقبل أن يستبعد القارئ ذلك، نعرض عليه معركة واحدة من تلك الحروب. ونقول له: روى بعض الصحافيين عن مشاهدةٍ، في هجوم الألمان على مدينة (لينقراد) في روسيا، أن أنين الجرحى، لكثرتهم، قد غطى إطلاقات المدافع الضخمة، وانفجار القنابل المفرقعة، وأصوات الطائرات القاصفة. إلى أن قال: فلم يطرق أسماعنا في تلك المعركة الجهنمية، غير الأنين، الذي تقشعر منه الجلود، ويذهل الوالدة عن المولود، انتهى كلام الصحافي.

[استقلال إندونيسيا عن هولندا]

وقد احتلت جيوش اليابان جميع مستعمرات هولندا المذكورة، ثلاث سنوات ونصف، وحالًا أجبرت المسلمين وغيرهم على الركوع للشمس عند طلوعها، ونشرت مبادئ المجوسية بالقول والفعل، حتى انكسر المحور، ولم يقرَّ لهولندا بعد ذلك قرار. وعند ذلك قامت الجمهورية (الإندونسية) شيئًا فشيئًا، بمساعدة أمريكا والإنقريز، نظرًا لمصالحهما الخاصة. وترأسها الزعيم سُوكَرْنو، فسبحان من يحول ولا يتحول.



[تواريخ عالمية مهمة]

وبمناسبة ذكر جمهورية أندونسيا، نقول: إن جمهورية (باكستان) استقلت في شهر أقستس سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف ميلادية، برئاسة زعيمها المحنك المطاع، محمد على جناح. ومن المعلوم بالضرورة أنها توأمة جمهورية (هندستان) الهندوكية، ولدتا في يوم واحدٍ، من بطن واحدة، وترأس الأخيرة زعيمها الشهير غاندي.

قلتُ: ومما يجب على كل مسلم حفظُه، والتوجع منه على الأقل، قيام الحكومة اليهودية المشئومة بفلسطين، في شهر ماي، سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وألف ميلادية، بمساعد أمريكا، وتمهيدات الإنقريز لذلك، وتخاذل ملوك العرب، حرصًا منهم على مصالحهم الخاصة، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.



وأما ما هو أغربُ من الغريب، وأعجب في الدنيا من كل عجيب! فهو الألفاظ الخلابة المجوفة، التي يجعلها الأقوياء آلةً لاستبعاد الضعفاء، والانتقام من الأقران، وينوعون عباراتها: «حرية - استقلال - مساواة - وطنية - اشتراكية - عدالة -

ديمقراطية»، وما شاكلها من الألفاظ، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

فقد أعطانا تداول أيدي الشعوب على البلاد درسًا كافيًا، وجعلنا نؤمن بقول الشاعر المحنك، السيد أحمد بن عبدالله السقاف، الآنف الذكر، في قصيدة مطولة خاطب بها (عُصْبة الأمم):

أقمـــتُمْ نظامًـــا للأنَـــام فغرَّنـــا	ببهرَجِـــه ذاك النظـــامُ المـــزوّرُ
ملخّصُـــه أن القـــويَّ محكّـــمٌ	وحاصـــلُه أن الضـــعيفَ مســـخّرُ

قلتُ: ولا شك أن هذا التطاحنَ هو نتيجة اعتماد الأمم على عقولهم وعلومهم، ووضعهم قوانين العدالة عليها، ومن المعلوم بالضرورة: أن الأصول الناقصة تكون فروعها ناقصة أيضًا، لأن الإنسان لا يزال من حين يوجَد إلى أن يموت، محاطًا بثلاث دائرات، لا محيص له عنها:

الأولى: دائرة الفقر، فهو مفتقر بالطبع إلى من يربيه ويغذيه، ومفتقر أيضًا إلى المال، والتعليم، والزواج، والعلاج، والولد، والمسكن، وأمور وأحوال يعرفها كل إنسان من نفسه.

والثانية: دائرة الجهل، فهو يحتاج إلى اللغة، والكتابة، والقراءة، والحساب، والصناعة، والتجارة، ويحتاج إلى معرفة الناس، والأسفار، وغير ذلك.

والثالثة: دائرة النقص في الذات، فهو لا يزال يرى مَن هو أصحّ منه جسمًا، وأحسن منه صوتًا، وأجمل منه خلقًا، إلى غير ذلك. وفي الصفات أيضًا يرى من هو أعقل منه، وأعلم وأكرم منه، وأشجع منه، وأقدر منه على الكلام والشعر والتأليف، وفوق هذا تجده هو بنفسه ينقضُ رأي أمسِ بفكرة اليوم، وكتابة الليل بقلم النهار، وعمل الجمعة بعمل السبت، وهلمّ جرًا.

ولو قال لنا مكابِر: إن العلم والعقل قد ترقيا في هذه الأزمنة إلى درجة الكمال،

وهي التي يسمونها الآن المدنية، نقول له في الجواب:

* حفظْتُ شيئًا وغابت عنكَ أشياءُ *

لأنه من البديهي أن كل علمٍ غير مرتبط بقانونٍ ديني سماوي، هو ثمرة العقل، وهذا هو العقل أمامنا، لا يزال ولن يزال يرزح تحت مناطق في الخلق، لم يصل إليها. وإلى الآن لم يعرف الإنسان كل أجزاء جسمه، على صغر ذلك الجسم، فكيف يلقى إلى دائرة ليس بينه وبينها صلةٌ، وهي سنٌّ تنظيم قوانين العالم بأجمعه.

فعلى العقل أن يقف عند حدّه، ويعرف منتهى سيره، وعلى العقلاء أن يعرفوا أن مركب العقل غير موصِلٍ لهم إلى الغاية التي ظنوا، أو يظنون أنهم سيصلون إليها، فتذهب جهودهم في سبيل استقرار النظام، والأمن العالمي أدراجَ الرياح، كما هو مشاهدٌ، وعند ذلك يحمّلهم التاريخ مسئولية الأمم المقتولة ظلمًا، حسًا ومعنى.

وليعلموا علم اليقين، أن لا مخلص لهم من هذه الورطات، إلا التمسك حقيقة بالقوانين الإلهية، التي سنها للخلق خالقهم، المحيطُ بجزئيات الكون وكلياته، على ألسنة رسُله عليهم الصلاة والسلام، لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم بما يصلح لكلّ أمةٍ، وما يوافق طباعها، ودرجة عقولها، على حسب زمانها ومكانها، والله ولي التوفيق.



ولنجذب عنان القلم، من الانصياع لهذه الجمل، التي اعترضتنا في هذا الباب، بذكر الأمم التي حقت عليها كلمة العذاب، وضرب بينها وبين الحق بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. ونعود إلى سيرة السلف، الذين نوّر الله بصائرهم للحق، وأزال عن قلوبهم الحجاب، وجعلهم قرناء السنة والكتاب، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

[الحبيب عبدالرحمن بن محمد خرد
المتوفى سنة 1336هـ]

ومنهم الحبيب المشار إليه، والحري بإيداع السر من أسلافه لديه، الذي بات أبوالعباس الخضِر ضيفًا عليه، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن زين بن أبي بكر بن زين بن محمد بن علي بن زين بن علي بن علوي خرِد. وليد بلاد الماء بوادي دوعن، ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، وأخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس). ثم تغلّب على الحبيب عبدالرحمن المذكور صفاءُ السريرة، ونور البصيرة، فصار يجتمع برجال الغيب، ويروي عنهم.

وله قصة غريبة، وحكاية عجيبة، مع سيدنا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، رواها عنه الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب). **حاصلها:** أن الخضر أتى إلى بيت الحبيب عبدالرحمن، في هيئة درويش سائح، وبات عنده متنكرًا عليه.

فلم يعرفه الحبيب عبدالرحمن، وكان من كلامه مع الحبيب عبدالرحمن: أنه أثنى بأبلغ الثناء على ثلاثة من رجال ذلك العصر، أحدهم صاحب المناقب، وثانيهم الحبيب أبوبكر بن عبدالله العطاس المذكور، وثالثهم الحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، المتقدم ذكره في (الباب الخامس). ثم خرج الحبيب عبدالرحمن لزيارة المشهد، المعهودة في شهر ربيع الأول، فاجتمع بضيفه المذكور في حضرة الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس المذكور، وعند ذلك أخبر الحبيب عبدالرحمن بأنّ هذا هو أبوالعباس الخضر، وأنه هو الذي بات عنده، وتنكر عليه، انتهى.

قلتُ: وكان الحبيب طاهر بن عمر الحداد، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، يثني على الحبيب عبدالرحمن المذكور، في حسن سيرته، وصفاء سريرته. كما أن الحبيب عبدالرحمن كان مغتبطًا بالحبيب أحمد حسن العطاس المذكور، حتى صار يبدي عليه أحواله، ويساره بكشوفاته. **وبالجملة،** فصاحب الترجمة الحبيب عبدالرحمن المذكور، من أرباب الأحوال، المشهود لهم بالكمال.

وكانت وفاته ببلده بلاد الماء، سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.



[الحبيب محمد بن حسين بروم]

ومنهم الحبيب المرابط، المتستر بحاله المغالط، والمتجلي عليه مولاه باسمه الباسط، محمد بن حسين بروم. ساكن بلاد الماء أيضًا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، وزاره في حياته إلى بلده عمد، وتكرر أخذُه وسماعه على صاحب المناقب، خصوصًا بحضرة الحبيب أحمد بن محمد المحضار، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، لأن الحبيب محمد بروم المذكور كانَ جليس الحبيب أحمد المحضار وأنيسَه.

وكان ديدن الحبيب محمد المذكور ملازمةُ قراءة «دلائل الخيرات»، يختمها في كل يوم مرةً، وكان كثير البسط والمزح مع الناس، كالمتستر عنهم بحاله، غير أن ثناء الأكابر عليه، هو الذي عرف الناس بمرتبته في الصلاح والولاية، فصار بينهم آية.

[الحبيب حامد بن محسن بن حامد العطاس المتوفى سنة 1334هـ]

ومنهم الحبيب حسن السير، الزاهد فيما في أيدي الغير، والمعدود في طليعة الموفقين للخير، حامد بن محسن بن حامد بن محسن بن محمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد صُبَيخ من دوعن الأيسر، ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لم يدرك صاحب المناقب رضوان الله عليه، فكان أخذه بواسطة ابنيه محمد بن صالح وعمر بن صالح، والحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكرهم في (هذا الباب)، فقد قرأ عليهم، وسمع منهم، حين زار ضريح صاحب المناقب إلى بلده عمْد، وتردد على الأخير إلى حريضة. وكان صاحب الترجمة قد جاور بمكة، فأخذ بها عن شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وعن الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، وعن الحبيب حسين بن محمد الحبشي.



وكان من أهل الحزم في ترتيب أوقاته، والجزم في تنجيز عاداته وعباداته. ومن إتقانه في أعماله: أنه إذا تلبس لشيء من عمَله اليومي، تحسبه إنما خلق لأجله، سواءً كان في العادات أو العبادات.

فتجده آخر الليل يتهجد في محرابه، ثم ينتقل إلى تلاوة القرآن بتدبر وانكسار، وبعد صلاة الصبح يشرع في قراءة ما تيسر من كتب الفقه، وبعد الإشراق يذهب إلى نخله وحرثه، يحمل قدومه، أي المسحاة، كأنه أحد الفلاحين، ويرجع إلى بيته ويتغدى، ويرقد قليلًا، ثم يشرع في النساخة، لأنه حسن الخط، جيد الضبط، ولهذا كانت أكثر كتبه خطيةً. وإذا لم يكن عنده كتاب مخصوصٌ، أخذ يقيد في «سفينته» من الشوارد التي لا يجدها طالب العلم في المجلدات الضخمة.

وإذا صلى الظهر، أخرجَ آلة خياطة الجلود، فيأتون إليه الضعفاء من الناس، مثل الشيبان والأرامل، الذين يعجزون عن دفع الأجرة في ترقيع قِرَبهم، فيصلحها لهم مجانًا، وفي نفس الوقت يأتي إليه من كان له حاجة من أهل البلد، لأنه مستشارهم وأمينهم الوحيد، وله معهم وقائع تدل على حذْقِه، وإذا صلى العصر شرعَ في قراءة كتب القوم، وبعد المغرب حزب القرآن المعروف إلى العشاء، ولا يسمح بشيء من أوقاته إلا لأضيافه، حتى يودعهم، وهكذا قضى حياته السعيدة.

ومن وقائعه مع أهل بلده: أنه مرةً تلقى مكتوبًا من أحد بمكة، وذكر له فيه وفاة ثلاثة رجال من بلدهم، في أيام الحج، بمرض الطاعون، فلما قرأ المكتوب، وكان الوقت قريب المغرب، اهتزّ، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فسمعته امرأة من أهل البلد، كانت عند أهله في تلك الساعة وهو لا يشعر، ولها أبٌ وزوج بالحرمين، وهما من المذكورين في المكتوب، والثالث من دار أخرى.

فقالت للحبيب حامد: قد سمعناك حين استرجعت، ولا بد أن في المكتوب خبر مَوت، وإني أخاف أن يكون أبي أو زوجي. فأشفق عليها من كثرة الهم والفكر طولَ الليل، وكان قصده أن يخبرها بذلك بكرة النهار في دارها، وبين أهلها وأولادها، كما جرت بذلك العادة. فقال: الأمرُ سرٌ، والمتوفّى فلان، وسأخبر أهله بكرة، وأكد عليها في كتم الخبر، فأظهرت له السمع والطاعة.

وخرجت من عنده إلى دار أهل الرجل المتوفى، وأخبرتهم، فما شعر الحبيب حامد إلا بالصياح، فخرج مسرعًا يسألهم عن الخبر؟ فقالوا له: روته لنا فلانة عنكَ! فقال: وأين هي؟ قالوا: إنها تبكي مع النساء، فقال: أخبروها بوفاة أبيها وزوجها، جزاءً لها على فعلها، وعاد إلى داره، فرجعت الكرة عليها.

ومرةً: أرسل ولده الصغير، وقال له: اطلب لنا الحمار حق آل فلان، لنخرج به بكرة إلى الحرث. فرجع الولد، وقال: إنهم يقولون: غير ممكن، لأنهم محتاجون له بكرة أيضًا. فقال والده: أنت طلبته مِن مَن؟ قال: من فلان صاحب الدار، فقال له: ارجع الآن اطلبه من فلانة، يعني زوجة صاحب الدار. فرجع الولد، وقال: إنها تقول: سنأتيكم به الصبح إن شاء الله، فلما أصبحوا إذا بصاحب الدار يقود الحمار، ويقول: إذا بدت لكم حاجة للحمار أو غيره أخبرونا، ولكم الفضل، انتهى.



[مآثره الخيرية]

قلتُ: ولحذق صاحب الترجمة في الرأي، ومعرفته بطباعهم، سَهُل عليه دعوتهم إلى الخير، وإصلاح ذات البين، وعمارة المرافق العمومية، وكذا المعابد الدينية، والمآثر السلفية. ومنها قبة الحبيب الإمام جعفر بن محمد العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الرابع)، ومسجده المجاور لها بتلك البلدة.

وكان أكثر مساعد له على ذلك بالمال، الحبيب أبوبكر بن حسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد رباط باعشن من دوعن الأيمن، ونزيل بندر الحديدة باليمن، فجزاهما الله عن الأحياء والبرزخيين، أكمل وأفضل ما جازى به المحسنين، من خيرات الدنيا والدين. وقد رأيتُ بحمد الله تلك العمارة بعيني، حينما زرتُ ضريح سيدنا الحبيب جعفر بن محمد المذكور، عَلّاً على نهل.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

ونزلتُ في بيت صاحب الترجمة، وقرأت عليه في «مكاتبات سيدنا الحبيب جعفر»، وفي «مقامات الحريري»، وزوّدني من صالح دعواته، انتهى.

[ترجمته من كتاب «الشامل»]

قال الأخ العلامة علوي بن طاهر بن عبدالله بن طاهر الحداد، في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت»، عند ذكر بلد صُبيخ:

«وكنا في غيبة شيخنا الحبيب محمد بن طاهر الحداد، يعني: حينما كان مقيمًا ببلد صُبيخ، لأجل عمارة ساقية الجذْفِرة، أي: الحرث الذي أحياه الحبيب محمد المذكور، نخرج كل يوم إلى بيت السيد الشريف الفاضل، حامد بن محسن بن حامد، فنطالع معه، وكان حسَن الخط، له مجموعاتٌ كتبها، وكان شحيحًا على كتبه شحًّا تجاوز الحد، حتى أنه يغار أن يمسّها أحد بيده. وكنا بحرص الطلب ذلك العهد والرغبة على الاطلاع، نحب أن نراها، فلم يستنزله عن تمنعه إلا الأخ علوي بن محمد، يعني: ابن طاهر الحداد، بسَجاحة أخلاقه، ولطف مدخله، والقبول الذي جعله الله في القلوب من صغره. وكان السيد حامد المذكور حسَن السيرة، مستقيمًا، منعزلًا، حديدًا حِدةً لا يضُرُّ بها أحدًا، لم نسمع منه على طول مجالستنا معه اغتيابًا لأحد، كافًا لسانه ويده، مشتغلًا بشأنه عن الناس وقد ترك ذرية ذكورًا بارك الله فيهم. وقد كان شيخنا الحبيب محمد بن طاهر وصاه أن لا يكون جلوسنا أول النهار إلا في بيته حتى لا تضيع أوقاتنا فلم نختلط تلك المدة وهي نحو ثلاثة أشهر بأحد من أهل البلد إلا الشيخ أحمد بن قاسم المتقدمة ترجمته واليد الشريف المذكور انتهى المراد من كلام الحداد

وقوله ذرية ذكورًا وهم محمد ومحسن وعلي وأحمد ومحسن المذكور هو أحد زملائي في الطلب بأم القرى وهو الذي خلق أباه وظائفه علمًا وعملًا وصلاحًا وفي مثله يقال ومن يشابه أباه فما ظلم وكانت وفاة الحبيب حامد المذكور في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية ببلده صبيخ.



[الشيخ عبدالله باقروان]

ومنهم الشيخ الحليم الفقيه المستقيم والسائر على المنهج القويم عبد الله باقروان ساكن بلد تولبه من دوعن الأيسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زار صاحب المناقب إلى بلده عمد وأقام عنده وأخذ عنه أخذًا تامًا كما أنه قد صحب المترجم بالحرمين الشريفين أيام طلبهما وقد أثنى عليه المترجم بأبلغ الثناء في علومه وأعماله.



[الحبيب جعفر بن محمد بن حسين العطاس المتوفى سنة 1322هـ]

ومنهم الحبيب المهذب، الصفي المحبّب، والمشارك في العلوم والأعمال والرتب، جعفر بن محمد بن حسين بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد بلد بُضَه، ودفينها، وكعبة الوافدين إليها من كل الطبقات، على اختلاف أجناسهم ومقاصدهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

زار صاحب المناقب رضوان الله عليه، إلى بلده عمد، وأخذ عنه، ولبس منه، ثم أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس بحريضة، وتتلمذ له. كما أن له كمال الصحبة ومبادلة الأخذ مع الحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب علي بن محمد الحبشي، المتقدم ذكرهما في (هذا الباب). وفوق هذا، كان أولياء عصره يشيرون إليه بأنه من أهل السرّ والخصوصية. روى الحبيب علي الحبشي المذكور في «كلامه المنثور»: أن الحبيب أبابكر العطاس كان يقول: جعفر بن محمد من أولاد روحي، مكتوب في اللوح المحفوظ. على أنه قد شاع عند خواصّ معاصري الحبيب جعفر: أن الحبيب أبابكر قد درّكه بالشحر وشبام، أي أنابه عليهما في الباطن.



قلتُ: وكان الحبيب جعفر المذكور، يتعهد تلك المدينتين كل سنةٍ، بنشر الدعوة إلى الله، وله بها خواص، من أهل الأعمال الصالحة والإخلاص.

وقد أخبرني محب أهل بيت النبي، اللوذعي الذكي، محمد بن عمر بن أبي بكر باذيب، وليد شبام ودفينها، قال: سمعت والدي يقول: إن الحبيب أبابكر بن عبدالله العطاس، مرّ في بعض أسفاره ببلدنا شبام، وكأنه مستعجل، وبمعيته الحبيب جعفر بن محمد العطاس. فقال الحبيب أبوبكر: إنا نريد دخول شبام، ولكن الوقت غير متّسع لذلك. فقال الحبيب جعفر: وهو الأولى، لأن أهلها ما يفرحون بالضيف. فقال له الحبيب أبوبكر: عادهم بايفرحون بك كلهم، وبايحبونك نساء ورجالًا.

ثم قال المحب محمد المذكور: فما زال الحبيب جعفر معتقَدهم، ومرجعهم الخاص في حياته، فيما اختلفوا فيه من أمور دينهم ودنياهم، حتى ما يكون بين الزوج وزوجته، انتهى.

[الشيخ محمد بن عمر باذيب (ت 1347هـ)]

قلتُ: والمحب محمد بن عمر المذكور، كان يتعاطى أسباب التجارة بين بلده شبام وبندر المكلا، كعادة أهل شبام، ولكنه من أهل النيات الصالحة، والمتاجر الرابحة، وإلى القارئ من مناقبه لائحَة. قال لي مرةً: إني لا أعامل بعض الحبايب، أو أهل المناصب، لأجل الربح العاجل، وإنما قصدي من ذلك خدمتهم والارتباط بهم، وقد كان والدي في حياته يراسل بعض تجار حريضَة وبضَة.

فقلت له مرةً: إنّ معاملة هؤلاء لا ربح فيها. فقال: وأنا أعرف ذلك، ولكن قصدي المشاركة في عمارة حوطة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وزاوية الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، انتهى.

قلتُ: وأحسن مما تقدم، ولم أسمعه من غيره، أن المحب محمد المذكور وقعت بينه وبين أخيه وقفةٌ، في قسمة تركة والدهما، ولم يكن له وارث سواهما، فتوسط بينهما الأخ العاقل المصلح، حسين بن الحبيب جعفر المذكور. فسمعت المحب محمد المذكور بأذني، يقول للأخ حسين المذكور: افعل ما بدا لك، فإني قد وطنت نفسي أنّ والدي خلف ثلاثة من الأولاد، فهل تريد أن تجعل لي أقلّ من الثلث! ففرح منه الحاضرون، ودعوا له بخير، وانتهت مسألتهما على أحسن وجه.



وكانت وفاة صاحب الترجمة، الحبيب جعفر بن محمد المذكور، ببلد بضه سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.



قلتُ: وصاحب الترجمة، الحبيب جعفر بن محمد المذكور، هو عمي أخو والدي من الأب، وأصغر منه سناً. لأن أم والدي، هي الشريفة العابدة، علوية بنت الحبيب محمد

بن جعفر، صاحب القبة بغيل باوزير. وأم عمي جعفر، وبقية إخوانه، هي الشريفة الصالحة، زينة بنت الحبيب علي بن جعفر. وقد تقدم ذكر الحبيب محمد بن جعفر، وأخيه الحبيب علي بن جعفر، في (الباب الرابع).

[أخذ المؤلف عن عمه صاحب الترجمة]

وقد قرأتُ، بحمد الله، على عمي جعفر المذكور، أم القرآن في صغري، ثم أقرأنيها هو، وقرأ على صدري سورة ألم نشرح.



[أبناء صاحب الترجمة]

وخلف صاحبُ الترجمة من الأولاد الذكور ستة:

[1- حسين بن جعفر]

حسين بن جعفر، وليد بضة ودفينها، وهو أكبر أولاد صاحب الترجمة. كان ملازمًا لخطة والده في وسائله ومقاصده، وعليه نظر خاص من أكابر عصره، وكان كريمًا، خبيرًا بتطورات الزمان وأهله، مسموع الكلمة عند ذوي الجاه وولاة الأمور، لمعرفتهم بصدقه ونزاهته، وكان قويَّ الإرادة، ثابت المبدأ، لا تعترضه عقبة من عقبات الحياة إلا دكّها وتخطاها.

فمن ذلك: أنه في بعض السنين، وقع بينه وبين أحد جيرانه ببلد بضة نزاعٌ على بعض السبل، وكان ذلك الجار في ذلك الوقت من أهل الثروة الكبيرة، فأراد أن يبني منزلًا، ويسد الطريق القريبة إلى دار الأخ حسين بن جعفر وإخوانه الجديدة، فمنعه الأخ حسين من البناء بتاتًا، واشتد النزاع بين الطرفين.

فأرسل إلى الأخ حسين إلى حريضه، وجئتُ على داعيه، فطال النزاع، ومال غالب أهل البلد مع المثري، ثم عقد المصلحون مجلسًا للنظر في الساحة، أي الأرض التي سيكون البناء فيها. فخرجت أنا مع الأخ حسين وإخوانه، وجاء ذلك الجار في عصبةٍ من وجهاء البلد، المائلين معه. وطال الكلام وقصر في ذلك الموقف.

فقام بعض المائلين، ووجه الخطاب إلى الأخ حسين، وقصده أن يخوّفه، فقال: إن أمامك فلان، معه قروش، أي ريالات جم، ما با تقدر فيه، أي لا طاقة لك بمخاصمته. فقال الأخ حسين: والله وبالله، إنا سنأتيه برجال على عدد قروشه، يردونه للحق وهو مقهور هو وأذنابه.

فلما رأى الحاضرون أن الأمر جِدّ، مع معرفتهم أن مستندَ الأخ حسين قوي بأهل الجاه والشوكة، أخروا الدعوى لمدة أسبوع. وهمس العقلاء في أذن ذلك الجار المثري، بأن يرجع للحق، ويهدم ما قد بناه في السبيل من تلقاء نفسه، فلم نشعر إلا بهدمه، من غير خبر ولا اجتماع.

فلما عادت المياه إلى مجاريها، عدت إلى بلدنا حريضة، وخرجت لمصافحة سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وكنت قد استأذنته في مسيري إلى بضة، فوجدته مستندًا كعادته، فلما صافحته، أمسك بيدي، فجعلت أكبس يده، وهو يسألني عن رحلتي. فلما وصلت عند قول الأخ حسين: والله وبالله إنا سنأتيه برجال على عدد قروشه ويردونه للحق وهو مقهور هو وأذنابه. نفض الحبيب أحمد يدي من يده كالمتحمس، واستوى جالسًا، وهو يشير بسبابته، ويقول: والله ما خلينا كلمته تقصر، ولكن الحمد لله الذي قدر ولطف. ثم إني أحسست بمحبة الأخ حسين تضاعفت عند الحبيب أحمد من ذلك الحين، لصلابته في شفه ومروءته، انتهى.

[2- علي بن جعفر]

والثاني من أولاد الحبيب جعفر: علي بن جعفر، وليد بضه ودفينها. تهذب وتخرج بوالده، ولم يفارقه حضرًا وسفرًا، حتى حج معه حجة الإسلام، وتشرف بزيارة سيد الأنام. ومن المعلوم أنه لقي الكثير من أكابر عصره، فأخذ عنهم بإشارة والده.

غير أن الأقدار ساقته بعد ذلك إلى جاوة، ومنها إلى (سيڤاراجا) من جزيرة البالي، فاشتهر فيها بالتجارة النزيهة، والسيرة الحسنة، وإكرام الوافدين إليها. وكان ذا ورع حاجز في معاملاته، مع الله ومع الخلق، ولم أر أحدًا مثله في جاوة يتحرى في إخراج الزكاة وتوزيعها على مستحقيها. ومن ورعه: أنه كان لا يضع نقوده في البنك، ويقول: إنها دخلت علينا من وجه شرعي، في معاطاة حلال، فإذا وضعناها في البنك بدّلونا بغيرها. ومن صدقه مع الله، وكرامته على مولاه: أن الله قد سهل له الخروج من أرض الغربة بأولاده وبناته ووالدتهم، بعد أن أقام بها عشرات السنين، إلى بلدة بضه، وقد أعانه على ذلك أكبر أولاده، أبوبكر بن علي، وليد البالي، وخريج بضه.



[3-6: بقية أبناء الحبيب جعفر]

والثالث والرابع من أولاد الحبيب جعفر: محمد وأحمد، وليدا بضه، ودفينا سربايا بجاوة، وما أشبههما بمن قبلها سيرة وأخلاقًا.

والخامس والسادس منهم: عبدِالله بكسر الدال، وعمر، وليدا بضة، والبقية المباركة بها الآن، كرس كل واحد منهما أوقاتًا طويلة على طلب العلم الشريف برباط تريم، ونجحا في طلبهما، علمًا وعملاً وسيرةً. وكلهم والدتهم الشيخة العفيفة، شفا بنت الشيخ الصالح المعمر، أحمد بن محسن العمودي، وليد بضة ودفينها.

ولا عَيب في أولاد الحبيب جعفر المذكورين، إلا أنهم غدرو بالدهر في خطته، التي يفرق بها بين الإخوان، فجعلوا قول سيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من لا يرحم صغيرنا، ولا يوقر كبيرنا، فليس منا**»، نصب أعينهم، ولا أكون مبالغًا إن قلتُ: إن الفضل في ذلك كله يرجع إلى الأخ علي بن جعفر، كما سمعت ذلك من إخوانه.

[أخبارهم من كتاب «الشامل»]

وقال الأخ العلامة المحقق، علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد، في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت»، عند ذكر بلد بضة وفضلائها:

«ومن السادة آل عطاس: الحبيب محمد بن حسين بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الحبيب عمر العطاس، العلوي الحسيني. كان من أهل الفضل والخير والتواضع، توفي ببضة سنة ست وتسعين ومائتين وألف هجرية.

وابنه السيد الشريف، جعفر بن محمد، ترجمة في «الشجرة»، يعني الحبيب العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور، فقال: «كان شريفًا فاضلًا، ناسكًا فقيهًا، حسن الأخلاق. له تعلق بالعلماء والصلحاء، وله ذرية صالحة، لهم سمت وسيرة حسنة».

منهم كريم الأخلاق **علي**، مكث مدةً بالبالي، من جزائر جاوة، ثم عاد إلى بلده، وتوفي بها. وأخوه **حسين**، له تعففٌ وسيرةٌ، وخلق حسن. وطلب العلم منهم: **عبدِالله**، بكسر الدال، **وعمر**، انتفعا بارك الله فيهم. ولجدهم الحبيب جعفر بن محمد بن علي ترجمة في (الجزء الثاني) من «عقد اليواقيت»، سنذكر منها ما تيسّر، عند ذكر بلد صُبَيخ بالوادي الأيسر»، انتهى المراد من كلام الحداد.

قلتُ: والحبيب جعفر بن محمد، صاحب القبة ببلد صُبَيخ، من دوعن الأيسر، هو جدي الأكبر، وقد تقدم شيء من ترجمته في (الباب الرابع) من «تاجنا» هذا، عند ذكر سند ابنه الحبيب علي بن جعفر. كما أن الحبيب محمد بن حسين، المذكور في كلام الحداد، هو جدي الأقرب، وقد تقدمت ترجمته أيضًا في (الباب الخامس)، وجعفر بن محمد الأخير، صاحب الترجمة، هو عمي أخو والدي، وكذا إخوانه المذكورون بعده، عبدِالله بن محمد، وأحمد بن محمد.



[الشيخ أحمد بن عبدالله بركات الشبامي المتوفى سنة 1346هـ]

وعلى ذكر مدينة شبام وباذيبها، محمد بن عمر خريجها وأديبها، تذكرت الآن صاحبنا الرجل المعمر الحكيم، الشاعر الأديب، أحمد بن عبدالله بركات، وليد شبام ودفينها، أدرك الحبيب حسن بن صالح البحر، ومن طبقته، وحضر عليهم، وسمع منهم، وسمّع بالتشديد لهم، وبسطهم وانبسط بهم، كان يحفظ الشيء الكثير من كلام الصالحين وقصائدهم.

حضر مرةً في سمر زواج، عند بعض الحبايب آل عطاس، ببلدنا حريضة، فأشار عليه سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس أن ينشدهم من كلام الصالحين، وقدموا له الطّار، أي الدف، فاستفتح ذلك بقصيدة الشيخ عمر بامخرمة، التي مطلعها:

مطربه قال لي محبوبي احفَظْ لسَانكْ

لا تكلّم بكلمةْ غير بعد امتحَانكْ

فلما وصل عند قوله:

ذيبهـا منـك والرّعْيـان والضـانْ ضـانكْ

وأمْرهـا بـين تثقيلـكْ ورأفَـة حنانـكْ

رأيت الحبيب أحمد ظهر في وجهه السرور، وكنت قد عرفت أنه معه قبض في ذلك اليوم، من حوادث الزمان. فقلت لبركات، وكنت قريبًا منه: عساك تحفظ غيرها لبامخرمه!. فقال: نعم، حتى يشير علي بالسكوت. وأنشد في تلك الليلة نحو الثلاثين من غرر قصائد الشيخ عمر بامخرمه. وقال لي: إني كنت أحفظ من كلام بامخرمه ثلاثمائة قصيدة، يعني غير محفوظاته الأخرى. ثم قال لي: وسأفيدك فائدة، أكثر الناس عنها غافلون، وهي أن كثرة الفقيع، يعني ضرب الطبل، تذهب نور القصيدة، وكثرة المراقبة تذهب نور المجلس، انتهى.



وكان عاقلًا أديبًا، شاعرًا محبوبًا، وبما أن حرفته التي يعيش منها تبييض قدور النحاس، أي طلائها بالرصاص، لئلا تغير الطعام، كان يتنقل في البلاد الحضرمية، يمكث في كل بلد شهرًا أو شهرين، ثم يعود إلى بلده شبام، ويقضي باقي السنة فيها.



[طرفة: إذا عصت النار!]

وكان سيدي الحبيب أحمد بن حسن يفرح به إذا جاء إلى حريضة، ويكرمه، ويستروح بكلامه ونكته، وهي كثيرة.

ومنها ما وقع له مع الحبيب أحمد المذكور، وهي أنه مرة جاء إلى حريضة، وأنهى حرفته التي جاء من أجلها، وأراد الرجوع إلى بلده، وقد اقتضى أجرة عمله من غالب أهل البلاد، وبقيت له أجرة ليست بالقليل عند بعض أهل الشوكة في البلد.

وكان من عادة بركات، أنه يحضر الروحة العصرية عند سيدي الحبيب أحمد، فحضر على عادته، وصادف حضور عزيمه في تلك الروحة، وكانت القراءة في ذكر الجنة والنار. فسأل بركات الحبيب أحمد: لماذا خلق الله النار؟ فقال: ليعذب بها العصاة. فقال بركات: إذا عصت النار؟ فحالًا فهم الحبيب أحمد نكتة السؤال، وأمر القارئ بالاستمرار في القراءة، فلما انتهت الروحة التفت الحبيب أحمد إلى صاحب الشوكة، وقال له: يا فلان، إن بركات عزم على الرجوع إلى بلده، فنرجو منك أن تكلم أهل البلد يدفعون له ما عندهم من الأجرة. فقال: وأنا كذلك عندي له كذا وكذا. فقال الحبيب أحمد: مثلك معاد يحتاج كلام.

فما بات بركات تلك الليلة إلا وقد استوفى جميع ما له من الأجرة، ثم جاء في الصباح إلى عند الحبيب أحمد، وأخبره بذلك، فضحك الحبيب أحمد، وقال له: إن هذه حيلة لطيفة، لم تسبق إليها.



[قصة شبيهة لباقطيان]

فقال بركات: بلى، قد لباقطيان، يعني حدادًا مشهورًا بجهة حضرموت، قريبًا منها. وهي: أنه جاء مرة إلى بلد نُحوله، التي تسكنها قبيلة آل محفوظ، وأقام فيها يخدم لأهلها الحديد، فلما عزم على الرجوع إلى بلده، روضة باقطيان، وعند بعض أهل نُحوله قرش، أي ريال، فطلبه منه باقطيان. فقال له: إن تنقص الثلث، دفعت إليك الثلثين في الحال، وإلا منك الصبر، ومني الوفاء. فرضي باقطيان بالثلثين، وهو ستّ أواق. قلتُ: لأن صرف الريال في ذلك الوقت: تسع أواق دوعنية، أي عملة وادي دوعن وملحقاته. و«الأوقية» هي عبارة عن قطعة من نقود الفضة، تشبه الدرهم، وأظنها من نقود اليمن القديمة. لأنه مكتوب فيها: «المهدي بالله»، وتكاد تضمحل في الوقت الحاضر.

رجعنا إلى كلام بركات، الجدير بالإنصات. قال:

وكان باقطيان ساكنًا في دويرة قريبة من دار مقدم تلك القبيلة، فلما جاء الليل تغنى باقطيان على مطرقته، وكان يقول الشعر، فأصغى المقدم إلى صوته، فإذا هو يقول:

خـذْ لـك مـلا الوجـه في الـدّنيا ولا تلتفِـتْ

بـومَقْطن يقـول اِنّـي خـذْت في القـرش سِـتّ

ولا يـــدقق حســـابه كـــل مـــن بايِيـــتْ

فاستعاد الأبيات منه الحبيب أحمد، وأمر بكتابتها.

قلتُ: وقد جرى الشطر الأخير منها مجرى المثل، وهو قوله: «ولا يدقق حسابه كل من بايبت»، أي يسافر.



[الرطوبة والخِفّة]

على أنها كانت بيني وبين بركات المذكور، ألفة ومحبة، وقد يأتيني إلى دارنا حينما يكون ببلدنا حريضه. فجاءني مرةً وأنا أتغدى على خمير الذرة مع الروبة، أي اللبن الحامض منزوع الزبد. ثم جاءني مرة ثانيةً، فوجدني كذلك، فعزمت عليه للأكل.

فقال: إني أحتاج لعيوني، إشارة إلى أن الخمير يابس، والروبة كذلك! وذلك مضر بالبصر. ثم قال:

روّح الـــنفْسَ بالرطوبـــةْ إليهـــا   لا تكـــن جالـــبَ الحفُـــوف إليهـــا

ربمـــا مسَّـــها الخميـــرُ بيـــبْسٍ   فتكـــون أنـــت والخميـــرُ عَليهـــا

قلتُ: وأصل الأبيات إلا هكذا:

روّح الـــــنفس بالسّـــــلوّ إليهـــــا ... لا تكـــــن جالـــــبَ الهمـــــوم إليهـــــا

ربمـــــا مسَّـــــها الزمـــــان بســـــوءٍ ... فتكـــــون أنـــــت والزمـــــانُ عليهـــــا

وقد جرت له هو مثلها في بلده شبام، وهو أن بعض الناس وقف مرة تحت دار بركات، وقت الغداء، وناداه: هل عندك شيء من الرطوبة؟ فقال له بركات: احذف الطاء، وأهلًا بك. أي ليس عندنا غير الروبة!.

قلتُ: وأهل حضرموت يعبّرون عن السّمن والسمين بالرطوبة، وعن الأكل الخشِن بالحفُوف. ولا مشاحة في الاصطلاح.



[برد الشتاء يحرق في آخره]

ومرةً قلت له: إن الناس يحذرون من معاملة فلان، وأنا ما أرى منه إلا خيرًا. فقال لي: إن بعض الناس مثل الشتاء، أي البرد، إن ما أحرق في أوله، أحرق في آخره، انتهى.



[بقي بيننا المروة والجميل]

ومن نكته أيضًا:

أن أخاه كان يتعاطى أسباب التجارة ببلدهم شبام، فجاءت مرةً جمالٌ من المكلا، عليها حمول لأخيه، فمسك حملًا من الحب، أي الذرة، وأدخله داره.

فاشتكاه أخوه عند أمير البلد، وقال له: إنا قد قسمنا جميع متروكات والدنا، ولم يبقَ عندي له أدنى حق. فقال بركات للأمير: قل لأخي: يتصفح خَارِجه، أي خط القِسْمة. فأتى به أخوه، وقرأه الأمير، وقال لبركات: إنه لم يبق لك أدنى حق عند أخيك. فقال: عاد بيني وبينه الجميل والمروة.

قلتُ: وكان من عادة أهل حضرموت أنهم يكتبون في آخر حِجَج قسمة التركات: «ولم يبقَ بين الورثة المذكورين، إلا الجميل والمروءة».

ثم قال: وهل من المروءة أن يأكُل أخي هو وأولاده وأنا وأولادي جياع!. فضحك الحاضرون، وقال أخوه: اشهدوا علينا أن الحمل الذي أخذه أخي أحمد هو ثَمَن ما بقي بيننا من الجميل والمروءة.



ومنها: ما وقع بينه وبين الأمير المذكور، وهي: أن ولد بركات وولد الأمير الصغيرين، كانا يلعبان بالكرة، فدفع ابن بركات ابن الأمير، فسقط وانكسرت يده. فأخذ الحرس الاثنين، وقدموهما للأمير، فاستدعى بركات، وأخبره بالقصة، مع شدّةٍ وغضَب. فقال له بركات: احكم فيها بما شئت، وإلا ولّني. فقال الأمير: ولّيناك الحكم. فنهض بركات مسرعًا، ووضع ابنه في حجر الأمير، ثم احتمل ولد الأمير. وقال له: ابنك الصحيح وابني المكسور، هذا حكمي! ثم قصد الباب للخروج، فضحك الأمير، وقال له: غلبتنا في الجد والهزل.



[بركات وعقد الفضة!]

ومن حكم بركات البالغة: التي تدل على غزارة عقله، وبعد نظره، وثباته عند الصدمة الأولى. ما وقع له ببلد صيف وكان يتعهدها كغيرها من البلاد ويجلس في

جانب من دار أحد معارفه. فجاء مرة على عادته، وجلس عندهم مدةً، فلم يشعر في بعض الأيام إلا بثلاثة من وجهاء البلد، دخلوا عليه في المكان الذي هو جالس فيه، وحالًا قالوا له: نحن نعرفك أنك إنسان زين، ولكن الشيطان قد يغر الإنسان، والآن هات عقد الفضة الذي سرقته على أهل هذه الدار.

قال بركات: ففكرت لحظةً، فرأيت أن هؤلاء الثلاثة يكادون أن يكونوا عقلاء البلد، فكيف بسفهائهم إذا أنكرت من ذلك، وارتفع الصوت. فقلت لهم: العقد قد خرج من يدي، ولكنني مستعد لدفع ثمنه. فقالوا: لا بأس عليك. فقلت لهم: كم ثمنه؟ فسألوا أهل الدار، فقالوا: ثمانية عشر ريالات. فقمتُ حالًا ودفعتها لهم، وقلت لهم: أرجوا من الله ومنكم ستر هذه القضية. فقالوا: كن على ثقة، أنه لا يطلع على هذا الحال غيرنا.

وفي اليوم الثاني، استأجرت دويرة صغيرة، ونقلت إليها، وبقيت في عملي، وكان أهل الدار الأولى لهم بنت متزوجة ببلد قيدون، قريبًا من صيف، تتردد لزيارةأهلها، فجاءت في اليوم الثالث من وقوع القضية، وسألت عني، فقال أهلها: إنه سرق العقد، ولكنا استطرحنا منه ثمنه!. فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكشفت عن عنقها، وقالت لهم: هذا هوالعقد، أنا أخذته في زواج آل فلان، وهو باقي عندي.

فاستدعوا الثلاثة المذكورين، وأخبروهم بالحال، فلم أشعر إلا بدخولهم علي، هم وأبو البنت، وأخبروني بما قالته البنت، وردوا على ريالاتي، وطلبوا مني العفو. فعفوت عن الجميع. ثم سألوني عن الحامل لي على الإقرار، وأنا بريء؟ فقلت لهم: أنتم حينما كلمتوني في هذا الشأن، ليس معكم أدنى شك أني أنا الذي سرقت العقد، فإذا أنكرت من ذلك لا شك أنكم سترفعون الصوت عليّ، وبلدكم هذه ممر القوافل، أي العير، إلى بلدي شبام، فيبلغ الخبر إلى أولادي وأهل بلادي بأني سرقت، وإذا تحصل العقد سوف لا يكون فيه رفع صوت، ولا

أخذ ولا رد، كما هو الواقع الآن!. فخجلوا خجلًا مزريًا، وخرجوا من عندي وهم يتلاومون، انتهى ما قاله بركات، وما أبداه من الصبر والثبات، وهذا هو السهل الممتنع عند أهل العقليات، فلا يحسبنّ كل إنسانٍ أنه بركات.

وكان سيدي الحبيب أحمد بن حسن المذكور كثيرًا ما يستعيد هذه القصة منه، معجبًا بها وبثباته، كما أنه كثير الثناء عليه في عقلياته ودينياته، لأنه كان حسن السيرة، مواظبًا على صلاة الجماعة، وقراءة الأوراد، وزيارة الصالحين، الدنيويين والبرزخيين، وكانت وفاته ببلده شبام، في شوال سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية.



[الحبيب أحمد بن محمد العطاس]

ومنهم الحبيب الآخذ العزيمة، ملامتي الحال ذو الطريقة المستقيمة، والعادل عن منادمة الإنس إلى منادمة الجن فرارًا من الغيبة والنميمة، أحمد بن محمد شقيق الحبيب جعفر، الآنف الذكر، أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه.

كما أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس أخذ تبرك واستمداد، لأنه كان في غاية من الانكماش عن مخالطة جميع الناس، لا شغل له إلا العبادة والإكثار من ذكر الله، وهو من البُله، بضم الباء، المعنيين بقول الصادق الصدوق صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أكثر أهل الجنة البله**»، لأنه كان لا يفقه كثيرًا من أمور الدنيا.

حتى إنه إذا دعته الحاجة إلى شراء شيء من السوق، يخرج أولًا بالريال، فيضعه عند صاحب الدكان، أي الحانوت، ثم يعود إلى البيت، ويأتي مثلًا بوعاء الزيت، ثم

يرده، ويأتي بوعاء السكر، وهكذا حتى يتم ما أراده على هذا الترتيب، ثم يعود آخر مرة للمتبقي من الريال ويأخذه. وكان أهل السوق يفرحون به كثيرًا، ويتبركون بدخوله عليهم، ويعرفون عادته، فيراعونه حق المراعاة.

على أنه قد تفقه في صغره على والده وإخوانه، حتى صار أشدهم تحريًا في الطهارة، وتكبيرة الإحرام.

غير أنه لم يتزوج قط، لشدة حيائه من ذكر ما يستحيي منه. وقد حسّن له مرةً، أمر الزواج، بعضُ أهله، ووصفوا له بنتًا مع أحد الصلحاء من المشايخ آل عمودي ببلد قيدون، وكان من عادة صاحب الترجمة إذا زار قيدون، ينزل في بيته، لما وقع بينهما من المحبة والألفة. فكأنه استحسن ذلك، وسار من حينه إلى قيدون، على قصد أن يخطبها لنفسه، وفرح أهله بذلك. فلما بلغ نصف الطريق رجع إلى بلده بضة، فسأله أهله عن خبره؟ فقال: إن مثل هذا الكلام خزْوَة، أي حياء من الله ومن الناس، يوم قول لهم: بغيت بنتكم. ولم يعد يذكر الزواج بعد ذلك.

[شقيقة صاحب الترجمة، الشريفة فاطمة]

وله أيضًا شقيقة عابدة صالحة، اسمها فاطمة، لا تستريح إلا بذكر الجنة، وما أعده الله فيها للمؤمنين، وكانت تستوحش من النساء الغير المحارم. وقد خطبها ابن عم لها، ولم تعلم بذلك. فلما أصبحوا، قالت لأهلها: إني رأيت البارحة كأنكم عزمتم على إلقائي في بئر عميقة، فاستيقظت من النوم من شدة الرعب. فقالوا لها: من الآن لا تخافي، ولم يخبروها بشيء مما كان، بل ردوا ذلك الخاطب أدراجه، انتهى.

وكان لصاحب الترجمة، الحبيب أحمد المذكور، صاحب من مؤمني الجن وصلحائهم، اسمه القَرْم، بفتح القاف وسكون الراء، بن عبد الوهاب. كان يأتي إلى صاحب الترجمة في غرفته الخاصة، كل ليلةٍ في الثلث الأول من الليل، ويتحدث معه ما شاء الله، وكثيرًا ما يراه بعض أهل صاحب الترجمة، ويسمع حديثهما، فلا يتعرضون لصاحب الترجمة ولا لسميره بمشوّشٍ، ويعرفون ذلك بطفي السراج، حتى يخرج من عنده. وكان كثيرًا ما يخبر صاحب الترجمة بأشياء قبل وقوعها، فيقول صاحب الترجمة: أخبرني القرم بن عبدالوهاب بأنه سيكون كذا وكذا، وربما قال: أخبرني بشيء، ولم يأذن لي في تفصيله، انتهى.

قلتُ: فيكون الأمر كما قال، بقدرة من جمع بين الأضداد والأشكال، وليس على الموحدين فيما قضاه الله وقدّره أدنى إشكال.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وبما أن صاحب الترجمة، الحبيب أحمد المذكور، هو عمي، أخو والدي من الأب، فقد تعددت لي زيارته إلى بلده بضة، والاستمداد من صالح دعواته. وكان يأمرني بقراءة المنجيات السبع عند الخوف والشدة.



وعلى ذكر المنجيات، فقد نظم الحافظ المحدث عبدالرحمن الديبعي المنجيات والمهلكات والمنقذات، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المنجيات:

جـرُزٌ ويـس التـي قَـد فصّـلتْ	تنجـي الموحِّـدَ مـن دُخَـانٍ واقعَـةْ
وتمـام سـبعِ المنجيـات بحَشْـرها	والملـكِ فاحفظهـا فـنعم الشـافعَةْ

المهلكات:

والمهلكــات الســبعُ قــل مزمّــلٌ ثــم البــروجُ وطــارقٌ هــي قاطعَــةْ

ثــم الضّــحىٰ والشــرحُ مــع قــدَرٍ لئيــ ــلافٍ لاهــلاك العــدو مســارعَةْ

المنقذات:

والمنقــذاتُ الســبعُ خــذها: كــوثرٌ ولســـتةٍ مـــن بعـــدها متتابِعَـــةْ



[الحبيب عبدِالله بن محمد العطاس]

ومنهم الحبيب النديم، العابد المستقيم، والمعدود من أهل الحظ العظيم، عبدِالله بن محمد، شقيق الحبيب أحمد والحبيب جعفر المذكورَين قبله. وليد بضة ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة والده، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، وأخيه حسين بن محمد، المتقدم ذكره في فضلاء بلد حريضة من (هذا الباب). وأخذ أيضًا عن الحبيب أحمد بن محمد المحضار، وتفقه على الشيخ محمد بن عبدالله باسودان، المتقدم ذكرهما في (الباب الخامس). وأخذ عن أبيه الحبيب أحمد بن محمد بن حمزة العطاس، الآتي ذكره في (هذا الباب)، وله معه قصة عجيبة ستأتي إن شاء الله في ترجمة الحبيب أحمد المذكور.

كما أن صاحب الترجمة صحب الحبيب العلامة علوي بن عبدالرحمن المشهور، المتقدم ذكره في (هذا الباب) حضرًا وسفرًا، وعقد معه الأخوة في الله، وله صحبة

تامة أيضًا مع الحبيب المتبتل إلى الله، عبدالله بن محمد بن أحمد العطاس الحريضي، وقد تقدم شيء مما كان بينهما في ترجمته.



[رحلاته وأسفاره]

وقد سافر صاحب الترجمة إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وقرأ بمكة على شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وعلى الشيخ عمر بن أبي بكر بن عبدالله باجنيد. ثم رحل إلى مصر لطلب العلم، غير أنه لم تطل إقامته بها، فتوجه منها إلى جاوة لتعاطي أسباب التجارة بها، فلما رأى حالة أهلها، وما هم فيه من الكد والنكد في شأن التجارة، وكان صاحب ذوق سليم، وفكر مستقيم، قال: إنا لو بذلنا مثل هذه الجهود في وطننا لكان تعبنا مضمونًا على كل تقدير، وعاد إلى بلده بضة.

وكانت عنده جَرْبان، أي قطعتا أرضٍ، معدة للحرث، فغرسهما نخلًا من أجود الأنواع، وواصل سقيه، واعتنى به أشد العناية، حتى صار نخلًا مثمرًا، ممتازًا عن غيره، يلفت أنظار المارين، في مدة يسيرةٍ، بالنسبة إلى عشرات السنين التي يضيعها مهاجرة الحضارم بجاوة. ثم باع صاحب الترجمة أحد الجربين بكمية وافرة من الريالات، ووفى ما لحقه من دين في مدة الغرس، وأرسل الباقي إلى سنقافورا عاصمة ملايا، عند صديق له، وأمره أن يشتري له بيت للإيجار، فامتثل الصديق، وصار يرسل إليه غلته إلى صاحب الترجمة في كل ستة أشهر مرة.

وأبقى الجرب الثاني له ولأولاده، يأكلون من رطبه، ويدخرون تمره لمدة السنة، فمر حاله جميل، على ما يقال في المثل الحضرمي: «يأكل حلال، ويعبد جلال»، مواظبًا

على أداء الصلوات الخمس جماعةً في المسجد، محتمًا على نفسه العمل بالحديث الشريف: «**لا صلاةَ لجارِ المسْجد إلا في المسجد**»[1]، كما أنه مولع بإحياء ما بين العشاءين، مع قيام الربع الأخير من الليل، على تلاوة القرآن، بالتدبر والإتقان.

وكان ذكيًا يفْهَم ويفُهِم غيره بإيجاز. فمن ذلك: أنه أراد أن يرسل ابنه الصغير إلى سوق بلدة بضة ليشتري له لحمًا، وأعطاه ريالًا، وعنده جماعة، فبهت الابن والجماعة، فحالًا قال للابن: الجزار الذي تجد آل مطهّر يشترون من عنده، أعطه الريال، وقل له: أعطنا بهذا لحمًا.

قلتُ: وآل مطهر هم فخذ من المشايخ آل عمودي، سكان بلد بضة، قد اشتهروا بالذوق السليم، والإحسان في شؤونهم.

وكان قويّ الحافظة، خفيف الذاكرة، له ملكَةٌ تامة في إلقاء المحاضرات الأدبية، حتى إن الذين قد عرفوه من الأدباء، يتعمدون المناقشات فيما بينهم للاستفادة منه، فمن ذلك أنه جرى مرةً بحضوره ذكر حسن المعاشرة، ومراعاة الآداب مع الناس، وكيف السبيل إلى ذلك، فتشعبت الآراء فيما هنالك، ثم تحولت الأنظار إلى صاحب الترجمة، فقال:

والثالثُ المختَار أن يفصّلا ... وباختلاف الناسِ أن ينزّلا

ثم قال: والصواب عندي، ما جزم به الشاعر الحاذق الماهر في قوله:

كُن لطيفًا باللطّافةْ تحتمَلْ ... أو سخيًا ينتفِي عنْكَ الجلَفْ

فإذا حزْتَ اللطافةَ والسّخا ... جمعَتْ فيك كراماتُ السلَفْ

---

(1) أخرجه الدارقطني والحاكم وعبدالرزاق.

فصفق الحاضرون من الإعجاب، وألحقوا رأيه بنص الكتاب.

قلتُ: وقوله «والثالث المختار..»، هو بيت من خاتمة «متن الزبد» في الفقه، يستشهد به الأدباء عند تعارض الأقوال، وقبله:

واختَلفُوا فرُجّحَ التوكلُ	وقال قومٌ الاكتسابُ أفضَلُ
والثالثُ المختَار أن يفصّلا	وباختلاف الناس أن ينزّلا
مَن طاعةَ الله تعالىٰ آثَرا	لا سَاخطًا إن رزقُه يعسّرا
ولم يكن مستشرفًا للرزْقِ	من أحَدٍ بل من إلَه الخلقِ
فإنّ ذا في حقه التوكُلُ	أولىٰ وإلا الاكتسابُ أفضَلُ

وكان صاحب الترجمة شديدَ الخوف من آيات الوعيد وأحاديثه، دائم التفكر في ذلك، حتى كف بصره في آخر وقته، فصار كل من لقيه من أصحابه أهل الفضل يسليه بالحديث القدسي: «**من أخذتُ حبيبتَيه**، أي عينيه، **فصَبَر واحتسبَ، لم يكن له جزاءٌ إلا الجنة**»[1]، فاستحالت عنده الصهباء، وخيم تحت باب الرجاء، حتى لحق بالرفيق الأعلى.

[أخذ المؤلف عن عمه صاحب الترجمة]

وبما أن صاحب الترجمة هو عمي، أخو والدي من الأب، وقد قرأ على والدي، وأخذ عنه تلقين الذكر، ولبس الخرقة، فقد أخذتُ عنه بعد رجوعي من الحرمين، أخذًا تامًا، بسنده إلى الوالد. وبواسطته كان أخذي عن والدي، لأنه توفي وسني إذ ذاك نحو السنة والنصف، كما تقدم ذلك في ترجمته من (هذا الباب)، عند ذكر فضلاء بلد حريضة، انتهى.

---

(1) أخرجه البخاري عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ مغاير، وهو باللفظ عند الترمذي.



[ابنه، صالح بن عبدِالله]

ومن أبناء الوالد عبدِالله، صاحب الترجمة: صالح بن عبدالله، وليد بضة ودفينها، هو أكبر أولاده. عاشرته فوجدته كما يقول النحويون: «كلمة دلت على معنى في نفسها»، أي أنه صالح ذاتًا وصفاتًا. تربى وتهذب بوالده، وشارك في طلب العلم، مع نور الفهم. وكان ديدنه توقير الكبير، ورحمة الصغير، والامتلاء بأهل العلم والفضل، كما أنه كان يعين على نوائب الدهر، بحسب استطاعته.

وبالجملة؛ فقد كانت شخصيته مهيأة لقبول الكمالات، وانتقاشها فيها، غير أن المنية اعترضته في شبيبه الحياة، ففجعت بذلك أهله، وفتتت أكباد من عرفه أو سمع به، فرحم الله الجميع، وبارك في خلفهم بمنه وكرمه.



[الحبيب سالم بن علي بن حسين العطاس]

ومنهم الحبيب الوقور، المجاهد الصبور، والحاضر مع أهل الحضور، سالم بن علي بن حسين بن هود بن الإمام علي بن حسن بن عبدالله بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد بلد بضة ودفينها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تربى بوالده، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، وتأدب بخاله الحبيب عمر بن هادون العطاس. أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه حين زاره إلى بلده عمد، بمعية والده. كما أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب أحمد بن عبدالله البار، وكان جل أخذه قراءةً وتقريرًا على الشيخ عبدالله بن حسن باطيران العمودي، المتقدم ذكرهم في (الباب الخامس).

[امتهانه النساخة]

وكان صاحب الترجمة ولوعًا بنساخة مؤلفات جده الإمام علي بن حسن، لا سيما «ديوانه» المسمى «قلائد الحسان وفرائد اللسان»، كلما أكمل نسخةً، شرع في الثانية. حتى كاد يحفظه، بل صار هو المنشد، أي الحادي المعيَّن بعد والده، في احتفالات زيارة المشهد، لأنه رخيم الصوت، سليقي النطق بالشعر، كما أن له الحظ الأوفر من قيام الليل وصيام النهار، وكان يتردد إلى حَجْر بن دغَّار، لنشر الدعوة إلى الله بها، وإصلاح ذات البين، ولا يعزب عن بال القارئ من أنها وظيفة والده، خصصه لها الحبيب هادون بن هود، ومن يشابه أباه فما ظلم.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قلتُ: وصاحب الترجمة، الحبيب سالم بن علي، هو خالي، شقيق والدتي، وقد زرته إلى بلده بضة، بمعية الوالدة، وقرأت عليه غالب «ديوان» سيدنا الحبيب علي بن حسن المذكور.



[ابنه، القاضي محمد بن سالم العطاس]

ومن أبناء صاحب الترجمة: الحبيب النبيل، العلامة الفضيل، والمشارك في الجد والتحصيل، محمد بن سالم المذكور. وليد بضة ودفينها، تربى بوالده، وتخرج بعمه شقيق والده، حسين بن علي، المتقدم ذكره عند فضلاء بلد حريضة، وقرأ عليه، وخدمه. وكان عمه المذكور يحبه لذكائه وصراحته في القول، ولما مرض عمه مرض موته ببلد حريضة، أرسل إليه إلى بلده بضة، بعد أن جعله أحد أوصيائه، فلبى دعوته، واعتكف عند رأسه حتى فارق الدنيا، وهو عليه راض، وبه مغتبط، ولو لم تكن له من الفضائل

إلا هذه، لكفته فخراً، وحق له أن يترنم بقول الشاعر:

إذا رضـــيَتْ عنـــي كـــرامُ عشِـــيرتي ... فـــلا زالَ غضْـــبانًا علـــيَّ لئامُهـــا

وكان قد جاورَ بمكة المحمية في عنفوان شبابه، متجردًا الطلب العلم الشريف، السنين ذوات العدد، فكان جل أخذه على الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، والحبيب حسين بن محمد الحبشي، وأخذ أيضًا عن شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، بعد أن حفظ القرآن، وأتقنه تجويدًا، حتى صار زميل شيخنا الشيخ عمر باجنيد في مدارسته. وبعد ذلك ساقته الأقدار إلى جاوة، لتعاطي أسباب التجارة، وانتقل إلى آشي من جزيرة سُمَطرا، وأقام بها، وأدرك ما قُسم له من الرزق. ثم عاد إلى بلده بضة، وشارك في نشر العلم والزعامة بها، حتى تعين عليه منصب القضاء الشرعي، فتقلده ثلاث سنوات.

قال الأخ العلامة المحقق، علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت»، عن ذكر بلد بضه، وفضلائها من السادة آل عطاس: «ومنهم الفقيه الفاضل، محمد بن سالم. طلب العلم بمكة، فتفقه، وعانى التجارة ببلاد آشي، ثم عاد إلى بلده، وبلغني الآن أنه قائم بوظيفة القضاء»، انتهى المراد من كلام الحداد.

[الحبيب حسين بن حامد بن عمر العطاس المتوفى سنة 1367هـ]

ومنهم الحبيب الكريم، ذو الصدر السليم، والمشارك في تحصيل العلم ونشر التعليم، حسين بن حامد بن عمر بن حامد بن محسن بن محمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد بضة ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة ابني صاحب المناقب محمد وعمر، حينما زار ضريح والدهما إلى عمْد، كما أخذ عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس. وتردد إلى الحرمين الشريفين، فأخذ بمكة عن شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وعن الشيخ عمر بن أبي بكر بن عبدالله باجنيد، وعن الحبيب حسين محمد الحبشي. وكان صاحب الترجمة قد صحب الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، والحبيب محمد بن طاهر الحداد، ولازم الأخير حضراً وسفراً، فأخذ عنه وخدمه، وروى عنه، كما في «قرة الناظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر».



وكان صاحب الترجمة من المحبين لإصلاح ذات البين، المنشطين لأهل المشايع الخيرية، وقد لقيَ الكثير من أكابر عصره، وحفظ الشيء الكثير من ظريف حكاياتهم. ومنها حكاية عجيبة، وفي بابها غريبة، قد تقدمت بروايته في (الباب الثاني) من «تاجنا» هذا، عند ذكر القطب، رواها عن الحبيب فضل بن علوي بن محمد بن سهل مولى خيلة الدويلة، وليد مليبار، ودفين استمبول.

وقال الأخ العلامة، علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل»، عند ذكر بلد بضة وفضلائها: «ومنهم السيد الشريف، حسين بن حامد بن عمر بن حامد بن محسن بن محمد بن علي بن الحسين بن عمر العطاس. وهو من أهل الفضل والنسك، والسمت والصبر، والخلق الحسن. صحب شيخنا القدوة الإمام العارف بالله الحبيب محمد بن طاهر الحداد، سفراً وحضراً، وانتفع به. ولا يزال حياً إلى الآن، وقد بلغ عمراً. وكان له أولاد، فقدموا على الله في سنة الحمى العامة التي وقعت بوادي دوعن الأيمن والأيسر، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف، وسنة خمس وثلاثين. فصبر واحتسب، ثم عوضه الله عنهم بذرية أخرى، بارك الله فيهم»، انتهى كلام الحداد.

قلت: وأولاد الحبيب حسين المذكورون، هم عبدالله، وحامد، وحسين، كلهم حفظوا القرآن الحكيم بمكة، وأتقنوه حفظًا وتجويدًا، وكانت ولادتهم في بلدهم بضة، كما أن وفاتهم كانت بها، في مدة أربع وعشرين ساعة، من شدة الحمى، وطغيانها عن البلاد والعباد، كما تقدم شيء من وصفها في أول (هذا الباب)، عند ذكر الحبيب زين بن محمد العطاس، من «تاجنا» هذا.

وكانت وفاة صاحب الترجمة، الحبيب حسين بن حامد المذكور، لِستٍّ خلتْ من جمادَى الأولى، سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف هجرية.

ولصاحب الترجمة أخوان شقيقان:

[أخوه، محمد بن حامد العطاس]

أحدهما: محمد بن حامد. وليد بضة، ودفين حوطة أهل البيت بمعلاة مكة المحمية، جاور بها سنيناً على طلب العلم، ولزوم العبادة، وأدرك نصيباً وافراً من مختلف العلوم، غير أنه تغلب عليه في آخر وقته الابتعاد عن مخالطة الناس، خوفًا من القيل والقال.

[أخوه الآخر، عمر بن حامد العطاس]

والثاني: عمر بن حامد. الجدير بكثرة الثناء والمحامد، وليد بضة ودفينها. كان كريمًا حليمًا مقدامًا، موفقًا في حركاته، مقبولًا عند الخواص والعوام، خصوصًا في إصلاح ذات البين، والمصالح العامة. فقد كان هو الخيّل، بتشديد الياء، أي الناظر على ساقيات بلد بضه، أي مجرى الماء لسقي حرثها، فأتقن عمارتها، وأزال سوء التفاهم الذي كان بين أهلها في تقسيم المياه.

ولسداد رأيه، وصلاح نيته، يكون قوله الفصل، ويجري مجرى المثل. مرةً اشتكى أهل البلد من بعض الناس، وقلة مساعدته في الشؤون العامة، مع كونه يعد في أهل الثروة، واجتمعوا على مقاطعته، وخاف الأخ عمر المذكور من التحزبات، فقام فيهم خطيبًا، وقال: احمدوا الله يا أهل بضة واشكروه، يوم عاد فلان يسرح ويضوي وحده، ايش قياسكم لو عاده الاّ يحتاج كل يوم لواحد منكم، يسرح به ويضوي به! كيف بايكون الحال؟ يعني أن أفعال هذا الإنسان تشابه أفعال المجانين. فوافق المجلس على قوله، وصار ذلك الإنسان أضحوكةً في بلده حتى مات.

قلتُ: وعلى الأخ عمر المذكور نظر خاص من كمل عصره، كما سمعت ذلك من سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، انتهى. وإني بحمد الله، قد عاشرت هؤلاء السادة حضرًا وسفرًا، فوجدتهم نعم السادة.

[الحبيب فضل بن علوي مولى الدويلة المتوفى سنة 1318هـ]

رجعنا إلى الوصل، وما تيسر من ترجمة الحبيب فضل. قال الحبيب الذائق علي بن سالم بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، في كتابه «فيض الله العلي»: «واجتمعت بالسيد الشريف، الصالح الولي، فضل الله العلي، الأخ فضل بن علوي بن محمد بن سهل مولى الدويلة، بمكة المشرفة. وحصل لنا منه غاية الإكرام، والعز والاحتشام، وعقدت بيني وبينه أخوةً في الله تعالى. وكانت همة هذا السيد فيما ينفع الإسلام والمسلمين، ويذل الكفار الظالمين.

وله اعتناء خاص بالسادة العلويين، لكونه منهم بل من أكابرهم. حتى إني سمعت من أخي العارف بالله، سالم بن القطب أبي بكر بن عبدالله العطاس يقول: فضل سلطان الأولياء في زمانه. وسمعته يقول فيه: فضلٌ من الفضل بالفضل.

وسمعت وأنا بمكة هاتفًا يقول: اثنان أكبر حالًا من آبائهما، ولد عبدالقادر الحبشي، وفضل بن علوي. وإن كان أشهر، أي الأخير.

وسمعت أخي العارف بالله، عفيف الدين، عبدالله بن القطب أبي بكر بن عبدالله العطاس، يقول: إن والدي يقول: اثنان ما أقدر أجازيهم، فضل بن علوي، وعلي بن سالم، يعني نفسَه. حقق الله ذلك. وهذا من الحبيب اعترافٌ ووفاء، لأنه قيدوم أهل الوفاء والفضل، ظاهراً وباطنًا، حسًا ومعنى. لكن قال العارفون: ليس المريد من يفتخر بشيخه، وإنما المريد من يفتخر به شيخُه، الحمدلله يوم نفَقْنا عند هذا الحبيب، أي: رضي بنا.

وكان السيد فضل نشأ بمليبار، وأظهر الجهاد على الكفار، وتحيلوا في خروجه من تلك الأرض، وجلس بمكة مدةً، وتردد في الأسفار إلى حضرموت، وزار من بها من الصالحين، ورجع إلى مكة، وتردد إلى الروم مرارًا، وهو الآن بها.

ودخل صنعاء اليمن، وسار إلى مرباط، وانقاد له أهلها، ومشت له بعض الأحكام، ثم رحل منها، وصار بينه وبين أهلها ما صار، والله على أوليائه يغار، ويخلق ما يشاء ويختار»، انتهى كلام الحبيب علي من «فيض الله العلي».



قلتُ: وقوله «ولد عبدالقادر الحبشي»، يعني بذلك: الحبيب الجليل، الجدير بالتعظيم والتبجيل، طاهر بن عبدالقادر بن محمد الحبشي، وليد بلد الغرفة ودفينها، المكتوب في ظهره الجلالة، بيد القدرة الإلهية.



ومن كرامات الحبيب فضل المذكور في حياته: الحكاية المشار إليها، والرواية التي بنيت هذه الترجمة عليها. ولا بأس بإعادتها هنا، بمناسبة كرامة الحبيب فضل على مولاه، كما قدمناها في (الباب الثاني)، بمناسبة رتبة القطب الغوث وأهل نوبته، وما أظن هذا من التكرار الممل. وهذا نصها:

[قصة السيد فضل وشريف مكة]

قلتُ: وحدثني الحبيب حسين بن حامد بن عمر العطاس، قال: أخبرني والدي، قال: كنت مجاورًا بمكة مع الأخ عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن طالب بن حسين العطاس، وكان من عادتنا أنا نجتمع بعد صلاة الصبح بالمسجد الحرام، نطالع مع بعض الإخوان. فقال لنا الأخ عبدالله المذكور، ذات يوم: إني استقمرت البارحة، أي

خرجتُ إلى المسجد ظانًا وقت الفجر في ليلة مقمرة، فطفت بالكعبة، ولم يكن في المطاف إلا نفرٌ يعدون في الأصابع، فعرفت أني قد استقمرت، وعزمت على الرجوع إلى الرباط، فلما قربت من حصوة باب سيدنا علي، رأيت حلقة كبيرة، فيها رجال عليهم سمت ووقار، وفيهم عدد ليس بالقليل من السادة العلويين، وإنما عرفت السادة العلويين بهيئاتهم وكبر عمائمهم، وفي وسط الحلقة الحبيب فضل بن علوي بن سهل، وكان مجاورًا بمكة في ذلك الوقت، واقفًا على قدميه، وهو متحمس.

ويقول: لابد من إهلالك الشريف عبدالله. فردّ عليه شيبة من العلويين، عليه مهابة ووقار، وقال له: يا ولدي، ما نحن مهتمون بشخصية الشريف عبدالله، وإنما اهتمامنا بالأمة، ولا أحد فيه كفاءة الآن لإمارة مكة غيره. فردّ عليه آخر من الجانب الثاني، وقال: لا بأس خلوا فضل يضربه ضربة خفيفة، مجازاة له على سوء أدبه.

فتكلم أهل الحلقة بصوت واحد، وقالوا: هذا هو الصواب. فشمر الحبيب فضل عن ساعده، ورفع يده، ثم أهوى بها إلى الأرض، كهيئة الضارب. وغابت عني تلك الحلقة بأجمعها، فعدت إلى الطواف، وبقيت في المسجد إلى الآن، وأنا متحير مما رأيت، انتهى كلام الحبيب عبدالله بن أبي بكر المذكور.

قال والدي: فتشوفت نفوسنا إلى ما سيحدث، وجعلنا نتنصت لما يقوله الناس، فلما أضحى النهار، انتشر الخبر في البلد بأن الشريف عبدالله أمير مكة أصيب في تلك الليلة بداء الفالج، فيبس، أي تعطل شقه الأيمن، فعرفنا عند ذلك صدق الحبيب عبدالله بن أبي بكر المذكور، ومصداق ما يشاع بين أهل الفضل من أن أهل النوبة يكون اجتماعهم أمام الكعبة المعظمة، كما أنا لا نشك في ولاية الحبيب فضل، انتهى ما قاله الحبيب حسين بن حامد المذكور، وبه انتهت الترجمة.

وكانت ولادة الحبيب فضل المذكور، ببلاد المليبار، سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة، ووفاته بالآستانة (اسْتَمْبول)، سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وألف، وتمام نسبه: فضل بن علوي بن محمد بن سهل بن محمد بن أحمد بن سليمان بن عمر بن محمد بن سهل بن عبدالرحمن مولى خيلة بن عبدالله بن علوي بن محمد مولى الدويلة، إلى آخر النسب الطاهر.



[الحبيب زين بن أحمد خرد
المتوفى سنة 1321هـ]

ومنهم الحبيب المكاشف بالسر، العارف المتستر، والمعين المعان على أفعال البر، زين بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن زين بن أبي بكر بن زين بن محمد بن علي بن زين بن علي بن علوي خرد. وليد بضة ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. تردد لزيارة صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى بلده عمْد، فأخذ عنه، ولبس منه، وروى عنه.

قال المترجم وفارس الميدان المتقدم: «أخبرني الحبيب زين بن أحمد خرد، قال: لما كنت بعمد في بعض زياراتي للحبيب صالح، أيقظني مرة آخر الليل، فخرجت معه إلى المسجد، وتهجد ما شاء الله، ثم دخل بنا منزلًا بجوار المسجد، كأنه من منازل مكة، وفيه امرأة ذات هيئة وهيبة، قدمت لنا قهوة من البن، حجازية الذوق والآنية، وطبقًا فيه عنب طائفي، فشربنا القهوة، وأكلنا من العنب، وجعلت أنا أتحاشا من النظر إلى تلك المرأة، فقال لي الحبيب صالح: إنها لا تنقض عليك، أي محرم لك، ثم عدنا إلى المسجد لصلاة الصبح، وأنا متحير مما رأيت، فخرجت بعد الصلاة وحدي، أفتش على ذلك المنزل، فلم أجد له أثرًا، انتهى.

قلتُ: وستأتي هذه الرواية إن شاء الله في (باب الكرامات)، بأبسط مما هنا، وهي (الحكاية الحادية والعشرون).



وأخذ الحبيب زين المذكور أيضًا، عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس). قال المترجم: «وقد صحب الحبيب زين الأخ الصفوة محمد بن صاحب المناقب، المتقدم ذكره في (هذا الباب). قال: حضرت مرة صلاة الجمعة ببلد عمْد، وخرجت أنا والأخ محمد بن صالح، وجملة من الناس، لحضور الحضرة المرتبة في قبة الحبيب صالح بن عبدالله الحامد، بعد الجمعة. وبعد انتهاء الحضرة دخلنا بيت الحبيب صالح الحامد المذكور، لزيارة البيت، وجلسنا في مكان منه واطي، أي منخفض، ولم يكن معنا ثالث إلا الله، وأخذنا نتحدث، والحديث شجون، ولم نشعر بالوقت إلا بعد صلاة العشاء، فصليناها، وقضينا ما قبلها، ثم سرنا إلى بيت المحب عوض العماري، بجوار بيت الحبيب صالح الحامد، وكان سمر الحبيب صالح بن عبدالله العطاس، عنده تلك الليلة، فلما دخلنا عليهم، كاشفنا الحبيب صالح بما كان من أمرنا، وجعل يردد قول الشاعر:

* كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا *

قلتُ: وهما والله كذلك، عند من عرفهما، أو سمع بشمائلهما، وإن لم يخطر ذلك على بالهما. ومن الكرامات المشتركة بين الحبيب زين ووالده: ما رواه المترجم، من أن والد الحبيب زين ناداه بأعلى صوته من بلدهما بضة، فسمعه الحبيب زين وأجابه وهو إذ ذاك بمكة، كما تقدم في ترجمة والده من (الباب الخامس). وكانت وفاة الحبيب زين المذكور، سنة وحدة وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.

[الشيخ عمر بن عثمان باعثمان
توفي قبل سنة 1320هـ]

ومنهم الشيخ الوجيه، العالم النزيه، والمشهور زمانه بالفقيه، عمر بن عثمان بن محمد باعثمان، ساكن هدون من دوعن الأيمن، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وروى عنه، وقد حصلت له كرامة من صاحب المناقب، حينما أضاف الشيخ عمر المذكور صاحب المناقب في بيته ببلد هدون، ستأتي إن شاء الله في (الحكاية التاسعة عشر) من (باب الكرامات) وهو (الطور السابع) من «تاجنا» هذا.

ثم قال المترجم: «وأنا قد صحبتُ أخاه العلامة أحمد، المقيم ببندر جدة، وكذلك أخوه عبدالله بمكة، ولنا بالجميع الاتصال التام»، انتهى.



قال الأخ العلامة المحقق علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل»، عند ذكر بلد هدون وفضلائها: «ومنهم الشيخ عمر بن عثمان بن محمد باعثمان، كان فقيهاً محققاً، له في المسائل التي يسأل عنها فتاوى تحقيقٍ، وأبحاثٌ دقيقة. مكث بقيدون مدةً، باستدعاء شيخنا الإمام، بدر العباد، ونخر الزهاد، الركع السجاد، السيد الشريف طاهر بن عمر الحداد، لإقامة الدروس.

وقد أخذ عنه شيخنا الإمام محمد بن الحبيب طاهر، وممن أخذ عن الشيخ عمر وتفقه به: الشيخ عبدالرحمن باشيخ. ذكر مجيزنا السيد الشريف، العلامة المسند، الحبيب محمد بن سالم السري العلوي الحسيني في «ثبته»: أن الشيخ عمر أخذ عن الشيخ

عبدالرحمن الكزبري، والشيخ عمر العطار، والسيد الإمام مفتي اليمن وبركته ومسنده، عبدالرحمن بن سليمان الأهدل. وقد زرته في بيته سنة سبع عشر وثلاثمائة وألف، وعمره إذ ذاك كما أخبرني اثنان وتسعون سنةً، واستجزته فأجازني. توفي بهدون قبْلَ سنة عشرين وثلاثمائة وألف».



[الشيخ عبدالرحمن بن أحمد باشيخ]

ومن فقهائها: الشيخ العلامة المحقق، عبدالرحمن بن [أحمد بن][1] عمر باشيخ الدوعني الهدوني. كان هذا الشيخ من أهل الملكة الفقهية، له إطلاع على النصوص، وعنده حفظٌ لمظانها غريبٌ، يكثر التردد إلى زنجبار ونواحيها، وله بها محبون، وإلى الحجاز، يحج بالأجرة، فيستعين بها على زمانه. وعنده مجموعة من الكتب القلمية عديمة النظير، فيها عدد من فتاوى فقهاء حضرموت واليمن، كفتاوى با مخرمة، وباشراحيل، وبايزيد، والحباني، وغيرهم. وكان الشيخ عبدالرحمن أيام إقامته ببلده يجعل درسًا كل يوم في بيته، موضع متسع أعده لذلك، ويأتي إليه الراغبون في الطلب والاستماع من حواليه من القرى، ثم عين مفتياً بالمكلا، على عهد السلطان غالب بن السلطان عوض بن عمر القعيطي، وتولى القضاء مرة أو مرتين، ثم عزل نفسه. وله مع فقهاء عصره مراجعاتٌ، منها مسألة في النذر، ملأها بالنقول والأدلة، ومنها مسألة الشفعة، اشتهرت ببلدان حضرموت قضيتها»، انتهى المراد من كلام الحداد.



(١) زيادة لابد منها (مصحح).

قلتُ: وأنا بحمدالله قد قرأت على شيخنا الشيخ عبدالرحمن باشيخ المذكور، في «الخصائص الكبرى»، في مسجد الروضة، ببندر المكلا، وأجازني بإجازة أشياخه.



[الحبيب حامد بن أحمد المحضار
المتوفى سنة 1318هـ]

ومنهم الحبيب أعجوبة الزمان، وسلوة المحزون وغياث اللهفان، المشهود له بالعلم والحلم والعرفان، حامد بن أحمد بن محمد بن علوي بن محمد بن طالب بن علي بن جعفر بن أبي بكر بن عمر المحضار بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم. وليد القويرة بدوعن الأيمن، ودفينها، رضي الله عنه.

تكرر أخذه عن صاحب المناقب، رضوان الله عليه، حضرًا وسفرًا، كما تكرر ذلك عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، بعد أن تربى وتخرج بوالده الحبيب أحمد، وقرأ على الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان، المتقدم ذكره في (الباب الرابع).

وأتقن فن الفقه، ونجح نجاحًا باهرًا في علم الفرائض، لا سيما المناسخات، فكان يقضي في ذلك بكل سرعة، لرسوخ قواعده في ذهنه، كما أنه كان هو الخليفة الأول في حياة والده، والقائم بوسائله ومقاصده.



ولا غرابة أن قلنا: إن صاحب الترجمة قد أخذ عن أعيان تلك العصور، الخامل منهم والمشهور، بل كان محط أنظارهم، وغيبة أسرارهم، ومغناطيس ضمائرهم وأفكارهم، حتى إنه لقوة انطوائه فيهم، وكثرة عطفهم عليه، يتكلم بحضرتهم بكل صراحة، ومع ذلك كان مقبول اللهجة، قوي الحجة.

[قصته في شبام أثناء زيارة والده، 1292هـ]

سمعتُ أخاه سيدي الحبيب محمد المحضار يقول: لما زار والدي أسفل حضرموت، وكانت زيارة عظيمة بإذن من السلف، صحبه فيها جمع غفير من غالب المدن والقرى، ومعهم الشيء الكثير من الدواب لركوبهم. وكان أخي حامد هو الذي يتولى شؤون الوالد حضرًا وسفرًا، فلما وصلوا مدينة شبام، نزلوا ضيوفًا على أميرِها، نائب الدولة القعيطية في ذلك الوقت، السلطان عبدالله بن عمر القعيطي، وكان صالحًا محبًا لأهل البيت، فتلقاهم بأنواع الترحيب والإكرام.

ثم سار والدي في ذلك الجمع لزيارة دار شيخه، الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، وذلك بعد وفاته، وكان القائم بوظيفة الدعوة إلى الله بعده في ذلك الوقت، الحبيب عبدِالله، بكسر الدّال، بن عمر بن سميط، الزاهد الورع. فلما جلسوا عنده، وكأنها قد سبقت إلى ذهنه وشاية حاسد، قال: كيف لكم تقصدون عند الأمير؟ أليس ذلك يعدّ منكم إعانةً له على ظلمه؟ واسترسل الحبيب عبدِاللاه في العتاب، إلى أن ختم كلامه بقول الشاعر:

إذا ما الفقير بباب الأمير ... فبئس الفقر وبئس الأمير

فأطرق والدي رأسَه ومن معه من الأكابر، إجلالًا للحبيب عبداللاه، غير أنهم لم يشعروا إلا بأخي حامد واقفًا في وسط الجمع، ومستقبلًا وجه الحبيب عبداللاه، وهو يقول: يا حبيب، ما نحن فقراء، ولا أحد أمير علينا، ولكن نحن نظرنا الأصلح لك ولأهل بلدك، إن مرّ أحمد المحضار سنَة زار أسفل حضرموت تحت شبام، ولا دخلها، كيف باتكون حالتكم؟ وإن قصدنا عند الدلاّل فضيحتكم! وإن نزلنا في بيتك بانْتِمَّك حال ومال، فلهذا السبب قصَدْنا عند هذا الرجل. وأشار إلى الأمير، لأنه كان حاضرًا،

وعلى ما قال الحبيب حسين بن محمد الحامد: بغينا قسمنا في جاه الشيخ أبوبكر، وجنتنا لنا، ونارهم لهم، والله يعلم المفسد من المصلح.

وجلس أخي حامد، بعد أن ظهرت آثار السرور على الحبيب عبدِالله، واستحالت الصهباء، ورجعوا إلى ما كانوا بصدده من الزيارة، وتبادل الإشارة والبشارة، انتهى كلام الحبيب محمد المحضار. وقوله «الفقير» أي الصوفي، كما تقدم الكلام على ذلك في أول (الباب الرابع)، عند ذكر خرقة التصوف. وقوله «بانتمك حال ومال» أي: سوف نأكل جميع ما معك، ونتعب أهل بيتك. و«الدلال» هو السمسار الذي يتلقى الأضياف على حسابهم، ويأخذ عليهم خدمة في ذلك.

قلت: وقد عوتب الحبيب حامد على ذلك بعد خروجهم من ذلك المجلس، فقال: إنما قلتُ ذلك ليعلمَ الحبيب عبدِالله أنه تأتى له الاعتزال عن الناس، وأما أنا الآن حامد المحضار، ليلة عند عالم، وليلة عند ظالم. أي: أني مجبور على مخاطة الناس لنشر الدعوة إلى الله، وإصلاح ذات البين. فبلغ قوله الحبيب عبدِاللاه، ففرح منه، ودعا له.



[تلطيفه لمجلس المولد في سيؤون]

ومن ذلك: ما اشتهر عن الحبيب حامد المذكور، من أنه حضر مرة قراءة قصة المولد النبوي، التي قام بها الحبيب علي بن محمد الحبشي في مدينة سيوون، آخر خميس من شهر ربيع الأول من كل سنة، وكان مجمعًا مشهودًا، تلقى فيه المواعظ الدينية، التي ترجف منها القلوب، وتذرف العيون.

فصادف أن الله تجلى على أهل ذلك الجمع باسمه الهادي، فقام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وذكرهم بسيرة السلف، وما كانوا عليه من المجاهدة في العبادات

والعادات، وندب الحاضرين إلى متابعتهم، ثم قام بعده صاحب الوظيفة، الحبيب علي المذكور، فأشبع الفصل في شمائل المتبوع الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلا الواعظين تعرض لذكر المذموم من الدنيا، وتناول حديث دخول الفقراء إلى الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، إلى غير ذلك مما عرف به الواعظان المذكوران، وفارسا ذلك الميدان المشهوران. وكأنهما توغلا بالناس في بحر الخوف، على جانب الرجاء.

وجاءت نوبة الوعظ عند الحبيب حامد المذكور، فحين قام من مجثمه، وقع نظره على الحبيب المثري الشهير، شيخ بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الكاف، وليد تريم ودفينها، في شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف. وكان من الموفقين لأعمال البر، فقال له الحبيب حامد، على سبيل المداعبة: قد سمعت يا عم شيخ ما قاله الوعاظ، من أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، فإن أحببتم يا أهل المال أن نحن نسير سويًا، فاعرفوا المعروف من الآن، وإلا سوف نترككم في أثناء الطريق ولا نبالي! فكأنه خفف عن الحاضرين بعض ما هم فيه من القنوط.

ثم واجه الجمع، وقال: وأنتم يا إخواني، لا تصدقون كل ما قاله أحمد بن حسن وعلي الحبشي، من جهة أمر الدنيا، شوفوا من لامعه شيء، وهذا علي الحبشي معه سبع آبار، أي حيطان من النخل، في سيوون، ولا يزال يشتري، وأحمد بن حسن لم يكتف بما معه من الحرث في ذات بلده حريضة، بل يشتري فيما حواليها.

فضحك الحاضرون، ثم عرج بهم إلى باب الرجاء في رحمة الله، التي هي قريبٌ من المحسنين، وما أعده الله من النعيم المقيم، لعباده المؤمنين، بشفاعة سيد المرسلين، وعند ذلك اعتدلت لسان الميزان، وصار خوف المؤمن ورجاؤه في ذلك الموقف كفرسي رهان.

قلتُ: ومما يدل دلالة واضحةً، على أن الحبيب حامد المذكور، غير ملتفت بباطنه إلى الدنيا وأبنائها: أنه لما حج حجة الإسلام، وقرت عينه بزيارة سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، احتفل به علماء مكة، وأرباب الثروة بها، احتفالًا باهرًا.

وبلغت أخباره إلى الباشا التركي، نائب الدولة العثمانية بمكة المحمية، فاشتاق إلى ملاقاته، وأرسل إليه بأنه سوف يأتي لزيارته، وكان الحبيب حامد نازلًا في بيت المشايخ آل باناجه، فهيئوا غرفة الزيارة. وقالوا للحبيب حامد: إذا خاطبت هذا الأمير، فقل له: يا باشا. فقال لهم: لا بأس بذلك، ولم يلقِ لها بالًا، فلما دخل عليه الباشا، صافح الحبيب حامد، وقبل يده، ثم جلس ساكتًا متأدبًا.

فقال الحبيب حامد: كيف حالك يا أَبّان؟ فقال: بخير، بحمد الله وبركة دعائكم. ثم طلب الفاتحة من الحبيب حامد، وخرج مغتبطًا بدعائه، لما رأى عليه من آثار الصلاح، وذلك مصداق قول البارئ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾، أي: في قلوب عباده.

فلما خرج الباشا، قال الحاضرون للحبيب حامد: كيف تقول للباشا يا أَبّان! ونحن قد أخبرناك أن مخاطبته تكون بلفظة باشا. فقال لهم: إنا لا نعهد أحدًا يفِدُ علينا في بلادنا من غير العرب إلا السَّومال، أي البربر. فضحك الحاضرون، وبلغ قوله الباشا، فازداد اغتباطه بالحبيب حامد، فزاره ثانيًا، بعد أن تحقق أنه من الذين لا يُرهَبون ممن برق ورعَد، ولا يحفَلون بمن قام وقعد.

وقوله «أَبَّان» هو بفتح الهمزة مع الباء المشددة وبعدها ألف ونون ساكنتان، معناه أخ، بلغة السَّومال. ومن كرامته على مولاه: أنه أصبح يكرر الجلالة في اليوم الذي توفي فيه، حتى فاضت روحه الزكية، سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وألف هجرية.

[ترجمته من «شجرة السادة العلويين»]

قال الحبيب العلامة سالم بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم في «شجرة أنساب السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم»، التي نقلها عن «الشجرة الكبرى»، للحبيب العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور، ما نصه: «حامد المحضار. كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سيدًا شريفًا، ظريفًا نبيهًا، متواضعًا كريمًا. قام مقام أبيه من بعده، سليم الصدر، ذا خُلُقٍ حسن، وحُسْن ظن تام. ولد بالقويرة سنة خمسين ومائتين وألف، وتوفي بها سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وألف، نفعنا الله به، آمين»، انتهى المراد من «الشجرة».



[ابنه؛ السيّد الوزير حسين بن حامد المحضار المتوفى سنة 1346هـ]

قلت: ومن أبناء صاحب الترجمة: الحبيب الذي لم يسمح بمثله الزمان، ولا اختلف في حذقه ومهارته اثنان، ولم ينتطح في جو السياسة الحضرمية مدة حياته عنزان، حسين بن حامد، كثير المزايا والمحامد، وحسن الطوايا والمقاصد.

وليد القويرة، ودفين بندر المكلا، ووزير الدولة القعيطية الوحيد، حتى فارق الدنيا وأهلها. وكان من ولاة الأمور الذين يريدون الدار الآخرةَ وسعوا لها سعيها، كما بشّر به جده ناطق تلك الأعصار، الحبيب أحمد المحضار، حيث يقول في شأنه، وهو إذ ذاك في سن الطفولية: إن هذا الولد سيكون له شأن، فيكون في أول عمره شيطان، أي مؤذي لا ينفع فيه التأديب، وفي وسطه سلطان، وفي آخره برهان، أي ولي. فكان الأمر كما قال.

فتربى المترجم له بوالده، وتخرج بأعمامه، ولم يقدر أحد منهم على تهذيبه وتسليكه، غير أنه لفرط ذكائه، حفظ القرآن الحكيم، وأخذ بحظ وافر من علوم الدين، وكان كريمًا حليمًا، طامحًا إلى معالي الأمور من صغره، شاعرًا مجيدًا، مجبولًا على محبة أسلافه وتعظيمهم، محبوبًا عند رؤساء العشائر.

فسافر إلى جاوة ثم إلى الهند، وفيها اتصل بالجمعدار عوض بن عمر القعيطي اليافعي، فأحبه الجمعدار وقرّبه، وجعله مستشاره الخاص، لما رأى منه من حزامة الرأي، وسداد القول. ثم لما أعطيَ الجمعدار عوض لقب سلطان، صار وزيره المفوَّض، بمصادقة الحكومة البريطانية على ذلك، واستمر في تلك الوظيفة مدة حياة السلطان عوض، ثم مدة حياة ابنه الأول، السلطان المحبوب غالب بن عوض، ثم بعضًا من حياة ابنه الثاني، السلطان عمر بن عوض.

يعمل في وظيفته بجد ونشاط وحزم، مراعيًا في ذلك مصلحة البلاد والعباد، جاعلًا الحديث الشريف، المروي عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنها قالت: «**أَمَرنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ننزل الناسَ**(1) **منازلهم**»، نصْبَ عينيه، حتى صار الكل في الكل، وصار السلاطين المذكورون، قد يجلس الواحد منهم أيامَ سلطنته مدةً طويلة في الهند، بحيدرآباد، معتمِدًا في إدارة المملكة على هذا الوزير، مطمئن الخاطر من جهته، وذلك بعد تجربتهم له، ومعرفتهم بحذقه ومهارته. حتى إنه قال في بعض المرات مخاطبًا لهم، في زامل، أي نشيد وطني، بعد أن ضبط البلاد ووسع المملكة:

بِيْـــدي مفـــاتيح الجزيـــرَةْ كلّهـــا ... يـــا اليـــافعي مكِّـــنْ عليهـــا لا تضـــيعْ

القبْولَـــة مـــا حَـــد علـــىٰ حَـــدْ شـــلّها ... ذلاّ البنـــادر خَلّـــت العَاصـــي يطِيـــعْ

ويعني بـ«البنادر»: الشحر، والمكلا، لأنهما ميناء حضرموت الوحيد.

---

(1) رواه أبوداود وغيره من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ومن حسن سياسته، ورأفته بالبلاد والعباد: أنه كان يواصل الإصلاحات بين حكومة القعيطي والحكومة الكثيرية، وبين الحكومتين المذكورتين وبين الرعايا، وبين سكان بقية البلاد المستقلة بأهلها، وينفق على ذلك الأموال الطائلة، علاوة على نفوذه الدولي، وجاهة المحضاري. وبهذه الحكمة البالغة، استطاع دفع الاستعمار الإنقريزي عن حضرموت مباشرةً، بدون شعور الطرفين، غير أن موته هو الذي كشفَ هذا الستار، وصار الأمر إلى ما صار، والله يخلق ما يشاء ويختار:

وما كان قيسٌ موتُه موتُ واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تهدّما

وإذا رجعنا إلى تصريح جده بعلو شأنه، قبل مجيء أوانه، أجِدُني قد أدركت من شأن المترجم له الأمرَين الأخيرين. الأول: السلطنة، التي رأيته وسمعته يحكم فيها ويرسم، ويعزل ويولي. والثاني: حسن سيرته، الذي هو مفتاح باب الولاية.

فكأنه حين يراه الناظر لأول وهلة أحدُ المناصب السلفية، في ملبسه وحديثه. كما أنه إذا أرخى الظلام ستورَه، يشارك في قيام الليل، بتلاوة كتاب الله، وينتحِبُ عند آيات الزجر والوعيد. وكان ينفق أكثر معاشه في صدقات السر، غير ما يصرفه في وجوه البر على حساب الحكومة. على أنه لو التفت بقلبه إلى جمع حطام الدنيا، لصار المثري الشهير بحضرموت، ولكنه اكتفى بنقد أسلافه، واختيارهم الدار الآخرة على الدنيا الفانية.



[تعشقه لسيرة أهله وأسلافه]

وعلى ذكر كونه ثابت العقيدة، حسن السيرة، أتذكر الآن: أنه جاء مرة لزيارة حريضة، ومعه حاشية الدولة، وكان قد أشعر سادتي المناصب الحبيب أحمد بن حسن،

والحبيب زين بن محمد، بمكتوب قبل ذلك، فأمر المناصب على أهل البلد ومجاوريها من حملة السلاح، أن يخرجوا لملاقاته، فتلقاه المناصب في جمع محشود، عند قبة سيدنا الحبيب عمر، فلما قرب منهم ترجّل عن مركوبه، وخر على قدم الحبيب أحمد، وعانق الحبيب زين، ثم صافح من حواليهما. وبعد الزيارة، قال له الحبيب أحمد: هل تحب أن نستقبلك مثل أهلك، أي بالدفوف والحدو بقصائد الصالحين، أو نستقبلك مثل أصحابك؟ يعني الدولة بالنشيد الحماسي، وإطلاق الرصاص. فقال: بل مثل أهلي وسلفي، وسوف لا يدوم لنا إلا ذلك. فكان يومًا مشهودًا.



[شدة فراسته وتحريه في الجنايات]

ومن كرامات المترجم له في حياته، وإن استثقلها القارئ، قلنا له: ومن صدق فراسته!: أنه في بعض الأيام وجد رجلٌ مقتول على ساحل البحر، ببندر المكلا، قد رُضخ رأسه بالحجارة، ولم يعلم أحد بقاتله، فلما أخبروا المترجم له بذلك، أمرهم بحمل ذلك الميت إلى تحت قصره الذي يسكنه، وجلس هو عند النافذة في أعلى القصر، والناس يتواردون للتفرج، ولم يعرفه أحد، لكون وجهه قد رضخ بالحجارة، فجاء رجلٌ وشقّ الصفوف بقوة، حتى وقف قبالة وجه الميت، وأطال القيام.

فأمر المترجم له على الشرطة بإلقاء القبض على ذلك الرجل، ونزع ثيابه، وتفتيشه بدقة، فحين نزعوا منه القميص، رأوا في إزاره نقطًا صغيرة جدًا من الدم، ووجدوا معه أربعين جنيهًا من الذهب، وأوراق أخرى. فلما أخبروا المترجم له بذلك، قال: إنه هو القاتل لا محالة. اسألوه عن قصته بإلحاحٍ، وسرعة لهجة. فأقرّ لهم بأنه جاء هو والمقتول من السواحل، أي أفريقية، في ساعية أو سفينة شراعية، فطمع في هذا المال،

وقتل صاحبه ليلًا وهو نائم، فخالًا أمر المترجم له بقطع رأس القاتل، ودفن الاثنين في آن واحد. وهكذا كانت فراسته على حد قول الشاعر:

يشـــير ببَـــادي رأيِـــه ثـــم لـــم تكُـــنْ فراســـتُه تخطِـــي القضـــاءَ المقـــدَّرا

وكم للمترجم له من إصلاحاتٍ وخدمات، هي أعظم من الكرامات، ولكنها تحتاج إلى مجلدات، وفاء بحق التاريخ وتذكرةً لمن هو آت. وأما المترجم له فقد عاشَ ومات، على حد قول الشاعر:

لقـــد عـــاشَ مـــا بـــين الأنـــام مـــبجّلًا وحفّـــتْ بـــه بعـــد الملـــوكِ الملائكَـــةْ

وكانت وفاته ببندر المكلا، لثلاث عشرة خلت من شهر ذي الحجة، سنة ست[1] وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية.

[ذكر السلاطين القعطة]

ووفاة السلطان عوض بن عمر القعيطي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف. ووفاة ابنه الأول، السلطان غالب بن عوض سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف. ووفاة ابنه الثاني، السلطان عمر بن عوض سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف. غير أن السلاطين المذكورين كلهم كانت وفاتهم بمدينة حيدرآباد الدكَن، من أرض الهند، وبها دفنوا. وكلهم نعم السلاطين.

أما الأوّل؛ فحسبُنا أنه هو الذي ثبّت قواعد هذه الدولة، ونظّم مملكتها، ورفع شأنها، حتى تحصل على لقب سلطان، بعد أن كان يلقّب بجمعدار، أي ضابط عسكري في جيش ملك حيدرآباد بالهند.

(1) الذي في كتاب «إدام القوت»: أواخر سنة 1345هـ، (مصحح).

وأمّا الثاني؛ فيكفيه أن أيامه كانت أسعد أيام هذه الدولة ورعاياها، ماديًا وأدبيًا.

كما أن الثالث، سلك خِطّة من قبله، حذْو النعل بالنعل.

وكلهم قد عرفتهم شخصيًا، وإذا قلنا أن عقول الملوك، وبُعد نظرهم، وحسن اختيارهم، يعرّف بوزرائهم، فيكفي هؤلاء السلاطين فخرًا ما قدمناه في شأن الحبيب حسين بن حامد المذكور.

ثم تولى الملك بعدهم السلطان صالح بن غالب، ويقول القادمون من الوطن إلى جاوة: إنه محافظ على تراث أهله، وتقاليدهم التي بنوا مجدهم عليها.



[من شعر الوزير المحضار السياسي]

ولنختم ترجمة الحبيب حسين بن حامد المذكور، بقصيدة له حمينية، يستعرض القارئ فيها مخيلته من الوجهة السياسية والاجتماعية، في جمع كلمة الحضارم حيثما كانوا، وتحذيرهم من الشقاق الذي تصبح به الأمة والوطن معرَّضَين لافتراس الغير. وسبب نظمه لهذه القصيدة: أنها دخلت السياسة الأجنبية المخصصة لهدْم أركان الدين الإسلامي، في الحضارم المهاجرين بجاوة، فشتّتَتْ وحدتهم الدينية.

فأخذ العقلاء منهم يستنجدون المترجَم له، وهو إذ ذاك بالمكلا، في تدارك هذا الخطْبِ المنذر بسوء العاقبة في المهجر والوطن. فمنهم من كتب له مكتوبًا مطوّلًا، ومنهم من أرسل له قصيدةً، يحثونه على ذلك. فجعل المترجم له هذه القصيدة جوابًا عامًا لهم، وأمرهم بنشرها على صفحات الجرائد، وفي المناشير، ووعدهم بالوصول إلى جاوة بنفسه، لصلاح شأنهم.

غير أن الأقدام عليها أحكام، وقد اقتصرنا عليها هنا، خوف الإطالة، والحليم تكفيه الإشارة، عن طول العبارة. وهذا نصها:

يقــول بُــو طالــب مــن الله طــالبين المغفــرَةْ
والســتر في الــدنيا والأُخْــرىٰ نطلــب الفــرد الغفــورْ
ويحســن المخْـتم مـع قطـع النسَـمْ في الحنجـرَةْ
والعاقبــة تصــلحْ يقَــع بعــدي خلوفَــه في الزّقــورْ
عــالم وعامِــل لــه مــع ربــه ســريرة وافــرَةْ
محــبّ في مــولاه ذي بيــدُه تصــاريف الأُمــورْ
تقــرّ بــه عينِــي وبــه تمسِــي المنــازلْ عــامرَةْ
عــارفْ يــدِير الأمْــر في ســاعة ورُوده والصّــدورْ
بالعَقــل هــو والنقْــل والخلــقِ الحسَــن والمخْيــرةْ
كــريم مــا يبخَــلْ في أَيّــام الميَاسِــر والعسُــورْ
يجــود بالمــاجُود للطــارِشْ بحَسْــب المقــدرَةْ
لا يقلِــد الســدّة ولا يقْلِــد خلافُــه والفقُــورْ
ويصْــلح النيــة ْومــا جَــاء مــن عملْنــا يســترَهْ
لا تنكشــف الأحْــوال تبقَــىٰ كلهــا تحــت الســتورْ
بجَــاه مــن نصــبحْ ونمســي في الليَــالي نــذكُرهْ
أحمــدْ رســول الله ذي نــورُه طمَــا عــا كُــلّ نــورْ

الشّـــافع المقبـــول في يـــوم الخبَــبْ والـــزّرْزرَهْ

عليــــه صـــلّىٰ الله تعْـــدَاد الأنـــاثي والـــذكُورْ

مـــــن آل آدَمْ والبهـــائم قلّهـــا والمكثـــرَةْ

صــلاةْ مــا تحصَــىٰ ولا تفْنَــىٰ علــىٰ طُــول الــدهورْ

تغشَـــىٰ رسُـــول الله وآلـــه كلهَـــا متـــواترَةْ

وأَصْــحابه الأمجــادْ وتغْشَــاهم جميعًــا والصّــهورْ

وبعْـــد يـــا حيًّـــا وسَـــهْلا بـــالبيُوت الفـــاخِرةْ

عجيــبْ مبْناهــا وقــعْ عــا سَــاسْ مــن فوقُــه قصــورْ

قامَـــت وتشـــييد المبَـــاني والمعـــاني ظَـــاهرَةْ

كالشّمْس مـا تخفىٰ علىٰ أهـل المعرفـة وأهْـل الخيُـورْ

يــوم الكــلام الــزَّين جــاء إلَــىٰ عنـدنا مـن مصْـدرهْ

مــن القبُــل ذي سـيلهُم سـيَّل وعــدّىٰ عــا الحــزُورْ

مـــن القعَيطـــي والتّميمـــي جاتنـــا متـــواتِرةْ

فــرحْ بهــا الخــاطر وزالــتْ مــا بقلبــي مــن كــدُورْ

الله يحفَظهُـــم ويقـــوِي حـــالهم والمـــأثرَةْ

لهــم وللجَــوْدات والشّــرع الــوَفي قِــدْها دبُــورْ

في مــدْح أهــلِ البيــت يــا نعْــمَ الوجــوه النــاظرَةْ

بيـــت النبـــوة والفتـــوّةْ جـــدهم بـــدْرُ البـــدورْ

يســتَاهلون المــدْح والزائِــد مــن الله قــدّرَهْ

لهــم مصــابيح الهدايــة والعنايَــةْ والســروز

تعــرفْ لخلــق الله ســيماهُم وجُــوه منــوّرَةْ

وأهْــل البطالــة فعلهــم وأوجــاهُهم سَــوداء وعُــورْ

وجــدّهم يشــهد لــه أيضًــا ويشْــهَد حيــدرَهْ

ويشـــهد القـــرآنْ والفُرقـــان يشْـــهَد والزّبُـــورْ

ويشْـــهَد الـــدين الحنيفـــي والســـيوفُ البـــاترَةْ

لهــم رجــالُ الله ذي قــاموا علــىٰ الــدين الغَيُــورْ

بالفَضْــل والتفضــيل صــفّة بعــد صُــفّة ســائرَةْ

واحــدْ قفَــا واحــد علــىٰ ســيرة سَــلفْهم والأثُــورْ

مضَــوا علــىٰ ســيرة قَطِيــرة كلهــا متقَــاطرةْ

الســادة أهــل البيــت مــرّةْ والمشــايخ في العصُــورْ

الســابقة ســادَةْ وقــادةْ والوجــوه المســفرَةْ

مشــايخ التّوحيــد والتمجيــد حَــي ذيــك الصــدُورْ

أهــل السّــعادة والعبــادة والكــرَمْ والمبصَــرةْ

أعنــي الــوَزيري والعمُــودي شــيخَنا بحْــر البحــورْ

ســعيدْ بــن عيسَــىٰ عمُــود الــدين ماشِــي معــذرَةْ

منــه ومــن نسْــله وهــو مالــه مــن السّــادة عــذُورْ

والبَــاوزير اَخْوالنــا والمقرُبَــة والمجــورَةْ

قيمَــة ولا حَــد ينكــر أهلــهْ والقرابــة والصّــهورْ

واَهْــل الجمايــل والمنــازِلْ والظنُــون الــوافرَةْ

في العــينْ نلقِــيهُمْ وهــم يلقوننَــا فــوق الــذرُورْ

واَخْــوالهم واَخوالنــا طــول المــدىٰ متجَــابرَةْ

مــا قصّــروا فينَــا ولا جــاء منّنــا فــيهم قصُــورْ

حاشَــا علــيهم مــا يجُــون اللائمَــة والقاصــرَةْ

ونهْــدْ والجعْــدَان مــرّةْ كلهــم وأهــل الكسُــورْ

مــا بيننــا اِلا الجبــر دائِــمْ والخــواطِرْ عــامرَةْ

والقــدْر والنيــة كبيــرةْ دُوبْ في الطاعَــة حضــورْ

عنــد الحبايِــبْ دوبْهــم في الطّــاق والأ المحْضَــرةْ

قولــوا لــبِنْ ماضــي تــريّضْ يــا الهلالــي لا تجُــورْ

قــدِّر وقــايِسْ في كلامــك لا تجيــب القَــاذرَةْ

خــذْها نصيحة مــن حبيبك صــدْق كُــن عــارف حــذُورْ

وأنــا اعْــرِف نفسي وجنسي وأنــتْ جنْسَك حــازرَهْ

وتعْــرِف آنّــك مــن خُلاصــتنا وتشــرب مــن بحُــورْ

الحامــدِ المشْــهُور والشّــيخ الكبيــر المزْهــرَةْ

ذي منهــا الأشْــجار تنبُــتْ والســوانق والزهــورْ

وشـــعَارنا بـــاقُول جَانـــا مـــن كنَـــاني مَـــاطرَةْ

شـــفْت الوعُـــول المربعيّـــة تتبـــع الكَلْـــب العَقُـــورْ

وإنْ حَـد مـن اهْـل الحـذْر نـازَحْ مـا لنـا بـه مخبـرَةْ

ولا تصَـــل بيـــدُه ولا جهـــدُه يحصّـــل بـــه مـــرُورْ

في أرْضـــــنا مـــــا سَـــــيْبنا منّـــــه قِـــــد الله ودّرَهْ

معـــاد بانحْسِـــبه عـــدُّه طيـــر مـــن جيْـــز الطّيُـــورْ

وإنْ جَـــا إلينـــا بـــا تقَـــعْ لـــه بالسلاســـل زَنْجـــرَهْ

ولا بنَـــا قَهْـــده مـــن أوجَـــاه الـــدنايا والـــدّبورْ

ومـــن هـــداه الله حيّـــا بـــه ألُـــوف مكَـــررَةْ

يـــا مرحبًـــا بـــه يوخـــذ الترحيـــبْ منّـــا بـــالكرُورْ

وقصْـــدنا الاّ بالمصُـــونة مـــا بغينـــا الشّـــعْفرَةْ

والجبـــر يـــا الاجْـــوادْ مـــا حاجِـــةْ لتَـــوغير الصـــدُورْ

واهْـــل النفاعِـــة والشـــجاعة والجيـــوش المكْثـــرَةْ

يـــافعْ بنـــي مالـــكْ وهمـــدانِ المشَـــاكيل الصـــدُورْ

والضـــنِّي الفنّـــي جمـــلْ الأثْقـــال هَـــيْج المعْصَـــرةْ

حِـــــلّ النوايـــــب يُـــــوزِن الا بـــــالجبُورْ

ذولاً تبـــعْ للســـادةْ اَهْـــل البيـــت دُنْيـــا وآخـــرَةْ

تبعَـــة بأهـــل الله ذي معْهُـــم تجـــارةْ لـــن تبُـــورْ

أخبَــارهم معْنَـــا نراهـــا كلهـــا متنـــاظرَةْ

هـــم دوّرُوا للحِقْــد وأسْــباب العــداوة والشــرُورْ

مـــا بيـــنهُم واليـــوم قـــدْها الأعـــداوة ظـــاهِرَةْ

بـــين الحبايِـــبْ والمشـــايخْ والقبائـــلْ دُور دورْ

ســـكْرةْ مـــع بطـــرَةْ بهـــا يـــوم الـــبقَشْ متكَـــاثرَةْ

معهـــم تعنّـــوا للفَســـالةْ والرذالـــةْ والفجُـــورْ

وجَـــوا علـــىٰ سَـــوقَاتْ عيفـــة للخَـــواطر قـــاذِرة

ولا لهـــم فيهـــا مصَـــالحْ كلهـــا حيلـــةْ وزُورْ

ســـبّوا عـــرَبْ مـــاتَوا وقـــدْهُم كلهـــم في المقبـــرَةْ

الله يـــرحمهم ولا حاجَـــةْ لـــذكر أهْـــل القبُـــورْ

الآ بـــذكر الخيـــر والرحمـــةْ لهـــم والمغفـــرَةْ

يـــا ربنـــا ارحمهـــم جميعًـــا يـــا مهـــيمِنْ يـــا غفُـــورْ

وانـــتُمْ ســـرحتم مـــن وطـــنكُمْ طـــالبين المسْـــترَةْ

خبّـــة قفَـــا العيشِـــةْ علـــىٰ ســـتْرِ المكـــالِفْ والزقُـــورْ

لا حَـــدْ معـــه معْـــوَزْ ولا رادِي ولا لُـــهْ مســـدَرهْ

وقـــوتكم تمـــرَةْ ولفْـــلاف المصَـــاري والشّـــطُورْ

كُلّـــنْ ســـرح محنـــونْ مـــا يقـــدَر علـــىٰ ثَـــوب المـــرَةْ

لـــوْ حَـــدْ معـــه شِـــي في بـــلادهْ مـــا تعنّـــىٰ للبحُـــورْ

وفـــارقَ اَوطانُـــه وهـــذِهْ يـــا صـــحابي تـــذكِرَةْ

لكـم مـن المحضَـار مـرّةْ وافكـروا يـا اَهْـل الفكُـورْ

وتـذكّروا الأوْطـان شُـوا مـن يـذْكُر أهلـه يـذْكُرهْ

الله واَعْسَـــاره يبـــدّلها جميعًـــا باليسُـــورْ

والعمـــر بـــا يعْبُـــر وبقعَـــا كلهـــا الاّ عـــابرَةْ

مـــا حـــد علـــىٰ الـــدنيا مخلّـــدْ كلنَـــا فيهـــا عبُـــورْ

ولعـــاذْ بـــا طُـــوّلْ وكلّـــنْ قـــدُهْ عـــارف معْشَـــرهْ

والتّبْـــر بـــين النـــاس يُعـــرَفْ والمصـــفّىٰ والبـــرُورْ

ذلاّ وِحِلْنـــا يـــا اَهْـــل جـــاوةْ والعقـــول الخاســـرَةْ

كثـــر الحمَـــقْ يـــا زِيْ علـــىٰ قِـــلّ الديانـــة والفجُـــورْ

ذا مَـــا حصـــل والعـــزْم بـــارِز كـــان ربـــك يسَّـــرهْ

لاَجْـــل اَهْـــل جـــاوةْ بانســـافر بالمخَـــاوِطْ والنـــزُورْ

والجهْـــد بـــا نبْذلُـــه كلـــه والبصَـــر والمبصَـــرةْ

في ســـدّكُم مـــرّة وللنزهَـــةْ وقُـــدْنا بـــا نـــزورْ

وفي وطنّـــا قـــد بـــذَلنا الجهْـــد حسْـــبَ المقـــدرَةْ

فيمـــا يـــزيْن النـــاسْ واِخْمـــاد المصـــايبْ والشـــرُورْ

وصـــلْحَت الوديـــان مـــرّةْ والخلايـــقْ ســـابرَهْ

واَحْـــوالهم صـــلحَتْ في الســـاحِلْ وذي هـــم في البـــرُورْ

علـىٰ الوفَـا والشـرْع دايِـمْ والـدّوَل متصـدرَةْ

للحكْـم والتنفيـذ زادَ النّـاسْ نـورًا فـوقْ نـورْ

بصُـلْح دولتنـا ويَـافعْ كلهـم والكثْـوَرةْ

وسَيفْ بـو مقْعَـط وسَـمحاتِ المجَـاري والخـدُورْ

والدّولـة العظمَـىٰ الفخيمَـةْ نِعْـم دَولـة لنْـدَرةْ

والهنْـد ذي يحكُـم علـىٰ جمْـعِ المراسـي والبحُـورْ

سـدّوا رجـال العـزْم وأهْـل المنزلـة والهـوْبرَةْ

وبعْـد مـا سـدّوا وصـلْحَوا كلهـا صـلحَتْ الامُـورْ

والحمْـد للمـولىٰ علـىٰ هـذِهْ نعـم متـواترَةْ

والشـكر لـه دائـمْ علـىٰ طـول الليـالي والـدهُورْ

والختْـم صـلىٰ الله علـىٰ أحْمـد والنجـوم الزاهـرَةْ

وآلِـه وأصْـحَابه دوامًـا بالعشـيّة والبكُـورْ



[الحبيب محمد بن أحمد المحضار
المتوفى سنة 1344هـ]

ومنهم أي مريدي صاحب المناقب، الحبيب حليف الحديث وقرين المثاني، محط الأسرار والأنوار والأماني، والممثل لعظماء القرن الثاني، مِحَمَّد، بإشمام الميم الأولى الكَسر وإظهاره في الحاء وفتح الميم المشددة مع سكون الدال، بن أحمد بن محمد ابن علوي المحضار، وليد القويرة بدوعن الأيمن، ونزيل بندُووُسُو، ودفين سربايا بجاوة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخو الحبيب حامد الآنف الذكر، لأبيه.

غير أنه لم يدرك حياة صاحب المناقب الحسية، فكان أخذه عن صاحب المناقب رضي الله عليه بواسطة والده الحبيب أحمد المحضار، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، فقد تربى في حجر والده، وقرأ عليه، وتخرج به، وخدمه. وكان ريحانته حسًّا ومعنى، كما أنه تهذب بأخيه الحبيب حامد، وخدمه أيضًا.

سمعتُ صاحب الترجمة يقول: إنّ أخي حامد كفى والدي المؤنة في حياته، وأنا كفيت أخي حامد المؤنة بعد وفاة والدي، وفاءً بحقه وبرًا بهما.

ومرةً استأذنني حامد في بيع شيء من متروكات الوالد، فقلت له: بع في رقابنا، وأنا المنفّذ لذلك، فضلاً عن أمور الدنيا الحقيرة، انتهى.

قلتُ: وكان والدهم الحبيب أحمد يقول: حامد أبو الكل، ومحمد حاله كحالي، ومصطفى شيخ الحضرة. على أنهم والله كما قال والدهم، كل واحد منهم ملء وظيفته، يصدق عليهم قول الشاعر:

قوم لا غابيةٌ فيهم ولا بينهم غِلْ

مـن لحِقْتـه كفَـىٰ مـا يوعـدونَكْ إلـىٰ حِـلْ

وأخبرني الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد، قال: كنت يومًا مع سيدي الحبيب محمد المحضار، في خلوة من الناس. فقال لي: إني كنت يومًا عند والدي، وهو إذ ذاك في مرض موته. فقال: محمد! قلت: لبيك. قال: هل أحد عندنا؟ قلت: لا. قال: وإلى حضرة النبي. ثم قال الحداد: يشير بذلك إلى أنه خليفته، انتهى المراد من رواية الحداد.

على أن صاحب الترجمة لم يكتف بما قيل له، وما قيل فيه من الثناء، والتنويه بشأنه، بل تجرد للمعارف والعلوم، حتى تضلع من منطوقها والمفهوم، ثم عكف على مواصلة تحقيقاتها، وتطلع إلى البحث عن تدقيقاتها. حتى صار من أئمة الترجيح وهداتها، دائرًا مع الخلق حيثما دارت الزجاجة في مشكاتها. وله مع ذلك الأدب الحقيقي الكامل، والتعظيم الصادق الشامل لسلفه الصالح، وما درجوا عليه من العبادات والعادات، ينطبق عليه في ذلك قول با مخرمة:

فاحْـكِ لـي يـا نـديمي مـن حِكَايـاتهم هـاتْ

ارْوِهـــا فإنهـــا عنـــدي وحـــقّ الله آيـــاتْ

محكَمـة كلهـا حكْمـة علىٰ كيفْ مـا جَـاتْ

كيف لا! وهو قد أخذ عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، وتحكم له، ولبس منه، وصحبه حضرًا وسفرًا. ومن مقروءاته عليه: «المهذب» في الفقه، للشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

سمعتُ صاحب الترجمة يقول: قرأت «المهذب» على الوالد أحمد بن حسن في بعض زياراته لدوعن، ولم يتيسّر لنا إتمامه، فاستصحبني معه في مسيره إلى حريضة لإتمام ذلك، فختمته عليه في اليوم الذي خرجنا فيه من قيدون، ونحن نمشي في الطريق، راكبين على خيلين، جنباً لجنب. ومن هنا كان الحبيب أحمد بن حسن شيخ بدايته، وسلم نهايته، ومعْتَزى روايته.



وإلى القارئ شيئًا من روايته، ونزرًا من مدده من شيخه ومعتمده. قال الشيخ العلامة المحصل، محمد بن عوض بن محمد با فضل، في كتابه «تنوير الأغلاس بمناقب الحبيب أحمد بن حسن العطاس»: «ومما كتب به، يعني الحبيب أحمد بن حسن، إلى الحبيب محمد بن أحمد المحضار:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدلله الذي تعرف للعارفين فعرفوه، وتلطف للواصفين فوصفوه، ولم يحيطوا به علمًا، وصلى الله على قطب دائرة الكمال، في مظاهر الذات والصفات والأسماء، والتابعين له في ذلك الحمى. ونخص منهم السامي بهمته، وخلوص نيته، وصفاء طويته، المخطوب إلى حضرة علام الغيوب، في إحجامه وإقدامه، وسيره ومقامه وحاله، الولد محمد بن أحمد المحضار، لا زال في ترقيه وتلقيه، وتوقيه وتنقيه، وبكأس أنسه وقربه مولاه يرويه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وعلى الأولاد، ومن والاكم في الله. وجعلنا هذا التعريف للتذكير والتشريف، والسؤال عنكم، وإعلامًا لكم بوصول مشرفكم العزيز».

إلى أن قال: «ولا بد وصلكم «مجموعة أسانيد سيدنا الحبيب عيد روس بن عمر الحبشي»، وهي في أسانيد السلف، كافية وافية. وقد أجازني سيدي الحبيب عيدروس بجميع ما فيها، وما اشتملت عليه، وكتب لي الإجازة على نسختي التي استنتسختها، وأذن لي أرويه عنه، وأجيز بجميع ما فيها، وما اشتملت عليه.

وقد أجزتكم بما اشتمل عليه ذلك «المجموع»، إجازة خاصة وعامة، أنتم والولد علي بن حسن، والولد أحمد بن محسن الهدار. ونرجو أن أحوالكم مستقيمة، وأوقاتكم معمورة. وقد أسرنا اعتناءكم بالمطالعة والمراجعة، واهتمامكم بذلك، زادكم الله مما لديه، من كلّ ما يقربكم إليه».

إلى أن قال: «وقد وصلَ إلينا في هذه الأيام أخُونا العارف بالله علي بن محمد الحبشي، وودنا حضور بعض الناس، يعني المكتوب إليه، والولد مصطفى منعه من الحضور ما يعانيه مما حل بالمكان والزمان. والسلام، وعلى الأولاد وأهل الوداد، ومن والاكم في الله، وأعانكم على طاعة الله، خصوصًا من طلبتم له الدعاء»، انتهى المراد من كلام با فضل.



قلتُ: ثم اتصل بشيخه المذكور من جهة المصاهرة أيضًا، فقد تزوّج الحبيب أحمد بن حسن بابنة صاحب الترجمة، الشريفة العابدة خديجة، التي جعلت فراشها بعد الحبيب أحمد المصلى، وثوبها الدائمي قميص الصلاة، وكان ذلك كله بعد سفر صاحب الترجمة إلى جاوة. ومن جملة ما حدثني به صاحب الترجمة، من اغتباطه بشيخه المذكور، أنه قال: لما انتهى أمر الزواج بالقويرة، كتب لي الحبيب أحمد كتابًا يخبرني بذلك، ويعتذر إليّ عدم الاستئذان مني. فأجبته على الفور، بكتاب افتتحته: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ انتهى.

وأخذ صاحب الترجمة عن الحبيب أحمد بن عبدالله البار، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، وتردد إلى بلده القرين بدوعن الأيمن، وقرأ عليه الكثير.

وزار أسفل حضرموت، وأخذ عن كثير من علمائها وصلحائها في ذلك الوقت، وله إجازة من الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي الآنف الذكر، مباشرةً، ذكر فيها سنده بالضيافة على الأسودين، أي الماء والتمر.

[حضوره زيارة والده لأسفل حضرموت]

كما أخذ له ولأخوانه، والدهم الحبيب أحمد المحضار، عن أعيان عصره. **أخبرني** الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد، قال: سمعت سيدي الحبيب محمد المحضار يقول: كان كثير من الحبايب وغيرهم، يذكرون لوالدي زيارة أسفل حضرموت، ويودون بعزْمه على ذلك، فيقول لهم: إني منتظر الإذن. حتى كتب له الحبيب علي بن سالم، مؤلف «فيض الله العلي»، كتابًا يحثه فيه على الزيارة، وعزّزه بقصيدة يقول في أثنائها:

وجـــدك قـــال: أقْبِـــل وقـــال: أهْـــلًا وســـهلًا

يعني بذلك سيدنا الشيخ الكبير أبابكر بن سالم، فعزم والدي على الزيارة، وتبعه لذلك الجم الغفير، وكلّما وصل بلدةً تبعه أناس من أهلها، لاغتنام بركته، وحضور زيارته. وكنت أنا وأخواني بمعيته، وبي إذ ذك أثر مرض، إلّا أنّ والدي كان حريصًا على حضورنا زيارته، وملاقات الكمل من الرجال.

فلما دخلنا ذي أصبح حوطة شيخه الحبيب حسن بن صالح البحر، يعني المتقدم ذكره في (الباب الرابع). وذلك بعد وفاته، اشتد بي المرض إلى منتهاه في تلك الليلة، وكان من عادة والدي أنه لا يترك أوراده من الصلاة، حيثما كان. فخرج عليه أخي

حامد، وهو يركع الأوّابين في مسجد الحبيب حسن، وقال له: إن الوليد تعبان، وعسى أنكم تنظرونه الآن. فقام والدي منزعجًا إلى قبة الحبيب حسن، وقال: يا حبيب حسن، والله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة، لئن أصاب ولدي شيء، يعني به الموت، لأرجعنّ إلى خشامر. قال أخي حامد: فقلت في نفسي: إنا لله، خرج ليزور أسلافه وبا يرجع موهّب! معاد أكبر منها مصيبة. ثم رجع من قبة الحبيب حسن إلى صلاته، ودخل عليّ أخي حامد، فوجدني أفقْتُ في ذلك الوقت، وطلبت كسرة من الخبز، وذهب عني المرض، دخلتُ ذي أصبح محمولًا على أكتاف الرجال، وخرجت منها في اليوم الثاني راكبًا على مركوبٍ أهداه لي أولاد الحبيب حسن، فرحًا بعافيتي، انتهى المراد من رواية الحداد.

قلتُ: و«خشامر» هي قرية بقرب مدينة شبام، أهلها عقيدتهم على مذهب الوهابية، الذين ينكرون كرامات الأولياء، وخصوصيات الله في عبيده. على أني بحمد الله قد درست حقيقة التوهيب، مطالعةً ومناظرةً، فوجدتها مجرد مكابرة عن قبول الحق من الغير لا غير، كما وصفها الشاعر في بيان حال الجاحد المكابر، حيث يقول:

إن شـئْتَ تـدعَىٰ فقيـهَ قـومٍ	فـدرّع الوجْـه بالوقاحَـةْ
ومـن ينَـاظر فقابلنْـهُ	بهـزّ منكِـبْ وقلْـبِ راحـةْ
وقـول: يعنـي، و: لا نسـلمْ	ولا لمـا قلـتمُ رجاحـةْ
فـإن مـنْ هـذه صـفته	يعتقـد الأغبيـاء فلاحَـةْ
وهـو لـدىٰ العـارفين عجـلٌ	لا يعـرف العلـمَ والفصـاحَةْ

[سيّد في خشامر!]

وعلى ذكر خشامر، **تذكرتُ** الآن حكاية ظريفةً، قيل: إن أحد السادة آل باعلوي أهل حضرموت، كان يرقي المرضَى بآيات الله، والتوسل بأهل الله، حتى اشتهر بذلك، فصادفَ أن أحدَ أهل تلك القرية مرض ابنٌ له، وهو يحبه حبًّا شديدًا، ولم يكن معه غيره من الولد. فعالجوه بأنواع الأدوية، التي يشاركون أهل السنة والجماعة في اعتقاد الخصوصية التي أودعها الله في تلك الجمادات، وإن كانوا ينكرونها في بنية الله التي خلقها بيده، وأسجد لها ملائكته.

فلم تخفف تلك الأدوية عن ابنه شيئًا من وطأة ذلك المرض، فوصف له السيد المذكور، وما يجريه الله من الشفاء على يديه. فأرسل إليه، فلما قارب السيد دخول تلك القرية، لقيَ صاحبًا له من أهل شبام خارجًا من القرية، ومن المعلوم أن أهل شبام لهم اليد الطولى في التبكيت والتنكيت.

فقال للسيّد: أين تريد؟ فأخبره السيد أنه أرسل إليه ليرقي مريضًا. فقال للسيد: وهل تدري أين أنت الآن؟ قال: لا. قال له: أنت الآن في خشامر، إن ذكرت أحدًا من الأولياء قهروك وعزّروك. فأسرها السيد في نفسه، ودخل على أهل الدار الذين طلبوه، وهو محترز. ففرحوا به، وقدموا له الطعام والقهوة، وكانوا قد استعدوا له بذلك، ثم أدخلوه على الولد المريض. وقالوا له: نريد منك أن تكشف عليه، أي تعين لنا سبب المرض، وتدعو له بالشفاء كعادتك.

فقرأ السيد عليه شيئًا من القرآن، وجعل يتلكلك في النطق بالتوسل بالأولياء، خوفًا على نفسه، فتفطن أبو الولد لذلك، وكان ذكيًا، فأخذ يضرب بيده على ظهر السيد، ويقول له: قل الذي تقوله عند الناس الثانيين، وكررها على السيد مرتين. فانطلق

السيد في رقيته، وضحك الحاضرون من ذلك، وشفى الله ذلك الولد بسر الرقية بآيات الله، والتوسل بأهل الله، الذين تولاهم الله، وقال في حقهم: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾.

قلت: وفي الحديث الشريف: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر أصحابه على الرقية، وشاركهم فيما أخذوا عليها من الأجرة، تطييباً لخواطرهم، وتقريراً للحكم، وقال: «**إن أحسن ما أخذتُم عليه أجرًا كتاب الله**»[1]، انتهى.



رجعنا إلى شمائل الحبيب محمد المذكور، وما ألقاه الله عليه من المحبة والنور، من رواية الحبيب علوي الحداد المذكور. قال: وكان سيدي الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، يعظم الحبيب محمد المحضار، ويقدمه. ويقول: إنّ ممّا مَنَّ الله به علينا وجود هذا الحبيب عندنا، يعني بذلك المصاهرة، لأنه كان متزوجًا ببنت الحبيب محمد بن عيدروس، وكان يثني على المحضار ثناءً عظيمًا. ويقول: إنه مستجاب الدعوة، وإني رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا على سجادة، أي مصلًّى، ثم قام فجاء الحبيب محمد المحضار وجلس عليها، انتهى المراد من رواية الحداد.



قلتُ: وكان صاحب الترجمة يصدع بالحق بأسلوب حسن، مع القبول التام عند الخواص والعوام، كما أن له مدركًا واسعًا عند تصادم الأقوال، وحجة دامغة يخرس عند سماعها كلّ منطقي. **سمعته** مرةً يتكلم على قول بعض الفقهاء: إن الصلاة على الآل مكروهة في التشهد الأول. ثم قال: ويعلّلون ذلك بطول الفصل.

---

(1) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قلتُ له: نعم. فقال: سبحانك يا عظيم الشأن! وكان من عادته أن يردد هذه الجملة في سياق كلامه، يجعلها كفصل الخطاب، وكم يستغرق من الوقت قولُ المتشهِّد «وعلى آل محمد»، وهل التشهد الأول كله إلاَّ سنة، إن مثل هذه الأقوال لا تتناسب مع محاسن الشريعة الغراء، لو رحم القائلون بها أنفسهم وأمتهم.

[استجواب حكومة هولندا لصاحب الترجمة]

ومرةً جاء إليه أمير بندووسو الهولندي، وكان صاحب الترجمة حسن الوجه، جميل الهيئة، حلو الحديث، مُرسَله، معظمًا محبوبًا عند كل من عرفه، أو سمع بشمائله.

ثم قال له: إن هذه أسئلة وردت عليّ من دوائر حكومتي العليا، يعني حكومة الهولندا، إبان استعماره لجاوا، لألقيها عليك، وأحتفظ بجوابك عليها. وكان القانون يقضي عليّ وعليكَ بأن ألقيها عليك في المحكمة الرسمية السياسية، ولكني جئت إلى بيتك إجلالًا لك. فشكره صاحب الترجمة على حسن خلُقه، وجميل صنعه.

ثم قال له: اسأل عما بدا لك، وما أمرتَ به.

وكان من جملة الأسئلة، قوله لصاحب الترجمة: لماذا يفد إليك الناس بكثرة من أنحاء جاوا؟ فقال له صاحب الترجمة: إني لا أستدعي أحدًا من أولئك الوفود، ومتى استرابت الحكومة من ذلك، فلتجعل في كلّ محطة من محطات القطار ثلةً من البوليس، يمنعون كلّ من أراد زيارتي، ولها الشكر مقدمًا، أن كفتنا مؤنة الطبخ والنفخ، وسلمتنا من مراقبة الأضياف. فكتب الجواب الأمير وهو يتبسم.

ثم قال: ولماذا تخالف قضاة المسلمين الرسميين من قبل الحكومة، في صوم رمضان والأعياد في غالب السنين؟ فقال صاحب الترجمة: إن هذه مسائل دينية، لا دخل للحكومة فيها البتة، اللهمّ إلا إن أرادت الحكومة مني مناظرة دينية، فلتجمع رهبانها،

وتضرب موعدًا بيني وبينهم في كبد جاوا، وهناك محلّ السؤال والجواب.

فقلتُ لصاحب الترجمة، بعد ما ساق القصة: ثم ماذا كان بعد هذا؟ فوضع ظهر كفه الأيمن على بطن الأيسر، ثم جذبه بقوة، إشارة إلى انسحاب الحكومة من هذا الموقف الحرج، وقال: كِرمِهُم، بسكون الكاف وكسر الراء، مثلٌ حضرمي لآخِرِ كلمة تقال في الموضوع.

وأصله: أن الإنسان إذا خرج من عند أناس أضافوه، يقول: اللهم أكرِمهُم، فحذفوا «اللهمّ»، للعلم به من المقام، والهمزة للتخفيف، فصار: كرمهم.



ومرةً دخل عليه رجلٌ وأنا بحضرته، وتكلم معه بكلام ملفق، ثم خرج، فنظر إليَّ صاحب الترجمة، وقال: كيف رأيت الرجل؟ قلت له: في شريف علمكم الحديث: «**إن أكثرَ أهلِ الجنّة هم البلهُ**»[1]، أي بضم الباء وسكون اللام. انتهرني انتهار المؤدّب، عند زلة المتأدب. وقال: إنما يلقب هذا وأمثاله بالحبيطَة، أي: الذين يخبطون الأمور خبط عشواء، وأما البُله المعنيون بالحديث، فهم أمثال الحبيب محمد بن صالح مولى عمْد، الذي يعجز عن حساب ما يساوي مائة ريال من أمر الدنيا، بينما ورده من القرآن ثمان ختمات بين اليوم والليلة، انتهى.

* وقوله «الحبيب محمد بن صالح»، يعني: ابن صاحب المناقب، كما تقدم ذلك في ترجمته من (هذا الباب).

ومرةً احتد صاحب الترجمة على أناسٍ بلغه أنهم يسبون الأولياء، حتى قال في المتكلمين على الأولياء: إنهم خنازير!. فاستبشعت هذه الكلمة منه، فالتفتَ إلي، وقال:

(1) أخرجه البزار وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بل إنهم أسوأ حالًا من الخنازير، لأن الخنازير لا تؤذي أحدًا، وغاية الأمر أنها تأكل من الكلاء المباح، وتشرب من ماء النهر، وأما من آذى أولياء الله فقد آذى الله، وانتصب لمحاربته، انتهى.



وكان صاحب الترجمة، على ما يقال، ذكيًا من صغره. **سمعتُه** مرةً يقول: كان والدي يتعهد أهل دوعن بالدعوة إلى الله، وإصلاح ذات البين، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، والترحيب بالقادمين من الأسفار، فلما كبر سنه، جعل يرسلنا لذلك، يعني نفسه وإخوانَه، نيابةً عنه. ويقول لنا في حق المسافر: إن جاء بعلمٍ من سفره فاقرأوا عليه، وإن جاء بولاية فاطلبوا منه الدعاء، وإن جاء بدنيا هاتوا قسمنا.

فصادفَ أن أرسلني للترحيب بالشيخ العالم علي بن أحمد باصبرين، وأنا إذ ذاك صغير السن، وقال لي: اطلب منه أن يمسح على صدرك، لأنه من أهل العلم. فلما صافحته، وبلغته سلام الوالد، وما أوصاني به. سألني عن اسمي؟ فقلت له: محمِد، يعني بالترقيق. فجعل يكرره كالمستغرب لذلك! ثم قال: الأَولى أن يكون محمّدًا. فقلت له: إن والدي أرسلني للترحيب بقدومك، ولتمسَح على صدري، لا لتعدل اسمي، فأعجبه جوابي وانبسط منه، انتهى.



قلتُ: ومن قوة ذاكرته، ومصداق فراسته، في طباع الناس: أنه جاء مرةً إلى بتاوي، فعمل له بعض مثري السادة العلويين بها ضيافةً كبيرةً، لطعام الغداء. وكان ذلك البعض ممن ينقصُهم النظام المنزلي، فلما اكتظ المكان بالمدعوين، حضر وقت صلاة الظهر. فقام صاحب الترجمة ليتوضأ، فقدمت له نعليه ويدي، ليتكئ عليها إلى البركة، وجلستُ عندها أنتظره، وكان من عادته أنه يرتاح بكثرة الماء، وربما قال: إن

أكثر الخواطر، يعني الرحمانية، ترد عليه عند الماء. فخرج وهو غير مرتاح، لقلة الماء في تلك البركة. وقال: ما يمنع هذا الإنسان أن يأمر أحدًا من خدمِه يملأ هذه البركة ماءً، لكونها بجوار البئر. ثم رجع إلى محل إقامته، بندووسو.

وعاد إلى بتاوي بعد سنتين، وأعاد التاريخ نفسه، فلما وصلنا عند البركة المذكورة، التفت إليّ وهو يتبسم، وقال: عسى أنهم قد ملؤها، يعني في مدة السنتين!.

وكان إذا واجه إنسانًا، ولو مرة واحدةً، لا ينسى اسمه ولا نسبه، مهما طالت المدة، وقلما صافحه أحد من المذكورين إلا وألقى عليه كلمةً، مما يختص بداخلية المصافح، إشعارًا له بأنه عرفه، مع كثرة ازدحام الناس على مصافحته.

كما أنه كان ينزل الناس منازلهم، ولا يتحاشى من ذلك. وكل من زاد بفضيلة يقدمه في المجلس على أقرانه، ويقول لهم: هذا حقه من ربه.

على أنه يخاطب الناس على قدر عقولهم ومعلوماتهم. أنشد عنده مرة بعض الناس بقصيدة لسيدنا الحبيب عبدالله الحداد، بعد الدرس، ولحَنَ فيها كثيرًا، فلما أتمها قال له صاحب الترجمة: عذرك يا بو فلان. ثم أنشد آخر بأخرى معربةً، فقال له: أحسنت أحسن الله إليك.



ومرةً حضرت روحته، المعهودة بازدحام الناس عليها، بعد صلاة العصر، أيام تردده إلى مدينة بوقور، وكان متزوّجًا بها على بنت شيخه الحبيب محمد بن عيد روس الحبشي. فلما غصَّ المكان بالعلماء والأعيان، من الغرباء وأهل البلد، قام صاحب الترجمة إلى داخل البيت، ثم خرج يحمل بيده مجلدين. فقام أحد الحاضرين ليخدمه، في حمل الكتابين. فقال له: صاحب الترجمة أعط هذا فلانًا، يعنيني وهذا فلانًا، يعني آخر من طلبة العلم. فعكس الأمر ذلك الرسول، فنهض صاحب الترجمة من مكانه، وأخذ

الكتاب الذي بيدي قبل أن أفتحه، وناوله الآخر، وأخذ الكتاب الذي بيده وناولني إياه، وعاد إلى مجلسه وهو يقول:

* للتّينِ قومٌ وللجمّيز أقوامُ *

فإذا الذي أخذه مني مجموع مجلات. أراد أن ينبه الحاضرين على مغالطات دينية في إحدى تلك المجلات، وإذا الذي رده علي تثبيت الفواد من كلام سيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، الذي جمعه تلميذه الشيخ العلامة أحمد بن عبدالكريم الحساوي، وقوله «للتين قوم..»، إلى آخره هو عجز بيت وقبله:

يا نفسُ لا تطلبي ما لا سبيلَ له ... قد قسّم الرزقَ بين الناس قسامُ

ألم تر السوقَ قد صُفّتْ فواكهُه ... للتين قومٌ وللجُمّيز أقوامُ

و«الجمّيز» بضم الجيم وفتح الميم المشددة بعدها ياء ساكنة وزاي، هو ثمرٌ يشبه التين في اللون، ولكنه دونه في الطعم.



رجعنا إلى المقصود، والنهْل بعد العَلّ من هذا العِدّ المورود.

ثم جاء في قراءة بعض الإخوان عبارةً معناها: الاحتراس، المعروف عند علماء البيان، وهو أن يؤتي في كلام يوهم خلاف المقصود، بما يدفعه. فأخذت ذاكراتُ طلبة العلم تتطاول إلى بيت الشاعر، الموقوف على الاستشهاد في هذا المقام:

ألا يا اَسْلمي يا دارَ مَيٍّ على البِلَى ... ولا زال منهلاً بجَرْعائك القطْرُ

فلم يدركه أحدٌ في الحال. فقال صاحب الترجمة: وعلام تذهبون إلى بعيد، وهذا الحبيب علي بن حسن العطاس يقول في الاستغاثة بجَده الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس:

يا بوحسين الله في عبيدك صلِهْ

مهْــــلًا تخليـــــه للحسّــــادْ والمنغَلِـــةْ
شــفهُم ولــو قُــدَك داري عنــدهمْ تبِـك لــه

فإن الحبيب علي احترس عن تجهيل الحبيب عمر بقوله «ولو قدك داري»، انتهى.

[(الاحتراس) في الأبيات السابقة]

قلتُ: فقول الحبيب علي «شفهم عندهم تبِك له»، يوهم تجهيل المخاطب، وهو الحبيب عمر، بحال حساد الحبيب علي، فأزال هذا الإيهام بقوله «ولو قدك داري».

وفي قول الشاعر «ولا زال منهَلًا بجرعائك القطر»، يوهم أنه أراد خرابها بكثرة الأمطار، فاحترس بقوله «يا اَسْلمي على البلى»، أي من البلاء، لأن حروف الجر تنوب عن بعضها، والنحاة يستشهدون بهذا البيت في جواز تقديم خبر (زالَ) على اسمها. وأبيات الحبيب علي المذكورة هي من قصيدة طويلة، مثبتة في «ديوانه» المسمى «قلائد الحسان وفرائد اللسان»، من القسم الحميني، أي الوطني، ورويُّها بكسر اللام وسكون الهاء، على لغة جهة الكَسْر، المعروفة عند أهل حضرموت.

و«بوحسين» هي كنية الحبيب عمر. و«عُبَيدك» بالتصغير، يعني به الحبيب علي نفسه. و«التِّبِك» بكسر التاء والباء مع سكون الكاف، الحقد والبغضاء. و«المنغلة» أهل النغْل، وهو شدة المبالغة في العداوة.



عدنا إلى شمائل صاحب الترجمة، الحبيب محمد، والعود في مثلها أشهى وأحمد.

وكان بينه وبين الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ملك اليمن، مكاتبات وأشعار، ومراسلات ودية، تنبئ عن معرفة كل منهما بمرتبة الآخر العلمية والعقلية. وكان الإمام يحيى يتمنى أن يفد عليه صاحب الترجمة. فقلت يومًا لصاحب الترجمة: لو وفدتم عليه،

لكان في ذلك منافع خاصة وعامة. فقال: أما أنا فلا يمكنني ذلك، يشير إلى أنه في وظيفة الدرس بجاوا. على أني لا أحب أحدًا ينوب عني في مقابلته، إلا أحد العلويَّين، أي بصيغة المثنى، يعني علويًا ابن صلبه، وعلويًا بن محمد الحداد، ابن المشيخة والصهارة. يعني لكمالهما عقلًا ونقلًا.

ومما كان الإمام يحي يعجب به من لطافة صاحب الترجمة وذكائه: أن بعض الناس وفد على الإمام يحيى، وأظهر له أنه صاحب نفوذ قوي على ذوي الشوكة في حضرموت، وهو يستطيع أن يضمها إلى اليمن في أسرع وقت، فكتب الإمام بذلك إلى صاحب الترجمة، يستفسره عن حقيقة موقف ذلك الإنسان ونفوذه؟ فكان جواب صاحب الترجمة عليه: أن جاه هذا الإنسان ونفوذه لا يتجاوز شاةً من الغنم، يذبحها له ذوو الشوكة بحضرموت، يوم يفد عليهم، انتهى.

[من القصائد التي بينه وبين الإمام]

كما أنه يعجب من قصائد صاحب الترجمة، وإلى القارئ رسالة من الإمام يحيى، جوابًا على قصيدة أرسلها إليه صاحب الترجمة، تشتمل على سبعة وسبعين بيتًا.

قال في أثنائها:

يــا جامعًــا أشــتاتَ كــلّ فضــيلةٍ	مــن ذا يعُــدّ القطــر والبحْــر الملــي
آتــاكَ مــؤتي الحكْــمِ والحكمــةِ مــا	آتــىٰ ســميَّك فضْــلَ معــطٍ مجــزلِ
لــك بيعــةُ الرضــوانِ حقًّــا والــذِي	لا يعتقـــدها عـــن ديانتِـــه خَلـــي
إنّ الـــذين يبايعونـــك إنمـــا	في البيـــعِ مـــنهم يبـــايعون يـــدَ العلـــي
إنــا لنرجُــو أن نحُــجَّ لبيتِــكَ الــ	ـــمعمُور بعــدَ الفــرض حــجّ تنفّــلِ
فبنــا مــنَ الأشــواق مــا لــو كــان مِــن	تحـــتِ أقـــلَّ أو اعتلَـــىٰ كمظلّـــلِ

فكان جواب الإمام عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الأخ العلامة، عز الدين، وسليل الأكرمين، وهمام السادة الميامين، محمد بن أحمد المحضار، قرين الفخار، حفظه الله، ووالى عليه جميل صنعه، ومتعه ببصره وسمعه، وأمتع بمعارفه شريف شرعه.

والسلام الكريمُ المضاعف تضاعُفَ قطر الغيثِ العميم

يهدَى إليه ورحمة الله وبركاتُه وتحياته ومرضَاته

أما بعد، فإنها وصلتْ إلينا تحفة العُهادِ من مشرقها الأقصى، وأقبلت إلينا تلك الأُلوكة التي دلت على فضلكم نصًا، فسرَّتْ ما شاءت، وبلغت من أوج الحسن والإحسان ما أرادت، وزادها مكانًا من الإحسان ما حداكم إلى سرد بيوتها العامرة، من المستهَلّ الذي لُقِّنتمُوه في عالم الأرواح بلسان الجنان، فقد أحسنتم وأفدتُم، شكر الله سعيكم، وأدام بآلائه التي لا تحصى رعيكم.

ولله دركم، فهي من القول الذي شرُف قائله، وظهر على أفق الإجادة فاضِلُه، وسرورُنا بها فوق الوصف، يطول زمانه، ويدوم استحسانه، وكان المرام لفرْطِ الإعجاب بها محاكاةُ نظمها في الجواب، إلا أن الرغبة في بقائها فريدةً، قضى بإغلاق ذلك الباب، والعدول إلى الثناء عليكم، والاقتصار على تحرير العهاد.

والمرجوّ من الله تعالى دوام صلاح شئونكم، وصون سوحكم عن كلّ المكاره وانقطاعها دونكم، والأحوال لدينا بمن الله تعالى صالحة، والأخبار البالغة عن أحوال المسلمين للصدور شارحة، وقد ظهر انقشاع غيم تلك التحكّكات، وسيزول بحول الله وقوته ما بقي من أثر السواد الدياجي، ويتيسّر حصول المنح بمرجوّ الراجي. والله

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يختم لنا بالحسنى وزيادة، وينيلكم المرغوب من أبديِّ السعادة. ونرجوكم إبلاغ السلام إلى كافة أخوانكم الكرام، وأولادكم الأعلام.

والدعاء مستمد، فإنا لم نزل نكابد من خدَمة، أي بفتح الخاء والدال والميم، النصارى، أتعابًا ومشاقًا في سبيل صدهم عما يرمون إليه، من تمهيد السبل لطوائف النصارى، فكم دارت في ذلك المعارك تلو المعارك، والنصر حليف الحق، ولولا عناية الله لتمّ لمن يطمح نظره إلى هذه الجهات ما يروم، ولكنها الغاية شأنها عظيم، وأثرها بالمراد زعيم، وأي زعيم!.

والسلام عليكم ورحمة الله

حرر ثمان وعشرين ربيع الأول

عام وحدة وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية».

ثم ختمه بختمه الرسمي، وهكذا نقشه: «أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، يحيى بن محمد حميد الدين، نصره الله آمين»، انتهى.

قلتُ: وسيأتي شيء من ترجمة الإمام يحيى المذكور، في ترجمة الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد من (هذا الباب) إن شاء الله تعالى.



رجعنا إلى شمائل المحضار، وتميم الشوط في هذا المضمار.

وله أيضًا قصائد جمة، ومكاتبات نخمة، وتوسلات بأهل الكساء مهمة، اعتنى بجمعها ابنه وخليفته، علوي بن محمد المذكور.



وأمّا كرمه في بذل المال، وإطعام الطعام، فقد كان المثل الأعلى لأهل زمانه في ذلك، وله كلمة نفيسة، كثيرًا ما يأتي بها عند تقديم الطعام. وهي: إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها.

وإلى القارئ عنوانًا من ذلك، وهو: أنه جاء لزيارته أحد السادة العلويين، ولم يكن في جيب صاحب الترجمة إلا ورقَتا نوط هولندي جاوي، واحدة منهما تساوي مائة ربية، والأخرى تساوي ألفًا. وكان من عادته أنه لا يلتفت كثيرًا إلى أمور الدنيا، فأخرج التي يظنها المائة، وقال لابنه علوي: هذه مائة ربية، أريد أن أعطيها عمك فلان، يعني زائرًا. فقال له ابنه: هذه ألف ربية، رجعوها وأعطوه المائة، وسوف يفرح بها فوق العادة، لأنه لا يطمع في المائة لا منكم ولا من غيركم. فقال لابنه: إنها قد خرجت من جيبي لهذا القصد، ومن المحال ردّها. ودخل على ذلك الزائر، ورتب له الفاتحة، وناوله الألف عند المصافحة، وقال له: ادع لي ولأولادي، انتهى السياق من رواية ابنه علوي، في معرض ثقة والده بمولاه.

والزائر المذكور، هو الحبيب سقاف بن هود بن محمد بن أحمد بن علي بن عبداللاه السقاف. وليد سيوون، ودفين تريم، وحالًا عاد إلى وطنه، وهو يحدث بهذا الإكرام.

ومن كرامات صاحب الترجمة: ما تقدم في (هذا الباب)، في ترجمة الحبيب أحمد بن عبدالله العطاس، من أن الحبيب أحمد المذكور، مع جلالة قدره، وورعه الحاجز، أنه كان يعتقد أن صاحب الترجمة مستجاب الدعوة.

فمرةً زار صاحب الترجمة الحبيب أحمد إلى محل إقامته، فكالونقان، وأراد مواصلة السفر إلى بتاوي. فقال الحبيب أحمد: يا محمد، إن خاطري تحرك إلى ملاقاة ولدي

علي، وأحب أن يحضر هذه العيد عندي، فقال صاحب الترجمة: يحضرها إن شاء الله عندكم. فقال له الحبيب: إني لا آذن لك في المسير إلى بتاوي، إلا أن شليت في وجهك، أي تعهدت لي. فقال صاحب الترجمة: في وجهي، وخطّ بسبابته على جبينه، كما هي العادة في حضرموت.

قلتُ: وكان الوقت إذ ذاك قرب عيد، وعلي بن أحمد بحضرموت، ولم يسبق إليه طلب من والده بالعود إلى جاوة. فلما وصل صاحب الترجمة إلى بتاوي، توارد عليه أهلها للترحيب بقدومه، وكان من عادته أنه ينزل في بيت محب أهل البيت أحمد بن عبدالله با سلامة، الآتي ذكره في (باب الكرامات)، وكنت فيمن حضر.

فكان مما قصه علينا صاحب الترجمة من رحلته، وكان حلو الحديث، متراسله، ما جرى بينه وبين الحبيب أحمد، بشأن ابنه علي. ثم قال: شلينا للوالد أحمد في الوجه، لأجل يفرح منا، ويدعو لنا، والأمر بيد الله، انتهى.

واستمرت الروحة العصرية بعد ذلك عند صاحب الترجمة، في جموعها المحشودة، مدة إقامته ببتاوي. فلما كنا في أثناء الروحة من الليلة الخامسة، إذا نحن بموزّع البريد، يحمل برقيةً لصاحب الترجمة، فتناولها، وهو يقول: **اللهم** إنا نسألك من فُجاءة الخير، ونعوذ بك من فجاءة الشر. ثم ناولها ابنه علويًا، وكان ساعده اليمين، فقرأها، وهذا نصها: «الحبيب محمد المحضار، بتاوي. بيض الله وجهك، علي وصل سنقافور، أحمد بن طالب العطاس، فكالو نقان»، انتهى.



ومن كشف صاحب الترجمة الجلي: إني كنتُ يومًا بحضرته، فشرع المنشد بقصيدة ميمونة المطلع، فدخل عليه جملة من الأعيان. فقال لهم: هذا شاهدكم، يعني مطلع القصيدة. واستمر المنشد فيها، فجعلت أقول في نفسي: ليتني كنت معهم. واستولى

علي هذا الخاطر، فلما سكت المنشد، التفت إليّ صاحب الترجمة، وقال: هل عندك قلم؟ قلت: نعم. قال: وأنت اكتب شاهدك، وأملَى على هذا البيت:

مــــن لـــــي بمِثْـــــل ســــيركَ المــــذلّلِ   تمشــــــي رُويــــــدًا وتجــــــي في الأوّلِ

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وقد قرأتُ على شيخنا صاحب الترجمة الحبيب محمد المحضار في عدة كتب، وأهمها فن الحديث، بعد أن أسمعني حديث الأولية، بسلسلته الذهبية، إلى أهل البيت الطاهر. وأجازني، وألبسني، وسمعت منه الشيء الكثير، وصحبته سفراً وحضراً. وكان آخر عهدي به: زيارتي له إلى محل إقامته مدينة بندووسو بجاوة الشرقية، بمعية سيدي الحبيب العارف بالله أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب).

[حديث الأولية]

ولتكرر سماع حديث الأولية، وحديث الآخرية، وحديث المصافحة، من غالب أشياخي، أحببت إيراد الجميع هنا، للتبرك بذلك في «تاجنا» هذا.

وسمّي الأول حديث الأولية، ويقال حديث الرحمة المسلسل بالأولية، لأن المريد يقول: أول حديث سمعته من شيخي. يرويه عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو بن العاص، عن عبدالله بن عمر و، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الراحمون يرحمهم الرحمن»**، وفي رواية: **«يرحمهم الله»**، **«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»**[1].

[حديث الآخرية]

وسمي الثاني حديث الآخرية، لكون المريد يقول: آخر حديث سمعته من شيخي. يرويه عن عمار بن محمد، عن الصلت الحنفي، قال: سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول:

---

(1) رواه الترمذي وغيره.

سمعت خليلي أبا القاسم محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**تقومُ الساعة حينَ لا تنطِحَ ذاتُ قرنٍ جماء**»[1]، وهي التي لا قرن لها.

[حديث المصافحة]

وسمي الثالث حديث المصافحة، لأن الشيخ لا يرويه إلا حال المصافحة. فيقول: قال أبو هرمز[2]: دخلنا على أنس ابن مالك نعودُه، فقال: صافحت بكفّي هذه [كفَّ] رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما مسِسْتُ خزًا ولا حريرًا، ألْينَ من كفّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[3]، انتهى.



وإذا أعدنا الكرَّة إلى استعراض حياة الحبيب محمد المحضار في المجموع، نجده زهرة الأفراد، والمشار إليه في الجموع. ولا أكون مبالغًا إن قلتُ: إن الزمان يحبه ويطيعه، فقد كانت أيامه كلها أعياد، وبسط وإمداد، وما أشبهها في الزهو بذات العماد، غير أنه تبرأ من ذلك وتخلى، وعرف أن الآخرة خير له من الأولى، فلحق بأسلافه المطهرين في الرفيق الأعلى.

وكانت وفاته في بندر سربايا، من الجهة الجاوية، ليلة الثلاثاء، في الساعة العربية الحادية عشر صباحًا، لوحدة وعشرين مضت من شوال، سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية. ودفن في قبة السادة آل حبشي، بكانفون عَمْفيل، إلى جانب الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، كما أن ميلاده كان بالقويرة من دوعن الأيمن، سنة ثمانين ومائتين وألف.

---

(1) أخرجه بلفظ قريب مسلم في «صحيحه» عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو بلفظه عند أحمد في «مسنده».
(2) في الأصل والمطبوع: أبوهريرة، والصواب ما تم إثباته، (مصحح).
(3) رواه الترمذي.

[ترجمته من «الشجرة العلوية»]

وقد ترجمهُ جامع «شجرة السادة بني علوي»، بقوله: «محمد المحضار. كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيدًا فاضلًا، كريمًا سخيًا، جوادًا حليمًا، ذا عقل وافر، وحظ جزيل باهر، أخلاقه حسنة، وأفعاله مستحسنة، مقبولًا عند الخاص والعام، وحُسن ظنه بهم كامل وتام، حتى بالعوام. إلى أن انتقل إلى رحمة الملك العلام، بجاوة، بلد سرباية، ودفن هناك، عام أربع وأربعين وثلاثمائة وألف، نفع الله به المسلمين أجمعين آمين. كما أنه ولد بالقويرة سنة ثمانين ومائتين وألف»، انتهى المراد من «الشجرة».



[ابنه؛ الحبيب علوي بن محمد المحضار (ت 1378هـ)]

قلتُ: وقد خلفه على وظائفه، وسيرته ومعارفه، ابنه علوي بن محمد. حلو الشمائل، وصدر المحافل، الجامع بين الفضائل والفواضل، وزيرُه وقرة عينه في الحياة، وخليفته ووصيه بعد الوفاة. ولا أكون مبالغًا إذا قلتُ: فإذا هو إياه.

وليد القويرة بدوعن الأيمن، وبها الآن. تربى بوالده، وتخرج بعمه مصطفى، وتفقه بابن عمه العلامة الورع عبدالله بن هادون بن أحمد المحضار، وليد القويرة ودفينها، وخريج الأزهر بمصر، ثم طلبه والده إلى جاوة بعد أن استقر بها، لتمام تسليكه وتهذيبه، فوجده مطاوعًا، متأهلًا لما يلقيه إليه بأذن واعية، وقلب جذلان، وذهن وقاد، فأخذ عن والده أخذًا تامًا، وانطوى فيه، فتصفت مرآته، وانتقش كل ما في والده فيه. حتى أنه انتقلَ في آخر حياة والده، من رتبة البنوّة، إلى درجة المؤازرة والمشاورة، فصار والده لا يبرم أمرًا خاصًا أو عامًا إلا بحضوره، بل ولا يقدر على

مفارقته حضرًا وسفرًا، كما أن المترجم له كذلك، حتى أودع والده إلى مقره البرزخي، بعد أن اطمئن والده بخلافته على العير والنفير، ولا ينبئك مثل خبير.



وإن نسيتُ شيئًا مما كان بينهما من الألفة وصفاء المودة، فلن أنس تلهف والده على مفارقته في مسافة ليلة واحدة، وذلك يوم خروجي مع سيدي الحبيب محمد من محل إقامته بندووسو، بمعية الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس المذكور، مودعًا له إلى سربايا، في جمع من الأعيان، على ظهور السيارات.

وكان من عادة الحبيب محمد أنه يجلسني إلى جانبه في السيارة التي يركب فيها. وكان قبل خروجنا بليلة، أنّها وقعت حادثة في بانيوواغي، بين العرب، ذات أهمية، فأرسل الحبيب محمد ابنه علوي، والحبيب محمد بن علي بن عمر، الملقب بالحبيد، بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، وليد عينات ودفينها، لتسديدها.

فظل الحبيب محمد يومه يردّد هذه الكلمة، كأنها من أوراده المحتمها على نفسه، وهي قوله: سفَر ما فيه علوي لا يطمئن به خاطري. حتى تقوّى معه هذا الخاطر، فأبرق إليه، ليلاقيه إلى سربايا. ومع هذا وذاك ولا تزال جملة مباركة من أهل العلم والثروة، محيطة بالحبيب محمد حضرًا وسفرًا، يتسابقون إلى إشارته، ويفتخرون بخدمته، غير أن لسان حاله يقول: ما يعرف رطني إلا ولد بطْني. وذلك لما يعهده من علوي، على حد قول الحريري: «ففهم ابنه لطائف رموزِه، بلطافة تمييزه».

ومن محاسن المترجَم له: أنه كان همزة الوصل بين والده وبين الناس، فكان لا يبلغ والده منهم إلا المحاسن. وله أسلوب حكيم في مداراة أجلاف الناس، وصبغهم بصبغة الخير، وتقريبهم من أهله، كما أنه ملهَمٌ في وعظه ونثره ونظمه.

وبما أنه مقرئ والده، وكاتبه المجيد لوسائله ومقاصده، وعيبة سره في مصادره وموارده، فلا خلاف في أخذه عن كمل عصره، وممن يحضرني ذكرهم الآن: الحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب طاهر بن عمر الحداد، والحبيب حسين بن محمد البار، بحضرموت. والحبيب عبدالله بن محسن العطاس، والحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، والحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، والحبيب عبدالقادر بن علوي السقاف، بجاوة، وغيرهم.



وله مع أهل الفضل دماثةُ أخلاقٍ، وحسن أدب، يستزل بهما صالح دعواتهم من صميم الأفئدة. وكلهم يخصصونه بمزيد نظر، وعناية تامة. وهاهو الآن بالقويرة، واقف خلف عمه مصطفى، أمام محراب المنصب المحضاري.

وعلى كثرة امتزاجي بالمترجَم له حضرًا وسفرًا، ونقْدي له ماديًا وأدبيًا، لم أرَ ولم أسمعْ منه شيئًا إلا كل كمال وجمالٍ، في العلوم والأعمال، علاوةً على ما فطره الله عليه من الصبر والاحتمال، وإن كنت سمعتُ عنه شيئًا من حسّاده، في مدة غيبته عني، فهو لا يزيد على قولهم: إنه مسرف في كرمه! ولعمري إنهم لفي سكرتهم يعمهون عن قول الشاعر:

ولا عيبَ في غير أن سيُوفَهم ... بهن فلولٌ من قراعِ الكتَائبِ

وكانت وفاته بالقويرة، مساء يوم الأربعاء، وخمسة عشر جماد الأول، سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية.

[الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار
المتوفى سنة 1374هـ]

ومنهم الحبيب البقية الباقية، درع السادة العلويين الواقية، والمشهود له بأنه شيخ الحضرة وموزع كأساتها على غلمانها الساقية، مصطفى بن أحمد بن محمد المحضار. وليد القويرة وشهيرها الآن، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. كان أخذه عن صاحب المناقب، رضوان الله عليه، بالواسطة. تربى صاحب الترجمة بوالده، وتهذب بأخويه حامد ومحمد، الآنفي الذكر، وتخرج بالحبيب أحمد بن حسن العطاس، قراءةً وسماعًا وخدمةً في الحضر والسفر، وتفقه على الحبيب حسين بن محمد البار بالقرين. وله الأخذ التام، والمدد الخاص والعام، من الحبيب علي بن محمد الحبشي.

على أنه من المتعذر حصر صلاتِ صاحب الترجمة، ومواصلاته بصالحي عصره، سواء كان أخذًا عن الأكْبَر، أو مبادلة مع المقارن، أو إمدادًا للأصغر، غير أنه في ضمن ذلك كله يخلط جدّه بالهزل، فرارًا من دعوى العلم، وميلًا إلى إصلاح ذات البين، وإكرام الوفود، التي تتعاقب على منزله كتعاقب ملائكة الليل والنهار.

وكان أشياخه ينعتونه بشيخ الحضرة، كما لقبه بذلك والده، ويعنون بذلك: أن روحه الزكية تكون لها سلطة خاصة على أرواح الحاضرين، في مجامع الذكر والتذكير، فترى كلًا من المتكلم والسامع، يوجهون أنظارهم إلى صاحب الترجمة، كأنه آلة الإذاعة بين الطرفين. كما أن كلمته تكون هي القول الفصل، في إصلاح ذات البين.

[حلاوة أسلوبه في المكاتبات]

وكان صاحب الترجمة عذبَ الإنشاء، سليقي التسجيعات، مفتوحًا عليه في ذلك، ولرسائله العادية في القلوب المنزلة السامية، فلا تزال تحفظ وتدرس في المجالس، كلما ذكر وذكرت، لأنها لا تخلو من قضية تاريخية.

ويحضرني الآن مكتوب منه لسيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس المذكور، إخبارًا بوفاة شقيقة صاحب الترجمة، وبنت أخيه هادون بن أحمد، وهذا نصه:

«الحمدلله، ونسأله الثبات، في المحيا والممات، والصبر على موت البنات، الباقيات الصالحات، المباركات الطيبات، الذي أصبحن متقاطرات، إن شاء الله إلى الجنات، وأمسين مسارعات، وأخلين على الديار وأهلها بالوَحشات والمكدرات والمغثيات.

وتكدرت علينا الحالات من صفاء الأوقات، صبح يوم الربوع توفت البنت نور بنت هادون، وغثينا لموتها وغيبة صَوتها، ودفناها والهموم متراكمة، من قدا فاطمة، أمراضها متراكمة، وملائكتها متزاحمة، والعين قاهدة غير نائمة، وبحور الأسى متلاطمة، ومكثنا باقي يوم الربوع والخميس، ولا شعرنا المغرب إلا بالمرجحنّة، وفي القرين حنّة، وتوفت فاطمة، ولبعد موتها مظنة، وكل قلب ونّ ونّة.

وهذه هي المصيبة والمحنة، وإن كانتا إلى الجنة، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فقد عظم علينا الأمر، الذي لم يخطر ببال زيد ولا عمرو، ولا خطر ببال اثنين، أن هؤلاء الثنتين يمتن في ليلتين، أعزّ ما خلف أحمد المحضار، من البنات الأحرار، في هذه الديار، فقد انقلصت لموتهن القلوب، لأنهن مثل أبي النوب.

وفاطمة ذاك حالها، في تفصيلها وإجمالها، فقد فضلت على أمثالها، وزادت على أشكالها في جميع أحوالها، ولا بغيناها تموت، وأمسى القلب لموتها مبهوت.

ولبُعَد موتها لنا في حساب، وعادنا الآّ نتذكر حريضة وذاك الجناب، وسيون وسيعة الرحاب، وتريم وعينات بلاد الأحباب، ولكن قلت للقضاء والقدر، حيث لا مفر ولا وزَر، وقلنا: الأمر لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والمشقة لا مزيد عليها.

وإذا ذكرنا فاطمة، بكينا عليها، وقد بكينا جم، حتى خالط الدمع الدم، وقد فندني بعض من حضر العزاء، وقال: ليش كل هذا البكاء؟ فقلت له: من ماتت عليه أخت كأختي، فليبك عليها إلى آخر سبتٍ:

مــع علمــي بــأن الأمْــرَ حــتمٌ   ومــا يغنــي البكــاءُ ولا العويــلُ

وقد أوصَت بدفنها بجنب أمها في القويرة، وسرينا بها من القرين، بعد غسلها والصلاة عليها في الجامع، وبعد أن استشرنا الحبايب في ذلك، وقالوا: قدوتكم سلفكم، مع أن المذهب يمنع. وخرجنا بها والساعة أربع، أي عربي، في الليل.

ولما قاربنا العطْف، سبقنا السَّيل، وتلاحموا تحت النعش ستون أو يزيدون، وعبروا به، وهم والسيل في دحُون، وهذا من آثار الرحمة، وفاطمة فوق السيل، وعلى رؤوس زجَل بالبكاء والعويل، والأرض مرتجة بسيولها، والناس مرتجة بعويلها.

حتى عبرنا الواد، وأقبلنا على البلاد، ولا أنثى ولا ذكر، إلا ودموعهم مثل السيل الذي عبر، وظهرت من الناس مشقّات، لم نرها قبل على ميت من الأموات.

وقصدنا بالجنازة القبة والمسجد، وبتنا بليلة ما لها ناصر ولا مسعِد، وحَوقلنا واسترجعنا، وصبرنا على ما به فجعنا، وأعطينا النابي لأهل الوادي، بأن الدفن شرق الشمس، ورجحه بعضهم بعد صلاة الجمعة. قلنا له: ما معنا بلاد، تحمل الواد، ودفنّا ربع النهار، مع حضور جملة من الناس.

والقلب من ذا الدفن في تعكاس، لأنها في الدار باقي الناس، لنا ولجميع الناس،

ومن أتى في الصفو أو بالأغلاس، تبشّ به ما تعرف التعكّاس، وإن جرى جاري تقول لا بأس، وقوتها الا الصبر بين الأجناس، والذكر والقرآن وقت الأغلاس، تسمح بما في الدار واجِد أوعَاس، ما تفرح إلا أن ضيفها على الراس، ولو يكن من كان أهلي أو جاس، ولو يكن حتى من أرض باداس، تقول حيا به ألقُوه على الراس، وكم من آثار لها مع الناس، كلّين يحفظ من خصالها أجناس، ولو بسطنا القول طال واحتاس، وامتداحي لها لا يسعه كراس.

وقد انجرَّ بنا الكلام، مع مكابدة الغرام، والهم والهيام، قبل رد السلام، على والدنا الإمام، الحبيب البقية البركة، الوالد أحمد بن حسن العطاس، متع الله بحياته، وعليه مزيد السلام ورحمة الله وبركاته.

وهذا بمسنون العزاء بمن ذكرن، ورحمهن الله، وأخلفهن بالخلف الصالح، والدعاء لنا ولهن، وأبلغوا كافة حبايبنا، الحبيب زين بن محمد، والعم سالم بن محسن، والأخ عبدالله بن علوي، وابنكم سالم، وجميع الحبايب وأهل الدار، وهو من الجميع، وأبلغوا العزاء لسيدنا الوالد البركة علي بن محمد الحبشي إلى سيوون، وهذا جامع للمحبين، ولجميع الحبابب، معاد بانكتب غير هذا، عرفوا الوالد علي، والشيخ محمد بافضل ينقله ويكتبه في رأس الكتاب، وأرسلوه، والعفو. والسلام.

أيضًا الأخ حامد بن علوي البار شريككم في هذا الكتاب، والعزاء واحد، والسلام من أخينا محمد بن علوي البار، وحسين ابن حامد العطاس، وصويلح باطرفي، والختم إن شاء الله يوم الخميس.

المستمدون لدعائكم، أولادكم: مصطفى بن أحمد، وحسين بن محمد، وبوبكر بن

حسين المحضار، وعبدالله المهجوس البار، لطف الله بهم، آمين.

حرر بالقويرة، يوم الأحد، وإحدى وعشرين خلت

من شهر رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية».



[إجازة المؤلف من صاحب الترجمة، رسالة وجوابها]

قلتُ: وبهذا المناسبة، تذكرت جوابًا منه لي، على مكتوب مني له، حينما طلبت منه الإجازة والوصية، وقت ترددي عليه إلى القويرة، فوعدني بإرسالها، وأرسلها، ولكن يد الضياع حسدتني عليها، لما فيها من الإشارات والبشارات، فاغتالتها. غير أني لا أرى بأسًا بإثبات الكتاب والجواب، تبركًا بآثار صاحب الترجمة.

وهذا نصهما على الترتيب:

[رسالة المؤلف لصاحب الترجمة]

«الحمد لله ونسأله إنجاز الوعود، التي تجاوزت الحدود، واقتضت الحدور والصعود، ونرتجي بها تمام المقصود، من سيدنا الحبيب الصفوة، والإمام القدوة، نخبة السادة الأبرار، سيدي الوالد البركة مصطفى بن أحمد المحضار، أمتع الله بحياته، وأفاض علينا من بركاته، في حركاته وسكناته.

وعليه من السلام، ما يليق بذلك المقام

على عدد خطاه في الرحاب والسوام

ولا هو سوى منه يتردد من صاعد إلى حادر، ويحوك جواني ويترك الشياذر، ولا حولنا بهذه القضية، ومقصودنا كله في الإجازة والوصية، وتكون مبادرة، وجامعة

لخيري الدنيا والآخرة، لأن نحن عزمنا على السفر إلى البنادر، وعاد معنا هواجس وخواطر، شيء باطن وشيء ظاهر.

إن عرفت الرموز، وإلا ادع لنا نجتمع بالعجوز، لأن شغبنا عاده محجوز، إن رأيتوه يصلح ويجوز، وإن قتلوا قد نحن مناصب ودول، والطريق على الأول، الوقت مضنة، ونحن با نقول: ولو حفَّيت يا راسي قد بكْ كم من دَهْنه. وكله خير، وآل بوبكر بن سالم عندنا خير من الغير، وقدهم مشايخنا، ويستاهلون الزائد، ويبدأ بالصلح إلا واحد. وهذا من الخريبة، بعد وصولنا إليها من زيارة الشيخ عمر مولى خضم، والجواب إليها بيد العاني، والدعاء وصيتكم، والعفو منكم، والسلام.

من ولدكم طالب دعاكم واعتناكم

علي بن حسين بن محمد العطاس».

[جواب صاحب الترجمة على رسالة المؤلف]

وهذا نص الجواب:

«الحمدلله مبلّغ الآمال، لأهل الآمال، مما يرضي مولاهم ذا الجلال. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه والآل، ما اختلفت الرجال بين المرابع والمحال، في طلب المعالي والعوال، والوصايا والإجازات من الرجال، وإن قلّوا في هذه الوحال، لكنهم وإن خفوا كالهلال، تنظرهم أهل الأبصار والبصائر العوال، بحدّة نظرهم يدخلون في غُمَرهم وزُمَرهم في كل حال.

ومنهم المتعطش لماهُم، وبغا كماهم، أخونا السيد الغضنفر، نسل آل جعفر، الحبيب الزين، علي بن حسين بن محمد بن حسين بن الحبيب جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الشيخ الإمام عمر العطاس، ملأ الله له الكأس، وحفظه من شر

الجنة والناس، ويسّر له الطريق، وحفظه من التعويق، ونحن وإياه متفقين في خير، وخاف نلحق إلى البندر، وفيها العلم والخبر، والهون فيه الصون، وباتحتاك الشياذر، ما هي المحاسر، القبضة إلا بأيدينا، حسبما أشرتم من قبل اليوم، ما هي من اليوم. قال الوالد: هذه جهة يحمونها أسلافها، وهم الدول، يحمونها من أهل المصائب، وأهل المذاهب، ومن حاد عن طريقتهم سَاقوه منها، حد بدرا، وحَد بغير درا، حسبما تعلم وترى. وذكرت بغيت البنادر، للهواجس والخواطر، الباطن والظاهر، وتدوّرون للعجوز، وعاد الشغب محجوز، لا بأس بالهمة، لوفاء الكلمة، و«ثعل يدُور خير من أسد محصُور»، وقد دعونا لك باتفاقها، وتمسي من رفاقها، وتقبض بخلاقها، والسلام.

مصطفى بن أحمد المحضار، حرر بالقويرة

وثمان محرم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية».

انتهى.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قلتُ: وقد قرأت على شيخنا صاحب الترجمة في كتاب «معراج الأرواح» لسيدنا الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، كما أني سمعت منه الشيء الكثير من سير القوم، ومعارفهم، بالقويرة، وغيرها.



[نهوض صاحب الترجمة لإغاثة الناس زمن المجاعة]

ويقول القادمون الى جاوا من الوطن، في الوقت الأخير: إن صاحب الترجمة لما نشبت الحرب العالمية الثانية، في العقد السبعين، من القرن الرابع عشر من الهجرة،

وعم القحط الجهة الحضرمية، وبيع فيها الرطل من حلي الفضة بأربعة ريال، وانقطعت المواصلات بين الساحل والداخل، وعاثت المجاعة في الناس، فتح باب داره بالقويرة على مصراعيه، لإطعام الطعام، فأتوه طلاب الإسعاف من كل حدب ينسلون، غير العجزة الذين يواسيهم في بيوتهم.

وكان من عادة صاحب الترجمة: أنه لا يبيع شيئًا من تمره الذي يجنيه من نخله، مهما كثر، بل يدخره، ويأكل هو وأضيافه منه، وربما جاء الجديد فوق الدويل، فلما كان وقت المجاعة أطعمهم الجديد ثم الدويل، ثم رهن النخل جميعه، وأطعمهم إياه، وهو يقول: رخصت الجنة في هذا الوقت! ولكن أين الموفقون لذلك.

قلتُ: وذلك لما يشاهده في الناس من الجوع الشديد، الذي يذهل الوالدة عن الوليد، وما ربك بظلام للعبيد.



[ترجمته من «الشجرة العلوية»]

ولنختم ترجمته بما وصفه في «شجرة السادة بني علوي»، الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور[1]، حيث يقول: «مصطفى المحضار. كان سيدًا فاضلًا، قام مقام أخيه حامد، مكرمًا للضيف، له دربة كاملة في إصلاح ذات البين، ملجأ هناك للخاص والعام، أدام الله بقاه. ولد بالقويرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف هجرية».

قلتُ: وتوفي أيضًا بالقويرة، صباح يوم الأربعاء، لثمان مضت من رجب، سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية.

---

(1) قال العلامة السيد عمر بن علوي الكاف التريمي، في كتابه «الفرائد الجوهرية بمجموع تراجم الشجرة العلوية» (2: 381): «ترجمته في الشجرة بغير قلم السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور»، اهـ (مصحح).

[ابنه: حامد بن مصطفى المحضار]

وخلفه على وظيفة المقام: ابنه حامد بن مصطفى، وليد القويرة. تربى وتهذب بوالده، وطلب العلم بتريم، ثم عاد إلى خدمة والده، ويصفه القادمون إلينا من الوطن بدماثة الأخلاق، وكرم النفس، والميل القلبي إلى سيرة أهله وأسلافه. ونحن نقول كما قال جده الحبيب أحمد المحضار:

* والسّر سَاري في الجماعَة والجملْ بعده جملْ *



[الحبيب حسين بن محمد البار المتوفى سنة 1331هـ]

ومنهم الحبيب القدوة، العلامة الصفوة، والمؤيد في إصلاح ذات البين ونشر الدعوة، حسين بن محمد بن عبدالله بن عيدروس بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن حسين البار.

وليد القرين بدوعن الأيمن، ودفينه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه أخذًا كاملًا، وزاره في حياته وبعد وفاته إلى بلد عمْد، ولبس منه، وتكرر ذلك بتكرار اتفاقات صاحب المناقب بالحبيب أحمد بن عبدالله البار، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، لأن صاحب الترجمة تربى وتخرج بعمه أحمد المذكور، ولازمه حضراً وسفراً، فصار خليفته الأول في المدارس، وصدور المجالس.

[ترجمته من كتاب «الشامل»]

قال الأخ العلامة المحقق، علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد، في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل في تاريخ حضر موت»، عند ذكر بلدة القرين وفضلائها، بعد ذكر الحبيب أحمد بن عبدالله، وما له من العلوم والأعمال: «وخلفه في إقامة هذه المدارس، وإحياء معاهدها فلا داثر ولا دارس، ابن أخيه السيد الشريف، الفقيه العلامة، الحبيب حسين بن محمد بن عبدالله البار، كان فقيهًا نحويًا، ذكيًا كريمًا، ذا عقل وافر، وفهم حاضر، وشعر جيد رصين، وتمييز بين الأمور.

طلب العلم بدوعن واليمن، وتعاطى أسباب التجارة في الحديدة، مع أخوانه عبدالله وعبدالرحمن، فنمت تجارتهم، وعاد إلى بلده، وتفرغ للعلم والعمل.

وكان ذا رأي في الحوادث، حسن القول في تسديدها. اجتمع أهل دوعن مرةً لحادثة في بطن الوادي، وحضر رؤساء الوادي وأعيانه، وطلب إليه، فتكلم في ذلك الأمر. فلما سكت، قام المقدّم سالم بامسدوس، رئيس قبائل الديّن، أي بفتح الدال وتشديد الياء، وقال: أيها السامعون من سادة ومشايخ وقبائل، لا نريد أحدًا يتكلم في هذا الأمر إلا هذا السيد، وكان قد أعجبه كلامه. ولقبائل الديّن، ومن كان في الغرب عنهم، في قبائل آل بلعبيد، في ترصيف الكلامِ صنعةٌ معروفة، يتباهون بها، وكان مواظبًا على قيام الليل، وله أوراد يديمها، شغوفٌ بمذاكرة العلم وكتبه.

ترجمهُ في «الشجرة»، وترجمهُ ابنُ أخيه في «مناقب الحبيب عمر البار الأكبر».

وأما أخذه: فقد لقي الشيخ عبدالله با سودان، وأخذ عن ابنه محمد، وعن عمه المسند الشريف الحبيب أحمد بن عبدالله البار، الآنف الذكر، وبه انتفاعه. وعن الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، والحبيب حسن بن صالح البحر، والحبيب محسن بن علوي

السقاف، وعن السيد محمد بن أحمد بن عبد البارئ الأهدل، شارح «المتممة»، والشيخ سعيد بن محمد باعشن[1]، عن[2] الشيخ عبدالله الشرقاوي.

ولد بالقرين، سنة وحدة وخمسين ومائتين وألف، وتوفي سنة وحدة وثلاثين وثلاثمائة وألف»، انتهى المراد، من كلام الحداد.



[لقاء المؤلف بصاحب الترجمة]

وأنا بحمد الله قد زرت صاحب الترجمة، الحبيب حسين البار المذكور، إلى بيته بالقرين، وطلبت منه صالح الدعاء، وذلك قبل سفري إلى الحرمين.



[الحبيب عمر بن أحمد بن عبدالله البار المتوفى سنة 1339هـ]

كما أني بعد رجوعي من الحرمين، حضرت في قراءة «صحيح البخاري»، على ابن عمه، الحبيب الزاهد العابد، العلامة المحقق المدقق، عمر بن أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار، وأجازني، ودعا لي. وكان سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس يحب الحبيب عمر المذكور، ويحترمه. وكان كثير الاغتباط به في علومه وأعماله، كما أن الحبيب عمر قد أخذ عن الحبيب أحمد بن حسن المذكور أخذًا تامًا، أيام تردد الحبيب أحمد إلى القويرة. فكان الحبيب عمر المذكور يأتي من بلده القرين، لحضور روحة

(1) في الأصل والمطبوع: محمد بن سعيد، ولعله من وهم النساخ، وما أثبت هو الصواب، إن شاء الله (مصحح).

(2) في الأصل والمطبوع: (وعن)، بزيادة واو، وهو يفيد أخذ صاحب الترجمة عن الشرقاوي، وهذا غير صحيح، فإن الشرقاوي توفي سنة 1227هـ، المترجم إنما يروي عن الشرقاوي بواسطة شيخه سعيد بن محمد باعشن، اهـ (مصحح).

الحبيب أحمد بن حسن بالقويرة، كل ليلة بعد العصر، ويقرأ فيها الشيء الكثير، مدة إقامة الحبيب أحمد بالقويرة. وزاره أيضًا إلى بلده حريضة.

ومن معرفة الحبيب أحمد بصدق ورع الحبيب عمر المذكور، أنه إذا جاء إلى القرين، وخرج معه الحبيب عمر لموادعته إلى خارج البلد، وكان من عادة الحبيب أحمد أنه يتكئ على يده، ويتحدث معه، وربما قصد مصنعة عُورة، بضم العين، عند المقدم عمر بن حمد باصُرّه، نائب الدولة القعيطية، في شفاعة لبعض المساكين، فإذا قارب المصنعة، يرسل يد الحبيب عمر إلى وراء، كالمشير عليه بالرجوع، مكاشفة منه على كراهة الحبيب عمر الدخول على ولاة الأمور، فيفرح بذلك الحبيب عمر، ويرجع أدراجه إلى بيته، بخلاف غيره من أهل الفضل. وكان المقدم المذكور يقول للحبيب أحمد: إنك قد بلغتني أكثر مقاصدي، فلا تحرمني من دخول الحبيب عمر بن أحمد البار إلى منزلي، رجاء أن تعود بركته عليَّ وعلى أولادي.

قلتُ: لأن المقدم المذكور ينتسب في عقيدته السلفية إلى الحبيب آل البار، فيردّ عليه الحبيب أحمد بقوله: ما هو للبيع، أي لا سبيل إلى ذلك!. فيالها من شهادة للحبيب عمر المذكور، من عارف بالله تعالى.



وعلى ذكر الدخول على الدول وأهل الشُّبَه، والأكل من أموالهم؛ تذكرت الآن واقعة حال جرت لبعض أهل العلم مع سيدي الحبيب أحمد بن حسن المذكور.

وهو: أنه جاء مرة إلى وادي عمد بمعية الحبيب أحمد، وكان الحبيب أحمد في تلك الأيام يسعى بصلح بين بعض من قبائل الجعدة، فعزمه لطعام الغداء إنسان من الذين يتعاطون معاملة الربا، وله علاقة بالإصلاح. فلما دخلوا سقيفة، أي دهليز، داره. قال الحبيب أحمد: أين فلان؟ يعني ذلك العالم، وأشار بيده الكريمة إلى جانب من السقيفة،

فيه آلة الحراثة، يريد بذلك أن غدانا من ثمر الحرث، لا كما تظن. وكان ذلك على سبيل الكشف منه، لأن ذلك العالم كان يقول في خاطره: كيف يحل لنا الأكل من طعام هذا الإنسان؟ انتهى.

وإذا رجعنا إلى محاسن الشريعة المطهرة، وأقوال العلماء الذين يدورون مع الحق حيثما دار، نجد الحبيب عمر البار قبضُه الورع، والحبيب أحمد بن حسن بسطتُه المعرفة، لأنه كمجدد ديني في عصره:

رجالٌ لهم حالٌ مع الله صالحٌ　　　فلا أنتَ من هذا القبيلِ ولا أنا

فلا يحسبنّ كل من يُظهر للناس الورعَ أنه عمر بن أحمد البار، ولا كلّ من يدعي المعرفة بأحكام الله أنه أحمد بن حسن العطاس، لأنهما كانا يحاسبان أنفسهما على النقير والقطمير، ويعلمان علم اليقين أن الحساب عسير، والناقد بصير، ولا ينبئك مثل خبير.



[الشيخ أحمد بن محمد بارحيم بامشموس]

ومنهم الشيخ الذكي، الفقيه النحوي، والفاني في محبة أهل البيت النبوي، أحمد بن محمد بارحيم بامشموس. ساكن القرين بدوعن الأيمن، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه قراءة وسماعًا، ولبس منه، وخدمه، وزاره إلى بلده عمْد. وكان هذا الشيخ من أهل الورع والاستقامة، ومن المحبين الفانين في أهل بيت الرسالة، ومن الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

[الحبيب سالم بن محمد الحبشي
المتوفى سنة 1329هـ]

ومنهم الحبيب العلامة، ذو الجد والاستقامة، والمحفوف من مولاه بالرضا والكرامة، سالم بن محمد بن عبدالرحمن بن شيخ بن عبدالرحمن بن شيخ بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي. وليد بلد الرَّشِيد بدوعن الأيمن، ودفينها، رضي الله عنه.

أخذ عن صاحب المناقب، رضوان الله عليه، ولبس منه.

ولا يعزب عن بال القارئ ما مرَّ في ترجمة والد صاحب الترجمة الحبيب محمد من (الباب الخامس)، من أنه كان يلح على صاحب المناقب بأن يدعو الله له أن يرزقه ولدًا، ويكون من أهل العلم، فاستجاب الله لهما، وأكرمه بصاحب الترجمة، على وفق ما طلبَ. فهو كرامة صاحب المناقب، وأحد مريديه، لأنه حينما ترعرع، زار به والده صاحب المناقب إلى بلده عمد، ثم قرأ على صاحب المناقب إبان تردده إلى دوعن لنشر الدعوة إلى الله.



[ترجمته من كتاب «الشامل»]

قال الأخ العلامة علوي بن طاهر الحداد، في تاريخه المذكور، عند ذكر بلدة الرشيد وفضلائها: «وممن أدركناه منهم، السيد الشريف، سالم بن محمد بن عبدالرحمن بن شيخ الحبشي، ترجمهُ فقيه البلاد الحضرمية، الصوفي العالم العامل، السيد الشريف، عبدالرحمن بن محمد المشهور العلوي الحسيني في «الشجرة»، فقال: «كان إمامًا فاضلًا، وعالمًا عاملًا، ناسكًا ذكيًا، حريصًا على اكتساب الفضائل والفواضل، شغل نفسه

بالتعليم، والإفتاء، والتدريس، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، ذابًا عن الشريعة المطهرة بلسانه وقلمه، ذا أخلاق رضية، وشمائل مرضية، زاهدًا قانعًا متقشفًا، ذا حُسنِ ظن وافر، ورأي حاضر. ولد بالرشيد سنة وحدة وخمسين ومائتين وألف. وتوفي لوحدة وعشرين مضت من ربيع الأول، سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية[1]»، انتهى المراد من كلام الحداد.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قلتُ: وأنا بحمد الله قد قرأتُ على شيخنا صاحب الترجمة «رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي»، وترددت عليه إلى داره بالرشيد، حينما كنت أتعلم القرآن الحكيم بالحريبة، وأنا إذ ذاك صغير السن، لا أحسن القراءةَ. فكان إذا قرر عليَّ شيئًا، يقول لي: فهمت؟ فأقول: نعم. فيقول هو: إن شاء الله تفهم. نفعني الله به وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.



(1) تاريخ وفاة صاحب الترجمة، من الزيادات على ترجمة العلامة عبدالرحمن المشهور في «الشجرة العلوية»، لأن السيد المشهور توفي سنة 1320هـ، ولم يكتب بخطه إلا سنة مولد صاحب الترجمة، ثم أضاف من بعده تاريخ وفاته، فليعلم، اهـ (مصحح).

[الحبيب أحمد بن محمد بن حمزة العطاس المتوفى سنة 1315هـ]

ومنهم الحبيب المجذوب في بدايته، الملحوظ في نهايته، والمتبجح بعلومه وولايته، أحمد بن محمد بن حسن بن عبدالله بن حمزة بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد الحريبة بدوعن الأيمن، ودفين بلد عمد بوادي عمد، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وانطوى فيه. كما أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، واستمد منه.

قلتُ: وكان صاحب الترجمة يعرف بين حمزة، حتى غلبت عليه هذه الكنية، لأنه لم يشتهر بها غيره من ذرّية الحبيب حمزة بن الحسين، انتهى.



قال المترجِم وفارس الميدان المتقدم: «وكان سبب ظهور ولايته، بعد إحكام بدايته: أنه كان له مال، أي ضياع، بحريضة، معهّدٌ عند بعضٍ من أهل البلد، فجاء صاحب الترجمة إلى حريضة ليسترجعه منه، فلم يف له بردّ العُهدة، ذلك البعضُ، وكاد الأمر يصير إلى ما لا تحمد عقباه، فاغتمَّ لذلك صاحبُ الترجمة غمًا شديدًا.

وصادف ذلك الوقت وجود صاحب المناقب بحريضة، فشكى إليه صاحب الترجمة، وإلى الحبيب أبي بكر، ما كان من أمره. فقال له الحبيب أبوبكر: سيخلفه الله عليك بأضعاف مضاعفة، وسكت. وأما صاحب المناقب، فقال له: سافر إلى جاوة، وستجد أمورك بها صالحة، وحاجتك مقضية»، انتهى كلام المترجم.

قلتُ: فأخذها صاحب الترجمة بقوة، وأضمر في نفسه نشر الدعوة، وسافر إلى الحرمين الشريفين، فحج واعتمر، وزاره صفوة مضر، وسافر إلى جاوة، وهو إذ ذاك في دور التهذيب والتصفية، تعاكسه الأمور في الظاهر حتى من جلسائه، فلا يزال مشوش البال. فطاف بجاوة حتى بلغ أرض التيمور، من جزيرة سليبس.

[شيخه الحبيب عبدالله بلفقيه، بأرض التيمور]

واجتمع هناك ببلد فاري فاري، بالحبيب العارف بالله والدال عليه عبدالله بن عيدروس بلفقيه، فاطمئن به، وسكنت إليه روحه، وقرأ عليه «بداية الهداية» للغزالي، وكان فتحه فيها. ولصاحب الترجمة مع شيخه الحبيب عبدالله المذكور، وقائع تدل على كبر حال الحبيب عبدالله المذكور، وأنه ممن يشهد النور بالنور.

منها: أنه حين أمر صاحب الترجمة بالقراءة عليه في «بداية الهداية»، وكان مجلس الحبيب عبدالله غاصًا بطلبة العلم النجباء. قال له صاحب الترجمة: بشرط أن لا أحد يرد عليّ من الحاضرين. فقال له الحبيب عبدالله: لك ذلك، وعواجك عندنا خير من سماحهم. وإذا أراد أن يردّ على صاحب الترجمة ممن لم يحضُر الشرط، يبادره الحبيب عبدالله بقوله: إن العطاس قد شرط علينا وقبلنا شرطه.

ثم قرأ على الحبيب عبد الله جملةً من الأوراد، وصيغ الصلاة على سيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لطلب الإجازة. فأجازه الحبيب عبدالله. وقال له: «لحنُكَ معربٌ».

وكان الحبيب عبدالله يعظم صاحب الترجمة، ويقول له إذا دخل عليه: يا مرحبًا بعمر بن عبدالرحمن. وكلما نظر إلى صاحب الترجمة يقول: يا عطاس يا عطاس، يكررها مرتين. ويقدمه أمامه في الصلوات، فاغتاظ من ذلك بعض طلبة العلم، حسدًا منه، وتكلم بكلامٍ،

كالمنكِر على الحبيب عبدالله في رفع شأن صاحب الترجمة، فقال له الحبيب عبدالله: إن العطاس قد أعطاه الله شيئًا بلا تعَب، ثم قال: يا الله بشيء بلا شيء، انتهى.



[خاله، الحبيب عمر بن حسن]

وأخذ صاحب الترجمة عن خاله الحبيب العلامة، العابد الزاهد المشرّع، عمر بن حسن باهارون. رحل إليه إلى بلد سُمُنَّب، بضم السين والميم وفتح النون المشددة وسكون الباء، من الجهة الجاوية، جهة مدُورَة. وأصله من أهل الخريبة بدوعن الأيمن، قال صاحب الترجمة: إن خالي عمر فهّمني معنى الشهادتين وإثباتها، وما ينفى منها، ثم أعطاني «رسالة المعاونة»، و«النصائح الدينية»، لسيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد. وقال: اقرأ هذين الكتابين لنفسك، انتهى.

قلتُ: وكأن خاله رأى ميلانه إلى الحقيقة أكثر من الشريعة، فأراد أن يقيده بالشريعة، كما يفهم ذلك من كلام صاحب الترجمة الآتي.



[الحبيب شيخ بن أحمد بافقيه، (ت 1289هـ)]

وأخذ أيضًا صاحبُ الترجمة عن الحبيب القطب، شيخ بن أحمد بافقيه، وليد بندر الشحر، ونزيل سرباية ودفينها، ومقدم تربتها. ثم ورث حاله بعد وفاته.

وقد تواترت الأخبار عن الأحبار، ومشاهير الأولياء الكبار، أن الحبيب شيخ المذكور، هو المتدرّك بجاوة في عصره من حيث الباطن. قال صاحب الترجمة: لما دخلت سرباية، زرت الحبيب شيخ بن أحمد بافقيه إلى بيته، أنا وأخونا في الله عقيل

بن عيدروس بن عقيل بن سالم، ومحبنا في الله أحمد بن سالم بابقي. والحبيب شيخ إذ ذاك في ابتداء مرض موته. فقبلتُ يده، وقدمه، وفمه، وقبل هو فمي، وهو يقول: أهلًا بالشريف. ثم جلسنا عنده، والحبيب يتكلم بكلام طويل، في حالة الجهات الجاوية، وجهات الهند، من حيث الأسعار وما يتعلق بأحوال الزمان، لأنه تغلب عليه الشفقة وحسن الظن، وغالب أعماله مجرد نية صالحة قلبية، حليم صبور، يصرط الباورة والطيور، انتهى كلام صاحب الترجمة.

قلتُ: وقوله «يصرط الباورة»، إلى آخره. هو مثلٌ يضرب للمبالغة في الصبر والاحتمال. و«الباورة»: الأنْجَر، وهو الحديد الذي يرمَى به في البحر لربط السفينة.

قال الشيخ العارف بالله عمر با مخرمة في بعض قصائده:

بـــابقِي بـــالله إن وافيـــتْ والقلـــب مســـتَرَ

واســـتقرّتْ ســـفينتكم ودارت بـــالأنْجَرْ

فـــأيقِنْ انّـــك بلغـــتَ السّـــول في كـــل بنـــدَرْ



رجعنا إلى كلام صاحب الترجمة، الحبيب أحمد، حول الأخذ والمشهد، وساعة قضى اللبانة والمقصَد. قال: ثم حضر الشاهي. فقال الحبيب شيخ للحاضرين: اشربوا، وناولوني فنجان. فامتنعت أنا، وكان قصدي التبرك منه. فقال لي: هات التيه، أي الشاهي، وتفلَ، أي نفثَ، في الفنجان وناولنيه. ثم قال لي: بغيت إيه بهذا، وقد طرحه ربك فيك!. فقلتُ له: الظاهر بالظاهر، والمعنى بالمعنى، على حسب اعتقاد أسلافنا وطريقتهم. وطلبت منه الدعاء، فدعا لي وللحاضرين، بما أنطقه الله به. ثم قال للمحب أحمد بابقي: غن بالصوت. وألقى عليه

قصيدة نحو ثلاثين بيتًا، كلها إشارات وبشارات، تخميسها:

* وتخبرُوا بِن عُمر *

ففرحتُ بها فرحًا عظيمًا، واستحضرت الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، لأني سابع صفّة، أي طبقة، إلى الحبيب عمر، انتهى كلام صاحب الترجمة.

قلتُ: وكان الحبيب شيخ المذكور ملامتي الحال، وظايفه كلها حقيقة محضة، فكان كثير التصادم مع علم الظاهر. وقد حصلت لصاحب الترجمة مع الحبيب شيخ رؤيا عجيبة، فيها حكاية غريبة، فكانت ناسخة لكل ريبة، وهي: أن صاحب الترجمة بعد اتصاله بالحبيب شيخ، سافر إلى سُمنَّب مرة ثانية، لزيارة خاله الحبيب عمر بن حسن باهارون المذكور، فأعطاه خاله شيئًا من كتب الغزالي، وأمره بالمطالعة فيه.

قال صاحب الترجمة: «فلما طالعته، أحسست بشيء في نفسي من جهة الحبيب شيخ، وعدم تقيده في الظاهر. فرأيت في المنام، كأن الحبيب شيخ راقد، وأنا جالس عند رجليه. وهو يقول لي: هاه عادك إلا تحتي، وتقول هكذا!. فاستغفرت الله، وسلمت لخالي فيما يقوله، وللحبيب شيخ فيما يفعله. وقلت في نفسي: أحدهما الخضر، والآخر موسى. ثم عدت إلى سربايا في اليوم الأول من رمضان، وترددت على الحبيب شيخ، وانتفعت به كما انتفعت بخالي، واقتفيت آثارهم بحسب طاقتي، في أفعالهم وصفاتهم، حتى كان ما كان، يعني من مددهما له.

وتوفي الحبيب شيخ آخر يوم من رمضان، سنة تسع وثمانين ومائتين وألف هجرية، بعد أن أمرني أصلي عليه، وألحده في قبره، وذلك بإذن رباني. فاستأذنت من حضر من أولاده، ومن السادة، ومن المشايخ الفقهاء المشهورين في البلد، لئلا يشمئزّوا

بمقتضى الطبائع البشرية، لأن فيهم من هو أكبر مني سنًا، وأفقه مني شريعةً، وصليت عليه، وألحدته في قبره. فرأيت في تلك الليلة، كأني في ساحة، أي ميدان واسع، وكأن قبر الحبيب شيخ في تلك الساحة، وكأنه خرج من قبره، وهو مكفن، فحملته بين يدي، وقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: تجاوز عني. ففهمت المعنى من تلك الرؤيا. ولم أزل من ذلك اليوم تساق إليّ النعم من غير اختيار، فإذا خالطتها الأغراضُ استغفرتُ الله. ولم يزل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل ميسر لما خلق له**» ناطقًا على قلبي، ونصبَ عيني، حتى صرت لا أحتقر أحدًا، وأخالط الناس.

والغالب في أفعالي إدخال السرور عليهم، وفي صفاتي الرجاء، حتى أشرق في قلبي نور هاتين الحالتين، وصرت أرى الشريعة كالثوب للبدن، والطريقة هي البدن، والحقيقة فوق ذلك، وهي بمنزلة الروح. ولم أكره شيئًا، ولم أفرح بشيء، إلا أني أكره فعل المعاصي، وأفرح بفعل الطاعات، وأنزل الفاعلين لذلك منازلهم، لإرادة الله فيهم، لا احتقارًا ولا تعظيمًا. ونسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضاه منا، من القول والفعل، وحسن الخاتمة بالسعادة، وأن يجعلنا من أهل العناية الكاملة، في عافيةٍ، آمين»، انتهى مقتطفًا من كلام صاحب الترجمة في «مجموعه».

[«مجموع كلام الحبيب أحمد بن حمزة»]

قلتُ: ولصاحب الترجمة «مجموعٌ» خطي، متوسط الحجم، يشتمل على كتاب الحضرات له، «حضرة التوسل والوسيلة»، و«حضرة النفحات العبهرية والعناية الربانية من كأس خير البرية»، و«حضرة المنادمة والاعتراف والافتقار للملك الجبار ورسوله المختار»، وكلها من أنفاسه. ويشتمل أيضًا على قصائد حمينية، أي وطنية، وحكَمية، لصاحب الترجمة، وبعضها مدحًا فيه من مريديه ومعاصريه.

ويشتمل أيضًا على «نبذة من كلامه المنثور»، يشرح فيها سلوكه، وما اعترضه فيه من العقبات، كما أنه ذكر فيها أسماء أشياخه، وبعض ما جرى له معهم، وغالب ما ذكرته في «المجموع» المذكور، ولا يخلو من الوارد الرباني المطلق.

ومما قاله في أول «النبذة» المذكورة: «إني طالعت كتاب «المنن» للشعراني، وقد منَّ الله عليّ بغالب ما ذكره، لأن الشعراني سليم قلبٍ، وأنا أيضًا سليم قلبٍ. ونلتُ سلامة القلب، وهذه الأحوال الظاهرة للخلق، وما بيني وبين الخالق، بقوة محبتي في كبريتنا الأحمر، سيدنا الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، ثم بمحبتي في الاثنين الأفراد، الحبيب صالح بن عبدالله العطاس، والحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، من غير طلبٍ للعلوم الظاهرة، وكانت إشارتهما لي بالسفر إلى جاوة في الظاهر لقضاء الوطر، وطلب نيل القدر، وباطنها السَّيْر والسِّيَر»، انتهى المراد من «كلام صاحب الترجمة».

قلتُ: وقد أسعفني بهذا «المجموع»، الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد، كما أسعفني بغيره من كتب الأسلاف، ومناقب السادة الأشراف، فجزاه الله عن الجميع أفضل الجزاء.



[بناء زاوية ابن حمزة بجاوة، 1294هـ]

رجعنا إلى سياق المترجِم، وتقديم الأهم على المهم. قال: «ثم استقر ببندر بتاوي، يعني المعروف الآن بجاكرتا، فأقبل عليه الناس أفواجًا، وتوارد عليه المريدون فرادى وأزواجًا، وصار نائبًا عن صاحب المناقب، والحبيب أبي بكر مسلكًا ومنهاجًا.

وما زالت تظهر على يديه الكرامات الباهرة، وتتلألأ على محياه الأنوار الخافية والظاهرة، حتى خضعت له رقاب الجبابرة، وسكن بحارة باخُوجَان، التي يسكنها معظم العرب سابقًا، وبها بنى مسجده المعروف إلى الآن، بزاوية بن حمزة، سنة أربع

وتسعين ومائتين وألف هجرية، لأنه كان كثير الاعتكاف فيه، ولا يزال معمورًا بالجماعات والاجتماعات، في جميع الأوقات»، انتهى كلام المترجم.

قلتُ: وقد سمعت سيدي الحبيب عبدالله بن محسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، يقول: لما فرغ الحبيب أحمد بن حمزة من عمارة الزاوية، أي المسجد المذكور، على الوجه المطلوب، قال له بعض الناس: إنه يحتاج إلى وقفية تقوم بما يلزم له من ماء وسراج ومؤذّن، وغير ذلك. فقال الحبيب أحمد: إذا لم يقم بنفسه، له المزاحي. يعني: الخراب. ثم قال الحبيب عبدالله: كأن الحبيب أحمد يقول: إن كنا بنيناه لوجه الله الكريم، فسوف يعمره الله، وإن كان لغير الله، فخرابه أولى من بقائه، انتهى كلام الحبيب عبدالله.

وقد **سمعتُ** بأذني، كما رأيت بعيني، أن المسجد المذكور لا يزال معمورًا بالجماعات، وسرج الكهرباء، والماء القصبي، والبخور، والقهوة، والماء المثلَّج، أيام الاجتماعات الخيرية فيه، خصوصًا ليلة ختم القرآن الحكيم فيه، ليلة سبع وعشرين من رمضان في كل سنة، وكذا بكرة اليوم الثالث من عيدَي الفطر والأضحى، يوم عواد السادة آل عطاس الخاص، يجتمعون فيه أهل بتاوي وملحقاته، على قراءة قصة المولد النبوي، ويشاركهم في ذلك غيرهم من إخوانهم السادة العلويين، والمحبين لأهل بيت سيد المرسلين، وهناك تلقى المواعظ المقرِّبة إلى الله، وتنشد قصائد الصالحين المذكرة بأيام الله، وأغرب من ذلك: أن إمامه الراتبَ المحتسب لوجه الله، لا يكون إلا عالمًا في رتبة التدريس، وما في قدرة الله من غريبٍ. فقد قال لخليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حينما بنى الكعبة المعظمة: عليك النداء وعلينا البلاغ.

ومن كرامات صاحب الترجمة في حياته: ما شاع وذاع بين سكان بتاوي، عربًا وعجمًا، أن أحد رؤساء البوليس الهولندي ببتاوي، مرضت زوجته مرضًا شديدًا، أعي

مشاهير الأطباء، حتى إنهم أجمعوا على موتها بسبب ذلك المرض، فدلّه بعض أعوانه من المسلمين، على صاحب الترجمة. فجاء إليه ذلك الرئيس بنفسه، وانطرح تحته، ثم أخبره بما كان من مرض زوجته، وهو في غاية القلق، فقال له صاحب الترجمة: لا بأس عليها من هذا المرض، وأعطاه لها ماءً، قرأ عليه شيئًا من آيات القرآن الحكيم، التي فيها سر طلسم الذات، ونفث عليه. فلما شربته شفيت من مرضها في الحال، كأنما نشطت من عقال، بسرّ آيات الله التي تتصدع لها الجبال، وإكرامه لأوليائه بما يتوجهون فيه من صلاح الأحوال.

فما زال هذا الرئيس يحتفظ بتعظيم صاحب الترجمة، حتى بعد وفاته، وكان قد حتّم على نفسه أنه يأتي ليلة ختم الزاوية المذكورة، في كل سنة من شهر رمضان، ويستصحب معه ثلة من البوليس بلباسهم الرسمي، فيقف معهم أمام الزاوية بهيئة منتظمة، يحرسون المصلين من الضوضاء، ويحتفظون بمراكبهم حتى يخرج الأخير من الزاوية بعد الصلاة والختم.

وكان من عادة هذا الرئيس، التي لم يتركها مدة حياته، أنه يستعد في تلك الليلة لأهل المسجد بأجمعهم بالماء المثلّج، بمصفّى السكر، من جيبه الخاص، ومكث على ذلك مدةً من السنين، حتى عرفه العرب باسمه ورتبته، فكان من لم يحضر الختم، يسأل الحاضرين: هل جاء السكاوت هَيني؟ بفتح الهاء وسكون الياء وكسر النون مع سكون الياء، فيقولون: نعم. إلى أن فارق الدنيا.



[تجديد عمارة زاوية ابن حمزة]

وإذا رجعنا إلى نية صاحب الترجمة الصالحة، واعتماده على مولاه في تجارته الرابحة، نجد الآن في شهر ربيع الأول، سنة سبعين وثلاثمائة وألف هجرية، العمارة قائمةً

على قدم وساق، في تجديد عمارة الزاوية المذكورة، عمارةً قوية فنية. منها تبديل الأبواب والنوافذ على الطراز الحديث، وكذا تبديل أخشاب السقف، وما عليها من القنتين، وتجديد عمارة البركة، وبيوت الخلاء، وغير ذلك. ولو لم يكن من هذه العمارة، إلا تحصين الزاوية من جميع جوانبها بسورٍ من الحجر، لكان كافيًا.

وإذا لاحظنا هنا قولَ البارئ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾، وجَب علينا أن نقول: إن الأخ أحمد بن محمد بن عبدالله بن محسن بن سالم بن أبي بكر بن حسين بن أبي بكر بن سالم بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، وليد سدبه، ونزيل بتاوي الآن، هو الذي ضحّى بأوقاته في مباشرة هذه العمارة، وسهر على التفكير في نظامها، احتسابًا لوجه الله، وشاركه في ذلك بقية إخواننا من آل عطاس، قاموا بجمع المال لذلك.

كما أنهم قد اجتهدوا في استرجاع بيتٍ موقوف على الزاوية، من يد الطغيان، وأجّروه الآن بسبعين ربية، والبيت المذكور محاذي لها من الجهة الجنوبية. ولها أيضًا بيتٌ في سنقفورة عند الحداد وشركاه، وقف الشيخ الموفّق علي باصبرين، وما في علم الله من الخير لأهل النيات الصالحة، والمقاصد الحسنة، أكثر وأكبر.

[مسجد الحبيب علي بن عبدالله، بسيون]

وعلى القول بأن الشيء بالشيء يذكر، تذكرتُ الآن ما يحكى عن سيدنا الحبيب العارف بالله علي بن عبدالله السقاف، وليد سيوون ودفينها، تلميذ قطب الإرشاد، الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، أنه لما بنى مسجده المشهور بسيوون، صار يقرأ فيه حزب القرآن المعروف بين العشاءين، على سراج ضئيل، يصلحه الحبيب بنفسه، من زبدَة ضانته. فدخل بعض الناس في ذلك الوقت ليتوضأ، وهو يقول: ليش يلقون

المساجد، إذا لم تكن لهم قدرة على أوقاف تعمرها!. فسمعه الحبيب علي، وقال له: يا هذا، إنما تعمر المساجد النيات الصالحة. ثم إنه اشترط على المتبرعين على ذلك المسجد، بأن يجعلوا الأمر في ذلك لنظّار المسجد المذكور، فانهالت عليه التبرعات، حتى صاروا يقسمون زائد الغلة على أولاده، ولا شك أن المغبُون من غبَن نفسه في نيته أو عمله، فعسى نحظى بالتوفيق، ببركة هؤلاء الفريق.



ولنرجع من كرامات صاحب الترجمة، إلى كشفه الجلي. قال المترجم، وفارس الميدان المتقدم: «ومن كشف الحبيب أحمد الجلي، ما أخبرني به الأخ الثقة، عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عقيل بن عبدالرحمن بن عقيل بن عبدالرحمن بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، وليد حريضة، ودفين فكالوڠان بجاوا، سنة ثلاثمائة وألف. قال: إنه وقع مرض الطاعون المخُوف ببتاوي، إبان إقامة الحبيب أحمد بن حمزة بها، وأنا إذ ذاك عنده، فأصيب الحبيب أحمد بذلك المرض، وخيف عليه من الموت. فقلت له: هل تريد أن تقول شيئًا، أعني بذلك الوصية. فقال: لا، وستكون وفاتي إن شاء الله إلا في بلد عمْد، عند شيخي صالح بن عبدالله العطاس»، يعني صاحب المناقب، انتهى كلام المترجِم.

قلتُ: فسبحان من رفع عن بصائر أوليائه الحجاب، وأراها مصائر الأحوال كالشمس في رابعة النهار ليس دونها حجاب، لا إله إلّا هو عليه توكلت وإليه متاب.

وكان صاحب الترجمة في آخر عمره إذا رأى إقبال الناس عليه، ومواتاة الأمور له، يخوف من مكر الله واستدراجه، وقد يصطلم لذلك أيامًا. حدثني عمي عبدِالله بن محمد

العطاس، المتقدم ذكره عند فضلاء بلد بضة، من (هذا الباب)، قال: زرت الحبيب أحمد بن حمزة، في جماعة إلى بلده الخريبة، فدخلنا عليه، ومجلسه إذ ذاك مغتص بالعلماء والأعيان، وهو يملي عليهم مما أفاض الله عليه من العلوم، وهم مصْغُون إلى ذلك، كأنما على رؤوسهم الطير. ثم قال لي: أنشِدنا شيئًا من كلام الصالحين، وكنت إذ ذاك صغير السن، حسنَ الصوت، غير أني لا أعرف شواهد الأحوال، فشرعت بقصيدة الحبيب عبدالله الحداد، التي مطلعها:

لــــــيس ديــــــنُ الله بالحيَــــــلِ فانتبـــــه يـــــا راقِـــــد المقَـــــلِ

فما أتممتُ هذا البيت، حتى انتفض الحبيب أحمد، وصرخ صرخةً أزعجت كلّ من سمعها، واصطلم في الحال. وتفرق الحاضرون شذَر مذر يعاتبونني على ذلك، ومكثت بعد ذلك ثلاثة أيام بالخريبة، لآخذ عنه، فلم يفق في تلك المدة. ورجعت إلى بلدي، ثم عدت إليه بعد مدة، فوجدته على حالته الأولى من البسط.

فقال: أنشِد. وكانت الأولى قد أعطتني درسًا كافيًا لشَواهد الأحوال، فشرعتُ بقصيدة سيدنا الحداد، التي مطلعها:

بشّـــــر فـــــؤادَك بالنصِـــــيب الـــــوَافي مـــــن قـــــرْبِ ربـــــك واســـــعِ الألطَـــــافِ

فانتعش الحبيب أحمد، وقال بأعلى صوته: بشرك الله بالخير، وتبعه على ذلك أهل المجلس، وانشرحت خواطر الجميع، فلما أتممتها، قال لي بعض الحاضرين: هذه بتلك، وأخذت عنده مدةً للأخذ عليه، انتهى كلام الوالد عبدِالله.



قلتُ: وفي الحديث الشريف: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكره الطّيرةَ، أي بالتحريك،

ويحب الفأل الحسَن[1]. وقد ذكر سيدنا الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس، في (السفر الأول) من كتابه «القرطاس في مناقب العطاس»، ما نصه، قال: «إن الإمام أحمد بن حسن الزيدي، الملقب بسيل الليل، لما خرج في جيشه يريد الاستيلاء على حضرموت، لقي في طريقه رجلاً، فقال له الإمام: من أنت؟ فقال: سالم مسلم. قال له: من أي القبائل؟ قال: من آل مسلم. فقال: أين تريد قال حج بيت الله. فاستبشر الإمام بهذا الفأل الحسن، وأكرم الرجال، وكتب إلى عماله الذين يمر بهم هذا الرجل في طريقه، أن يساعدوه بكل ما في وسعهم. ثم خرج الإمام، واستولى على حضرموت بأجمعها، ورجع إلى بلده صنعاء سالمًا غانمًا»، انتهى المراد من «القرطاس».



رجعنا إلى سياق المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال:

«ثم رجع الحبيب أحمد إلى بلده الخريبة، بعد أن خف ظهره من تبليغ الدعوة، التي هي حرفة أهل بيت النبوة، ووصية من له الحول والقوة، ولم يزل مجدًا في مواصلة أعماله، وداعيًا إلى الله بأقواله وأفعاله، إلى أن دعاه داعي المنون، إلى جوار شيخه الذي باح له بالسر المصون، بعد الاستعداد للقاء من يقول للشيء كن فيكون.

فتوجه من بلده الخريبة لحضور زيارة المشهد، ورافقه منها إلى حريضة الأخ الصفوة محمد بن صاحب المناقب، وجملة من أصحابهما، فزاروا حريضة، ومنها إلى بلد خنفر، حوطة الحبيب عيسى بن محمد الحبشي، بوادي عمْد.

فباتوا بها ليلة الجمعة، وتأثر الحبيب أحمد بمرض خفيف، فلما أصبح اغتسل في ماء

(1) رواه أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بارد، فحرّ ذلك الماء حرارةً شديدة. فقيل له في ذلك؟ فقال: إن الحبيب أبابكر العدني العيدروس لما اغتسل في بركته التي في عدن حرّها».

قال المترجِم: «وهي وراثة في كمل الرجال تكون غالبًا عند ورود الأحوال وتحمل الأمانات التي تعجز عن حملها الجبال. قال الأخ محمد بن صالح المذكور: وبعد أن اغتسل الحبيب أحمد، ولبس ثيابه، قال لي: احملني الآن إلى عمد بلد شيخي، وربما أنك معاد تسمع مني كلام غير هذا. فمشينا به في تلك الساعة على أكتاف الرجال، ودخلنا عمد وقت التذكير، أي النداء لحضور صلاة الجمعة، وهو وقت الاستواء، وفاضت روحه الزكية حال الوصول إلى عمد، وكأنّ لسان حاله يقول:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرّ عينًا بالأيابِ المسافرُ

وصلى عليه جمع غفير، ودفن في قبة الوالد، حيث أراد، ولله المراد فيما أراد. وكانت وفاته في شهر ربيع الأول، سنة أربع وثلاثمائة وألف هجرية».

[ترجمة الحبيب شيخ بافقيه من «تاريخ الشعراء»]

رجعنا إلى التبرك والتنبيه، على معلومات الحبيب شيخ بافقيه. قال الأخ العلامة المتفنن، عبدالله بن محمد بن حامد السقاف في (الجزء الرابع) من كتابه «تاريخ الشعراء الحضرميين»: «السيد شيخ بن أحمد بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن عبدالله بافقيه.

العلامة الأعجوبة، ذو الأطوار المدهشة. ولادته بمدينة الشحر، في أجواء سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف من الهجرة. وهل لغير والده إصباغه وتكييف مستقبله، كما كان القرآن الكريم صبغته الأولى، قبل إلقائه في المصابغ العلمية والصوفية.

وفي الشحر، على أبيه وعلى جمعٍ من الشيوخ، تأسيساتُ علومه وصوفياته، على أنه في أثناء هذه الالتقاطات، أخذت نفسه تنازعه الإبحار إلى الحرمين الشريفين، بمثابة شغوف بالعلوم والتوسعة فيها. وعلى إذن والده له، ارتحل إلى الحجاز، مقيمًا بأم القرى وطيبة، ما أقام من سنوات، دارسًا العلوم الشرعية ومتعلقاتها على غفير من العلماء المتازين. ومن مشايخه بمكة: العلامة الشيخ عمر بن عبدالكريم بن عبدالرسول العطار، والعلامة الشيخ محمد صالح الرئيس الزمزمي. ومن شيوخه بالمدينة: العلامة السيد أحمد بن علوي جمل الليل.

ومن أحاديث العلامة السيد عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل في «تاريخ ثغر الشحر»: إن صاحب الترجمة مكث مدة بالجامع الأزهر، مستكملًا على علمائه العلوم الظاهرة، حتى المنطق. ثم ما شعر الناس إذا بوجهاته تتجه ميممةً الشرق الجاوي، في أجواء سنة خمسين ومائتين وألف من الهجرة، حتى إذا طاف مختلفَ المدن والقرى والنواحي الجاوية، كانت مدينة سربايا المستوطن الهجريَّ.

ولا ريب أن المنتظر منه الظهور في مظاهر علماء الظاهر، والتصدي لنشر العلوم من فقهية وسواها، غير أن الغاية الربانية اختطفته من تلك المناطق، محلقةً به إلى مراتب الواصلين، وإذا به عائم في البحور المعنوية المتلاطمة، وفي المغرقين الوالهينَ.

كما ظهرت الدعوة المحمدية الكبرى من صفاته، والصوفيات من واضحاته، والدينيات من متدفقاته. ثم إنكم إن تنبسوا بشفَةٍ عن سطوعه، وبعد صيته، ووسع جاهه، وتهافت الخلائق عليه من كل حدب وصوب، مدى حياته، التلاميذ تلاميذ، والمريدون مريدون، والزائرون زائرون، والمستنجدون مستنجدون، والعرب عرب، والجاويون جاويون، والكفار كفار. وكيف لا يسلم على يديه جمع كبير منهم، وهم يشاهدون الكرامات المتكاثرة، والمكاشفة المتواترة.

وَلِمَ لا يحمل ذكرياته الغادُون والرائحون، ويتغنى بصفاته المغنون، ويكثر في مديحه بقصائدهم المادحون، وهم ينظرونه كالشمس المشرقة، نورًا، وهدًى، وولايةً، ورئاسةً، ومشيخةً. ودعوا جانبًا كرَمه، ومطابخه التي دونها مطابخ الملوك.

وفي التخلص إلى مشاربه في السماع والأغاني، تعلمونه من الأفذاذ في مشاربهم، كصوفي ذائق، له عديد المسمّعين والمطربين، يستمع حينًا إلى السماع على شبابه (القَصْبه)، والطبل والدفوف، ووقتًا على رنات العود، بعزف أخيه السيد محمد بن أحمد، ذي الصوت الشجي، والمطرب المبدع، وربما استمع إلى السماع الليل بطوله. وقد يلقي أبياتًا مرتجلةً، يطربون على توقيعاتها.

مع العلم بأن حياته تتابعت بسربايا في صورها المتناقضة، وأسمى المظاهر العلمية والدينية والصوفية، إلى أن تغمده الله برحمته الواسعة، سنة تسع وثمانين ومائتين وألف من الهجرة. وضريحه بجبانتها مشهور، عليه سقيفة كبيرة، دائمة العمران بالزائرين. ولقد منَّ الله تعالى عليّ بزيارته مرارًا، أثناء سكنايَ بسربايا، منها مرة بمعية شيخنا العلامة السيد محمد بن عيدروس بن محمد بن أحمد بن جعفر الحبشي، ومرة في معية شيخنا العلامة السيد محمد بن أحمد بن محمد بن علوي المحضار»، انتهى المراد من كلام السقاف.

وقال الحبيب العارف بالله عبد الباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس، في «كلامه المنثور»: «إن الحبيب شيخ بن أحمد بافقيه، كان من أهل التصرف المطلق، جاء مرة إلى عند بعض محبيه، وقال له: إني أريد منك هذين القطيفتين الرومية، وكان هذا الرجل قريب عهد بشرائهن، ومسرورًا بهن في منزله الخاص. فقال للحبيب: اطلب ما شئت غيرهن. فقال: لا أريد غيرهن. وبعد مراجعة عنيفة، أعطى الحبيب واحدة

منهن. وكانت لذلك الرجل سفينتان في البحر، تحمل بضائع تجارة له ولغيره، اخترقتا في ذلك الوقت، فوصلت إحداهما بعد أيام، فوجد الرجل قطيفته قد سدّ بها الخرق، وغرقت السفينة الثانية، فندم الرجل على عدم إجابته الحبيبَ إلى ما طلب»، انتهى المراد من كلام العيدروس، وبه انتهت الترجمة.



[الشيخ حسين بن أحمد باراس]

ومنهم الشيخ الكريم، المنصب الحشيم، والموفي بالعهد القديم، حسين بن أحمد بن عبدالله بن عمر باراس. وليد الخريبة ودفينها، ومنصب الشيخ علي باراس بها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وتأدب به.

قال المترجم وفارس الميدان المتقدم: «وهو الذي اختاره صاحب المناقب منصباً لمقام جده الشيخ علي بن عبدالله باراس، تلميذ سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس الخاص، حينما اجتمع الحبايب آل عطاس والمشايخ آل باراس، على عادة سلفهم ببلد الخريبة، للرأي في تعيين المنصب، فبادرهم صاحب المناقب، ووضع قبع الشيخ علي باراس على رأس الشيخ حسين المذكور، وقال: هذا هو المنصب.

ففرح الجميع برأي صاحب المناقب، وأيدوه، مع أن الشيخ حسين المذكور كان أصغرهم سناً في ذلك الوقت. ثم أمره صاحب المناقب بتجديد عمارة مسجد الشيخ علي باراس، الذي بناه الشيخ علي ببلد الخريبة في حياته، ودفن في ناحيته الشرقية بعد وفاته. كما أمره بحفر البئر التي بجانبه الآن، وبناء الغرفة التي فوق المسجد، وإعادة الحضرة عند ضريح الشيخ علي، كما كانت. فامتثل الشيخ حسين المذكور، وأجرى جميع ما أمره صاحب المناقب على الوجه المطلوب»، انتهى كلام المترجم.

قلتُ: وأخذ أيضًا الشيخ حسين المذكور عن الحبيب سقاف بن أبي بكر منصب سيدنا الحسين بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، ولبس منه. وعن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس المتقدم ذكرهم في (الباب الخامس).

وفي بيت الشيخ حسين المذكور وقعت قصة القبع المشهورة وقد تقدمت بفصها ونصها في ترجمة الحبيب سقاف المذكور من (الباب الرابع)، فليرجع إليها من عرفَ سر قوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. وهل كان في التابوت المذكور غير التوراة، وعصا موسى، ونعلاه، وعمامة هارون وعصاه. كما أن ليس في القبع إلا بعض من لباس أولياء الله، الذين قال في حقهم: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

وكان الشيخ حسين المذكور، كريمًا حليمًا، مطاعًا محبوبًا عند أهل بلده، وله النفوذ التام عند قبائل حَجْر بن دغّار، المنتسبين بالعقيدة إلى الشيخ علي باراس.



ولا يعزب عن بال القارئ ما قدمناه في (الباب الخامس) من «تاجنا» هذا، في ترجمة الشيخين محمد وأحمد ابني الشيخ عبدالله باراس، من التبرك بنزر يسير من ترجمة الشيخ الجليل علي بن عبدالله باراس، لأنه أخص مريدي سيدنا الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس.

ولنرجع هنا إلى تختيم ترجمة صاحب الترجمة، الشيخ حسين باراس، بمكاتبه له من سيدنا الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس المذكور، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدلله مصلح السرائر، ومنور البصائر، وصلى الله على سيدنا محمد النور السافر، وعلى آله وصحبه الأوائل والأواخر، وعلى سيدي الشيخ الفاضل، والفرع الطائل، ذي العقل الراجح، والذهن القادح، الطلعة المباركة، الشيخ حسين بن الشيخ البقية أحمد بن عبدالله باراس، سلمه الله آمين.

صدرت الأحرف من بندر جدة، بعد وصولنا إليها، وانقضاء المناسك. وقد وصل إلينا كتابكم الميمون، المحتوي على سر خطابكم المكنون، وكان وصوله إلى بلد الله مكة، وفرحنا به جم جم في تلك البقعة، على قدر نياتكم الصالحة، وحصل لكم الدعاء وترتيب الفاتحة عند الركن والمقام، وفرحنا لكم بذلك، وما صدرتوه من المواصلة، أوصلكم الله إلى رضاه، وبلغكم من كل مقصود أسناه، آمين اللهم آمين.

والله الله يا شيخ حسين في التوجه إلى الله بكلية الهمة، الحيث الله خصك بأمور، قد جبلك عليها، من عقلٍ، وذكاء، ورزانة، وعلم، وغير ذلك. فلا تضيع ما أنعم الله به عليك، ومعاطاة الأسباب مع الاعتماد على الله تعالى، فهي أعظم المقامات، لاسيما إذا انضمت إليها أشياء تختص بها، تطلب من محالها.

وذكرتم في كتابكم لنا وللجماعة، إن طلب شيء الحبيب أبوبكر أطلقوه عليه، اعلم يا شيخ حسين، أن نحن طلبنا نصف شدّة مواسى، أي ست حبات، وشدّة مرايات، وثلاثة أرطال كُحل، لا غير. وما فعلته معنا من الجميل، تجده في صحيفتك في يوم أحوج ما تكون إليه، وفي جميع مطالبك، دنيا ودين، والسلام.

طالب الدعاء الفقير إلى الله

أبوبكر بن عبدالله بن طالب العطاس».

انتهى كتاب الحبيب أبي بكر.

[الشيخان محمد وحسن آل باراس]

قلتُ: وأنا بحمد الله قد لبستُ قبع الشيخ علي باراس المذكور، من يد منصبه صافي السريرة، ومنور البصيرة، الشيخ الصالح محمد بن عبدالله باراس، إبان تردّدي إلى الخريبة. كما إني قد صحبتُ فيها الشيخ الأديب النجيب، حسن بن عبدالله بن محمد باراس، كان من أهل الفضل، وله ببلده الخريبة طلبٌ، وحسن سلوك وأدب.



[محمد بن سعيد المصري باعيسى؛ من تجار الخريبة]

وعرفت من أهلها: صديق والدي، ومحبه في الله، محمد بن سعيد المصري باعيسى، وكنت أنزل في بيته، كعادة الوالد، وكان لصوقه بالوالد حينما اجتمع به في مصر، ومحمد المذكور يتعاطى أسباب التجارة، وكانت له عناية من الوالد، ودعوات صالحة. فكان محمّد المذكور يقول: إني لا أعتدّ بشيء من أعمالي، إلا قربى من الحبيب حسين بن محمد، ومحبتي الصادقة له، انتهى.



[عبدالله بن محمد باصمد؛ من تجار الخريبة]

وممن عرفته أيضًا، من أهل هذه البلدة، ببندر المكلا: المحب في الله، صالح النية، صافي الطوية، عبدالله بن محمد بن سالم باصمد، وليد الخريبة، ونزيل بندر المكلا، يتعاطى بها أسباب التجارة، ثم سكنها. فكنتُ أنزل في بيته، وكان من المواظبين على صلاة الجماعة في المسجد، وكان ورده نصف جزء من القرآن الحكيم، وحزب من

«دلائل الخيرات» كل يوم بعد صلاة الصبح، فكان لا يكلم أحدًا حتى يتمها، وله عقيدة حسنة في الصالحين، والله لا يضيع أجر المحسنين.



[الحبيب عمر بن أبي بكر الجفري]

ومنهم أي مريدي صاحب المناقب، الحبيب المكين، الممتلي بأسلافه الصالحين، والمعان على أمور الدنيا والدين، عمر بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر الجفري. ساكن الخريبة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وزاره في حياته إلى بلده عمْد. يروي المترجِم عن الحبيب عمر المذكور، أنه قال: «لما زرتُ الحبيب صالح إلى بلده عمْد، طلبت منه الإلباسَ، فأخرج كوفية من فوق رأسه ليلبسنيها، ثم ردها إلى رأسه. وقال: إنها إللباس لنا من الأخ عمر بن عبدالله الجفري، أرسلها لنا من المدينة المنورة، ثم قام الحبيب صالح وأتى بغيرها وألبسنيها. وقال: إن الحبيب عمر المذكور، هو الآن شاووش، أي سادن الحضرة المحمدية، وحوائج آل باعلوي عنده، أي ترفع إليه».

ثم قال المترجم: «والحبيب عمر بن عبدالله، صاحب المدينة، هو عم الحبيب عمر بن أبي بكر المذكور، وشقيق أبيه»، انتهى.

قلتُ: وقد تقدمت ترجمة الحبيب عمر بن عبدالله المذكور، في (الباب الخامس) من «تاجنا» هذا.

[الشيخ عمر بن محمد باجنيد]

ومنهم الشيخ الذي تتلاشى عنده الضوضَاء، المشهور بالحلم والإغضاء، المتربع على منصة القضاء، عمر بن محمد باجنيد، ساكن الخريبة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وامتثل أمره في تحري الأقوال، والرفق بالعوام والجهال. قال المترجِم: «ومن محبته لصاحب المناقب: أنه أرسل منيحته، أي بقرته الخاصة، إلى عمْد، حينَ علم بوفاة صاحب المناقب، لتذبح في ضيافة الختم. كما أنه حضر بنفسه، وأبَّن صاحب المناقب تأبينًا بليغًا».



[الحبيب عمر بن أحمد الجيلاني]

ومنهم الحبيب الأنور، العابد المعمّر، والفائز من علوم القوم بالحظ الأوفر، عمر بن أحمد[1] الجيلاني، ساكن الخريبة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قرأ «الرسالة القشيرية» على صاحب المناقب رضوان الله عليه، وكان يلازم صاحب المناقب مدة إقامته بالخريبة، حتى إن أهل بلدة يستغربون ذلك منه، لعهدهم به منزويًا عن الناس، لا يعرف من شوارع البلد إلا الطريق التي توصله مسجد الجامع وترده إلى بيته.

[ترجمته من كتاب «الشامل»]

قال الأخ العلامة المحقق علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد، في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت»، عند ذكر بلد الخريبة وفضلائها: «وممن أدركنا بها، من أهل الصلاح والعبادة، والاستغراق بالله، والذهول عما سواه، الحبيب الصالح،

(1) في الأصل، وفي كتاب (الشامل): عمر بن عبدالله، وهو خطأ غير مقصود، والأشبه أنه زلة قلم. وما أثبت هو الصواب، والله أعلم (مصحح).

العابد الزاهد العالم، عمر بن أحمد الجيلاني، كان من تلاميذ الشيخ عبدالله باسودان، وابنه الشيخ محمد. وكان رفيقَ شيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد في الطلب، ولم يزل من صغره مقبلاً بكليته على العبادة والذكر، حتى ذهل عما سواهما، ومع ذلك فلم يزل طلبة العلم الغرباء يترددون إليه لأخذ العلم عنه. فكان يقرر لهم تقريرًا حسنًا، وهو حاضر الذهن في التدريس، وما يعتاده من وظائف العبادة والجماعات والدروس في أوقاتها، لا يخل بشيء منها. ولكنه غائب عما سوى ذلك. حتى أنه يسأل الطلبة الذين يترددون إليه للدرس، كل يوم: من هم؟ ومن أين جاءوا؟ فيخبرونه، فإذا جاءوا اليوم الثاني سألهم. وله في هذا وقائع غريبة.

وضع مرةً يده على قلبي إبان الصغر، يدعو لي، فأحسست لها بردًا داخل قلبي، وانتشر في سائر بدني»، انتهى المراد من كلام الحداد.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قلتُ: وأنا بحمد لله قد قرأتُ «رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي» على شيخنا صاحب الترجمة، الحبيب عمر الجيلاني المذكور، بداره بالحريبة، وكانت حالتي معه كما ذكره الحداد مع بقية الطلبة، نفعني الله به، وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.



[الحبيب حسين الأصقع بن أحمد البار
المتوفى سنة 1347هـ]

ومنهم الحبيب الفاضل، العالم العامل، والمتنازَع، بفتح الزاي بين وصْفَي المشهور والخامل، حسين الأصقَع بن أحمد بن حسين باحسين بن عبدالله بن عمر بن حسين بن

عمر بن عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن حسين البار. وليد الخريبة ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. لم يدرك صاحب المناقب رضوان الله عليه، فكان أخذه بواسطة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، قراءةً وسماعًا وإلباسًا.

وكان صاحب الترجمة من أهل التثبت في أخذ العلم وبذله، تعليمًا وإفتاءً، فلا تحفظ له هفوة بين أقرانه، في متشابهات المسائل. كما أنه كان من الراضين بقضاء الله، وكان السبب في تلقيبه بالأصقع، أنه به صممٌ، فكان لا يسمع كلام الناس، إلا ما توجّه إليه برفع صوت في ضروريات الحياة، **اللهم** إلا ما كان من أمر العلم والتعليم، فإنه يفهمه بأدنى إشارةٍ، وبمجرد تحريك الشفتين في قراءة العبارة، فإذ ماجَ الناس في خوضهم، أخرج سبحته من جيبه، وجعل يسبح الله فيها، وإذا نظر إليه بعض الحاضرين تبسّم في وجهه. وقال: ما أراد الله لي أن أسمع هذا الكلام، يشير بذلك إلى أن ما به من صَمَمٍ هو من نعم الله عليه.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قلتُ: وأنا بحمد الله قد صحبت شيخنا صاحب الترجمة، في سفري إلى الحرمين الشريفين ركبتُ معه في ساعية باجبير، أي سفينة شراعية، من بندر المكلا إلى جدة، مكثنا في البحر نحو أسبوعين، قرأتُ عليه في تلك المدة كتاب «الإيضاح» في مناسك الحج، وكان ذلك في شهر شوال، سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.



[كرامة تأويل الرؤيا]

ومن كراماته الخارقة: أني كنتُ قد رأيت ذات ليلة ونحن في السفينة، أني قد جننتُ جنونًا محققًا، وكأني جالس في مكان واسع، وحولي أناس كثير يتفرجون عليّ، وأنا أشقق ثيابي وأرميها عليهم قطعةً بعد قطعة!. فانتبهت من نومي، وأنا مرعوب من

هذه الرؤيا، محزون لها. فلما أصبحنا، دعاني صاحب الترجمة للقراءة عليه كعادتي، فقلت له: إني لا أقدر على القراءة في هذا اليوم. فقال: ولما ذاك؟ فأخبرته بما كان من أمري. فقال: كيف هيئة المتفرجين حولك؟ قلت له: ظاهرهم ناس حشام، ولكني لم أعرف أحدًا منهم. فقال: كيف ثيابهم، هل هي نظيفة؟ قلتُ: نعم. فضحك ضحكةً لها صوت، وقال: ستكون إن شاء الله عالمًا، وهؤلاء الناس هم طلبة العلم، تلقى عليهم المسائل. ففرحتُ بتعبيره لتلك الرؤيا، واستحالت عندي الصهباء.

غير أن ذلك كله عزب عن بالي من ذلك اليوم، ونسيته بالكلية، فلما مضت عليَّ أربع سنوات، وأنا مجاور بمكة، وكان من عادة علمائها أنهم إذا دخلت أشهر الحج لا يقرأون إلا في مناسك الحج، لتعميم النفع بها. فأمرني شيخ فتحي، وزند قدحي، مولاي الشيخ محمد بن علي بلخيور، أن أقرأ درسًا في شيء من كتب المناسك، لبعض طلبة العلم المبتدئين بالمسجد الحرام، فلما أتممت الدرس في بعض الأيام، نظرت إلى خلفي، فإذا أنا بصاحب الترجمة جالسٌ خلفي، في ثياب الإحرام، حال قدومه من بلده لقصد الحج، فاندهشتُ لرؤيته، وكدت أخر على قدميه لأقبلهما، فمنعني من ذلك بقوة، وهو يقول: هذا تأويل رؤيايَ من قبل قد جعلها ربي حقًا.

وترددت عليه، حتى عاد إلى بلده بعد الحج. ثم اجتمعت به ثانيًا في بلده الخريبة، بداره المعروفة بدار الحضرة.

[ترجمته من كتاب «الشامل»]

قال الأخ العلامة علوي بن طاهر المذكور، في «تاريخه»: «وممن أدركناه بها، يعني الخريبة، من أهل العلم: السيد الشريف الفقيه، حسين بن أحمد الأصقع البار، العلوي الحسيني. كان فقيهًا حسن التدريس، باذلًا نفسه للمترددين إليه من طلبة العلم الغرباء. توفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف»، انتهى المراد من «تاريخ الحداد»، وبه انتهت الترجمة.

[الحبيب أحمد بن عمر بن محمد العطاس]

ومنهم الحبيب الأديب، السالك المنيب، والمعدود من أهل الاصطفاء والتقريب، أحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن الحبيب القطب عقيل بن عبدالرحمن العطاس. وليد النعَير بوادي عمْد، وساكن رباط باعشن بدوعن الأيمن، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وخدمه حضرًا وسفرًا، وروى عنه، كما سيأتي شيء من ذلك في (باب الكرامات) إن شاء الله في (الحكاية الخامسة والأربعين). ومن ذلك: قصة إلباسه.

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرني الأخ أحمد بن عمر، قال: إن الحبيب صالح جاء مرةً إلى بعض الأماكن، وكنت فيمن رافقه، فأكرمه أهل تلك البلد، بعدد من الثياب الجميلة. فلما خرجنا من عندهم، أخذ يفرقها على المساكين، فجال بخاطري أن أطلب واحدًا منها بقصد الإلباس، ثم منعني الحياء من ذلك، فأخرج ثوبًا آخر، وألبسني إياه. وقال: إن تلك الثياب لا تصلح لنا، يعني لما فيها من الشبهة»، انتهى.

قلتُ: وقد تقدم في ترجمة شقيقه المثنّى، عمر بن عمر، ساكن بلد النعير، من (هذا الباب): أنهما من خواص صاحب المناقب، نفعنا الله بالجميع، آمين.



[الحبيب حسن بن محمد بن جعفر العطاس]

ومنهم الحبيب المكين، ذو الجد والتمكين، والمغرم بحضرات الصالحين، حسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. ساكن رباط باعشن، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه كتاب «النصائح الدينية» للحبيب عبدالله

الحداد، ولبس منه، ودعا له صاحب المناقب بدعوات صالحة، ظهرت بركتها في أولاده. وكان صاحب الترجمة مشغوفًا بحضرات الذكر، المرتبة أسبوعيًا عند ضرائح الصالحين، فكانت أيامه موزعة على ذلك، يمشي لها على قدميه من الرباط إلى الحريبة، وإلى الرشيد، وإلى القرين. وكان هذا دأبه.

وكان من عادته أنه لا يدخل بيت أحد من أصدقائه بعد حضور الحضرة، بل يعود إلى بيته، ويقول: سأرجع بقسمي من البركة إلى منزلي.

قلتُ: ومن البركة التي عادت على أولاده، ما قدمناه في ترجمة الحبيب حامد بن محسن العطاس من (هذا الباب)، ما قام به ابن صاحب الترجمة، أبوبكر بن حسن، من الإنفاق على تجديد عمارة قبة جدنا الحبيب جعفر بن محمد، ومسجده، ببلد صُبَيخ من دوعن الأيسر، تقبل الله ذلك منه وأثابه عليه.



[الحبيب عمر بن أحمد الصافي]

ومنهم الحبيب الصادق في إقباله، الموفق في حطة وترحاله، ومشغول القلب واللسان بتكرير الجلالة، عمر، الملقب بالولي، بن أحمد بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن شيخان الصافي بن عمر بن شيخان بن علوي بن عبدالله التريسي بن علوي بن أبي بكر الجفري. ساكن رباط باعشن، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. زار صاحب المناقب إلى بلده عمد، وأخذ عنه، ولبس منه، وأهدى لصاحب المناقب كتاب «مشارق الأنوار» للشيخ العدوي، ففرح به صاحب المناقب. وكان صاحب الترجمة يلقَّب بالولي، لما يلوح عليه من الأنوار، ويبديه من الأسرار، كما أنه لا يفتر لسانه عن الذكر بالجلالة، ثم سافر إلى مصر، وتوفي بها فصارت مقره البرزخي.

[الحبيب محمد بن حسن البار]

ومنهم الحبيب المنور، ذو المشهد الأغر، والمقتفي لأسلافه على الأثر، محمد بن حسن البار، ساكن رباط باعشن، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قصد صاحب المناقب، رضوان الله عليه، إلى بلده عمْد، للقراءة عليه. ولبس منه، وتحكم له، وأقام عنده أيامًا من أجل ذلك، ففرح به صاحب المناقب، وأحبه. ثم عاد إلى بلده، وتوجه منها إلى مصر، فلاقاه بها أجله المحتوم، فصارت مقره البرزخي.



[الحبيب أحمد بن طالب العطاس]

ومنهم الحبيب المستقيم، ذو القلب السليم، والمشهود له من صاحب المناقب بالحظ العظيم، أحمد بن طالب بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن محسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. ساكن الرباط المذكور، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قرأ وسمع على صاحب المناقب رضوان الله عليه الشيء الكثير، وصحبه في سفره الأخير إلى حج بيت الله، ذهابًا وإيابًا، فنوّر الله بصيرته، وصار من أهل الكشف الجلي. وهو الذي أبصر الشيخ علي باراس على ظهر البحر، راكبًا فرسه، يخطم السفينة، بأمر سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، كما سيأتي ذلك في (باب الكرامات)، في (الحكاية الخامسة والعشرين) إن شاء الله.



[الحبيب عبدالله بن محسن بن سالم العطاس]

ومنهم الحبيب الأرشد، العلامة الأوحد، ذو السير والرأي المسدّد، عبدالله بن محسن بن سالم بن محسن بن عبدالرحمن بن محسن بن الحبيب القطب عقيل بن عبدالرحمن العطاس. ساكن رباط باعشن ودفينه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رحل إلى عمد لزيارة ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه، وأخذ عن ابنيه وخليفتيه، محمد وعمر. وأخذ أيضًا عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكرهم في (هذا الباب). كما أنه قد أخذ مباشرة عن الحبيب أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار، وعن الحبيب أحمد بن محمد المحضار، وعن الحبيب عمر بن هادون العطاس، المتقدّم ذكرهم في (الباب الخامس).



وبما أن صاحب الترجمة من العلماء العاملين، والمدرسين المحققين، والزعماء المشهورين، لم أتحقق شيئًا عن كيفية تلقيه وترقيه. ومَن هم أشياخه المكيون في فن الفقه وعلوم الآلة؟ مع أني قد زرته إلى بيته مراتٍ، وحضرت درسه في المسجد، وقرأتُ عليه نحو الكراس في «إحياء علوم الدين»، حين حضرت درسه في المسجد.

غير أني ما كنت، إذ ذاك، أتوهم في نفسي أن الدهر سوف يضطر إلى ترشيح مثلي للكتابة عن شيء من محاسن العلم والعلماء، لأني تربيت في محيط واسع من العلماء الذين لا يشق لهم غبار، ولا يجارون في مضمار، كمن نشأ على حافة نيل مصر، لا يخطر على باله يومًا ما أن يدّخر شيئًا من ذلك الماء، وما كنت أظن أن الأيام تختلسهم واحدًا بعد واحد، حتى تبقيني كما قال الشاعر:

وحيدٌ من الخلان في كل بلدةٍ ... إذا عظُمَ المطلوبُ قلّ المساعدُ

قال المترجِم وفارس الميدان المتقدم: «والوالد سالم بن محسن، أي المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، كانت بينه وبين سيدنا الوالد صالح، يعني صاحب المناقب، محبة واتصال جسمي وروحي. وله الآن ابنُ ابنٍ، اسمُه عبدالله بن محسن بن سالم، ساكن رباط باعشن. فقيه نبيه، يعلم الناس معالم الدين، سائر على قدم سلفه الصالحين، أمتع الله به، وأقامه بأحسن مقام»، انتهى.



[ترجمته من كتاب «الشامل»]

وقال الأخ العلامة علوي بن طاهر الحداد، في كتابه «الشامل»، عند ذكر رباط باعشن: «وممن أدركناه، ممن عمر مساجدها بالتدريس: السيد الشريف عبدالله بن محسن العطاس، رحمه الله تعالى. وكان حسن السيرة والأخلاق، فاضلًا صالحًا، اعتنى رَحِمَهُ ٱللَّهُ بولدي النبيه الذكي، محمد بن علوي، أيام كان يتردد عليه في ابتداء طلبه للعلم، وتوفي بعد ذلك، جعله الله شافعًا نافعًا، وعوضنا عنه الخير»، انتهى كلام الحداد، وبه انتهت الترجمة.



[الحبيب محمد بن محسن العطاس]

ومنهم الحبيب الداعي إلى الفلاح، حادي القلوب والأرواح، والممتزج بأسلافه امتزاج الماء بالراح، محمد بن محسن بن علي بن حسين بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد رباط باعشن ودفينه، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. تردد إلى عمد لزيارة ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه، وللأخذ والإلباس من ابني صاحب المناقب محمد وعمر. كما أخذ ولبس وخدم الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكرهم في (هذا الباب).

وأخذ أيضًا عن الحبيب أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار، وعن الحبيب أحمد بن محمد المحضار، وعن الحبيب عمر بن هادون العطاس، المتقدم ذكرهم في (الباب الخامس). ومن المتعذر هنا تعداد أشياخ صاحب الترجمة في السيرة، ونور البصيرة، لكونه معدودًا في عصره من صفوة أهل حسن الظن بالله، وبأهل الله، فقلما يلقى أحدًا عليه سيما الخير والصلاح، إلا أخذ عنه، ولبس منه. كما أنه يعد بين أقرانه من المسرفين في المداومة على كثرة الأوراد وزيارة الصالحين، الأحياء والبرزخيين.

على أنه في المجموع يعدّ في مقدمة أهل الرزانة، والعقل والفطانة، وله اليد الطولى في إصلاح ذات البين، والخبرة التامة بتطورات الزمان وأهله، وكان الأمين الوحيد لأهل بلده، فكل من سافر منهم وعنده أولادٌ صغار ونساء، يجعل صاحب الترجمة هو الناظر عليهم. كما أن المسافرين المذكورين يُودِعونه مكاتيبَ حُجَجِهم المالية، وغيرها من الأشياء المثمنة، في بيته الخاص، حتى يعودوا من أسفارهم.

ولا عيب فيه، إلا أنه كان حليمًا كريمًا، يبهت أضيافه بما يقدمه لهم من أنواع الطعام الطيب. وإذا قلنا بقول القائلين: إن لذة الطعام تكون بمقدار سماحة نفس المضيف، لزمنا القولُ بأن صاحب الترجمة هو المجلّي في حلبة هذا الميدان على أقرانه، يصدق عليه قول الحريري بأنه:

جَمّ الرمَادِ مرهَفُ الشّفارِ

مرحِّبٌ بالطارِق الممتَارِ

ترحابَ جعْدِ الكفِّ بالدّينارِ



كما أن من مميزاته العصرية: أنه كان حاديَ القطر الحضرمي بالطار، أي الدف. وإنشاد أشعار الصالحين، والترنم بها على الصوت المعروف بالمأخذ، فلا يتجاسر أحد من أهل هذا الفن على الإقدام على شيء من ذلك بحضرته، لا سيما في زيارة المشهد الشهيرة، في ربيع الأول، التي يرد إليها الناس من كل فج عميق. فتراهم يتسابقون إلى قربه، والنظر إليه، خصوصًا حين دخول الزوار إلى القبة، لأنه سلفي الهيئة، وقور السمت، حسن الصوت، بديهي النطق بشواهد الأحوال، وما يناسب المقام، حلو الألفاظ، يرجّع مدى صوته في القلوب قبل الآذان، يصدق عليه قول الحبيب علي بن محمد الحبشي في مدح الحبيب أحمد بن محمد المحضار:

والحبيب أحمد المحضار ذي حل قاره

ما تحن القلوب إلا إذا حن طاره



[زيارة المؤلف صحبة صاحب الترجمة]

قلتُ: وأنا بحمد الله قد زرتُ صاحب الترجمة إلى بيته مرات، وطلبت منه أن يزور بي مشاهير الرباط من البرزخيين، فزار بي ضريح الحبيب عبدالرحمن بن عبدالله البيتي، وأهل الراك، وأهل الصعيد. وأتى بالتوحيد المأثور عن سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس عند ضريح الشيخ أحمد بن عبدالقادر باعشن، لأن الشيخ أحمد المذكور معدودٌ في مشايخ هذا الذكر، كما سيأتي شيء من ذلك في الخاتمة من «تاجنا» هذا.



[وممن سكن بلدة الرباط من آل العطاس]

قال المترجِم وفارس الميدان المتقدم، عند ذكر أهل رباط باعشن: «وأما السادة الساكنون بتلك البلد، فلهم به، أي صاحب المناقب، كمالُ الاتصال، كالحبيب علي بن حسين العطاس، وأولاده: محمد، ومحسن. ولمحسن المذكور من الأولاد: محمد بن محسن، مباركٌ، موجود الآن به، نفعٌ عام لأهل بلده، أدامه الله بأحسن مقام»، انتهى كلام المترجم.



[رجوعٌ الى أعلام وادي عمد]

ولنرجع من هنا إلى أعلى وادي عمْد، لأني راعيتُ في الكتابة ترتيب البلاد الوضعي، في البُداء بفضلاء عمْد، كما مرّ في (الباب الرابع) و(الخامس)، فلا خطأ ولا عمد.

[الشيخ عبدالله بن حسن بافقير]

ومنهم الشيخ سليم البال، حميد الخصال، والمعدود من كمل الرجال، عبدالله بن حسن بن سعيد بافقير. ساكن بلد الشُّعبة، بضم الشين، من وادي عمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وخدمه. كما أنه صحبه في بعض أسفاره، ومنها زيارة حريضة. وهو الذي رأى الحبيب علي بن جعفر العطاس في المنام بعد وفاته، في تلك الزيارة، كما تقدم بسط ذلك في ترجمة الحبيب علي بن جعفر المذكور، من (الباب الرابع). وأخذ أيضًا صاحب الترجمة عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، وهو الذي روى قصة اطلاع الحبيب أبي بكر بطريق الكشْف على وفاة صاحب المناقب، حينما كان الحبيب أبوبكر في بيتهم بالشُّعبة، كما تقدم ذلك مبسوطًا في (الباب الثاني).



[الشيخ حسن بن أحمد البدوي العمودي وجماعة من خيار آل العمودي]

ومنهم المشايخ الأجلاء، الذين لهم في الكرم اليد الطولى، ومن محبة صاحب المناقب القدح المعلّى، حسن بن أحمد البدوي، وعبود بن أحمد باعثمان، وعبدالرحمن بن أحمد باخيِّل، بفتح الخاء وتشديد الياء، وعثمان قزحان، آل عمودي. سكان بلد الشعبة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. أخذوا كلهم عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبسوا منه في بلدهم، وترددوا لزيارته في حياته الدنيوية إلى بلده عمد.

وصحبه الأول منهم في بعض أسفاره إلى وادي حَجْر بن دغار، وخدمه بكل حفاوة. كما أن صاحب المناقب كان يفضي إلى الثاني بأخبار رجال الغيب. ويحب مدارسة القرآن مع الثالث لجودة حفظه وحسن أدائه. وأمّا الرابع فهو الذي عرَّفه بتشديد الراء الحبيب أبوبكر بن عبدالله العطاس بالملائكة الذين حضروا دفن صاحب المناقب، كما قدمنا ذلك في أواخر (الباب الثاني)، على ما ذكره المترجم وفارس الميدان المتقدم.



[بلدة شُعْبة بامحمد]

ثم قال: «وبلدة الشُّعبة المذكورة، هي حوطة الشيخ الكبير، العالم الشهير، صاحب الأسرار الخفية، والأحوال الوفية، والمشارب الصفية، والطريقة السوية، والانطواء التام في الشجرة العلوية، عمر بن أحمد الأخير بن محمد بن عثمان بن أحمد القديم بن محمد بن عثمان بن عمر مولى خَظَم بن محمد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي. كان هو وابنه الشيخ عبدالرحمن بن عمر، من العلماء العاملين، والأولياء المقربين، ولهما كرامات ظاهرة، وأحوال باهرة، وكانا يتعهدان الحرمين الشريفين في عصر الإمامين الجليلين

الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي، والشيخ محمد بن أحمد الرملي[1]. وقد أخذ الشيخان العموديان المذكوران، عن الشيخين الإمامين المذكورين، وقرت لهما وبهما العين. والشيخ عبدالرحمن المذكور هو المعنيُّ بقول الشيخ ابن حجر في «شرح مختصر بافضل»: «سألني بعض الفضلاء».

وقد اجتمع صاحب الترجمة بالحبيب القطب أبي بكر العدني بن عبدالله العيدروس، ببندر عدن، وله معهما أحوال عجيبة، وحكايات غريبة»، انتهى.



قلتُ: وحدثني الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد، قال: ومن الكشوفات التي جرت بين سيدنا العدني، وصاحبي الترجمة بعدن، في سفرهما إلى الحرمين، أن سيدنا العدني أضافهما، فلما حضر الطعام لم يأكل الشيخ عمر من اللحم إلا القلب فقط، فذبح سيدنا العدني في اليوم الثاني ثلاثين كبشًا، وقدم قلوبها إكرامًا للشيخ عمر. فخطر في قلب الشيخ عمر: أن هذا إسراف!

فقال الشيخ عمر عند ذلك: أستغفر الله. ولم يعلم الحاضرون بشيء من ذلك. حتى حكى لهم الشيخ عمر بخاطره.

ثم إن الشيخ عمر رأى جاريةً لسيدنا العدني، فطلبها منه، فضن بها سيدنا العدني على الشيخ عمر، لكونها مديرة المطبخ، وكأن الشيخ عمر ألح عليه في ذلك، فأسر ابنه الشيخ عبدالرحمن إلى سيدنا العدني: أن عِدْه، بكسر العين، بذلك حين يرجع من الحرمين، فإنه سوف يموت ولا يرجع. فكان الأمر كما قال الشيخ عبدالرحمن.



---

(1) المشهور، حسبما في كتاب «النور السافر»، أن الذي كان في مكة المكرمة زمن الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي، هو الشيخ الإمام أبوالحسن البكري المصري، المتوفى بمكة سنة 952هـ، اهـ (مصحح).

قلتُ: وعلى ذكر عدن والعدني، حدثني أيضًا الحبيب المشير، قال: إني سألت سيدي الحبيب العارف بالله عيدروس، عما يشاع: من أن سيدنا أبا بكر العدني سألَ ربه يوم دخوله عدن، أن يمطر السماء على تلك البلدة بلبَن، فاستجاب الله له في ذلك. ومع ذلك فإني لم أر أحدًا من أهل ذلك العصر قيّد هذه الكرامة بالكتابة.

فقال: إنما أهملوها لشهرتها بين الناس، حتى الكفار، انتهى كلام المشير.

قلتُ: وإن استعظم القاري هذه الكرامة من الله، لهذا العبد الصالح، ولم يقدر على إساغتها، نقول له: هذا الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، برواية البخاري، يقول: «**اهتز عرشُ الرحمن لموت سَعد بن معاذ**». ويقول أيضًا: «**إن من عبَاد الله من لو أقسمَ على الله لأبرّه**». وعند ذلك يسيغها المؤمن، كما يسيغ اللبن، ويقول: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾. على أن لهذه الكرامة سببٌ خاص، معروف عند الخواص. وهو: أن سيدنا العدني لما أراد السفر إلى عدن، أوصاه أهله أن يزور أولًا ضريح الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، صاحب قيدون، فلم تتيسر له الزيارة في ذلك الوقت، وسافر إلى عدن، فلما وصلها عاكسته الأمور والأحوال فيها.

فشكى على بعض أهل النور ما يلقاه، فقال له: إنك خالفت الأمر، ولم تزر الشيخ سعيد العمودي، لأنه خزانة آل باعلوي. فعرف سيدنا العدني أنه من هنا أُتي، فرجع في سفينة شراعية إلى المكلا، ومنه توجه قاصدًا زيارة الشيخ سعيد، فلما وصل بعض الطريق، وهو في غاية من التعب والنصب، لقيه إنسانٌ في هيئة بدوي، وقال له: أين تريد؟ قال: أريد زيارة (أجْذَم ابليس)، يعني الشيخ سعيد، لأنه أصيب بالجذام في آخر وقته. فقال: أنا الأجذم، وزيارتك مقبولة، وارجع إلى عدن، وسيفتح الله لك في قلوب أهلها، وتكون سلطانها. فقال: وما علامة ذلك؟ قال: إذا دخلت عدن فارتجز بهذه الكلمتين، ولا تزد عليها:

يـا سمـاءْ صُـبّي لبَـنْ ولد عبدالله دخل عدَنْ

فأخذها بقوة، ورجع إلى عدن، فلما دخلها جعل يمشي في الطريق، ويرتجز بذلك، وكل من رآه من أهلها تبعه، حتى اجتمع منهم خلق كثير في وسط البلد، وهم يرتجزون، فصبت عليهم السماء مطر اللبن، ومن ذلك اليوم واتته الأمور، وأصبح سلطانها إلى اليوم.



[الشيخ سعيد بن عيسى العمودي المتوفى سنة 671هـ]

وأمّا قولهم «إن الشيخ سعيد العمودي خزانة آل باعلوي»، فإنهم يعنون بذلك: أنه أمينهم على أسرار الولاية، لأنه تتلمذ في أول أمره على الشيخ أبي مدين شعيب بن أبي الحسن التلمساني، بواسطة الشيخ عبدالله الصالح المغربي، المقبور ببلد كنينة، بجهة حَجْر بن دغّار، في طرف البلد إلى أعلى. وأمّا المقبور فوق القارة فهو رفيقُه أبوحُمران، صاحب ميفعة، على ما في «القرطاس في مناقب العطاس».

ثم تحول إلى التتلمذ على سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، بعد وفاة الشيخ عبدالله الصالح، بوصية منه، وأكثر التردد عليه إلى تريم من بلده قيدون، حتى بلغ من أمره: أن صلاة الصبح أدركته تحت مدينة شبام فقط أربعين مرةً، في طريقه إلى تريم. وانتسب إلى سيدنا الفقيه المقدم طريقةً وعقيدةً.



وأمّا سبب إصابته بعلة الجذام، فهو دعوةٌ عليه، بدعوة سبقت منه على الغير، على ما أخبرنا به العلامة الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي في كتابه «روض الرياحين»: أن الشيخ أحمد بن أبي الجعد اليمني، قدم إلى حضرموت من اليمن، في جموع من تلاميذه ومريديه، بقصد زيارة النبي هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، كعادته في كثير من الأعوام.

وفي إحدى السنين، مر على الشيخ سعيد العمودي بقيدون، محاولًا أن يقوي عزمَه في مرافقته، فصار يعتذر إليه بأعذار مقنعة، فمضى الشيخ أحمد ومن معه.

ثم لما رجع من الزيارة، وتجاوز مدينة تريم إلى قرية كُحْلان، في ضاحيتها الجنوبية، إذا هو بالشيخ سعيد بكُحْلان، في سبيله إلى زيارة النبي هود. فلما اجتمعا، عاتبه الشيخ أحمد على تخلفه عن الزيارة في صحبته، وطلب منه القيام والإنصاف من نفسه. فقال الشيخ سعيد: من أقامنا أقعدناه. وقال الشيخ أحمد: من أقعدنا ابتليناه.

ثم افترقا فصادفت الدعوتان الاستجابة، فأقعد الشيخ أحمد بن أبي الجعد إلى أن مات، وابتليَ الشيخ سعيد بالجذام، وما زال به إلى منتهى حياته، انتهى.



وكانت وفاة الشيخ سعيد بن عيسى المذكور، سنة وحدة وسبعين وستمائة هجرية، ببلد قيدون. وله بها زيارة عامة، محضورة مشهورة في كل سنة، موعودها شهر رجب الأصب. كما أن الكلام على منصبه الديني الإصلاحي قد تقدم في (الباب الخامس) من «تاجنا» هذا، عند ذكر أهل بلد بضة. ومنهم خليفته على وظيفته.

وأمّا سيدنا أبوبكر العدني فكانت ولادته بتريم سنة وحدة وخمسين وثمانمائة، ووفاته بعدن، لأربع عشرة خلت من شوال، سنة أربع عشرة وتسعمائة هجرية.

رجعنا إلى ترجمة العموديين، برواية مترجمنا غلام الساعتين. قال: «وعلى عودهما من الحرمين، في بعض المرات، إلى بلدهما الشُّعبة، ركبا سفينة شراعية، فتوفي الشيخ عمر فيها، وأراد أهل السفينة طرحه في البحر، كما هي العادة فلم يوافقهم ابنه الشيخ عبدالرحمن، وقال: ليس مثله يرمى في البحر، وسوف ننتظر الصباح.

فلما أصبحوا إذا هم قريبٌ من بندر القنفدة، فنزلوا هناك، ودفنوه بمكان يسمى القنع، وقبره معروف يزار، وعليه بناء عظيم.

[الشيخ عبدالرحمن بن عمر العمودي]

وأمّا ابنه الشيخ عبدالرحمن المذكور، فقد جاور آخر وقته بمكة المحمية، وتوفي بها يوم الجمعة، لتسع وعشرين مضت من رجَب، سنة سبع وستين وتسعمائة هجرية، ودفن بالمعلاة. وكان الشيخ عبدالرحمن المذكور، قد بنى جملة من المساجد بوادي عمْد، فلا تزال مشهورة، وبالطاعات معمورة. ومنها: مسجد الجامع، يرباط باكوبَن. كما أنه ووالده قد جمعَا عددًا كبيرًا من الكتب الخطية والمطبوعة[1]، وجعلاها بدارهما في الشعبة المذكورة، في غرفة تسمى (الخزانة)».

قلتُ: ولصاحب المناقب في ذلك المنزل قصةُ وكرامة، ستأتي في (الحكاية السابعة والأربعين) من (باب الكرامات) إن شاء الله تعالى.

وحدثني الحبيب المشير، والعضد والنصير، علوي بن محمد الحداد، قال: إن غالب كتب الشيخ عمر المذكور، كان يكتبها بيده، هو وأولاده. حتى ابن بنته خديجة كتبت

---

(1) لعل مراده أن الكتب المطبوعة تم توفيرها في المكتبة على يد ذراري الشيخين، فلم تكن توجد كتب مطبوعة في زمنهما في القرن العاشر، اهـ (مصحح).

«النهاية» للشيخ الرملي بيدها، ثمانية أجزاء. وقالت في آخر (الجزء الثامن): «فليعذرني من وقف على هذا الكتاب، فإني كتبته وأنا أرضع ولدي فلان»، انتهى.



[مقام آل العمودي في الشعبة]

عدنا إلى كلام المترجِم، قال: «وقد تولى كل من الشيخ عمر وابنه عبدالرحمن القطبية الكبرى، وقد استوفى الكلام على ترجمتهما، الحبيب العلامة المحقق، عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس، في تاريخه «النور السافر في أخبار القرن العاشر». فذكر: أن الشيخ عمر قد ولي المشيخةَ، أي الخلافة، على مقام جده الشيخ سعيد بن عيسى، ببلدة قيدون بعد أبيه، على طريقة سلفه.

فلما آل الأمر في ذلك إلى سفك دماء ونحوه، ورجوع تلك المرتبة إلى قوانين الملك، ترك ذلكَ، وعزل نفسه زهدًا فيها، ورغبة فيما عند الله من الثواب. وكان في زمنه يسوس الناس بقوانين الشرع الشريف، ولا يحابي في الحق لقويٍّ على ضعيف، فكرهته العامة لذلك، وعزموا على أنهم يقتلونه، ويولون مكانه أخاه عثمان.

فأخبر بذلكَ، فقال: لا يحتاج الموقف إلى هذا. وتركهم وما يريدون، وهو الذي جدّد عمارة مسجد جدّه الشيخ الكبير سعيد بن عيسى بقيدون، وزاد فيه شقة من الجهة القبلية، وسّعه بها، مع إتقان العمارة. وقد رويَ عنه في تلك العمارة: أنه كبس جابيةً كانت تضم الماء للمسجد المذكور، في الجهة القبلية المذكورة، وحفر جابيةً أخرى تعويضًا عنها في تلك الجهة، وهي الموجودة الآن فأنكر عليه بعض المعاصرين، بأنها موقوفةُ لا تبدّل. فقال الشيخ عمر: هذه كبسناها لصلاح المسجد، والأخرى بدلها، وفي محل نفعها، والله يعلم المفسد من المصلح، انتهى.

ثم انتقل الشيخ عمر وابنه عبدالرحمن إلى بلد الشعبة المذكورة، وأقاما بها على تعليم الجاهلين، وإكرام الوافدين، حتى إن منزلهما إلى الآن يسمى مطبخ الشيخ عمر، يقومون به أولاده من غير الشيخ عبدالرحمن المذكور، لأنه اشتغل بالعلم والعمل من صغره، فألهاه ذلك عن التزويج، وسِرّ الشيخ عمر لا يزال في أولاده من بعده، حتى أنهم إذا وضع أحدهم يده على الملدوغ يبرأ في الحال، بإذن الله.

كما أنه حوّط، أي بالتشديد، البلدة المذكورة، ودعا لأهلها، وها أنا أنقل ما كتبه بخطه في آخر (الجزء الرابع) من «إحياء علوم الدين» للغزالي، لأن غالب كتبه بخط يده، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتقبل منا ومنه، ونفعنا به:

«تمَّ الكتابُ بحمد الله ومنّه، وعفوه وتوفيقه، بتاريخ يوم الاثنين، الخامس عشر من شعبان، سنة ثنتين وأربعين وتسعمائة من الهجرة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. بخط مقتنيه لنفسه من فضل الله تعالى، عمر بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أحمد بن محمد العمودي، عامله الله بلطفه، وذلك في منزلي إن شاء الله تعالى، شُعبة رنس، حماها الله تعالى بحوله وقوته، وعزته وقهره وقدرته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم، والحمدلله رب العالمين».

انتهى المراد من كلام المترجم وبه انتهت الترجمة.



[الحبيب عمر بن حسن بن علي العطاس]

ومنهم الحبيب الصادق في وجهته، القائم بنشر الدعوة إلى الله في جهته، والمقبل على مولاه بكليته، عمر بن حسن بن علي بن حسن بن عبدالرحمن بن أحمد بن الحسين

بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. ساكن حصن باقروان من وادي حَجْر بن دغار، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. روى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «لما جاء صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى وادي حَجْر، لنشر الدعوة إلى الله، لازمه صاحب الترجمة، بأمر والده الحبيب حسن المتقدم ذكره في (الباب الخامس).

وخرج مع صاحب المناقب إلى بلده عمد، وأقام عنده بها مدة على طلب العلم، ونجح في طلبه، ثم رجع إلى وادي حَجر، وتجرد لتعليم الجاهلين، وهداية الضالين، وخصص من ذلك ليلتين في الأسبوع، لتعليم النساء، وانتفع به غالب أهل تلك الجهة، وما زال هذا دأبه حتى أتاه اليقين».



[الحبيب سالم بن عمر بن محمد العطاس]

ومنهم الحبيب الداعي، الناجح في التوجهات والمساعي، سالم بن عمر بن محمد بن علي بن محسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. ساكن حصن باقروان، بحَجْر بن دغار، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، وخدمه. قال المترجم: «وكانت وظيفته الخاصة: أنه يجمع أهل تلك النواحي على صاحب المناقب، إذا جاء إلى وادي حَجْر، ليذكرهم ويرشدهم إلى معالم دينهم، لأن صاحب الترجمة كان محبوبًا عندهم، ومطاعًا فيهم. وكان صاحب المناقب يحبه، ويقول: إن عليه نظرًا خاصًا من السلف».

[الحبيب علي بن محسن بن سالم العطاس]

ومنهم الحبيب حسن الظن، المخبت لمولاه في السر والعلن، وما زال مدة حياته مع القرآن في قرَن، علي بن محسن بن سالم بن عمر بن علي بن محسن بن الحسين بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. ساكن حصن باقروان، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه «خلاصة المغنم وبغية المهتم باسم الله الأعظم»، لسيدنا الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس، واستجازه فيها، وفي قراءة «راتب» سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، فأجازه في ذلكَ. ودعا له بالوجاهة في إصلاح ذات البين. فكان من أمره: أنه لا يتوسط في شيء من الإصلاحات إلا أتمها الله على يديه، كما أن بيته كان مقصد الضيفان، ومفزع اللهفان.

قال المترجم: «وقد جئت مرة إلى وادي حَجْر، بمعية والدي، وصاحب المناقب، ونزلنا ضيوفًا على الحبيب علي المذكور». ثم قال: «وسمعتُ صاحب المناقب يقول: إن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي قد دعا لوادي حَجْر بدفع المؤذيات من ثمرة نخله، ولذلك تجده أكثر ثمرًا من غيره»، انتهى كلام المترجم، وبه انتهت الترجمة.



[الشيخ علي بن عمر باراس]

ومنهم الشيخ الصدر، سليم العقل والصدر، والمعدود في الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، علي بن عمر باراس. ساكن ودُوده، بفتح الواو وضم الدال وسكون الواو وكسر الدال بعدها هاء ساكنة، من وادي حَجْر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. خرج من بلده عنوةً لزيارة صاحب المناقب في حياته إلى عمْد، وأخذ عنه، وأقام عنده أيامًا، ورجع إلى

بلده. ثم جاء صاحب المناقب إلى وادي حَجْر، فجدد الأخذ والإلباس. وكان شيخًا صالحًا، كريمًا مستهترًا بذكر الله، يقصده أهل جهته للتبرك به.



[الحبيب حسين بن أبي بكر البيض]

ومنهم الحبيب العابد، العارف الزاهد، وحليف الدروس والمساجد، حسين بن أبي بكر البيض. ساكن بندر الشحر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أخذ عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، قراءةً وسماعًا، وتكرر بتكرر تعهد صاحب المناقب بالدعوة إلى الله، لأهل البندر المذكور، وزيارة من بها من أهل النور، من كل خامل ومشهور.

قلتُ: ويسمى البندر المذكور بسُعاد أيضًا، وبسوق الأحقاف، لأنه أقدم ميناءٍ بذلك القُطر وفيه يقول بامخرمه:

في سُعاد التي في جوّها النُّور خيّمْ

سوق الأحْقاف ذي يحوي علىٰ كم من اَغْتَمْ

بين رُوكِب وباغَشْوَة إذا كنت تفهَمْ

قلتُ: ويروى لنا: أنها كانت ملانة بالسكان، معمورة بالتجار. ومما يصدق قول القائلين بذلك: أنه مرة خرب فيها دكان، أي حانوت صغير، فسقطت جدرانه، فوجدوا في سقفه أوراق الإجارة، مكتوب في كل واحد منها: استلمنا من فلان خمسة دنانير أجرة هذا الدكان، لمدة شهر رجب، وهلم جرًّا على ترتيب الأشهر، فلما أخبر بذلك سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، قال: إنها ستعود إلى أحسن مما كانت عليه من العمارة، انتهى.

[الحبيب عبدالله بن سالم عيديد
المتوفى سنة 1332هـ]

ومنهم الحبيب المعرض عن الخلائق، المشغول بمناجاة الخالق، والمشغوف بعلوم الحقائق، عبدالله بن سالم بن عبدالله بن علي بن محمد صاحب عيديد. ساكن بندر الشحر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قرأ «المنن» للشعراني على صاحب المناقب رضوان الله عليه، ولبس منه، واستجازه في أوراد السادة العلويين، فأجازه، وكاشفه ببعض ما يجري له في سلوكه. ومن ذلك: رؤيا منامية، رأى فيها صاحبُ الترجمة سيد الوجود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسرها في نفسه، فأخبره بها صاحب المناقب، وفسرها له. ولصاحب الترجمة أخذ خاص عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، وعليه نظر منه. وكانت وفاته ببلده الشحر، في محرم سنة ثنتين وثلاثمائة وألف من الهجرة.



[الحبيب أحمد بن عمر بن إسماعيل
المتوفى سنة 1290هـ]

ومنهم الحبيب الصفي، السائر على القدم النبوي، والملحوظ من أسلافه بني علوي، أحمد بن عمر بن شيخ بن عبدالرحمن بن شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالرحمن السقاف. ساكن الشحر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومؤلف كتاب «الأنوار» في الفقه. قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه في «النصائح الدينية»، لسيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، فأجازه صاحب المناقب، وألبسه.

وكذلك ابنه الذكي، العالم الوفي، محمد بن أحمد. قرأ على صاحب المناقب في عدة فنون، وتلقى عنه كثيرًا من الشئون، فيما يتعلق بأهل السر المصون. وقد قام الحبيب محمد المترجَم

له، بوفاء ما عليه لشيخه صاحب المناقب، فرثاه بعد وفاته بمرثاه جميلة، تدل على قوة رابطته بصاحب المناقب، تقدمت في محلها من (الباب الثاني) من «تاجنا» هذا.

قال المترجم وفارس الميدان المتقدم: «وبعد الختم على صاحب المناقب، توالت علينا المراثي من علماء وعوام، حتى أعجزتنا كثرتها عن إثباتها هنا، غير أنا لن نعجز عن شكر قائليها، ونسأل الله أن يثبهم على إخلاصهم الحسنى وزيادة.

وبما أنه لا يحسن إخلاء هذه المناقب، فقد أثبتنا منها هذه المرثاة، والبدنة عن سبع من الشياه. وهي للحبيب العلامة محمد بن أحمد بن عمر بن إسماعيل، ساكن بندر الشحر. وهؤلاء السادة آل إسماعيل، هم خطباء الشحر»، انتهى كلام المترجِم.

كانت وفاة صاحب الترجمة بالشحر، سنة تسعين ومائتين وألف هجرية.



[الحبيب محمد بن شيخ بن الشيخ أبي بكر]

ومنهم الحبيب النوير، ذو الجد والتشمير، والجامع بين العلم والتذكير، محمد بن شيخ بن عبدالله بن أحمد بن شيخ بن عبد الله بن أبي بكر بن شيخ بن أحمد بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم[1]. ساكن الشحر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. لحظَه صاحب المناقب رضوان الله عليه في صغره، ثم قرأ على صاحب المناقب ولبسَ عنه في كبره.

(1) جاء في الأصل: «محمد بن شيخ بن عبدالله بن جندان بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم». والظاهر أنه سبق قلم، فهذا النسب مخالف لما في تراجم السادة آل الشيخ أبي بكر ساكني الشحر، فإنهم ذرية أحمد ابن الشيخ أبي بكر، بدلالة ما ورد في سياق الترجمة هنا. ولعله حصل سبق نظر في خطوط الشجرة الكبرى أدى إلى وقوع هذا الخلط، والله أعلم. ينظر: تاريخ باحسن «نشر النفحات المسكية»: ص 166 وما بعدها، وص 177- 183، وينظر: فيوضات الشرف الأوفى: ص 33. وقد أثبتنا النسب المعروف لشهرته، وأشرنا إلى النسب الذي في الأصل في هذه الحاشية، والله أعلم (المصحح).

قال المترجم وفارس الميدان المتقدم: «أخبرني صاحب الترجمة، قال: لما كنت في صغري، جاء الحبيب صالح بن عبدالله العطاس مرةً إلى الشحر، وزار ضريح جدي أحمد بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، في جمع غفير. فأمرني أهلي أن أحضر زيارته، وأطلب منه الدعاء، بأن الله يفتح علي في القرآن الحكيم. فقلت له بذلك. فقال لي: افتح فاك، وجعل فيه شيئًا من ريقه الترياق المجرّب، ففتح الله علي في القرآن، وختمته في مدة يسيرة، مع كمال الفرح وكمال النشاط، وذلك ببركة الحبيب صالح. وكان أهلي قد بلغ بهم الإياس حدّه من قراءتي للقرآن، لقلة فهمي، وكثرة شغفي باللعب مع الصبيان، ثم قرأت عليه في مجيئه الأخير في «الإحياء»، انتهى كلام المترجِم، وبه انتهت الترجمة.



[الشيخ ناصر بن الشيخ علي اليافعي]

ومنهم الشيخ الفقيه، المجد النبيه، والمقبل على العمل الصالح بغير تمويه، ناصر بن صالح بن الشيخ علي اليافعي، ساكن الشحر، وقاضيها الشرعي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه في الفقه والتصوف، وكان يلازمه مدة إقامة صاحب المناقب بالشحر، وكان حريصًا على الاتصال به من جميع الجهات، حتى أنه عقد لأخته بصاحب المناقب، لأجل الصهارة، وكان صاحب الترجمة من أهل العبادة والورع في المعاملة.



[من أعلام المشايخ في بلدة الشحر باطويح والعماري وبابقي]

ومنهم المشايخ الفضلاء، والعلماء الصلحاء، والمنتسبين إلى أهل البيت سيرةً وولاء، عوض باطويح، ومحمد العماري، وسالم عمر بابقي، المقيمين بالشحر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. قال

المترجِم: «إن هؤلاء الثلاثة، قرؤوا على صاحب المناقب رضوان الله عليه، وكانوا يلازمونه مدة إقامته بالشحر، للأخذ عنه. وكلهم طلبوا منه الإذن في التدريس، فأذن لهم، وأجازهم، وشجعهم على ذلك».



[الحبيب عبدالشكور بن سالم العطاس المتوفى سنة 1281هـ]

ومنهم الحبيب الأنور، ذو الحظ الأوفر، والقائم في مقام جده سالم بن عمر، عبدالشكور بن سالم بن محمد بن سالم بن عمر بن عبدالله بن الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وليد الشحر ودفينه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قرأ «بداية الهداية» على صاحب المناقب، رضوان الله عليه، ولبس منه، وخدمه. ولا يعزبُ عن بال القارئ ما تقدم في (الباب الخامس)، من ترجمة والد صاحب الترجمة: أن صاحب المناقب ينزل في بيتهم مدة إقامته بالشحر، وأنه قد عقد بأخت صاحب الترجمة، لأجل المصاهرة، ودعا لصاحب الترجمة، كما دعا لوالده، بالوجاهة في إصلاح ذات البين. فكان صاحب الترجمة في آخر وقته إذا تضجر من كثرة ما يلحقه من التعب بسبب الإصلاحات. يقول: هذا كله من دعوة الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب. وكان كريمًا حليمًا، غيورًا على حدود الشريعة المطهرة، وجيهًا عند ولاة الأمور، لا تأخذه في الله لومة لائم.

[مقام الحبيب سالم بن عمر العطاس في الشحر]

وقد قام بخدمة مقام جده الحبيب سالم بن عمر، أتم القيام، في كل ما يعتاده المقام، خصوصًا زيارة ضريح جده الحبيب سالم بن عمر المذكور، وليد حريضة، ودفين الشحر، وأحد مشاهيرها، المرتبة في شهر محرم من كل سنة. تأتي إليها الوفود من الساحل والداخل، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله، متبركين بآثار أهل الله، الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله.

وكانت وفاة الحبيب عبدالشكور، صاحب الترجمة، سنة وحدة وثمانين ومائتين وألف هجرية. ثم خلف صاحب الترجمة على المقام: ابنه محمد بن عبدالشكور، فحذا حذو والده، في وسائله ومقاصده، حتى لحق بأبيه وجدّه. فخلفه على المقام ابنه: عمر بن محمد، ويصفه القادمون إلينا من الشحر، بأنه حسَن السيرة، صافي السريرة، وأن شقيقه الغيور، أحمد بن محمد أصبح ساعده اليمين، على تلك الوظيفة الشريفة، فنسأل الله أن يجعلهم خير خلفٍ لخير سلف، بمنه وكرمه.



[الحبيب سالم بن عيدروس العيدروس]

ومنهم الحبيب الصادق في وجهته، الحريص على هداية أهل جهته، والمقبل على مولاه بكليته، سالم بن عيدروس العيدروس، ساكن بندر المكلا، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قرأ على صاحب المناقب رضوان الله عليه في «صحيح البخاري»، واستجازه في «راتب سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس»، فأجازه فيه. قال المترجم: «وكان الحبيب سالم المذكور كثير الاهتمام بأمور المسلمين، فلا يزال يتوجع لهم، ويدعو لهم،

وكان معه محل خارج المكلا للخلوة، طلب من صاحب المناقب أن يخرج معه إليه، فلما وصلوا هناك، أبدى على صاحب المناقب ما يظهر له من كشفٍ. وما يلقاه في سلوكه من التجليات، فأقره على ذلك».



ومما لا يحسن إهماله هنا، ما رواه المترجِم عن صاحب المناقب رضوان الله عليه: أنه جاء مرة إلى المكلا، وقد انتشر فيها ألم الطاعون، والعياذ بالله، وكثر الموت في سكانها. فاجتمع فيها بالحبيب الغيور علوي بن عبدالرحمن بن سميط، وكان مقيمًا بها في تلك المدة. فأخبر صاحب المناقب: بأن المكلا ما تخلو من الخنا، والمجاهرة بالمعاصي، وكان المستولي عليها في ذلك الوقت: النقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي اليافعي، وهو من المحبين لأهل بيت الرسالة، الموفقين لفعل الخير.

فاستدعاه صاحب المناقب، وأخبره بما قاله أهل العلم، من أنه لا ينزل بلاء إلا بذنبٍ، ولا يرتفع إلا بتوبةٍ، وساعد الحبيب علوي المذكور صاحب المناقب على ذلك، فأخذها الوالي المذكور بقوة، وألقى القبض على أهل المعاصي بيد من حديد، ثم أمره صاحب المناقب بأن يأمر الناس بالتوبة، وصيام ثلاثة أيام، ففعل وامتثلوا أمره، فارتفع عنهم الوباء في الحال، بإذن محول الأحوال، وبركة المرشدين المخلصين لله في الأقوال والأفعال.

[الحبيب مهدي بن محسن الحامد
المتوفى سنة 1315هـ]

ومنهم الحبيب الآخذ بالعزائم، الزاهد العالم، والذي لم تأخذه في الله لومة لائم، مهدي بن محسن بن أبي بكر بن علي بن عبدالله بن سالم بن عمر بن الحامد بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم. وليد بلد أحور، عاصمة العوالق السفلى، ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قصد صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى بلده عمْد، واعتكف بين يديه مدةً طويلة على طلب العلم الشريف، حتى تضلع من كل فن منيف، وتحكم لصاحب المناقب، ولبس منه، وصار صاحب المناقب يعده من أولاد روحه.

قال المترجِم وفارس الميدان المتقدم: «والحبيب مهدي المذكور هو من ذرية الحبيب علي بن عبدالله، أخو الحبيب صالح بن عبدالله الحامد، شهير بلدنا عمد.

وكان من أمرهم: أن الحبيب صالح الحامد المذكور، زوج أبابكر ابن أخيه علي المذكور، بابنته الشريفة الصالحة العابدة علوية. فلما دخل بها، قالت له: لو كانت لي رغبة في الزواج لم أرغب في سواك، لأنك ابن عمي، وأحق الناس بذلك، ولكني في حال آخر. ثم قامت إلى مصلاها للتهجد، فتركها وشأنها. فلما أصبح أخبر عمه صالحاً بذلك، فقال: وأنا لا أشق عليها. ورد على ابن أخيه كل ما ساقه إليهم من صداقٍ، فلم يقبله. وقال: هو هبة مني لها.

وتوجه إلى بلد أحور، وتزوج فيها، وله بها الآن ذرية مباركة، لهم بها جاهٌ ووجاهة. ومنهم الحبيب الصفوة، مهدي المذكور»، انتهى.

قلتُ: وقد تقدمت هذه القصة في (الباب الثاني) من «تاجنا» هذا، عند قول الشريفة علوية المذكورة: يا صالح بن عبدالله الكبير والصغير، تعني أباها وصاحبَ المناقب.

رجعنا حولَ أخذ الحبيب مهدي المذكور، وسعيه المشكور، من رواية مترجمنا يعسوب الجمهور. قال: «وقد انطوى هذا المريد في شيخه، كما أن شيخه قد اغتبط به، ولا يعزب عن بال القارئ ما تقدم في ترجمة الحبيب محمد بن صالح الحامد من (هذا الباب): أن صاحب المناقب كان يعدّه هو والحبيب مهدي المذكور، من أولاد روحه، لما عرفه فيهما من صفات الكمال، وحسن القبول والإقبال.

وكان الحبيب مهدي المذكور، قد تفقه على الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، بالمسيلة. ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وصار يكاتب صاحب المناقب بمكاتباتٍ كلها شوق وذوق. فكان صاحب المناقب يطرب لها، ويتعجب، ويعجب الحاضرين منها. ثم أخذ صاحب الترجمة عن علماء الحرمين واليمن، ورجع إلى بلده أحور، ونشر بها الدعوة العامة إلى الله، وحصل به النفع العام، كما أنه جد واجتهد في إصلاح ذات البين، وكان له ميل قلبي إلى الطاعة، وقوة إرادة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن صدقه مع الله في ذلك، رزقه الله القبول التام، والجاه الواسع العام، حتى لحق بدار السلام.

وفي «شجرة أنساب السادة بني علوي» ما نصه: «مهدي بن محسن. كان سيدًا فاضلًا، جليلًا حفيلًا، متواضعًا عالمًا، له جاه وحشمة. طلب العلم بحضرموت، ورجعَ وتوفي بأحور، لثلاث عشرة مضت من شعبان، سنة خمسة عشر وثلاثمائة وألف».



[الشيخ محمد بن علي بلخيور
المتوفى سنة 1338هـ]

ومنهم الشيخ سيبويه زمانه، وابن حجر عصره وأوانه، والمشار إليه بالبنان بين أشياخه وأقرانه، محمد بن علي بن أحمد بلخيور، وليد أم القرى، وخريج مسجدها الحرام، وأحد مدرسيه، وإمام مقام إبراهيم، ودفين حوطة أهل البيت بمعلاة مكة، وأصيل بلد الهجرين بحضرموت، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الفردوس الأعلى متقلبه ومثواه، وجمعني في مستقر رحمته، ودار كرامته وإياه.

وهو شيخ فتحي، وزند قدحي، ومربي جسدي وروحي، أول من تلمذت بحلاوة العلم بين يديه، ولازمت درسه بالمسجد الحرام، وعكفت عليه مدة مجاورتي بأم القرى، من فاتحة عام ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف، إلى فاتحة سنة ثلاث وثلاثين هجرية. وكنت أنا المقرئ والمعيد في حلقة درسِه، وعلى ما يقول مجنون ليلى:

.... يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهْمُ



على أن شيخنا صاحب الترجمة، هو المشار إليه في ذلك الجيل، يقول الباري جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾. فإن تأخر زمنه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، فقد تقدم حظه.

فكان أخذُه وروايته عن صاحب المناقب بواسطة أشياخه. تربى صاحب الترجمة بوالده العابد الزاهد، الواقف نفسه على قضاء حاجات الأرامل والضعفاء، الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً.

وتهذب وتخرج بخاله العلامة النحرير، أحمد بن سالم بابصيل، بالمسجد الحرام. وله مع خاله في تهذيبه عجائب وغرائب، كان يحدثني بها. قال: مرةً أرسلني سيدي الشيخ عمر باجنيد إلى خالي، وقال لي: قل له يسلم عليك عمر، ويقول لك تفضل بكرة عنده للعشاء. فذهبت إلى خالي، وأنا أدرس كلام الشيخ عمر، وأخبرت خالي به حرفيًا، فلطمني على خدي، وقال: سلّم مني على الشيخ عمر، وقل له: أحسِنْ، أي بصيغة الأمر. فرجعتُ إلى الشيخ عمر، وأخبرته بما كان بيني وبين خالي، فعرف الشيخ عمر النكتة في ذلك، ثم قال: يا ولدي، إن من الآداب المشتركة بين الناس، أن يتواضع القائل ويعظمُه الناقل، انتهى.

وقوله «أحسِنْ» أي: أحسن أدبَه. فواجبه أن يقول: «الشيخ عمر».

قلتُ: وبهذه المناسبة تذكرتُ الآن ما وقع لي بحضرة سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، أيام قراءتي عليه، وخدمتي له، ببلدنا حريضة. أنه أمرني يومًا أن أكتب له رسالةً منه إلى سيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي، إلى بلده سيوون، بعد أن أخبرني بالمقصود، فكتبتها وقراءتها عليه، فقال: اختمها بالإمضاء «من الفقير إلى عفو الله، أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس».

ثم أمرني في اليوم الثالث، أن أكتب رسالة لبعض قبائل الجعدة إلى وادي عمد، في مسألة تتعلق بإصلاح ذات البين، فكتبتها، وختمها بالإمضاء الذي علمنيه بالأمس، ولم أستشره في ذلكَ، فلما قرأتها عليه، ضحكَ. ثم قال: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم**». فلو خاطبنا مثل هؤلاء الناس بهذا الخطاب، لما صلح أمرهم. ثم قال لي: بدّل الرسالة، واجعل الإمضاء «من الداعي لكم بكل خير، المنصب أحمد بن حسن العطاس»، انتهى.

قلتُ: وهنا يتراءى لي، أن القارئ يتلفتُ تارةً، ويذكر أخرى، للشطر الأول من بيت مجنون ليلى فدونه البيان ليهدي خاطره:

تعشقتُ ليلى وهي ذاتُ ذوائبٍ ولم يبدُ للأترابِ من نحْرها حجْمُ

صغيرَينِ نرْعَى البهْمَ يا ليت أننا إلى اليوم لم نكْبُر ولم تكبُرِ البهْمُ

وبما أن الأقوال قد طالت وقصرت، في شرح حال هذين الحبيبين النزيهين، سنقتصر من ذلك كله على القول الفصل، والمعنى الجزل. قال الشيخ العارف بالله عمر بامخرمة، المتقدم ذكره في (الباب الخامس) من «تاجنا» هذا:

عذْب مَالي وللعاذلْ محنِّي بعذْلِهْ

ويْش يبغا بعَذْلي ماتَه الله بغِلّهْ

بالله إن جيْت عنده يا ابْن حمدان قُل لهْ

خَلّ بامخرمه يا جَامِدَ الطبع خَلّهْ

خلّه اِنْ قيس ليلىٰ كان مجنُونْ قبلهْ

فارَقَ الناس واستبدلْ بعزّتِه ذلّهْ

راحَ يرْعَىٰ الظّبَا وأهله يريدُونْ قتْلهْ

قالوا اِنّه فضَح ليلىٰ بقولِه وفعلِهْ

ما حَسَبهم ولا قلّبْ صفاتِه ودلّهْ

لا ولا رَوّعوه أجوادهُم والمذلّهْ

ما هو اِلاّ ورَىٰ ليلىٰ بطَارِه وطبلِهْ

يـا الله ارحمْـهُ واحمـلْ عنـه خفّـه وثقلِـهْ

لا تؤاخِـــذْه يـــا ربّ البريـــة بزَلّـــهْ

واَلـقِ لـه هـو وليلـئ في جنانِـكْ محلّـهْ

فـاِنّهم عـاملوا بالصّـدْق في كـل خصْـلِهْ

أخلصـوا في الهـوئ يـا الله ولا جَـوا بخَلّـهْ

في هَـواهم وقـد مـاتَوا علـئ خيـر ملّـهْ

فـاَعْطِهم يـا كـريم الوجْـه عطـواتْ جزلـهْ

[شيوخ صاحب الترجمة]

رجعنا إلى سند شيخنا صاحب الترجمة، ويتيمة أطوار «تاجنا» هذا خاتمة ومقدمة، ودستور يا أهل النور، في تكريم من تجب عليَّ له زيادة التكرمة.

قرأ شيخنا المذكور على خاله المشهور، فنونًا جمة، فنبغ فيها نبوغ مشاهيرها من الأئمة، حتى ألقت إليه أقرانه في ذلك الأزمة، واعتكف في حلقة درس الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، عشرات السنين، وتردد في تلك المدة على مفتي الشافعية بمكة المحمية، الحبيب حسين بن محمد الحبشي. فهؤلاء الثلاثة هم عمدة أشياخه، ومعتزي روايته. كما أنه حظى بالمثول بين يدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، في حجة وداعه، وختم معارفه عليه قراءةً وإجازةً وإلباسًا. ثم كثرت معلوماته، وارتفع شأنه، فصار المقرئ الوحيد في حلقة درس شيخ الإسلام، الشيخ محمد سعيد بابصيل، بالمسجد الحرام، التي يحضرها علماء المذاهب الأربعة، تفسيرًا وحديثًا، لأنه حسَنُ الصوت، جيد الضبطِ، لغةً ونحوًا ومصطلحًا.

ولصاحب الترجمة أيضًا صِلاتٌ ومواصلاتٌ كثيرة بحُمّال الشريعة ونواب الحقيقة. وقد رأيتُ بعيني، وسمعت بأذني، أكثر مما حدثني، أنه لقي الكثير الطيب من أهل بيت الرسالة، لا سيما علويين حضرموت. كما أنه اجتمع بالجم الغفير من علماء الآفاق، الواردين إلى حج بيت الله الحرام، العامَ بعد العام، غير أنه كان لا يزيد في أخذه عنهم، ولا في إلقائه عليهم، على قراءة الفاتحة على نية طالبها، ويقول: إنها الكافية الوافية بالمقصود. **قلتُ:** وهذه هي طريقة الملامتية، أهل الورع في هذا الشأن.

[تعيينه مدرسًا في الحرم وإمامًا للمقام]

وفي أثناء سيره وسلوكه، أذنت له مشيخة الإسلام، في التدريس بالمسجد الحرام، وعينته إمامًا لمقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. فانتصب للتدريس في مختلف الفنون، وصار أشياخه به يفتخرون، ولا عيب فيه إلا أنه لا يبيع نقدًا بدين، ولا يطلب أثرًا بعد عين، فكان لا يثبت في حلقة درسه إلا المحصلون، لأنه كان يناقش الطلبة في كل عبارةٍ، مبنى ومعنى، الواحد منهم بعد الواحد. أما الطلبة الذين لا يهمهم سوى حمل المحفظة الضخمة، وأسماء الكتب الكبيرة، فما أسرع ما ينكصُون على أعقابهم.

وكان من عادته: أنه إذا وجه سؤالًا لأحد الطلبة، فأخذ آخر يعينه على الجواب، يقول للمتعرّض: نشكرك على عطفك على أخيك، إلا أنه الآن جالس على السجادة بغاية الراحة، فعساك أن لا تنس عطفك هذا عليه، إذا رأيته يحمل شيئًا ثقيلًا في السوق.



[طرفة الشيخ والتركي]

ومن نكته في الدرس: أنه كان يقرر لنا درسًا في فن الفقه، فاعترضت المسائل

المستثناة من مذهب إمامنا الشافعي القديم، وأنها المعمول بها، وعليها المعول في الجديد. فعدّها علينا تسع عشر مسألةً، ثم استعادها منا الواحدَ بعد الواحد، كعادته. فجعلنا نتلكلكُ في عدها، وهو يحتد علينا.

فجلس إلى جانبه رجل تركي، وجعل يخاطب الشيخ بلغة الترك، وكان الشيخ لا يعرف شيئًا منها. فقال للتركي برفْع صوتٍ: رُح عنا يا شيخ، نحن ما قدرنا نتفاهم مع العرب، كيف إلا العجَم!. فضحكنا، وضحك الشيخ والتركي، وكانت كلمته هذه مسْلاةً للجميع.



[طرفة تلميذه الذي طلق زوجته]

ومنها أنه كان يومًا يقرر لنا درس النحو، في (باب النداء)، فألقى هذا البيت:

يا أبجَر ابن أبْجَرٍ يا أنْتَ ... أنتَ الذي طلقْتَ عام جعتَ

على أحدِ الطلبة. وكان ذلك الطالب قد طلق زوجته بالأمس، ولم يكن الشيخُ عالمًا بذلك. فضحكنا، فتفطن لذلك الشيخ، وقال: عسى أن لا يكون الكلام صدقًا!. فقال له الطالب، وكان ذكيًا: بلى يا سيدي، ولكن ليس من الجوع، وإنما ذلك على حد قول الآخر:

أطوِّفُ ما أطوِّفُ ثم آوي ... إلى بيتٍ قعيدتُه لكَاعِ

وتعطل الدرسُ في ذلك اليوم من كثرة البسطّ. و«لكَاعِ» من الأسماء المبنية على الكسْر، كحَذامِ، وقطامِ.

قلتُ: والنحاة يستشهدون بالبيت الأول في منع نداء الضمير، ويقولون: «يا» للتنبيه، و«أنت» مبتدأ مؤكدٌ بالثاني، و«الذي» خبرُه، انتهى.

وعلى ذكر تلك المسائل، وبما يتطلع إلى عدّها سائل. **فنقول:** قال الحبيب العلامة المحقق، علوي بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف، مؤلف «ترشيح المستفيدين على فتح المعين»، في كتابه «الفوائد المكية»، نقلاً عن العلامة الكردي من «الفوائد المدنية»:

«وقد نظمها بعضهم في قوله:

مسائلُ الفتوىٰ بقول الأقدَمِ ... هي للإمام الشافعيِّ الأعظمِ

لا ينجسُ الجاري، ومنع تباعُدٍ ... والطهرُ لم ينقَضْ بلمْسِ المحرَمِ

واستجمرَنْ بمُجَاوزٍ عن مخرجٍ ... للصفْحَتين ولو تلوّث بالدمِ

والوقتَ مُدَّ إلىٰ مغيب لمغربٍ ... ثوّبْ بصبحٍ، والعشاءَ فقدّمِ

لا تأتينّ في الأخير بسُورةٍ ... والاقتداءُ يجوز بعد تحرّمِ

والجهرُ بالتأمين سُنَّ لمقتَدٍ ... والخطّ بين يدي مصَلٍّ علّمِ

والظفْرُ يكرَهُ أخذهُ من ميّتٍ ... وكذا الركَازُ نصابه لم يلزَمِ

ويصحّ عن ميتٍ صيامُ وليّه ... ويجوز شرطُ تحللٍ للمحْرمِ

ويجوزُ إجبار الشريكِ علىٰ البِنا ... وعلىٰ عمارةِ كُلّ ما لا يقسَمِ

والزوجُ إن يكُنِ الصداقُ بيده ... فضمانُ يدٍّ حكمُه في المغرَمِ

والجلدُ بعد الدبغ يحرمُ أكلهُ ... والحدّ في وطء الرقيق المحرمِ

انتهى نقل المسائل، التي اعترضت بين المقاصد والوسائل. **ونعود** منها إلى سيرة شيخنا حلو الشمائل.

فقد كان عابدًا، زاهدًا في الدنيا وأهلها، فانيًا في المطالعة ليلًا ونهارًا، يعلق الدرس في ذهنه، فيلقيه أولًا على الطلبة جملًا جملًا، ثم يفصله تفصيلًا، ثم يعيده مجملًا، حتى إن الطالب يحسّ من نفسه كأنه قد تلقى شيئًا محسوسًا.

كما أن صاحب الترجمة كان يحشّي كتبه كلها بتتميم قيودِ المسائل، وتوفير الشواهد والدلائل. وكثيرًا ما يتمثل عند ذلك بقول الزمخشري[1]:

سهَري لتنقيح العلُوم ألذّ لي ... من وَصْل غانيةٍ وطيْبِ عنَاقِ

وتمايلي طربًا لحلّ عويصَةٍ ... أحْلَى وأهنا من مُدامةِ سَاقِ

وصَريرُ أقلامي على صفَحاتها ... أشْهَى من الدوكاءِ للعُشّاق

وكانت فسحته من دروسه الرسمية، ونزهته من وظائفه التي بمقام إبراهيم اليومية، التنقلَ من «ديوان الشيخ عمر بن الفارض المصري»، إلى «ديوان الشيخ عبدالهادي السودي اليمني»، والتعريج بينهما على «ديوان الشيخ عبد الرحيم البرعي اليمني»، حتى أنه كاد يحفظ الجميع شوقًا وذوقًا. وكان إذا تناول «ديوان البرعي»، يستشهد منه بهذين البيتين، قبل أن يفتحه:

قسمًا بالبيتِ والركْنِ الذي ... طابَ تقبيلًا ومسحًا والتزامًا

إن في طيبة قَومًا جارُهم ... في محل النجْم يعلو أن يُسَامىٰ

كما أنه كان يحفظ «رائية الحبيب عبدالله الحداد الكبرى»، التي مطلعها:

لكَ الخيرُ حدّثني بظبيةِ عَامرِ ... وما حَالُها من بعْدِنا يا مُسَامِري

---

[1] والبعض ينسبها للإمام الشافعي، رَحِمَهُ اللهُ، اهـ (مصحح).

وإذا أنشدَها في مكانٍ، تُرى منه الكعبة المعظمة، يشير إليها بيده الكريمة.

كما أنه يحب أن يسمع «ديوان بامخرمة»، من مواليد حضرموت، ولا يقدر هو على قراءته، لكونه فطر على العربية الفصحى، وكثيرًا ما يقول: إني أتمنى الخروج إلى حضرموت لزيارة من بها من الصالحين، ولأجل أتمكن من قراءة «ديوان بامخرمة».

وأما مذاكرته العلمية، فكلها من «الوصية المرضية والعطية الهنية»، لسيدنا الإمام علي بن حسن العطاس، لأنه يحفظها عن ظهر قلب. وله صناعة فنية في شرح جملها، من الجهة الوعظية.

وكان يوظفني بقراءة «مقامات الحريري» عليه، أيام تعطيل الدرس، لاسيما إذا خرج بالطلبة إلى خارج البلد، للنزهة المعروفة عند أهل الحرمين بالقيلة، تارةً إلى جبل أبي قبيس، وأخرى إلى الشهداء، ويومًا إلى المصَافي. ويكون ذلك الغالبُ يوم الثلاثاء. وكان من عادته إذا ناولني النسخة، يقول لي: إيش قال جارالله؟ يعني الزمخشريّ، فأنشِد عند ذلك قوله في مدح «المقامات»:

أقسـمُ بـالله وأبياتِـه ... ومشـعر الحـج وميقاتِـه

أن الحريـريَّ حـريٌ بِـأنْ ... نكتُـبَ بـالتبر مقاماتِـه

معجـزةٌ تعجِـز كـل الـورَىٰ ... ولـو سـرَوا في ضـوء مشْـكاتِه

ومرةً تذاكرتُ مع بعض الإخوان من طلبة العلم، أهل اليمن، في شأن «المقامات»، فأنشدني أبياتًا للشيخ الزمري في مدحها. فلما أنشدتها شيخنا صاحب

الترجمة، فرح بها، وأمرني بكتابتها على نسخته. وأهدى لي «العقد الفريد»، كانت عنده منه نسخةٌ طابع ميري، جميلة الشكل، وقد طلبتُها منه مراتٍ، فيكون جوابه عليَّ: «إياكَ واسم العامرية».

قلتُ: وجوابه هذا، هو مأخوذ من قول الشاعر:

إيــاك واســمُ العامريّــة إنّنــي	أغَــارُ عليهــا مــن فــمِ المــتكلّمِ
أغــارُ عليهــا مــن أبيهــا وأمّهــا	ومــن لاحــة المســواكِ إذ لاحَ في الفَــمِ

وأما أبيات الزمري المشار إليها فهي هذه:

أحــبّ «مقامــاتِ الحريــري» لأنهــا	لـدىٰ مسْـمَعي أحلىٰ مـن المـنّ والسـلوىٰ
ولســتُ بهــذا القــول أولَ قائــلٍ	برئـتُ إلـىٰ الـرحمنِ مـن كـذبِ الـدعْوَىٰ
فقـد قـال قبلـي ابـنُ العُجيـل لصـحبِه	بغيـر تحـاشٍ: هـذه طبـق الحلـوَىٰ

[إمامته في مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ]

عدنا إلى سيرة شيخنا صاحب الترجمة، وشمائله المنسجمة. فقد كان حافظًا مجودًا لكتاب الله حسن الصوت، فكان أئمة الشافعية بمقام إبراهيم، يخصصونه بإمامة صلاة الصبح من يوم الجمعة، لا سيما أيام الحج، وامتلاء المسجد الحرام بعلماء الآفاق، فكان يقرأ فيها بسورة ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾، عملاً بالسنة، مع حضور وخشوع، وإتمام السجود والركوع، وهناك ترى المصلين خلفه بعد الصلاة يتهافتون على مصافحته، ويتبركون بلمس سجادته وسبحته، ويقول ذو القلب السليم: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾.

قلتُ: ومن كرامته على مولاه، أن جعله من سعداء الدارين، الذين نسمع بهم وقلّ أن نراهم، لوقوعه بين شيخ الإسلام، الشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ عمر باجنيد، في الأمور العامة التي تتعلق بالمظاهر العلمية، والمخاطبات الرسمية، مشافهةً ومراسلةً. وبين والده وعمه عبدالله في الأمور الخاصة، التي تتعلق بالشئون المنزلية.

فهو من المخدومين، الكرام على رب العالمين، الذين خلقهم للعلم والعمل. فلا أكون مبالغًا إذا قلتُ: إن حياته تشبه حياة الملائكة المقربين، منذ طفوليته حتى أتاه اليقين. وفي الحديث الشريف: «**إن لله عبادًا يحييهم في عافية ويميتهم في عافية**»[1].

[إجازة المؤلف من صاحب الترجمة]

وقد أجازني شيخنا صاحب الترجمة، وألبسني، ودعا لي. وهذا نص إجازته، بخط يده الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدلله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وفضله على سائر المخلوقين بالعلم والتبيان. والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والعلم والعرفان، وعلى التابعين لهم بإحسان، في كل وقت وأوان، ما تعاقب الملَوان، وأضاء النيران.

أما بعد، فإن العلمَ أعلى ما يتنافس فيه المتنافسون، وأغلى ما ينفق فيه هممهم الطالبون، لقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾، ولقوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، مبيناً ذلك أتم تبيين: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

(1) رواه الطبراني وأبونعيم وغيرهما.

فكان الاشتغال به من أهم المهمات، وأفضل القربات، والعكوف على ساحاته موصلٌ إلى القرب من رب البريات. وكان ممن اشتغل به من ذوي الفهوم، ونال المنطوق منه والمفهوم، الحبيب علي بن حسين العطاس، حفظه الله من كل سوء وبأس، وجعله من العلماء العاملين، بجاه سيد الأولين والآخرين.

فطلب مني الإجازةَ، مع أني لست أهلًا لذلك، ولا ممن يسلك هذه المسالك، لأني مفلس ذو تقصير، ولا أعد في العير ولا في النفير. فأجبته إلى ذلك، إسعافًا لمرغوبه، ومسارعة لمطلوبه، وعلى الله الاعتماد، في المبدأ والمعاد.

فأقول: إني أجزت الحبيب عليًّا المذكور، في كل ما تصح لي روايته، وما تلقيته من مشايخي، سابقًا ولاحقًا، إجازة عامةً. وأوصيه بتقوى الله في السر والإعلان، والتعلم والتعليم في كل وقت وأوان، وأن لا ينساني من صالح دعواته، في خلواته وجلواته.

قاله بلسانه، ورقمه ببنانه، أسير الشهوات

راجي عفو ربه الغفور، خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام

الحقير محمد بن علي بلخيور

وكان ذلك في اليوم السابع عشر من محرم الحرام

سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألفٍ من هجرة سيد المرسلين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين».



وفي آخر مكتوبٍ لي منه من مكة إلى بلدي حريضة، بسط لي فيه بساط البسط، وبشرني ببشارات، أرجو الله تمامها، بجاهه على الله، واعتقادي فيه أنه من أكرم الخلق على مولاه، وسأقتصر من كتابه الكريم، بعد بسم الله الرحمن الرحيم، على أبيات صدره بها وهذا منها:

سـلامٌ علـيكُم يـا أهيـل المـودّةِ ... وأهـل الوفـا والحـقّ في كـل سـيرَةِ

سـلامٌ علـيكم كيـف أنـتم وهـل لكـم ... مُقـامٌ علـىٰ تلـكَ العهُـود القديمَـةِ

سـلامٌ علـيكم هـل نسـيتُمْ ربوعَنـا ... وأيامَنـا في دَرْسِ علـمٍ وحكمَـةِ

ألا هـلْ يعـود الوصْـلُ والبـين ينجَلـي ... ويجمـعُ شـمل الشـمْلِ في خيـر هَيئـةِ

سـلامٌ علـيكم كـل حـينٍ مؤبـدٌ ... وإكْـرام إكـرامٍ وأزكَـىٰ تحيـةِ

غير أنه ويا للأسف، أني لما حججتُ سابع حجةٍ، وكانت حجة الجمعة، وعززتها بزيارة الشفيع الأعظم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، كان ذلك بعد وفاة شيخنا صاحب الترجمة وأقرانه، ولم يبق شيء في الحرمين الشريفين مما ذكرته في تراجمهم، من نشر العلم، وحرية المذاهب الأربعة، وذلك بعد استيلاء النجديين على الحجاز، فكان وِرْدي في تلك الأيام على حد قول الشاعر:

كـأن لـم يكُـن بـين الحجُـونِ إلـىٰ الصّـفا ... أنـيسٌ ولـم يسـمُر بمكّـة سَـامرُ

ومن حكمه البالغة، التي أعانتني على معاشرة أهل الزمان، خصوصًا الأصحاب والإخوان، فلم يكثر سوء التفاهم بيني وبينهم، أني كلما شكوت عليه من أحد منهم، يقول لي: يا ابني، إن أهل الزمان مثل الأزهار على اختلاف ألوانها، انظرها وشمّ رائحتها من بعيد، وإياك أن تتكئ عليها بيدك، فإنها تضمحلّ.

إشارة منه إلى عدم الاعتماد عليهم، فرضي الله عنه وأرضاه، وجعل الفردوس الأعلى متقلبه ومثواه، بمنه وكرمه.

وكانت وفاة شيخنا صاحب الترجمة، الشيخ محمد بلخيور المذكور، بمكة المحمية، لخمس عشرة مضت من شهر شعبان، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، ودفن في حوطة أهل البيت بمعلاة مكة، لأنه سلمان أهل البيت، فجزاه الله عنا أفضل ما جازى به المبلغين الناصحين، وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين، ونفعنا بعلومه و بركاته وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.



[ترجمته بقلم عمر عبدالجبار]

ولنختم ترجمته بشيء مما ترجمه به الأستاذ عمر عبدالجبار، في كتابه المسمى «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، حيث يقول:

«الشيخ محمد علي بلخيور. ولد عام خمس وثمانين ومائتين وألف هجرية، وتوفي عام ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.

تلقى علومه عن المشايخ أسعد دهان، وصالح بافضل، وعمر باجنيد، ومحمد سعيد بابصيل. من ذا الذي كان يتردد على المسجد عند باب الداوودية، من شيوخ هذا الزمن، ولا يعرف الشيخ محمد علي بلخيور، العالم العامل، التقي الورع الزاهد، القائم لا رياءً ونفاقًا طلبا لجاهٍ أو منصب، بل ابتغاء رضوان الله ومغفرته، لا يقعده عسرٌ، ولا يثبط نشاطه فقر، حياة كلها رضاء وصبر، واستسلام وقناعة واطمئنان.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعقد حلقته بعد صلاة العصر أمام باب الداوودية، وكان له خلوة بها، يعتكف فيها، ويطالع دروسه التي يتلقاها ويلقيها، على مصباح ضعيف الضوء.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسمر اللون، نحيف البنية، طويل القامة، ذا لحية خفيفة، يبدو من خلالها روح الصلاح، وكان صوته يتناسب مع نُحله، فلا يتعدى حلقته الصغيرة، التي

لا يتجاوز عدد طلابها أصابع اليدين، وكان كل طالب مقبلًا على درس الشيخ، منتفعًا بعلمه. وكان بقربه في باب العمرة حلقات درس الشيخ مشتاق أحمد، والشيخ عبدالله مغربي، أحد قضاة هذا العهد، والسيد أمين كتبي، والد السيد محمد أمين، كل واحد منهم يدرس المادةَ المختص فيها.



جلستُ أستمع إلى درسه، وكان موضوعه في النهي عن الحسد، فسمعته يقول: الحسدُ داء وبيل، ومرض قاتل، وعداوة لله المنعم المتفضل على عبده المحسود، ولذلك أمر الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستعاذة من الحاسد، كما أمره بالاستعاذة من الشياطين، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد**»، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانًا**». والحسود يشعر بضيق في صدره، وكراهية للنعمة التي أنعم الله بها على عبد من عباده، في دينه أو دنياه، فيتمنى زوالها عنه، وإن لم تصبه، وذلك منتهى الخبث.

فمن وجد في نفسه شيئًا من هذا الحسد لأحد من المسلمين، فعليه أن يكرهه ويخفيه، ولا يظهره بقول ولا فعل، لعله ينجو بذلك من شره. وفي الحديث: «**ثلاث لا يخلو منهن أحدٌ: الحسَدُ والظنُّ، والطيرة. أفلا أنبئكم المخرجَ من ذلك! إذا حسدْتَ فلا تبغِ، وإذا ظننْتَ فلا تحقّق، وإذا تطيرت فامْضِ**»[1]. أي لا ترجع بسبب تطيرك. أما الغبطة فهي أن تمنى لنفسك من النعمة التي أنعمَ الله بها على أخيكَ، سواءً إن كانت دينيةً كالعلم والعبادة، أو دنيويةً كالمال والجاه المباح، فإن تلك خصلةٌ جائزة محمودة.

---

(1) أخرجه الطبراني في «الكبير»، من حديث حارثة بن النعمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

واستمر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يعظ ويرشد إلى الخير وسبله، في سكينة ووقارٍ وإخلاصٍ، دون تلميح أو تعريض بأحد. رحم الله الشيخ محمد علي بلخيور، فقد عاش في زمن لم يصل فيه الحسد إلى الدرجة التي وصل إليها في هذا الزمن.

فإذا كان الحسد في زمنه مجرد تمني زوال النعمة من المحسود، فقد فتك الحسد في زمننا بالنفوس، وران على القلوب، وأصبح الحاسد يضمر في نفسه الشر والكُرْهَ للمحسود، فلا يترك فرصة للغدر، وإلحاق الضرر به، إلا وسلكها. ولو أدى ذلك إلى قتل المحسود وهلاكه، أو إفلاسه، والقضاء على مستقبله ومستقبل أسرته.

لقد أصبحنا في زمن يرى كل واحد نفسَه أحقّ، وأجدر، وأكفأ من غيره، ويتمنى أن يكون المتقدم عليه، والمشار إليه، وأنه يتقن ما لا يتقنه غيره، ويحسن ما لا يحسنه، ويقدر على ما لا يقدر عليه غيره. فيغتصب صاحب الحق حقّه، ويشوش حسن عمله، ليكون هو كل شيء، والمنسوب إليه كل عمل.

ولو تأملت عمله، وما يصدر عنه، تظهر لك أنانيته بجانب قبح سيرته، وسوء سريرته، وضعف إيمانه وخلقه، وأنه سرطانٌ يعمل في جسم الأمة ليقضي عليها، وأفعى سامة يلذّ لها امتصاص دم النشاط من كل مجدٍّ مخلصٍ أمين نشيطٍ، ليخلو له الجو، فيهدم ويخرب، وقانا الله شر الحاسدين، وكيد الكائدين، ورد كيدهم في نحورهم»، انتهى المراد من كلام الأستاذ عمر عبدالجبار، وبه انتهت الترجمة.

[الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد المتوفى سنة 1354هـ]

ومنهم شيخ مشايخ العصر، وغرة جبين الدهر، وسلمان أهل بيت الرسالة ولا فخر، عمر بن أبي بكر بن عبدالله باجنيد. وليد بلاد الماء، من دوعن الأيمن بحضرموت، ودفين حوطة أهل البيت بمعلاة مكة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. له الأخذ التام، والمدد الخاص والعام، من صاحب المناقب رضوان الله عليه، بواسطة أشياخه. ومن أجلهم الحبيب أحمد بن حسن العطاس.

ولد شيخنا صاحب الترجمة، في حدود سنة السبعين بعد المائتين والألف هجرية، وفي اليوم الثاني من ولادته توفيت والدته من أثر الولادة، فألقى الله عليه محبة يوسفية، فتداولته نساء تلك القرية لإرضاعه، حتى ترعرع وشبّ على أكمل خلق، وأحسن خلق. ولهذا كان كثيرًا ما يقول في أثناء درس الفقه، إذا بلغ عند قول الفقهاء: «وإذا اجتمعن نساء محصورات وفيهن محرم لم ينكح شيئًا منهن»، وأنا إذا قدر الله لي الرجوع إلى بلدي، فإني لا أستطيع التزوج فيها، لأن تلك المرأة لابدّ وأن تكون أمًا أو أختًا أو بنت أخ أو بنت أخت، انتهى. قلتُ: والمحصورات في عرف الفقهاء من الثنتين، إلى العشرين، إلى المائة، على ما في «التحفة» و«النهاية».



رجعنا إلى سلوك شيخنا مبارك الطلعة، وميمون النزعة.

وبعد أن ختم القرآن الحكيم سافر به والده مع شقيقه عبدالله إلى الحرمين الشريفين، وكان والدهما قليلَ المال، وقد بلغ سن الشيخوخة، وكانت له سابقةٌ بتعاطي الحرمين، وأسباب التجارة بها. فاستأجر دكانًا، أي حانوتًا، في سوق الليل بمكة المحمية، يبيع فيه السمن والفول المطبوخ، كعادة غالب الحضارم.

إلا أنه كان محباً للعلم وأهله، وكان قد أخبر صاحب الترجمة أنه إنما أراد تفريغه لطلب العلم الشريف، وأبى صاحبُ الترجمة إلا أن يساعد والده في الدكان، لما يراه من كبر سنه، وعدم المساعد، وطال بينهما احتجاج الشفقة والحنانة من الجانبين. فقال والده: لا بأس. وجعل وظيفته أن يأتيه بالعيش، أي الخبز، من الفرن، لبعده عن الدكان. فقبل صاحب الترجمة ذلك، واستمر على ذلك سنوات، يأتي به على رأسه بُعَيد الفجر يومياً، ثم يتوجه إلى المسجد الحرام.

وكانت أول وجهته إلى حفظ القرآن الحكيم، وفن القراءات، حتى أتقن ذلك على شيخ فتحه في ذلك، الشيخ علي بن عبدالله الطيب المصري المدني. ثم اعتكف في حلقة شيخ فتوحه، شيخ الإسلام، الشيخ محمد سعيد بابصيل، كما أنه قد أدرك شيخ الإسلام السيد أحمد زيني دحلان، ومفتي الشافعية بمكة المحمية الحبيب حسين بن محمد الحبشي[1]، وأخذ عنهما مباشرةً. وأخذ علم الحديث عن السيد محمد بن جعفر الكتاني المغربي، المحدث الشهير.

ولنبوغ صاحب الترجمة في مختلف الفنون، واتساع معلوماته قبل أوانه، أذنت له مشيخة الإسلام في التدريس بالمسجد الحرام قبل أقرانه، فبرع في حسن أسلوب التقرير وضبط المسائل، واتجهت إليه رغبات طلبة العلم في مختلف الفنون، فصار محط أنظار الطلبة من سائر الأقطار.

ومن حسن أسلوبه في التقرير: أنه يقرأ كل مسألة على حدتها، في نفس واحد، بعبارة مرتلة، ثم يسكت سكتة لطيفة، ثم يعيدها ثانياً كذلك، فيحس الطالب من

---

(1) في الأصل والمطبوع: محمد بن حسين، والصواب ما أثبت نظراً الى طبقة شيوخه المذكورين، اهـ (مصحح).

نفسه أنه قد تناولها بيده، ووضعها وضعًا محكمًا في دماغه، قبل أن يشاغبه الشيخُ بغيرها. علاوة على ماله من النيات الصالحة في تحصيل العلم ونشره.

وله أخذ خاص عن السيد محمد بن عبدالرحمن بن سليمان الأهدل[1] اليمني.

كما أنه في الوقت الأخير لازم الشيخ إبراهيم فُودَه المصري، المقرئ الشهير، بعد أن جاور بمكة، على تحقيق القراءات السبع، وصار صاحب الترجمة يعقد مجلسًا خاصًا في بيته بعد صلاة الجمعة لتجويد القرآن، يحضره نجباء الطلبة، ويترأسه الشيخ إبراهيم المذكور.

وأما السادة العلويون الحسينون الحضرميون، فحدث عن أخذه عنهم، وأخذهم عنه، من غير شرط ولا قيد، فمن فوقَه سنًّا فهو شيخه ومعتقده، ومن هو دونه سنًا فهو تلميذه وإليه مستنده، مفتخرًا بروايته عنهم، مواظبًا على أورادهم، سالكًا لطريقتهم، ومغتبطًا بها، لا يميل إلى غيرها، ولا يطمع أهل الطرائق الأخرى في جلبه إليهم، مع اختلاف مشاربهم، وكثرة ورودهم إلى الحرمين، من كل فج عميق.

مغرمًا بمطالعة كتبهم، حريصًا على حفظ كراماتهم وسيرهم، مشغفًا بـ«ديوان سيدنا الحبيب عبدالله الحداد»، حتى إنه يكاد يحفظه، وعنده منه نسخة خطية، قد أجاد ضبطها بيده الكريمة، ولا ينشد في مجالسه الخاصة إلا به.



مولعًا بقراءة سورة ياسين مع من يحضر عنده في مجالسه الخاصة والعامة، بنية صلاح أمور المسلمين، وقد يكرر قراءتها في المجلس الواحد مرتين أو ثلاثًا، إذا طال

---

(1) هذا الاسم مشكل، لأن المذكور توفي سنة ١٢٥٨هـ ويستحيل أن يدركه المترجم. فالغالب أن المراد أحد اثنين:

١- إما مفتي زبيد، السيد سليمان بن محمد بن عبدالرحمن الأهدل، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ.

٢- أو مفتي المراوعة، السيد محمد بن عبدالرحمن بن عبدالباري الأهدل، المتوفى سنة ١٣٥٢هـ، صاحب (عمدة المفتي والمستفتي). والله أعلم. (المصحح).

المجلس، حتى صارت شعارًا له. وكان بعض الناس إذا رآه مقبلًا، يقول لمن حوله: آنسكم الشيخ عمر وياسين. وعلى ذكر ياسين هنا نذكر ما قاله في شأنها الشيخ المكاشف بأسرار الله عمر با مخرمه:

بـاوزير إن جَفـا جَـافي وجَـا منّـه اَجْنـافْ
أو رمانـا بعَيـب أو غِيْبـه أو قلـةِ إنْصـافْ
قُـل لـه انّـا قـد اَطْلقنـا عصُـوب الـتكلافْ
واعتصَـمنا بجبـار السـماء عنـد الأخْـوافْ
مـا عُـدَدنا وعُـدّتنا علـىٰ اَهْـل التحـراف
غيـر ياسـينْ نقراْهَـا وقـد سـرّهَا كـافْ
وإنْ خطبـت اَو طلبْـت اَوْ شـفت شُـوّافْ
شُفْ بهـا تفتح أبـواب المعُونـه والإسْعاف

قلتُ: وكان شيخنا صاحب الترجمة كثير المدارسة للقرآن الحكيم، مع غيره من الحفاظ، فكانوا يلازمونه حضرًا وسفرًا، حتى أنه لو سافر بأهله إلى المدينة المنورة، أو الطائف، لا يكون عديله في الشقْدَف إلا حافظًا، ولا يفارق التفاسير المطولة، وكتب القرآءات.



[مؤلفاته]

وكانت دروسه في الفقه، محدودةً من «المنهاج» وشروحه، إلى «فتح الوهاب» وحواشيه. إذا أتمها أعادها، وقد خدم هذه الشروح خدمةً جيدةً، خصوصًا «مغني المحتاج»، فقد جمع من كتاباته عليه حاشيةً جديرةً بأن تكتب بماء الذهب، فعسى أن يعتنى بطبعها أحد الموفقين.

[صاحب الترجمة ووظيفة الإفتاء]

وقد أجبره في آخر وقته، أمير مكة الشريف الحسين بن علي، على أن يتولى منصب الإفتاء في مذهب إمامنا الشافعي، فقبل ذلك لتعينه عليه، مع أنه قد عرض عليه بعد وفاة الحبيب حسين بن محمد الحبشي فرده، على أنه قد كان أمين الفتوى في أواخر أيام شيخه الشيخ محمد سعيد المذكور، حين كبرت سنه، وضعفت قواه، كما أن الحبيب حسين الحبشي المذكور لم يقبل وظيفة الإفتاء، إلا بشرط أن يكون صاحب الترجمة عونًا له فيها.

وكان شيخنا صاحب الترجمة لشدة ورعه، ومهارته في العلوم، وعلى الأخص فن الفقه، إذا تفقد السؤال، يكتب تحته: «هكذا قال في كتاب الفلاني في باب الطلاق مثلًا (كذا وكذا)، ومنه يعلم الجواب». فكان الشيخ محمد سعيد يقول: يا سبحان الله، إن الشيخ عمر يتورع حتى من عبارات الفقهاء.



[وفد علماء الحجاز الى صنعاء]

ولاعتماد شيخ الإسلام عليه، عينته مشيخة الحرم المكي في مقدمة الوفد الذي صدر الأمر من إستنبول، من السلطان عبدالحميد، أيام الخلافة الإسلامية في تركيا، بإرساله إلى الإمام يحيى بن محمد حميد الدين باليمن، من فحول علماء الحرمين، وعلى رأس الوفد، فضيلة شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية، لإزالة سوء التفاهم الواقع في اليمن بين الأتراك والإمام يحيى، وقد خصصت لهم الحكومة العثمانية باخرةً تركية، رجالها كلهم مسلمون، تقلهم من ميناء جدة إلى مرساة الحديدة، وشحَنتها بكل ما يريح المسافر، غذاءً وتفكهًا، ولكن

صاحب الترجمة لشدة ورعه واحتياطه، استعد بكمية وافرة من الزاد والأواني، فلم يأكل شيئًا من زاد الباخرة، وأظهر لزملائه أن نفسه لا تميل إلى تلك الأطعمة، فصدقوه في ذلك، ولكنهم عرفوا مغزاه، حينما وزعت عليهم الحكومة الذهب الأحمر لمعاشهم، وامتنع هو من أخذه.

وكان صاحب الترجمة حساسًا صرفًا بجميع إدراكاته، حليمًا محضًا في سائر حركاته، إذا رأى أو سمع بما يكرهه من معاشريه أو معاصريه، يدمج تأوهه في قول الشاعر:

* وأيُّ الناسِ تصْفو مشاربه *

قلتُ: وهو عجز بيتٍ، وقبله:

إذا كنتَ في كل الأمُور معاتبًا ... صديقكَ لم تلقَ الذي لا تعاتبُه

وإن أنتَ لم تشرب مرارًا على القذا ... ظمئتَ وأي الناسِ تصْفو مشاربُه

كما أنه من المنصفين، الذين لا يظلمون الناس أشياءهم.



[الخلاف بين الدولة العثمانية وإمام اليمن]

وقد كان من أمر علماء الحرمين، بعد عودهم من صنعاء، أنهم يتجنبون ذكر الإمام يحيى بحسب الإمكان، وإذا ذكر في مجالسهم العامة يظهرون عليه شِبْه الإنكار، فاعترض ذات يوم ذكره في بعض مجالس شيخنا صاحب الترجمة الخاصة، فابتدرت الكلام أنا، وقلتُ: إنه زيديٌّ، ومخالف. فانتهرني صاحب الترجمة، وقال لي: لا تعد إلى مثل هذا الكلام، فإنه إمام بمعنى الكلمة. فقلت: إني أرى منكم شبه الإنكار عليه. فقال: نعم، أحوجتنا الظروفُ، لسوء حظنا، لاستعمال التقية، شفقةً على المسلمين من اتّساع الخرق، وسيجعل الله للمحقِّ فرجًا ومخرجًا، انتهى كلام شيخنا. وفي السنة المذكورة، حج سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس حجة الوداع، وكان مما دار بينه وبين الشيخ محمد سعيد بابصيل، ذكر مسيرهم إلى اليمن، فقال له الحبيب أحمد: إنا لما علمنا بمسيركم، قرأنا الفاتحة بأن الله يدخلكم ويخرجكم لا لكم ولا عليكم. فقال: يا سيدي، والله إنا دخلنا وخرجنا، لا لنا ولا علينا. على ما في «رحلة الحبيب أحمد المكية».



قلتُ: وخلاصة الأخذ والرد الحاصل بين الإمام وعلماء الحرمين، أن الإمام أمر بإكرامهم واحتشامهم، وقال: رمتنا مكّة بأفلاذ كبدها، ثم قدم لهم المنكرات التي يشتكونها أهل اليمن من الأتراكِ، مكتوبةً. وقال في آخرها: «فإن قلتم بجوازها، وحاشاكم من ذلك، وإن قلتم بحرمتها، فهذه شكايتنا على السلطان الأعظم وعليكم»، انتهى.

قال العلامة المؤرخ الشيخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي اليمني، في كتابه «فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن»: «وفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف، أرسل السلطان جماعة من أكابر علماء مكة إلى صنعاء، ينصحون الإمام، فلما وصلوا صنعاء، كتبوا مكتوبًا إلى الإمام، وهو إذ ذاك خارج صنعاء. ومعناه: النصيحة للإمام، وترك القتال، والحث على الصلح.

فأجابهم الإمام، أيده الله، بما لفظه:

«الحمد لله الذي قيضَ لنا من يفهم الخطابَ، ويعرف الخطأ من الصواب، ويدرك مدارك الأحكام، ويحكم الشرع الذي ارتضاه لنا العلام».

إلى أن قال: «النصيحة مقبولة إن شاء الله، غير أنا نحب أن تطلعوا على ما دار بيننا وبين الوالي أحمد فيضي، ومن كاتب إلينا من المأمورين، لتعرفوا مسلكنا في الإنصاف، وبعدنا عن النيل والاعتساف، وستعرفون حقيقة الحال.

ونحن ننشدكم الله والإسلامَ، هل تجدون ناسخًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف؟ أم هل تجدون من محرّمٍ للدفاع عن الأموال والأعراض والنفوس، والبنات والبنين؟ أم هل من مانعٍ لقتال من أضاع أركان الإسلام؟ أم هل من تثريبٍ على من اقتفى الأثر بآيات قرناء القرآن، والحجة على الأمة في كل عصر وأوان؟ الذين أوجب الله محبتهم على كل بني الإنسان؟ أم هل من ناسخ لآيات ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؟

وإنا نحذركم من دسائس المأمورين، فإن لهم طرقًا إلى جلب أمثالكم إلى اتباع مقاصدهم، كما انتخبوا لخدمة أفكارهم أناسًا من اليمن، وجعلوها آلة لهم في كل مكان، ثم ابحثوا عن العلة الباعثة، فإن من عرف الداء عرف الدواء.

وإنا نمد إلى الله أكفّ الابتهال، أن يجعل على أيديكم جبر كسر اليمن الميمون، وأن يقذف في قلب سلطان الإسلام الرأفة والرحمة، باستدراك حشاشة أهله، فهم مؤمنون، وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحرر في ثمان عشرة شعبان

سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية».

انتهى المراد، مقتطفًا من «تاريخ اليمن» المذكور.



[ترجمة الإمام يحيى من كتاب «ملوك المسلمين»]

وقال العلامة المؤرخ، أمين محمد سعيد المصري، في كتابه «ملوك المسلمين»، في تحقيق موقف الإمام يحيى الديني، واستقلال سلطانه على اليمن: «هو الإمام يحيى بن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل ابن محمد بدر الإسلام بن الحسين بن القاسم بن محمد، ويتصل نسبه بسيدنا علي بن أبي طالب. وهو السابع والثمانون من الأئمة الزيود، الذين تعاقبوا على اليمن.

ولد في مدينة صنعاء، في شهر ربيع الأول، سنة ست وثمانين ومائتين وألف هجرية، ونشأ في حجر والده، ودرس فنون العلم والأدب، وأخذها عن والده، وعن القاضي العلامة الحافظ محمد بن عبدالملك الآنسي، والقاضي العلامة النحوي أحمد بن رزق السيّاني، والقاضي العلامة الفروعي محمد بن أحمد العراسي، والمولى شيخ الإسلام القاضي علي بن محمد بن علي اليماني، والقاضي اللغوي محمد بن أحمد بن حميد، والقاضي العلامة عبدالله بن علي الحضُوري، والمولى العلامة لطف بن محمد شاكر، والقاضي

العلامة إمام الفروع عبدالله بن أحمد مجاهد الذماري، والمولى العلامة إمام الأصول والحديث ورجاله، أحمد بن عبدالله الجنداري الصنعاني. فصار علمًا من الأعلام، وحجة في المعقول والمنقول، والمنثور والمنظوم.

فهو من كبار علماء الدين، كما هو من الأدباء المعروفين، وله قصائد كثيرة، وأشعار مروية. فمن قصائده التي سارت بها الركبان، قصيدته التي مطلعها:

فلّتْ سيوفي عند حَوماتِ الوغَىٰ	وكبتْ جيادي عند أن جَدّ السُّرَىٰ
وعدمتُ أرماحي بمشْتجَر القَنا	وجبُنْت عن غزوي عدوّي مبكرًا
وخلعتُ ثوب الحزْم خلعةَ عاجزٍ	ولبستُ للتسويف ثوبًا منكرًا
إن لم أكن للظالمينَ مقارعًا	أو لم أكُنْ للكافرين مصغّرًا

وهو واسع الاطلاع على العلوم الدينية والعربية، وقد حاز رتبة الاجتهاد، وهو يردد هذه الجملة: «قبح الله مَلِكًا يدخلُ عليه من هو أعلمُ منه»!. وله في الاجتهاد آراءُ تختلف عن آراء أئمة المذهب الزيدي، دوّنها في اثني عشر مادةً، ويستند إليها في قضائه.



ولما أعلنت الحرب العظمى، في سنة أربع عشر وتسعمائة ميلادية، وضرب الحلفاء الحصار على شواطئ البحر الأحمر، انقطعت المواصلات بين اليمن وبين الآستانة ولم يجد ولاة الأمور الترك باليمن بدًا من الالتجاء إلى الإمام، في دفع رواتبهم، ومساعدتهم في توطيد أمن البلاد، فساعدهم، وأقام للدولة محافظًا على عهوده، ولم يشأ الانتقاض عليها، والانضمام إلى أعدائها الذين كاتبوه، وأرادوا أن يستميلوه، بل ظل على ولائه حتى انتهت الحربُ، وعقدت الهدنة بين الحلفاء والترك، وقد تعهد فيها الترك بالجلاء عن جميع البلاد العربية، واليمن من جملتها، وأصدرت وزارة الحربية العثمانية

على إثر عقد الهدنة، وقد وقع عليها يوم ثلاثين أكتوبر سنة ثمان عشرة وتسعمائة وألف ميلادية، في موندروس، الأوامر إلى قائد جيشها في اليمن، بالتسليم للحلفاء، فسلم نفسه، فنقله الإنكليز إلى مصر.

وغادر الإمام يحيى صعدَه على الإثر، فجاء الروضة، وهي قرية خارج صنعاء، فأقام فيها يرقب الحالة عن كثب، فجاءته وفود القبائل، كما زاره التجار والعلماء وذوو الرأي والمكانة من صنعاء، وأقام في الروضة ثلاثة أشهر، ثم انتقل إلى صنعاء، فدخلها، وتسلم مقاليد الأمور بعد سفر القائد التركي، مصحوبًا بالجيش، وتخلف بعض الموظفين والضباط الترك، مفضلين البقاء في خدمة الإمام، وهكذا انتقلت السلطة الفعلية إليه، وصار صاحب الشأن في بلاد اليمن العليا»، انتهى المراد مقتطفًا من «تاريخ أمين محمد سعيد المصري».



قلتُ: وفي تلك المدة تخلت عن الخلافة الإسلامية تركيا، وصارت جمهوريةً، وترأسها مصطفى كمال، ونقل الحكومة إلى أنقرة، وأعلن أنها حكومة لا دينية!.

وسبحان من يحول ولا يتحول، بعد أن كانت تركيا حامية الإسلام بالحسام، نحوًا من ستمائة وست وثلاثين سنةً، تخلت عن الإسلام بالكلية، فيا لها من رزية، فقد كان أفخر لقبٍ لسلاطينهم خادم الحرمين الشريفين!.



قال شيخ الإسلام بمكة المحمية، السيد أحمد بن زيني دحلان، في كتابه (الجزء الثاني) من «الفتوحات الإسلامية»، عند ذكر الدولة العثمانية: «اتفق العلماء على أن من وقف على سير الدول الإسلامية، يعلم علمًا قطعيًا، أن الدولة العثمانية سيرتهم من أحسن سير الدول الإسلامية، بعد الخلفاء الراشدين. لأنهم متمذهبون بمذهب أهل

السنة والجماعة، صحيحوا العقيدة، ناصرون لأهل السنة، قائمون بتعظيم الصحابة وأهل البيت والعلماء والصالحين، ليس عندهم شيء من الزيغ والابتداع. ولهم الفتوحات الشهيرة، والجهاد والغزوات الكثيرة، قائمون بشعائر الإسلام لا سيما في الحرمين الشريفين، فإن لهم فيها الصدقات والخيرات الكثيرة، وقائمون أيضًا بشعائر الحج، وتأمين الطرق للحجاج والزوار. فيجب على كل مسلمٍ أن يدعو لهم بالتثبيت، والتأييد، والإعانة، والنصر، والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه.

واشتهر أنهم من التركمان، وأن نسبهم إلى يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت سلطنة جدهم، السلطان عثمان، سنة تسع وتسعين وستمائة هجرية»، انتهى. المراد من «الفتوحات الإسلامية»، ومن أراد معرفة سلاطينهم وفتوحاتهم، فعليه بذلك الكتاب، فإن فيه العجب العجاب.



[ثورة ابن الوزير على آل حميد الدين]

وأما الإمام يحيى، فقد ضبط اليمن باستقلال حقيقي، وحكم شرعي، ولعب أدوارًا مهمة في السياسة، لاسيما في الحرب العالمية الثانية، الواقعة سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف مسيحية. فقد وقف فيها موقف الحياد النزيه مع الجميع، كما أنه انتصر على جيوش الملك عبدالعزيز السعودي النجدي، وكسرها، حينما هاجمت اليمن، في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية.

وبعد هذا كله وقعت مؤامرات داخلية، بإيعاز خارجي، على اغتيال الإمام يحيى وأولاده، وتولية السيد عبدالله بن أحمد الوزير على اليمن.

[حادثة اغتيال الإمام يحيى]

وفي يوم الثلاثاء لسبع مضت من ربيع الثاني، سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف هجرية، خرج الإمام في سيارته مع رئيس وزرائه القاضي العمري، الى خارج صنعاء، لتفقد بعض المزارع، فاعترضتهم سيارة أخرى في الطريق، وأطلقت عليهم الرصاص، حتى قتل الإمام ومن معه الجميع، وتعطلت السيارة، وقامت ثورة حول قصر الإمام بصنعاء، قتل فيها أولاد الإمام: الحسين، والمحسن. واحتل الثوار القصر، ونودي في ذلك اليوم بإمامة السيد عبدالله بن [أحمد] الوزير، وهاجت اليمن وماجت من هذه الحادثة الشنيعة.



[نهوض الإمام أحمد واسترداده الحكم]

وقبل أن تقوم الثورة على بقية أولاد الإمام، استطاع أولاد الإمام النداء العام بغدر ابن الوزير، وقامت معهم القبائل، وتمكن ولي عهد الإمام، ابنه سيف الإسلام أحمد بحذقه، وممارسته للحروب، وهو في ذلك الوقت ببلد حَجّه، من تكوين جيش باسلٍ، كسر به شوكة الثوار، في مدة عشرين يومًا.

وألقى القبض على ابن الوزير ومن معه، ونودي بولي العهد المذكور، أحمد، إمامًا على اليمن بعد والده، وقبض على البلاد بيد من من حديد، وحكمت المحكمة الشرعية على السيد عبدالله بن الوزير وأعوانه بالإعدام، وكان ذلك نصيبهم من الملك، كما أن الإمام يحيى كانت هذه شهادةً له، وأسوة بأسلافه المطهرين.

[موقف لسيف الإسلام الحسين في حفل تتويج ملك فرنسا]

ولسيف الإسلام الحسين المذكور، منقبة جليلة في واقعة حالٍ، بلندن عاصمة المملكة الإنكليزية، تنبئ عن سعة علمه، وشجاعته، وثباته في دينه. رواها عنه كل من حضرها. **وأصلها:** أنها جرت عادة الإنقريز أنه إذا طلع فيهم ملك جديد، وأرادوا تويجه، أنهم يدعون الملوك والسلاطين من كل الجهات، عل اختلاف أديانهم، لحضور حفلة التتويج. فلما أرادوا تتويج ملكهم جُورج السادس، عزموا الناس لذلك.

وكان من جملة من وصلتهم الدعوةُ: الإمام يحي، فأرسل ابنه سيف الإسلام الحسين المذكور، نائبًا عنه. فلما وصل باريس عاصمة فرنسا، خرج لملاقاته من لندن وزير المستعمرات الإنقريزية، فقال له سيف الإسلام: أنا لا أقبل استقبالَك هذا أبدًا، لأني لستُ بمستعمَرٍ ولا محمي!. فعاد الوزير إلى لندن، وأرسلوا له وزيرًا لا شبهة فيه. فدخل معه إلى لندن.

فلما كان يوم حفلة التتويج، وكان من عاداتهم أنهم يجعلونها في الكنيسة، ويستعدون بكراسي للمدعوين، يجلسون عليها، ويكتبون عليها أسماءَهم، فلما دخل المدعوون الجميع الكنيسة، من المسلمين وغير المسلمين، وأخذوا مقاعدهم، بقي كرسي الإمام يحي فارغًا، فخرج رئيس الحفلة ليتفقد ابن الإمام، فوجده جالسًا خارج الكنيسة، فطلب منه الدخول، وأخبره أن مقعده لا يزال فارغًا. فاعتذر من الدخول، فلما ألح عليه في الدخول، أجابه بحماسة فقال: هذه المشكلة العظيمة التي بيننا وبينكم، من قادم زمنٍ تحاولون إدخالنا الكنيسة بالرغم، فكيف ندخلها الآن بالاختيار!. فاعتذر إليه رئيس الحفلة وتركه.

وكان من عادة الحاضرين: أنهم بعد وضع التاج على رأس الملك، يحيونه بالقيام له، ورفع الأيدي في آن واحد، (تحية ملكية عسكرية)، فيقف الملك ويرد التحية عليهم، بنشر سيفه، ويرده في غمده، ثم يخرجون.

فلما خرج الملك من الكنيسة، نهض سيف الإسلام في وجهه، وحياه أيضًا، فاضطر الملك إلى الرد عليه بنشر السيف ثانيًا من أجله، فتعجب الحاضرون من انفراده بتحية خاصة، لفتت أنظار ذلك الجمع!. ولا شك أن هذا تأييد لهذا الأمير من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما وعد به في محكم كتابه فقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾. ولعمري إن الذي لقبه بسيف الإسلام لحكيمٌ، وإن سلعة الله غالية: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾.



[تتمة ترجمة الشيخ عمر باجنيد]

رجعنا من الشَّوْط البطين، إلى شمائل شيخنا حليف ياسين، الصادق في محبة أهل بيت سيد المرسلين. وقد أجمع أهل عصره، وعلماء قطره، على أنه سلمان أهل البيت في ذلك الوقت، لأنه فاني في محبتهم، لا يشهد فيهم إلا الخصوصية، وقد أبلى فيهم ومنهم، فما زاده ذلك إلا خصوصية.

فقد تولى نظارة رباط السادة الكائن بمكة في سوق الليل، شفقةً عليهم، وحفظًا لكرامتهم، كما أنه بحث عن وقفية رباط السادة، الكائن بالسوق الصغير أيضًا، ورده عليهم بعد أن استولى عليه بعض أهالي مكة، وجعل يؤجّره ويستغله. وطلب صاحب الترجمة من أمير مكة، الشريف الحسين بن علي، إدخال الماء إليه من عين زبيدة، فأجابه الشريف إلى ذلك قولًا وفعلًا، على أن صاحب الترجمة كان يتفقد غيرهما من الأربطة، محبة في نشر العلم وتنشيطًا للطلبة.

وكان إذا وقعت مخاصمةٌ بين طلبة العلم، يطلب من ولاة الأمور أن لا يتدخلوا فيها، فيوافقون على ذلك، تكريمًا له. ويتوسط هو فيها بالصلح المرضي للطرفين.

وأما الأرامل والأيتام والعاجزون عن الكسب، فهو خليفة آدم عليهم، ووصي إبراهيم، وجالب الأفئدة من الناس إليهم.

وعنده دفتران يحملهما معه حيثما كان، واحد منهما مختص بأهل البيت، والثاني بغيرهم. فتجده يسأل عن أسمائهم ومساكنهم، كأنه أحد الموظفين في إدارة الإحصاء. ومن صدقه مع الله في ذلك، سخر الله له قلوب العباد، فتجد كثيرًا من أهل الثروة الموفقين، من مختلف البلدان، يرسلون إليه الصدقات وأجرة الحج عن الغير، لعلمهم بأنه سيوزعها على مستحقيها.



وبمناسبة ذكر هذه الخصوصية، نقطف زهرةً منها للقارئ.

حدثني أحد أوصياء الحبيب المثري بمدينة بوقور، من الجهة الجاوية، علوي بن إسماعيل العيدروس، قال: إن الحبيب علوي أوصى بحجة الإسلام من تركته، فأرسلنا ألف روبية مع مكتوبٍ منا، إلى عند الشيخ عمر باجنيد بمكة، وطلبنا منه أن يؤجّر كفؤًا عن حجة المرحوم، بثمانمائة ربية، والمائتان له، في مقابل خدمته وإشرافه على ذلك. ثم عنّ لنا أن نعين الأجير، من الذين سيسافرون من جاوة للعام القابل، فأبرقنا للشيخ عمر، بأن يؤخّر الأجرة عنده إلى أن يصله البيان منا. وكان الوقت إذ ذاك قرب الحج، فأجابنا بمكتوبٍ منه بعدَ الحج، قال فيه: «وصلَ كتابكم مع الدراهم، وبعده البرقية، فأجرنا أحد طلبة العلم عن حجة الحبيب علوي بن إسماعيل العيدروس بالمائتين التي جعلتوها باسمنا، ولم نستحسن أن تتأخر حجة الحبيب علوي إلى العام القابل، لكونه مستطيعًا، حيًا وميتًا، والثمان المائة باقية أمانة عندنا، حولوا بها لمن أردتم»، انتهى.

قلتُ: ولكثرة عناية صاحب الترجمة بمواساة المحتاجين، تولى رئاسة إدارة الأوقاف بمكة. كما أنه لشدة محبته للعلم، تولى الإشراف على نظارة المعارف، في إمارة الشريف الحسين بن علي المذكور، مع كراهيته للقرب من الولاة والقضاة.

ثم إنه في آخر وقته، وذلك بعد احتلال الملك عبدالعزيز السعودي النجدي للحرمين الشريفين، اعتزل جميع الوظائف، واعتكف على تلاوة القرآن الحكيم، و«دلائل الخيرات»، والرواتب والأوراد. وأما كرامته فهي الاستقامة، التي هي أعظم كرامة، حتى صارت عليه علامة.



وما زال يقفو أثر سيد المرسلين، ويتأهب للقاء رب العالمين، حتى أتاه اليقين، لسبع وعشرين خلت من ذي الحجة، سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية. ودفن في حوطة أهل البيت بمعلاة مكة، بعد الاستئذان من شيخ السادة، كما جرت بذلك العادة في غير السادة. ولم يعقب صاحب الترجمة.



[شقيقه، عبدالله باجنيد]

وأما شقيقه الشيخ عبدالله، فأدرك نصيبه من العلم، وكان حسن السيرة، ممتلئ القلب بتعظيم الشيخ عمر. وقد توفي قبله، وخلف بنتين، كفلهما صاحب الترجمة، ثم زوجهما بسادة علويين، حرصًا منه على اتصال النسب الطيني بعد الديني، بأهل البيت.



[إجازة المؤلف من صاحب الترجمة]

وقد أجازني شيخنا صاحب الترجمة، وألبسني، ولي منه وصية بخط يده الكريمة، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، وصحبه وتابعي منواله. وبعد، فإني أوصي نفسي وأحبابي عمومًا، وأخص سيدي الشابَّ النجيب، واللوذعي الأديب، الحبيب علي بن حسين بن محمد العطاس، بتقوى الله رب العالمين، والتخلق بأخلاق سلفه المطهرين، من سادتنا العلويين، واقتفاء آثارهم، والتأدب بآدابهم، وملازمة المطالعة لكتبهم، ونشر العلم والدعوة إلى الله، وتعليم الجاهلين، وحسن الخلق مع جميع المسلمين، وحسن الظن بهم، والدعاء لهم بظهر الغيب، والصبر على أذى المؤذين منهم، والعفو والصفح عنهم، خصوصًا الأقارب، فإن في صلتهم وإن قطعوا، وإعطائهم وإن حرموا، سعادةُ الدارين، وطول العمر، والبركة في الأرزاق.

وبملازمة القرآن، والذكر، خصوصًا الأوراد والرواتب، ففيها فتح باب الوصال، ونور السريرة، والفتوحات الربانية، والمواهب الدينية.

وبالدعاء لي، خصوصًا في الخلوات والجلوات. وأسأل مولاي وأبتهل إليه، وبأوجه الشفعاء أتوجه عليه، أن يبلغ هذا الحبيب الآمال، وأن يلحقه بكمل الرجال، وأن يكون له في كل حال، بما كان لعباده الصالحين، إنه أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمدلله رب العالمين.

حرر بمكة في اليوم السادس عشر من محرم الحرام

سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية

قاله بفمه، ورقمه بقلمه، راجي عفو ربه المجيد

عمر بن أبي بكر باجنيد».

[ترجمته بقلم عمر عبدالجبار]

ولنختم ترجمته بشيء مما ترجمه به الأستاذ عمر عبد الجبار في كتابه المسمى «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، حيث يقول:

«الشيخ عمر باجنيد. ولد عام ثلاث وسبعين ومائتين وألف هجرية، وتوفي عام أربع وخمسين[1] وثلاثمائة وألف هجرية. تلقى العلم عن السيد أحمد دحلان، والشيخ محمد سعيد بابصيل، والسيد بكري شطا، وشيخ السادة أحمد السقاف، والسيد أحمد زين العابدين. كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ طويل القامة، نحيف البنية، اشتهر بالتقوى والورع والتواضع.

دنوت من حلقة درسِه، وكان يدرس «صحيح البخاري»، فسمعته يقول: عن عبدالله ابن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلمُه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّجَ عن مسلمٍ كربةً، فرَّج الله عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة**»[2].

إخواني، يحثنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه البخاري، ومسلم، وأبوداود، والنسائي، والترمذي: أن من رحمة الله بالمؤمنين، ربطهم بعرى الأخوة الإسلامية، وأنه إذا كان للأخ على أخيه حقوقٌ، فإن من حق المسلم على المسلم: أن لا يظلمه لنفسه، ولا لغيره، لأن الظلم محرم. وشر الناس من يظلم الناس. يقول الله تعالى في حديث قدسي: «**اشتدَّ غضَبي على من ظَلمَ من لا يجدُ له ناصرًا غيري**»[3]، انتهى المراد من كلام الأستاذ عمر عبد الجبار وبه انتهت الترجمة.

---

(1) في الأصل والمطبوع: وثلاثين، وهو خطأ لعله من الناسخ، لأن المصادر المكية كلها متفقة على أنه توفي سنة 1354هـ، وخالف المؤلف فأرخها في 1353هـ، والله أعلم، اهـ (مصحح).

(2) متفق عليه، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(3) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ينظر: مجمع الزوائد: (206/4).

[الشيخ عبدالحميد بن محمد علي قدس المتوفى سنة 1334هـ]

ومنهم الشيخ المتفنِّن، العلامة المتقِن، والمجدُّ في علومه وأعماله المبرهِن، عبدالحميد بن محمد علي قدس. وليد مكة ودفينها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه، بواسطة أشياخه الآتي ذكرهم.

تربى شيخنا صاحبُ الترجمةِ بوالده، واتسعتْ معارفُه بمشايخِه على ترتيبهم الآتي، ونبغَ في علُوم الآلة نبوغًا باهرًا، ثم ألفَ في غالبِ الفنون، وله عنايةٌ خاصةٌ بمطالعَة كتُب السادة العلويين، والنقل منها، والمواظبة على أورادهم. كما أن له الحظ الأوفر في مدح الحضرة المحمدية، في قصائده البديعة. ومنها:

[1] «دفع الشدة في تشطير البردة».

[2] و«نيل الإسعاد والقبول في مدح سيدتنا الزهراء البتول».

وقد طبعت غالبُ مؤلفاته، فعمَّ بها النفعُ، لصلاح نيته، وصفاء طويته. وكان صاحب الترجمة يفهم حقّ الفهم، معنى قول العلماء: الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، كما تنبئ بذلك مصنفاته.

[فتوى الصندوق الحاكي]

وقد حدثني مرةً، أيام ترددي إليه، وقراءتي عليه في المعاني والبيان، قال: إنه لما ظهر الصندوق الحاكي، وردت عليَّ أسئلة في حكم الاستماع إليه، فأحجمت عن الجواب. ثم استجلبت تلك الآلة إلى مكة، قبل الناس. فلما وصلتني، كتمت أمرها، وعملت ضيافة كبيرة في بيتي، لأكابر علماء مكة، ولم أشعرهم بشيء من قصدي.

فلما تناولوا الطعام، واستقر بهم المجلس، أحضرت تلك الآلة، وأمرت بإجراء جميع الأصوات فيها، وجعلت الخاتمة قراءةَ القرآن الحكيم. والعلماء منصتون لذلك، كأنما على رؤوسهم الطير. ثم قلت لهم: ما قولكم سادتي في هذا؟ فتحاوروا فيما بينهم، ثم تقدم بالكلام شيخُ الإسلام، الشيخ محمد سعيد بابصيل، وأفتى بجواز سماع الجميع إلا قراءة القرآن الحكيم. قال: إنه يحرم وضعها وسماعها من هذه الآلة، خوفًا من أن يكون نفس القارئ يخل بالأداء، أو الآلة نفسها تختلّ، ولو بعد حينٍ، فيتسبب من ذلك استمرار الخلل في آيات القرآن الحكيم، إما لفظًا، أو معنى، أو أداءً. فوافقوا كلهم على ما قاله شيخ الإسلام.

وعند ذلك ألفتُ «رسالةً في حكم سماع تلك الآلة»، وأسستها على هذه الفتوى وحشوتها بالأدلة عقلًا ونقلًا، انتهى كلام صاحب الترجمة.

ومرةً قلتُ له: أنا أريد أن أقرأ عليكم في كتابكم «فتح الجليل الكافي في علم العروض والقوافي». فقال لي: يا حبيبي، إن العربي عروضيٌّ بسليقته، ولكنك إن أحببت أن تعرف أسماء تقطيع الشعر فلا بأس بذلك، قلتُ: وكان الأمر كما قال.

[إجازة المؤلف من صاحب الترجمة]

ولي من شيخنا صاحب الترجمة إجازةٌ بخط يده المباركة، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدلله العلي السند، الذي من جُوده الكون يُمد، والصلاة والسلام على عظيم المدد، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والرشَد. وبعد، فقد أمرني:

نبيـــل فاضـــلٌ في العلْـــم بحـــرٌ وطـــودٌ في التقـــىٰ وكـــريمُ أصْـــلِ
وطاعتُـــه لـــدىٰ الأيـــام حـــتْمٌ كمـــا شـــاراتُه غـــنمٌ بفَضْـــلِ

ألا وهو الشاب النجيب الفقيه، والجهبذ الفاضل النبيه، طيب الأنفاس، سيدي العلامة الحبيب علي بن حسين بن محمد بن حسين بن جعفر العطاس. بأن أجيزه في العلم الشريف، وما درى حفظه الله، وأدام مجده وعلاه، أني لست أهلًا بأن أجازَ، فضلًا عن أن أجيز، وإنما مثلي في ذلك ومثله، عند من ظهر لديه فضله، إلا كمن أهدى إلى خيبر تمرة، وإلى البحر درة.

كيف لا! وأنا لم أزل أرتشف من بحر أفضالهم، واغترف من بر نوالهم، ولكن دعاه إلى ذلك حسن ظنه بالعبد الفقير، وإن وجد هناك عيب وتقصير.

وحيث كان الأمر كذلك، **فأقول**، معتمدًا على الكريم المالك: قد **أجزتُ** سيدي الفاضل، دام سعيه المشكور، بكل ما تجوز لي روايته، وتصح لديَّ درايته، من منقول ومعقول، بشرطه الذي هو عند أهله معتبر ومنقول. كما أجازني بذلك مشايخي الثقات، وأساتذتي الأثبات.

منهم شيخي وسندي، مربي روحي وجسدي، والدي العلامة الشيخ محمد علي قدس. ومن أجلهم: مشايخي الذين أول ما تربعت للعلم بعدَ والدي بين أيديهم، وحصل لي الفتوح عليهم، الإخوة الثلاثة، وهم: العلامة سراج الدين السيد عمر شطا، والعلامة نور الدين السيد عثمان شطا، والعلامة فخر الدين السيد بكري شطا، أبناء المرحوم بكرم الله تعالى السيد محمد شطا، رحم الله الجميع جزيل العطا.

وهؤلاء الأربعة يروون عن علامة الزمان، من لم يسمح له الزمان بثان، سيدنا ومولانا العارف بالله السيد أحمد بن زيني دحلان. وهو قد أخذ العلم عن مشايخ كثيرين، من أفضلهم العلامة الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي، ثم المكي. وهو عن

العلامة الشيخ عبدالله الشرقاوي، والعلامة الشيخ محمد منصور الشنواني، والعلامة الشيخ محمد بن علي الصبان، والعلامة الشيخ محمد الأمير الكبير، والعلامة الشيخ محمد عرفه الدسوقي، وغيرهم رحمهم الله تعالى.

ولهؤلاء المشايخ أثباتٌ جامعة لمروياتهم، مذكورة فيها أسماء مشايخهم، قد أجازوا بها الشيخ عثمان الدمياطي المذكور، وهو قد أجاز بها السيد أحمد بن زيني دحلان المسطور، وهو قد أجاز بها مشايخي الأربعة المذكورين، وهم قد أجازوني بها، كما أجازني بها السيد أحمد دحلان بلا واسطة، فهو معدود من جملة مشايخي العظام. وأنا قد أجزتُ بها سيدي السيد علي بن الحسين العطاس، المذكور.

ومن أعظم مشايخي: العارف بالله السيد البركة، العلامة الحبيب حسين بن محمد الحبشي، عن والده بسنده. وعن العلامة العارف بالله الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي بسنده، المنظوم في «عقوده الجوهرية»، المتلألي بالسادة العلوية.

ومن أجل مشايخي: مفتي مدينة جده خير البرية، صفوة السادة البرزنجية، العلامة السيد جعفر بن إسماعيل بن جعفر الرزنجي، عن والده، عن جده، بسند البرزنجيين وغيرهم.

ومن أفضل مشايخي: مفتي الديار اليمنية، خصوصًا زبيد المحمية، سيدي العلامة السيد محمد بن سليمان بن عبدالرحمن الأهدل[1]، عن والده، عن جده، بسندهم، إلى سيدي العلامة السيد عمر مقبول الأهدل، ومشايخه مذكورين في «ثبته» الجامع لمروياتهم. والسيد محمد بن سليمان المذكور، قد أجازني كتابةً، أرسلها لي من زبيد، سنة تسع وتسعين ومائتين وألف هجرية.

---

(1) هكذا في الأصل، والصواب: سليمان بن محمد بن عبدالرحمن، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، وهو عن أبيه عن جده. والله أعلم.

ومن أكرم مشايخي: علامة المغرب السيد محمد بن جعفر الكتاني الفاسي المغربي، فإنه قد أجازني بسائر مروياته، كما أجازني سابقوه بذلك.

وأنا قد أجزتُ سيدي السيد علي بن حسين العطاس المذكور. وأوصيه بتقوى الله في السر والعلن، وأن لا ينساني من صالح دعواته، في خلواته وجلواته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حرر بمكة المحمية في اليوم الثامن عشر من محرم
افتتاحَ عام ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.
قاله بفمه ورقمه بقلمه خجلًا عجلًا
عبدالحميد بن محمد بن علي قُدْس بن عبدالقادر الخطيب
خادم العلم الشريف بالحرم المكي المنيف
وأحد أئمة الشافعية بمقام إبراهيم
غفر الله له ولوالديه وأولاده ومشايخه ومحبيه والمسلمين، آمين».



[ترجمته بقلم عمر عبدالجبار]

ولنختم ترجمته بشيء مما ترجم به الأستاذ عمر عبدالجبار في كتابه المسمى «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، حيث يقول:

«الشيخ عبدالحميد قدس. عالم وشاعر ومؤلف. ولد عام ثمان ومائتين وألف هجرية، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصير القامة، ممتلئ الجسم، قويّ البنية، قضى حياته في تحصيل العلم من علماء عصره. منهم الشيخ محمد سليمان حسب الله، والشيخ عمر باجنيد، والشيخ عبدالرحمن دهان، والشيخ سعيد يماني، والسيد بكري شطا.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشيطًا في التأليف والنشر، فقد وضع عدة كتب انتشرت بين طلاب العلم، في الحجاز والشرق الأقصى. وقد استغلت الحكومة العثمانية نشاطَه، فابتعثته مع هيئة من وجهاء علماء مكة والمدينة، لحضور افتتاح الخط الحديدي، الذي ساهم في الاكتتاب فيه المسلمون، فسافر إلى لبنان عام أربع وعشرين وثلاثمائة وألف، فمثّل بلاده مع زملائه خير تمثيلٍ.

وفي شعره صورةٌ من ورعه وزهده وإخلاصه.

أما **مؤلفاته**، فبلغت زهاء العشرين، أذكر منها:

[1] «نفحات القبول».

[2] و«الابتهاج في قصة الإسراء والمعراج».

[3] و«رسالة في البسملة»، من ناحية البلاغة.

[4] و«منظومة في الآداب والأخلاق الإسلامية».

[5] و«فتح الجليل الكافي في العروض والقوافي».

[6] و«كنز النجاح والسرور في الأدعية المأثورة التي تشرح الصدور».

[7] و«لطائف الإشارات على تسهيل الطرقات لنظم الورقات»، في أصول الفقه»، انتهى المراد من كلام الأستاذ عمر عبدالجبار، وبه انتهت الترجمة.

[السيد علي بن محمد البطاح الأهدل]

ومنهم مفتي زبيد، العلامة الوحيد، والمشهود له في علومه وأعماله بكمال التأييد، السيد علي بن محمد البطاح الأهدل، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كان اتصاله بصاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة أشياخه، تلاميذ السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، المتقدم ذكره في (الباب الرابع)، كما أخبرني بذلك صاحب الترجمة حينما ذكر لي اتصالهم بالسادة العلويين، وعد منهم صاحب المناقب، والحبيب أبابكر بن عبدالله العطاس. على أني لا أعرف شيئًا من حياة صاحب الترجمة، إلا أني سمعت علماء الحرمين يتباشرون بقدومه إلى مكة، لحج بيت الله، وزيارة سيد الأنام. ثم رأيتهم يتهافتون على مجالسه الخاصة والعامة.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة وإجازته منه]

ثم أمرني شيخنا الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد بالأخذ عنه، وذهب بي إلى عنده. وحسبنا من تاريخ حياته، أنه مفتي زبيد، حاضرة الجهة اليمانية، ومعدن العلوم النقلية والعقلية، بشهادة خير البرية، في قوله: «**الإيمان يمان والحكمة يمانية**»[1].

وقد ترددت بحمد الله على شيخنا صاحب الترجمة، مدة إقامته بمكة، وقرأت عليه نحوًا من كراس في (النصف الثاني) من «فتح الوهاب على منهج الطلاب»، لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري.

ولي منه إجازة بخطه الميمون، وهذا نصها:

---

(1) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد**، فقد استجازني السيد المفضال، المتحلي بصفات الكمال، السيد علي بن حسين، فيما قرأه عليَّ في المسجد الحرام، وفيما تجوز لي روايته، وتحققت لديّ درايته. **فأقول:** قد أجزت السيد الهمام، السيد علي بن حسين بن محمد بن حسين بن جعفر العطاس العلوي الحسيني، إجازةً عامة، في الفقه والحديث والتفسير، وما كان آلةً لها، من نحوٍ، وصرفٍ، ومعانٍ، وبيانٍ، وفي الأذكار والأوراد.

كما أجازني بذلك مشايخي رحمهم الله تعالى رحمة واسعةً، منهم خاتمة المحدثين، وسند المتقين، السيد داوود بن عبدالرحمن حجر القديمي، وخاتمة المحققين السيد عبدالقادر بن محمد بن عبدالرحمن الأهدل، والشيخ الزاهد الفقيه سهل بن عبدالله سهيل، بسندهم عن مفتي الأنام، السيد عبدالباقي بن عبدالرحمن الأهدل، عن والده مفتي الأنام، ولي الله تعالى، السيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، عن والده السيد سليمان بن يحيى الأهدل، عن والده السيد يحيى ابن عمر مقبول الأهدل، بسنده المحرر في «ثبته».

وأوصي السيد علياً المذكور، بتقوى الله تعالى، وأن لا ينساني من صالح دعواته، في خلواته وجلواته، جعلني الله وإياه من العلماء العاملين، وحشرني وإياه في زمرة سيد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كتبه الفقير إلى الله عَزَّوَجَلَّ

علي بن محمد البطاح الأهدل، لطف الله به في الدارين، آمين

سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية».



[السيد سليمان إدريسي الأهدل (ت 1351هـ)]

ومنهم العلامة المحقق في أقواله، المدقق في أعماله، والمتصرف في جلسائه بحاله، السيد سليمان بن محمد الأهدل المشهور بالإدريسي، رضي الله عنه.

تجمعه بصاحب المناقب رضوان الله عليه سلسلةُ أشياخه اليمنيين مع الحضرميين، كنت أسمع عن صاحب الترجمة أنه من أهل التصريف، فلما قدم مكة لحجّ بيت الله الحرام، وزيارة شفيع الأنام، زرتُه مع سيدي الأخ عقيل بن عبدالله الحامد، الآتي ذكره، والشيخ علي بن سالم بن طالب، إلى بيته. فوجدناه يمثل رجال «الرسالة القشيرية» منظرًا، ويحاكي مجتهدي الأئمة عقلًا ونقْلًا، ويشتبه على جليسه بالسادة العلويين الحضرميين أخذًا وإملاءً.

فقرأنا على شيخنا صاحب الترجمة في «المنهاج» للشيخ محي الدين النووي أبوابًا متفرقةً، وأجازنا مشافهةً ثم عززها بخطه الميمون، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدلله رب العالمين، والعاقبة للمتقين. وبعد؛ لما كانت الإجازة من مزايا هذه الأمة، وأنها تكون من الأعلى والمتوسط والأدنى، وكنت من القسم الأدنى، طلب مني الإجازةَ السادةُ الأجلاء، والعلماء الأعلام، السيد علي بن حسين العطاس، والسيد عقيل بن عبدالله الحامد، والرجل الفاضل الشيخ علي بن سالم ابن طالب.

فأقول: قد أجزتُ المذكورين، بما تجوز روايته، وتنفع درايته، كما أجازني مشايخ العلماء الأعلام، منهم السيد الجليل محمد بن عبدالباقي الأهدل، عن شيخه سليمان بن محمد بن عبدالباقي الأهدل، عن سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل.

كتبه عجلًا نجلا

سليمان بن محمد الأهدل المشهور بالإدريسي

وأوصى المذكورين بتقوى الله، وأن لا ينسوني من صالح دعواتهم، كما أني لا أنساهم»، انتهى. وكان ذلك بمكة المشرفة، لست عشر خلت من محرم الحرام، سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.



ومن كرامات صاحب الترجمة التي شاهدناها: أنا خرجنا معه من البيت الذي هو نازلٌ فيه لصلاة العصر بالمسجد الحرام، فأدركتنا المطر في الطريق، ولم تكن مع أحدٍ منّا مظلة، والمسافة تزيد على ربع ساعة، فغاب صاحب الترجمة عن أعيننا، وظننا أنه رجع إلى البيت بعُذر المطر. فلما وصلنا الحرم، وجدناه جالسًا فيه، فجلس الأخ عقيل إلى جانبه، وجعل تارةً يمسح بيده على قميص صاحب الترجمة، وأخرى على عمامته، ثم يمسح بها وجهه. فما رجعنا إلى الرباط، قلنا للأخ عقيل: إنك قد زدْتَ علينا بالتبرك بالمسح على ثياب السيد سليمان. فقال: الأمر أعظم من هذا، إنما أردتُ بذلك أن أعرف هل أصابه المطر مثلنا، أم هو من أهل الكرامات على الله! فلم أحسّ في ثيابه أدنى بلل، فتحققت ما يقول الناس فيه، انتهى.



[الحبيب عقيل بن عبدالله الحامد (ت 1341هـ)]

ومنهم الحبيب الناشئ في طاعة الله، العالم العامل بأحكام الله، والمجلي في حلبة المعارف على الأقران والأشباه، عقيل بن عبدالله بن مطهر بن جندان بن عمر بن أحمد بن عقيل بن مطهر بن الحامد ابن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم.

وليد بلدة دمون من ملحقات تريم، ودفين حوطة أهل البيت بمعلاة مكة المحمية، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. كان أخذُه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة أشياخه من الحضرميين وغيرهم. تربى أخي في الله عقيل المذكور، ذو السعي المشكور، والعمل المبرور، بتريم، في دار أخواله السادة آل بلفقيه، الملقبين بجفنة العلم، في حجر والدته الشريفة العابدة، نور بنت الحبيب المجمع على ولايته أحمد بن علي بلفقيه. وتهذب وتخرج بشيخ فتحه العلامة الأوحد، الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، وليد تريم ودفينها، قرأ عليه الشيء الكثير سماعًا وتقريرًا.

ثم طمحت نفسه العصامية، إلى التوسع في العلوم، واستكشاف معاهدها الأخرى، فدخل إلى جاوة لزيارة أخيه بسربابة. ثم رحل إلى مصر، فأخذ عن مشاهيرها بالأزهر في ذلك الوقت، واغتبط بمعارفها، إلا أنه خاف على السيرة.

فسافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة سيد الثقلين، وألقى عصاه بالمسجد الحرام، وتجرد فيه لاقتباس العلوم، والاستزادة من منطوقها والمفهوم، وكانت بدايته في ذلك مثل النهاية من غيره، علمًا عملًا وصلاحًا.

فالتفتت إليه أنظار المشايخ، ورحبوا به في حلقات الدروس، ومجامع العلم. إلا أن شيخنا الشيخ عمر باجنيد تغلب عليه، فاستخلصه لنفسه، وجعله يتيمة العقد في درسه. غير أن صاحب الترجمة لم يترك الأخذ عن غيره من المشايخ، فقد أخذ مباشرة عن شيخ الإسلام محمد سعيد بابصيل، وعن شيخنا يتيمة هذا «التاج» محمد بن علي بلخيور، وعن الحبيب سالم بن عيدروس البار، وعن مفتي مكة الحبيب حسين بن محمد الحبشي، وعن مفتي زبيد السيد علي بن محمد البطاح الأهدل، وغيرهم من أشياخي بالحرمين، فإني إنما كنت طفيليًا معه، أحضر على موائدهم.

فما ابتدأ صاحب الترجمة يتعلم، حتى شرع يعلم، وقبل أن يستمر فيهما لازم قيام الليل، وتلاوة القرآن بالتجويد مع التدبر، وفهم معاني الآيات، لسلامة ذوقه، وتبحره في علوم الآلة، وكلما قرأ القرآن أو سمعه من غيره، يقول: يا ويلنا من الإعراض عن كتاب الله. كما أني كثيرًا ما أسمعه يتأوّه، ثم يعقب تأوهه بقول ابن الفارض:

* هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهلُ *

كأنّ له سريرة فيما بينه وبين الله تعالى في المحبة والشهود، يتكتم بها عن الناس. وكان ذا سمتٍ ووقار، يعد في طبقة المشايخ حسًا ومعنى، ممتلئًا قلبه بتعظيم سلفه من السادة العلويين، منطويًا فيهم سيرةً وسريرةً.



[مآثره العلمية]

[1] وله إجازاتٌ ووصايا كثيرة من شيوخه، لفظًا وخطًا، قد اعتنى بضبطها.

[2] كما أن له مكاتباتٌ وأشعار، قد جمع في أساليبها بين القديم والحديث، وكم أدمج فيها من سر قديمٍ وحديث.



ولما أدى فريضة الحج، الأخ العلامة الأديب، والمثري الأريب، حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الكاف. وليد تريم ودفينها، وبمعيته الشيخ العلامة المحصل، محمد بن عوض بن محمد بافضل، طلبا من صاحب الترجمة أن يخرج معهما إلى مدينة تريم، وتعهدا له برئاسة نظارة المعارف بتريم، كما أن الكاف تعهد له بكفاية المؤن المنزلية، وألحا عليه في ذلك، فكان جوابه الأخير عليهما: إأني قد آليت على نفسي أن لا أخرج من مكة إلا بإذن باطني من السلف، انتهى.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وإني بحمد الله قد صحبتُ صاحب الترجمة مدةَ إقامتي بمكة المحمية، وفي أيام زيارتي لخير البرية. وقرأت عليه الشيء الكثير، درسًا ومطالعةً، وطالما عدّل لساني، وثقب جناني.



[محبته لصحيح البخاري]

وكان صاحب الترجمة مولعًا بقراءة «صحيح البخاري» على نيات خاصة له في ذلك، فكنت أتدارسه معه، وعند ختمه يعمل ضيافة كبيرة للعلماء وطلبة العلم، يجمعهم في سطح رباط السادة بسوق الليل، محل سكناه، قبيل طلوع الشمس.

ولكونه محبوبًا ومعتقدًا عند تجار الحضارم، وغيرهم، إذا أعلن بختم «البخاري»، تزاحموا عليه، يستشيرونه في طعام الضيافة الذي يريده، فيأمرهم غالبًا بالشهيدة، أي الهريسة، وربما قالوا له: الأولى أن نجعلها في شيء من بيوتنا. فيقول: إني أحبها أن تكون في الرباط، تفريحًا لطلبة العلم.

ومن عادته أنه لا يقبل شيئًا من المساعدات، التي تأتي إليه لهذا الشأن، فإذا جاءه إنسان بشيء من النقود أو غيرها، دعا له بخير، ثم أمره أن يدفع ذلك إلى القائمين بشأن الضيافة، فإذا انتهى أمر الختم، وأخبروه بزايد النقود، يقول: فرقوها على المستحقين من طلبة العلم.



وكان كثيرًا ما يقول لي: إن معرفة الناس حالت بيننا وبين العمل بالسنن النبوية، الذي فيه سر المتابعة الحقيقية لسيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خصوصًا في أعمال الحج، وعلى كل تقدير فإني أريد أن أستكمل سنن الحج ولو مرةً واحدة.

فصادف في بعض السنين أن الشيخ العلامة المحقق الورع الصوفي، أبابكر بن أحمد بن عبدالله الخطيب، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، قدِمَ مكة قاصدًا الحج، ونزل ضيفًا كريمًا على صاحب الترجمة، في رباط السادة بسوق الليل، فتشاور معه صاحب الترجمة في كيفية أداء الحج على أصل السنة، وكنت طفيليهما في ذلك الوقت.

وتقرر الأمر على التجرد من الناصب والجازم، وتحويل الهيئات إلى الدرْوَشة الكاملة، فجمعنا بعض كتب وفراش، وشيء من أواني قهوة البن، وإبريق الوضوء، وحمل كل منا قسطه على كتفه، ولا تسأل عن حرص كل منهما على كمال المتابعة، ومعرفته بالمناسك والمشاعر، والأدعية الواردة في ذلك، زمانًا ومكانًا.

فكانت هذه الحجة تمثل ما قاله الحريري في (المقامة الحادية والثلاثين، الرملية): «آليتُ في حجتي هذه أن لا أحتقب ولا أعتقب، ولا أكتسب ولا أنتسب ولا أرتقب، ولا أوافق من ينافق»، كما أني وصاحب الترجمة تتبعنا المآثر كلها، حينما تشرفنا بزيارة سيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكانت تعتري صاحب الترجمة ضائقه في بعض الأيام، فأسير معه إلى دكة المنحنى، بأعلى مكة، لموقعها الجميل الطبيعي والأثري، نتحدث والحديث شجون، وربما مثل لي حالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة، وشيئًا من حركاتهم، بتلك الأماكن الشريفة، التي يقول فيها سيدنا عبدالله الحداد:

يـا راحـلًا إن جيـت وادي المنحنـىٰ ... فـاحطط بـه وانـزِل علـىٰ كنْـز الغنـىٰ

وارْعَ الـذمام لجيـرةٍ حلّـوا بـه ... وانشُـدْ فـؤادًا ضـاعَ في ذاك الفِنَـا

ونجلس فيها إلى المغرب، ثم نصلي ونعود إلى البلد.

ومن كرامات صاحب الترجمة في ذلك المكان، أني قلت له في بعض الأيام حين استمر بنا الحديث: إني جائع. فقال لي: اذهب إلى تلك القهوة، أي المقهى، وقل لهم يأتون بشاهي وعيش مقمّر، أي خبر حنيذ. فقلت له: سوف يضيع علينا الوقت في الذهاب والإياب لبعد المسافة، فقال: وهل أنت حقًّا جائع؟ قلت: نعم، ولكني سوف أصبر إلى البلد، فأدخل يده في جيبه، وأخرج منه ملء كفه لوزًا وزبيبًا من أجود ما رأت عيني، لونًا وذوقًا. وناولني إياه، ثم أخرج مثله لنفسه، فعرفت أنها كرامة من الله على يديه، لمعرفتي به أنه لا يحمل في جيبه شيئًا مما يعتاد الناس حمله، فضلًا عن الأكل. ثم أدخلتُ يدي في جيبه، فلم أجد أثرًا لذلك. فقلت له: إني قد عرفت أنها كرامة. فقال: ومالك وكثرة الكلام، وتغير لونه، وأدخل كلامًا في كلام.

وكان صاحب الترجمة ذا عناية تامة بخدمة كتب أسلافه، قراءة وكتابةً، كما أنه قد خدم مناقب الشيخ العارف بالله معروف بن عبدالله باجمال، وليد شبام، ودفين بلد بضة في شهر صفر سنة تسع وستين وتسعمائة هجرية، وأبدع في ذلك. وكان السبب الحامل له على خدمتها: أن أحد المشايخ آل باجمال، المقيمين بمكة، كان يقيم حولًا للشيخ معروف كل سنة، وتقرأ فيه مناقبه، فلما سمعها صاحب الترجمة، قال: إنها لا تفي بمقام الشيخ معروف، لكونه شيخ سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم.

وكان حسن الصوت، حلو الإنشاد، ولطيف الذوق في الاستشهاد، مرةً عزم الحبيب حسين بن محمد الحبشي لحضور ختم «البخاري»، فاعتذر، ثم حضر بغتةً، فأمر صاحب الترجمة أن يقول شيئًا من كلام الصالحين، فأنشد بقصيدة سيدنا عبدالله الحداد التي مطلعها:

سمحَ الزمانُ بوصْل رِيم الأجرَعِ	ذاتِ المحاسِن والجمال المبدَعِ
أفْدي سُويكِنةَ النقا ومحجر	أن أطمعَتْ بالوَصْلِ أو لم تطمَعِ

ثم غلبه البكاء من شدة الفرح، فقطع الإنشاد، انتهى.

وبما أني أعدُّ نفسي مقصرًا مهما أطلتُ في شمائل هذا الحبيب، فالأولى أن أختصر القول فيه، مستشهدًا بقول الحريري في «مقاماته»:

فما راقني من لاقني بعْدَ بُعدِه	ولا شاقني من سَاقني لوصَالِه
ولا لاح لي مذْ ندّ نِدٌ لفضْله	ولا ذو خِلالٍ حازَ مثْل خلالِه



وكانت وفاة الأخ عقيل، صاحب الترجمة، بأم القرى، في شهر رجب، سنة واحدة وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية، ودفن في حوطه أهل البيت بمعلاة مكة، مع أسلافه العلويين.



[الشيخ أحمد ناظرين (1300- 1370هـ)]

ومنهم الشيخ المجد، العلامة المجتهد، الزاهد الشاكر المتعبد، أحمد ناظرين. وليد مكة وخريجها، وأحد المدرسين الممتازين بالمسجد الحرام المكي، رضي الله عنه.

صار أخذه عن صاحب المناقب الترجمة متنازعًا بين مظهر العلم ومحبته، وبالرغم من ميلانه القلبي إلى الأخير، فقد تغلب عليه الأول، فهو بين مدرسي المسجد الحرام

وطلبته أوضح من نار على علم، كما أنه لدى أساتذة المدارس وتلاميذها أشهر من حاتم بالكَرَم، لفهمه الثاقب، ومدركه الواسع، وملكته الراسخة.

وكان أستاذًا في أشهر مدارس أم القرى، مدرسة الصولتية، ومدرسة الفلاح، ثم وظفته مشيخة الحرم المكي بالتدريس بالمسجد الحرام، فلازم ذلك وانهالت إلى حلقة درسه طلاب العلوم، لا سيما المشغوفين بعلوم الآلة، لمهارته فيها، فكأنه فطر عليها، وتداولها مع الصبيان في الشارع من صغره! فلا يرتبش وقت الإلقاء، ولا يريش الطلبة، بل يظنه الإنسانُ حال الدرس أنه يحكي حكايةً عادية، لا علاقة لها بالعلم والتعليم.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قرأتُ عليه أنا وزميلي في الطلب، الأخ العلامة الأديب محمد بن حسن بن علوي بن عبدالله بن حسين بن محمد بن شيخ بن شهاب الدين. وليد تريم، وخريج مكة، ودفين سنقافور بملايا، في فن المنطق. وكان يخصصنا من بين الطلبة بمزيد عناية، لصدق محبته وولائه هل البيت الرسالة، والعلويون الحضرميون منهم بوجه أخص، لكونه ينتسب إليهم في الطريقة، وكان يبكّت علينا في أثناء الدرس إذا تأخرنا عن الحضور، أو تكاسلنا في المطالعة. وربما قال: الحمدلله، أما أنا إلا أحمد ناظرين، أبوي إلا يبيع اللقيمات، يعني نوعًا من الخبز في السوق، يكفي مني الذي قد عرفته، ولكن الخسارة إلا على الذين ينتسبون إلى بيت الرسالة، ومعدن العلم.



ومن حكمه البالغة، في تصفية طلبة العلم من الكبر والمكابرة، أنه في بعض الأحيان يقول: هذه مسألة ما فهمتها، اسألوا فيها غيري.

فقلت له مرة: لو قلتم إنها تحتاج مراجعة لكان ألطفَ. فانتهرني، ووجه الخطاب إلى الطلبة، وقال: ثقوا يا أولادي من الآن، أن العارف الحقيقي هو الذي يكثر من قول: والله أعلم، لأنها نصف العلم.

ومن حسن أسلوبه في التقرير: أنه إذا أقرأ عبارةً، قال: هذه جملة على اسمها، أي: مجملة، ثم طرح الكراس من يده، وقال: لا بد نفكك كلماتها واحدة بعد واحدة، لأجل نشوف أيش حطوا لنا في وسطها. ثم أخذ في تحليلها باللغة العامية، التي لا يدور حولها الإشكال، فإذا جاء مثلاً في العبارة تعريف الحيوان بأنه «الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة». يقول في تفسير «**الجسم**»: كل حاجة ماسكة مكان في الأرض أو في الهواء، يقال لها جسم، ويقال لها جرم أيضًا، مثل: الجدار، والكوز، والذرة، وغيرهن. وفي تفسير «**النامي**»: الذي يزيد مثلنا، كنا صغارًا وكبرنا، والفرس والشجرة كذلك. وفي تفسير «**الحساس**»: الذي يشوف ويسمع ويلتذ، ويتمايل يميناً وشمالاً. وفي تفسير «**الإرادة**» أي: إذا أراد ذلك، مثلنا الآن، جئنا لحضور الدرس، وسنرجع إلى بيوتنا، والطير يفر من الجدار ويقصد الشجرة. ثم يختم ذلك بقوله «صح وإلا لا!»، انتهى النموذج السديد، من صناعة شيخنا الذي ألان الله له الكلام كما ألان لداود الحديد.



ثم أجبر صاحب الترجمة في آخر وقته على تولية القضاء الشرعي، لتعينه عليه، ولكنه تخلى عنه، ومال ميلة واحدة إلى التصوف، والتجرد للعبادة، وكانت طريقته علوية حضرمية، تبعًا لكثرة أشياخه. من أجلّهم شيخ الإسلام محمد سعيد بابصيل، والشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، والحبيب حسين بن محمد الحبشي، والشيخ محمد بن علي بلخيور، والشيخ أسعد دهان وأخوه الشيخ عبدالرحمن دهان، والسيد عمر بن محمد

شطا، والشيخ بهاء الدين الأفغاني نزيل مكة، ثم ختم معارفه على الحبيب أحمد بن حسن العطاس، لأنه كان حريصًا على السند، طموحًا إلى استنزال السر والمدد، متطاولًا إلى مقام الصديقية وقد.



[ترجمته بقلم عمر عبدالجبار]

ولنختم ترجمته بشيء مما ترجم به الأستاذ عمر عبدالجبار في كتابه المسمى «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، حيث يقول:

«الشيخ أحمد ناظرين، ولد عام ثلاثمائة وألف هجرية، تخرج من المدرسة الصولتية، وأجيز بالتدريس بالمسجد الحرام، والمدرسة الصولتية، ونقل إلى مدرسة الفلاح مدرسًا، ثم عين قاضياً بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة، وظل بها إلى أن توفي، عام سبعين وثلاثمائة وألف هجرية.

كان الشيخ أحمد ناظرين معتدل القامة والجسم، كث اللحية، سليم النية، تخرج من المدرسة الصولتية فتضلع في الفقه والنحو، (عملياً لا تخصصًا بشهادة)، فكان مثال الطالب النشيط، القوي الإيمان، اشتهر بين زملائه بالتواضع وحسن السلوك، ودماثة الأخلاق. ثم واصل دراسته بالمسجد الحرام، فأخذ العلم عن مشايخه، وعقد حلقة دراسته في الحصوة التي أمام باب المحكمة، وبجانبه حلقة الشيخ سالم شفي، زميله في الدراسة. كان رَحِمَهُ اللَّهُ يستولي على قلوب تلاميذه وعقولهم، فيغذيها بنور العلم، ويهديها إلى سبيل الرشاد، كالنور يهدي الضال، وينير الدجَ فيسلخ الظلام، ويطهر النفوس من أدران الجهل، وكالبوتقة تطهر الذهب، فيذهب ما به من خبث.

وكان يقول لطلابه في كل مناسبة ليست الغاية من العلم أن تعلم فحسب، بل الغاية

أن تعمل بما تعلم من الخير، وأن تكون قدوةً لغيرك في الخير، ولا تتعلم العلم لتكتمه أو تفتخر به، بل تعلمه لتنتفع به، وتنفع غيرك به:

وعـــالم بعلمِـــه لـــم يعمَلَـــنْ معـــذبٌ مـــن قبْـــلِ عابِـــد الـــوثَنْ

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ متقشفًا، يدعو إلى الخشونة، ويقول: اخشَوشِنوا، فإن النعم لا تدوم. كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يضجر من كثرة الأسئلة التي توجه إليه أثناء تدريسه، بل كان يجيب كل سائل بما يفيده ويقنعه، كان يغلب عليه حسن الظن بكل مسلم، والدعوة له بالهداية، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ جم التواضع، يداوي جهل الفَظّ الغليظ بالحكْمةِ والرفق والوعظ والنصح. التحق رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمدرسة الفلاح، فكان بصلاحه أداة هداية استنارت به قلوب طلابه، فكان منهم القاضي العادل، والعالم العامل، والمدرس المنتج، والموظف الكفؤ»، انتهى المراد من الكلام أستاذ عمر عبدالجبار، وبه انتهت الترجمة.



[الشيخ خليفة بن حمد النبهاني 1270-1362هـ]

ومنهم الشيخ القدير، الفلكي الشهير، والجغرافي النحرير، خليفة بن أحمد بن نبهان البحريني، ثم المكي. أحد علماء المالكية المدرسين بالمسجد الحرام، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. لا أعلم له صلةً بصاحب المناقب رضوان الله عليه، إلا أنه كان كثير البحث عن سيرة السادة العلويين بحضرموت، معجباً بطريقتهم، لاصقا بأشياخنا المكيين.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وهو أحد أشياخي الذي تربعتُ على موائدهم بالمسجد الحرام، قرأت عليه رسالته المسماة «الوسيلة المرعية» في علم الميقات بالربع المجيب وبالحساب الستيني، ولسعة

اطلاعه في علم الفلك لم أره يمسك كتابًا بيدِه حال الدرس، بل كان يستعين بعصاته على تمثيل رسم الدوائر، ومناطق البروج، وخطوط أطوال البلدان وعرضها، على الفراش الذي يكون جالسًا عليه.

وقد أمرني في بعض الأيام مع جملة من الطلبة، أن نبيتَ في جبل أبي قبيس ليلةً، فأتانا بعد العشاء، وجعل يعرفنا بذوات النجوم في الماء، وأسمائها ومنازلها، فتخيل لنا من حسن وضوح إلقائه علينا، أن أديم السماء هي الشوارع التي لعب فيها في أيام صباه، وأن النجوم هي ألعابه التي لا تنكر صوته، ولا تشمئز من لونه.



على أن صاحب الترجمة كان عابدًا متقشفًا، ميالًا بطبعه إلى هيئة الدراويش، في ملبسه، وحركاته العادية. وبما أنه كان الوحيد في ذلك الوقت في فن الفلك والجغرافيا، عينته إمارة مكة المفتَش العام على مجاري الماء من عين زبيدة، التي يشربون منها أهل مكة، وملحقاتها. فكان إذا حدث اختلالٌ في شيء من الأقسام، ينزل بنفسه في العتْم، أي مجرى الماء، ويمشي فيه مسافةً طويلة، مع عمق العتم وظلمته، لكونه مسقوفًا. حتى يدركَ أثر ذلك الاختلال، فيأمر بإصلاحه. وكان أكثر الناس تعجبًا من أعماله المخصّصين لهذا الشأن، وربما عدوًا ذلك من الولاية، لا من صناعة العلم.

قلتُ: وقد رأيت يومًا في حارة القشاشية بمكة، أناسًا مجتمعين، فجئت إليهم، وسألتُ بعضهم عن الحال والشأن. فقال: إنهم ينتظرون الشيخ خليفة يطلع عليهم الآن من هذه الخرزة، أي الفتحة التي يستقي أهل تلك الحارة منها، لأنه جاء في العتْم من مكان بعيد، فطلع حينئذٍ، وبيده قبضةٌ من الحيات أشكال وألوان، وبعضها يلتوي على

ذراعه، وبعضها يمتد إلى الناس. فابتعد الناس عنه خوفًا من الحيات، فجعل هو يخرجها بيده الأخرى، ويضعها على الأرض مع بعضها، وهو يقول: الحمدلله الذي سلطنا عليها ولم يسلطها علينا. فهمّ بعض الحاضرين أن يرميها بالأحجار، فانتهره الشيخ، ثم خط عليها دائرة في الأرض بعصاه، وتلا عليها شيئًا من الأسماء، فجعلت تتداخل في بعضها، حتى صارت مثل الكرة، ثم تفككت من بعضها وقد ماتت كلها في الحال.

[إجازة المؤلف من صاحب الترجمة]

وقد أجازني شيخنا صاحبُ الترجمة إجازةً عامة، بعد أن أخبرني بأشياخه، ولكن ذاكرتي الجامدة قد خانتني في ذلك.

[ترجمته بقلم عمر عبدالجبار]

ولنختم ترجمته بما ترجم به الأستاذ عمر عبدالجبار في كتابه المسمى «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، حيث يقول:

«الشيخ خليفة بن أحمد النبهاني. ولد عام سبعين ومائتين وألف هجرية، وتوفي عام ثنتين وستين وثلاثمائة وألف هجرية. تلقى علومه عن علماء الحرمين الشريفين، وتخصص في علمَي الفلك والميقات، عرفتُه طويل القامة، معتدل الجسم، صحيح البنية، ذا لحية كثيفة، زادته مهابة ووقارًا. ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبحرين، ونشأ فيها، وفي السابعة عشر من عمره بعثه والده إلى مكة لطلب العلم، فعكف على الدراسة، وأخذ العلم عن السيد أحمد بن عبدالله الزوواي، والشيخ حسين بن إبراهيم مالكي، والشيخ عبدالقادر مشاط، والشيخ بكر حَجِّي البسيوني، والشيخ عمر بركات البقاعي والشيخ جعفر لبني، والشيخ

عبدالرحمن دهان، والشيخ شعيب بن عبدالرحمن الصديقي، والشيخ عباس بن صديق مفتي الأحناف، والشيخ ياسين بسيوني، والشيخ محمد كتاني، والشيخ محمد حامد، تلقى عنهم رحمهم الله ورحمه، التفسير، والحديث، والفقه، وعدة فنونٍ. كما تلقى العلوم الرياضية عن الشيخ أحمد ناصر البغدادي، ثم لازم الشيخ محمد يوسف خياط، فتلقى عنه علمَي الفلك والميقات، فنبغ فيهما، وتخصص لنشرهما.

وسافر إلى المدينة، فأخذ المسلسلات عن الشيخ فالح بن محمد الظاهري، وقرأ «صحيح مسلم» على يد الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي.

ولما رجع إلى مكة، عينه الشريف عون إمامًا للمالكية، وأجيز بالتدريس بعد اختباره، وقد تعلم بالبحرين الغوصَ في البحار، واستخراج اللؤلؤ منها، كما تعلم الهندسة الميكانيكية. فعين بمكة مهندسًا لعين زبيدة، والزعفران. فأخلص في عمله ونال إعجاب ولاة الأمر على جدّه ونشاطه وإخلاصه، فضمت إليه مهمة تقسيم المياه، فكان موفقًا ناجحًا، واشتهر بالقسَّام، ثم أصبح رئيسًا للقاسمين، فسطع نجمه، وشهد له الجميع بالجرأة والشجاعة ورباطة الجأش.

[الشيخ خليفة يصف بئر زمزم]

وقد شهدته غير مرةٍ يخلعُ ملابسه، وينزل إلى المقسّم، ثم يطلع وبيده ثعبان، وهو قابض على رأسه. ومات أحدُ الحجاج غريقًا في بئر زمزم، فأحضر ولاة الأمر الغواصين من جدة لإخراج الغريق، ولكنهم فشلوا، وخُيّل إليهم أن البئر واسعةٌ تمتد إلى باب السلام غربًا والكعبة شرقًا، فلما علم بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ، أسرع إلى بئر زمزم، فخلع ملابسَه، وربط في قدميه كُرَتَي حديد (قلّتين)، مكنتاه من النزول إلى قاع البئر، فأخرج الغريق، وأخبر الغواصين بوجود أوساخ في قاع البئر، وأرشدهم إلى الطريق الفنية للوصول إلى

قاع البئر، فغاصُوا على ضوء إرشاداته، ونظفوا البئر مما فيها من أدْليةٍ. وشرح لهم ولطلابه وصف البئر، فقال: أن عمق مائها أربعون ذراعًا، وارتفاعها من الأرض إلى علو فتحتها ثمانُ قاماتٍ، وعرضها من أسفل لا يتجاوز باع الإنسان، وأن البئر تحت الأرض ينبعُ ماؤها من صخرةٍ مدورةٍ منقورة نقرًا عجيبًا، وأن هذا الوصف يخالف روايات الأزرقي وغيره من المؤرخين، من أن زمزم ينبعُ ماؤها من ثلاثة عيون، وأنّ ماءها يمتد من الشرق إلى الغرب والجنوب، وليس من رأى كَمَن قرأ وسمع.



لم يقف نشاط الشيخ خليفة إلى حد نشر العلم والعمل، بل عكف على التأليف بجانب التدريس. وكانت مؤلفاته في علم الفلك والميقات، منها:

[1] «الوسيلة المرعية لمعرفة الأوقات الشرعية».

[2] و«مجموعة رسائل في علم الفلك»، تقرر تدريسها بمدرستي الصولتية، ودار العلوم.

[3] و«ثمرات الوسيلة لمن أراد الفضيلة»، في العمل بالربع المجيب.

[4] و«جدول الدائرة المغناطيسية لمعرفة لقبلة الإسلامية».

[5] و«رسالة رسم البسائط».

[6] و«التقريرات النفيسة في بيان البسيطة والكبيسة».

[7] و«منظومة في منازل القمر».

وقد اشتهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتقشف والتواضع، وكرم النفس، وعلو الهمة، وأصالة الرأي»، انتهى المراد من كلام الأستاذ عمر عبدالجبار، وبه انتهت الترجمة.

[الشيخ عبدالله حمدوه السناري
المتوفى سنة 1350هـ]

ومنهم الشيخ الأجل، الجامع بين العلم والعمل، والحريص على إصلاح المستقبل، عبدالله بن إبراهيم حمدوه السناري ثم المكي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كان اتصاله بصاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة أشياخه، من أجلّهم الحبيب حسين بن محمد الحبشي، والسيد عمر بن محمد شطا، والشيخ علي بن حسين المالكي، وغيرهم.

كان حسن السيرة، منور البصيرة، ذا عقلٍ وسمْتٍ حسن، وهو أحد المؤسسين لمدرسة الفلاح بأم القرى، ومدير المعارف بتلك المدرسة الشهيرة، كما أن بيته منتدى طلبة العلم، لحسن سيرته، ولطف أخلاقه، ومحبته لإطعام الطعام، وتكريم الكرام.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قرأت على شيخنا صاحب الترجمة «رسالته في فن التجويد»، ثم تلقيتُ الأداء عنه، فكان يراعيني نهاية المراعاة، على عجرفة لساني، وشراسة قيادي في ذلك.

ولم أتذكر أني تعبتُ في شيءٍ من تلقي الفنون وأتعبتُ غيري، مثل ما وقع لي في تلقي تجويد القرآن الحكيم، وزاد الطين بلةً أن نفسي الأمارة تقول لي: كيف تتعلم القرآن، وقد جاوزت العشرين السنة من العمر، وأصبحت تعد من طلبة العلم؟ وإنما هذه صناعة الصبيان الذين لا يزالون يلعبون في الشوارع.

قلتُ: ولم أزل أقول: أفّ وتف لها، من صوّاغة باللسان، روّاغة عن الإحسان،

وليت شعري، فإني ما كنتُ إذ ذاك أدري أن أرباب العلوم، وجهابذة المنطوق منها والمفهوم، لا يستمدون إلا من مفاهيم آياته، ولا يسيرون إلا في ضوء مشكاته.

وما أحسن قول سيدنا عبدالله الحداد، حيث قال في ذلك المعنى وأجاد:

وواظِبْ على درْسِ القرانِ فإنّ في ... تلاوته الإكسيرُ والشرْحُ للصدْرِ

ألا إنّه البحر المحيطُ وغيره ... من الكتْبِ أنهارٌ تمدُّ من البحْرِ

تدبّر معَانيه ورتّلْهُ خاشِعًا ... تفوز من الأسْرار بالكنز والذخْرِ

[خبر الوليد بن المغيرة المخزومي]

قلتُ: وقد أجمع المفسرون، على أن قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾، نزلت في الوليد بن مغيرة المخزومي، وأنه كان أفصح قريش، وإليه المرجع فيما أشكل عليهم من أنواع البلاغة، وأنه كان من أهل الثروة العظيمة فيهم.

وهو أحد المرادَين بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾، وأنه كان يلقب بريحانة قريش، لأنه الوحيدُ في قومه، كما حكى الله ذلك عنه بقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾.

وسبب نزول هذه الآيات في المذكور: أنه لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾، قام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي بها تحت الكعبة، والوليد قريبٌ منه، يسمع قراءته، فلما فطن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاستماعه، أعاد قراءة الآية.

وكان الوليد قد تدرّكَ لقريشٍ بتحقيق ما يزعمُ محمدٌ أنه قرآنٌ أنزله الله عليه، فرجع الوليد إلى قومه، وهم ينتظرونه بفارغ الصبر. فقال: «والله لقد سمعت من محمدٍ آنفًا كلامًا، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلَى».

فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسِه، ثم نظر وعبسَ، وقال: والأقرب عندي أن تقولوا إنه سحر!. وقد حكى الله عنه كلما حاكَ في صدره، وقاله لقومه بقوله عَزَّوَجَلَّ: إنه فكر وقدّر، أي: في الأمر الذي يريدُه، ونظر فيه وتدبره، ورتب في قلبه كلامًا واهيًا لقومه، انتهى.

قلتُ: وقد سئل بعض شيوخ الإسلام عن نصارى العرب، واليهود المتبحرين في علوم العربية: كيف عرفوا القرآن ولم يؤمنوا به؟ فقال: إنهم إنما عرفوا معاني الألفاظ، ولم يعرفوا روح العربية الذي أودع الله فيه سرّ القرآن، لسبق الشقاوة عليهم، أعاذنا الله منها في الدارين، بمنه وعصمته، انتهى.



[ترجمته بقلم عمر عبدالجبار]

ولنختم ترجمته بشيء مما ترجمه به الأستاذ عمر عبدالجبار، في كتابه المسمى «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، حيث يقول:

«الشيخ عبدالله حمدوه؛ مربي الجيل الماضي. ولد عام أربع وثمانين ومائتين وألف هجرية بالسودان، وتوفي عام خمسين وثلاثمائة وألف هجرية.

يعتبر فضيلة الشيخ عبدالله حمدوه أكفأ مربٍّ في عهده، استقام وأخلص وأنتجَ، وخلد أطيب ذكر، وأثمن أثر. ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ برفاعة، وهو من أشراف دنقلة، ومن أقرباء السيد المهدي. كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ طويل القامة، نحيف البنية، أسمر اللون، مشلخ الخدَّين، والتشليخ عادةٌ قديمة بالسودان، يستعمل كوسْمٍ تعرف به القبيلة التي ينسب إليها الشخص. حفظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن ببلده، ثم قدم إلى مكة وعمره عشرون سنةً، فجود القرآن، وعكف على طلب العلم بالمسجد الحرام، حتى صار أحد المدرسين فيه، ولم يقف عند ذلك فحسب، بل أجهد نفسه في ترقية المدارس الابتدائية، وتهذيب أخلاق التلاميذ وصبغتهم بالصبغة الدينية، علمًا وعملًا.

وما كان الشيخ عبدالله حمدوه مديرًا للفلاح فحسب، وإنما كان واعظها، بجانب ما يقوم به من التدريس في الفقه والنحو في بعض الفصول.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علاوةً على محبة الشعب له، موضع تقدير الحكومتين الهاشمية والسعودية، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسوس طلابه بحكمة وروية، وقد يشتد على المراهق الطائش بطرق تربوية، قبل أن يُعرف علم النفس وطرق التربية العربية الحديثة.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحث طلابه على أداء الصلوات الخمس، ويدرب الصغار على أدائها عمليًا، لذلك لم نجد خريجًا من طلابه يستهزئ بالصلاة، ويعدها رياضةً فيتكاسل عن أدائها، فضلًا عن تركها، لأنهم اتخذوا سيرة مربيهم قدوةً يستضيئون بها في حياتهم. ولئن كانت عصَا الشيخ عبدالله حمدوه من الجنة، كما يقولون، فما ذاك إلا أنها تدعو إلى طاعة الله وامتثال أوامر رسوله، والبر بالوالدين، واجتناب ما نهى عنه الدين»، انتهى المراد من كلام الأستاذ عمر عبدالجبار، وبه انتهت الترجمة.



[الشيخ صالح بن محمد بافضل المتوفى سنة 1333هـ]

ومنهم الشيخ الوقور، العلامة الغيور، ذو السعي المشكور، صالح بن محمد بافضل، وليد مكة ودفينها، رضي الله عنه. كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة أشياخه من المكيين والحضرميين.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وأنا قرأتُ على شيخنا صاحب الترجمة «شرح الجوهر المكنون» في المعاني والبيان والبديع، علا على نهل.



وسأقتصر من ترجمته على جُل ما ترجمه به زميلُنا، العلامة المحصل، الشيخ محمد بن عوض بافضل، التريمي بلداً، والحريضي تثقيفًا وسندًا، في كتابه «صلة الأهل في مناقب آل أبي فضل»، حيث يقول:

«صالح بن محمد بن عبدالله بن يحيي بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن حسين ابن محمد بافضل. علامة العصر، الفهامة الذي يضن بمثله الدهر، عمدة المحققين، وصدر المدرسين في البلد الأمين، مالك رقّ الفصاحة والبراعة، فلا يفارقان لسانه ويراعَه. ولد بمكة المشرفة، وقرأ القرآن العظيم بالتجويد، وحفظ عدة متونٍ، واشتغل بتحصيل العلوم، وشفى الكلوم، بما حازه من ثواقب الفهوم، ولازم شيخ الإسلام، ومفتي البلد الحرام، السيد أحمد بن زيني دحلان، وقرأ عليه في فنون شتى، ثم لازم بعده أكابر تلامذته كالسيد بكري بن محمد شطا، والشيخ محمد سعيد بابصيل. وأكثر انتفاعه بالأول. وأتقن علوم الآلة، حتى سحب على الأكثرين أذياله، وقال لسان حالها: لا أصلح إلا له.

ثم صرف عنايته إلى تحقيق الفقه حتى مهر فيه، وسلم له في ذلك كل فقيه.

وأذن له مشايخه في التدريس، فدرس في حياتهم، وفاق نظراءه في حسن الإلقاء والتعبير، وجودة التحقيق والتحرير. وخرج على يده كثيرون من التلامذة، وصاروا علماء جهابذة.

[مؤلفات صاحب الترجمة]

ثم ألف وصنف، وفي أساليب البلاغة تصرف، فمن تآليفه:

[1] «حاشية على شرح ابن حجر على المختصر الكبير»، للإمام عبدالله بالحاج بافضل، وهي جامعة حافلة مطولة، تبلغ أربعة أجزاء كبار، وقد طبع (الجزء الأول) منها.

[2] ومنها «حاشية على شرح روض الطالب» لشيخ الإسلام زكريا، ولم تكمل.

[3] ومنها رسائل عديدة، في مواضيع مختلفة. اطلعتُ على بعضها، لما أضافني إلى بيته بمكة المشرفة.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حسَن الأخلاق، لطيف الذواق، له قدم راسخ في الأعمال، لا يتأخر عن حضور الجماعة في الحرم، حتى إنه في آخر وقته أصابه عرَجٌ في رجليه من أثر سقوطٍ، فكان يخرج إلى الحرم على عصَوين، ولا يصل إلا بجهد شديد. وكان يعتكف غالبًا عشية النهار في الحرم، إلى أن يصلي العشاء، وكان يحج في كل عامٍ.

[وجاهته في البلد الحرام]

ولما صدر الأمر السلطاني من القسطنطينية بجمع أعيان العلماء بمكة، وتوجيههم إلى الإمام يحيى بصنعاء، كان صاحب الترجمة أحد المعيّنين فيهم، وذهب معهم.

ودعاه مع أعيان العلماء الحرم المدرسين فيه، الشريفُ الحسين، أمير مكة، وقال لهم: إن دروسكم الآن لا نتيجةَ لها، ولعلكم عاجزون عن التدريس! فإما أن تقوموا به، وإما أن ننقل للحرم مدرّسينَ أعلم منكم!.

فأجابه الشيخ صالح، وقال: يا سيدنا، هذا الخطاب لا يتوجه إلينا، لأنا باذلون أنفسنا للتعليم في كل وقتٍ، ولكن اجمع لنا الطلبة والمستفيدين من نفس مكة، فإن الذين يشتغلون بالطلب لدينا جميعُهم آفاقيون، وما المانع لأهل مكة من الاشتغال؟! وأما قولكم «سننقل مدرسين أعلم منكم»، فنحن نعطي جوابًا، ونناظر في اثني عشر علمًا، فإن شئت نقْلَ الآخرين فالأمر إليكَ. فأعجب الشريف جوابُه، وحكم على جميع أهل مكة المتأهلين للطلب، بأن يقبلوا على العلم ويشتغلوا به، انتهى.

ولم يزل رَحِمَهُ اللَّهُ في أم القرى، يرشد الورى، وينصر ركاب السرى، إلى رفيع الذرى، إلى أن دعاه داعي الممات، وهو على أحسن الحالات، فتوفي إلى رحمة الله في شهر ربيع الثاني، سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف بمكة المشرفة.

وكانت وفاته فجأةً، إذ قبضت روحه وهو ماسكٌ كراسةً يطالع فيها درسًا من دروس العلم الشريف، رحمه الله تعالى»، انتهى المراد من كلام بافضل، وبه انتهت الترجمة.

[الحبيب عيدروس بن سالم البار (1299-1367هـ)]

ومنهم الحبيب السلوة، العلامة الصفوة، والمشهود له في ميادين العلوم وأعمال بلوغ الذروة، عيدروس بن سالم بن عيدروس بن سالم بن عيدروس بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن حسين البار. وليد مكة، ودفين حوطة أهل البيت بمعلاتها، وأصيل دوعن الأيمن بحضرموت، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تربى وتهذب بأبيه، وتخرج بين عمدة أشياخه، الحبيب حسين بن محمد الحبشي، والشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، وأخذ مباشرة عن شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وعن السيد عمر بن محمد شطا، وأخويه عثمان وبكري، وغيرهم من المكيين والآفافيين، وختم ذلك كله بأخذه عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس في حجّة وداع الحبيب أحمد. بعد أن أذنت له مشيخة الحرم المكي بالتدريس في مختلف الفنون، فانتصب لذلكَ، وأبدع فيما هنالكَ، حتى إنه جمع من تقريراته في النحو «حاشية على قطر الندى» لابن هشام، فعسى أحد الموفّقين يسعى بطبعها.



ولصاحب الترجمة في علومه وأعماله أذواقٌ شريفة، وإدراكات لطيفة، يتبادر إلى ذهن جليسه الفطِن قول البارئ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾. إلا إن صوفياته تكاد تتغلب على فقهياته وأدبياته.

[من أخباره في الورع]

ومن مزايا صاحب الترجمة التي تفرد بها عن أقرانه، أنه كانت ذا ورع حاجز، ومُدرَكٍ في أصول الدين الحنيفي واسع، يصدقُ عليه عند تعارض الأقوال قولُ الشاعر:

لعمـــرُكَ مـــا أمـــري علـــيَّ بغُمّـــةٍ نهـــاري ولا ليلـــي علـــيَّ بســـرْمدِ

ومن ورع صاحب الترجمة، وسيْره مع العلم: أنه كان مشغوفًا بشرب الشاهي الأخضر، ليعينه على المطالعة وقيام الليل، وكان يشربه بالسكر المجرش، وأهل مكة في تلك الأوقات يستعملون السكر القُبع، لكثرته، فلم نجتر على صاحب الترجمة بالسؤال في ذلك، فلما حضر الشاهي الأخضر في بعض الأيام، بمناسبة وليمة زواجٍ عند بعض أصحابه من أهالي مكة، تنوعت الأقوال في مدحه، وشدة التوقان إليه.

فقال بعض الحاضرين: يقولون أنه ممزوج بشيء من الأفيون! فقال الآخر: إذًا يجب علينا تحقيق الأمر. ثم توجه الخطاب إلى صاحب الترجمة، فقال: أما أنا من كثرة فضولي فقد تعرضت لتحريم السكر القبع على نفسي، وكما ترون، أنتم تتمتعون به وأنا محروم منه، وهذا بسبب الفضول الزائد على المأمور به شرعًا. كنت أسمع أن السكر القبع الزائد معمول بشيء من دقيق العظام، فبقيت أبحث عن ذلك بكل ما في استطاعتي، حتى أرشدت إلى أحد الأتراك الموظفين في بنك الفهمي، بهذه البلدة، الخبراء بهذا الشأن. فسألته عن ذلك، فقال لي: نعم، إنه لا يصلح إلا بشيء من دقيق العظام. فقلت له: عظام المذكاة أو الميتة. فقال: لا فرق في ذلك، فتيقنت عند ذلك أنه لا يخلو من عظام الميتة مهما كان الحال، وكانت هذه نتيجة الفضول الذي يضر ولا ينفع، وأنتم الآن من أراد أن يحرم الشاهي الأخضر على نفسه، فما الخبر عنه ببعيد.

ثم استطرد إلى صحيح النقول، ودلائل المعقول والمنقول، وأن الأصل الأشياء

الإباحة والطهارة بيقين، وأن الحرمة والنجاسة طارئتان مشكوكٌ فيهما، وأن اليقين لا يرفع بالشك مهما كان الحال، انتهى.

قلتُ: ولا عجب من حال عيدروس البار، صاحب الترجمة، الذي لو قيل لمعاصريه: إنها قد شلت يد كاتب شماله، لما كان ذلك غريبًا عندهم، لما يعرفونه منه في علومه وأعماله. وإنما العجب من الذين يتعاطون بعض المحرمات التي لا خلافَ في تحريمها، أو يشاهدون ذلك من جلسائهم يوميًا، ثم تتطاول أعناقهم، وتتسابق أقلامهم إلى البحث عن الأشياء المشكوك فيها، والله يقول وقوله الحق: ﴿وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ۝٦٥﴾، ولم يقل حيث تهوون، انتهى.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وقد قرأتُ على شيخنا صاحب الترجمة، الحبيب عيدروس المذكور «رسالة» سيدنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي، في افتتاح طلبي بالمسجد الحرام المكي، وذلك بأمر شيخنا وشيخ مشايخنا، الشيخ عمر باجنيد المذكور، وامتلأ خاطري بصاحب الترجمة محبة وإجلالًا، فإذا الظن كهانة، وصاحب الترجمة من حمال الأمانة.

ثم ترددت عليه، وصرت أحضر حضرة الحبيب عمر البار، ليلة كل ثلوث بعد المغرب، في بيتهم بجبل الكعبة. وقرأت على أخيه العلامة أبي بكر، ثم أخذت عن والدهما مباشرة.



وإذا قلنا: إن الحكم للموطن، لزمنا استثناء هؤلاء السادة، فإنهم ما زالوا في غايةٍ من الحرص على الطريقة العلوية، والعادات السلفية الحضرمية، وكانوا كلهم مغتبطين

بصاحب الترجمة. وكانت خاتمة قراءتي على شيخنا صاحب الترجمة في فنّ الأصول، بعد أن أجازني وألبسني. كما كانت وفاته بأم القرى ليلة السبت، لست عشرةَ خلت من شهر محرم، سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف هجرية.

ولنختم ترجمته بشيء مما ترجم به الأستاذ عمر عبدالجبار في كتابه المسمى «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، حيث يقول:

«السيد عيدروس بن سالم البار. ولد بمكة عام تسع وتسعين ومائتين وألف هجرية، وتوفي عام سبع وستين وثلاثمائة وألف هجرية. تلقى العلم عن والده، وعن المشايخ محمد سعيد بابصيل، وصالح بافضل، وعمر باجنيد، والسيد حسين الحبشي، وعبدالرحمن الدهان، وأسعد الدهان.

كان السيد عيدروس بن سالم البار عالمًا زاهدًا ورعًا، لم ينظر إلى حطام الدنيا إلا بقدر ما يتبلغ به، ويعينه على عبادة ربه، وأداء واجبه نحو أسرته. نشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيئة علمية كريمة المحتد، فكان في حديثه تقوى، وفي حركاته تقوى، وفي سكناته تقوى، لا يتحرك إلا للعبادة وأداء ما فرض عليه، وإذا صمت فإنما يترك الفرصة لفكره يسبح في تلك العوالم القدسية، يفكر في ملكوت السموات والأرض.

كان يشع على جبينه نور، ومن عينيه نور، يحلو للناظر أن يطيل النظر إليه، وللمتحدث معه أن يطيل الحديث، وما كان علمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ جافًا فاترًا، يقوم على تلقين المعلوماتِ كما تذكرها الكتب، بل كان علمًا رحبًا فضفاضًا، يلقي عليه من الإيمان رداء نقيًا يزيده روعة وبهاء، ويخرج مسائل العلم بنظراته السديدة داعيًا إلى الله في السر والعلانية، أن ينفع طلابه بدروسه وتوجهاته.

وكان تلاميذه يقبلون عليه، ويقتدون به، فيعاملهم معاملة الأبناء، ويشفق عليهم، ويساعد المحتاج منهم ما استطاع. وليست صلته بطلابه في المسجد فحسب، بل كانوا يتصلون به في منزله، حيث يتناول الحديث مسائل العلوم ومختلف الشئون.

وكان زميلي في درس السيد عيدروس، السيد عقيل بن أحمد العطاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتفقدنا حلقة السيد عيدروس يومين، فذهبنا لزيارته، فوجدناه رغم اعتلال صحته وشحوب لونه، كان يدرس طلابًا لا يتجاوز عددهم أصابع اليد في «النصائح الدينية والوصايا الإيمانية» للسيد عبدالله باعلوي الحداد، رحمهم الله، بينما كان والده وأخوه السيد أبوبكر يعقد كل منهما حلقة درسٍ لطلابهما، شموع تحترق لتضيء الطريق، طريق الهداية والإرشاد لغيرها. فسلمنا وجلسنا، وسمعنا السيد عيدروس يقول: عرفنا في الدرس الماضي ما وردَ في التشديد في ترك الجماعة من غير عذر، واليوم ينصحنا المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمحافظة على صلاة الجمعة وفضلها، وما ورد من الوعد الوعيد في تركها لأنها فرض عينٍ بالإجماع.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**من تركَ ثلاثَ جُمعٍ من غير عُذرٍ، طبعَ الله على قلبه**»[1]. وسئل ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: عن رجل يقول الليل ويصوم النهار، ولكنه لا يحضر الجمعة والجماعة؟ فقال: هو في النار، وليس يصبح مؤمنًا إن يترك الجمعة من غير عذر، وهو يسمع قول الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم إنك ترى أقوامًا يدّعُون الإسلام والإيمان، ويسمعون كلام الله وكلام رسوله، ثم يتخلفون عن الجمعة بغير عذر، أو بعذر فاسدٍ لا يصح كونه

(1) رواه أبوداود والنسائي من حديث أبي الجعد الضمري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عند الله وعند رسوله، فلا يتخلف عن الجمعة بغير عذر صحيحٍ إلا منافقٌ مرتاب، قد أخطأ الحق والصواب، وخرجت من قلبه أنوار التعظيم لله العظيم، ولحقوق ربوبيته التي لا عزَّ للعبد ولا شرفَ له ولا سعادة ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا في القيام والملازمة لها، والمداومة عليها، بل لا نجاة ولا سلامة له من عذاب الله وسخطه إلا في المحافظة عليها.

فانظر كيف يزهد هذا العبد في سعادة نفسه وفلاحها، ثم لا يبالي بخسرانها وهلاكها، حتى يترك حقوق الله، وما أوجبه عليه من فرائض، نسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ ه من درك الشقاء وسوء القضاء.



كان صوت السيد عيدروس كأنه دوي النحل، وتناوح الأشجار، هادئ النفس، مطمئن القلب، في إخلاصٍ وحنان. ثم ختم درسه بقوله: الله أعلم، وهي العبارة التي يختم بها المدرسون دروسهم، إقرارًا بعلم الله، وإحاطة بما دقَّ وعظم على السواء، وأن واحدًا منهم لا يقول مسألة من المسائل برأيه إلا مستعينًا بالله، وأن الله وحده هو العالم بالخطأ والصواب.

وبعد أن أدخل السيد عيدروس كراسته في محفظته، التفت إلينا بابتسامته التي لا تفارق شفتيه، وطمننا على صحته، ثم تناول سجادته، وقام إلى عبادة الله وحده، فودعناه إلى المسجد مغتبطين بصحته»، انتهى المراد من كلام الأستاذ عمر عبدالجبار، وبه انتهت الترجمة.

[الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى سنة 1350هـ]

ومنهم الشيخ الشهير، العلامة القدير، والواقف نفسه على خدمة البشير النذير، يوسف بن إسماعيل النبهاني البيروتي، ذو التأليف الكثيرة، والمحاسن الشهيرة، والمدائح النبوية البليغة النويرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اتصل بصاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، كما نص على ذلك صاحب الترجمة في كتابه «جامع كرامات الأولياء»، وغيره.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وإني بحمد الله قد اجتمعت بصاحب الترجمة في مكة المحمية، وأخذت عنه في حجته عام الثلاثين والثلاثمائة بعد الألف، ولما دخلت عليه بمعية سيدي الأخ عقيل بن عبدالله الحامد، المتقدم، والأعيان يهنئون بقدومه، نهض لملاقاتنا إلى منتصف الغرفة، فجعل شيخنا الشيخ عمر باجنيد يعرّفه بنا بأننا من أهل البيت، وصاحب الترجمة يقول: سيماهم في وجوههم.

ثم سألني عن مولانا الحبيب أحمد بن حسن المذكور، وعن أنباء صحته في الوقت الحاضر، فقلت له: إنه بحمد الله في أتم صحة. فسُرّ بذلك سرورًا كثيرًا، ثم استرسل في الثناء عليه، واستغراب وجود مثله في هذا الزمان، إلى أن قال: إنه يعد من المجددين، لأنه قد أرشد أهل العصر إلى كثير من محاسن الشريعة الغراء، ونشر كتب المتقدمين التي ينتفع بها الخواص والعوام، فكأنما لم نرها ولم نسمع بها إلا منه.

ثم رفع يديه، وقال: الحمد لله أنه قد أجازني ودعا لي، وصرت من مريديه، غير أنه ويا للأسف حيث إن أجازته وصلت إلى في عام الوحدة والعشرين والثلاثمائة بعد الألف، وذلك بعد تمام طبع ثبتي المسمى «هادي المريد إلى طرق الأسانيد»، ولكني قد ألحقتها بترجمته في كتابي «جامع كرامات الأولياء»، انتهى كلام صاحب الترجمة.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

ثم ترقبنا خلوته من كثرة الناس بالمسجد الحرام، فأتينا إليه لطلب الإجازة، خاصةً في مؤلفاته، وعامةً في غيرها، بعد أن قرأ عليه الأخ عقيل في تلك الساعة، وأنا أستمع، قصيدته التي مطلعها:

هـــوايَ طيبـــةُ لا بيضَـــاء عطبـــولُ ... ومُنيَتـــي عينُهـــا الزرقـــاءُ لا النيـــلُ

التي عارض بها «بانت سعاد»، حتى وصل عند قوله، في وصف سيدنا كعب بن زهير:

إن كـــان متبـــول قلـــب يـــوم أنشـــدكم ... بانـــت ســـعاد فقلبـــي اليـــوم متبـــول

أخذ الحاضرين العجب مما اشتمل عليه هذا البيت من المحسنات البديعية وبه ختمت القراءة. حين استرسل صاحب الترجمة في ذكر فضائل سيدنا كعب بن زهير، وسبقه إلى هذه الغاية.

قلتُ: وعلماء البديع يسمون ذلك «التضمين»، وهو: أن يضمن الشعر شيئًا من شعر الغير، مع التنبيه عليه، إن يكن مشهورًا عند البلغاء، ويسمى تضمين البيت فأكثر «استعانة»، وتضمين المصراع فما دونه «إيداعًا»، كما هنا. فإن صاحب الترجمة قد أودع شعرَه شيئًا من شعر سيدنا كعب بن زهير، وهو قوله «بانت سعاد فقلبي اليوم متبول»، على أن صاحب الترجمة قد جمع في شعره بين التنبيه والشهرة، لأن قبل هذا البيت قول صاحب الترجمة:

أتـــاك كعـــبٌ وقـــد جلّـــتْ جنايتُـــه وكـــاد يغتالُـــه مـــن ذنبـــه غـــولُ

وقـــام ينشِـــد لـــم تملِـــلْ مدائحُـــه غيـــر الكـــريمِ لديـــه المـــدْحُ مملـــولُ

فـــآبَ بـــالبردَة الحســـناءِ مشْـــتمِلًا وعـــاد وهـــو ببُـــرْد العفـــو مشْـــمولُ

ولســـتُ مِـــثلًا لـــه لكـــنّ حالتَـــه لهـــا بحالَـــةِ هـــذا العبْـــد تمثيـــلُ

إلى أن قال:

إن كـــان متبـــولُ قلـــبٍ يـــومَ أنشـــدكمْ «بانَـــتْ ســـعادُ» فقلبـــي اليـــوم متبـــولُ

أي: سقيم، ذاهب العقل من شدة الحب.

وكانت وفاة صاحب الترجمة سنة خمسين وثلاثمائة وألف هجرية.



[الحبيب محمد بن محسن الخيِّل العطاس
المتوفى سنة 1358هـ]

ومنهم الحبيب الكريم، ذو القلب السليم، العالم العابد المستقيم، محمد بن محسن بن عمر الخيِّل بن سالم بن عبدالرحمن بن سالم بن عبدالرحمن بن الحبيب القطب عقيل بن عبدالرحمن العطاس. وليد قرية قرما من برور القنفذة، بتهامة اليمن، وخريج المسجد الحرام بأم القرى، ودفين بقيع الغرقد بالمدينة المنورة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صار أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة أشياخه، من أجلهم شيخ فتحه الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، تخرج به ولازمه حضرًا وسفرًا، وكان زميله المطيع في مدارسة القرآن الحكيم لاتفاقهما في جودة الحفظ والمداومة على التلاوة، كما

أنه حضر الشيء الكثير من دروس شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وقرأ على مفتي الشافعية الحبيب حسين بن محمد الحبشي، وأخذ عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس وغيرهم.

وبما أنه ظل الشيخ عمر باجنيد أينما انبعث، فلا قبل لنا بعدِّ مشايخه، على أن صاحب الترجمة كان ميالًا بطبعه إلى الخمول، ومفضّلًا للسير القلبي إلى الله حتى في عاداته. على أني كلما لقيتُ صاحب الترجمة يتبادر إلى ذهني أن الله قد عجل له استجابة هذه الدعوة المأثورة، وهي: **اللهم** اجعل سريرتي خيرًا من علانيتي، واجعل علانيتي صالحةً.

ولا عيب فيه إلا أنه يحب إطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، فكان من عادته أنه إذا فتح الله عليه بشيءٍ من المال، لا تسكن جوارحه حتى يعمل به ضيافةً لطلبة العلم. كما أنه يبيت يتهجد بالقرآن الحكيم، ثم يختم ذلك بالطواف بالبيت قبيل الفجر، وكان حسن الظن بالمسلمين، خصوصًا الدراويش الذين يرِدُون إلى الحرم المكي، فقد كان يتتبع حركاتهم، وكأنه تظهر له منهم أسرار خفية.

كما أنه كان كثير الزيارة لسيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى كانت وفاته بالمدينة المنورة في آخر زياراته، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية، وكأنه المعنيّ بقول الشاعر:

هنيئًا لمن زار خير الورىٰ ... وحط عن النفس أوزارها

فإن السعادة مضمونة ... لمن حل طيبة أوزارها

قلتُ: والخيِّل، بفتح الخاء وكسر الياء المشددة، أي القيم، أو الناظر، لقب جده عمر، الذي كان قيمًا محتسبًا على عمارة مجرى الماء الذي يسقي حرث بلده حريضة.

[الحبيب عمر بن سالم بن عمر العطاس]

الحبيب العلامة ذو المجد والشهامة والمشارك في نشر العلم وتقلد الزعامة عمر بن سالم بن عمر بن حسين بن سالم بن عبدالرحمن بن الحبيب القطب عقيل بن عبدالرحمن العطاس. وليد مكة، وخريج مسجدها الحرام، ودفين حوطة أهل البيت بمعلاتها، وأصله من سكان وادي حمم، بقرب المكلا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اجتمع بصاحب المناقب، رضوان الله عليه، بمكة في صغره، حينما ابتدأ يحفظ القرآن الحكيم، فقرأ شيئًا منه على صاحب المناقب.

تربى صاحب الترجمة وتهذب بوالده، كما حدثني بذلك شفاهًا حين زرته في بيته بمكة، بعد رجوعه من ملايا، وطلبت منه الدعاء والفاتحة.

وتخرج صاحب الترجمة بشيخ فتحه، السيد العلامة المحقق بكري بن محمد شطا، مؤلف «إعانه الطالبين على فتح المعين»، المعروفة عند طلبة العلم بـ«تحفة المسكين»، كما أنه أخذ مباشرةً عن شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، وشيخ الإسلام بعده الشيخ محمد سعيد بابصيل.

وكان صاحب الترجمة قد انتصب للتدريس بالمسجد الحرام، ثم سافر إلى ملايا، ومكث بها مدة طويلة، لازم فيها نشر العلم والدعوة إلى الله، وتولى منصب الإفتاء الشرعي بترنقانو، وانتفع به الجم الغفير، ثم عاد وزار حضرموت، وأخذ وأعطى فيها من تجارته التي لن تبور، ورجع إلى مكة، وبها كان مقره البرزخي.

[الحبيب علوي بن أحمد السقاف
المتوفى سنة 1335هـ]

ومنهم الحبيب العارف، الذي ألقت إليه قيادها المعارف، والحجة البالغة على كل مبتدع ومخالف، علوي بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن حسين بن عيدروس بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالرحمن بن عقيل السقاف. وليد مكة، ونقيب السادة العلويين بها، ودفين حوطة أهل البيت بمعلاتها، رضي الله عنه.

اتصل بصاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة أشياخه، وهم الكثير الطيب ومن أجلهم شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، ومفتي الشافعية بمكة المحمية الحبيب محمد بن حسين الحبشي، والسيد محمد بن عبدالباقي الأهدل باليمن، وغيرهم ممن تفوح روائحهم المسكية.

[مؤلفاة صاحب الترجمة]

من تأليفه المفيدة منها:

[1] حاشية «ترشيح المستفيدين على فتح المعين».

[2] و«الفوائد المكية»، التي عارض بها الفوائد المدنية للشيخ الكردي.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وبعد أن قرأتهما على شيخي، ومربي جسدي وروحي، الشيخ محمد بن علي بالخيور، المتقدم ذكره، ذهب بي عنوة إلى بيت صاحب الترجمة، بحارة جرول، وقد

كبر سنه، وثقل جسمه، وجعل عليه أولاده شبه الحجاب من كثرة الناس.

وكان صاحب الترجمة يحب شيخنا المذكور، ويأنس به. فلما دخلنا عليه وهو جالس، قبل شيخنا يده وقدمه، فتبعته أنا في ذلك، ثم عرّف صاحب الترجمة بالحقير، فتذكر صاحب الترجمة عند ذلك أن والدي كان زميله في قراءة «المنهاج» على الحبيب محمد بن حسين الحبشي بمكة، ولم يتيسر لهما إتمامه. ثم أخبره شيخنا بأني قد ختمتُ عليه «الحاشية»، و«الفوائد المكية»، وطلب لي منه الإجازةَ والدعاء، فأجازني ودعا لي، وحين خرجنا من عنده، بشّرني شيخنا بإشارةٍ ظهرت له في الإجازة، ولم يخبرني بها. وكان شيخنا ممتلئ القلب بتعظيم صاحب الترجمة، شغوفًا بتكرير خطبة «حاشيته»، لما حوته من البيان والبديع، معجباً بانتقاداته الأدبية على «إعانة الطالبين». وقد تولى صاحب الترجمة نقابةَ السادة العلويين بمكة، مدة حياته، وله فيها خدمات جلية، ويعرف عند أهل مكة بشيخ السادة.



ولنختم ترجمته بشيء مما ترجمه به الأستاذ عمر عبدالجبار، في كتابه المسمى «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، حيث يقول:

«السيد علوي السقاف. ولد بمكة عام خمس وخمسين ومائتين وألف هجرية، وتوفي بها عام خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.

تربى في حجر والده العلامة مفتي الشافعية بمكة، وبعد أن حفظ القرآن وجوده، شرع في طلب العلم على السيد أحمد دحلان، ولازمه وعن السيد محمد بن حسين الحبشي، وعن السيد عمر بن عبدالله الجفري المدني، فنبغ في عدة فنون، وأجيز بالتدريس بالمسجد الحرام، فأجاد وأفاد. وكان حسن التقرير، قوي الحافظة، وما زال يدرس إلى أن توفي ليلة الجمعة.

مؤلفاته:

[1] «الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة السادة الشافعية».

[2] و«علاج الأمراض الردية بشرح الوصية الحدادية».

[3] و«القول الجامع المتين في حقوق إخواننا المسلمين».

[4] و«الكوكب الأجوج في أحكام الملائكة والشياطين والإنس والجن ويأجوج ومأجوج».

[5] و«فتح العلام بأحكام السلام».

[6] و«قمع الشهوة عن تناول التنباك والكفتة والقات والقهوة». **والكفتة**، بكسر الكاف، هي نوع من القات أيضًا.

[7] و«ترشيح المستفيدين حاشية على فتح المعين»

[8] و«هداية الناهض إلى كفاية الخائض في علم الفرائض».

[9] و«خدمة المرتاب من أهل الكتّاب».

[10] و«منظومة في تاريخ القرون والأنبياء وسير المصطفى».

[11] و«تذكرة» مشتملة على ماله من النظم والنثر وفوائد جمة وأوراد نبوية

[12] و«رسالة في الأنساب المصطفوية».

[13] و«ثلاث رسائل في علم الفلك».

[14] و«رسالة في الجبر والمقابلة ورسالة في الحساب».

[15] و«مقامات أدبية ومحاورات شرعية».

[16] و«مختصر مصطفى العلوم» يحتوي على عشرين علماً.

[17] و«السيرة النبوية في الأنساب الفاطمية».

[18] و«شرح أبيات ابن المقرئ في الدماء».

[19] و«البهجة المرضية شرح الدرة البهية الشهيرة بالعمريطية».

انتهى المراد من كلام الأستاذ عمر عبد الجبار، وبه انتهت الترجمة.



[الشيخ محمد بن عبدالله بافيل العمودي (1281-1351هـ)]

ومنهم الشيخ الزاهد، العالم المجاهد، والمفني أوقاته بين راكع وساجد، محمد بن عبدالله العمودي، وليد قرية فَيل، بفتح الفاء وسكون الياء، قبل ملتقى الدوعنين الأيمن والأيسر بحضرموت، ودفين معلاة مكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جاور بمكة احتسابًا لوجه الله، ولازم الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، وتفقه عليه، حتى أتقن ربع العبادات، وكاد يحفظه عن ظهر قلب. فأذن له شيخ الإسلام في التدريس بالمسجد الحرام، لصلاحه واستقامته، لأن من قواعد مشيخة الحرم المكي أنها لا تأذن لأحد في ذلك إلا بعد أن تختبره في اثني عشر علمًا وينجح فيها، فكانت هذه مزيةً وميزة لصاحب الترجمة على غيره.



[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

وقد حضرت درس شيخنا صاحب الترجمة، نحوًا من شهر، عقيب وصولي إلى مكة، وكان يحضر درسه بعد المغرب الجم الغفير من الحضارم، أهل الحوانيت والأشغال اليومية،

وانتفع به خلق كثير، لأنه كان ذا صدر رحب للعوام، صبورًا على أسئلتهم المعجرفة أثناء الدرس، فكان يعلمهم كيفية السؤال، ثم يخبرهم بالجواب مع كمال الرفق، المشوب بالمزح. وكان شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل يحبه ويمزح معه، وإذا استولت على المجلس هيبة العلم في غير المسجد الحرام، يوعز بعض العلماء إلى صاحب الترجمة بأن يتكلم، ليزول بعض الاحتشام، لأنه حلو اللفظ، لطيف المدخل.

وكان من عادة شيخ الإسلام، أنه يجتمع مع خواصه في بيت آل بلخيور، عبدالله وعلي، والد شيخنا. بحارة الهجلة، في أول يوم من المحرم كل سنة، لقراءة الأدعية الواردة في افتتاح السنة، فجاء شيخ الإسلام متأخرًا في بعض المرات، وقد غص المكان بالعلماء، فقاموا له وصافحوه، وجلسوا كأنما على رؤوسهم الطير، فقام صاحب الترجمة، ووقف على رأس شيخ الإسلام، وقال له: اخلع ثيابك، الآن كلهم قد شافوك. وأعجبتهم، فضحك شيخ الإسلام، وسرى البسط في الحاضرين.

وكان أكثر العلماء والصلحاء يوصون أن لا يتولى غسلهم بعد موتهم إلا الشيخ محمد بافيل، لمعرفتهم بصلاحه، وإتقانه في ربع العبادات. وفي مقدمتهم شيخ الإسلام المذكور، والحبيب حسين بن محمد الحبشي.

وكانت لصاحب الترجمة عناية خاصة بجمع الزكاة من المثرين وتوزيعها على المستحقين، كأنه أحد العمال المحتسبين في بيت المال. وقد حدثني صاحب الترجمة: أن كثيرًا من الناس كانوا لا يزكون، إلا بعد أن تعهدهم وبشرهم وأنذرهم، انتهى.

ولنختم ترجمته بشيء مما ترجمه به الأستاذ عمر عبد الجبار في كتابه المسمى «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، حيث يقول:

«الشيخ محمد عبدالله بافيل. ولد بحضرموت، عام وحده وثمانين ومائتين وألف هجرية، وتوفي عام وحده وخمسين ووثلاثمائة وألف هجرية.

قدم إلى الحجاز وعمره عشرون سنة، تلقى العلم عن الشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ عمر باجنيد، وغيرهم من علماء عصره. كان الشيخ محمد بن عبدالله بافيل قصير القامة، كث اللحية، في قصر ملابسه، وملازمته لمسواكه، ومحافظته على الصلوات الخمس في جماعة دليلٌ على تقواه وورعه وزهده، وتفانيه في طاعة الله.

قدم الشيخ محمد بن عبدالله بافيل إلى مكة عام وحده وثلاثمائة وألف هجرية، وهو في عنفوان شبابه وزهرته، فاتخذ له خلوة في رباط الشيخ تاج في سفح جبل قعيقعان، المعروف بجبل هندي، في الطريق الذي يؤدي إلى باب العمرة. ولازم المسجد الحرام، وعكف على طلب العلم على علماء عصره، منهم الشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ عمر باجنيد.

ولقد عرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين زملائه بالجد والمثابرة على الدروس، ومذاكرتها قبل حضوره إلى حلقة درسه. كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينزل إلى المسجد الحرام في الثلث الأخير، يطوف ويتهجد، ويهلل ويسبح، إلى أن يؤدي صلاة الصبح جماعةً، ثم يظل يتلو القرآن إلى الإسفار، فيعقد حلقته في حصوة باب العمرة.

وكانت دروسه سهلة التناول، قريبة من مدارك المبتدئين، مثل «المقدمة الحضرمية»، و«متن بي شجاع»، ولكنه كان يستقصي البحث، ويبسطه لطلابه.

وكانت دروسه بعد المغرب لا تختلف عن دروس الصباح، إلا باختلاف الطلاب شيبًا وشبانًا. ثلاثون عامًا قضاها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسجد الحرام بين طلب العلم ونشره، إلى أن لزم فراشه عام ألف ووحده وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية.

ويقول المتصلون به بأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تسلم من طلابه في المليبار حوالةً أثناء مرضه، فحمد الله، وأوصى بسداد ديونه، وتجهيزه منها. ثم أدركته المنية، فحضر بيت المال ليحجز على تركة المتوفّى، فماذا وجد! لم يجد بيت المال في خلوة الشيخ محمد المذكور سوى صرة رُقاق، وثوبين، وجبة، وعمامة، وسجادة، ومسبحة، وكتباً علمية، فبهت أمناء بيت المال، ونظر بعضهم إلى بعض، فتقدم إذ ذاك أحد جيران الشيخ في الرباط، وقال: ما كان الشيخ محمد ممن يحبون المال ويتهافتون على جمعه، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقتنع بما قسمه الله له من الرزق، وكان معظم أيامه صائمًا، وكان غذاؤه الرقاق والخبز بالشاي، منقطعًا لعبادة الله وطاعته. فاغرورقت الأعين بالدموع، ورجع بيت المال إلى مقر عمله، معجباً بصلاح الفقيد، وقناعته بالكفاف من الرزق، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه واسع جناته»، انتهى المراد من كلام الأستاذ عمر عبدالجبار وبه انتهت الترجمة.



[الحبيب حسن بن محمد فدعق
المتوفى سنة 1400هـ]

وممن عرفناه وألفناه بمكة ثم بجاوة، الأخ الحبيب المهذّب، وأحد زملائي في الأخذ والطلب، حسن بن محمد بن عبدالله بن عمر بن حسين بن علوي بن حسن فدعق العلوي. وليد مكة وخريجها، وأصيل بلد قسَم بحضرموت.

اتصل بصاحب المناقب رضوان الله عليه بواسطة أشياخه المكيين والحضرميين، خصوصًا بعد زيارته العامة لمآثر أسلافه بحضرموت، وأخذه مباشرةً عمن لقيه منهم، وبجه أخص زيارة ضريح صاحب المناقب، ومن لقيهم من أولاده.

كما أنه أعانني بكير من ذكرياته على تراجم أشياخنا المكيين، نجتمع في غالب المشايخ، وينفرد هو في شيخ فتحه، العلامة الصادع بالحق وإن شقّ، أبي بكر بن شيخ الإسلام محمد سعيد بابصيل، كما أن شيخ فتحه في النحو الشيخ جمال بن الأمير مفتي المالكية بمكة. وكان صاحب الترجمة قوي الحافظة، خفيف الذاكرة، ميالًا بطبعه إلى طريقة أسلافه العلويين الحضرميين، علمًا وعملًا وسيرةً، كما أنه كان كثير الحرص على اقتناء مؤلفاتهم، وملازمة القراءة فيها.

[معيته للشريف فيصل بن الحسين في العراق]

ولكونه ذا أخلاق حسنة، وجلادة على الأسفار، عينته مشيخة الحرم المكي إمامًا راتبًا للشريف فيصل بن الحسين، حين نهضته السياسية، تبعًا لوالده الحسين بن علي أمير مكة، فلازمه صاحب الترجمة حينما خاضَ ميادين حرب سنة أربع عشر وتسعمائة وألف مسيحية، إلى أن صار ملكًا مستقلًا على عرش العراق، فقرب صاحب الترجمة وأحبه، حتى جعله كاتبه الخاص فيما بينه وبين إخوانه ووالده الحسين لثقته فيه، وكانت مدة ملازمته الشريف فيصل سبع سنين.

وفي خلالها كان صاحب الترجمة يتردد على أهله وأولاده بمكة، غير أنه في السنتين الأخيرتين التي أقامها بالعراق، كانت تعتريه انزعاجات باطنية تقلقه عن الإقامة بالعراق، فلم يعد إليه بعد ذلك. وقد أخبرني صاحب الترجمة: أنه لم يكن يعرف لها سببًا، حتى حدثه بمثل ذلك بعض السادة العلويين الحضرميين، أنه وصل بغداد وقصده الإقامة بها، فلم يتيسر له ذلك. وقال: إنه سمع أحد صلحاء السادة العلويين يقول: لعل لذلك سرًا خاصًا، من هجرة سيدنا أحمد بن عيسى، انتهى كلام صاحب الترجمة.

قلتُ: ولا يعزب عن بال القارئ ما تقدم في (الباب الرابع) من «تاجنا» هذا، في ترجمة الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى، عند زيارته لضريح سيدنا المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى، والثناء عليه، حتى قال: إن من همته لم يتوجه أحد من ذريته إلى العراق، وإذا أمكن لم تطل إقامته بها، انتهى.

ثم سافر صاحب الترجمة إلى الجهة الجاوية، وأخذ عن مشاهير السادة العلويين بها، وفي مقدمتهم الحبيب عبدالله بن محسن العطاس، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، ثم لازم صاحب الترجمة الحبيبَ المشير، والعضد والنصير علوي بن محمد الحداد، المتقدم ذكره في (هذا الباب)، قراءةً وإمامة وخدمةً، ثم عاد إلى أم القرى، مسقط رأسه، فأصبح بها خليفةً من خلائف أهله السادة العلويين المرشدين.



[الملك فيصل بن الحسين]

وعلى ذكر الشريف فيصل، نقتطف نموذجًا مما قاله العلامة المؤرخ أمين محمد سعيد المصري، في كتابه «ملوك المسلمين»، عند ذكر العراق وملكها، قال:

«هو فيصل بن الحسين الهاشمي القرشي. ولد في مكة، يوم عشرين مايو، سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة وألف ميلادية، وثنتين وثلاثمائة وألف هجرية، وأبوه الشريف حسين باشا بن علي بن محمد بن عون، أمير مكة، ثم ملك الحجاز بعد ذلك، وبه ختمت شرافة مكة»، انتهى.

قلتُ: وذلك حينما استولى على الحجاز السلطان عبدالعزيز، ثم صار الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعودي النجدي، في شهر جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية، موافق شهر يناير سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية،

وطرد الأشراف منها، وذلك بعد حروبٍ، لعبت فيها أيدي الأجانب دورَها المعروف، على ما في كتاب «ملوك المسلمين» المذكور.



رجعنا إلى تاريخ فيصل الملك المحبوب المبجل، الذي حنكته التجارب بما وقع لوالده، فجعل يشتد تارةً ويلين أخرى مع الغربيين، ويستميل بمكارم أخلاقه وحذقه قلوب الوطنيين، حتى بلغ ما بلغَ.

قال أمين سعيد المذكور في تاريخه المشهور: «وأمه، أي الملك فيصل، الشريفة عابدية، كريمة، أي بنت، الشريف عبدالله باشا بن محمد بن عون، ويتصل نسبه من جهة والده ووالدته بالنبي محمد العربي العدناني صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نشأته: من القواعد التي اتبعها كبار الأشراف إبَّان حكمهم في الحجاز، أن يأتوا لأبنائهم وذراريهم بمعلمين يقرؤونهم القرآن، ويعلمونهم الكتابة والحساب والتاريخ والجغرافية، ويؤدبونهم في داخل قصورهم. وكانوا يتعلمون الفروسية وركوب الخيل من الصغر، إلى جانب العلوم الأخرى.

ثم أرسله والده إلى قرية رحاب، فقضى فيها سنوات بين أبناء عمومته وأخواله، يركب الخيل والإبل، ويكر ويفر، وينام في العراء وتحت الخيام، ويطوف الباديةَ مشرقًا ومغربًا، ويضرب بالسيف، ويطلق الرصاص، والغاية من ذلك تدريبُه وإعداده ليكون رجلًا، وطبعُه بطابع البداوة، وتخليقه بأخلاق أبنائها.



ثم غادر الحجاز إلى الآستانة، وأقام بها عشر سنوات في أيام السلطان عبدالحميد، وأكسبه الاتصال برجال الدولة خبرة واسعةً، ثم عاد إلى الحجاز وقد اكتملت رجوليته، وظهرت مواهبه، فأدناه والده منه، وولاه قيادة السرايا التي كان يزجيها لإخضاع

القبائل وتأديبها. ثم زار سورية في سنة خمسة عشر وتسعمائة وألف ميلادية، وأقبل رجال الشام ومفكروها وأعيانها عليه، يدعونه إلى إقناع والده بإعلان الثورة على الاتحاديين، أي الترك، وخلع طاعتهم، وإنشاء دولة عربية، لما ظهر من سوء نية هؤلاء، وتعمدهم إذلال العرب، بإعدام مفكريهم وأدبائهم، والصفوة المختارة من رجالهم، ونفي كبار عائلاتهم إلى أقاصي الأناضول، وإقطاعها الأراضي والدور مقابل نزع ممتلكاتهم في سورية.



ثم جهز الحسين، بعد إعلان الثورة، واستلام حاميات الطائف ومكة وجدة والمدينة، جيشًا سيّره إلى شمال الحجاز لمنازلة الترك، وعهِد بقيادته إلى نجله فيصل، فاشتبك في أول الأمر بمعارك مع الترك في سواحل الحجاز الشمالية، وكادوا يتغلبون على جيشه في معركة دارت بجوار ينبع، لولا ثباته واستبساله في النزال.

ووسّعَ، بعد الاستيلاء على ينبع وتلك الأنحاء، نطاق أعماله العسكرية متجهًا نحو الشمال، فاجتاز الوجْهَ، ثم نزل العقَبة، وتقدم مبتدئًا نحو معان، فحاصرها، وقاتل الترك قتالًا شديدًا في صحراء الشام، وساقهم أمامه، مجتازًا حوران حتى أبواب دمشق. فدخلها فاتحًا منصورًا، وسلمت إلى رجاله يوم ثلاثين سفتمبر، سنة ثمانية عشر وتسعمائة وألف ميلادية. فاستقبله أهلها استبقال المحرر المنقِذ، وخطب خطبًا كثيرةً، ألهب بها الشعور الوطني، مناديًا: أن الاستقلال يؤخذ ولا يعطَى، وأن حرية الأمة بيدها.

ولم يرُقْ لولاة الأمور الفرنسويين في بيروت هذا العمل، وخافوا أن تفسد عليهم الدولة الجديدة خططهم في سورية، فأمِر الجنرال (غورو) الفرنسي، بزحف جيوشه على سورية، حتى احتلها في تلك السنة. وغادرها الملك فيصل، وكان لخروجه أسوأ وقع في النفوس، وقصد إيطاليا، ثم لندن، فالقاهرة، وعاد إلى مكة.

[تولية فيصل ملكًا على العراق]

وفي تلك السنة، وقعت ثورة العراق العامة، بين الإنكليز وبين أهالي العراق، وذلك بعد ما احتلت جيوش الإنكليز العراقَ، وأجلت عنها الترك، فاتفق مفكرو العراق والإنكليز على إنشاء حكومة عربية وطنيةٍ، برئاسة جلالة الملك فيصل، فقبلها الملك فيصل بشرطين: **الأول** أن تعترف الحكومة الإنكليزية باستقلال العراق، وأن تساعد العراقيين على إنشاء حكومة وطنية ذات سيادة. **والثاني** أن يلغَى الانتدابُ عن العراق، وكان مفروضًا عليه بقرارِ مؤتمر الحلفاء في سانْ رِيمُو. فقبلت ذلك الحكومة البريطانية، وتعهدت بتنفيذها.

وبعد ذلك كله، سافر الملك فيصل من مكة إلى البصرة، في باخرة خاصة، فاستقبل هناك استقبالًا رسميًا، ثم قصد بغداد، فاحتفل به سكانها. وفي يوم ثلاث وعشرين أغسطس، سنة وحدة وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية، نودي به ملكًا للدولة العراقية الجديدة. كما أن وفاته كانت ليلة الجمعة ثمان سبتمبر سنة ثلاثين وتسعمائة وألف، (بسويسرا)، حيث كان يستشفي هناك، ونقل إلى بغداد ودفن بها.

وتولى بعده ابنه الملك غازي في نفس ذلك اليوم، أي يوم الجمعة، وتسعة عشر جمادى الأولى، سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية»، انتهى المراد مقتطفًا من «ملوك المسلمين» المذكور.



[تولي الملك فيصل الثاني، ثم الثورة عليه وقتله]

قلتُ: ولم تطل مدة الملك غازي، والسبب في ذلك اصطدام سيارته بعمود الكهرباء صدمة عنيفة، توفي على أثرها. ونودي في ذلك اليوم بابنه فيصل الثاني ملكًا على العراق، وهو في سن المراهقة، وبعمه الأمير عبد الإله وصيًا على العرش.

ثم ماذا كان جزاء الملك فيصل الأول في أولاده من أهل العراق، على هذه الخدمات العظيمة؟! كان الجزاء منهم، أنهم أحيوا سنة كربلاء، التي عملها أجدادهم في الإمام الحسين بن علي سبط الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهو أنهم في صباح يوم 14 جولي سنة 1958 ميلادية، هجموا بالدبابات، التي جلبها لهم للمدافعة عن العراق الملكُ فيصل الأول المذكور، على القصر الملكي، وذبحوا حفيده الملك فيصل ابن الملك غازي، الذي يناهز العشرين السنة من العمر، ومثلوا بعمّه الوصي على العرش عبدالإله، بعد أن ذبحوا جميعَ عائلتهم نساءً وأطفالًا، كما تذبح الغنم، وسحبوهم على الأرض، ليتفرج عليهم الكفار والمنافقون، وجعلوا هذا اليوم عيدًا يفتخرون به!.



وإذا قِسْنا بين السياسة الدولية، وبين بعض أهل بيت الرسالة، نجد هذه القضية مجرد بغض لأهل بيت الرسالة!.

وبالمثال يتضح الإشكال، فهذه مصر قبل العراق بست سنوات، لما رأت ملكها فاروق حاد عن سياستها القومية، أجلته عن البلاد إلى الخارج، مجللًا محترمًا، وسلمته أملاكه الخاصة، ولم تتعرض له ولا لعائلته بسوءٍ، بل عطفت على ابنه الصغير، وجعلته وليَّ العهد، فعاش الملك فاروق المخلوعُ عشراتِ السنين في الخارج، ممتعًا بصحته وعائلته وماليته. على أن قضية مصر وقضية العراق قضيتان مكشوفتان، لا يحتاجان إلى دليلٍ ولا إلى تعليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[تأسيس المملكة الأردنية الهاشمية]

وفي يوم سبع أفريل، سنة وحدة وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية، تم تأسيس حكومة شرق الأردن، برئاسة الأمير، ثم الملك، عبدالله بن الحسين، شقيق الملك فيصل المذكور، وزميله، بعد ما خاض ميادين حرب سنة أربعة عشر بعد التسعمائة والألف ميلادية أيضًا، فأصبحت حكومة هاشميةً مثل العراق.

وفي يوم الجمعة، موافق عشرين جولي سنة واحدة وخمسين وتعسمائة وألف ميلادية، توجه إلى القدس، بعد أن ضمها إلى شرق الأردن بالسيف، في الحرب اليهودية على فلسطين، سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وألف ميلادية، لزيارة ضريح والده، وأداء فرض الجمعة بجامع عُمر، فلما دخل المسجد المذكور إذا برجلٍ من أهل تلك البلد، قد اشتهر فيها بأنه شقيّ الطلعة، تعيس الحياة، اسمه مصطفى شاكر، قد كمن له وراء باب المسجد، فأطلق عليه المسدس، وأصاب رأسه.

فكانت شهادة للملك الهاشمي، وأسوةً له بأسلافه، وقتل الجاني في الحال، وهاجت الدنيا وماجت، وثبتت حكومته، فاستخلفت بعده ولي عهده ابنه طلال ملكًا عليها، بعد والده، وقبضت بيد من حديد على البلاد، وألقت القبض على العصابة المشومة، التي دبرت هذه الجريمة، واعترفت بها بعد التحقيق، فحكمت عليها بالإعدام، ويترأس تلك العصابة موسى الحسيني، الذي كان الرمي بمسدسه الخاص، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.



ولنرجع من الكلام على الزعماء السياسيين [إلى] الدينيين، ونختم هذا الباب بشيوخ أشياخنا المكيين واليمنيين والحضرميين، قائلين: بسم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.



[الحبيب حسين بن محمد الحبشي
المتوفى سنة 1330هـ]

ومنهم الحبيب الذي حمد السرى، وقيل في حقه: كل الصيد في جوف الفرا، المشهور بمفتي أم القرَى، حسين بن محمد بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن محمد بن حسين بن أحمد صاحب الشعب الحبشي. وليد سيوون بحضرموت، ومفتي الشافعية بمكة، وابن مفتيها، ودفين حوطة أهل البيت بمعلاتها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كان أخذه عن صاحب المناقب رضوان الله عليه بالواسطة، من عدة طرق، وأقربها أنه لما زار ضريح صاحب المناقب ببلده عمْد، تبادلَ الأخذ مع الحبيب محمد ابن صاحب المناقب في قراءة القرآن الحكيم، كما تقدم ذلك في ترجمة الحبيب محمد، المذكور أول هذا الباب.

تربى صاحب الترجمة وتخرج بوالده، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، وأخذ مباشرةً عن الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، وعن الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى، المتقدم ذكرهما في (الباب الرابع). وأخذ أيضًا عن الحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، المتقدم ذكرهما في (الباب الخامس).

وأخذ عن كثيرين من علماء اليمن، إبان إقامة والده بالليث، من أجلهم السيد محمد بن عبد الباري الأهدل، وأخذ بمكة عن شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، وكان هو المقرئ والمعيد في حلقة درس شيخه المذكور، لحسن صوته، وزيادة معرفته بعلوم الآلة.

ثم لازم بعدهم شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل، وكان هذا الشيخ يجل صاحب الترجمة، ويقدمه في الدروس والمجالس، لأنها اتسعت معارف صاحب الترجمة

في المنطوق والمفهوم، وزاد إدراكه في الفقهيات، فكان علماء الشافعية إذا دار الكلام في مجالسهم حول الفقهيات، مع حضور صاحب الترجمة، يقولون كلهم بلسان واحدٍ: لا يفتَى ومالك بالمدينة.



كما أنه كان محط أنظار أهل مكة، والواردين إليها من علماء المشرق والمغرب، علماً وصلاحًا. وحسبنا من ذلك، أن بيته [كان] أحدَ المعاهد العلمية المشهورة بمكة، على أنها قد تعينت عليه وظيفة الإفتاء بعد وفاة شيخه شيخ الإسلام الشيخ محمد سعيد بابصيل المذكور، في إمارة الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عون، خاتمة أشراف مكة، غير أنه لم يقبلها إلا بشرطين: **الأول** أن لا يدعي إلى دوائر الحكومة. **والثاني** أن يبقى الشيخ عمر باجنيد أمينَ الفتوى، كما كان في عهد شيخ الإسلام. فقبل الشريف كل ما اشترطه، لمعرفته بمرتبة صاحب الترجمة، علمًا وصلاحًا.



وإني أعدّ نفسي مقصرًا، مهما بالغتُ في وصف صاحب الترجمة وعلومه وأعماله، حتى أحيل القارئ على «رحلة سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس المكية»، واجتماعهما بعلماء الآفاق في بيت صاحب الترجمة بمكة، وما دار بينهم من عوارف المعارف. وهناك يشاهد القارئ تمثيل الصدر الأول من علماء الإسلام، الذين نسمع بهم ولم نرهم.



ومن مميزات صاحب الترجمة العصرية، أنه قد استقذر قشور المدنية، وتمويهاتها السياسية، بعد أن تضلع مع علوم الدين، وبلغ رتبة أهل اليقين، وتخشن في لباسه ومأكله الخاصّين. فكان يلبس جبةً من القماش الأبيض، المعروف عند أهل الحرمين بالدّوت، وفي حضرموت بالكَاره. **أتذكر** أني مرة تلقيتُ جبته الخشنة حين خلعها

ليتوضأ، فقال لي، على سبيل المباسطة: احتفظ بالقَرْمَ سُود، يعني نوعًا من أجود القماش اللماع المتموج!. على أنها والله على تلك الذات أجمل من القَرَمْ سُود.

وما أحسن قول الشاعر في بيان ذلك المقصود:

إذا المرء لم يدنِسْ من اللؤم عرْضَه فكلّ رداءٍ يرتديه جميلُ

كما أنه يجلس على الحصير، ويتأدم في بعض الأوقات بالخل ونحوه، مع أن أولاده وأضيافه في أرغد عيش!.

[أخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

قرأتُ على شيخنا صاحب الترجمة في ابتداء طلبي، مع بعض الأخوان، نحو النصف من كتاب «سلس الخطاب على مفتاح الإعراب»، في النحو، تأليف والده. وبعضًا من «بهجة المحافل» للعامري. ترددت عليه لذلك إلى بيته بحارة جرول، بعد أن ثقل جسمه، وكبر سنه. كما أني كنت مواظباً على حضور قراءته لقصيدة «البردة» ليلة كل جمعة، في جمع مشهود.

وكان صاحب الترجمة حليمًا حكيمًا، يدخل نصائحه الثمينة على تلاميذه في تقرير الدرس، وعلى جلسائه في معرض المزج. ألقى علينا يومًا في الدرس قول سيدنا الحبيب عبدالله الحداد:

وشاهدُ إفلاس الفتَىٰ جهْلُ عيبِه وذكرُ عيوبِ العالمين من العقْلِ

مستشهدًا في تعلقِ الجار والمجرور، فأعربْنا الشطر الأول وحدَه مبتدأ وخبر، والشطر الثاني كذلك، جعلنا «ذكر عيوب العالمين» مبتدأً، و«من العقل» الجار والمجرور متعلق بمحذوفِ خبر. فقال: إذًا يصير المعنى: أن ذكر عيوب الناس والتولع بنهش

أعراضهم من شيَم العقلاء!. فبهتنا عند ذلك، ولم ندرك المراد في الحال. فقال: إن الجار والمجرور متعلقٌ بـ«إفلاس»، فيكون التقدير: وشاهد إفلاس الفتى من العقل، جهلُ عيبه، وذكرُ عيوب العالمين، انتهى.



وكان من عادة صاحب الترجمة، إذا أحس بثقل في بدنه، في مجلسه الخاص، يأمر بعض مريديه أن يكبّس بدنه. فعند ذلك يتهافتُ عليه الحاضرون، تبركًا بمس جسده الشريف. فلما كان في بعض أسفاره إلى المدينة المنورة، رأت ذلك امرأة بدويةً، سليمة الطبع، فطلبت من الحاضرين أن تتولى ذلك بنفسِها، لأجل التبرك بخدمته!. فقال لها صاحب الترجمة: إن الشرع الشريف يمنع من ذلك. فقالت: إن قلبي طاهر. فقال لها: وأنا كذلك، ولكن المحلات الأخرى متنجسة. فقالت: صدقت، وصدق الله ورسوله. ثم احتجبت، وصارت تدعو نساء باديتها إلى الحجاب، انتهى.

وكان قوي الحجة، سريع المدرك في أصول المسائل. مرةً أراد بعض جيرانه أن يجري الماء الذي يجتمع في سطح داره من المطَر، فوق جدار صاحب الترجمة، فمنعه صاحب الترجمة، وكان ذلك الجار من أقارب قاضي مكة، فاستعان به، فجاء القاضي مع أعوانه للنظر في القضية، واستدعى صاحب الترجمة، ليجبره على ذلك بطريق الشرع. وقال له: إن بقاء الماء في سطح الدار يضرّ بها، والضرر يزال شرعًا. فقال صاحب الترجمة: صدق القاضي، ولكن الضرر لا يزال بالضرر!.

فضحك العارفون بأصول الأحكام، وانسل القاضي بسلام.



وكانت وفاة شيخنا صاحب الترجمة، الحبيب حسين بن محمد المذكور، في الليلة الحادية والعشرين من شوال، سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية. وكنت بحمد الله في عُوّاده، والمشيعين.



[الشيخ محمد سعيد بابصيل المتوفى سنة 1330هـ]

ومنهم شيخ الإسلام، الأمين على شريعة سيد الأنام، والمجمع على صلاحه من الخواص والعوام، محمد سعيد بن محمد بن سالم بابصيل. وليد مكة، وخريجها، وشيخ الإسلام بها، ودفين حوطة أهل البيت بمعلاتها، وأصيل بلد الهجرين بحضرموت، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخذ في صغره عن صاحب المناقب رضوان الله عليه في حجة وداعه، وقد تقدم في (الباب الرابع) أن والد صاحب الترجمة هو أحد أشياخ صاحب المناقب بالمسجد الحرام.



[اخذ المؤلف عن صاحب الترجمة]

حضرت على شيخنا وشيخ مشايخنا صاحب الترجمة، في مجالسه الخاصة، ودروسه العامة. وكان من عادته أنه أول من يفتتح الدرس بعد صلاة الصبح بالمسجد الحرام في التفسير، فيحضره أربعون أو يزيدون، من علماء المذاهب الأربعة، وكنت أجلس مع طلبة العلم الذي يستمعون من غير نُسَخ، خلف العلماء، فإذا فرغ صاحب الترجمة من درسه، تفرعت عن حلقته حلقاتُ الدرس في وسط المسجد الحرام وثكناته، في مختلف الفنون، كحبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة. اللهم إلا أيام قراءة «صحيح

البخاري» العامة، وهي لا تزيد على ثلاثة أيام، فيوقف فيها درس التفسير، لأن من قواعد مشيخة الإسلام بالحرم المكي: أنها إذا نزلت بالمسلمين كارثة، اجتمع العلماء بعد صلاة الصبح على قراءته حتى تطلع الشمس، تجاه الكعبة المعظمة، بين زمزم والحطيم، وتوزعه عليهم جزأ جزأ، فيقرؤون كلهم في آنٍ واحد، وفي اليوم الثالث يختمونه، ويتولى قراءة الدعاء شيخ الإسلام، ثم يعودون لما كانوا عليه. كما أنه بعد صلاة الجمعة يلقي درسًا عامًا في الحديث، ويحضره الجم الغفير، المتعذر حصرهم، وكان ملهمًا في تقريره، علاوة على علومه الظاهرة.



وكثيرًا ما يتعجب العلماء من تقريراته، المفسرة لبعض ما انبهم على الناس من إتقان صنع الله في خلقه. فمن ذلك: أنه جاء يومًا في درس التفسير قوله ﷺ: «**عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر**».

قلتُ: وقد صار الآن في عرف أهل مكة، أن الإثمد هو نوع من الكحل، أحمر اللون، غالي الثمن جدًا.

فقال بعض العلماء: ما كل الناس يا سيدي يقدر على شراء ذلك. فتبسم صاحب الترجمة من قوله، ثم قال: إن الله وله الحمد والمنة أكرم من أن يجعل المنافع الجسيمة التي بها قوام الإنسان، في الأشياء العزيزة التي لا يقدر عليها كل أحد، بل جعل ذلك في الأشياء المبسوطة التي يقدر عليها أقل الناس، مثل الماء الذي به حياة كل شيء، والحبوب، والثمار، والقطن، والملح، وغير ذلك من كل أنواع المنافع العامة.

وعليه، فالمراد من الحديث الشريف: أن الأثمد هو الأسود الرخيص الذي يقدر عليه الغني والفقير. وبالمشاهدة، فإنا قد نرى كثيرًا من الذين لا يقدرون على شراء

الحاجيات الغالية في صحة جيدة، أحسن من الملوك وأرباب الثروة، فالمولى جل شأنه كريم حليم رؤوف رحيم بعباده، انتهى.

ومرةً جاء في درس الحديث قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما خلقَ الله داء إلا وخلقَ له دواءً، علِمَه من علمَه، وجهِلَه من جهلَه»**[1]. فقال بعض الأطباء، من الذين يعتادون حضور الدرس: يا مولانا إنا كثيرًا ما نستعمل بعض الأدوية لبعض الأمراض، ويحصل بها الشفاء لكثير من الناس، وقد نستعمل نفس الدواء لذلك المرض مع اتحاد الطبيعة والمزاج، ولكنه لا يفيد شيئًا. فقال صاحب الترجمة: حقٌّ ما قلتَ، ولا شك في الحديث، ولكن إذا لم يرد الله بالشفاء لذلك المريض جعل ملكًا يحول بين الدواء والألم، لأن قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ لا تقف عند حد، بل هي ملازمة لإرادته، كما أنه لا يطلع على غيبه أحدًا إلا من ارتضاه لذلك، انتهى. **قلتُ:** وتوفي صاحب الترجمة، ووقفُه في «تفسير الخازن» على قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾.

وإذا رجعنا إلى مبلغ علمه، ومنتهى إدراكه وفهمه، فحسب القارئ من التطويل: أن صاحب الترجمة قد رشّح لمشيخة الإسلام في بلد الله الحرام، وذلك في حياة شيخه شيخ الإسلام السيد أحمد بن زيني دحلان، بإجماع علماء الحرمين الشريفين، ومكث في هذه الوظيفة مدة حياته، وعلماء الأقطار تفدُ عليه من كل فج عميق، بين مستفت منه، وآخذ عنه، ومعتقد فيه، ومنتقد له، وكلهم يرجعون مفعَمين بعلومه وأعماله.

وأما سنده الخاص، فقد تربى صاحب الترجمة بوالده، وتهذب وتخرج بشيخ فتحه، وسلم رقيه إلى هذه الغاية السيد أحمد بن زيني دحلان المذكور، وهو قد أخذ

---

(1) رواه أحمد، والطبراني، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد: (84/5).

العلم عن مشايخ كثيرين، من أجلهم العلامة الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي ثم المكي، وهو عن العلامة الشيخ عبدالله الشرقاوي، والعلامة الشيخ محمد منصور الشنواني، والعلامة الشيخ محمد بن علي الصبان، والعلامة الشيخ محمد الأمير الكبير، والعلامة الشيخ عرفه الدسوقي، وغيرهم.



وأما صلة صاحب الترجمة بالسادة العلويين الحضرميين، فهو ابن طريقتهم، وحليف سيرتهم، وأحد حلقاته سلسلتهم، أخذًا عنهم وإلقاءً عليهم، كما يرى القارئ اسمه يلمعُ بين أطوار «تاجنا» هذا، كما أن مؤلفاتهم لا تزال تقرأ في مجالسه الخاصة والعامة، وأورادهم هجيراه في صباحه وممساه.



وإذا أعدنا الكرة في سيرة شيخنا صاحب الترجمة، نجده في مقدمة الذين رعتهم العناية من صغرهم. **سمعتُه** غير مرةٍ، بمناسبة صحبة الأخيار، يحدث عن السبب الموصل له إلى طلب العلم. قال: كنت في صغري مشغوفًا بكثرة اللعب، وكان لي صاحب من أولاد الجيران في سنّي، أخرج معه لموعد الألعاب مع الأولاد الذين في سنّنا، وكان أهل صاحبي يلزمونه أن يحضر الدرس في المسجد الحرام على شيخ الإسلام، فكنت أنتظره قريبًا من حلقة الدرس، حتى ينتهي صاحبي من قراءته، ثم نخرج إلى اللعب، واستمر بنا الحال على ذلك مدة، فوقع عليَّ نظر شيخ الإسلام، وجعل يلاطفني في الكلام، ويرغبني في طلب العلم، حتى شرح الله صدري لذلك، فلازمته، فجزاه الله عني أفضل الجزاء، انتهى.

قلتُ: ولله در الحبيب محمد بن علي بن محسن العطاس، في «وصيته» المتقدمة في (الباب الخامس)، حيث يقول:

واختَر من الأصحابِ كل مهتَدِ	إن القرينَ بالقرين يقتَدي
فصحبةُ الأخيارِ للقلب دوا	تزيدُ للقلب نشاطًا وقُوَىٰ
وصحبةُ الجهّالِ داءٌ وعمَىٰ	تزيد للقلْبِ السقيم السَّقما

وفي الحديث الشريف: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[1].

وفي آخر وقت صاحب الترجمة، تصفت بشريته من الرعونات، والتحقَ في سيره إلى الله برجال الغيب. كما يحدثنا بذلك عنه الحبيب أحمد بن حسن العطاس في «رحلته المكية»، في حجة وداعه التي جمعها تلميذُه العلامة الشيخ محمد بن عوض بافضل، حيث يقول في بعض مذاكراته بمِنًى، بحضور صاحب الترجمة:

«لا يزال في كل عصر مائة وعشرون ألف ولي، وكل ولي وارث نبي، حَد داري بنفسه وحد ما هو داري، والشيخ محمد سعيد هذا منهم، ولاهو داري بنفسه. واشْهَدوا عليّ أني سألتُ سيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشيخ محمد، وأثنى عليه، ولو علمت أن هذه الكلمة باتحرك شيئًا في باطنه، أو با تنقله إلى حالة أخرى ما أخبرته بها، ولكني أعرفه وأعرف حاله. وقد رأيته مرةً مع جماعة من الأولياء في الهواء، يريدون زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنا راجع من المدينة، فنزل إلى عندي وصافحني ومضى معهم.

وله المنة عليّ أيضًا في واقعة حالٍ، جرت لي، وهي أنا بتْنا في مسيال أنا وجماعة، فرأيته في المنام، وقال لي: قوموا من هذا المكان، فانتبهت، وأمرت من عندي أن يرتفعوا من المسيال، فلما ارتفعنا منه عبر فيه سيل كبير.

---

(1) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فقال بعض الحاضرين من علماء مكة: وأنا سمعت السيد أحمد دحلان يقول: من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الشيخ محمد سعيد، انتهى المراد من رواية بافضل، الكاتب العدل. ولا شك أنها شهادة من عارف بالله لصاحب الترجمة.

قلتُ: وواقعة المسيال التي ذكرها الحبيب أحمد، أخبارها مستفاضة في بلدنا حريضة، لأن غالب تلك العير منها، ويقولون: إنهم لم يحسوا بمطر، ولا سمعوا رعدًا، ولا رأوا برقًا تلك الليلة، انتهى.



وكانت وفاة صاحب الترجمة، الشيخ محمد سعيد، لثلاث وعشرين مضت من ربيع الثاني، سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية. وشيعت جنازته في جموع محشودة، يتقدمها أمير مكة في ذلك الوقت، الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عون، ودفن بمعلاة مكة، في حوطة أهل البيت، بعد الاستئذان منهم.

وكنت بحمد الله في عداد المشيعين، نفعني الله به، وبكافة الصلحاء المذكورين في هذا «التاج»، وبسائر عباد الله الصالحين، آمين.



[السيد أحمد بن زيني دحلان الجيلاني المتوفى سنة 1304هـ]

ومنهم إمام الحرمين، الذي ملأت دعوته الخافقين، وقرت به عين سيد الكونين، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام، السيد أحمد بن زيني دحلان الجيلاني الحسني نسبًا، والشافعي مذهبًا، وليد مكة المحمية، ودفين المدينة المنورة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اتصل بصاحب المناقب رضوان الله عليه بالمكاتبة، لطلب صالح الدعاء، واستغاث، فحصلت له الكرامة، كما تقدم ذلك في (الباب الثاني) من «تاجنا» هذا، حيث يقول المترجم وفارس الميدان المتقدم: «وممن أثنى عليه صاحب المناقب، واعترف له بالغوثية: شيخنا وشيخ مشايخ تلك العصور، وعالمها وإمامها المشهور، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام، السيد أحمد بن زيني دحلان. قال: إنه حصل على أمر مهم بمكة، فكربت لذلك كربًا شديدًا، واستغثت بالحبيب صالح بن عبدالله صاحب عمد، وهو إذ ذاك بحضرموت، فدعوته بثلاثة أصوات، فإذا هو حاضر عندي في الحال، راكبًا على جواد أخضر اللون، ومعه أربعون جنديًا، وكلهم مسلحون، فحين رأيته ذهبَ عني ذلك الكرب، وانشرحت انشراحًا تامًّا».

ثم قال المترجم: «وأخبرني عيبة سرهما، وثمرة شجرتهما، الأخ العلامة أحمد بن حسن العطاس، قال: كانت معي سبحة الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب، فلما كنا في جبل عرفات وقتَ الحج، رآني شيخنا السيد أحمد دحلان أسبح فيها، فسألني عنها، فأخبرته: أنها سبحة الحبيب صالح. فأخذها مني، وأعطاني سبحته، وأوصى بأن تجعل في كفنه إذا دعاه داعي الحق إلى مقره البرزخي، ولا ينبئك مثل خبير، انتهى.

قلتُ: ومما يدل على اغتباط صاحب الترجمة بصاحب المناقب، ما سمعته أنا ورويتُه في (الباب الثاني) أيضًا، عن شيخنا الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد: أنه قال: لما عزم الحبيب سالم بن أحمد العطاس على الرجوع من مكة إلى بلده حريضة، وأوصاه مولانا السيد أحمد دحلان، وقال له: إن اجتمعت بالحبيب صالح بن عبدالله العطاس صاحب عمد، فاشرح لنا شيئًا من حاله.

فكان جواب الحبيب سالم على مولانا السيد وإن تفضلتم بالسؤال عن سيدنا الحبيب صالح بن عبد الله العطاس فهو كما قال البوصيري:

رحمـــــةٌ كلـــهُ وحـــزْمٌ وعـــزْمٌ ووقَـــارٌ وعِصْـــمة وحيَـــاءُ

انتهى.



[ترجمته بقلم تلميذه شطا]

رجعنا إلى سند صاحب الترجمة في أخذ العلوم، وتضلعه من منطوقها والمفهوم، وما أكرمه الله به من نشرها في جميع الأقطار، حتى عمت دعوته البدْوَ والحضّار.

قال تلميذه العلامة السيد بكري بن محمد شطا «مؤلف إعانة الطالبين على فتح المعين»، في كتابه «نفحة الرحمن في مناقب شيخه السيد أحمد بن زيني دحلان»، ما ملخصه: «هو الإمام الأجل، والبحر الأكمل، فريد عصره، وأوانه والمقدم على أقرانه، فخر زمانه، شيخ العلم وحامل لوائه، وحافظ حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكوكب سمائه، كعبة المريدين، ومربي السالكين، السيد أحمد بن زيني دحلان بن أحمد دحلان ابن عثمان دحلان بن نعمة الله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن عثمان بن عطايا بن فارس بن مصطفى بن محمد بن أحمد بن زيني ابن قادر بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالرزاق بن علي بن أحمد بن أحمد مثنى بن محمد بن زكريا بن يحيى بن محمد بن أبي عبدالله ابن الحسن بن سيدنا عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى بن جنكي دوست حق بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبطين سيدنا الإمام علي بن أبي طالب والزهراء البتول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ولد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بمكة المحمية، عام الثاني والثلاثين بعد المائتين والألف من الهجرة المحمدية، وتربى بوالده، وحفظ القرآن الحكيم، والشيء الكثير من المتون في غالب الفنون،

واعتكف بالمسجد الحرام المكي على طلب العلم الشريف، عند أشياخ كثيرين، حتى لباه شيخ فتحه، الشيخ العلامة المحقق الورع، عثمان بن حسن الدمياطي الأزهري، الشافعي مذهبًا، الخلوتي طريقةً، وليد مصر، ودفين مكة المحمية، سنة خمس وستين ومائتين وألف هجرية.

وكان سبب انتقاله من القاهرة إلى مكة: أنه رأى رؤيا، قال: إني كنت في مقام سيدنا الحسين بمصر بين النوم واليقظة، فرأيت أني أتيت مكة المعظمة، ودخلت المسجدالحرام، وغرست فيه شجرةً، فما مضى عليها حين من الدهر إلا وقد تفرعت، وملأت المسجد الحرام، وأثمرت وأينَعت. فلما وصل مكة، وافتتح الدروس بالمسجد الحرام، حضر عليه جمع من الأعيان، ومنهم مولانا السيد، فلما رأى ما فيه من النجابة وحسن الإقبال، صار يقول له: أنت يا سيد أحمد إن شاء الله الشجرة التي رأيتها، وتعبيرها أن تنتشر العلوم على يديك على الدوام.

وقد صدّق الله له في مولانا السيد رؤياه، وحقق له فيه ما رجاه، حتى أن شيخه المذكور قبل وفاته بثلاث سنين، ترك التدريس، وأمر مولانا السيد أن ينوب عنه في إتمام تدريس الكتب التي قد شرع هو فيها، فامتثل أمر شيخه، وفرح بذلك بقية الطلبة. ومما يجدر بالذكر أن وقف شيخه في «حاشية الصبيان على الألفية» كان (باب البدل)، فكان هو البدل. واستمر في نشر العلم مدة حياته، حتى صار تلاميذه غالب من في المسجد الحرام، بل غالب من في بلاد الإسلام.

وعند ذلك انتهت إليه مشيخة الإسلام، ببلد الله الحرام، وأخذ عنه الناس طبقةً بعد طبقة، وكل روى من بحور علمه المتدفقة، كل ذلك بعد أن ألبسه شيخه المذكور، وأجازه شريعة وطريقةً.

[أسانيد صاحب الترجمة]

وكان شيخه المذكور قد أخذ السلم عن مشايخ كثيرين، من أجلهم العلامة الشيخ عبدالله الشرقاوي الأزهري، الشافعي مذهبًا، الخلوتي طريقةً، والعلامةالشيخ محمد الأمير الكبير الأزهري المالكي مذهبًا، الشاذلي طريقةً، والعلامة الشيخ محمد الشنواني الأزهري الشافعي مذهبًا، الخلوتي طريقةً.

وأخذ مولانا السيد الطريقة العيدروسية أيضًا عن شيخه المذكور، وهو يرويها عن الشيخ محمد الأمير المذكور، وهو يرويها عن العارف بالله تعالى السيد عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس نزيل مصر، وهو يرويها عن والده مصطفى، وهو يرويها عن والده شيخ، عن والده مصطفى، عن والده علي زين العابدين، عن والده عبدالله عن والده شيخ، عن والده سيدي عبدالله العيدورس قطب العارفين، وينتهي سنده إلى المهاجر إلى الله سيدنا أحمد بن عيسى، إلى متبوعهم الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولمولانا السيد أيضًا إجازات كثيرة بطريقة السادة العلويين، مع تلقين الذكر والإلباس، غير الإجازة المذكورة، أجازه بها كثير من سادتنا آل باعلوي، نفعنا الله بأسرارهم، ومنهم السيد العلامة ذو المقامات العلية، السيد محمد بن حسين الحبشي، مفتي الشافعية بمكة المحمية. ومنهم السيد السند واسطة عقد الأولياء الكرام، عمر بن عبدالله الجفري، نزيل المدينة المنورة، على مشرفها أفضل الصلاة والسلام. ومنهم السيد الفاضل العالم العامل، صاحب الأسرار عبدالرحمن بن علي السقاف».

قال مؤلف هذا «التاج»: ومن ذلك أيضًا اتصاله بالحبيب القطب أبي بكر بن عبدالله العطاس مجالسة ومكاتبةً، وقد تقدم نموج من ذلك في ترجمة الحبيب أبي بكر المذكور، من (الباب الخامس) من «تاجنا» هذا، وهو جدير بالالفتات لمن تهمه الأثبات.



ونعود إلى «نفحة الرحمن»، وما يحدثنا به مؤلفها من الامتنان، على صاحب الترجمة مولانا السيد أحمد دحلان. حيث يقول: «ولهؤلاء السادة الكرام أسانيدُ كلها مثبتة في «ثبت» مولانا السيد. وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له تعلقٌ كثير بالسادة العلويين، وبنشر كتبهم وطريقتهم، حتى إنه كان مواظباً على قراءة أورادهم في كل وقت وحين، وكان يحفظ جميع ما في «المسلك القريب لكل سالك منيب»، تأليف الإمام ذي السر الباهر، سيدنا الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر، ويواظب عليه، ويأمر به مريديه، ويحثهم على العمل به، لأنه كتاب جليلٌ، حوى من نفائس الأذكار، وجلائل الأدعية، ما يشرق به قلب القارئ بالأنوار، ويسلك به سبيل الرشاد.



وكان مولانا السيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قد تفقه أيضًا في فقه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وحضر معظم «الدرّ» على العلامة السيد محمد الكتبي، تلميذ الطحاوي الشهير، وكانت له اليد الطولى، والاطلاع التام في مذاهب الأئمة الأربعة، وكثيرًا ما ترفع إليه بعض الأسئلة، فيجيب عنها على المذاهب الأربعة جوابًا شافيًا، حتى إن الحكام في آخر وقته إذا حدثت حادثة، لا يسألون غيره من العلماء.



[طريقته في التربية والتعليم]

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له صناعة تامة في تعليمة للطلبة، لم تعهد لغيره من العلماء السابقين، في بلد الله الأمين فكان يعلمهم صغار العلوم قبل كبارها، وفروعها قبل أصولها، وكانت تربيته للمريدين بالفعل والمقال والحال، مع جد وتشمير واحتفال، فكان يخليهم من الأوصاف الذميمة، ويحليهم بالأوصاف الحميدة، بالفعال والمقال.

ومن حسن أسلوبه: أنه كان إذا رأى نجابة من بعض الطلبة في بعض الفنون، أمره بتعليم ما يعرفه لمن دونه، فما مضت مدة من الزمان إلا والمسجد الحرام ملآنٌ من طلبة العلم، ومن العلماء الأعيان.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذا همّة عالية في تحصيل العلوم وبثها، وتأييد الشريعة المطهرة ونشرها، تام الرجاء بربه، حسن الظن في بلوغ مآربه، غايةُ مرامه تعليم الجهال ما ينفعهم من أمور الدنيا والدين، مع التبري من حوله وقوته، ونسبة التقصير لنفسه، وتفويض الأمر لرب العالمين، حتى إنه بعدما ظهرت النجابة على طلبته بالمسجد الحرام، صرف عنان همته إلى العُرْبان المحيطين ببلد الله الأمين، ليعلمهم القرآن، وما يجب عليهم من أمور الدنيا والدين، وصار أيام نشاطه يذهب إليهم بنفسه، وفي آخر الوقت يرسل إليهم الوفودَ من الطلبة، حتى انتشر ببركته الدين في تلك الجهات، وتاب على يديه كثير من أجلاف العرب المذنبين، وقد بلغ عدد أولاد العرب الذين حفظوا القرآن ثمانمائةٍ بالإحصاء، وغالبهم توجهوا لطلب العلم، فنالوا حظهم من ذلك، وكان هذا هو السببُ الحامل لمولانا السيد على تأليف «شرحه على الآجرومية» في النحو، ثم طبعَه وفرقه عليهم مجانًا.



[وفاته]

وبالجملة؛ فقد مضّى عمره كله، اثنتين وسبعين سنةً، في طلب العلم ونشره، والعمل به، حتى قرب الأجل، فاختار له مولاه جوار حبيبه ومصطفاه، في آخر زياراته المدينة المنورة. وكان مسيره إليها في أواخر شهر ذي الحجة، عام الثلاث بعد الثلاثمائة والألف. فأقام بها على نشر العلم، وعبادة مولاه، والتردد صباحًا ومساءً على الحضرة المحمدية، إلى أن أتاه اليقين، آخر ليلة الأحد، وأربع مضت من شهر صفر، سنة أربع وثلاثمائة وألف. ودفن في البقيع، بين أهل البيت الطاهرين وقبة بنات سيد المرسلين.

[مؤلفاته]

وله من المؤلفات:

[1] في التصوف «تيسير الأصول وتسهيل الوصول».

[2] و«تلخيص الرسالة القشيرية» و«شرح شيخ الإسلام».

[3] و«تلخيص منهاج العابدين» للغزالي.

[4] ورسالة أخرى لخص فيها كتاب الشكر للغزالي سماها «اللجين المسبوك في بيان المقامات وكيفية السلوك».

[5] وله أيضًا «السيرة النبوية».

[6] و«الفتوحات الإسلامية».

[7] و«الفتح المبين في سيرة الخلفاء الراشدين».

[8] و«مختصر المشرع الروي في مناقب السادة بن علوي».

[9] «والدر الثمين في خصوص أمراء بلد الله الأمين».

[10] و«بهاء العين في بناء الكعبة ومآثر الحرمين».

[11] و«إرشاد العبّاد في فضائل الجهاد».

[12] و«الدرر السنية في الرد على الوهابية».

[13] و«أسنى المطالب في نجاة أبي طالب».

[14] وفي فن التوحيد «فتح الجواد المنان بشرح فيض الرحمن».

[15] و«رسالة في الفرق بين مذهب أهل السنة وغيرهم».

وفي فن النحو:

[16] «شرح على الآجرومية».

[17] و«شرح على الألفية».

[18] و«رسالة في البسملة».

وفي فن المعاني والبيان:

[19] «حاشية على السمرقندية».

[20] و«تقريرات على السعد وحاشية البناني».

وله أيضًا:

[21] «رسالة في المقولات العشر».

[22] و«رسالة في فن الوضع».

[23] و«رسالة في الجبر والمقابلة».

[24] و«رسالة في جواب سؤال رفع إليه في التواجد حال الذكر والنقض له».

[25] و«رسالة في صيغ صلوات على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وفي فن الفقه:

[26] «حاشية على زبد بن رسلان».

[27] و«حاشية على عبد الرؤوف على مختصر الإيضاح».

[28] و«رسالة في فضائل العلم».

وله أيضًا:

[29] «الأنوار السنية بفضائل ذرية خير البرية».

[30] وله «طبقات» بديعة الأسلوب، ذكر فيها علماء الشافعية على حدتهم، غير أنها لم تكمل.

[31] وله «تاريخ» جميل، على هيئة الجداول، سماه «تاريخ الدول الإسلامية»، ابتدأه من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه له اطلاع تامٌّ على أنساب العرب وغيرها، علاوة على ما أكرمه الله من العلوم والمعارف. فقد كان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَخُرُّ بأسنّة فهمه نحور العلم، فيستخرج من أصدافها درر المنطوق والمفهوم.

[32] وله أيضًا «قصائد» جمة، في مواضع مهمة.



[من شعر صاحب الترجمة]

ومنها هذه قالها وهو بالمدينة المنورة قبل وفاته بأيام قلائل:

عليك بتفويض الأمر لربّنَا	فإن به كل الأمور تسيرُ
ولا تعتمد تدبير رأيك أنه	يصيب ويخطي والخطأ فيه أكثرُ
فكم قد رأيت الأمر خيرًا تحبه	فكان على الضد الذي أنت تخبرُ
وقد تختشي المكروه من بعض حادث	فيأتيك منه الخير وهو ميسرُ
فعقلك لا يقوىٰ لإدراك كلما	يكون به ضر ونفعٌ محبرُ
فيامن يريد الخير كن متبرئًا	من الحول والتدبير تحظىٰ وتنصرُ
فلا قوة للعبد تجلب نفسه	ولا تدفع الضراء عنه فيجسرُ

فـإن جـاء في وهـم توقـع حـادث | يكـون بـه مـا تتقيـه وتحـذرُ
فيدفعـه عنـك الإلـه بفضلـه | إذا كنـت في التفـويض لسـت تقصـرُ
فكـم قـد وقـاك الله أمـرًا تخافـه | ولا علـم لا تـدبير عنـدك يحـضرُ
فربـك منـان وبالفضـل محسـن | فيمحـو ويثبـت مـا يشـاء ويقـدرُ
وقـد قـال بعـض العـارفين مقالـة | بهـا دفـع هـذا الـوهم حقًـا يسـطرُ
نـرىٰ الأمْـر ممـا يتقـىٰ فنهابـه | ومـا لا نـرىٰ ممـا يقـي الله أكثَـرُ
فتركـك للتـدبير في كـل مـا يـرىٰ | لنفسـك فيـه الحـظ فهـو المحـذّرُ
وأمـا الـذي للشـرع فيـه أوامـر | فـلا تتـرك التـدبير فيـه فتخـسرُ
ولكـن مـع التـدبير كـن متبرئًـا | مـن الحـول لـولا الله مـا كنـت تقـدرُ
فكسـبك للتـدبير لـيس مـؤثرًا | أُمِـرتَ بـه شـرعًا وربـي المـؤثرُ

انتهى المراد من «نفحة الرحمن».



[مديحة العلامة ابن شهاب في صاحب الترجمة]

قلتُ: ومن الغريب العجيب، أن الحبيب العلامة، شاعر أهل البيت، أبابكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين العلوي، قد أشار إلى أن وفاة صاحب الترجمة ستكون بالمدينة المنورة، في مديحه له قالها في صاحب الترجمة، وأرسلها إليه، وذلك قبل وفاته بنحو سنة زمان، كأنه ينظر إلى سجف الغيب من طرف خفي، لأن غالب الإشارات والبشارات التي فيها قد حققها الله لصاحب الترجمة، فنعم الممدوح ونعم المادح.

حيث يقول في براعة استهلالها:

دعتـك لـك البـشرىٰ إلـىٰ عرشـها اسـما | لترقـىٰ علـىٰ مـا فيـك معراجهـا الأسـمىٰ

وتشـــهد منهـــا فـــاخلع النعــل خاضــعًا ... بطــور تجليهـــا ســـنا الـــذات والأســـماء

وتقطـــف مـــن غـــرس التمنـــي لرفعهـــا ... حجـاب التجنـي يـانع الجلـوة العظمـى

هنالـــك مغـــزى العاشـــقين ومنتهـــى ... أمـــاني أهـــل الحـــب والشـــيمة الشـــما

وثمـــة تحظـــى بالملاحظـــة التـــي ... تنـــال بهـــا أقصـــى مرامـــك والمرمـــى

فطــف واســع وانــو الاعتكــاف بحانهــا ... ولا تخــش عـــارًا إن تمثلــت ولا إثمًــا

نفـــى ســـلبها الإدراك إيجابـــه فيـــا ... لســـالبه جزئيـــة عكســـها تمـــا

وتلــك التــي تــوحي بجبرئيــل حامهــا ... إلـى الـروح آي الغيـب في ذلـك الأغمـام

وهـــل غيـــر ســـاقيها بأقـــداح راحهـــا ... عـن الغنى يهدي العمى أو يسمع الصما

نعــم إنــه الفــرد ابــن دحــلان أحمــد ... أمـــام الـــورى طـــرا وأوســـعهم علمًـــا

ثريـــا أمـــان الـــدين مـــن كـــل ملحـــد ... ونبراســـه المـــاحي بـــأنواره الظلمـــا

ومـــن كـــان للإســـلام شـــيخًا وللهـــدى ... أبًـــا ولســـيّار العـــلا أمّـــه أمـــا

أغربنــــي الزهــــراء إكليــــل تــــاجهم ... وأوفـــــرهم في إرث آبائـــــه قســـمًا

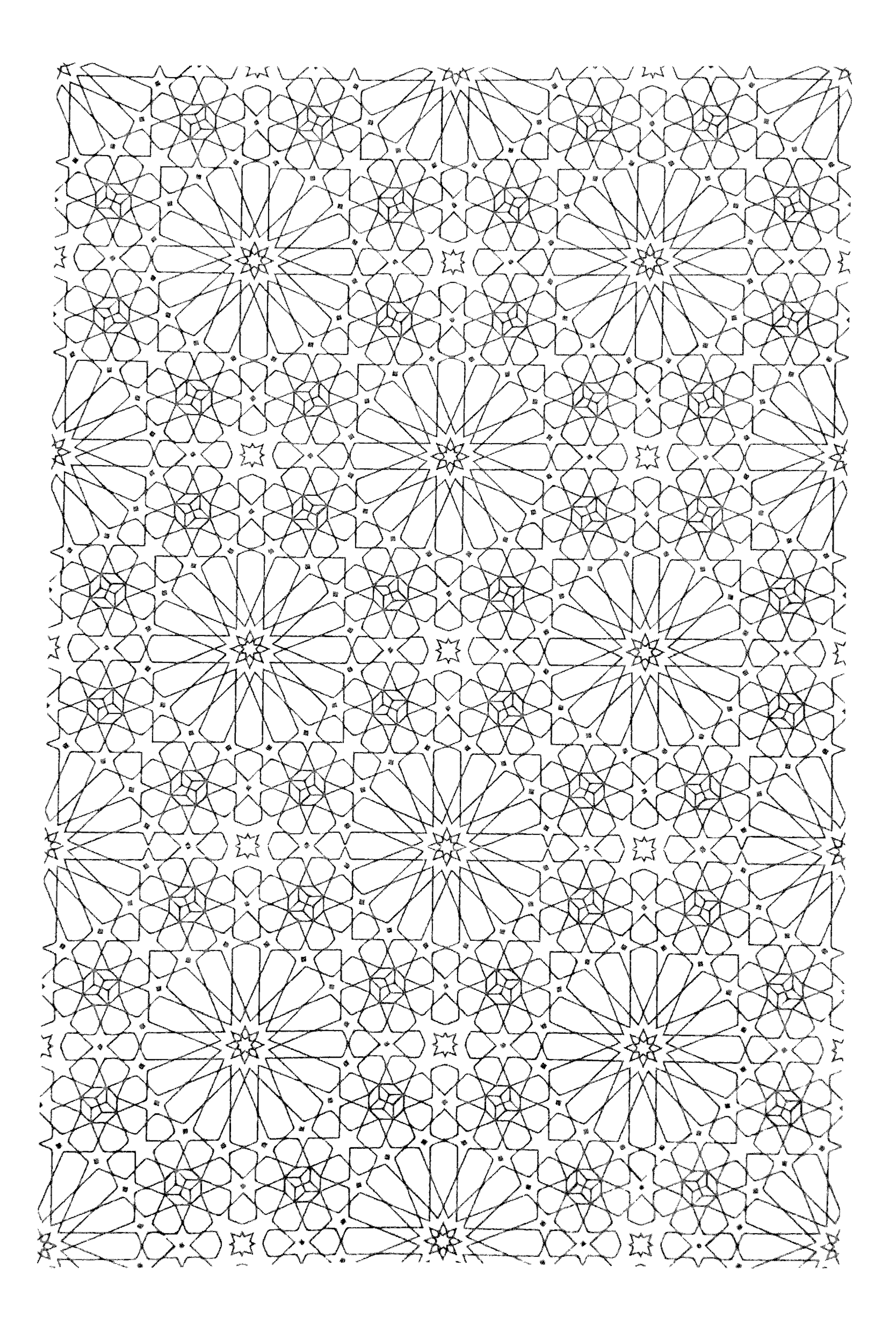
خبيـــر بإرســـال الكتـــاب وســـنة الـــرّ ... ســـول وباســـتنباطه منهمـــا الحكمـــا

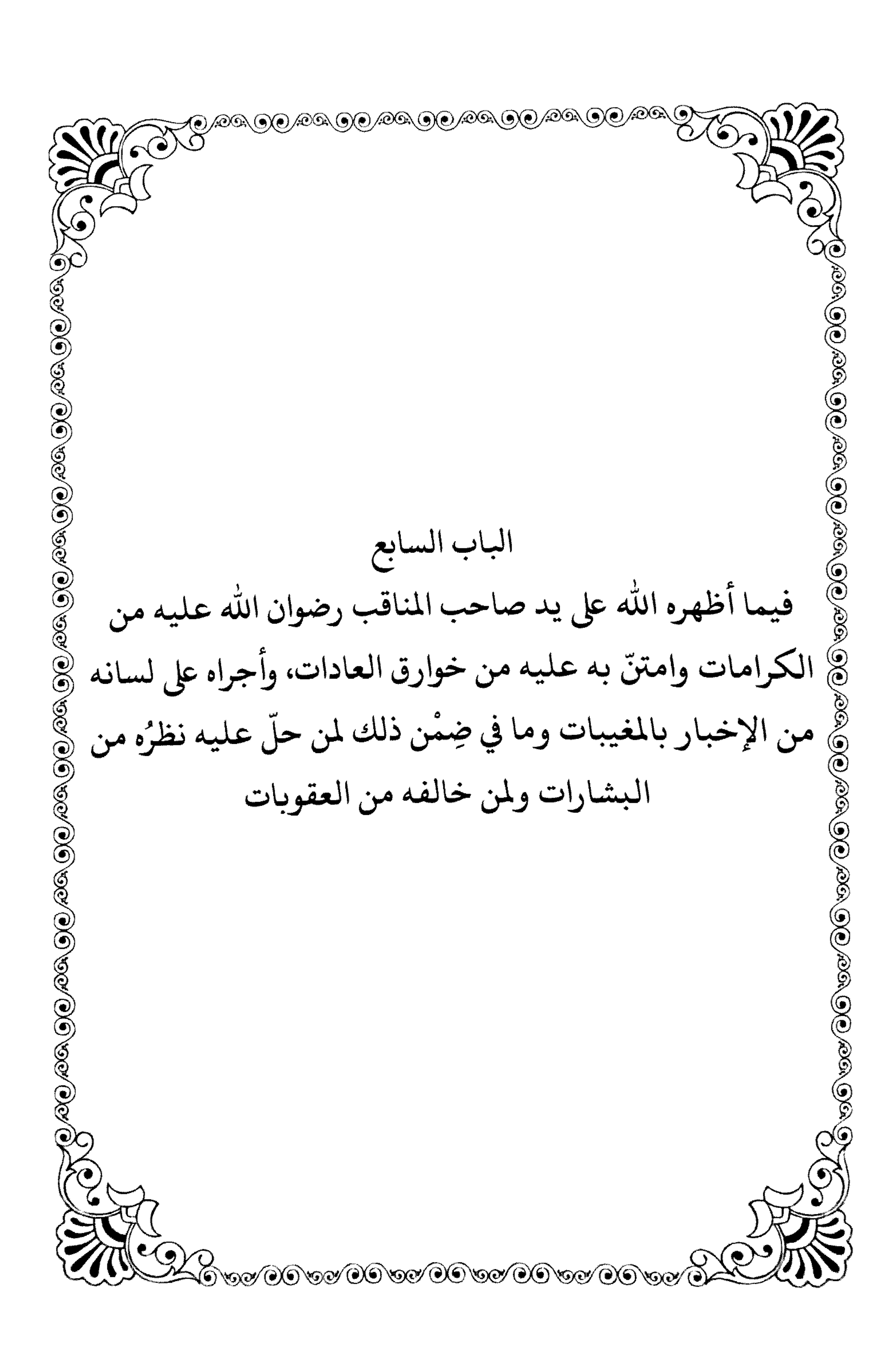
انتهى المراد من مديحة بن شهاب الدين

في شيخ الإسلام ببلد الله الأمين

وبه انتهى الباب السادس

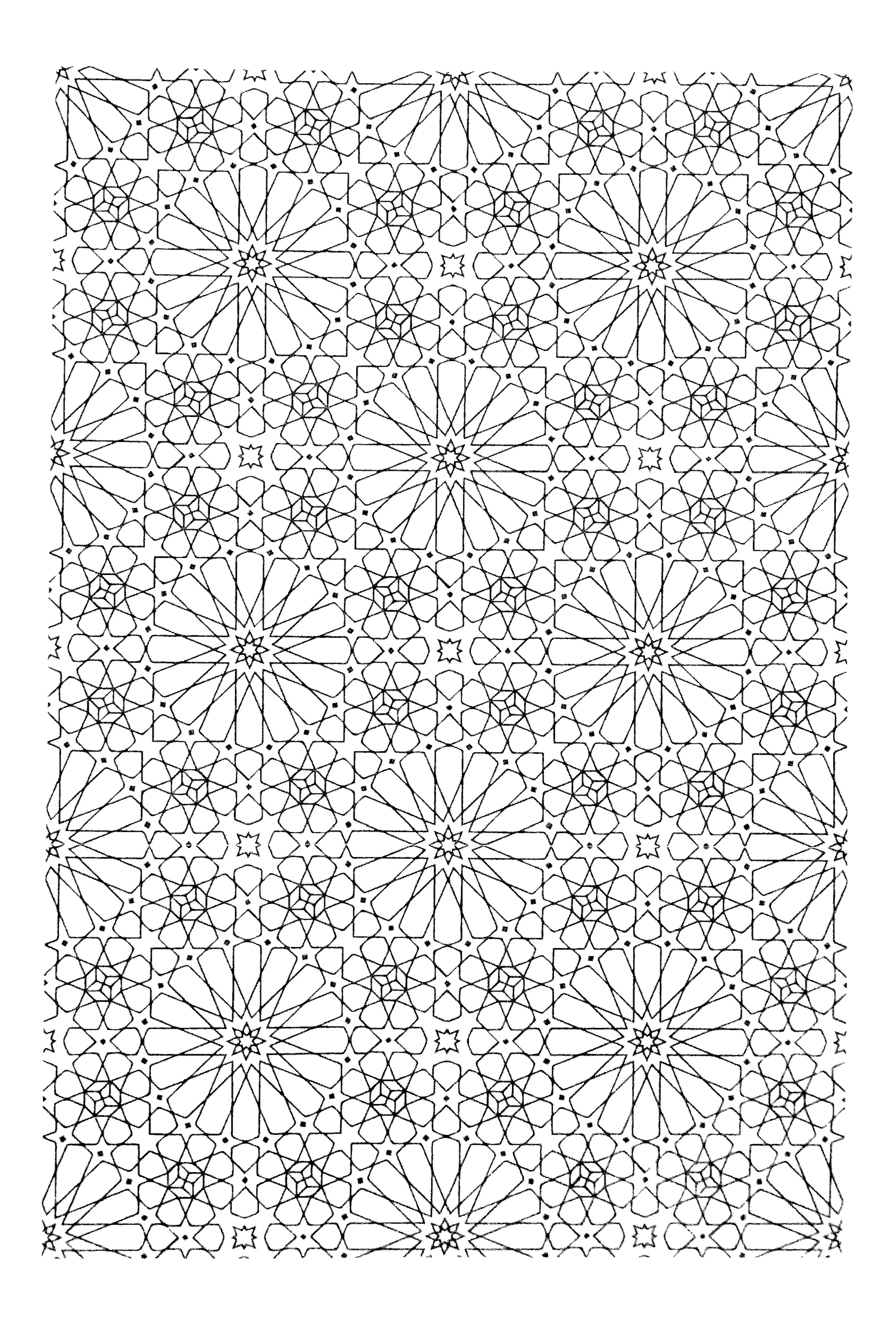






الباب السابع

فيما أظهره الله على يد صاحب المناقب رضوان الله عليه من الكرامات وامتنّ به عليه من خوارق العادات، وأجراه على لسانه من الإخبار بالمغيبات وما في ضِمْن ذلك لمن حلّ عليه نظرُه من البشارات ولمن خالفه من العقوبات





الباب السابع

وقد تكرر عنه ذلك برواية الثقات، وكل ذلك بإلهام مدبر الكائنات، كما في الحديث القدسي: «ابنَ آدم، أنا الله، أقولُ للشيء كُنْ فيكون، أطِعْني أجعلْكَ تقولُ للشيءِ كُن فيكون»[1]. وعسَى أن يتذكر القارئ ما أسلفناه أول الكتاب، بشأن الكرامات، وأنها من آيات الله الباهرات، لأنها تدل على عظيم قدرة الله.

كما قال تعالى، فيما وقع لأصحاب الكهف: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. نعم، إنها من آيات الله، فسبحان الذي لا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من خواصّ عباده، ليبرهن للناس على عظيم جاههم عنده بخرق العادات، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾.

فليتَ شعري، من هو الذي تولاهم وآمنهم من الخوف، ووعدهم بالبشرى في الدارين، وخصهم بهذه المزايا من بين خلقه؟ أليس هو الذي علم آصِف، بمدّ الهمزة، أن يأتي بعرش بلقيس قبلَ ارتداد الطرف إلى نبي الله سليمان.

إن وعد أكرم الأكرمين ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ لمن الكلمات الخفيفة على اللسان، الثقيلة في الميزان. وإنها كلمة لو قالها أحد ملوك الأرض لبعض عماله، لاشرأبّت إلى ذلك العامل أعناق السكان، وتسابقوا إليه برفع حوائجهم إلى ذلك الملك، الذي اختاره على غيره من العمال، فكيف بمالك السموات والأرض، الذي بيده تصاريف الأمور! غير أنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

اللهم فاشهد بأنّنا آمنا به كل من عند ربنا، قائلين: **اللهم** لا تحرمنا خير ما عندكَ، لشر ما عندنا.

---

(1) هذا الحديث ليسَ له أصلٌ، ولم نجد له تخريجًا في المصادر المتوفّرة، والله أعلم.

الحكاية الأولى

قال المترجم وفارس الميدان المتقدم: «أخبرنا جمع من الثقات، منهم الأخ الصالح محسن بن عبدالله، شقيق صاحب المناقب، قال: جاء أناس في بعض الأيام لزيارة والدي في حياته، فطبخ لهم أهلي عصيدةً لطعام الغداء، وأمروا أخي صالحاً، يعني صاحب المناقب، أن يدفعها إلى والدي، لأنه كان جالسًا مع الزائرين في القبليّة، يعني غرفة الضيافة، لإدخال السرور عليهم، فلما خرج أخي صالح من بيت السكنى، إذا بأناس فقراء ينتظرون شيئًا من فضلات الغداء، فجعل أخي صالح يدخل يده في تلك الجفنة من تحت الغطاء، وكلما أخذ لقمة كبيرة من تلك العصيدة، صبغها بالسمن الموضوع وسطها، المعروف عند أهل حضرموت بالحقَّالة، بضم الحاء وتشديد القاف المفتوحة، وأعطاها واحدًا من أولئك الفقراء.

فشعرت به بعض النساء من أعلى الدار، وجعلت تقول، برفع صوت: إن صالحاً قد قسم غداء الضيفان على هؤلاء المساكين. فلم يبال بقول أحد، حتى أكمل مهمته، وقضى من العطف على البؤساء لُبانته. ووالدي مستشعر بجميع ما كان، مطمئن من جهة أخي صالح غاية الاطمئنان، بعد أن عرف أنه قد تولاه الرحيم الرحمن، حتى أتاه بتلك الجفنة وهي مملوءة كما كانت.

فقال له والدي: ماذا فعلت بغداء الضيفان؟ ومن أين جبرت ما وقع فيه من النقصان؟ فسكت حياء من والدي، فلما ألح عليه في ذلك، قال: جئت به من الجنة، وليست بعيدة، أو كما قال، انتهى.

قلتُ: وإذا كنا نحن مصدقين بأن رب الجنة ورب الدنيا واحد، فلا مانع من ذلك. أو بعبارة أخرى: إن صاحب المناقب لصغر سنه في ذلك الوقت، لا يحسن التعبير عن قول

الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مانقص مال من صدقة بل يزداد بل يزداد**»، وهذا كتاب الله الحكم الفاصل، يقول فيه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾.



الحكاية الثانية

حكَى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «إن صاحب المناقب ذكر أناسًا، وغالبهم يتعاطون الأسفار، ويتهاونون بالصلوات المفروضة، فحذرهم وأنذرهم، ثم رغبهم. وقال لهم: إن الذي يواظب على أداء الصلاة لا تحرقه النار.

فوقع في كلامه شكٌّ في نفوس بعض الحاضرين، وكان في ذلك المجلس إبريقٌ فوق النار، وجلسَ فوقها، فلم تحرق شيئًا من ثيابه ولا من بدنه، انتهى.

قلتُ: وذلك ليبرهن لهم على صدق الدعوى، بإخبار من لم ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحَى.



الحكاية الثالثة

حكَى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «**أخبرني والدي**، قال: وقع مرةً ببلدنا عمْد مرض الجدري المعتاد، وأصاب إخواني الصغار، وغيرَهم من أهل بيتنا، فجعلوهم في منزل خاص، وحجبوهم عن الناس، خوفًا عليهم من روائح الطيب، لأنه مهيج جدًا لذلك الألم، خصوصًا في الجهة الحضرمية، ومجرّب عندهم. وربما عميَ أو مات في الحال، من شمّ رائحة الطيب، وبه ذلك الداء.

وكان من عادة أخي صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، أنه لا يترك استعمال الطيب أصلًا في بدنه وثيابه، عملًا بالسنّة، ويستعمل أجوده، ويقول: كفارة لتقبيل اليد، لشدّة ورعه. وكانت والدتنا هي الممرّضة للمصابين بذلك الألم، فجعل والدي يحذرها كل الحذر من دخول أخي صالح عليهم، وهم بتلك الحالة.

فدخل يومًا بغتة وبيده شيء من الطيب، وأظنه المسك الأذفر، وجعل يشممهم إياه، ويقول: إنه من مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكّة، فصاحت الوالدة بأعلى صوتها، ووقعت لذلك ضجة عظيمة في المكان، وبين السكان، ولكن ببركة إمام أهل العرفان، استحالت الصهباء، وصار فعله في حق أوليك المرضى عين الدواء، بإذن من يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص والأعمى.



الحكاية الرابعة

حكَى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «**أخبرنا** محبّ أهل البيت، سالم بن عمر بن رضوان، ساكن بلد حريضة، قال: جئت مرةً إلى بلدة نفحون، بوادي عمد، لحاجة لي. فمررتُ ببعض الديار، وكان الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، جالسًا فيها، فدعاني إلى مجلسه، فلم أدخل عليه. فقام إلي، وسألني عن السبب؟ فكشفت له عن صدري، وفيه إذ ذاك جراحة مزمنة منتنة. وقلت: هذا الذي منعني، وقد أعيي الأطباء، فحين رأى ذلك، ضرب على ظهري بيده المباركة، ثلاث مرات. وهو يقول: يا عمر بن عبدالرحمن، ثم نفث فيه من ريقه الترياق المحبوب. فقلت له: وبي أيضًا ضيق النفس. قال: ستُشفى من ذلك كله قريبًا بإذن الله. ثم قال سالم المذكور: فأحسست بأثر العافية في الحال، وبرئ مني الجرح وغيره في أيام قلائل، انتهى.

قلتُ: وذلك بقدرة الكبير المتعال، المنعم على أوليائه بإجابة السؤال، الذين لو أقسم عليهم أحدهم لأبر قسمه، بما لا يخطر على بال. وإياك أيها القارئ أن تستعصي عليك نفسُك هنا، وتقول: كل كيف يكون ريقُ الولي ترياق مجرب؟ فقل لها عند ذلك: ليهُنْ عليك الأمر، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وله الخلق والأمر، قد جعل ريق بعض الأفاعي سمًا ناقعًا يموت من أصيب به في الحال من غير إمهال، ومن هو أحق بالخصوصية، الولي العارف بالله أم الحية؟ أم كيف القضية؟ أم هو اعتراض منك يا نفسُ على القدرة الإلهية؟ أعاذنا الله وأحبابنا من هذه البلية، ومن كل نزعة تلحق صاحبها بالمطرود من رحمة الله بالكلية، بجاه خير البرية، آمين.



الحكاية الخامسة

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، عن صاحب المناقب رضوان الله عليه:

أنه قال: لما كنت مجاورًا بمكة المحمية، على طلب العلم، خرجت ذات يوم من رباط السادة إلى السوق، لأشتري خبزًا لي ولبعض الإخوان من طلبة العلم، فقبض الدراهم مني أحد الذين يبيعون الخبز، وأنكرني منها. فشق ذلك عليّ، وخشيت أن يظن بي الإخوان ظن السوء، فتوجهت إلى الله أن يرد عليَّ تلك الدراهم، فلم أشعر إلا وهي وفي يدي بعينها في تلك الساعة، ففرحت بذلك غاية، وشكرت الله على ذلك»، انتهى.

قلتُ: وذلك بقدرة من ردّ موسى إلى أمه من لجة البحر الغزير، ونجاه من العدو الشهير، وردّ يوسف على أبيه من السجن وقعر البئر وآتاه الملك الكبير، ولا ينبئك مثل خبير.



الحكاية السادسة

حكَى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال:

«أخبرني والدي، قال: خرجت يومًا أنا وأخي صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، وأختنا فاطمة، لنلعب مع الصبيان في جوانب البلد، ونحن إذ ذاك في سن الصبا. فأمرت أختي المذكورة أن تأتيني بشيء من الألعاب من الدار، فأبت فضربتها بنَسْعتي، أي الحقْو الذي يشد على الوسط، المصنوع من الأديم، وتكون في طرفه عُجرة، بضم العين، كبيضة الحمامة، فأصابت تلك العجرة عينَها، فجرحتها، حتى سال منها الدم بكثرة، فأخذ أخي صالح بيدها، وذهب بها إلى العُلمة، أي بضم العين، وهو المكتب الذي يتعلم فيه صبيان البلد القرآن الحكيم، وأنا أمشي خلفها.

وأمرني أن أمسك بيديها بقوة، وجعل هو يأخذ من تراب العُلمة ويضعه في عينها المصابة. ورجعنا إلى بيتنا، فلما رأت والدتنا الدم والتراب في عين بنتها، وأخبرناها بما جرى، أخذت تصيح، وتقول: ما نصنع ببنت عوراء؟ قال أخي صالح: لا بأس عليها، وأنا قد داويتها، فاتركوها. فتركوها ثقةً بقوله، لما عرفوا من كرامته على مولاه، من حال صباه. فلم نلبث إلا أيامًا يسيرة، حتى عادت عينها كما كانت»، انتهى.

قلتُ: أي تلألأ، وذلك بسِرّ وراثة اليد التي أعادت على قتادة عينه، فأصبحت نجلاء، وبركة ثرى آثار حملة القرآن، من ولدان الجنان، فبأي آلاء ربكما تكذبان.

الحكاية السابعة

حكى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال:

«ومن كرامات صاحب المناقب رضوان الله عليه: ظهور بركة الطعام على يديه، وقد تكرر ذلك عنه، وشوهد منه الكرة بعد المرة، حتى صار ذلك عادةً له عند أهل بيته وأصحابه، لا يستنكرونه منه، لكثرة وقوعه.

ومن ذلك: ما رواه عنه سيدنا الحبيب أبوبكر بن عبدالله العطاس، يعني المتقدم ذكره في (الباب الخامس). قال: قدمنا في بعض الأيام على الحبيب صالح بن عبدالله، يعني صاحب المناقب، إلى بلده عمد، فصادفتا عنده ضيوفًا، فقدم لهم خبز الذرة، ومرق اللحم في جفنة واسعة، فأخذوا في شرب المرق، حتى نفذ جميعه، وصاروا يأكلون الخبز من غير إدام، فلما نظر الحبيب صالح إلى ذلك، وضع يده في الجفنة، ففار المرق من بين أصابعه، حتى امتلأت الجفنة.

ثم قال الحبيب أبوبكر: أما أنا فاشتغلت بالشرب من ذلك المرق، الذي جاء من القدرة، انتهى.

قلتُ: والمأثور عن صاحب المناقب، أنه إذا قدم عليه الزائرون يقدم لهم الموجود عنده من أنواع الطعام، من غير تكليف، وإذا رآه قليلًا مع كثرة الناس يضع يده الكريمة في وسطه، ويقرأ عليه سورة الكوثر، فيزيد ذلك الطعام ويتكاثر، حتى يكفي الضيفان وأهل المكان، بقدرة من يقول للمعدوم كن فكان، وطلسم سر اليد التي ملأت لسيدنا جابر البرمة والجفان، فأشبعت يوم الخندق بالصاع ألف جيعان، كما في الحديث المصان، والله المستعان.

الحكاية الثامنة

حكى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «إن المحب حمد بن سعيد بن عِلي، بكسر العين، بن عامر بن سليمان بن شملان الجعيدي، ساكن جول حبَب، بوادي عمد، شكى حاله على صاحب المناقب رضوان الله عليه، وعصيان زوجته عليه، وأنها تستخف به، لقلة مالِه، فذهب معه صاحب المناقِب إلى بيته، فوجد عندها بعض نساء الجيران، فنصحها صاحب المناقب برفق ولين، فلم تصغ إلى قوله، بل طلبت الطلاق في تلك الساعة، فحذرها صاحب المناقب، ثم أنذرها ثانيًا بما ورد من الوعيد على من لم ترض بزوجها، فبقيت مصرةً على ما همس به شياطين الإنس والجن في أذنيها، فعند ذلك ظهرت على صاحب المناقب آثار الغضب، وقال لها: انظري إلى ورائك، فإذا هي بقطيع من العقارب مختلفة الألوان، تتسارع إليها من الجدار، وقال لها: هذا عذاب الدنيا، والآخرة أشد. فخافت من ذلك، وتابت على يديه، وثبتت لزوجها ثبوت رضا وامتثال، فأكرمها الله بالمال والعيال»، انتهى.

قلتُ: وذلك بقدرة الذي ثبت الأرض برواسي الجبال، وبركة هذا الحبيب الذي يغضب لغضبه الكبير المتعال، وماذا بعد الحق إلاّ الضلال.



الحكاية التاسعة

حكَى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرني الشيخ المعمر الصالح، سالم بن عبدالله باكثير، ساكن بلد حريضة. قال: لما زوجت بنتي فلانة، استعارت زوجتي حُليًا من بعض نساء الحبايب آل عطاس، فسرقت علينا تلك الحلي في أيام الزواج، وقت ازدحام الناس، فبلغنا غاية الجهد في التنقيب عنها، فلم نجدها. فوقع بخاطري أن

أزور ضريح سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، على نية أن الله يحفظ علينا هذه الأمانة، فلما وصلت القبة، وأنا في غايةٍ من القلق والحزن، صادفت بها الحبيب صالح بن عبدالله، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، فأخبرته بما جرَى لنا، فرتب الفاتحة للحبيب عمر، على نية أن الله يحفظ علينا تلك الأمانة.

ثم رفع يديه بالدعاء، وقال لي: قل: «يا علي يا قدير، احفظ أمانة باكثير»، وكررها، وارجع إلى دارك، وستجدها في محل كذا إن شاء الله، يعني القفص الذي كانت فيه، فرجعت إلى منزلي، وأنا أقول في نفسي: قد فتشت ذلك الوعاء أنا وأهلي مرات، فلم نجد شيئًا فيه. فلما وصلت الدار، فتحت ذلك الإناء، فوجدي الحلي بأجمعها فيه، فعرفت أنها كرامة من الله على يد الحبيب صالح»، انتهى.

قلتُ: وذلك بقدرة من يأتي بمثقال الحبة من الخردل، ولو كانت داخل الصخور، وبسر هذا الحبيب الذي هو عند الله من أهل القسم المبرور، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.



الحكاية العاشرة

حكَى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «حدثني والدي، قال: أصابتني في بعض الأيام جراحة في رجلي، واتّسعت، واشتد علي ألمها، حتى أني صرت من شدة الألم وكثرة القلق، أربط ثوبًا في سقف الغرفة التي أنا فيها، وأضع رجلي على ذلك الثوب، وأحركه طول الليل، ليخفف عني شيئًا من شدة الألم. ومكثت على تلك الحال مدةً، ثم استطببت لذلك أهل الخبرة، فقالوا: ليس لمثل هذه الجراحة طبٌ إلا الكي بالنار، فعظم ذلك عليّ، فأسر إلي بعض أهل النور: أن اطلب من أخيك صالح أن يمسح عليها بيده، وينفث عليها من ريقه، فأخذت قوله بقوة. وحين دخل علي أخي

صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، طلبت ذلك منه، فامتنعَ، إجلالًا لي، لكوني أكبر منه سنًا، فلم أترك له عذرًا في ذلك، حتى مسح عليها بيده، ونفث عليها من ريقه، فشفاني الله منها ببركته في أقرب مدة»، انتهى.

قلتُ: وذلك بقدرة من يأتي بالفرج بعد الشدة، ويكرم أولياءه بما توجهوا فيه بفتح أوامر من عنده، كما أكرم النحل بأن جعل لعابه شفاء من كل غدة، وأي الفريقين أحق بالتكريم في العدد والعدة، إن في ذلك لذكرى لمن يعرف الحق فيقف عندَه.



الحكاية الحادية عشر

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرني والدي أيضًا، قال: إنها أصابت إحدى أخواتي جراحة في منكبها، واتسعت حتى أنحلتْ جسمها، وأخي صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، إذ ذاك بالحرمين الشريفين. فلما رجع وهي بتلك الحالة، منعها أهلي من مصافحته، خوفًا عليها من رائحة الطيب، وحين رآها، سألها عن أمرها، فأرته تلك الجراحة، فأخرج حُقَّ الطيب من جيبه، وأخذ شيئًا منه، ونفث فيه من ريقه، وجعله على تلك الجراحة، فيبست في الحال».

قلتُ: أي بإذن محول الأحوال، وريق هذا الحبيب الزلال، الناشئ من أكل الحلال، وتكرير الجلالة لذي الجلال، الذي أكرم دودة القز بأن جعل لعابها هو الحرير العال، فكيف بأوليائه الذين ضَمِن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي المآل، بقبول الشفاعة وإجابة السؤال. وليت شعري ماذا يقول المكابرون في هذا الشيء المحسوس الموجود؟ فإن قالوا بتفضيل الدود على المؤمنين، الركع السجود، قلنا لهم: ألا بُعدًا لمدين كما بعدت ثمود.

الحكاية الثانية عشر

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «حدثنا المحب الصالح، الحاج حمد بن ناصر بن عوض بن سليمان الجعيدي. قال: لما زرنا مدينة تريم، بمعية الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، وأردنا الخروج منها راجعين إلى بلدنا عمد، لم نجد خفيرًا. وكانت تريم في ذلك الوقت محاصرةً من قبيلة آل تميم أشدّ الحصار، وكان الحبيب عيدروس بن أحمد بن علي بن شهاب الدين، قد عزم على الخروج معنا لموادعة الحبيب صالح إلى بعض الطريق، لما وقع بينهما من المحبة والألفة. فقال الحبيب عيدروس: أنا خفيركم، فلما خرجنا من البلد، إذا نحن بقطّاع الطريق، سبعة من العبيد، وثامنهم أحد القبيلة المذكورة، يترأسهم.

فصوّبوا بنادقهم نحونا، وقالوا: اطرحوا جميع ما معكم وإلا حصدناكم. فقال لهم الحبيب صالح: إنا زوار تريم، وضيفان الفقيه المقدم. فما زادهم ذلك إلا عتوًا وقساوةً، وأجابوا بكلام فاحش، فأخذت أنا بندقي لأقاتلهم به، فمنعني الحبيب صالح، وزجرني عن ذلك. واعترى الحبيب صالح حالٌ عظيم، فصاح هو والحبيب عيدروس على هؤلاء العتاة بالجلالة والتكبير، كأنهما أسدان ضاريان.

فألقى الله الرعب في قلوب أولئك البغاة، حتى سقطت بنادقهم من أيديهم إلى الأرض من شدة الخذلان، فاستحالت الصهباء، واستجار البغاة بالحبايب، لما رأوه نازلًا بهم من المصائب، وماشاهدوه في تلك الساعة من تخدير الأعصاب والمصاعب»، انتهى.

قلتُ: وذلك لتعرضهم لأهل المظاهر النبوية والمناصب، الذين جعلوا ذكر الله هو الحصن لهم والخفير والحاجب، فأجارهم إجارة الخائف التائب.

وحيّا الله أمير الشوق، وترجمان الذوق، الفقيه عمر بامخرمه الذي لبس الطوق قبل الطوق، حيث يقول:

قلبـي اقطـع معـاليق الطماعـاتْ باليَـاسْ

وازجُـر الـنفس واعـدِمْها عـن الخـوض في

والْقِ مبنىٰ الثقة في القلـب بـالله علىٰ أسـاسْ

وامْسِ له جار واجعل لكْ مِن اسماه حرّاسْ

فإنّهـا والله اَحْمـىٰ مـن كليـبٍ وجَسَّـاسْ



رجعنا إلى تمام الحكاية، من رواية مترجمنا المتقدم بحمل الراية. قال: «قال صاحب المناقب: فلما وصلنا المسيلة عند شيخنا الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، أخبرناه بما جرى لنا ومنا، فقال: لو أخذوا ثيابكم لكان ذلك أفضل لكم، كأنه رأى معنا شيئًا من حظ النفس»، انتهى.

قلتُ: ومن تتبع سيرة صاحب المناقب، والحبيب عيدروس المذكورين، وجدهما في غاية التأديب، ونهاية التهذيب، غير أن الكامل لا يزال يقبل الكمال على الترتيب، وما يتذكر إلا من ينيب.



الحكاية الثالثة عشر

حكَى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «كان صاحب المناقب رضوان الله عليه، يتردد إلى قرية سِرَيْوَاه، بوادي عمد، التي تسكنها قبيلة المراضيح من الجعدة، ويدعوهم إلى الله، ويذكرهم بأيام الله، ويحثهم على المواظبة على الصلاة، ثم أمرهم ببناء مسجدٍ يضمن لهم صلاة الجماعة.

فاعتذروا إلى صاحب المناقب بتعسر الماء عليهم، وقالوا: إن عمق البئر عندنا ثمانون قامة، أي باعًا، وإذا وقع السيل عندنا نطلب من فضلك أن تأتي إلينا لبناء المسجد. فقال لهم: يكون ذلك قريبًا إن شاء الله. ورجع إلى بلده عمد، وكانت الوقت إذ ذاك فصل الشتاء، وهو قليل الخصب في الجهة الحضرمية.

فلم يلبثوا إلا أيامًا يسيرة حتى منّ الله بالسيل، على أهل الوادي الجميع، فأرسلوا إلى صاحب المناقب حالًا، فجاءهم، وابتدأوا في بناء المسجد بحضوره وإرشاده، وهم مغتبطون بذلك، فأمرهم أن تكون أخشابه من شجر السدر الحلال، الذي لا شبهة فيه، فامتثلوا أمره. وكان الباني الرجل الصالح، سالم هجلان، فلما أراد أن يضع بعض الأخشاب على جدار المسجد، لأجل تسقيفه، رفعوا إليه أربعة مكاسر، أي عُمُد من الخشب، فوضع أطرافها على الجدار الواقع على يمين المسجد، فقصرت عن الجدار الثاني، ولم تبلغه، فردها لهم، وطلب أطول منها. فأرسلوا أناسًا إلى محل آخر ليأتوا بالمطلوب. فقال صاحب المناقب: إن المشايخ الذين بنوا مسجد الجامع في بلد عمد، قصرت عليهم بعض المكاسر، فأخذ بعضهم بطرفها وبعضهم بالطرف الآخر، واجتذبوها، فطالت بإذن الله على حسب المطلوب.

فقال المحب عبدالله بن عمر بن سالم بن مرضاح الجعيدي، وكان من أهل النيات الصالحة: وهذه عليك أنت يا حبيب صالح. فسكت صاحب المناقب وتبسم في وجه القائل، فما شعروا إلا ودخل عليهم رجل غريب، لم يعرفوه. فأخذ تلك المكاسر القاصرة، واحدًا بعد واحد، وجعل يناولها الباني، وكلما وضع واحدًا منها في محله الأول بلغ الجدار الثاني، بإذن الله.

قلتُ: وبركة هذا الحبيب العارف بالله، الشاهد له كتاب الله، بـ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾. ورجع ذلك الرجل أدراجه، ولم يلهم أحد من الحاضرين أن

يسأله: من أين أتى؟ والي أين يذهب؟ ومن هو في النسب؟ كما أنه لم يتجاسر أحد من الحاضرين على صاحب المناقب بالسؤال عما كان، لأن العيان تطمئن قلوب أهل الإيمان، كما حكاه القرآن عن خليل الرحمن، حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.



رجعنا إلى سياق الكلام، من رواية مترجمنا المقدام. قال: «والمكاسر المذكورة، هي الواقعة في الربع الشرقي الشمالي من المسجد المذكور، حتى إن واحدًا منها قد خرج طرفه عن الجدار. والقصة في ذلك مشهورة عند أهل هذه الديار، كالشمس في رابعة النهار. وقد اعتمر هذا المسجد بالجماعات والأذكار، بعد أن أتى لهم صاحب المناقب بالمعلم الصالح محمد بن صالح باحليوه، لأنه قرأ القرآن على الحبيب أحمد بن عمر بن سميط بشبام، كما أنه تفقه على صاحب المناقب. وقد أنابه صاحب المناقب على المسجد المذكور، وأمره بتعليم الجاهلين، وأوصاهم به خيرًا فكانوا إليه من المحسنين.

وممن زاد اتصاله وقربه ووصاله بصاحب المناقب من أهل تلك القرية، المحب المحبوب، صالح بن سالم بن حمد بن مرضاح الجعيدي، واعتقد فيه اعتقادًا خاصًا، وخدمه، حتى جعل نفسه رهين إشارة صاحب المناقب، فحلّ عليه نظر صاحب المناقب، وهدى الله صالح المذكور للأعمال الصالحة، حتى صار لا يخرج من المسجد المذكور إلا بعد صلاة الإشراق، لشدّة حرصه على الطاعة.

وكان صاحب المناقب يحب صالحًا المذكور، ويكرر الدعوات الصالحة له، وأعظم من ذلك كله: أني لم أر صاحب المناقب حَزن لموت قريبٍ ولا بعيدٍ، أكثر من حزنه على المحب صالح المذكور»، انتهى.

[العلاقة بين صاحب المناقب وآل هلابي]

وكان صاحب المناقب رضوان الله عليه، أيضًا يتعهد سيلة آل هلابي، من قبيلة الجعدة المذكورة، فيدعوهم إلى الله، ويرشدهم إلى طاعة الله، فيفرحون بقدومه إليهم، ويمتثلون كل ما أشار به عليهم.

وقد أمرهم ببناء مسجد يجتمعون فيه على صلاة الجماعة، وذكر الله، فبنوه تحت إشرافه. وكان القائم بعمارته المحب الموفق مسلّم بن عوض بن علي بن محمد بن هلابي الجعيدي، وساعده أصحابه على ذلك. وقد وقف مسلم المذكور، مالًا، أي ضياعًا كثيرًا على المسجد المذكور، وأعتق نحو العشرة من العبيد، ثم جعل ذلك المال تحت أيديهم، وشرط عليهم عمارة المسجد المذكور، ونزح الماء له من البئر، وغير ذلك. كما أن صاحب المناقب أتى إليهم بمعلم المسجد المذكور، لتعليم أولادهم»، انتهى كلام المترجِم.

قلتُ: وقد جرت العادة بأن يكون مقدم قبيلة الجعدة من آل هلابي، وهم الذين يقومون بخدمة مقام العطاس، في القضايا التي تحتاج إلى يد من حديد، حيث يصل نفعهم، وذلك للمحبة وللصلة السابقة بين جدهم عمر بن حمد، وسيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس. كما أوضح ذلك سيدنا الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس في كتابه «القرطاس».

فإذا تعذر على مناصب العطاس حل بعض القضايا بالطرق السلمية، يكتبون كتابًا للمقدم في ذلك الوقت، فيأتي إليهم حالًا مع جملة من أصحابه بكمال الفرح وحسن النية، ويمتثل أمرهم في حل تلك المشكلة، ثم يرجعون إلى بلدهم.

كما أن الحبايب آل العطاس يتعهدون هؤلاء القبائل تعهدًا خاصًا، ويعدونهم من خواص الخواص، حتى إن الحبايب آل عطاس لا يسمحون لغير هؤلاء القبائل يتقدمون البيرق، أي العلم العطّاسي، في المعارض الرسمية التي تلفت الأنظار، لما في ذلك من الشرف، كما في زيارة المشهد المشهورة في ربيع الأول من كل سنة، فإنه يجتمع فيها غالب قبائل حضرموت، ويكون فيها زهو عظيم.

ومن القواعد المرتبة في ذلك: أن الحبايب آل عطاس، يكتبون للجعدة كتابًا عامًا، في اليوم الأول من ربيع الأول، ويخبرونهم فيه باليوم الذي ثبت فيه الشهر عند القاضي، ليكونوا على معلوم بيوم الميعاد.



[دخلة المشهد والزوامل]

كما أن اجتماع الحبايب آل عطاس، ومن معهم، يكون في مكان قريب من المشهد، يسمى خَدُود عَبِيدة، بفتح الخاء والعين، في بكرة اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وهناك تتكون هيئة الركب العطاسي، المعروف بزوف آل عطاس، على ظهور الجمال والخيل، فتتقدمه أولًا قبيلة الجعدة، ثم قبيلة نهد، ثم بقية القبائل بإطلاق الرصاص، المعروف عندهم بالزامل، ويحضر الشعراء، فينشدون في ذلك الأشعار، المنعشة للأفكار. ومنها قول الحبيب علوي بن عبد الله العطاس، المتقدم ذكره في ترجمة أخيه الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس من (الباب السادس)، حيث يقول حينما استعرض الركب المذكور في بعض السنين:

حيّا بكم يا جِسْمنا والرّوحْ ... يا سَادة الدنيا والأُخْرَىٰ

يا فلْك شاحِن يا سفينةْ نُوحْ ... تجري بنَا في خير مجْرَىٰ

وقد تكون في هذه الأشعار معارضاتٌ، أو بيان لما يختلج في ضمير الشاعر، لكن مع حفظ الأدب.

[النوع الأول: المعارضات]

فمن الأول قول بعض القبائل المحبين للحبيب الإمام علي بن حسن العطاس، الذي عمر المشهد، وزينه بهذا النظام، حينما واجه قبة الحبيب علي:

منّـي صـباح الخيـر يـا عَـلْ بـن حسَـنْ

يـا الطّيـر الأخْضـر يـا الشـقر يـا الضّـيْمرانْ

يـا منصِـبْ المـشرقْ والازْيَـا كلهـا

يومَـكْ كمـا ياسِـينْ سُـلطَان القُـرانْ

فغار من ذلك الحبيب المحبوب، الولي المجذوب، علي بن أحمد الحامد، المعروف بالقريشي، ابن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، ساكن قرية القِزهْ القريبة من بلدة نُحولة، المقابلة لبلد الهجرين، وقال معارضًا لذلك:

منـي صـباح الخيـر يـا عَـلْ بِـن حسَـنْ

يـا الطيـر الاغْبـر لـي عمـد شَـنطُوب حَيْـدْ

نحـنَ وصـلنا والعَـوادي كلهـم

بانِـدْحَن الباطِـل بـدَحْنات العَضـيد

فضحك الناس من ذلك.

وقال له بعض الحاضرين: ما حملك على هذا؟ قال: لما قال هذا القبيلي «يا الطير الاخضر»، قلنا: ما هو إلى بعيد، أخونا بن سالم بن عبدالله. فقال: «يا الشقر يا

الضّيْمران». قلنا: لا بأس بذلك، على رؤوسنا، فما وسعه إلا أن يقول: «يا منصب المشرق والأزيا كلها * يومك كما ياسين سلطان القران»، إذا نحن نكون هُمَزة لمزة، يعني: سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾. فكان قوله هذا فاكهةَ تلك الزيارة.

وقول الشاعر «الازيا» يعني: الأنحاء. و«الشّقُر» بضم الشين والقاف، هو نوع من النبات، زكي الرائحة، يوضع زهرُه فوق شعر الرأس، أو على العمامة. ومثله «الضَّيْمران». وقول الحبيب علي القُرَيشي «والعوادي» جمع عادي، ويعني بذلك: حملة السلاح، أهل الكر والفر. و«العِضَيد» جمع عُضَيدة، وهي الكتيبة.

[النوع الثاني: بيان ما يختلج في ضمير الشاعر]

والثاني؛ كقول بن كليب، أحد قبائل نهد:

هـادون بـا يكـري وأنـا في الجرْدعِـةْ
مـا حاسـب انْ عَـاد المجـالس بـا تعُـودْ
وانَـا معـي قسـمين في أهـل الرّيْوسِـهْ
لا حنّـت الرّعْـدان بـا ارْزَح عـا الرّبُـودْ

يعني بذلك: الحبيب هادون بن هود العطاس، المتقدم ذكره في (الباب الرابع)، وكان في ذلك الوقت هو القائم في مقام المشهد.

وسبب ذلك: أنه طلب غرفةً بعينها من الحبيب هادون، ليسكنها مدة أيام الزيارة. فقال الحبيب هادون: إن هذه الغرفة يعتاد آل فلان ينزلون فيها، ولكن سوف نعطيك غيرها. فظن بن كليب أن الحبيب هادون سيكريها على الغير، ومعاذ الله من ذلك، إنها

لم تجر العادة بأن الحبيب علي ين حسن صاحب المشهد وكذا أولاده من بعده يكرُون شيئًا من دُور المقام، بل يسكِنُون فيها الزائرين، ويطعمونهم أجود الطعام. وقوله «الجرْدعةْ» يعني: الصحراء.

فشق ذلك على الحبيب هادون، وكان لا يقول الشعر، فقال: من أجاب ذلك عني، ضمنت له على الله سعادة الدارين! فقام بعض الموفقين، وقال على لسان الحبيب هادون:

قــال الــشريف اللــي يخيّــل مصْــرَعهْ

خَـــدّام في الـــدنيا مســـوِّس للّحُـــودْ

يــا بِــنْ كليــب الهــرج عــادُه ينثنــي

والوعــد لــك الــدائرَه حِــلّ الــورُودْ

يعني السنة المقبلة. فما عادت السنة على بن كليب، بل مات قبل ذلك!.

وعلى ذكر المتعرضين لتعكير صفو زيارة المشهد، حضرها مرة بعض القبائل، وكان اسمه الغُصُن، بضم الغين والصاد وبعدهما نون، فوقع بينه وبين بعض المساكين من الزائرين نزاعٌ على شراء بقرة، فتحتم ذلك القبيلي على المسكين أن يقتله في أيام الزيارة من غير مبالاة بأحد، فجاء إليه الحبيب عمر بن هادون، وكان في ذلك الوقت هو القائم في مقام المشهد، واسترضاه بشيء من المال، فلم يرضَ، فقال له: ومن أنت؟ فقال: أنا الغصُن. فزاده الحبيب عمر في المال ثانيًا، فلم يرضَ. فقال له: ومن أنت؟ قال: أنا الغصُن. فزاده الحبيب عمر في المال ثالثًا، فلم يرضَ. فقال له: ومن أنت؟ قال: أنا الغصُن. قال: افعل ما بدا لك، فإنا نسلّخها ركَن مع أغصانها بقدرة الله. وتركه الحبيب عمر مغاضبًا له، فهاج على الغصُن بعيره تلك الليلة، وقتله، وكفى الله الناس

شره، فنعوذ بالله من التعدي على حدود الله، والجراءة على أهل الله، الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.



رجعنا إلى تمام الكلام، على ما كان بين الحبايب آل عطاس وقبيلة الجعدة من الولاء والوئام.

وفي بعض السنين، صادف أن جاء وقت زيارة المشهد، والحبايب آل عطاس غير راضين على الجعْدة، بسبب تكاسلهم عن أداء بعض واجبهم في خدمة المقام، فلم يكتبوا لهم، بل طلبوا من قبلة نهد أن يقوموا بتلك الوظيفة، فوافقهم نهد على ذلك. فلما علم الجعدة بذلك، تحمسوا، وهجموا على الحبايب آل عطاس وقبيلة نهد، حال اجتماعهم بخدود عبيدة المذكور، قُبيل تحرك الركب بدقائق.

[المقدم محمد بن لسود بن هلابي]

وكان ذلك في وقت المقدم الغيور مِحِمِّد، بكسر الميمين، بن لَسْوَد، بفتح اللام والواو، بن هلابي. فقال: السلام عليكم يا حبايب، وقويتوا يا قبائل. وهي كلمة تنذر بالشر في اصطلاح قبائل حضرموت، لعدم إدخال قبيلة نهد في السلام.

وكان الحبيب أحمد بن حسن العطاس، المتقدم ذكره في (الباب السادس) حاضرًا، فانتهر المقدّم المذكور، وقال له: تعوذ من الشيطان، نحن طلبناهم، ما تعدوا على شيء من حقوقكم. فتقدم المقدم المذكور إلى مناصب آل عطاس، وطرح بين أيديهم خمسة بنادق عدالَة، أي: وثيقة، في كل تقصير وقع من الجعدة في مقام العطاس، وتم الكلام، وتحرك الركب بسلام.

قلتُ: ومن اصطلاحات قبائل الجعدة بوادي عمد، أنهم يحرفون بعض الأسماء، فيكسرون الحاء والميم الثانية من «مِحِمِّد»، مع إشمام الأولى الكسرة أيضًا. ويحذفون

الهمزة من «أحمد»، مع فتح الحاء. ويكسرون العين من «علي»، وربما حذفوا الياء في بعض المواضع. ويقولون في «نحن»: إنْ حِن، بكسر الهمزة وسكون النون، وكسر الحاء وسكون النون أيضًا. ويضمون العين من «عوَض». ويحذفون لفظة «بن» من بين الاسمين، أي الأول والثاني في بعض المواضع.

كما أن لفظة «قبيلي»، وجمعه قبائل، في اصطلاح أهل حضرموت، الجميع لا تنصرف إلا إلى حامل السلاح فقط، على أنه لا مشاحة في الاصطلاح.

[واقعة حال، تدل على بديهة قبيلة الجعدة]

ولقبائل الجعدة المذكورين، حكم بديهية عند وقائع الأحوال، تخفف وطأة الموقف على السامع. **سمعتُ** سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس المذكور يقول: جئنا في بعض الأيام، أنا والأخ زين بن محمد، يعني المتقدم ذكره في (الباب السادس)، ومعنا جملة من إخواننا آل عطاس، إلى سيلة آل هلابي، بوادي عمد، لتسديد حادثة وقعت بين آل هلابي المذكورين.

[المقدم عوض بن عمر بن هلابي]

وكان المقدم على الجعدة في ذلك الوقت، عوض بن عمر بن هلابي، وهو من أهل النيات الصالحة. وبينما نحن نتحدث معهم بشأن الإصلاح، إذا نحن بمكتوب من الأخ علي بن محمد الحبشي، يعني المتقدم ذكره في (الباب السادس)، من بعض الطريق، ومعه جماعة من السادة وغيرهم، أهل تريم وسيوون. يقول فيه: وصلنا حريضة لزيارتكم، فأخبرنا أهل حريضة إنكم بالسيلة، عند محبيكم وقبائلكم، وهانحن قادمون عليكم عشية هذا اليوم.

قال الحبيب أحمد: فقرأنا المكتوب على الحبايب والمقدم وأصحابه، ففرح الجميع،

إلا أنا تشوش خاطري، من ضيق الديار، وعدم النظام فيها. وقلت للمقدم وأصحابه: أنتم مالكم محلات واسعة، ولا نظام مثل الناس. وكأني احتديت عليهم في ذلك، من شدة ما حصل معي من أجل ذلك.

فأجابني المقدم المذكور بحدة، قائلاً: وبغيت إن حن، أي نحن، نمدُر، وقَد عِلي، بكسر العين، حبشي في المسيال؟ البيوت ملانه ذرة، والأوصار ملانة جلَب!.

أي: هل تريد منا أن نعمل المدَر الآن، ونبني دارًا واسعة في هذه الساعة، والحال أن الحبيب علي وجماعته قد بلغوا مجرى الماء تحت السيلة! وعلى كل حال، فإنا مستعدون بكل ما يلزم للضيافة، الحنطة عندنا بكثرة، والغنم كذلك. قال الحبيب أحمد: فأعجبني جوابه، وانشرح عند ذلك خاطري انشراحًا تامًّا، وتذكرت عند ذلك، أن الإنسان لا يكلف فوق طاقته.

قلتُ: وما زال سيدي الحبيب أحمد يستشهد بقول المقدم المذكور وهو يبتسم في كل قضية تشبه تلك حتى أنه يقلد المقدم المذكور في لهجته إلى أن أرسلها مثلاً.



[المقدم صالح بن سعيد بن هلابي]

وآخر مقدم عرفناه من آل هلابي المذكورين، صالح بن سعيد بن سالم بن هلابي الجعيدي، وليد سيلة آل هلابي ودفينها، وبعد وفاته جاء الاستعمار الإنقريزي، سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية، وبه ختمت قوانين القبولة.

ومن حِكَم رجال الجعدة البديهية، أيضًا، أنه في بعض السنين وصل إلى جاكرتا الرجل الشجاع في دينه، الثابت في عقيدته، محبنا في الله، وصاحبنا في الوطن والمهجر، الذي بات ليلة وفاته يكرر «يا ذا الجلال والإكرام أمتنا على دين الإسلام»، عوض بن علي الحوار بن هلابي الجعيدي، وليد سيلة آل هلابي بوادي عمْد، ودفين رنق آباد[1] بالهند، لزيارة إخوانه ومواطنيه المهاجرين بجاوة.

فاتفق أنه حضر وليمة زواج عند بعض العرب، في جمع حافل، وكان من العوائد الحسنة عند العرب في جاوة: أنهم يقرؤون قصة المولد النبوي، تبركًا بذكر نبيهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قبل عقد النكاح، ثم يعقدون. فصادف ذلك حضور رجل حضرمي من الصمّ البكم الذين لا يعقلون، يسمع الملاحدة الذين ينقصون دين الإسلام من أطرافه، يقولون: إن القيام لقصة المولد بقصد تعظيم سيد الكائنات بدعة وحرام، فلم يقم في تلك الساعة مع الناس. وكان قريبًا من عوض المذكور، فأشار عليه عوض: أن قُم معَ الناس تعظيمًا لنبيك، فلم يقم.

فما وسع عوض المذكور إلا أن أهوَى عليه بعصَاته يريد أن يهشم رأس المخالف، والناس في أثناء المولد. فأمسكه أحد الحاضرين، فلما انتهى المولد عاتبت عوض المذكور على فعله، وقلت له: لم لم تنصحه برفق! فقال: قد فعلت، فلم يقبل قولي، فما بقي له عندي سوى العصا، والقرآن الا سَطْر بحبر أسود، وسطر بحبر أحمر، وإنما قومه السيف، أليس كذلك!. فتعجب الحاضرون من جوابه المقنع على البديهة، وبهت الذي كفر، بتعظيم سيد البشر، انتهى.



(1) لعل المراد: أورنك آباد (مصحح).

[مسألة قراءة قصة المولد النبوي]

وإذا رجعنا إلى قول المستكبرين، عن تعظيم سيد المرسلين، نقول لهم: قد اتفق علماء المسلمين في كل زمان ومكان، على أن البدعة بقسميها، سواءً إن كانت حسنةً أو سيئةً، هو الأمر الذي لم يكن له أصل في الكتاب العزيز، ولا في السنة الغراء، بخلاف مولد زين الوجود، والرحمة المهداة لكل موجود، وتعظيمه، وإظهار شعاره، لاسيما في شهر ربيع الأول، فإنه مبنيٌ على أصل متين، ونص صريح من الكتاب العزيز، والسنة الغراء.

وإذا كان الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، بمعنى أن الإنسان لا يجوز له أن يحكم على شيء بالصحة ولا بالفساد، حتى يعرف حقيقة ذلك الشيء من جميع جهاته، وإلا كان مخطئًا في حكمه. فأول قصة المولد النبوي المحمدي: «الحمدلله القوي الغالب، الولي الطالب، الباعث المانح السالب، عالم الكائن والبائن والزائل والذاهب، يسبحه الآفل والمائل والطالع والغارب، ويوحده الناطق والصامت والجامد والذائب، يضرب بعَدْله الساكنُ ويسكن بفضله الضارب..»، إلى آخر الخطبة، وكلها توحيد لذات الباريُ عَزَّوَجَلَّ، وصفاته.

ووسط المولد: «وولد صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مختونًا بيد العناية، مكحولًا بكحل الهداية، فأشرق ببهائه الفضاء، وتلألأ الكون من نوره وأضاء..»، إلى آخره، وكله في بيان وجوده صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ونشأته الميمونة، والإرهاصات الدالة على نبوته.

وآخره: «وكان صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحسن الناس خلقًا وخلُقًا، وأهداهم للحق طرُقًا، كان خلقه القرآن، وشيمته الغفران..»، إلى آخره، في تعداد شمائله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ويتخلل هذا كله المدائحُ النبوية، وقد أنشدت بين يديه صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعلى منبره، ويتخلله أيضًا الإكثار من الصلاة والسلام على زين الوجود، وقد جاء بها القرآن الحكيم، بصيغة

الأمر، والأمر يقتضي الوجوب. وعُود البخُور يدور بين الحاضرين، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«حبّب إليّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»**.

ومع هذا كله يسود الحاضرين الوقار، وتظلهم السكينة، وليس فيهم امرأة، ولا بينهم شراب ولا طعام، إلا طعام وليمة العرس الواجبِ شرعًا حضورُها على كلّ من دُعيَ إليها. فما هو البدعة من هذا كله يا تُرى؟!.



وبناءً على ما ذكر، **نقول**: أما نص الكتاب العزيز على قصة مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعظيم شأنها، فهو ما حكاه الباري عَزَّوَجَلَّ، في سورة الصف، عن سيدنا عيسى ابن مريم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾.

وأما استحباب الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تارةً، ووجوبها أخرى، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾.

ومن السنة الغراء: ما ورد من أنه يخفّف العذاب على أبي لهب في كل يوم اثنين، لكونه أعتق مملوكته ثويبة، التي بشرته بوجود النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرحًا بذلك. وما ورد أيضًا: من أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم المدينة وجدَ اليهود فيها يصومونه سرورًا وشكرًا، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«نحن أحقُّ بمُوسَى منهم»**، وصامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: **«إن عشْتُ إلى قابلٍ لأصُومنَّ التاسعَ والعاشر»**[1]، فقد أقرَّ اليهود على تعظيم هذا اليوم، وعظمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه، ووعد بالزيادة على ذلك في المستقبل.

فينبني على هذه الآيات الكريمة، والحديث الشريف، أن قراءة قصة المولد النبوي،

(1) أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وتعظيم شأنها في كلّ زمان ومكان، والقيام فيها، من آكد السنين في الشريعة الإسلامية المحمدية، لكل من يعتقد بقلبه نبوته، ويؤمن برسالته، ويرجو شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول حجرةٍ وضعت في أساس الإسلام، فكيف لا يجب لها القيام على الأقدام؟ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

[المقدم علي بن سالم بن حمد الجعيدي]

عُدنا إلى الكلام، على بقية من أدركنا من رجال الجعدة الكرام.

فمن مشاهيرهم بجهة تبْرِعة، أسفل وادي عمد: المقدم علي بن سالم بن سليمان بن حمد الجعيدي، وليد قرن بن عدوان، ودفينه. كان كريماً مقداماً، ذا نية صالحة، ومحبة خالصة من الشوائب، لأهل البيت الطاهر، لاسيما ذرية سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وقد اشتهر بالنزاهة في فصل الخصومة، فكان الناس يتحاكمون إليه، ويتراضون على تحكيمه فيما شجر بينهم. وقد عرفته شخصياً.

[الشيخ عمر الخيل باجابر، وابنه أحمد]

وعلى ذكر النزاهة في الحكم، تذكرت صاحبنا الشيخ الكريم، الحشيم النزيه، عمر بن عبدالله بن أبي بكر باجابر، المعروف بالخيِّل، بتشديد الياء المكسورة مع فتح الخاء، أي الناظر على عمارة وادي عنْدَل. وليد عندل ودفينها، ومنصب الشيخ العارف بالله، علي بن أحمد باجابر، مقدم تربة عندل. وهو الحاكم المختار المفوض المؤيّد في شؤون الحرث، ومجاري المياه التي تسقي الحرث، يتحاكمون إليه في ذلك، ويطلبونه إلى بلد الحرث الذي وقع التنازع فيه، للنظر في ذلك، ويكون حكمه في ذلك هو القول الفصل، لصراحته في الكلام، ونزاهته في الحكم.

وقد خلفه على هذه الوظيفة: ابنه الشيخ أحمد بن عمر.

وإذا قلنا: إن الحياة في الدنيا هي التاريخ المجيد، لزمَنا القول بأن المظلوم من ظلمَ نفسه، ولم يكترث بقول الشاعر:

قـفْ دون رأيـكَ مـا حييْـتَ مجاهـدًا   إن الحيَـاة عقيـدةٌ وجهَـادُ

رجَعنا إلى سياق المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، حول ذكر كرامات صاحب المناقب، وما أجراه الله على يديه من الغرائب.



الحكاية الرابعة عشر

قال: «أخبرنا بعض المحبين آل بالحول، من سكان حَالة باصليب، بوادي عمد. قال: جاء الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، مرةً إلى دارنا بالحالة، ومعه جماعة من أصحابه، فاشتكى أحدهم وجعًا في بطنه، واشتدّ عليه ذلك. فقال لي الحبيب صالح: هل عندكم شيء من العسل؟ قلت له: كان معنا، ولكنه غلق. أي نفد. ولم يبق إلاّ إناءه فارغًا، قال: ائتني به. فجئتُه به، وأنا أنظر فيه، وليس فيه شيء من العسل، فأخذه مني، وجعل يحميه فوق النار بيده الكريمة، ثم صب عسلًا منه في إناء صغير، وأعطاه السيد المريض، ثم طلب إناءً أكبر منه، فجئته به، فملأه أيضًا، وشفى السيد في الحال»، انتهى.

قلتُ: وذلك بسرّ العسل، واليد التي هي البركة والوسل، وفي المثل: العق العسل ولا تسل.

[ذكر آل باصليب]

قال المترجم: «وكان صاحب المناقب يتعهد الحالة، والمعقل، أي: بلَدَي قبيلة آل باصليب، بالدعوة إلى الله، وتعليم الجاهلين. وكان أهلهما له من المحبين المطيعين، علاوة على ما كانت لهم من الروابط السابقة بسيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وأولاده من بعده.

وقد بلغنا: أن آل باصليب المذكورين، هم من ذرية الشيخ الجليل، الولي الكبير، علي بن سعيد باصليب، تلميذ سيدنا القطب عبدالرحمن السقاف باعلوي. وضريح الشيخ علي المذكور معروفٌ ببلدنا عمْد، مقصود بالزوار، وله كرامات شهيرة، ترجمه صاحب «الجوهر الشفاف»، وغيره. وله مناقب شهيرة. قال صاحب المناقب رضوان الله عليه: إن الشيخ الأنور، منصور البديري المدني، كان يقرأها في كل سنة بالمدينة المنورة» انتهى كلام المترجم.

[خبر المقدم عمر بن علي باصليب]

قلتُ: ولا يعزب عن بال القارئ ما تقدم في ترجمة الحبيب علي بن جعفر العطاس، من (الباب الرابع): أن المقدم عمر بن علي باصليب المشجري، لما علم بمهاجمة الوهابيين على حريضة، جاء إليها في ثلاثمائة رامي من قومه، عونًا للحبايب آل عطاس، ومن عندهم من قبيلة الجعدة. فشكره الحبيب علي بن جعفر المذكور على صنعه هذا، وأخبره أن الجيوش المرابطة بحريضة كافية للدفاع، وربما إذا بقي المقدم باصليب وأصحابه لا يكفي الزاد الموجود بحريضة، لكثرة الجيوش.

فرجع المقدم المذكور وأصحابه إلى بلدهم، وأمرهم أن يأتي كل واحد منهم بجراب من التمر، فاجتمعت ثلاثمائة جراب من التمر، وأرسلها حالًا على ظهور الجمال إلى حريضة، انتهى.

[ذكر الشيخ عمر بن عبدالقادر العمودي]

رجعنا إلى سياق المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «وأما الشيخ الكامل، عمر بن عبدالقادر العمودي، المدفون بحالة باصليب المذكورة، فهو شيخ جليل، وله بها وببلده قيدون وبوادي يبعث أولادٌ مباركون. وقد بلغنا: أنه حج بيت الله بمعية الحبيب العارف بالله صالح بن عبدالله الحامد، يعني صاحب عمد»، انتهى.

[ترجمته من «الشامل»]

قلتُ: قال الأخ العلامة علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد، في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت»، عند ذكر بلده قيدون:

«وكان آخر من ظهر فيها من آل عمودي بمظهر ديني صوفي علمي، هو الشيخ عمر بن عبدالقادر العمودي، تلميذ الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، ومن معه من تلاميذ الحبيب من العموديين، أهل قيدون. ورأيتُ في بعض مكاتباته للشيخ عبدالله بن عثمان العمودي، صاحب الدوفَة من وادي ليسر، ما لفظه: «وذكرتم أن معكم تحصيلاً في «التحفة» المباركة، داوموا عليه، وأصلحوا النية فيه، وفي جميع ما تتعاطونه من العلم والعمل، فإنه لا ينفع عند الله إلا الخالص»، إلى آخره. وفي أخرى: «وذكرتم أنكم أكملتم تحصيل «التحفة»، وتقصدون الوصول إلى قيدون للقراءة والمقابلة»، انتهى المراد من «تاريخ الحداد».



الحكاية الخامسة عشر

حكَى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «كان جدي عبدالله له عناية تامة بالشيخ أحمد بن عبدالكبير باقيس، ساكن زاهر باقيس، بوادي عمد. فجاء الشيخ أحمد المذكور في بعض الأيام إلى قرية سرَيْواه، وقصد عند بعض أهلها من قبيلة المراضيح،

وأخذ الشيخ أحمد من ذلك الإنسان شيئًا من الدراهم على سبيل الدّين، بطريقة الربا الممقوت. وكان الحبيب علي بن جعفر العطاس في ذلك الوقت بتلك القرية، جاء ليدعوهم إلى الله وينهاهم عن تلك المعاملة الفاسدة.

فلما علم بما كان من أمر الشيخ أحمد، عاتبه على ذلك، وقال له: يا شيخ أحمد، كيف تخرق ونحن نرقع؟ وكأنه احتد على الشيخ أحمد، ودعا عليه بعدم القدرة على وفاء ذلك الدين. فرجع الشيخ إلى بلده زَاهر، ولم يتيسر له وفاء ذلك الدين حتى مضت عليه مدة طويلة، بحيث إنه يستغرق جميع ما يملكه الشيخ أحمد من ديار ومال، أي ضياع. فجاء هو وابنه صالح بن أحمد، وشكى حاله على جدي عبدالله، يعني والد صاحب المناقب، واعتذر إليه من الجراءة على الله، ثم على الحبيب علي بن جعفر.

وكان إذ ذاك بعد وصول صاحب المناقب من الحرمين الشريفين بأيام قلائل. فأرسل جدي عبدالله والدي وصاحب المناقب، مع الشيخ أحمد المذكور، إلى سِرَيواه، ليساعدوه في ذلك، ففرح بهم المراضيح، وأكرموهم. ثم خاطبهم والدي في دَين الشيخ أحمد، وطلب منهم إحضار الخطوط، أي وثائق الدّين التي على الشيخ أحمد، فأحضروها، وابتدأوا يضاعفونها في الحساب، على عادتهم! وكان صاحب المناقب في جانب من ذلك المجلس، مشتغلاً بذكر الله، ووالدي يلاطفهم في التخفيف على الشيخ، فلم يزدهم ذلك إلا غلظةً وقساوةً.

فارتفع صوت والدي عليهم، وقال: لو علمنا أنكم ما باتخففون عن هذا الشيخ، ما جئنا به إليكم. فلما سمع صاحب المناقب ارتفاع الأصوات، قال: هاتوا الخطوط، فأعطوه ذلك، ظنًا منهم أنه سيوافق هواهم. بل قال بعضهم: إن الحبيب صالح يحسن الحساب أكثر من غيره؛ لأنه قريب عهد بالسفر. فلما دفعوا إليه الخطوط المذكورة،

حالًا مزقها كلها، ووضعها في إناء كان قريبًا منه، فيه ماء! فقاموا كلهم ناشرين سلاحهم من شدة الغيظ، فانتهرهم صاحب المناقب، وضرب كل واحد منهم بيده ضربةً أخرسته في محلهم، وذلّلهم الله له.

وقال للشيخ أحمد: ادفع إليهم رأس المال فقط، وكان الذي استصحبه الشيخ أحمد معه من الدراهم أقل من رأس المال، فقبلوا ذلك منه، ولم يطالبوه بالمتبقي، وتابوا من تلك المعاملة علي يد صاحب المناقب، وطلبوا منه دعوات صالحة، فدعا لهم، ودعاهم إلى الله، وألقى الله في قلوبهم محبته، وحسن الاعتقاد فيه.

حتى قال له بعضهم، بعد ما سكن غضبه، على سبيل المباسطة: لو تركتنا يا حبيب صالح نأخذ مال هذا الشيخ، لكان أولى، لأنه ربما يأخذه غيرنا من القبائل، يعني بمعاملة الربا. فقال صاحب المناقب: إنه ماله ومال أولاده. فكان الأمر كما قال.

قلتُ: وكان ذلك كله ببركة قطب الزمان، الذي يغضب ويرضى لرضا الرحمن، وهل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان.



الحكاية السادسة عشر

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدّم، قال: «وقع مرض الطاعون، والعياذ بالله، أي ألم البطن مع كثرة الإسهال والاستقاءة، في فاتحة شهر ربيع الأول، من بعض السنين. وكان صاحب المناقب رضوان الله عليه، كثير الاهتمام بزيارة المشهد العامة، التي تكون في هذا الشهر. فكتب إليه الحبيب عمر بن هادون العطاس، منصب المشهد في ذلك الوقت، يؤكد عليه في الحضور، ويخبره بأن كثيرًا من الناس علقوا حضورهم على حضوره، أي صاحب المناقب.

فأظهر عزمه صاحب المناقب، وجاء إليه أهل وادي دوعن، وفي مقدمتهم الشيخ الجليل محمد بن أحمد باحنشل، يعني المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، فسار معهم صاحب المناقب على بركة الله، وتبعه الجم الغفير، لاستئناسهم به، واعتقادهم فيه أنه مستجاب الدعاء، فلما وصلوا قرية زاهر باقيس، باتوا بها، وكثرت الأراجيف باستفحال ذلك الألم في جهات حضرموت، وموت الكثير من الناس به.

فبات صاحب المناقب يتهجد، ويتشفع إلى الله في حصول اللطف العام للمسلمين، خصوصًا زوار المشهد، فظهرت له الإشارة بقبول الشفاعة، فلما صلى بالناس الصبح، أخبرهم بذلك، ففرحوا، واستبشروا بالسلامة. لأنه كان من عادته أنه يتوقف في مثل هذه الأشياء، حتى يتضح له الحال بإذن رباني.

ثم سار بمن معه على بركة الله، فلما وصل حريضة وجد أهلها في غاية الحيرة، لأن الوظيفة وظيفتهم، والحال وما ذكر، ففرحوا بوصوله، وساروا جميعًا على عادتهم، فلما دخلوا المشهد، حصلت للناس الطمأنينة، كأن لم يكن هناك شيء، وفدى الله أولئك الزوار بموت بعض البهائم من ذلك الألم، وأمّا الآدميون فزاروا مطمئنين، ورجعوا إلى أهلهم سالمين غانمين، بشفاعة الصالحين، المقبولة عند رب العالمين، الأحياء والبرزخيين، والله ولي المتقين.

وكانت الزيارة المذكورة سنة ست وسبعين ومائتين وألف هجرية، وهي آخر زيارة حضرها صاحب المناقب، رضوان الله عليه».

[سبب مرض الطاعون بحضرموت سنة 1276هـ]

ثم قال المترجم: «وما سبب انتشار هذه الأمراض الخبيثة في الأرض، وكثرة القحط، وغلاء الأسعار، وظهور شوكة الكفار، وانتشار دولتهم في غالب الأقطار، إلاّ

انتهاك حرمات الله، والجراءة على تعدي حدود الله، والإعراض عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالصّلاة متروكة، وأيام رمضان مهتوكة، والزكاة ممنوعة، والأرحام مقطوعة، والربا فاشي، والغيبة والنميمة كأن لا شيء، وتبرج النساء لا ينكر، وسيرة السلف تطوى ولا تنشر.

والبلاد التي ملكها المسلمون اخترعوا لها أحكامًا طاغوتية سموها قانونًا، وتواطأ على تنفيذها الأمراء والكبراء في كل مكان وزمان، وقالوا: إنها الحق، وهي والله عين الباطل، ونسأل الله أن يرد الجميع إليه مردًا جميلًا، ولا يجعل الشيطان علينا في الحياة ولا بعد الممات سبيلًا، بمنه وكرمه».



الحكاية السابعة عشر

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال:

«**أخبرني** الأخ الصفوة، محمد بن صاحب المناقب، قال: اجتمع والدي والحبيب أبوبكر بن عبدالله العطاس، ومعهما جماعة من أصحابهما، برباط باكوبن، في وادي عمد. فعمل لهما بعض محبيهما ضيافة كبيرة، وطلب منهما أن يقرأ قصة المولد النبوي في بيته، تبركًا بذلك. فشرعوا في القراءة، فلما وصل القارئ عند ذكر زين الوجود، قاموا إجلالًا لذكرى ذلك المولود، وجعلوا يرحبون به بألحان تذيب الجلمود، وأصوات كأنها من مزامير آل داود.

فبينما هم في استحضار الذات المحمدية، واستنزال النفحات السرمدية، إذا هم بأحد المجاذيب قد دخل عليهم، ناشرًا خنجره، ويقول: أنا فلان بن فلان، وجرح أحد الحاضرين،

تخافه الحاضرون، فعند ذلك التبس والدي بحال غريب، وانعكس في لون مهيب، وثاور ذلك المجذوب، ومسكه بيديه، وهزه كأنه عصفور، حتى سقط خنجره، وأجلسه على الأرض، بعد أن سلب حاله وقوته، فطأطأ رأسه ذلك المجذوب، مطأطأة إذلال. واستمر الحاضرون في قراءة المولد، حتى أتموها بكمال السكينة والوقار. فقال الحبيب أبوبكر عند ذلك: لولا ابن عبدالله، يعني الوالد، يعلم الله كيف بايكون حالنا مع هذا المجذوب! وما زال الحبيب أبوبكر يردد هذه الجملة، كلما ذكر القصة»، انتهى سياق المترجم.



قلتُ: وكيف لا يكون كذلك، وقد قال الحبيب أبوبكر المذكور: إن للحبيب صالح حالًا يهوش الأحوال، كما تقدم ذلك في ترجمة الحبيب أبي بكر المذكور من (الباب الخامس).

وقوله «يهوش الأحوال» أي يسلبها، إذا لم يتأدب أربابها معه، لأنه صاحب الوقت.



[معنى قولهم «التبس الولي بحال»]

وأما معنى قولهم «التبس الولي بحال»: فهو ما يظهر عليه في ذلك الحين من تجلي الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، إما باسم من أسماء الجمال، التي تشعر بالفضل، كالرحيم، الباسط، النافع، إلى آخرها. أو من أسماء الجلال، التي تشعر بالعدل، كالقهّار، الجبار، المميت، إلى آخرها. لأن خلعة الولاية مظهر خاص من مظاهر قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يجعلها على من أحبه وتولاه.

ومن هذه الحيثية، يُظهر على يديه خرق العادة، الذي يعرف عند الناس بالكرامة، كما أن نظره بعين الرحمة واللطف على بعض الناس يصلحه ويوصله إلى الله تعالى، في أقرب وقت، وبالعكس من الولي: العائن، الذي يصيب الناس بحدة النظرة، المشوبة

بظمأ القلب، لأن الله قد تجلى عليه بالاسم الضار، ولذلك خلقه، كما خلق الموتَ لإهلاك الخلق، وسبحان من لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

ولا يعزب عن بال القارئ الموفق الفرق الواضح بين العارف بالله وبين عبد نفسه وهواه، وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله.



[العين حق]

والإصابة بالعين حق وأمر واقع، وقد يموت المصاب بالعين، أو يُشل في الحال، والغالب أنها لا تكون إلا في أناس مخصوصين. وقد ذكر الله ذلك في القرآن بقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، أي: لم تصب بالعين، ولم يغُرْ ماؤها، ولم تحيط الآفة بثمرها، ولم تصبح خاوية على عروشها. وفي الحديث الشريف، أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لو كان شيء سابق القدر لسبقته**»[1].

ومن القضايا الواقعة في الوقت الأخير بحضرموت: أنه في بعض الأيام قدّم إلى رجل وابنه صحفةً من خمير الذرة، مصبوغًا بمرق اللحم، فأخذا يأكلان معًا، فلما استمرا في الأكل، عرف الأب أنه لا يكفيهما، فتعجل وواصل اللقم، فعرف ذلك الولد، وتبعه. فقال الأب: مالي أرى القعود هَشَل؟ أي: أسرع في مشيه. فقال الولد: أكلفَه مشيُ الجمل!. فوقعا ميتين في تلك الساعة، والقصة مشهورة، ونسأل الله أن يجعلنا مظاهر الخير بمنه وكرمه.

وإذا أثبتت الإصابة بالعين، فما حكم العائن؟ قال في «حاشية القليوبي على المحلي»، في كفارة القتل ما نصّه: «فرعٌ: لا كفارة على عائن يقتل بعينه، كما لا قود ولا ديةَ

(1) رواه مسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

عليه، لأن القتل عندها لا بها، لأنه ينفصل عنها جواهر لطيفة غير مرئية، تتخلل المسامّ. ويندب للحاكم حبسُه، ولو أبدًا. وله تقويرُ عينه. ويندب للعائن أن يدعو للمعين، فيقول: اللهم بارك فيه ولا تضره، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، حصنتك بالحي القيوم الذي لا يموت أبدًا، ودفعت عنك السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لوروده في الأخبار»، انتهى المراد من «القليوبي».



[آل بارحيم سكان زاهر]

ثم قال المترجِم: «وممن اتصل بصاحب المناقب رضوان الله عليه، من أهل هذه البلد، بصفة ممتازة: سالم بن سعيد بارحيم، وأخوه أحمد. حتى أنه كان ينزل في بيتهما. وقد نسخ له سالم المذكور كتاب «النصائح الدينية» للحبيب عبدالله الحداد، وأهداها له، ففرح بها صاحب المناقب، لأنّ خطه جميل».



وعسى أن لا يعزب عن بال القارئ، ما أسلفناه في ترجمة الشيخ عبدالرحمن بن عمر بن أحمد العمودي، صاحب الشعبة من (الباب السادس): أنه هو الذي عمر مسجد الجامع الموجود الآن بهذه البلدة، كما أن البئر التي يستقون منها أهل هذه البلدة حوطها الحبيب علي بن حسن العطاس، صاحب المشهد، وقد تبرع أهل هذه البلدة بشيء من الطعام أي الذرة، التي يتحصلون عليها من كل موسم، يدفعون ذلك مساعدة منهم لمقام المشهد، لما لهم في الحبيب علي بن حسن من العقيدة والمشهد.

الحكاية الثامنة عشر

حكى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «كان صاحب المناقب رضوان الله عليه، يتعهد بلد الخميلة، في وادي عمد، بنشر الدعوة إلى الله، وإصلاح ذات البين، فلما عزم أهلها المشايخ آل بايزيد، على إصلاح الغيل، أي عين الماء المعروف عندهم، في شرقي البلد الجنوبي، طلبوا صاحب المناقب رضوان الله عليه أن يأتي إليهم ليأخذوا رأيه في ذلك، ويتبركوا بإشارته، فأجابهم إلى ذلك.

ومكث عندهم مدة يدعوهم إلى الله، وينشطهم على تلك العمارة، فلما أرادوا تحويل العَتْم، أي مجرى الماء، إلى مسافة أقرب من الأولى، تعذر ذلك عليهم، لاعتراض بعض الصخرات، فأخبروا بذلك صاحب المناقب، فخرج معهم إلى ذلك المكان، وقال لهم: أين تريدون أن يكون العتم؟ فأشاروا إلى ذلك المكان.

فقال صاحب المناقب: بسم الله. وضربه بعصاه، فاسترخى، وسهلت خدمته كما أرادوا، حتى أن أثر العصا باقي إلى الآن في تلك الصخرة، كأنما وقعت في نورة، أي جسّ، رطبة. فتمموا ما أرادوه من العمارة، وحصلت لهم البشارة بهذه الإشارة»، انتهى. **قلتُ**: أي من خليفة أهل الدرك والغارة.



وإذا عرفتَ أن صاحب المناقب رضوان الله عليه هو خليفة من خلائف جده الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، في دعوة الخلق إلى رب الناس، فإليك ما قاله الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس، في شأن صَميله، المسمى رعيدان، كما هو مشروح في كتابه «القرطاس»:

يـا رعَيْدان يـا مـا ابْـرك مسيركْ علىٰ النـاسْ

يــوم شــافوك زَال الهــمّ والغــم والبــاسْ

فيـك شـيء مـن عصَـا موسـىٰ وذي النّـون

أو هـرَاوةْ محمـد ذي جلَـتْ كـل حنـداسْ



الحكاية التاسعة عشر

حكى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «حدثني الشيخ العلامة عمر بن محمد باعثمان، ساكن بلد هدون في دوعن الأيمن. قال: كان الحبيب صالح بن عبدالله، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، يتعهد بلدنا هدون بالدعوة إلى الله، كغيرها من البلاد، فدعوتُه في بعض الأيام هو ومن معه إلى بيتنا للضيافة، اغتنامًا لبركته، فأجابني إلى ذلك. وكان عندنا أعز واصلٍ، وأكرم نازل.

وكنت قد وظفْتُ أناسًا آخرين من أهلي وأصحابي، في أمر الضيافة، لئلا يشغلني ذلك عن مراقبة الحبيب صالح، وسماع حديثه. فلما استمر بنا الحديث، دخل البلد أناسٌ معهم غنم، يبيعون الواحدة بريال، ووقفوا قريبًا من بيتنا، وكان لي ولد صغير له إدلال عليّ، فجاء إليّ، وطلب مني ريالًا ليشتري له شاة من تلك الغنم، وكان صندوقي الذي أضع الدراهم فيه في غرفة بأعلى بيتنا، فجعلت أماطلُ ولدي، حرصًا على سماع حديث الحبيب صالح.

وكأنه شعر بما كان بيني وبين ولدي، فأدخل يده في جيبه، وأخرج منه ريالًا جديدًا، كأنما تناوله من يد الصانع، وأعطاه ولدي. فعرفت أنه أتاه من طريق الغيب، لأنه كان من عادته أنه لا يحمل شيئًا من الدراهم في جيبه. فقمتُ، وجئت بريال آخر

من عندي، وأعطيته ولدي، وأخذت منه الريال الذي جاء من طريق الغيب، ووضعته في صندوقي، فلم تكد تنفذ منه الدراهم، ببركة الحبيب صالح».

ثم قال المترجم: «وكان صاحب المناقب لا يحمل الدراهم في جيبه، لما تقدم عنه في (الباب الثاني)، أنه يقول: إني أحس بالريال في جيبي مثل الحيّة، فكان غالب الناس الذين قد عرفوا حاله، إذا أرادوا التبرك بمساعدته، يعطون ذلك أحدًا من أولاده أو خادمه، وإن باشر هو شيئًا من ذلك بنفسه حالًا يعطيه من حضر عنده من المستحقين، لأنه أبو الفقراء والمساكين، والله يتولى الصالحين».



الحكاية العشرون

حكى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «كان المقدم حمد بن مبارك باخشوين، واليًا على بلد هدون المذكورة، وكان حسن الاعتقاد في صاحب المناقب، رضوان الله عليه، ويقبل شفاعته في إصلاح ذات البين، والرفق بالضعفاء والمساكين. وكان المقدم المذكور، ضخم الجسم، لا يقدر في مشيه على العدو، وله أعداء كثيرون. فجاء صاحب المناقب في بعض الأيام إلى بلد هدون، وأضافه المقدم المذكور إلى بيته، فلما دخل صاحب المناقب بيت المقدم، حمله المقدم على ظهره إلى أعلى الدار، على نية صالحة له في ذلك. فلما جلس صاحب المناقب ومن معه، قال المقدم: شلني في وجهك يا حبيب صالح من القتل، كما شليتك. أي: تعهد لي بالذمة من القتل! وإنما قال ذلك خوفًا من شماتة الأعداء، وتشفيهم فيه. فقال له صاحب المناقب: لا بأس عليك منهم بإذن الله.

فخرج المقدم المذكور في بعض الأيام لحاجة له، ومرّ تحت بلد حلبون، في الساقية، أي مجرى الماء، وكان البعض من خصومه قد علموا بمسيره، فكمنوا له فوق

الساقية المذكورة، وحين مر تحتهم، عشّروا فيه، أي: أطلقوا عليه الرصاص. وكانوا جماعة، وكلّهم يجيدون الرماية، فأخطأوه بأجمعهم، فالتفت إليهم، وقال: قدنا في وجه صاحب الوقت، يعني صاحب المناقب، منكم ومن غيركم!. ومضى لشأنه، وتركهم مرتبكين خائبين.

قلتُ: وذلك ببركة تعلقه بهذا الولي الرباني، وخليفة من أنزلت عليه المثاني، وفي الحديث الشريف: «**أجَرْنا من أجرْتِ يا أم هاني**»[1].



الحكاية الحادية والعشرون

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، عن الحبيب زين بن أحمد خرد باعلوي، المتقدم ذكره في (الباب السادس)، قال: «جئت إلى بلد عمد، في بعض زيارتي للحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، وكنت أنام في القبلية، أي غرفة الضيافة، فأيقظني الحبيب صالح ذات ليلة، قريبًا من ثلث الليل الأخير، وخرجت معه إلى مسجد فرَج، المجاور لبيتهم، وصلينا ما شاء الله من صلاة الليل، ثم دخل بنا إلى بيت صغير المنظر، قريب من المسجد المذكور، فلما دخلنا إذا هو واسع، وفيه مجلس كبير منظم، كأنه في الحرمين الشريفين.

وهناك امرأة جالسة وراء الستار، فقدمت لنا قهوة مكاوية الطبخ والآنية! فقال لي الحبيب صالح: هل تريد عنباً؟ قلت: نعم، فإذا نحن بطبق من العنب، قد وضعَ بيني وبينه، فأكلنا من ذلك العنب، وشربنا من تلك القهوة، ثم ظهرت علينا تلك المرأة،

---

(1) تقدم تخريجه.

فأوجسْتُ شيئًا في نفسي من النظر إليها. فقال لي الحبيب صالح: إنها لا تنقض عليّ ولا عليك، يعني أنها محرم لهما.

فوقع في خاطري أن آخذ شيئًا من العنب خفيةً، فكاشفني الحبيب صالح بذلك الخاطر، ومنعني من ذلك، لشدة حرصه على الخمول. ثم قال لي: إذا أردت قهوة وأنت في المسجد، فادخل إلى هذا البيت. وعند ذلك أذن الفجر، وعدنا إلى المسجد، فصلينا الصبح جماعة، ثم خرجت وحدي أتفقد البيت المذكور، فلم أجد له أثرًا. فعرفت عند ذلك أنها كرامة من الله للحبيب صالح»، انتهى.

قلتُ: ومن هي هذه المرأة، إذا لم تكن أم المؤمنين خديجة الكبرى! المبشرة من رب العالمين، على لسان جبريل الأمين. وما معنى البشارة من أكرم الأكرمين! إذا لم توجد لها مظاهر كهذه، تطمئن بها قلوب المصدقين، وتمتعك عند سماعها وجوه الجاحدين، ويقول المنصِفُ ذو الرأي السديد: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾، وما ربك بظلام للعبيد.



ثم ليقف القارئ، ولو لحظةً، عند هذا الباب، ويتذكر ما قاله الذي عنده علم من الكتاب، بتعليم ربّ الأرباب، حيث أتى بعرش بلقيس وما فيه من الجنان، قبل ارتداد الطرف إلى نبي الله سليمان! وهنا يتفكر طويلًا، هل بقيَ نفوذ ربنا في هذا الكون كما كان؟ أم قد نقص وبدّل في هذه الأزمان! فبأي آلاء ربكما تكذبان.

الحكاية الثانية والعشرون

[قصة الجاسوس الأوربي]

هي ما شاعَ وذاع، وملأ الأوراق والأسماع، وخلاصة ذلك ما رواه المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «إن أحد النصارى، الموظفين في الدّوائر السياسية بمصر، سافر إلى حضرموت للسياحة فيها، وأظهر الإسلام في أثناء سفره، وتزيَّى بزيّ طلبة العلم، وكان عنده شيء من علم الطب، يداوي الناس مجانًا.

فكان خروجه عن دوعن الأيمن، وأقام بالخريبة نحو أربعة أشهر، لازم فيها مجالس الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان، المتقدم ذكره، وظهر بمظهر العبادة والنسك، ومحبة الصالحين، وجعل يواسي من عرفه من المحتاجين، حتى ظنّ بعض القاصرين أنه ولي! وكان ذلك النصراني يترقب المجامع الشهيرة، ويحرص على حضورها أشد الحرص.

فلما جاء وقت زيارة قيدون المشهورة، في شهر رجب من كلّ سنة، طلب من الشيخ عبدالله باسودان أن يرسل أحدًا معه، لأجل حضور تلك الزيارة، ولأجل أن يعرفه بالناس أيضًا. فأرسل معه الشيخ عبدالله ابنه الشيخ محمد، المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، وصادف مسيرهما إلى قيدون، مسير الحبيب عبدالله بن هادون بن هود العطاس، المتقدم ذكره في (الباب السادس)، وكان في ذلك الوقت زائرًا بالخريبة، فلما وصلوا بلدة صيف، وجدوا بها صاحب المناقب رضوان الله عليه، فقصدوا البيت الذي هو نازل فيه، وحين دخلوا عليه وعنده جماعة، تغير لونه، وجعل يحرك أنفه. ويقول: ريحُ كُفْر، أي: بضم الكاف، وكررها مرتين أو ثلاثًا!

فأخبروه بخبر الرجل، وأنه طالب علم، وطبيب، وقصده الزيارة. فقال لهم صاحب المناقب: إنه كافر محض، بلا شك ولا ريب فيه، فوقعت لذلك ضجة عظيمة،

واختلف الناس في شأن الرجل، وكأن صاحب المناقب خاف عليه من بوادر البطش، فأمر الشيخ محمد باسودان المذكور، أن يحكم في شأنه بحكم الله ورسوله. فحكم الشيخ محمد: بأنّ الرجل مسلم في الظاهر، لا يقتل ولا ينهب ماله. فقبل الحكمَ صاحب المناقب، إلا في الكتب التي معه، فإنه أمر بأن تفتش، فوجدوها جلودًا بيضًا غليظة، ووجدوا كثيرًا من أسماء البلدان، والمساحات، وأعيان الناس، خصوصًا أهل الشوكة، مكتوبًا فيها. ووجدوا صور بعض الناس معه.

فعند ذلك أمر صاحب المناقب بمنعه من حضور مجامع المسلمين، وانتهى الحال بتسفيره إلى بندر المكلا، مع بعض من ثقات القبائل، ليرجع إلى مأمنه. وأمر صاحب المناقب بتزويده بما يلزم من الأطعمة والنقود، وقال لمن عنده: ليعلم الرجل أنما حرصنا على الدين لا على المال.

وكانت إمارة صيف في ذلك الوقت، عند الشيخ بدر بن سعيد العمودي وإخوانه، فقاموا بذلك الأمر أتم القيام، وحين بلغ ذلك الرجل إلى مصر، عاد إلى وظيفته، وعكف على نصرانيته! واجتمع هناك بالشيخ أحمد بن عبدالله باراس الحريبي، أيام إقامته بمصر للتجارة، فحدثه عن بلده الحريبة، وحال أهلها، كأنه ولد فيها. وأخبره أيضًا ببعض ما جرى له، فكتب الشيخ أحمد إلى أهل بلده يخبرهم بحقيقة الرجل، وما هو عليه، ويحقق لهم مكاشفة صاحب المناقب عن حال هذا الرجل، فزال بذلك الشك عن الذين كانوا يترددون، وأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا، وعلى ربهم يتوكلون»، انتهى.

* * *

قلتُ: ولهذه الواقعة مقدّمةٌ أولية، وإشارة معنوية، تقدمت في (الباب الرابع)، في ترجمة الحبيب سقاف بن أبي بكر منصب سيدنا الحسين بن أبي بكر، برواية مترجمنا قيدوم

الفتح والنصر. قال صاحب المناقب رضوان الله عليه: «رأيت ليلةً، وأنا ببلدي عمد، حين خرج بعض طوافين النصارى إلى حضرموت، كأني مواجه لضريح سيدنا الحبيب العدني أبي بكر بن عبدالله العيدروس بعدن، وكان ذلك النصراني قريب مني، وكأن الحبيب أبابكر أخرج يده الكريمة من ضريحه، وفيها سبحة. فأراد ذلك النصراني أخذها من يد الحبيب أبي بكر، فسبقته أنا إلى يد الحبيب، وأخذت تلك السبحة منها»، انتهى.

قلتُ: فيالها من قصة عجيبة، وكرامة في بابها غريبة، وحجة دامغة لكل ريبة، وبها يتحقق الموافق، أن صاحب المناقب في ذلك الوقت، هو شيخ مشايخ الإسلام، وقطب الوجود المتدرّك بحفظ الأمن العام، فسلّمْ تسلم والسّلام.



الحكاية الثالثة والعشرون

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «حدثني شيخ الإسلام، ببلد الحرام، السيد أحمد بن زيني دحلان المكي، قال: دهمني أمر مدهش في بعض الأيام، فكربت لذلك كربًا شديدًا، وكنت أسمع من الثقات: أن الحبيب صالح بن عبدالله العطاس، ساكن بلد عمْد، هو القطب الغوث في ذلك الوقت، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه. فاستغثتُ به وهو ببلده عمد، ودعوته بثلاثة أصوات، وأنا بالمسجد الحرام المكي، فما أتممت آخر صوت إلا وهو حاضر عندي، راكبًا على جواد أخضر اللون، ومعه أربعون جنديًا مسلحين، فحين رأيته عيانًا زال عني ذلك الكرب، وانشرح خاطري بعد ذلك انشراحًا تامًا ببركته، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، انتهى.

وكذلك ما تقدم في ترجمة الحبيب طاهر بن عمر الحداد من (الباب السادس)، حيث يقول: إني إذا رأيت بعض الاستعدادات نقصتْ عليَّ، دخلت هذه الخزانة،

وفتحت النافذة التي تقابل بلد عمْد، ودعوت الحبيب صالح منها بصوتٍ رافع، ما أشعر إلا وقد امتلأت من كل ما نحتاج إليه للضّيفان، انتهى.

قلتُ: ولا أظنك أيها القارئ قد نسيت ما تقدم في (الباب الثاني)، عن ناطق تلك الأعصار، الحبيب أحمد المحضار، حيث يقول في استغاثته بأم الزهراء البتول، وقد جعل صاحب المناقب نائبًا عنها في ذلك المقول:

يا أم مكة عسَى فكّه فذا حالْ مشكِلْ
فادْعُها وادْعُ ابناها وصيّحْ وضوِّلْ
وادْعُ صالح بوادي عمد يقبل يخيِّلْ
داعي الله صوتُه بالجلالة يجلجِلْ



الحكاية الرابعة والعشرون

روى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا والدي، قال: سافرت مرة مع أخي صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، إلى بندر الشحر، لنشر الدعوة إلى الله، كما هي عادته في تنقلاته. فأخبره بعض محبيه من أهل البندر المذكور، بأنه قد ظهر رجل يتعاطى شيئًا من الأسحار، فصار الناس يعظمونه مخافة شره، حتى آل بريك اليافعيون، وهم بيت الإمارة في ذلك الوقت. وصاروا يقدمونه في المظاهر الرسميات، حتى على مناصب السادة، وغيرهم من أهل الفضل.

وكان من عادة أخي صالح أنه يصلي صلاة الصبح في مسجد الحداد، المجاور لدار الحبيب سالم بن محمد العطاس، منصب الحبيب سالم بن عمر، بالشحر، التي ينزل فيها.

نخرجنا ذات يوم لصلاة الصبح كعادتنا، وتقدم أخي صالح، وأحرم بالناس إمامًا، وتخلفت أنا أتوضأ من البركة، فإذا بالرجل المذكور قد أقبل يعدو من جهة المقبرة، بغير اختياره، ودخل المسجد، ووقف في الصف الأخير، فجئت أنا ووقفت إلى جنبه، فلما هوينا للسّجود، أحسست بثقل في بدني لم أعهده، حتى أني وقعت على ظهر ذلك الرجل حال السجود، ثم جذبت نفسي منه على بصيرة.

وحين سلم أخي صالح من الصلاة، ورد عليه حالٌ، كما هي عادته عند النوائب والمهمات، نخرج الناس الذين في المسجد بأجمعهم في آنٍ واحد، إلّا ذلك الرجل لم يقدر على الخروج، كأنه مقيد، وتقفلت أبواب المسجد، وقام أخي صالح إلى ذلك الرجل، وطرده، وهو يعدو قبله في المسجد، حتى أمسكه، وسلب عنه سحره الذي كان يعمله لإرهاب الناس وتسخيرهم له، نخرج الرجل من المسجد وهو مسلوب من ذلك الحين، وبقي في الشحر مدة طويلة ممقوتًا بين الناس، مهانًا عند سائر الأجناس»، انتهى.

قلتُ: وهكذا تكون عاقبة العصاة الذين يجرؤون على هتك محارم الله، ومناوأة أهل بيت رسول الله، ولعذاب الآخرة أشق وأخزى، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾.



الحكاية الخامسة والعشرون

روى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرني صاحب المناقب رضوان الله عليه، قال: خرجت في بعض أسفاري من مكة إلى جدة، قاصدًا الرجوع إلى بلدي، وسألت عن السفن البحرية إلى تسافر إلى المكلا، فقيل لي: إنها ساعية حق آل باناعمة، متوجهة إلى المكلا، نخاطبتهم في ذلك، ففرحوا واستبشروا. وقالوا: رخصة للسادة كلهم يركبون فيها من غير نول، وأكلهم عندنا، ما داموا في الساعية.

لأنهم محبون لأهل البيت، وأصلهم من دوعن، ثم استوطنوا الحرمين، فسافرنا من جدة على بركة الله، فلما وصلنا مكانًا معروفًا في البحر، عند أهل السفن، يسمونه رأس الكلب. وجدنا هناك عدة سواعي قبلَنا، كلها واقفة لعدم الريح، فوقفنا في ذلك المكان أيامًا، حتى نفد علينا الحطب، وكاد ماء الشراب ينفد أيضًا.

فقام ركاب السفينة كلهم على السادة، يستحثونهم على التوسّل إلى الله بتعجيل الفرج من هذه الشدة، فشرعنا في قراءة راتب سيدنا الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس. وكان جالسًا إلى جنبي في تلك الساعة الولد المنور أحمد بن طالب بن عبدالرحمن العطاس، يعني المتقدم ذكره في (الباب السادس)، فدرج العرق في جبينه، وأُغميَ عليه في الحال، ولم نشعر إلا بريح مقصورة، أي غير منتشرة، تسير في الهواء، حتى دخلت في شراع الساعية التي نحن فيها، فمشت بنا على بركة الله، حتى وصلنا مرسى بروم. وانتبه الولد أحمد بن طالب المذكور من غيبته، فسألناه عمّا جرى له؟ فقال: إني رأيت في تلك الساعة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، ومعه جيش كبير، والحبيب عمر أطولهم، وهم واقفون على سِيْف البحر، فأمر الحبيب عمر الشيخ علي بن عبدالله باراس، وقال له: اخطم الساعية يا علي بالجماعة، وميعادنا بروم، عند الشيخ مزاحم.

وكان الشيخ علي المذكور راكبًا على فرس خضراء اللون، وإني لم أزل أنظر إلى حوافر فرس الشيخ علي، وهي تتنقل في البحر على ظهر الماء، وهو يخطم الساعية بنا، حتى انتبهت الآن»، انتهى.

قلتُ: فيا لها من كرامة، نافت على جبال نجد وتهامة، حتى برهنت على حقيقة الاستقامة، في صاحب المناقب والزعامة. وهل البحر إلاّ مخلوق من خلق الله، مسخر بأمر الله، مذلّل لمن أحبه الله واصطفاه. وهذا كتاب الله يحدثنا بأن سيدنا موسى فلقَه نصفين بعصاه، لإغراق العصاة، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله.

ثم قال المترجم: «وأظن أنهم نزلوا في بروم، وهو قريب من المكلا. وكان بندرًا مشهورًا قبل عمارة المكلا، وزاروا هناك الشيخ مزاحم باجابر المشهور، المقبور ببروم. وهو شيخ عظيم الحال، له كرامات مشهورة، وأحوال مأثورة. وما زال أولاده بعده بذلك المكان، يكرمون الضيفان، ويقتفون أثره بحسب الإمكان».



الحكاية السادسة والعشرون

حكى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «جاء مرة صاحب المناقب رضوان الله عليه، إلى القويرة، بريدة الديّن، بفتح الدال المشددة، لدعوة أهلها إلى الله تعالى، فأخبره بعض الناس: أنه قد صدر حكم من حجرة، على آل باعُشَيم، بضم العين، بأن يقتلوا واحدًا من إخوانهم الأبرياء بأيديهم، لإرضاء خصومهم آل باراضي، من قبيلة آل باخريبة، وقد قبلوا الحكم المذكور. فجاء صاحب المناقب إلى آل باراضي، المحكوم لهم، وطلب منهم أن يتنازلوا عن هذا الحكم الشنيع، وخوّفهم بما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث، وقال لهم: سنبدل هذا الحكم بدفع الدية إليكم مضاعفة، وتخريب طبقة من حصن آل باعشيم اضطهادًا لهم.

فتصلب آل باراضي على تنفيذ الحكم، وأغلظوا على صاحب المناقب في الجواب، حتى قال بعضهم: إنا لن نتنازل عن تنفيذ هذا الحكم، ولو حتى باتنبح الكلاب في القويرة. فغضب عليهم صاحب المناقب غضبًا شديدًا، وقال: ستنبح فيها الكلاب قريبًا بقدرة الله. ثم خرج مغاضبًا لهم، وجاء إلى آل باعشيم المحكوم عليهم، ونهاهم عن قتل نفس من غير حق، وحذرهم وأنذرهم، فأظهروا له قبول ذلك.

ثم جاءت امرأة منهم إلى صاحب المناقب، بابنٍ لها في سن التمييز، اسمه عوض، وأسرت إلى صاحب المناقب، بأنها تخوف عليه من أن يكون ضحية ذلك الحكم، وليس معها غيره. فسح صاحب المناقب على رأسه، وأخبرها بأنهم قد وعدوه بعدم تنفيذ ذلك الحكم.

وتوجه صاحب المناقب وأصحابه إلى وادي حجر بن دغار، وكان والدي بمعيته، فلما وصلوا بلد الحوطة، بلغهم الخبر: بأن المقدم باعشيم، وكان رجلًا جبارًا غليظًا، خرج يومًا إلى الحرث، ومعه ابن ابنه، فأغواه الشيطان، فذبح ذلك الصبي، كما تذبح الشاة. وهو الذي مسح على رأسه صاحب المناقب. قال والدي: فلم ينم أخي صالح تلك الليلة، من شدة الغضب.

ثم بلغنا أيضًا: أن حصن المقدم المذكور، احترق في تلك الليلة بجميع ما فيه، وبعد أيام أصيب المقدم المذكور بمرض شديد، غريب، بلغ به نهاية الزمانة، حتى ظهرت منه معاليق قلبه، ورآها بعينه، نكالًا لجرأته على الله، واستخفافه بأهل الله. وأجدبت القويرة المذكورة، وتفرق أهلها شذر مذر، وصارت مأوى للكلاب.

وعند ذلك اتعظ أولاد المقدم وأصحابه. فخرجوا إلى عمد لزيارة صاحب المناقب، وطلب العفو منه، فقبلهم، وأمرهم بالتوبة. وكانت معهم أمّ الولد المقتول ظلمًا، فدعا لها صاحب المناقب، فرزقها الله ولدًا على صورة المقتول، فسموه باسمه، وأكرم الله الجميع بالسيل في أرضهم، وتراجعت أحوالهم، فحسنت نية أهل الرّيدة في صاحب المناقب، وجعلوا يتردّدون لزيارته، فخاف عليهم أن يتركوا معتقدهم السابق، وهو الشيخ سعيد بن عيسى العمودي. فأمرهم بالثبات على ذلك، وعرّفهم أن حال السادة آل باعلوي والشيخ سعيد واحد.

وأما أهل القويرة المذكورة، فإنهم لما أرادوا الرجوع إليها، والسكنى بها، وذلك بعد وفاة صاحب المناقب، استشاروا في ذلك الحبيب طاهر بن عمر الحداد، يعني

المتقدم ذكره في (الباب السادس)، فأشار عليهم أن يتجنبوا البيوت الخراب. وقال لهم: إن دعوة الحبيب صالح قد حلت بهذا المكان. وعين لهم محلًا آخر، فامتثلوا أمره، وعادت المياه إلى مجاريها، بعد أن أعطوا القوس باريها»، انتهى.

قلتُ: وفي المثل الحضرمي: «من لا جاء سِحِب» أي بكسر السين والحاء «جاء مندوف!». وأصله: أن بياعة القطن، يجعلونه قطعًا كبارًا مكبوسة، ويسمون الواحدة سِحِبًا، فإذا اشتراه الناس منهم، وأرادوا إدخاله إلى منازلهم، تعسر ذلك عليهم، لضيق الأبواب، فيأتون له بالندّاف، فيندفونه بالآلة المعدة لذلك، فيجعله كالهباء، فيدخلونه كيف شاءوا، وحيث أرادوا.

وبهذه المناسبة أقول: **اللهم** ردنا إليك مردًا جميلًا، وأزيد على ذلك ثانيًا وثالثًا: اللهم ردنا إليك مردًا جميلًا، اللهم ردنا إليك مردًا جميلًا، ولا تجعل للشيطان علينا في الحياة ولا بعد الممات سبيلًا.



رجعنا إلى مصدر الحكم، ومنبع الظلم. فقول المترجم: «حجرة»: هي بكسر الحاء وسكون الجيم وفتح الراء وبعدها هاء، وهو اسم للمحكمة العليا، الفاصلة في قوانين القبْولة، أي حملة السلاح. ولا تكون إلا في أناس مخصوصين لها، مشهورين بها، يتوارثونها أبًا عن جد. وقوله: «ولو حتى باتنبح الكلاب فيها»: هي كلمة يعبرون بها عن الذل، وخراب المنزل، ويريدون من ذلك الإصرار على ما قالوه، مهما بلغ بهم الحال، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣﴾.

الحكاية السابعة والعشرون

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا سَعَيد، بفتح السين والعين مع سكون الياء، بن عمر باعمر الديّني، ساكن الأبيضين. قال: جاء الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، مرةً إلى صَوْط القُثَم، ليدعوهم إلى الله، فصادف مجيئه عندهم وجود رجل من أصحاب الطلاسم، يخرج الماء من الجدار، ويظهر لهم الزرع في ذراعه، أي ساعده، ويفتخر بذلك.

وكانوا قد وصفوا له الحبيب صالح وحاله، فجعل يقول: هاتوا وليكم، يظهر لكم مثل هذا! فلما دخل الحبيب صالح المنزلَ الذي فيه الرجل المذكور، شرع في عمله، فمدّ يدَه فنبت عليها الزرع في الحال. وكان الحبيب صالح جالسًا قريبًا من نافذة مغلقة، ففتح الحبيب صالح تلك النافذة، وقال: ونحن أرسلنا على زرعك الجراد بإذن الله، فما تم كلامه حتى دخل من تلك النافذة فَوج، أي سرب من الجراد، الغريب اللون، وقصد ذراع الرجل، فأخذ بعض الجراد يأكل الزرع، وبعضه يعض الرجل في ذراعه، وهو يصيح ويعتذر إلى الحبيب صالح.

فأخذ المروحة الحبيب صالح، وجعل يحركها فوق الجراد، حتى خرج من النافذة التي دخل منها، وخرج الرجل من تلك البادية مذمومًا مدحورًا».

قلتُ: وذلك بقدرة الله الحكيم الصانع، الذي أرسل على طغاة بني إسرائيل الدمَ والجراد والقمل والضفادع، لإعلاء كلمة التوحيد، وما ربك بظلام للعبيد.

وقوله «الصَّوط»، هو في اصطلاح العامة بحضرموت: ما ارتفع من الجبال على الأودية، ويعنون بذلك البادية.



الحكاية الثامنة والعشرون

حكى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «سار صاحب المناقب رضوان الله عليه إلى وادي رخية، لإرشاد أهله إلى معالم الدين، فقصد الكورة ببلد صَنا، عند صهره الحبيب شيخ بن أحمد بن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، ودعا أهل تلك الجهة إلى الله، وذكرهم بأيام ثم أمر صهره الحبيب شيخ أن يحفر بئرًا بتلك البقعة، لما رأى من حاجة الناس إلى ذلك، وقال في شأنها، منشطًا للحبيب شيخ المذكور:

بحَثْنــا بيــر فيهــا مــن الكــوثَر علامَــةْ

شِــفهْ فيهــا شــفَا عمْقهَــا خمســين قامَــةْ

بحَثهــا شَــيخ يســعَدْ بهــا يــوم القيامَــةْ

فكانت كما قال صاحب المناقب، عمقها خمسون قامة نافعة للمسلمين.



ومن كراماته أيضًا في تلك البلدة: أنه هرب مملوك لقبيلة آل باليث، فقبضه آل حيدرة أهل المصنعة. والحال أن بين القبيلتين المذكورتين خصومة في الأنفس، ومناهبة في الأموال. فطلب صاحب المناقب رضوان الله عليه العبد المذكور من آل حيدرة، ليرده على أهله آل باليث، فأبوا أن يعطوه العبد إلاّ بشرط: أن يتدرك لهم بزيادة الماء في بئرهم الموجودة، إلى سبع قِيَم، لأنها قليلة الماء، ولا تكفيهم، فوعدهم بذلك على مشيئة الله، فأعطوه العبد، ورده على أهله. ثم عقد أمانًا بين القبيلتين المذكورتين، قرت به عيون الفريقين.

وبعد ذلك بأيام يسيرة، جاء أناس آخرون من قبيلة أخرى، وبينهم وبين آل حيدره المذكورين خصومة أيضًا، وكان مجيئهم ليلًا، فقصدوا بئر آل حيدره المذكورة،

وعمدوا إلى أخشابها المركبة عليها لصالح نزح الماء منها، وألقوها فيها، وكان قصدهم إعدام تلك البئر بالكلية، فارتجت قاعة البئر من ثقل الأخشاب، وانفجر منها الماء وفار، حتى بلغ سبع قيم، كما اشترطوا على صاحب المناقب، وسبحان القوى الغالب، الذي يأتي بالنّعم في طي المصائب، ويطلع أولياءه على وقائع الأحوال، فيرونها كالشمس ليس دونها حاجب.



الحكاية التاسعة والعشرون

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا المقدم عمر بن عبدالله باحكيم، بدوعَن الأيمن. قال: لما كنت بمصر، أضمرت في نفسي أن أرسل جبة من الجوخ الأخضر، للحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، وكأني تماديت في ذلك. فرأيت ذات ليلة في المنام، كأن الحبيب صلاح واقف فوقي، وبيده رمح، وهو يقول لي: بادر بإرسال الجبة التي نويت بها لنا. نخفت منه، فأرسلتها حالًا»، انتهى. ثم قال المترجم: «وقد وصلت تلك الجبة إلى صحاب المناقب، وأنا بحضرته، ففرح بها ولبسها، ودعا لمرسلها».



الحكاية الثلاثون

روى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا الحبيب علوي بن عمر الصافي، ساكن رباط باعشن من دوعن الأيمن، قال: كان الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، يتعهد أهل بلدنا بالموعظة الحسنة، وتكون إقامته

عندنا أشبه بالأعياد، فدعوته مرة إلى بيتي، لاغتنام بركته، وعملنا ضيافة كبيرة له ولأصحابه، وجملة من أهل البلد، لطعام الغداء. وقدمنا لهم الهريسة المعروفة.

وكان في الحاضرين، الشيخ المجذوب عبدالله، ويقال عبيد بن سعيد باسندوه، المشهور بكثرة الأكل، فجلس إلى جانب الحبيب صالح على صحن، أي جفنة، مع نفرين آخرين، فكرهنا جلوس الشيخ عبدالله المذكور مع الحبيب صالح أشد الكراهة، ولم نتجاسر على تحويله إلى صحن آخر، خوفًا من الحبيب صالح.

وكان قصد أهل بيتنا التبرك بما يبقى من الطعام الذي قد أكل منه الحبيب صالح، ففطن لقصدنا الحبيب صالح، ومسح على الطعام بيده الكريمة، وجعل يباسط الشيخ عبدالله المذكور، حتى شبع، وبقي في الصحن نحو الثلثين، مع أنها جرت عادة الشيخ عبدالله المذكور أنه لا يترك شيئًا في الصحن، مهما كثر الطعام، كما أنه لا يقبل الزيادة على ذلك الطعام، وهو يأكل منه. فقال الحبيب صالح: لولا أن هذا الشيخ صاحب حال، لتضرر بكثرة الأكل».

ثم قال المترجم: «ومن ذلك: ما أخبرنا به الشيخ الثقة عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن أحمد باسودان، قال: إن عمي محمدًا عمل ضيافة كبيرة، ببلدنا الخريبة، للحبيب صالح يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، ودعا إليه جملة من أهل الفضل والصلاح، لطعام الغداء. فقربوا لهم الهريسة المعروفة، وكان من الحاضرين الشيخ عبدالله بن سعيد باسندوة، المشهور بكثرة الأكل، فصادف أن اجتمع الحبيب صالح وعمي محمد والشيخ عبدالله المذكور، يأكلون في صحن واحد، وكان عادة الشيخ عبدالله أن يأتي على جميع ما في ذلك الصحن، فأكل الحبيب صالح وعمي كفايتهما، وبقي الشيخ عبدالله مستمرًا في الأكل، والحبيب صالح واضعًا يده الكريمة على الصحن،

حتى شبع الشيخ عبدالله، وبقي الطعام في الصحن كما كان، بعد ما وقف الحبيب صالح وعمي محمد، لم ينقص منه شيء.

ثم قال الشيخ عبدالله للحبيب صالح: لا تترك عادتك، فقال الشيخ عبدالله: لولا يدك في الصحن لأكلت ذلك. فقال الحبيب صالح: وأنت، لولا أنّ هذا الأكل في غير بطنك، لانفلقت»، انتهى.



الحكاية الحادية والثلاثون

حكَى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «لما كان اليوم الثامن من وفاة صاحب المناقب رضوان الله عليه، اجتمع الناس من غالب جهات حضرموت، مدنها وقراها وباديتها، لختم القرآن الحكيم على ضريحه، وصدر الأمر من مناصب الحبايب آل عطاس: بأن ينادى في ذلك الجمع بعُرضه، بضم العين، أي أمان، لمدة ستة أشهر بين قبائل تلك الجهة الجميع، صيانةً لدماء المسلمين، وتعظيمًا لشأن الصالحين، كما جرت بذلك عادة السلف من المتقدمين والمتأخرين.

وحين طلع المنادي على مكان مرتفع، وشرع في النداء بذلك، قام عامر بن سعيد بن كريشان الجعيدي، أحد سكان تبْرِعهْ، بوادي عمد، وصعد على مكان مرتفع أيضًا، وكان قصده، على ما أخبرنا به: أن يمنع المنادي من إيقاع الأمان بينهم وبين خصومهم، لأنها وقعت بينهم معارك قريبة عهد، وانهزموا فيها، فسقط عامر المذكور صريعًا على الأرض، قبل أني يتكلم، وتم النداء على الوجه المطلوب، وقبل القبائل، الجميعُ، ذلك الأمان، مطمئنين به غاية الاطمئنان.

وبعد أن تفرق الناس من حول الضريح، جاء في بعض أصحاب عامر المذكور، وأخبرني بما جرى لعامر المذكور، وأنه ما زال مصروعًا، فذهبت إليه أنا وبعض أولاد صاحب المناقب، وحملنا الرجل وهو غائب الحس، إلى قريب ضريح صاحب المناقب، وحثونا عليه من ترابه، فقام كأنما نشط من عقال. وأخبرنا بقصده، واعتذر إلى أولاد صاحب المناقب، وقال: كل أمان يكون بواسطة الحبائيب آل عطاس أنا كفيل به من الآن، على كافة أصحابي»، انتهى.

ثم قال المترجم: «مضت بحمد الله مدة ذلك الأمان، ولم ينكسر بين المتخاصمين فيجان، حتى بلغنا أن المحب صالح بن علي النهدي، يعني المتقدم ذكره في (الباب السادس)، نادى في أصحابه: بأن الأمان على الحبيب صالح عام، حتى على الطيور، فلا أحد منكم يتعرض لها بسوء»، انتهى.



الحكاية الثانية والثلاثون

حكى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «جاء الحبيب علي بن محمد الحبشي، يعني المتقدم ذكره في (الباب السادس)، إلى بلدنا عمد، لزيارة ضريح صاحب المناقب رضوان الله عليه، في جمع من العلماء والصلحاء، من أهل بلده سيؤون وغيرها، فتلقاهم أولاد صاحب المناقب إلى خارج البلد، بالحداة والدفوف، وقصدوا قبة صاحب المناقب، وبعد قراءة ما تيسر من القرآن الحكيم، ارتجل الحبيب علي المذكور أبياتًا مدحًا واستغاثةً بصاحب المناقب، قد تقدمت في ترجمة الحبيب علي المذكور، وبعد صلاة العشاء، وتناول طعام العشاء، طلب الحبيب علي من أولاد صاحب المناقب أن

يأتوا بالحضرة التي رتبها والدهم في حياته، ولا تزال مستمرة إلى الآن، فقرؤوها في ذلك الجمع، وسرى الحضور والخشوع في الحاضرين الجميع.

وتواجد عند ذلك الحبيب علي، وحين انتهت الحضرة، وكنت جالسًا إلى جانب الحبيب علي، قال: قم معي الآن، لنخرج إلى القبة، ونزور الحبيب صالح في هذه الساعة. فتثاقلت عن مراده، وقلت له: بكرة إن شاء الله، فسمع محاورتنا الأخ محمد بن أحمد المساوى، يعني المتقدم ذكره في (الباب السادس)، فنهض وأخذ بيد الحبيب علي، وخرجا معًا، وبقي كلّ واحد من الحاضرين في مجلسه يتحدثون.

فلم نشعر إلاّ بالصيحة في القبة، فخرج إليها أولاد صاحب المناقب، وبعض الحاضرين، فوجدوا الأخ محمد المساوى مصروعًا في القبة، فأخذوه، وذهبوا به إلى بيته، ورجع الحبيب علي إلى مجلسه عندي، فسألناه: عما حصل لهما في زيارتهما؟ فقال الحبيب علي: أنى لما قابلت ضريح الحبيب صالح، وسلمت عليه بحضور قلب، تحرك باطني، واهتز بدني، فذكرت له حاجتي وغرضي الذي جئت من أجله، مستشفعًا به إلى الله في قضاء ذلك. ثم قلت: وحاشا أن يظفر منك صالح بن علي النهدي بحاجته، ونحن أولادك الأقربون! فأجابني الحبيب صالح من قبره، وقال: إن رحى الكون في يدي، وحاجتكم التي جئتم من أجلها قضيت بإذن الله، انتهى كلام الحبيب علي.

وأما الأخ محمد المساوى، فأفاق من غيبته، ثم رجع إلينا بعد صلاة الصبح، وأخبرنا بمثل ذلك، إلا أنه قال: فلما وصل الحبيب في خطابه: ونحن أولادك الأقربون، سمعت حركة ودويًا كالرعد، من ضريح الحبيب صالح، ثم خرجت منه أصوات، لم أقدر على فهمها، وكان من أمري ما كان»، انتهى.



الحكاية الثالثة والثلاثون

حكى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «أمرني صاحب المناقب رضوان الله عليه، وأنا إذ ذاك في دور التمييز من عمري، أن أقرئ بعض الأولاد القرآن الحكيم، دراسة لي وتعليمًا لهم، فكنّا إذا صلينا الصبح جلسنا، وقرأنا ما تيسر، فإذا صلى هو صلاة الإشراق خرج إلينا، وأعطى نحن شيئًا من خمير الذرة، وهو قائم، ولم يسألنا عن القراءة، ولا عن كثرها وقلها. وكنّا في ذلك الوقت مهتمين بلعب الكرة، كما هي عادة الصبيان، فلم تمض علينا نحو الخمسة الأشهر، إلاّ وقد ختم الأولاد المذكورون كلهم القرآن، من غير مشقة، ولا بعد شقة»، انتهى.

قلتُ: وما ذاك إلا ببركة نظر صاحب المناقب الميمون، وجاهه الواسع عند من يقول للشيء كن فيكون، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



الحكاية الرابعة والثلاثون.

حكى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «حدثني أحد محبي صاحب المناقب رضوان الله عليه، من قبائل الجعدة، قال: خرجت مرة مع بعض أصحابي قاصدين خصومنا آل فلان، فوجدنا رجلًا منهم جالسًا تحت داره، ولم يشعر بنا، فصوّبت بندقي نحوه لأقتله، فقال لي واحد من أصحابي: يا فلان شف عادك باتصالخ الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب، بيدك هذه. فتذكرت أني كذلك، وعدلت عن قتله، ثم خفت عليه من أصحابي. فقلت لهم: إنه في وجهي، أي: إني مجير له، وتركناه، وعدنا إلى منازلنا»، انتهى. **قلتُ:** وسلم الله تلك النفس البريئة، ببركة صاحب القطبية، وخادم الشريعة المحمدية.

الحكاية الخامسة والثلاثون

حكى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «كانت إحدى زوجات صاحب المناقب رضوان الله عليه، أرادت أن تجعل شيئًا من معجون الورد في شعر رأسها، لقصد الزينة، بمناسبة حفلة زواج ستكون في بيت أهلها، فاستأذنت صاحب المناقب، فلم يأذن لها، لأن المرأة التي تستعمل المعجون المذكور، لا يمكنها أن تبل رأسها بالماء مدة استعمالها لذلك، وربما ترتب على ذلك ترك بعض الصلوات، فذهبت إلى بيت أهلها، ووجدت من يرغبها في ذلك من شياطين الإنس، فاستعملته، فلما اجتمع النساء للشرح، أي التغني وضرب الطبل، وأرادت الخروج إليهن، إذا بورم قد ظهر في وجهها، فاستحيت من مقابلة النساء، وتحققت أن ذلك كان عقوبة لها من الله، بسبب مخالفتها لأمر هذا الحبيب الأواه، الذي يغضب لغضب الخالق ويرضى لرضاه، فتابت، ودعاها داعي الفلاح وآبت».



الحكاية السادسة والثلاثون

روى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا المعلم الصالح عبود باحليوه، ساكن بلد نفحون بوادي عمد. قال: قدم علينا الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، في بعض الأيام، عائدًا من حريضة إلى بلده عمد، ومعه جماعة، وكان قدومهم إلينا في وقت الغداء، فأمرنا الحبيب صالح أن نطبخ لهم غداء. فأخبرت زوجتي بذلك، فقالت: ليس معنا من الطعام إلاّ شيء يسير، لا يكفي أولئك الجماعة. فأخبرت الحبيب صالح بالحال.

فقال: لا باس، اصنعوه وقدموه. فلما حضر ذلك الطعام، جعلنا فوقه شيئاً من السمن، وقدمناه لهم، فأدخل الحبيب صالح أصبعه في السمن، وقرأ عليه ما تيسر، ثم قال لجماعته: كلوا على اسم الله، فأكلوا حتى شبعوا، وأكلنا نحن بعدهم كذلك، وأطعمنا منه بعض الجيران»، انتهى.

قلتُ: وذلك بسر آي القرآن، وبركة اليد التي لا تتحرك إلاّ في مرضات الرحيم الرحمن، وهل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان.



الحكاية السابعة والثلاثون

روى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا الرجل الثقة عمر بن أبي بكر باجنيد، من آل الفقيه، سكان الخريبة بدوعن الأيمن، قال: أضفنا الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، في بعض زياراته لدوعن، هو وأتباعه، وجملة من أهل البلد، وجعلنا غداءهم الهريسة المعروفة، فلما اجتمع المدعوون وحضرت الهريسة، أمرت إخواني أحمد وعبدالرحمن، أن يأتوا بالسمن، لنجعله في وسطها كالعادة. وكنا قد استعدينا بذلك من أجود السمن، ففتشوا على مفتاح الخزانة التي وضعناه فيها، فلم يجدوه. فحصل معنا ارتباك شديد، لعدم إمكان التأجيل في مثل ذلك، وعزمت أن أخبر الحبيب صالح بالحال.

فلما دخلت الفاضلة، أي الغرفة، وهي غاصة بالمدعوين، أشار الحبيب صالح بيده، قبل أن أصل إليه، وقبل أن أتكلم، إلى الرِّف، بكسر الراء أي المرفاع، الشمالي الشرقي، فقصدته، ووجدت المفتاح المطلوب فيه، فعرفت أن ذلك من كرامات الحبيب صالح الخارقة»، انتهى.

قلتُ: فسبحان من رفع عن بصائر أولياءه الحجاب، وأراهم المغيبات عن غيرهم كالشمس في رابعة النهار وليس دونها حجاب، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب.



الحكاية الثامنة والثلاثون

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا الحكم عبد الربّ بن سلطان بن ثابت النهدي، قال: وقعت بيننا وبين البعض من إخواننا فتنة عمياء، وتعب فيها الفريقان من كل الأوجه، فجاء إلينا مناصب الحبايب آل عطاس، في جماعة من أصحابهم، وفي مقدمتهم الحبيب صالح، يعنى صاحب المناقب رضوان الله عليه، وبلغوا جهدهم في الإصلاح، بشروط محمودة العاقبة للطرفين، ولكن لم يقدر الله الاتفاق عليها في ذلك الوقت، وضجر الحبايب من طول المدة، وعزموا على الرجوع إلى بلدهم، وخفت أنا أن تطول المدة، أو يكون الصلح على غير تلك الشروط. فدعوت الحبيب صالح وحده إلى منزل خاص، وقلت له: إني أخاف على قومي دوام هذه الفتنة، وأن يكون الصلح غير هذه الشروط، فيثير فتنة أخرى.

فقال لي: كن براحة خاطر من الآن، وسيتم أدلة الصلح على هذه الشروط قريبًا، بإذن الله. فلم نلبث إلا أيامًا يسيرة، حتى جاءنا منصب الحبايب آل عيد روس ثانيًا، وكان قد جاء قبل الحبايب آل عطاس، ولم يتم شيء على يديه أول مرة، ثم تم الله الصلح على يديه، على الشروط المذكورة، التي تزين الفريقين، كما أخبرني بذلك الحبيب صالح»، انتهى. ثم قال المترجم: «وكانت هذه الكرامة هي السبب الأول في لصوق صالح بن على النهدي، بصاحب المناقب. لأنه كان مطلعًا على سير تلك القضية، بعد أن سبقت له من أدلة السعادة الأزلية».

[القبائل آل ثابت وآل عجاج النهديون]

قلتُ: والقبيلتان المذكورتان من نهد، التي وقعت بينهما الفتنة المذكورة، هما آل ثابت، وآل عجاج، بفتح العين والجيم الأولى، الساكنون بعروض آل عامر.

والمنصب المذكور، هو الحبيب الكريم، المصلح ذات البين، سالم بن علوي بن عبدالله بن على بن أحمد بن علوي بن أبي بكر بن عمر بن عبدالله بن علوي بن عبدالله العيدروس، وليد بور، وساكن صليلة، وكانت قبيلة آل ثابت تنتسب إلى الحبايب آل عيدروس، بالمحبة والعقيدة الحسنة. وقد تلقته القبيلتان المذكورتان في مجيئه الأول بالزامل، المعروف بحضرموت، أي النشيد الوطني، حين أقبل راكبًا على فرسه.

فقال شاعرهم من قبيلة آل عجاج:

حيا وسهلًا بالحبيب المنتزح ... ذي قد تعالى ظهر بنت اَحْصانها

دعوى الحكم ما با يقع شيء سدها ... لو سارت البُزّل على قبّانها

فلما رجع إليهم الحبيب سالم المذكور، المرة الثانية، وقد تعبوا من الشر، وهلك الحرث والنسل، قال شاعرهم المذكور:

حيا بسالم ولد علوي ... ما صيِّب اِلاّ ذي يقوله

الخير فتحنا بوابه ... والشر غلقنا قفوله

وتم الصلح المذكور، على ما يزين الطرفين.

وقوله: «بنت احصانها»، يعني الفرس. وقوله «البزّل»، بضم الباء مع تشديد الزاي المفتوحة، جمع بازل، وهو الجمل القوي. وقوله «الحكَم» بسكون الحاء، في اصطلاح أهل حضرموت، أي الحكَم. ويلقب كل مقدم في القبيلتين بالحكم.

[الحِكْمان في نهد]

والمعنيُّ في هذا البيت: هو الحكم بن عجاج، وهو الذي إليه المرجع على ما يقولون، في (عاب وطاب)، وهي سوالف القبولة، أي عوايدها. ومركزه بلد قعوضة. وآخر من عرفناه في هذه المرتبة: هو الحكم، مبارك بن محمد بن منيف، وقد بلغ سن الكهولة، كما أن الحكم بن ثابت كان إليه المرجع في بقية الخصومات المالية وغير المالية، ومركزه قارة آل ثابت. وآخر من عرفناه في هذه المرتبة: هو الحكم علي بن صالح بن عبدالله بن عبدالرب، الآنف الذكر، وهو في شبيبة حياته.



ومازال التاريخ سابقًا يعيد نفسه بين القبيلتين المذكورتين، بالفتن العمياء التي تهلك الحرث والنسل، حتى وضع الإنقريز يده على استعمار حضرموت جميعها مباشرةً، في سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية، ونزع السلاح من أيدي القبائل، وبه ختمت أخبار القبولة في حضرموت.



ومن حكم الحبيب أحمد بن محمد العطاس، المتقدم ذكره في (الباب السادس) من «تاجنا» هذا: أنه لما وفد على السلطان منصور بن غالب الكثيري، قال له السلطان: كيف يا حبيب أحمد تصلحون الناس البعيد، وقبائلكم نهد ما قدرتم تصلحونهم؟ فقال له الحبيب أحمد: يا سلطان، ما نصلح إلا ناس فيهم إحدى خصلتين، إما أهل نية صالحة وحسن ظن، وإما ما يعرفون الكلام، يعني الجدل. فأعجب السلطان جوابه، وعرف حكمته وصوابه.

[سلطان بن مذعذع بن ثابت]

ومن قبيلة نهد المذكورة أيضًا، سلطان بن عبدالله بن مذعذع بن ثابت، وداره قريبًا من العدان. كان مركزه بين حملة السلاح، سالفة، أي مفتي إلزامي، فإذا تنازع فريقان من حملة السلاح، وطلب كل فريق التحاكم إلى غير من يطلبه الفريق الآخر، وجب على الفريقين الاستفتاء من ابن مذعذع، وهو يفصل بينهم في توحيد الحاكم، وعند ذلك يلزمهم الرجوع إلى فتواه في ذلك، ويسمون هذا الاستفتاء: النِّشِد، بكسر النون الشين مع سكون الدال، وفي ذلك يقول الشاعر:

السالفة بن مذعذع والحكم بن عجاج

وسبحان من يُحوِّل ولا يتحول.



الحكاية التاسعة والثلاثون

حكى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا عبود بن عيدان، ساكن بندر المكلا، قال: كان الحبيب صالح، يعنى صاحب المناقب رضوان الله عليه، يتعهد أهل المكلا بالدعوة إلى الله، وإصلاح ذات البين، وفي مجيئه الأخير تضاعف اعتقاد الناس فيه، وجعلوا يهدون له الشيء الكثير من الدراهم والملابس الفاخرة. وكان يتلقاها منهم بالفرح، ويدعو لهم، ثم بعد ذلك يفرقها على المستحقين.

فجاء في بعض الأيام إلى بيتي، فقلت له: كيف تقسم هذه الهدايا على الناس، وأنت لك أهل وأولاد بعمد، يحتاجون لذلك؟ وكأني أكثرت عليه في ذلك، على سبيل المحبة والشفقة عليه، وكنت إذ ذاك في أخرويات المجلس، فاستدعاني إليه، ثم رفع

طرف الفرش الذي يجلس عليه، فإذا أنا بالريالات معكوفة، أي مكوّمة، تحت الفرش. ثم قبض بأذني، وقال لي: شف، أي انظر، واسكت! فلم أعد اعترض عليه في شيء بعد ذلك»، انتهى.

قلتُ: وها أنا أنشدك الله أيها القارئ، عن اعتقادك الحقيقي، ما هو أعظم عند الله، الريالات التي قد ائتمن عليها كل بر وفاجر؟ أم أسرار الولاية التي لم يؤتمن عليها غير الأكابر؟ فإن قلتَ بالأول، قلتُ لك: جدِّد إيمانك ولا تكابر.



الحكاية الأربعون

حكى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «صلى بنا صلاة الصبح صاحب المناقب رضوان الله عليه إمامًا، ذات يوم، ببلدنا عمد. فلما سلم التفت إلينا حالًا، وقال: أما الجماعة فقد فرج الله عنهم، لكن بشرط. ثم استمر في أذكار الصلاة، وكان يعنِي بذلك جماعةً من المنتسبين إليه من أهل الشحر، وقد وقعوا في فتنة عمياء، ثم جاء الخبَر بعد أيام، كما حدّث وأخبر، أن الله قد فرجَ عليهم في نفس اليوم الذي أخبرنا فيه، وكانت المسافة بين البلدين ثمانية أيام، بسير الأثقال»، انتهى.



الحكاية الحادية والأربعون

روى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرتني إحدى أخوات صاحب المناقب رضوان الله عليه، وكانت متزوجة بابن عم لها، فمات عنها، وترك لها أولادًا صغارًا، فخطبها بعض السادة للزواج، فأبت واحتسبت على أيتامها، لما ورد في ذلك من

الفضل العظيم. قالت: إني ذات يوم قلتُ لأخي صالح: ادع الله لي أن ييسّر لي ثمن شاة فيها لبنٌ لأولادي. فقال: اشتريها بالريال الذي في القصعة، أي الحق. وكان معي ريالٌ قد أعددته لحاجة أخرى، ولم يعلم به إلا الله.

ومرةً جاء إلى بيتي، وأنا مهتمة بشأن أولادي، فقلت له: ادع لي، وكأني ألحت عليه في ذلك. وقلت كلمةً، كالتعيير له. فقال: افتحي فاكِ، وبصق فيه، فسقطتُ على الأرض، وغبت عن إحساساتي. فقالت له والدتي: خلها تربي أولادها، فمسح عليَّ، فقمت كأنما نشطت من عقال، وهبتُه من ذلك اليوم، لأنه لما حصل عليَّ ذلك الحال، كُشِفت لي أمور تطوى ولا تروى». قال المترجم: «وقد أخبرتنا ببعض تلك الأمور، وهي في حال الغيبة، فكانت كذلك»، انتهى.



الحكاية الثانية والأربعون

روى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا الرجل الموفق، سعيد بن عبود بن أحمد باسبيت، ساكن قرية منخوب بوادي عمد، وكان له تعلق خاص بصاحب المناقب رضوان الله عليه. قال: كنت أتردد إلى بلد عمد، عند الحبايب آل عطاس، لزيارتهم، ولما حصل بيننا وبينهم من الألفة. فجئت في بعض الأيام كعادتي، فلما كان عشية ذلك النهار، تحرك خاطري للرجوع إلى بلدي، فأخبرت الحبيب أحمد بن عبدالله، يعني والد المترجِم، فقال لي: إن الوقت ليل، ومكانك بعيد، والأولى أنك تبيت الليلة عندنا. فدخلت على أخيه الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، وأنا أقول في نفسي: إن أذن لي الحبيب صالح بالمسير سرت، وإن كان المكان بعيدًا بالنسبة لدخول الليل.

فلما أخبرت الحبيب صالح بعزمي على السير، بادرني بالفاتحة، لأتوجه في الحال، فراجعه في ذلك أخوه الحبيب أحمد. فقال الحبيب صالح: لا بد أن يتوجه الآن، لأن والده عنده ضيوف هذه الليلة. فسرت على بركة الله، وطُويتْ لي الأرض، وبلغت منزلي قبل غروب الشمس، فوجدت الحبيب أبابكر بن عبدالله، والحبيب علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم، يعني المتقدم ذكرهما في (الباب الخامس) و(السادس)، عند والدي، وفرح بوصولي غايةً، لأنه في ذلك الحين مشتغل بمراقبة الحبيبين المذكورين، ولم يكن عنده أحد يكفيه بقية المؤن، فخرجت حالًا بعد مصافحة الحبيبين، وجئت بشاة فذبحتها، وحصل العشاء حين أذن العشاء، واتسع لنا الوقت اتساعًا خارقًا للعادة، وذلك ببركة الحبيب صالح»، انتهى.

قلتُ: لأنه صاحب الوقت، فمن رضي بكرامة الأولياء على مولاهم فله الرضا، ومن سخط لذلك فعليه من الله المقت.

ثم قال المترجم: «وكان صاحب المناقب رضوان الله عليه يتردد إلى قريبة منخوب المذكورة، لزيارة الحبيب العارف بالله علي بن أبي بكر الحامد، المشهور بها، كما أنه يتعهد قرية البطيح، أي بالتصغير، ويجمع أهلها في المسجد الذي بناه بها سيدنا الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، ويدعوهم إلى الله، ويذكرهم بأيام الله، ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله.



الحكاية الثالثة والأربعون

روى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا والدي، يعني شقيق صاحب المناقب رضوان الله عليه، قال: إن جدتنا الشريفة سيدة، بكسر السين، بنت الحبيب

سقاف باهاشم، يعني المتقدم ذكرها في (الباب الثالث)، لما قاربت الاحتضار في مرض موتها، جعلوا شيئًا من السكر الحَجَر في فيها، ليساعدها في جريان الرّيق.

فاستدعت أخي صالحًا، وكان عمره إذ ذاك نحو الخمس السنين، وألقت السكر من فيها إلى فيه. فقال لها: يا حبابة، إني قد رأيت دارك، يعني في الآخرة، فأراد والدي أن يزجره عن مثل هذا الكلام، وهي بتلك الحالة. فقالت: خلوا ولدي يخبرني بداري، فقال لها: أن دارك عند قبر جدي سقاف، وله خلفة، أي نافذة، إليه.

فلما توفت، حفروا قبرها إلى جانب قبر أبيها، فانفجر شيء من قبرها إلى قبر والدها، كما أخبر بذلك أخي صالح»، انتهى.

قلتُ: كيف لا يكون كذلك، وفيه يقول ناطق تلك الأعصار، الحبيب أحمد بن محمد المحضار، في قصيدته المتقدم ذكرها في (الباب الرابع):

... وصالح ولد عبدالله أجَلّ

من قبل تمييزه تحلىٰ بالحليّ وبالحلَلْ



الحكاية الرابعة والأربعون

أخبرني خالي، الحبيب حسين بن علي بن هود العطاس، عن والده، المتقدم ذكرهما في (الباب السادس). قال: إني كنت ألازم الحبيب صالح بن عبدالله، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، في المجامع التي تكون في زيارة المشهد، وكان إذا استمر بهم المجلس، قال لي: تبارك يا صنو علي، أي أنشدنا شيئًا من قصائد الصالحين للتبرك بكلامهم، فوقع في بعض المجامع شيء بخاطري من الإنكار، وصرت أقول في نفسي: كيف يجعلني الحبيب صالح مثل باحرمي!. فما تم هذا الخاطر معي، حتى أشار

إلي الحبيب صالح كعادته، وقال: تبارك يا صنو علي، المنشد داعي الله، ما هو باحرمي. ثم قال الوالد: فما فرحت بشيء أكثر منها»، انتهى.

قلتُ: و«باحرمي» بفتح الحاء، هو منشد سيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، بحاوي تريم، ولا يزال أولاده بعده كذلك إلى الآن.



ويناسب هذه الحكاية، ما رواه المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا الشيخ سعيد بن محمد باعشن، يعني المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، قال: إن الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، وصل إلى بلدنا رباط باعشن في بعض الأيام، في جمع غفير كعادته، ومعهم الحداة من آل باحشوان وغيرهم، يضربون الدفوف، وينشدون بقصائد الصالحين، فلما قاربوا مسجد الجامع، والوقت إذ ذاك أول النهار، وكان من عادتي: أن ألقيَ درسًا في ذلك الوقت في خلوة المسجد المذكور. فسأل الحبيب صالح بعض أهل البلد: هل الشيخ وأصحابه في درسهم على العادة؟ قال: نعم. فقال الحبيب صالح: العلم أحق أن يعظّم ويؤتى إليه. فلم نشعر إلا بازدحام المسجد من كثرة الداخلين، ونحن نقرأ الدرس في الخلوة المعروفة بأعلى المسجد. فخرجنا حالًا، وتلقيناهم.

وبعد أن صافحناهم، قلنا لهم: تفضلوا إلى محل الدرس، فلما استقر بهم المجلس، قلتُ للحبيب صالح: هل معكم منشد؟ قال: نعم، هذا المعلم أحمد بن سالم باحليوه. وأمره أن ينشدَ، وكنت أود أن يأتي بشيء من كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، الذي فيه إرشاد العوام إلى معالم الدين، مما يناسب ذلك الجمع.

فأنشد بقصده سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني، التي مطلعها:

*** شهدت بأن الله والي الولاية ***

وهي مشتملة على تبجّحات الشيخ فقط، فضاق صدري من ذلك، وهممتُ أن أسكته، وأشير عليه بما في خاطري، ثم خفتُ من قطع كلام الجيلاني في ذلك الجمع، فصوّب الحبيب صالح نظره إلى صدري. ثم قال للمنشد: اقطعها، وهات غيرها من كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، فأتى بقصيدة للحبيب أحمد بن عمر المذكور، فيها من التذكير بمعالم الدين، والحث على علم الفقه، ما أشفى عليلي، وأروى غليلي. فتحققتُ حينئذ أن الله قد أطلع الحبيب صالح على ما حاكَ في صدري.

فلما ختم ذلك المجلس على عادته بقراءة الفاتحة. قلتُ للحاضرين: اخرجوا كلكم، معي كلام خاص للحبيب. ثم قلت له: سألتك بالله يا حبيب صالح، أنت كاشفتني بما كان في خاطري؟ أم كان ذلك من باب اتفاق الخواطر؟. فسكت قليلاً، ثم جرى العرق في جبينه. وقال: ما إذا سألتني بالله، نعم كاشفتك بما في ضميرك، لأنك من أهل العلم، وأهل العلم لا يسلّمون إلا بدليل. فعند ذلك تيقنت ولاية الحبيب صالح، وكملت بيننا المحبة، وتمكنت الصحبة»، انتهى.

قلتُ: ولا يعزب عن بال القارئ، ما سبق في ترجم الشيخ سعيد المذكور، من أنه هو مؤلف كتاب «بشرى الكريم»، و«مواهب الديان»، وليس بعد العيان بيان.



الحكاية الخامسة والأربعون

روى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا الأخ أحمد بن عمر العطاس، يعني المتقدم ذكره في (الباب السادس). قال:

زرتُ مرةً ضريح الحبيب العارف بالله عبدالرحمن بن عبدالله البيتي، في قبته المشهورة برباط باعشن، بمعية الحبيب هادون بن هود العطاس، يعني المتقدم ذكره في

(الباب الرابع)، والحبيب صالح يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، في جمعٍ. فوجدنا فيها رجلاً أخضر اللون، جالسًا. فقال له الحبيب هادون: من أنت؟ قال: أنا عبدٌ. قال: من اسمك؟ قال: نصيب. فالتفت الحبيب هادون إلى الحبيب صالح، وقال: انظر إلى هذا النصيب الكبير. فلما رجعنا إلى دار سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، المعروفة ببلد الرباط المذكورة، قال رجل من آل باحليوة، وكان فيمن حضر تلك الزيارة للحبيب صالح: من هذاك الرجل، الذي وجدناه جالسًا في القبة؟ قال: ذاك الخضر، والله إنه الخضر»، انتهى.



ثم قال المترجم: «وأخبرنا أيضًا الأخ أحمد بن عمر المذكور، قال: مرةً كنا ببلد حريضة، أنا ووالدي، زايرين مع الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، فعزمنا جميعًا على الرجوع إلى منازلنا بوادي عمْد، وخرجنا من حريضة آخر الليل، وكنت أنا متقدمًا عليهم بنحو مسافة العدوى، فلما وصلت المكان المعروف بساقية الصقرة، إذا أنا بشبح كهيئة الجمل الكبير، وهو يمشي مشيًا مزعجًا، ترتعد منه الأرض تحته، نخفت منه خوفًا، ووقفت مكاني مرعوبًا مما رأيت وسمعت.

فلما بلغ الجماعة عندي، بادرني الحبيب صالح قبل أن أتكلم، وقال: إنه عفريت مقيد من خدم الحبيب سالم بن عمر مولى حميشة، ما علينا بأس منه»، انتهى.

[الحبيب سالم بن عمر، مولى حميشة]

قلتُ: يعني بذلك صاحب الأحوال السنية، والمجدد لذكرى المعجزة السليمانية، الحبيب سالم بن سيدنا الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، وليد حريضة ودفينها داخل قبة والده وكان قد اشتهر بصاحب حميشه، ويقال سدبة، البلدة المعروفة. ومن جملة ما أكرم الله به الحبيب سالم المذكور تسخير الجن لخدمته، والانقياد لأمره

وطاعته، ومن أراد الإطلاع على حقيقة ما كان، وأحبَّ أن يحيي ذكرى معجزة نبي الله سليمان، فعليه بـ«القرطاس في مناقب العطاس»، وهناك يقول المعتقد والمنتقِد: ليس في إلا مكان أبدع مما كان.

ولا بأس بالإشارة إلى المقصود، من كلام الآباء والجدود، قال إمام المحققين، وصفوة المدققين، الحبيب علي بن حسن العطاس، في (السفر الأول) من كتابه «القرطاس في مناقب العطاس»، في ترجمة الحبيب سالم بن عمر المذكور:

«وكان سيدنا سالم بن عمر، مخدومًا بالثقلين، الجن والإنس، فكانت الجن لما غرَس نخلة بحميشه، تبات تسقي المقالع، أي صغار النخل، من البئر طول الليل.

وأخبرني بعض الناس من أهل بلد هينن، قال: كان له ولد صغير يلعب مع الصبيان، فاختطفته الجن، وفقد مدةً. فجاء والده إلى سيدنا سالم بن عمر، وقال: يا سيدي ابني عسى الله أن يرده عليّ ببركتكم. فقال سيدنا سالم: نحن نسأل الجن عنه، ونأخذه منهم. فلما كان الليل، وجاء الجن ينزحون ليسقوا النخل، سألهم عنه، فأتوا به، وقد تغيرت صورته، فرده إلى أهله»، انتهى الاقتباس من «القرطاس».



ولنرجع إلى سياق الحبيب أحمد بن عمر المتقدم، برواية المترجم.

قال: «وأخبرني الأخ أحمد بن عمر المذكور أيضًا، قال: كنت مع الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، في مكان كذا، وسماه لي. فاقبل أهل ذلك المكان على الحبيب صالح، يهدون له الثياب الفاخرة، فلما خرجنا من عندهم، أخذ يفرقها على الناس، فوددت أن أطلبه شيئًا منها بقصد الإلباس، ولكن منعني من ذلك الحياء، فكاشفني هو، وأعطاني ثوبًا آخر. وقال: ألبسناك هذا، وأما تلك فأنها لا تصلح لنا.

ومما وقع لي معه: أني لما زرت سيد الوجود صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جلست يومًا في الحرم المدني، فأحسست بثقل في بدني، فاستلقيت على ظهري، فبينما أنا بين النوم واليقظة، إذا أنا باليد التي قبضت على وجهي بقوة، فانتبهت وإذا أنا بالحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، واقفًا فوقي، وهو يقول لي: قم قم، قالها مرتين، ثم غاب عني، فقمت وتوضأت، وأنا أحس بأثر تلك القبضة في وجهي، وتذكرت عند ذلك أنه في ذلك الوقت ببلده عمد، فعرفت عنايته بي، من ذلك الحين»، انتهى.



الحكاية السادسة والأربعون

روى المترجم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرني الأخ الصفوة، محمد بن صاحب المناقب، يعني المتقدم ذكره في (الباب السادس)، قال: جئت في بعض الأيام مع والدي إلى قرية سَرْيُواه، بوادي عمد، عند المراضيح من قبيلة الجعدة.

وكان المحب علي بن عبدالله بن مرضاح الجعيدي، قد مرض مرضًا شديدًا، خيف عليه منه الموت. ثم رأى في منامه الشيخ الجليل سعيد بن عيسى العمودي، المعروف بخزانة آل باعلوي، فطلب منه أن يدعو الله لي بالشفاء من ذلك المرض، فقال له الشيخ سعيد: اطلب الدعاء من الذي سيأتي إليكم بكرة، وسيُعافيك الله ببركته. وحين دخلنا القرية المذكورة، خرج أهل الدار السفلى يتلقون الوالد ومن معه، لينزل عندهم. وكان المحب علي المذكور سمع بقدوم الوالد، فحسّ من نفسه نشاطًا، فخرج بين رجلين إلى تحت داره، فرحًا بوصول الوالد.

فلما رآه الوالد كذلك، أشار إلى أهل الدار السفلى: أن قفوا مكانكم. وأسرع مركوبه إلى عند المحب علي المذكور، فلما صافح الوالد، قال له الوالد، قبل أن يتكلم:

رؤياك حق، والشفاء حاصل لك إن شاء الله. ثم إني عدت إلى دار المحب علي المذكور، في وقت آخر، فقص عليَّ الرؤيا المذكورة، وحلف لي يمينًا مغلظًا: أنه لم يخبر بها أحدًا غيري»، انتهى.



الحكاية السابعة والأربعون

روى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «أخبرنا الشيخ أحمد بن عبدالرحيم بن محمد العمودي، الملقب المهجُوس، يعني المذكور في (الباب السادس)، قال: كان من عادة الحبيب صالح، يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، أنه إذا جاء إلى بلد الشُّعبة لدعوة أهلها إلى الله وإصلاح ذات البين، في المحضرة، أي غرفة الأشراف، المعروفة في بيت الشيخ العارف بالله عمر بن أحمد العمودي، صاحب الخزانة.

فجاء في بعض الأيام، وبات على عادته، فلما توسط الليل، اضطربت صناديق الكتب حق الشيخ، وسرر الخشب التي في ذلك المكان، حتى انزعج من ذلك الجيران. وكان الحبيب صالح ثابتًا لم يهلْه ذلك، فلما أصبح جاء إليه أولاد الشيخ، وبعض الجيران، وأخبروه بأن ما وقع ليلًا هو مما جرت به العادة، أنه يكون دائمًا، وذلك عند توقع كل حادث مهم في الجهة.

ثم قالوا: ومن المحتمل أن تكون ملقاة عنيفة بين قبائل الجعدة، وقبيلة الكُرَب، بضم الكاف وفتح الراء، في الفوهَة، أي الصحراء، التي بين أماكن نهد. لأن الجعدة قد غزوا إلى ذلك المكان، ليتعرضوا بعض القوافل، أي العير، في ذلك المكان.

فقال الحبيب صالح: وأنا رأيت البارحة الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد، وهو متغضب جدًا، وبيده سلاح ناشره، يشبه سلاح أشراف مكة، فظهر

تجاهه الحبيب صالح بن عبدالله الحامد، يعني المتقدم ذكره في (الباب الثالث)، وبيده سلاح حضرمي. فلما رأى الحبيب علي بن حسن أمامه، استحى منه، ودعاني إليه، فأعطاني السلاح الذي بيده، فجئت به إلى الحبيب علي بن حسن، كالمستجير، فضمني إليه، وتبسم في وجهي.

فأولت ذلك: بأن القافلة هي التي يقصدون بها زيارة المشهد من جهة القبلة، وهذا هو السبب الباعث للحبيب علي بن حسن على نشر السلاح، لأنها من ضمانه. ولما كان البعض من قبيلة الجعدة يهترون، أي توسلون بالحبيب صالح الحامد، كان ما كان منه لنصرتهم. ثم قال الشيخ أحمد المذكور: فلم تمض علينا إلا أيام قليلة، حتى جاء الخبر، على وفق ما أخبرنا به الحبيب صالح وفسر»، انتهى.

قلتُ: أي بسلامة العير والنفير، وفي الحديث الشريف: «**إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة**»، انتهى.



الحكاية الثامنة والأربعون

حكى المترجِم، وفارس الميدان المتقدم، قال: «سافر صاحب المناقب رضوان الله عليه، مرةً قاصدًا حج بيت الله الحرام، وزيارة سيد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحبه جماعة من السادة العلويين وغيرهم، لذلك القصد. وربما كان بعضهم أجيرًا عن الغير.

وقد ضاق وقت الحج، فكان وصولهم على بندر جدة، بعد أن توجه منها إلى مكة كل من يريد الحج في تلك السنة، ولم يبق بها جمل ولا جمّال، ونزلوا في رباط جدة المعروف، وبات الكل في غاية من القلق، خوفًا من عدم إدراك الحج في تلك العام، وخشيةً مما يترتب على ذلك من الانتظار إلى العام المقبل، أو الرجوع إلى الوطن قبل

انقضاء الوطر. فلما صلوا الصبح جماعةً، قال لهم صاحب المناقب رضوان الله عليه: إني رأيت البارحة جملة من كبار العلويين في هذا المكان، وعد منهم شيخه الحبيب علي بن جعفر العطاس، يعني المتقدم ذكره في (الباب الرابع).

وكان صاحب المناقب كثيرًا ما يقول عند ورود الأحوال عليه: رأيت كذا وكذا، ففرح رفقته بهذه الرؤيا، واطمئنوا بها، فبينما هم كذلك، إذ دخل عليهم رجل هيئته كهيئة أشراف مكة، ومعه جمال يسأل عن السادة الذين يريدون الحج، ليحملهم إلى مكة. وقال لهم: أنا من سكان مكة، وبيتي في حارة الفلاني. فلما وصلوا رباط السادة بمكة، سار الرجل بجماله، قبل أن يدفعوا له الكراء، وبعد أن استراحوا قليلًا خرجوا يسألون عن الشريف المذكور، فلم يجدوا له أدنى خبر، ولا عثروا له على أثر، وعرفوا أنها عناية ربانية، بواسطة صاحب المناقب والخصوصية، فأدركوا الحج في تلك السنة، وتمت عليهم من الله المنة».



الحكاية التاسعة والأربعون

حكَى المترجم وفارس الميدان المتقدم، قال: «إن صاحب المناقب رضوان الله عليه، قال لبعض جيرانه ببلدنا عمْد، وهو المحب أحمد بن عمر باهادي: إني رأيت ابنًا لك، وسألته. فقال: أنا وجيه بن أحمد باهادي، جئت من تريم.

وكانت زوجة المحب أحمد المذكور معها حمل في ذلك الوقت، فولد له ولد مبارك، وسموه بهذا الاسم، وهو الموجود الآن»، انتهى.



الحكاية الخمسون

قلتُ: وأخبرني الحبيب الشهير، والعضد والنصير، علوي بن محمد بن طاهر الحداد، قال: جاء الحبيب صالح يعني صاحب المناقب رضوان الله عليه، مرة إلى قيدون، لزيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وكان من عادته أنه يتعهد بيوت الخير والصلاح بالزيارة. فأتى إلى بيت الحبيب المجذوب، إلى حضرة علام الغيوب، عبدالله بن طه[1] الهدار الحداد، وحين انبسط بهم المجلس، ابتدأ الحبيب صالح يتغنى بشيء من قصائد الصالحين، وكان حسن الصوت. فلما سمعه الحبيب عبدالله طرب لذلك، وورد عليه حالٌ. وكان من عادته أنه عند ورود الحال عليه يشرب الشيء الكثير من الماء، فلما علمت زوجة الحبيب عبدالله بذلك، أرسلت إلى الحبيب صالح: هات الخزْبة، بفتح الخاء وسكون الزاي، إناء من خزف يصنع للشرب، وأدخل الحبيب صالح طرف سواكه فيها، ورفعه، ثم أعطاها الحبيب عبدالله، فلم يقدر على شرب جميع ما فيها من الماء، ببركة الحبيب صالح»، انتهى.



(1) في الأصل: طاهر. والصواب ما أثبت (مصحح).

[قصة جلب الماء الى قيدون]

قلتُ: ولا شك أن القارئ سيتذكر هنا ما وعدنا به أثناء ترجمة الحبيب المشير، والعضد والنصير، في (الباب السادس)، من الوفاء بحق التاريخ، ببيان شيء من حال أهل قيدون، وما كانوا يلاقونه سابقًا من التعب والمشقة في طلب الماء، الذي يحتاجون إليه يوميًا. وبالجملة؛ فحالهم في ذلك عجيب، وأمرهم في شأنه غريب، وما يتذكر إلا من ينيب.

قال الأخ العلامة علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد في (الجزء الأول) من كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت»، عند ذكر بلده قيدون: «وأغلب مائهم، أي أهل قيدون، من الكريف الجديد، وهو عبارة عن صهريج كبير، مربع عميق، مطلي بالنورة، يمتلئ من الساقية، أي مجرى الماء، إذا جاء السيل. وإذا انقطعت الأمطار يستقون من العيون التي خارج البلد، على مسافة ساعة وأقل وأكثر، وأشهرها: الرِّشِه، بكسر الراء والشين، غربي البلد جنوبيًا، يبعد أعلا شعبها نحو ساعة، وهي عين ماء كانت تصب من كهف منفصل عن أرضه، فكان ماؤها غزيرًا، فاعتنى به الأولون، وجعلوا له جوابي متتالية، من أعلى الشعب إلى الحضيض، وهي جوابي محكمة، وإذا نزلت الأمطار كثر ماء العين، وإذا احتبست قلّ، فلا يتجاوز الجابية العليا. فكانوا يسرون للسبق إليه من نصف الليل، صاحب الحمار يحمله على حماره، والعاجز عن ثمن الحمار من الفقراء والأرامل يحملونه على ظهورهم، وفوق رؤوسهم، وهم أشد الناس تعبًا ونصبًا في ذلك.

ولهم في طلبه حكايات موحشة، عمن يشاهدونهم في طريقهم من الجن. فكأن سيرهم في ظلام الليل بتلك الطريق الخالية، والشعب المتداني المظلم، يولد لهم أخيلةً يطول الحديث عنها، وكانوا يسمون انقطاع الماء من الكريف أيام المظامي، فكل من

عنده شيء من الماء يحرص عليه أشد الحرص، وحالهم في الشدة والبلاء كحال أهل وادي عمْقَين، التي سبق وصفها، وقال الإمام العارف بالله الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس العلوي الحسيني: إنها عمَى بيقين.

ثم انتدب ثلاثة من السادة آل باعقيل، لم تبلغنا أسماؤهم، إلى حفر بئر في طرف البلد، ليستسقي منها الناس، إذا انقطعت الأمطار، ونفد ماء الكريف، ويبست أوشال المياه القريبة، فعملوا فيها، وخدموها بأيديهم، ابتغاء ثواب الله، حتى كملت وماهَت على عمق مائة قامةٍ، بماء عذبٍ، فانتفع به الناس، وتسمى بئر السادة. وهي ذات أربعة أرشية، وهم يسمون الرشا: زانة.

ثم حفرت بئر أخرى، وسميت بئر آل باطوق، وهم قبيلة من المشايخ آل عمودي أهل قيدون، وعمقها نحو مائة قامة، وخمس قامات. وحفرت بئر أخرى بجانب المسجد، وهي سبعون قامة. ثم حفر الشيخ عمر بن سعيد باداهية العمودي بئرًا أخرى، وبلغ عمقها مائة قامة وعشرًا. وابتداء الإمام العارف بالله، شيخنا الحبيب محمد بن طاهر الحداد، في حفر بئر غربي البلد، وتوفي قبل تمامها، فوقف العمل فيها. فاتسع الناس بهذه الأبيار، ولكن منفعتها مقصورة على أهل القوة، القادرين على النزع، ومع ذلك، فلا يقدر على النزع غير أربعة نفرٍ في آنٍ واحد»، انتهى مقتطفًا من «الشامل».

قلتُ: ثم جاء الله بالفتح والنصر، على أيدي الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فأصبح القيدوني يغترف بإنائه من الجابية، كأنه على شاطئ نيل مصر!.



رجعنا إلى الاقتطاف من «الشامل»، والوفاء بحق الذين استجاب لهم ربهم بقوله ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ﴾. قال مؤلفه:

«جلب ماء غيل بويردة إلى قيدون

هذا عمل عظيم، ونفع كبير ومأثرة من المآثر الخوالد، وفضل عم نفعه المولود والوالد، والمقيم والوارد. قام به ثلاثة نفر، **الأول** أخي العلامة عبدالله بن طاهر الحداد، وهو صاحب الفكر في إنجاز هذا الأمر، والعزم عليه، والعمل فيه بنفسه ولسانه وقلمه وهمته، والتعب فيه، والكد ليلاً ونهاراً، والمثابرة على إنجازه بتحمل المشاق وترك الراحة، حتى أتمه. **والثاني** الحبيب العامل العالم، أبا المراحم والمكارم، والجود الذي عطل به اسم حاتم، والأخلاق التي كأنها على وجه الدهر مباسم بواسم، ذالمجد الباهر، والنسب الطاهر، المملوء بالمفاخر، علوي بن محمد بن طاهر الحداد العلوي الحسيني، أخونا في الله في الصغر والشباب والكهولة والشيخوخة، ورفيقنا في الطلب، ومساعدنا فيما قمنا به من الأمور النافعة لعامة المسلمين، فإنه هو الذي قام بالجد في تحصيل النفقات لهذا العمل المهم الثقيل، الذي لا تكاد تقوم به إلا حكومة ذات خزائن وأجناد وآلات وأعتاد. **الثالث** الجواد الذي سبق أقرانه، فلم يلحقوا غباره، ووضع أعلامه على منهج الكرم، وخلد آثاره، الباذل بنفس سخية، وهمه علية وأريحية، ورغبة صادقة وصلاح نية، الشيخ أحمد بن عبدالله بن سعيد باسلامة، المتوفى ببتاوي، من الجهة الجاوية. فإنه التزم بنفقة هذا العمل، وهي نفقةٌ جليلة، تجبن دونها نفوسٌ لا تعرف قدر الفضيلة. وقد وفّى بما التزم، ونال من الله من ثواب الكريم ما يتوهم. وهذا الغيل جلب من مسافةٍ تقرب من أربعة أميال.

فهو عمل كبير لا يقوم به الأفراد، وإنما جرى هذا مجرى الحوادث الخارجة عن المعتاد. فكان أهل البلد في بدء الأمر يستبعدون ذلك، ويعدونه كأضغاث أحلام، وربما نسبوا القائمين به إلى السفَه، فمنهم من يقول: هذا أمر لن يتم، واحلقوا لحيتي هذه

إن تمّ!. وقال آخر، وكان سميناً: إن صلح هذا، فابقروا بطني، وادهنوا بشحمها العَتْم، أي مجرى الماء. وبلغ الأمر إلى مداخلة النساء، فكن يحلفْنَ بقُصَصِهن، بضم القاف، أي النواصي: أن هذا الأمر لن يتم، وإلا فلتحلق تلك القُصَص. وكان أخفهم أذًى يقول: مالُ باسلامة ضائع، وأما السيد، فلا يهمه شيء، ما دام يتحصل على الصانّة، أي الإدام لطعامه، وهي كلمة هندية، بالمد وتشديد النون»، انتهى.

قلتُ: غير أن العاملين الموفقين، لم يزدهم كلام الحاسدين إلا نشاطًا إلى نشاطهم، ومن أمثال أهل الحرمين، المفسدة لكيد الحاسدين، أنهم يقولون: الرازق يرزق، والحاسد يحسد.



رجعنا إلى سياق «الشامل»، من رواية أخيه العالم العامل، عبدالله بن طاهر المذكور، قال: «وكان ابتداء العمل في ذلك، فاتحة شعبان سنة أربعين وثلاثمائة وألف، في احتفال. ووقعت أول عمارة في حفر كريف، طوله أربعة وعشرون ذراعًا، في عرض مثلها، وعمق أربعة أذرع ونصف، ليجتمع فيه الماء أولًا، ومنه إلى العتم، أي الجدول. وتم بناء العتم بالأحجار، من الغيل إلى قيدون، في سنتين، فبلغ طوله أربعة عشر ألف ذراع. وكان أشد ما كان، في مجاري الشعاب، فإن العمل فيه اقتضى أيامًا ونفقاتٍ، ثم جرى العمل في تمليطه بالنورة، وعملت له جابية في ضاحية البلد.

قال أخي في كتابه «قرة الناظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر»: «وفي آخر جمادى الأولى، سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف، وصل إلى قيدون السيد الفاضل العالم، العلامة بقية السلف، عبدالله بن محمد بن عقيل العطاس، يعني المتقدم ذكره في (الباب السادس) من «تاجنا» هذا. والسيد الكامل الناسك، عبدالرحمن بن جنيد بن عمر الجنيد، ومعهم جملة من السادة.

نخرجنا نطوف بهم الجابية، التي في ضاحية البلد، والعمال يكملون طلاء قاعتها بالنورة الإفرنجية، (الإسمينت)، فلما وقفنا عليها. قال الحبيب عبدالله بن محمد المذكور، أما أنا فلا أزايل هذا المحل حتى أرى الماء في هذه الجابية، وجلس على شفيرها، والعمال وسطها على آخر العمل. ولم يكن من عزمنا إجراء الماء تلك الليلة، إلا أني أخذت كلامه بقوة، وعرفت أنه ما عزمَ وجزم بما قال، إلا لانشراحٍ وجده في صدره، لأنه من أهل النور. فقلت له: رتب الفاتحة ويس وتبارك، واقرأ معها راتب جدك الحبيب عمر، كعادة سلفك عندما يريدون إطلاق الإذن للناس في الورود على جابية المشْهد، يعني في أيام زيارة المشهد.

وقد كان ماء مدخر في الجابية التي جعلناها في ثلثي الطريق، فأرسلت خادمًا ليرسل الماء منها، ففعل، ولم نكد نكمل قراءة ما ذكر، حتى وصل الماء، فتوضأنا منه، وصلينا المغرب هناك. وكان هذا أول تجربة لوصوله.

ولما كان يوم الخميس، عشر من رجب، سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف، أعددنا ضيافة للاحتفال بإجراء الماء من الغيل إلى البلد، فذبحنا ثورًا وعدة من الغنم، وطبخنا أربعة أكياس من الرز، واجتمع الناس، ونشرت الرايات، وقرئ المولد النبوي، وأنشدت المدائح النبوية، وأعلن الناس بحمد الله وشكره، يخالط ضجّات الناس خرير الماء يصب في الكريف، والبنادق تضرب من أطراف البلد، وزغاريد النساء، فكان يومًا مشهودًا، وعيدًا معدودًا.

وحضر سيدنا العلامة الداعي إلى الله أحمد بن زين بن أحمد خرد العلوي الحسيني، المتوفى في شهر محرم سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف، يعني وليد بضة ودفينها بدوعن الأيمن، فوعظ الناس، وقمت بعدَه، لحمدت الله على ما أولى وأعان،

وحثثتُ أهل البلد على معرفة قدر هذه النعمة التي منّ الله بها عليهم، وأن يقيّدوها بالشكر والإقبال على الله، والتزام طاعته، واتّباع السلف الصالح»، انتهى المراد، مقتطفًا من «الشامل».

[الشيخ أحمد بن عبدالله باسلامة (ت 1353هـ)]

قلتُ: والشيخ أحمد بن عبدالله بن سعيد باسلامة المذكور، ذا السعي المشكور، والعمل الصالح المبرور، هو وليد فلمباغ بسُمَطرا، وخريج مدينة سيوون بحضرموت، ودفين بتاوي بجاوة، في مقبرة العرب بحارة تانة أبان.

وكان أحمد بن عبدالله المذكور، من الراغبين فيما عند الله، المصدقين الجازمين بوعد الله، المخلصين في محبة أهل بيت رسول الله، ذا سيرة مرضية، ونفس بإطعام الطعام أريحية، وكان بيته مأوى الغرباء، ومنتدى أهل العلم والفضل، معمورًا بالروحات والمذاكرات، وصلوات الجماعة. كما أنه كان صافي السريرة، منور البصيرة، معدودًا في الذين سبق لهم من الله التوفيق في الأزل.

وله كمال الاتصال بغالب السادة العلويين المذكورين في (الباب السادس) مباشرةً، وخدمةً، ومراسلةً، وما أجدره بأن يعدّ واحدًا من أهل (الباب السادس) عملًا وصلاحًا، إذا لم نقل إنه يحتاج إلى مناقب خاصة، بذكريات فضائله. ولا عيب فيه، إلا أنه كان يعتقد أن الكلام في أمور الخير، والعمل بذلك متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فكان لا يتكلم بشيء من أعمال البر، إلا ويشرع في تنفيذه، كما مر في عبارة «الشامل»: أنه التزم بنفقة جلب الماء لأهل قيدون، ووفّى بما التزم.

قلتُ: وأنا والله ممن عرف حاله وماله، في أواخر تلك العمارة، فقد كان يبيع في كرائم أمواله، حتى تمم الله ذلك على نفقته، على أن ما قام به من هذا العمل هو الكنز الذي لا يفنى، ويستحق به إرسال الترحمات على قبره فرادى ومثنى.

وكانت وفاة الشيخ أحمد باسلامه المذكور، ليلة الاثنين، لخمس مضت من شعبان، سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية.

[وقفية مقبرة تانه أبان (ابنغ)، جاكرتا]

وأما مقبرة تانه أبان بجاكرتا (بتاوي) المتكرر ذكرها في «التاج»، فهي وقفية الشريفة الصالحة، مسعد العلوية، وليدة الفادان بسُمَطرا، ودفينة جاكرتا، وهي من السادة بني علوي، المعروفين بآل بابريك. وكانت عندها ثروة، وتحب الإنفاق في وجوه البر. فمن صدقاتها: هذه المقبرة للعرب خاصة، ومقبرة إلى جانبها للوطنيين خاصة. كما أنها هي التي بنت مسجد باخوجان، في الطبقة الثانية، وبأسفله حوانيت التجارة لمصالحه الخاصة، من سراج، وماء، ومؤذن، وغير ذلك.

ومسجد آخر في حارة كَبُون سَره.

[السيد عبدالله العيدروس، باني مسجد باخوجان الكبير]

وأمّا مسجد باخوجان، الجامع الكبير، فقد بناه الحبيب المثري، عبدالله بن حسين بن علوي بن حسن بن علوي بن إسماعيل بن أحمد بن علوي بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية، على نفقته الخاصة.

[السيد أبوبكر الحبشي (ت 1374هـ)، باني مسجد تانه أبان (ابنغ)]

كما أن جامع تانه أبان الكبير، بناه الحبيب الموفق لأعمال الخير، أبوبكر بن محمد بن عبدالرحمن بن هاشم بن أحمد بن علي بن طه بن حسن بن أحمد صاحب الشعب بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي، وليد سيوون بحضرموت، سنة تسعين ومائتين وألف هجرية، ونزيل جاكرتا الآن. وقد أخبرني المذكور: أن بناء المسجد المذكور، وإثبات

وقفيته، كان في اليوم الثاني والعشرين، عام أربع عشرة وتسعمائة وألف، ميلادي، كما أنه في الوقت الحاضر هو ناظر المقبرة المذكورة.

[نظارته لدار الأيتام، ورئاسته لجمعية خير]

وقد كان سابقًا رئيس جمعية خير العربية، وناظر مدرستها الحافلة بالتلاميذ، وناظر دار الأيتام، التابعة للرابطة العلوية، في جاكرتا. وقد أخبرني شفاهًا: بأن أوراق وقفية المقبرة المذكورة عنده، وأنه يرحب بكل من يحب الإطلاع عليها.



وأما نسبة هذه المقبرة إلى الشيخ سعيد نعُوم، أو إلى الشيخ عبدالله سعيد باسلامة، فلكونهما باشرا خدمة ذلك، بأمر الشريفة مسْعَد المذكورة، وعلى نفقتهما الخاصة، على أنها تكاد أن تكون أحسن مقبرة إسلامية في جاكرتا، من حيث الموقع والسعة، فجزى الله الشريفة مسعد عن الحيين والميتين، أفضل ما جازى به المحسنين.

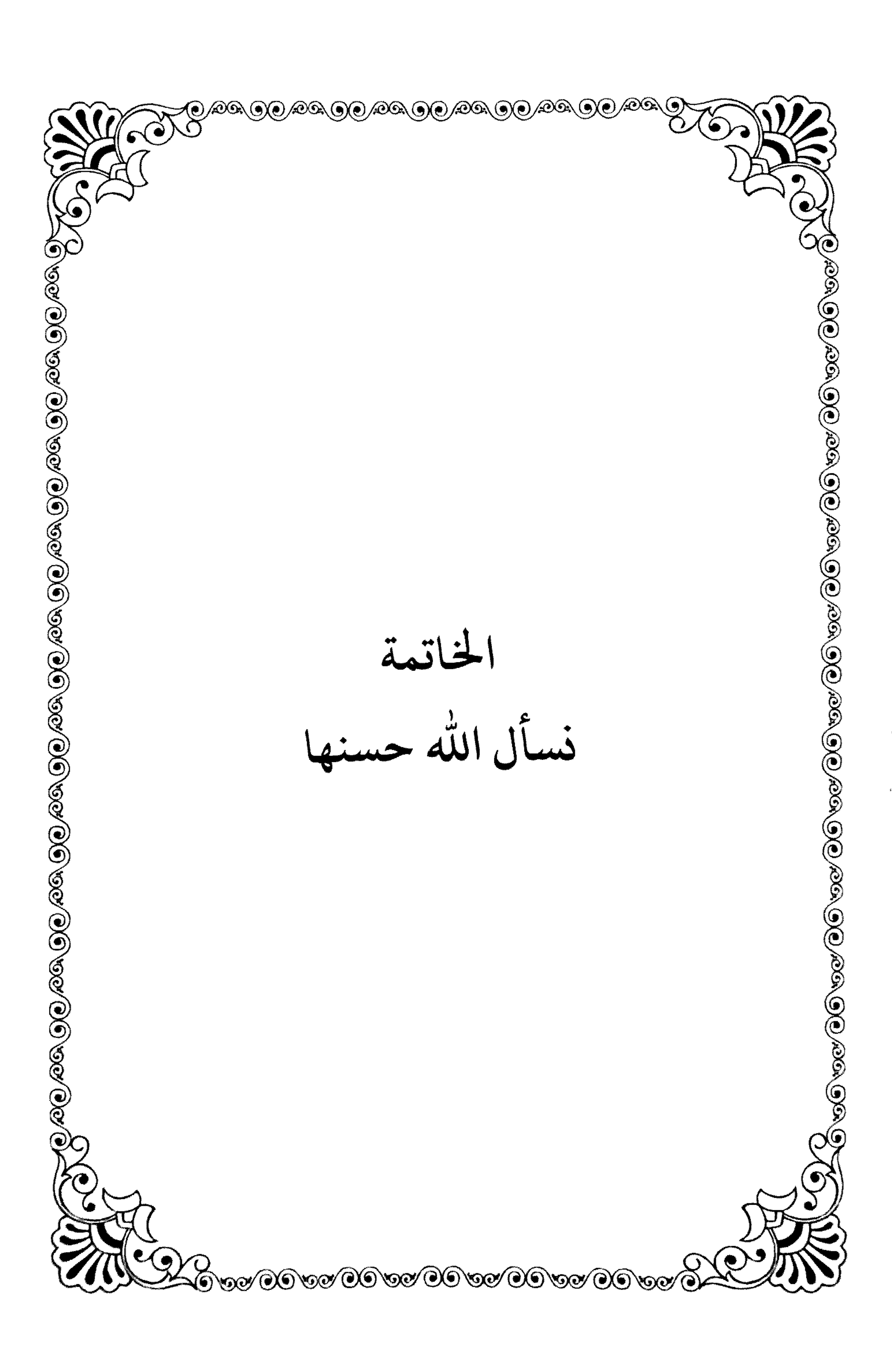
وكان حصول الإذن من الوالي العام الهولندي، لوقفية هذه المقبرة، بتاريخ ثنتين وعشرين في أفريل، سنة أربع وأربعين وثمانمائة وألف ميلادية.

[وقفية مدرسة جمعية خير]

وأما تاريخ وقفية مدرسة جمعية خير، فقد كان في اليوم السابع عشر من شهر أكتوبر، سنة تسع عشرة وتسعمائة وألف ميلادية. كما أن وقفية دار الأيتام، التابع للرابطة العلوية، كانت في شهر أقستس، سنة وحدة وثلاثين وألف ميلادية. لأن قيام جمعية الرابطة العلوية، كان في اليوم السابع والعشرين من شهر ديسمبر، سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية.

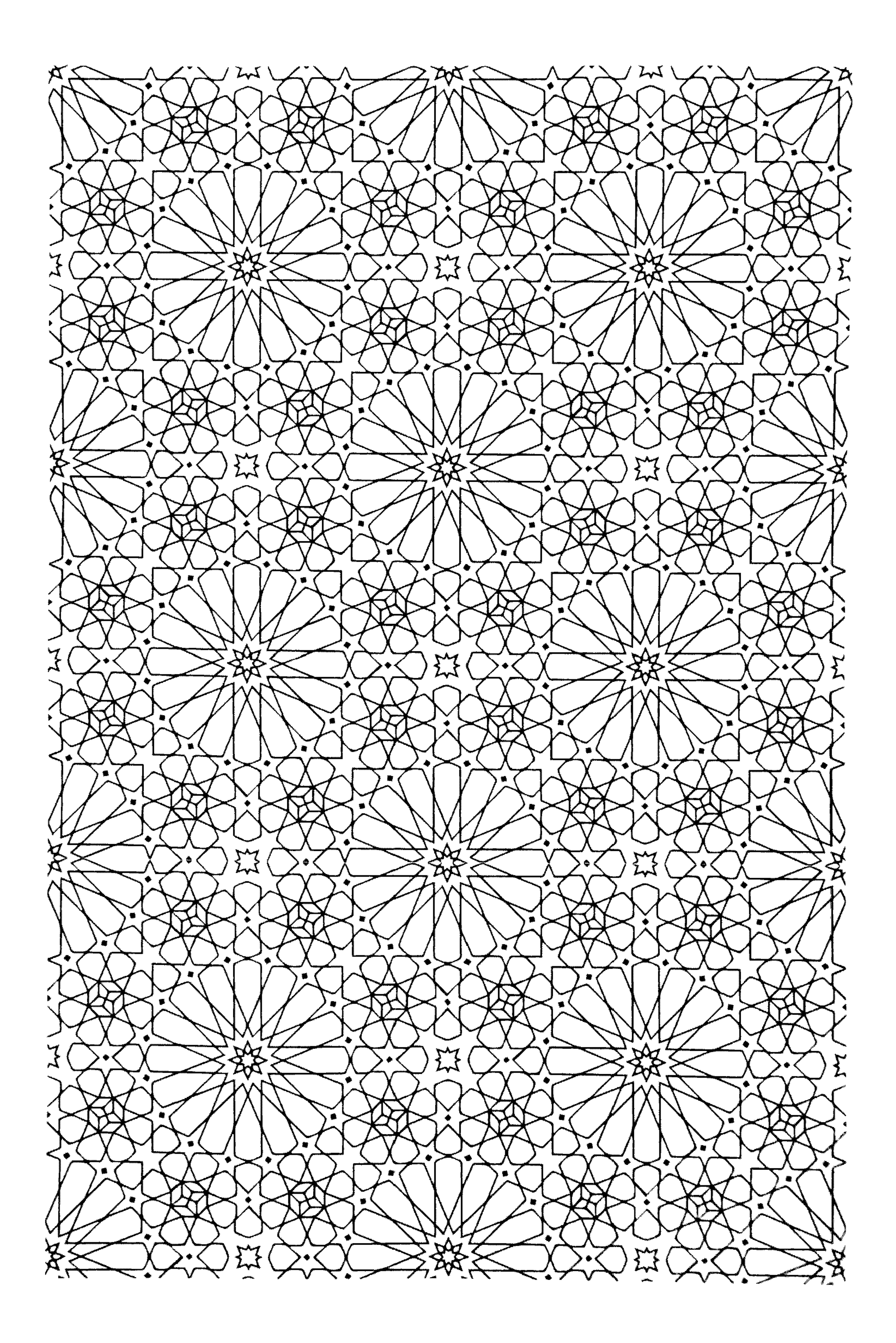
وكانت وفاة الحبيب أبي بكر بن محمد الحبشي المذكور، ليلة الربوع لثلاث وعشرين مضت من جمادى الآخرة، سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، ودفن في المقبرة المذكورة، تقبل الله من الجميع، وأثابهم على ذلك بمنه وكرمه.

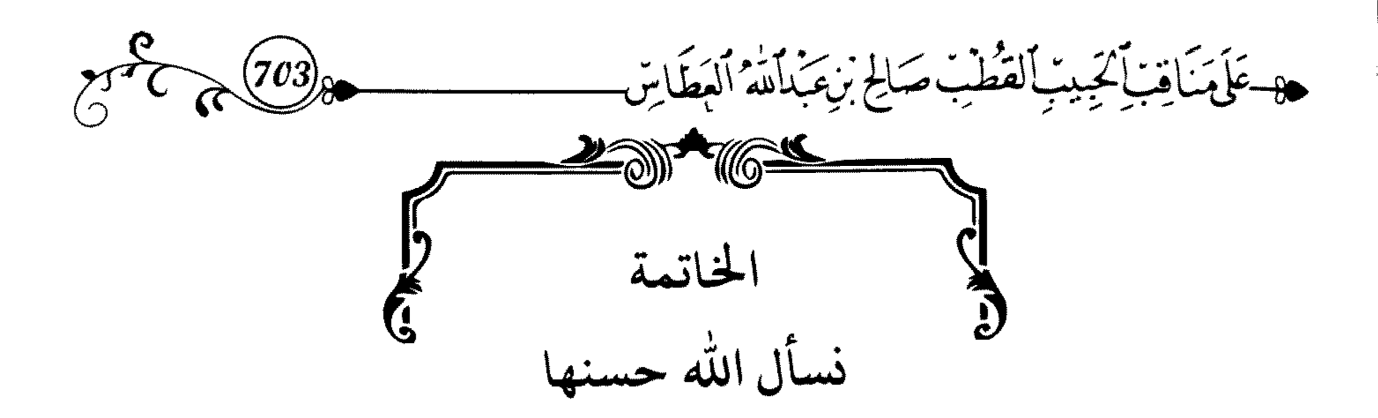




الخاتمة

نسأل الله حسنها





الخاتمة
نسأل الله حسنها

وتشتمل خاتمة هذا «التاج» على «راتب» صاحب المناقب رضوان الله عليه، فـ«وِرد» أخيه الحبيب علي بن عبدالله المتقدم ذكره في (الباب الخامس)، فـ«راتب» سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، فالذكر المعروف بـ«التوحيد» المنسوب إليه، وكلها قد تقدمت الإشارة إليها.

وقد جعلتها خاتمة كتابي هذا تتميمًا للفائدة، واغتنامًا للبركة، راجيًا من الله أن تكون خواتم أعمالي من الدنيا على هذا الترتيب، وما ذلك على الله بعزيز.

وها أنا أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يكرمني بحسن الخاتمة، وصلاح العاقبة، في خير ولطف وعافية. ومن أحاطت به شفقة قلبي، وجميع المتعلقين بي، وكل من قرأ في هذا «التاج»، أو استمع إليه بحسن الظن، مقدمًا بين يدي نجوايَ هذه جاه نبيه المصطفى، وآله الكرام الشرفاء، وأصحابه أهل الصدق والوفاء، ثم جاه من رصّعت بذكراهم هذا «التاج»، وتشبهت بهم في سلوك هذا المنهاج، إنه ولي التوفيق، ومنقذ العاصي الغريق، وهو حسبي ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير.

[راتب الحبيب صالح بن عبدالله العطاس]

وهذا راتب صاحب المناقب رضوان الله عليه:

الفاتحة إلى رُوح، بضم الراء، صاحب الراتب، الحبيب صالح بن عبدالله العطاس، وإلى حضرة النبي (إلى آخر الفاتحة).

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (ثلاثًا).

أعوذ بكلمات الله التاماتِ، من شر ما خلق (ثلاثًا).

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم (ثلاثًا).

رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًا (ثلاثًا).

بسم الله الرحمن الرحيم (ثلاثًا).

بسم الله تحصنا بالله، بسم الله توكلنا بالله (ثلاثًا).

بسم الله آمنا بالله، ومن يؤمن بالله لا خوفٌ عليه (ثلاثًا).

يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، ارحمنا والمسلمين (مرة واحدة).

يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف، يا الله الطُف بنا والمسلمين (مرة واحدة).

يا حفيظ، يا حفيظ، يا حفيظ، يا حفيظ، يا حفيظ، يا الله احفظنا والمسلمين (مرة واحدة).

يا روؤف يا رحيم، يا روؤف يا رحيم، يا روؤف ياالله، ارأف بنا والمسلمين (مرة واحدة).

يا سلام، يا سلام، يا سلام، يا سلام، يا سلام، يا الله، سلمنا والمسلمين (مرة واحدة).

لا إله إلا الله، (أربعين مرةً)، محمد رسول الله (مرة واحدة).

اللهم صل على محمد، اللهم صل على محمد (إحدى عشر مرة).

يا الله لنا بالسعادة، والخاتمة والشهادة، يا الله بدعوة مجابة، والعرش مفتوح بابه (ثلاثًا).

يا لطيفًا لم يزل، الطُف فيما نزل، إنك لطيف لم تزل، الطف بنا والمسلمين (ثلاثًا).

يا أمان الخائفين، نجنا مما نخاف (ثلاثًا).

حططــــتُ رحـــالي ببـــاب الكـــريم ونـاديتـــــه في ظـــلام الـــدجا

وقلـــت إلهـــي أقـــل عثرتـــي ويســـر مـــن العســـر لـــي مخرجًـــا

(ثلاثًا).

يا الله بها، يا الله بها، يا الله بحسن الخاتمة (ثلاثًا).

الفاتحة إلى روح سيدنا وحبيبنا وشفيعنا، رسول الله، محمد بن عبدالله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآله وأصحابه، وأزواجه وذريته، أن الله يعلي درجاتهم في الجنة، وينفعنا بأسرارهم وأنوارهم وعلومهم في الدين والدنيا والآخرة، ويجعلنا من حزبهم، ويرزقنا محبتهم، ويتوفانا على ملتهم، ويحشرنا في زمرتهم، **بسر الفاتحة.**

الفاتحة إلى روح سيدنا الإمام القطب صالح بن عبدالله العطاس، صاحب الراتب، وأصوله وفروعه، وأهل قريته، وأموات بلدته، من المسلمين والمسلمات، أن الله يغفر لهم ويرحمهم، ويعلي درجاتهم في الجنة، وينفعنا بأسرارهم وأنوارهم وعلومهم ونفحاتهم في الدين والدنيا والآخرة، **بسر الفاتحة.**

الفاتحة إلى روح سيدنا المهاجر إلى الله، أحمد بن عيسى، وسيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وأصولهما وفروعهما، وذوي الحقوق عليهم أجمعين، أن الله يغفر لهم ويرحمهم، ويعلي درجاتهم في الجنة، وينفعنا بأسرارهم وأنوارهم وعلومهم ونفحاتهم في الدين والدنيا والآخرة، **بسر الفاتحة**.

الفاتحة إلى أرواح الأولياء والصالحين، والأئمة الراشدين، ثم إلى أرواح والدينا، ومشايخنا، ومعلمينا، وذوي الحقوق علينا أجمعين. ثم إلى أرواح أموات هذه البلدة من المسلمين والمسلمات، أن الله يغفر لهم ويرحمهم، ويعلي درجاتهم في الجنة، وينفعنا بأسرارهم وأنوارهم، وعلومهم في الدين والدنيا والآخرة، **بسر الفاتحة**.

الفاتحة بالقبول، وتمام كل سول ومأمول، وصلاح الشأن ظاهراً وباطناً في الدين والدنيا والآخرة، دافعةً لكل شر، جالبةً لكل خير، لنا ولأولادنا، وأحبابنا وكافة المسلمين، مع اللطف والعافية، وعلى نية أن الله ينوّر قلوبنا وقوالبنا، مع التقى والهدى والعفاف، والموت على دين الإسلام والإيمان، بلا محنة ولا امتحان، بحق سيد ولد عدنان، ولكل نية صالحة، وإلى حضرة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



[الدعاء بعد الراتب]

ثم يقرأ هذا الدعاء:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسكَ، فلك الحمد حتى ترضى، ولك إذا رضيتَ، ولك الحمد بعد الرضا. **اللهم** صل وسلم على سيدنا محمد في الأولين، وصل وسلم على سيدنا محمد في الآخرين، وصل وسلم على سيدنا محمد في كل وقتٍ وحين، وصل على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين، وصل وسلم على سيدنا محمد حتى ترث الأرض ومن عليها وأنت خير الوارثين. **اللهم** إنا نستحفظك ونستودعك أدياننا وأبداننا وأنفسنا وأموالنا وأهلنا، وكل شيء أعطيتنا. **اللهم** اجعلنا وإياهم في كنفك وأمانك وعياذك وجوارك من كل شيطان مريد، وجبار عنيد، وذي عينٍ وذي بغي وذي حسد، ومن كل شر كل ذي شرّ، إنك على كل شيء قدير.

اللهم جملنا بالعافية والسلامة، وحققنا بالتقوى والاستقامة، وأعذنا من موجبات الندامة، في الحال والمآل، إنك سميع الدعاء، وصل اللهم بجمالك وجلالك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وارزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً، يا أرحم الراحمين، بفضل ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾».

[وِردُ الحبيب علي بن عبدالله العطاس]

وهذا ورد الحبيب علي بن عبدالله المشار إليه، الذي أملاه على شقيقه صاحب المناقب بالمدينة النبوية، من الفتح الإلهي، والمدد النبوي:

«سورة الفاتحة (ثلاثًا).

الإخلاص، والمعوذتين (ثلاثًا ثلاثًا).

اللهم إني أقدم إليك بين يدي ذلك، كلَّ نفسٍ، ولمحةٍ، ولحظةٍ، ونظرةٍ، وطرفةٍ يطرف بها أهل السموات والأرض، وكل شيء هم في علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾. ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم **الله** ربي، الله حسبي، توكلت على الله، فوضت أمري إلى الله، ما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. **اللهم** يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك الستر، يا عظيمَ العفو، يا حسَن التجاوَز، يا واسعَ المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا منتهَى كل شكْوى، يا صاحبَ كل نجْوى، يا كريم الصفح، يا عظيم المنّ، يا مبتدئ بالنعم قبل استحقاقها، أسألك يا الله، يا الله، يا الله، أن لا تشوّه خلقي، ولا خَلق والديّ بالنار.

بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (ثلاثًا).

الحمدلله الذي لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وكبره تكبيرًا. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. الله أكبر، الله أكبر، وله الحمد. الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعتُ، أبوءَ لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. **اللهم** إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، في قبضتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لكَ، سميت به نفسكَ، أو أنزلته في كتابكَ، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندكَ. أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وشفاء صدري، وجلاء أحزاني،

وذهاب همي وغمي. ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾. ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

نستغفر الله، نستحفظه، نستودعه (ثلاثًا).

الحمد لله الذي ذهب بالليل مظلمًا بقدرته، وجاء بالنهار مبصرًا بعزته، مرحبًا بكما من كاتبَين، وحياكما الله من حافظَين، اكتبا في صحيفتي شهادتي، بأني **أشهدُ** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، **وأشهدُ** أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. **وأشهدُ** أن الله تعالى لم يزل هكذا في دوام أزليته بلا ابتداءٍ أبدًا. وأشهد أن هذه حالة الله التي هو عليها، لا شبه لها. وأشهد أن الله تعالى هو الحقّ العدل المبين، وأن الساعة آتية لا ريبَ فيها، وأن الله يبعث من في القبور. **وأشهدُ** أن الدين كما شرعَ، وأن الإسلام كما وصفَ، وأن القول كما حدثَ، وأن القرآن كما نزل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. وأنه غير مخلوقٍ، وأن الخيرة من الله، وأن الشر بقضاء الله وقدرته. هذه عقيدةٌ اعتقدَها قلبي، ونطقت بها لساني، وأستودع الله تعالى هذه الشهادة، وهي لي وديعةٌ ووسيلة عند الله تعالى إلى يوم القيامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمن سواك، حتى لا أرجو أحدًا غيرك. **اللهم** ما ضعُفَت عنه قوتي، وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه

مسألتي، ولم تجرِه على لساني، مما أعطيته أحدًا من الأولين والآخرين، من اليقين، تخصني به يا أرحم الراحمين.

الرحمن، الرحيم، الرؤوف، العفو، المنان، الكريم، ذي الطول والإجلال والإكرام، العليم، الخبير، المكين، الهادي، علام الغيوب، الملك، العلي، العظيم، الغني، المتعال، ذو الجلال، المهيمن، الكبير، القدير، القادر، القوي، ذوالقوة، المتين، المقتدر، العزيز، الجبار، الشديد، القاهر، المحيط، العالم، الرب، الشهيد، الحسيب، الفعال، الخلاق، الخالق، البارئ، المصور، البديع، الباطن، المحيط، الكامل، المبدئ، المعيد، المغيث، المجيب، الصادق، الواسع، الوهاب، الباسط، الحي، القيوم، النور، الفتاح، البصير، العزيز، الودود، السميع، التواب، الغفار، الحسيب، الوكيل، الكافي، الرزاق، السلام، المؤمن، السريع، المحي، المميت، القابض، الباعث، الوارث، الشافي، البَر، الأول، الآخر، الباطن، القدوس. لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. سبحانك لا إله إلا أنت، يا رب كل شيء ووارثه.

يا إله الآلهة الرفيع جلاله، يا الله المحمودُ في مقالِه. يا رحمن كل شيء وراحمه. يا حيّ حين لا حيّ في يوم ملكه وبقائه. يا حي يا قيومُ فلا شيء يفوت من علمه ولا يؤودُه. يا الواحد الباقي أول كل شيء وآخرَه. يا دائم فلا فناءَ ولا زوال لملكه من غير فناء. يا صمدُ من غير شبْهِه، فلا شيء كمثله. يا بارئ فلا شيءَ كفؤُه يدانيه ولا مكان لوصفه. يا كبير أنت الذي لا تهتدي العقول لوصْفِ عظمته. يا بارئ النفوس بلا مثالٍ خلا من غيره. يا زاكي الطاهر من كل آفةٍ تدنسه. يا كافي الموسع لما خلقَ من عطايا فضله. يا نقي من كل جورٍ لم يرضَه ولم يخالطْه فعاله. يا حنان، أنت الذي وسعت كل شيء رحمةً وعلمًا. يا منان، ذا الإحسان قد عم كل الخلائق منه. يا ديانَ العباد، كل يقومُ خاضعًا

لرعيته ورغبته. يا خالقَ من في السموات والأرض، وكل إليه معادُه. يا رحيم كل صريخ ومكروبٍ وغياثه ومعاده. يا تام فلا تصف الألسنُ كل كنه جلاله وملكه. يا مبدع البدائع لم يبغ في إنشائها عونًا من خلقه. يا عالم الغيوبِ فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤده حفظُه. ياحليم ذَا الأناءة فلا يعادله شيء من خلقه. يا معيدُ ما أفنى إذا برز الخلائق لدعوته من مخافته. يا حميدَ الفعالِ ذا المنِّ على جميع خلقه ولطفه. يا عزيز المنع الغالبُ على أمرِهِ فلا شيء يعادله. يا قهارُ ذا البطش الشديدِ أنت الذي لا يطاقُ انتقامه. يا قريبُ المتعالِ فوق كل شيء علوّ ارتفاعه. يا مذل كل جبارٍ بقهر عزيز سلطانه. يا نور كلّ وهداه أنت فلقت الظلماتِ بنورك. يا عليّ الشامخُ فوق كل شيء علو ارتفاعه. يا قدوس الطاهر من كل سوء فلا شيء يعادله من خلقه. يا مبدئَ البرايا ومعيدَها بعد فنائها بقدرته. يا جليلُ المتكبر على كل شيءٍ فالعدل أمرُه والصدق وعدُه. يا محمودُ فلا يبلغ الأوهامُ كنه عزّ شأنه ومجده. يا كريم العفو ذا العدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله. يا عظيم ذا الثناء الفاخرِ والعز والمجد والكبرياءِ فلا يذل عزه. يا القريب المجيب المتداعي دون كل شيء قربه. يا عجيبُ فلا تنطق الألسن إلا بكل آلائه وثنائه.

يا غياثي عند كل شدة، ومجيبي عند كل دعوةٍ، أسالك **اللهم** بحق هذه الأسماء، أن تصلي على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ، وأن ترزقني أمنا دائمًا، وأمانًا، وعافيةً من عقوبات الدنيا والآخرة. وأن تفعل بي كل خير، وتصرف عني كل سوء، وأن تصرف عني أبصار الظلمة المريدين بي السوء، الذي نهيت عنه، وأن تصرف عني قلوب الذين لا يؤمنون، على ما يضمرون، وهب لي من الخير مالا يملكه غيرك.

اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، هذا الجهد وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على رسولك سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾.

﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾. ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٩٥﴾، ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ﴾، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾، ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥﴾، ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾، ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾، ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾، ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩﴾، ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾، ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾، ﴿مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾، ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾، ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾، ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ﴾، ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥﴾، ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤﴾، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾، ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾، ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾، ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ﴾،

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾، ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

اللهم افتح لي بكل خير، يا الله، يا رب، يا محيط، يا قديم، يا عظيم، يا رحمن، يا مالك، يا حكيم، يا تواب، يا بصير، يا واسع، يا سميع، يا بديع، يا كافي، يا رازق، يا شاكر، يا إله، يا واحد، يا غفور، يا حليم، يا قابض، يا باسط، يا حي، يا قيوم، يا علي، يا عظيم، يا ولي، يا غني، يا حميد، يا قائم، يا دائم، يا وهاب، يا سريع، يا خبير، يا رقيب، يا حسيب، يا شهيد، يا عفوّ، يا مقيت، يا وكيل، يا فاطر، يا قاهر، يا ظاهر، يا لطيف، يا خبير، يا محيي، يا مميت، يا نعم المولى ونعم النصير، يا حفيظ، يا قريب، يا مجيب، يا قوي، يا حميد، يا مجيد، يا فعال، يا منان، يا خلاق، يا صادق، يا وارث، يا باعث، يا كريم، يا حق، يا معيد، يا نور، يا هادي، يا فتاح، يا غافر، يا قابل التوب، يا شديد العقاب، يا ذا الطول، يا رزاق، يا ذا القوة المتين، يا بر، يا مالك، يا مقتدر، يا رب المشرقين والمغربين، يا ذا الجلال والإكرام، يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا مالك، يا قدوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا خالق، يا بارئ، يا مصور، يا مبدئ، يا معيد، يا أحد، يا صمد، يا حكيم، يا عليم، يا علي، يا عظيم، يا حي، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام.

برحمتك أستغيثُ، لا إله إلا أنتَ، سبحانك إني كنت من الظالمين. يا حي يا قيوم بك أستغيث، **اللهم** كما لطفْتَ في عظمتك فوق اللطفاء، وعلوتَ بعظمتك على العظماء، وعلمت بما تحت أرضك كما علمتَ بما فوق عرشكَ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندكَ، وعلانية القول كالسر عندكَ في علمك، وانقاد كل شيء بعظمتكَ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانكَ، وصار أمر الدنيا والآخرة بيدك.

اجعل لي من كل همّ وغم أصبحتُ وأمسيت فيه فرجًا ومخرجًا. **اللهم** إن عفوكَ عن ذنوبي، وتجاوزك عن خطيئتي، وسترك على قبيح عملي، أطمعني أن أسالك ما لا استوجبه، مما قصرت فيه. أدعوك آمنًا، وأسألك مستأنسًا، وإنك المحسن إليَّ، وأنا المسيءُ إلى نفسي، فيما بيني وبينكَ. تتودد إليّ بالنعم، وأتبغّضُ إليك بالمعاصي، ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليكَ، فعُدْ بفضلك وإحسانكَ عليَّ، إنكَ أنت الغفور الرحيم. **اللهم** إني لا أملكُ لنفسي ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا أستطيع أن آخُذ إلا ما أعطيتني، ولا أتقيَ إلا ما وقيتني، **اللهم** وفقني لما تحبه وترضاه من القول والعمل في عافيةٍ.

اللهم يا من له الاسم الأعظم، وهو أعظم. يا من تقدم على القِدَم، وهو أقدم. يا من ليس له أحدً يعلمُ، وهو أعلم. **أسالك** بكل اسمٍ هولكَ، وبما جرى به على اللوح المحفوظ القلم، أن تكفيني شر ما خلقْتَ، من علمْتُ منهم وما لم أعلم، وأن تسخر ليَ الملك والملكوت، وتجريَ بمرادي القضاء والقدر والفلك، وقد سألتك بجملة أسمائك التي تحيي بها من حي، وتهلِكُ بها من هلك، فلا إله إلا أنتَ، وحدك لا شريك لك.

يا لطيفا بخلقه، يا عليمًا بخلقه، يا خبيرًا بخلقه، الطُف بي، يا عليم، يا خبير.

أسالك اللطف فيما جرت به المقادير. يا لطيفُ فوق كل لطيف، الطُف بي في جميع أموري كلها، كما تحب وترضى، في دنياي وآخرتي. يا حافظ يا حفيظ، يا كافي يا محيط، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾، ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ

إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾، ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت، وهو حي دائم لا يموت، بيده الخير، ومنه الخير، يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله الملك المبين، لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار. سبحان الله العظيم، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

سبحان الله العظيم وبحمده. أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأسأله التوبة والمغفرة. **اللهم** لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. **اللهم** صل على محمد وعلى آل محمد.

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. سبحان الله أبد الأبد، سبحان الله الفرد الصمد، سبحان الله الواحد الأحد، سبحان الله الذي رفع السماء بغير عمَد، سبحان الذي سطح الأرض على الماء فجمَد، سبحان الذي خلق الخلق وأحصاهم عدَد، سبحان الذي رزق الخلق ولم ينس أحد، سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد، سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، سبحان من لا يعلم قدرَه غيرُه، ولا يبلغ الواصفون صفته.

أعددت لكل هول ألقاه في الدنيا والآخرة وما بينهما: لا إله إلا الله محمد رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكل رخاء وشدة الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحانَ الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل ضيق حسبي الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم إني أتوسل بك إليك، **اللهم** إنا نقسم بك عليك، كما أنت دليلها عليك، فكن شفيعنا إليك. **اللهم** إن حسناتي من عطائك، وسيآتي من قضائك، فجد بما أعطيت على ما قضيت، حتى تمحو ذلك بذلك، لا لمن أطاعك فيما أطاعك فيه الشكر، ولا لمن عصاك فيما عصاك فيه العذر، لأنك قلت وقولك الحق ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

اللهم لولا عطاؤك لكنا من الهالكين، ولولا قضاؤك لكنا من الفائزين، وأنت أجل وأعظم، وأعز وأكرم، من أن تطاع إلا بإذنك ورضاك، وتعصى إلا بحلمك وقضائك. اللهم ما أطعتك حتى رضيت، ولا عصيتك حتى قضيت، أطعتك بإرادتك، والمنة لك عليّ. وعصيتك بتقديركَ، والحجة لك عليّ. فبوجُوب حجتك عليّ، وانقطاع حجتي، إلا ما رحمتني. وبفقري إليكَ، وغناك عني، إلا ما كفيتني. يا ارحم الراحمين. اللهم إني لم آت الذنوب جراءةً مني عليك، ولا استخفافا بحقك، ولكن جرى بذلك قلمك، ونفذ به حكمك، وأحاط به علمك، ولا حول ولا قوة إلا بك، والمعذرة إليكَ، وأنت ارحم الراحمين.

اللهم إن سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، وعقلي، بين يديكَ، لم تملكني من ذلك شيئًا، فإذا قضيت شيئًا، فكن أنت وليي، واهدني إلى أقوم السبل، يا خير من يسأل يا الله، يا أكرم من أعطى يا الله، يا رحمن الدنيا والآخرة، ارحم عبدًا لا يملك دنيا ولا آخرة، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إلهي بحرمة الحسن وأخيه، وجده وأبيه، وأمه وبنيه، نجني من الغم الذي أنا فيه، يا حي يا قيوم، يا

ذا الجلال والإكرام، أسالك أن تحي قلبي بنور معرفتك، يا الله، يا الله، يا الله، يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم.

اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتكَ سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم، عدد معلوماتكَ، ومداد كلماتكَ، كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون، (ثلاثًا). **اللهم** صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، ما اتصلت العيون بالنظَر، وتزخرفت الأرض بالمطر، وحج حاجٌ واعتمر، ولبى وحلق ونحَر، وطاف بالبيت العتيق وقبل الحجَر، وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم صل وسلم، وبارك وكرم، أفضل صلاةٍ، وأزكى سلام، وأنمى بركة، وأجل كرامة، وأكثر عدد، وأوفر مددٍ، وأشرف تحيةٍ، على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه، كما لا نهاية لكمالك، وعدد كماله، كل يوم ألف ألف ألف مرة. صلاةً تعافينا وتشفينا بها من سائر الأسقام والأورام، والآلام والأوهام والآثام، والأمراض والأعراض، والأوصاب والأنصاب، والأنكاد والهموم، والغموم والأحزان، والصداع، والشقيقة، والوسواس، وسوء الفكر، ووسوسة الصدر، وشتات الأمر، والخبال، والجنون، والخيال، والجذام، والبرص، والسرسام، والبرسام، والفواق، والاستسقاء، والرياح، والنفخة، والسعال، والسل، واليبس والإسهال، والباسور والناسور، والحّميات، والإعياء، والأدواء، ومن سائر العلل والآفات، والعاهات الظاهرات والباطنات، الحسيات والمعنويات، النفسيات والحميات، والخيالات والوهميات، انك قريب مجيب الدعوات.

اللهم يا رب كل شيء، بقدرتك على كل شيء، اغفر لي كل شيء، ولا تسألني عن شيء، يا ارحم الراحمين. **اللهم** إني أسالك باسمك الأعظم، ورضوانك الأكبر، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين».

[فضائل راتب الإمام عمر العطاس]

وهذا «الراتب» المسمى «منهل المنال وفتح باب الوصال»، الذي جمعه ورتبه سيدنا الحبيب الغوث عمر بن عبدالرحمن العطاس، من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية. وكان يواظب على قراءته كل يوم في الصباح والمساء، ويأمر خواصه ومريديه بقراءته عند كل ضيق وشدة، زيادة على وقته المعين.

وقد أجرى الله، وله الحمد والمنة، عادته الجميلة عند قراءته بحل المشكلات، وتفريج الكربات، حتى اشتهر بذلك في كل زمان ومكان، ولا يزال تحت التجربة في كل عصر وأوان، لان سيدنا الحبيب عمر قد أودع سره فيه، وما زال يوصى به أولاده وأهل وداده، وكذا كل من طلب منه وصية أو وسيلة من الأدعية. ثم اقتفاه في ذلك مشاهير أولاده، ومن أجلهم صاحب المناقب رضوان الله عليه، كما ذكرت ذلك عنه في (الباب الثاني) من «تاجنا» هذا، عند ذكر توزيع أوقاته، وترتيب أوراده. فقلت: وأما سلاحه الذي لا يضعه عن العاتق، ويهزم بكراته جيوش العوائق، وبسر طلسمه انفتحت له جميع المغالق، فهو «راتب» جده الأكبر، سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، المسمى «منهل المنال وفتح باب الوصال».

وإليك الشاهد أيها القارئ من كلام الفقيه عمر بامخرمه، في السر المودع في آيات الله وأسمائه، من الجلب والدفع والحكمة، حيث يقول:

قلبي اقطعْ معَاليق الطماعَات باليأسْ

وازجُر النفس واعْدِمها عن الخوضْ في الناسْ

والقِ مبنَىٰ الثقَة في القَلْب بالله علىٰ سَاسْ

وامْسِ له جازْ واجعل لكْ من اسْماه حُراسْ

فإنّها والله اَحْمىٰ من كُليبِ وجسّاسْ

قلتُ: ولو لم تكن فيه إلا كلمة التوحيد، التي هي الحصن الحصين، والحرز المكين، بسند أهل البيت الطاهر، إلى رب العزة جَلَّوَعَلَا، برواية سيدنا علي الرضا بن موسى الكاظم، حين دخل خراسان راكبًا على بغلته، في ملأ عظيم من الناس، وطلبوا منه أن يسمعهم حديثًا عن آبائه، فقال: حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه الحسن، عن أبيه علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، قال: حدثني حبيبي وخليلي رسول الله عليه وسلم، قال: حدثني جبريل، قال: حدثني ميكائيل، قال: سمعت رب العزة يقول: «**لا إله إلا الله حصْني، فمن قالها دخلَ حِصْني، ومن دخلَ حِصْني أمِنَ من عَذابي**»[1].

فكتب ذلك الحديث عشرون ألف محبرةٍ، من الذين كانوا حول بغلته، انتهى.



وقد كان صاحب المناقب رضوان الله عليه، يواظب على قراءته أشد المواظبة صباحًا ومساءً، ويقرأه جهرًا مع الحاضرين عنده، بعد كل مجلس يجلسه للناس، بعد صلاة العشاء. وكذا إذا توجه في سفرٍ، وإن قصرت مسافته، كما أنه يوصي به كل من سأله، أو طلب منه أن يرشده إلى شيء من الأذكار، أو التحصينات، ويرغب فيه، ويحث على المواظبة عليه، ويدعو إليه بكل ما في وسعه وطاقته، وذلك لما فيه من الأسرار والأنوار، التي لا يعرفها إلا من تأمل «شرح الراتب» المذكور، في (النصف الثاني) من كتاب «القرطاس في مناقب العطاس».

قلتُ: وبعضهم يسميه «عزيز المنال وفتح باب الوصال»، على ما في بعض نسخ «القرطاس»، وهو على خلاف نسخة الأصل القديمة المصححة، التي نقلتُ أنا منها أن

---

(1) تقدم تخريجه في الجزء الأول.

اسمه «منهل المنال وفتح باب الوصال»، على أنه لا يخفى على اللبيب، ما في ذلك من المناسبة، لأن المنهل يردُه كل أحد، ويعم نفعه الخاص والعام، وهذا هو عين مراد صاحب «الراتب» إن شاء الله تعالى.



قال الإمام المحقق، والبحاثة المدقق، الحبيب علي بن حسن العطاس، في كتابه (النصف الثاني) من «القرطاس في مناقب العطاس»، المعروف بـ«شرح الراتب»، ما نصه: «فإن هذا الراتب، هو المنحة التي منحها الله الكريم، عبادَه على يد هذا الإمام العظيم، القطب الحائز قصبات السبق والتقديم، ولم نعلم أن سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفع به، نسب إلى نفسه شيئًا غيره، أو أثّر أثرًا سواه، من وردٍ، ونظمٍ، أو نثر، أو رسالةٍ، أو مصنف. وأما هذا «الراتب» فقد نسبه إلى نفسه. حتى قال السيد المنور، الشيخ الإمام عيسى بن محمد الحبشي: إنه قد ورد عن سيدنا عمر المذكور نفع الله به، كلام كثير في فضائل هذا الراتب، انتهى.



وهذا نص الراتب المذكور، والكبريت الأحمر المشهور:

الفاتحة إلى روح صاحب الراتب، سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، والى حضرة النبي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾، آمين.

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (ثلاثًا).

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثًا).

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاثًا).

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (عشرًا).

بسم الله الرحمن الرحيم (ثلاثًا).

بسم الله تحصنا بالله، بسم الله توكلنا بالله (ثلاثًا).

بسم الله آمنا بالله، ومن يؤمن بالله لا خوف عليه (ثلاثًا).

سبحان الله عَزَّ الله، سبحان الله جلَّ الله (ثلاثًا).

سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم (ثلاثًا).

سبحان الله، والحمدلله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (أربعًا).

يا لطيفًا بخَلقه، يا عليمًا بخَلقه، يا خبيرًا بخلقه، الطُف بنا، يا لطيف، يا عليم، يا خبير (ثلاثًا).

يا لطيفًا لم يزل، الطُف بنا فيما نزل، إنك لطيف لم تزل، الطف بنا والمسلمين (ثلاثًا).

لا إله إلا الله (أربعين مرةً، أو مائة مرة)، محمد رسول الله (مرة واحدة).

حسبُنا الله ونعْمَ الوكيل (سبعًا).

اللهم صلِّ على سيدنا محمد، اللهم صل عليه وسلم (إحدى عشر مرة).

أستغفِر الله (إحدى عشر مرةً). تائبٌ إلى الله (ثلاثًا).

يا الله بها، يا الله بها، يا الله بحسن الخاتمة (ثلاثًا).

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾ آمين.

[تنبيه] وقوله «تائب إلى الله»، بلفظ المفرد، لمناسبة «أستغفر الله»، وقد ينون للوَصل بما بعده، لا كما يتوهم أنه بلفظ الجمع، فليتنبه لذلك خصوصًا النساخ.

الفاتحة إلى روح سيدنا وحبيبنا وشفيعنا رسول الله، محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآله وأصحابه وأزواجه وذريته، بأن الله يعلي درجاتهم في الجنة، وينفعنا بأسرارهم وأنوارهم وعلومهم في الدين والدنيا والآخرة، ويجعلنا من حزبهم، ويرزقنا محبتهم، ويتوفانا على ملتهم، ويحشرنا في زمرتهم، في خير ولطف وعافية، بسر **الفاتحة**.

الفاتحة إلى روح سيدنا المهاجر إلى الله، أحمد بن عيسى، وسيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وأصولهما وفروعهما، وذوي الحقوق عليهما أجمعين، أن الله يغفر لهم

ويرحمهم، ويعلي درجاتهم في الجنة، وينفعنا بأسرارهم وأنوارهم وعلومهم في الدين والدنيا والآخرة، **بسر الفاتحة.**

الفاتحة إلى روح سيدنا الحبيب عبدالرحمن بن عقيل العطاس، وابنه صاحب الراتب سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن، وإخوانه: سيدنا عقيل بن عبدالرحمن، وعبدالله بن عبدالرحمن، وصالح بن عبدالرحمن، وسيدنا الحبيب حسين بن عمر العطاس، وإخوانه الجميع. وسيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس، شارح هذا الراتب، والشيخ علي بن عبدالله باراس، شارح هذا الراتب أيضًا، وأصولهم وفروعهم، وأهل تربهم، وجميع الآخذين عن سيدنا عمر، واللائذين، والمنسبين إليه، في جميع أقطار الأرض، أن يغفر الله لهم ويرحمهم، ويعلي درجاتهم في الجنة، ويعيد علينا من أسرارهم، وأنوارهم، وعلومهم، وبركاتهم، في الدين والدنيا والآخرة، **بسر الفاتحة.**

الفاتحة إلى أرواح الأولياء، والشهداء، والصالحين، والأئمة الراشدين، ثم إلى أرواح والدينا ومشايخنا، وذوى الحقوق علينا وعليهم أجمعين. ثم إلى أرواح أموات هذه البلدة من المسلمين والمسلمات، أن الله يغفر لهم ويرحمهم ويعلي درجاتهم في الجنة، وينفعنا بأسرارهم وأنوارهم وعلومهم في الدين والدنيا والآخرة، **بسر الفاتحة.**

الفاتحة بالقبول، وتمام كل سُولٍ ومأمول، وصلاح الشأن ظاهرًا وباطنًا، في الدين والدنيا والآخرة، دافعة لكل شر، جالبة لكل خير، لنا ولوالدينا وأولادنا وأحبابنا ومشايخنا في الدين، مع اللطف والعافية، وعلى نية أن الله ينور قلوبنا وقوالبنا، مع الهدى والتقى والعفاف، والموت على دين الإسلام والإيمان، بلا محنة ولا امتحان، بحق سيد ولد عدنان، ولكل نية صالحة، وإلى حضرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الفاتحة.**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيدَه، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسكَ، فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيتَ، ولك الحمد بعد الرضا. **اللهم** صل وسلم على سيدنا محمد في الأولين، وصل وسلم على سيدنا محمد في الآخرين، وصل على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين، وصل وسلم على سيدنا محمد حتى ترثَ الأرض ومن عليها وأنت خير الوارثين.

اللهم إنا نستحفظك ونستودعك أدياننا، وأنفسنا، وأموالنا، وأهلنا، وكل شيء أعطيتنا. **اللهم** اجعلنا وإياهم في كنفكَ، وأمانك، وعياذك، من كل شيطان مريد، وجبار عنيد، وذي عينٍ، وذي بغي، وذي حسد، ومن كل ذي شر، إنك على كل شيء قدير. **اللهم** جملنا بالعافية والسلامة، وحققنا بالتقوى والاستقامة، وأعذنا من موجبات الندامة، في الحال والمال والمآل، إنك سميع الدعاء، وصل **اللهم** بجلالكَ، وجمالكَ، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً، يا أرحم الراحمين، بفضل ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.



والفاتحة الثالثة نقلتها من (الجزء الثاني) من «القرطاس» في شرح الراتب المذكور، وبقية الفواتح، والدعاء بعدها، نقلته من كتاب «سبيل المهتدين في ذكر أدعية أصحاب اليمين»، لمؤلفه سيدي الحبيب عبدالله بن علوي بن حسن العطاس، وهي مناسبة لما في

«القرطاس». وقد قرأت «سبيل المهتدين» المذكور، بعد ذلك، على سيدنا الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، فأثنى عليه، وعلى مؤلفه، كما تقدم ذلك في ترجمة المؤلف، من «تاجنا» هذا، والله ولي التوفيق.



[ذكر التوحيد]

وهذا التوحيد المنسوب إلى سيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، يقرأ بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر، وكذلك عند ضريح سيدنا الحبيب عمر المذكور، حال زيارته:

- لا إله إلا الله، محمد رسول الله (ثلاثًا).
- لا إله إلا الله (خمسًا).
- الله (خمسًا وعشرين).
- لا إله إلا الله، محمد رسول الله (ثلاثًا).
- لا إله إلا الله (مرة واحدة).
- ثم: هو (خمسًا).

كلمة حق، عليها نحيا، وعليها نموت، وعليها نبعث إن شاء الله من الآمنين، آمين.

الفاتحة إلى روح سيدنا رسول الله، محمد بن عبدالله، وآله وأصحابه، ومن والاه، وجميع أولياء الله، وأصفياء الله، خصوصا سادتنا العلويين، وأهل لا الله إلا الله أجمعين، ثم إلى أرواح مشايخ الذكر والتوحيد، السيد عمر بن عيسى باركوه، وسيدنا الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وسيدنا الحبيب حسين بن عمر العطاس، وإخوانه الجميع، والحبيب

علي بن حسن العطاس، صاحب المشهد، والحبيب عيسى بن محمد الحبشي، صاحب خنفر، والشيخ علي بن عبدالله باراس، والشيخ أحمد بن عبدالقادر باعشن، والشيخ محمد بن أحمد بامشموس، أهل دوعن الأيمن، وجميع مشايخ الذكر والتوحيد أينما كانوا، وحلت أرواحهم، أن الله يتغشاهم بالرحمة والمغفرة، ويحيينا على لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويتوفانا عليها، ويحققنا بحقائقها، ويلزمنا طرائقها، ويجعلنا من خواص أهلها، ومن الذاكرين الله كثيرًا، في خير ولطف وعافية، وإلى حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ آمين.

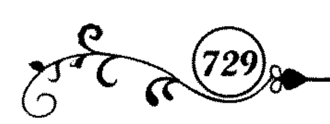


[خاتمة الخاتمة]

وهذا آخر ما يسره الله على يد الحقير، في تأليف هذا «التاج». وأنا أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يجعله دائم النفع، وكثير الإنتاج، وأن ينبته نباتًا حسنًا، ويتقبله قبولًا حسنًا.

وكان الفراغ من تأليفه يومَ الربوع المبارك
وهو اليومُ السادسَ عشَر من شهر شعبانَ المكرَّم
سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ وثلاثمائةٍ وألف هجرية
ببندرِ بتاوي (جاكرتا) من الجهة الجاوية
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
18	أحمد بن حسين بن هادون العطاس	266/2
19	أحمد بن سعيد باحنشل	388-385/1
20	أحمد بن سعيد بازرعه	701/1
21	أحمد بن سعيد باطوق العمودي	630/1
22	أحمد بن سعيد باعشن	724/1
23	أحمد بن صالح بن أحمد العطاس	155/2
24	أحمد بن طالب العطاس	474/2
25	أحمد بن عبدالرحمن السقاف	180/2
26	أحمد بن عبدالله العطاس	423/1
27	أحمد بن عبدالله باراس	705/1
28	أحمد بن عبدالله باسلامة	697/2
29	أحمد بن عبدالله بركات	362/2
30	أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس	280/2
31	أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار	687/1
32	أحمد بن عبدالله بن محمد البارء الساكت	714/1
33	أحمد بن علي الجنيد	353-349/1
34	أحمد بن علي بن جعفر العطاس	532/1
35	أحمد بن عمر العمودي	725/1
36	أحمد بن عمر باهادي	786/1

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
37	أحمد بن عمر بن أبي بكر العطاس	11 /2
38	أحمد بن عمر بن إسماعيل	492/2
39	أحمد بن عمر بن سميط	318-309/1
40	أحمد بن عمر بن محمد العطاس	472/2
41	أحمد بن عمر بن هادون العطاس	256/2
42	أحمد بن عيدروس الحامد	435/1
43	أحمد بن محمد الجفري	633/1
44	أحمد بن محمد العطاس	369/2
45	أحمد بن محمد المحضار	662/1
46	أحمد بن محمد باراس	730/1
47	أحمد بن محمد بارحيم بامشموس	444/2
48	أحمد بن محمد بن أحمد العطاس	14/2
49	أحمد بن محمد بن حمزة العطاس	447/2
50	أحمد بن محمد بن هادون العطاس	272/2
51	أحمد زيني دحلان	600/2
52	أحمد ناظرين	550/2
53	بو عامر، الشاعر	533/1
54	جعفر بن محمد العطاس، صبيخ	249/1
55	جعفر بن محمد بن حسين العطاس	355/2

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
75	حسين الأصقع بن أحمد البار	469/2
76	حسين الشامي بن محسن العطاس	145/2
77	حسين المصري المكي	416/1
78	حسين بن أبي بكر البيض	491/2
79	حسين بن أبي بكر العيدروس، لوراباتانغ	341/2
80	حسين بن أحمد باراس	463/2
81	حسين بن أحمد بن عبدالله العطاس	771/1
82	حسين بن جعفر العطاس	358/2
83	حسين بن حامد المحضار	394/2
84	حسين بن حامد بن عمر العطاس	379/2
85	حسين بن سالم بن عبدالله العطاس	40/2
86	حسين بن صالح العطاس	862/1
87	حسين بن عبدالرحمن بن سهل	599/1
88	حسين بن عبدالله الحامد	443/1
89	حسين بن علي العطاس	536/1
90	حسين بن علي بن حسين العطاس	68/2
91	حسن بن عمر باهارون	448/2
92	حسين بن عمر الصافي	718/1
93	حسين بن عمر العطاس، بوعون	152/2

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
94	حسين بن عمر بن هادون العطاس	256/2
95	حسين بن محمد البار	440/2
96	حسين بن محمد الحامد، النمر	438/1
97	حسين بن محمد الحبشي	591/2
98	حسين بن محمد بن حسين العطاس	840/1
99	حسين بن محمد بن طاهر الحداد	327/2
100	حسين بن هود بن علي العطاس	643/1
101	حمد بن ناصر بن شملان	785/1
102	خليفة بن حمد النبهاني	554/2
103	زين بن أحمد خرد	385/2
104	زين بن عبدالله بن علي العطاس	120/2
105	زين بن محمد العطاس	834/1
106	زينة بنت هادون العطاس	272/1
107	سالم الشواف	740/1
108	سالم بن أبي بكر بن عبدالله العطاس	34/2
109	سالم بن أحمد بن علي العطاس	26/2
110	سالم بن أحمد بن محسن العطاس	877/1
111	سالم بن حسين العطاس، حميشه	151/2
112	سالم بن حميد، المؤرخ	23/2

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
113	سالم بن سعيد باوزير	1،733
114	سالم بن طالب العطاس	124/2
115	سالم بن علي بن حسين العطاس	376/2
116	سالم بن عمر العطاس، حميشة	685/2
117	سالم بن عمر بن محمد العطاس	489/2
118	سالم بن عيدروس العيدروس	496/2
119	سالم بن محسن العطاس	661/1
120	سالم بن محمد الحبشي	445/2
121	سالم بن محمد العطاس	732/1
122	سالم بن محمد العطاس	153/2
123	سالم بن محمد بالحمدي	783/1
124	سعيد بن عمر باعشن	419/1
125	سعيد بن عيسى العمودي	484/2
126	سعيد بن محمد باعشن	723/1
127	سقاف بن أبي بكر ابن الشيخ	380-365/1
128	سقاف بن حسين عوضه باعقيل السقاف	418/1
129	سلطان بن مذعذع بن ثابت	678/2
130	سلمى بنت سعيد باعشن	217/1
131	سلمى بنت شيخ باهاشم (والدة صاحب المناقب)	209/1

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
132	سلمى بنت علي العطاس	858/1
133	سليمان إدريسي الأهدل	543/2
134	سونن جاتي	335/2
135	سيدة بنت شيخ باهاشم	216/1
136	شغوان بنت عمر العطاس	271/2
137	شيخ باهاشم (جد صاحب المناقب لأمه)	211/1
138	شيخ بن أحمد بافقيه	449/2
139	شيخ بن عبدالله العطاس	295
140	شيخ بن عمر الحبشي	698/1
141	شيخة بنت علي بن حسن العطاس	250/1
142	صالح بن أحمد باقيس	813/1
143	صالح بن حسن العطاس	536/1
144	صالح بن حسن الفقيه العطاس	547/1
145	صالح بن حسين العطاس	860/1
146	صالح بن سعيد بن هلابي	636/2
147	صالح بن عبدالله الحامد، تانقول	445/1
148	صالح بن عبدالله الحداد	332/2
149	صالح بن عجاج النهدي	255/2
150	صالح بن محمد بافضل	563/2

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
151	صالح بن نقح	500/1
152	صلاح بن أحمد الذيباني	785/1
153	طالب بن حسين العطاس	720/1
154	طاهر بن حسين الحامد	444/1
155	طاهر بن حسين بن طاهر	330-328/1
156	طاهر بن عمر الحداد	296/2
157	عائشة بنت علي العطاس	859/1
158	عباس بن عبدالله باحفص باحسين	790/1
159	عباس بن محمد باحسين	789/1
160	عبدالباري بن شيخ العيدروس	240/2
161	عبدالحميد قدس	535/2
162	عبدالرحمن بن أحمد باشيخ	388/2
163	عبدالرحمن بن سليمان الأهدل	407-388/1
164	عبدالرحمن بن علوي صاحب البطيحا	354/1
165	عبدالرحمن بن علي السقاف	569/1
166	عبدالرحمن بن علي بن محمد العطاس	543/1
167	عبدالرحمن بن عمر بن أحمد العطاس	9/2
168	عبدالرحمن بن محمد الفقيه العطاس	547/1
169	عبدالرحمن بن محمد بن علي العطاس	6/2

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
170	عبدالرحمن بن محمد خرد	349/2
171	عبدالشكور بن سالم العطاس	495/2
172	عبدالقادر بن أحمد الحداد	224/2
173	عبدالقادر بن عمر بايزيد	739/1
174	عبدالقادر بن محمد بافقيه	629/1
175	عبدالله العيدروس، باخوجان	698/2
176	عبدالله باشيخ	660/1
177	عبدالله باقروان	355/2
178	عبدالله بلفقيه	448/2
179	عبدالله بن أبي بكر العطاس	38/2
180	عبدالله بن أبي بكر العطاس، النخر	891/1
181	عبدالله بن أبي بكر عيديد	346-341/1
182	عبدالله بن أحمد العطاس (والد صاحب المناقب)	199/1
183	عبدالله بن أحمد باسودان	385-380/1
184	عبدالله بن أحمد باشميل	636/1
185	عبدالله بن أحمد بن زين العطاس، الدولة	516/1
186	عبدالله بن أحمد بن محسن العطاس	889/1
187	عبدالله بن حسن العطاس	843/1
188	عبدالله بن حسن باطيران العمودي	657/1

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
189	عبدالله بن حسن بافقير	480/2
190	عبدالله بن حسين الشامي العطاس	151/2
191	عبدالله بن حسين بلفقيه	349-347/1
192	عبدالله بن حسين بن طاهر	330-328/1
193	عبدالله بن سالم العطاس، حميشه	152/2
194	عبدالله بن سالم عيديد	492/2
195	عبدالله بن صالح العمودي	651/1
196	عبدالله بن طالب العطاس	624/1
197	عبدالله بن عبدالرحمن بن عمر العطاس	127/2
198	عبدالله بن عبدالرحيم بن قويرة باوزير	731/1
199	عبدالله بن عبدالقادر الفقْيه العطاس	546/1
200	عبدالله بن علوي العيدروس	583/1
201	عبدالله بن علوي بن حسن العطاس	80/2
202	عبدالله بن علي بن جعفر العطاس	532/1
203	عبدالله بن علي بن شهاب	357-353/1
204	عبدالله بن علي بن عبدالله العطاس	516-508/1
205	عبدالله بن عمر العطاس	269/2
206	عبدالله بن عمر باناجه	700/1
207	عبدالله بن عمر بن يحيى	337-331/1

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
208	عبدالله بن محسن بن سالم العطاس	475/2
209	عبدالله بن محسن بن محمد العطاس	43/2
210	عبدِالله بن محمد العطاس	372/2
211	عبدالله بن محمد باسندوه	722/1
212	عبدالله بن محمد باصمد	466/2
213	عبدالله بن محمد بن أحمد العطاس	3/2
214	عبدالله بن محمد بن عقيل العطاس	117/2
215	عبدالله حمدوه السناري	559/2
216	عبدالمطلب بن محمد العطاس	125/2
217	عبود بن محمد القحوم العمودي	638/1
218	عبود بن محمد بن عفيف	625/1
219	عثمان بن عبدالله بن يحيى	171/2
220	عفيف بن عبدالله بن عفيف	94/2
221	عقيل بن سالم بن عقيل	506/1
222	عقيل بن عبدالله الحامد	544/2
223	عقيل بن عبدالله العطاس	545/1
224	علوي بن أحمد السقاف	577/2
225	علوي بن أحمد العطاس	155/2
226	علوي بن أحمد جمل الليل	632/1

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
227	علوي بن حسن بن أحمد العطاس	30/2
228	علوي بن سالم خرد	648/1
229	علوي بن عبدالله بن طالب العطاس	293/2
230	علوي بن علي الحبشي، الصولو	165/2
231	علوي بن محمد المحضار	429/2
232	علوي بن محمد بن طاهر الحداد	304/2
233	علي باراس، الشيخ	706/1
234	علي بن أحمد باصبرين	726/1
235	علي بن جعفر العطاس	1/ 286-308
236	علي بن جعفر العطاس	360/2
237	علي بن حسين العطاس	719/1
238	علي بن حسين بن هود العطاس	276/2
239	علي بن سالم الأدعج	248/2
240	علي بن سالم الجعيدي	640/2
241	علي بن سالم العطاس	829/1
242	علي بن صالح الحامد	721/1
243	علي بن عبدالرحمن الحبشي، كويتان	166/2
244	علي بن عبدالرحمن المشهور	196/2
245	علي بن عبدالقادر باحسين	684/1

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
341	محمد بن صالح الحامد	774/1
342	محمد بن صالح الفقيه العطاس	547/1
343	محمد بن طاهر الحداد	298/2
344	محمد بن عبدالرحمن الحبشي	699/1
345	محمد بن عبدالكبير باقيس	816/1
346	محمد بن عبدالله الحبشي	803/1
347	محمد بن عبدالله العمودي	630/1
348	محمد بن عبدالله الكاف	778/1
349	محمد بن عبدالله باراس	705/1
350	محمد بن عبدالله باسودان	702/1
351	محمد بن عبدالله بافيل العمودي	580/2
352	محمد بن عبود باحسين	789/1
353	محمد بن علوي الزبيدي العطاس	137/2
354	محمد بن علوي بن طالب العطاس	295/2
355	محمد بن علي الحبشي، كويتان	169/2
356	محمد بن علي السقاف	572/1
357	محمد بن علي الكاف	623/1
358	محمد بن علي المثنى العطاس	537/1
359	محمد بن علي بلخيور	500/2

م	العلم	رقم الجزء والصفحة
360	محمد بن علي بن جعفر العطاس	531 /1
361	محمد بن علي بن حسين العطاس	727/1
362	محمد بن عمر باذيب	357/2
363	محمد بن عمر بن هادون العطاس	270/2
364	محمد بن عيدروس الحبشي	172/2
365	محمد بن لسود بن هلابي	634/2
366	محمد بن محسن الخيّل العطاس	574/2
367	محمد بن محسن العطاس	476/2
368	محمد سعيد بن سالم بابصيل	417/1، 595/2
369	محمد صالح الريس الزمزمي	414-407/1
370	محمد صالح جوهر	114/2
371	مصطفى بن أحمد المحضار	432/2
372	منصور بن غالب الكثيري	17/2
373	مهدي بن محسن الحامد	498/2
374	ناصر بن الشيخ علي	494/2
375	هادون بن أحمد بن حسين العطاس	266/2
376	هادون بن أحمد بن عمر العطاس	256/2
377	هادون بن عمر العطاس	267/2
378	هادون بن هود العطاس	285-237/1



فهرس الموضوعات





الموت مبتدأ لعمر ثانٍ * و منتهى العيش من الإنسانِ

من مات فات و انمحتْ آثاره * و الذكر بعد الموت عمر ثانِ

هذا امرء بموته يحيى و ذا * ك ينمحي في عالم النسيان

فإنما المرء حديث بعده * حديث إعجاب أو استهجان

الذكر يبقى للخلود و البقاء * و تذهب الأشلاء للديدان

تاج الأعراس

ISBN 978-623-9222-70-3

